مجلـــة
دراسات في التاريخ والآثار

مجلة علمية محكمة

التاريخ الحديث

مجلة دراسات في التاريخ والاثار □جامعة بغداد □ كلية الآداب □ بغداد

العدد (102) الجزء الثالث– 30 ايلول لسنة 2026

الترقيم الدولي : ISSN:2075-3047

البريد الالكتروني: jasha@coart.uobaghdad.edu.iq

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (765) لسنة 2002

مجلة دراسات في التاريخ والاثار –جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد
العدد (102) الجزء الثالث- 30 ايلول لسنة 2026
عدد الصفحات : 757 صفحة

تصميـــم واخـــراج
عـــلا صالح الجراح



دار ومكتبة كلكامش للطباعة والنشر
بغداد – باب المعظم -شارع المكاتب
07729093707 – 07736558370
ola.algarah88@gmail.com

رئيس التحرير :أ.د. منذر علي عبد المالك

مدير التحرير : أ.د. احمد ناطق ابراهيم

اعضاء هيئة التحرير

ا.د. محمود عبد الواحد القيسي	كليـــة الآداب / جامعة بغداد
أ.د. عـــادل شـــابث جابـــر	كليـــة الآداب / جامعة بغداد
أ.د. قصـــي صبحـــي عبـــاس	كليـــة الآداب / جامعة بغداد
أ.د. عبد الرحمن فرطوس حيدر	كليـــة الآداب / جامعة بغداد
أ.د. وســـن سعيـــد عبـــود	كليـــة الآداب / جامعة بغداد
أ.د. سجـــى مؤيد عبد اللطيف	كليـــة الآداب / جامعة بغداد
أ.د. ميثـم عبد الكاظم جـواد	كلية الآداب / جامعة بغداد
ا.د. اوســـام بحـــر جرك	كليـــة الآداب / جامعة بغداد
أ.د. ما جدة حسو مذ صور	كلية التربيـــة / جامعة المستنصرية
أ.د. فاضل مهدي بيات	تركيا منظمة ارسيكا
أ.د. حسين القهواني	الاردن /الجامعة الاردنية
أ.د. مارجرتنا فان أيس	المانيا/معهد الاثار الالماني
أ.د. والتر زالابير جر	المانيا/جامعة مونخ
أ.د. بيتر ميكلوس	المانيا/جامعة هايدلبرغ
أ.م.د. صلاح الدين محسن زاير	كليـــة الآداب / جامعة بغداد
أم.د. فـاروق محمـد علـي	كليـــة الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. بشرى عناد محمد	كليـــة الآداب / جامعة بغداد

مدقق اللغـــة العربيـــة: م.د . سهـــاد مـــازن فائـــق

مدقق اللغة الانكليزية: م.د. علياء عبد الحسين ناصر

شروط النشر في المجلة

1. ان تتضمن الصفحة الاولى من البحث مايأتي:
   أ. عنوان البحث باللغتين الانجليزية والعربية.
   ب. اسم الباحث باللغتين الانجليزية والعربية ، وشهادته العلمية ، ومؤهلاته، وتخصصه العلمي ومكان عمله.
   ج. البريد الالكتروني الرسمي للباحث ورقم الهاتف.
   د. ملخصان احدهما باللغة العربية والاخر باللغة الانجليزية وحجم الخط(12) .
   هـ. الكلمات المفتاحية (الدالة) للبحث باللغتين العربية والانجليزية.
2. ان يتم طباعة البحث بواسطة الكومبيوتر باستخدام Microsoft Office Word 2010 ان يتم تزويد هيئة التحرير بنسخة الكترونية من البحث بوصفه مجلداً واحداً فقط ؛ ولا يمكن تقسيم البحث على اكثر من مجلد.
3. ضرورة توثيق متن البحث بالمراجع (الاقتباسات) على وفق نظام (APA)
4. ان لا يزيد عدد صفحات البحث عن 25 صفحة حجم (A4).
5. على الباحث دفع رسوم النشر المحددة.
6. ان يكون البحث خالياً من الاخطاء اللغوية والنحوية والكتابية.
7. يجب ان تتم طباعة البحث باستخدام برنامج Microsoft Office Word 2010 ووضع المخططات والاشكال ان وجدت في المكان المناسب للبحث وان تكون جيدة من الناحية الفنية للطباعة. وان لايتم تضمين الرموز في داخل البحث.

8. ان يلزم الباحث بانواع واحجام الخطوط كما ياتي:
   أ. العربية (Simplified Arabic) حجم الخط (14).
   ب. اللغة الانجليزية (Times New Roman) حجم الخط (16) الملخص خط (12) . يجب ان تكون جميع صفحات البحث الاخرى الخط (14) .
   ج. استخدام معالج النصوص في داخل البرنامج Microsoft Office Word.
9. اخطار الباحث المجلة اذا لم يكن البحث مناسباً للنشر في مدة لاتزيد عن شهرين من وقت وصله الى المجلة.
10. يلتزم الباحث بالتعديلات التي يقوم بها الخبراء في البحث على وفق التقارير المرسلة اليه . ويجب اجراؤها في مدة لاتتجاوز (15) يوم.
11. تضاف قائمة اخرى للمصادر مترجمة للغة الاتينية غير مرقمة على وفق نظام (APA) ومرتبة ترتيباً ابجدياً .
12. ملء الاستمارة الخاصة بـ (اتفاقية التلخيص لحقوق الطبع والنشر)والخاصة بمجلة دراسات في التاريخ والاثار.
13. التقديم يكون عبر الموقع الالكتروني للمجلة : jasha@coat.uobaghdad.edu.iq بعد التسجيل في الموقع ثم رفع طلب للنشر.

- لاتنشر البحوث التي لا تطبق هذه الفقرات.

رئيس التحرير

فهرس العدد (102) الجزء الثالث

ت	اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
.1	الأوضاع العامة في إنكلترا خلال الحكم النورماندي (1066-1145م)	سراب جفات عوده أ.د. ستار جبار حسين الجابري	28-3
.2	الاستراتيجية الاقتصادية للاتحاد السوفيتي في مرحلة ما بعد الحرب 1945-1953 بين اعادة الاعمار والتخطيط المركزي	م. د. رحاب قاسم حسين	54-29
.3	الأدوار السياسية والإدارية للأسر في العراق خلال فترة الحكم العثماني	م.م. نوره رشيد علي فرحان	72-55
.4	الثورة الديمقراطية المنغولية لعام 1990	أ.م.د فاطمة جاسم خريجان مهدي	96-73
.5	الحرب الاهلية اللبنانية في ضوء الوثائق الأجنبية (الامريكية، البريطانية، الصهيونية1975 _1989)	م. د. رواء عبد الكريم محمد	120-97
.6	الدبلوماسية القسرية البريطانية في مصر دراسة تحليلية لدور مايلز لامبسون في أزمة 4 فبراير1942	م. م عدي عامر حسن م. م سمر حكيم مزهر	138-121
.7	النزاع الامريكي – الفرنسي 1798-1800	ا. م. د زيدان حسان حاوي مخيلف الشويلي	162-139
.8	العلاقات الاقتصادية بين تركيا وبريطانيا 1979-1983	م.م ياسمين محمود عبد جاسم	178-163
.9	الغزو الهولندي للخليج العربي	أ.م.د. جاوان حسين فيض الله الجاف	198-179
.10	الفكر القومي العربي وتحولاته السياسية في إمارات الساحل العماني 1948- 1967	م.د حسين فالح جياد	214-199
.11	المقومات الجغرافية والاتجاهات الخدمية لصناعة الورق في محافظة بابل	م.م. ضمياء حسن غريب	238-215
.12	الموانئ العراقية المحيطة بخور عبد الله وأهميتها في تكامل النشاط البحري	لنا وليد تركي خابور أ.د. علياء محمد حسين الزبيدي	252-239
.13	النشأة الأسرية وتكوين الهوية الاجتماعية والبناء العلمي والمعرفي لخلف الميري (1955-1997)	رحاب خضير عبيد فليح أ.م.د. نور سعدي عيسى	266-253
.14	اثر التفاعل بين النظرية التوسعية وانموذجي سيلفرمان وبيجزفي تحصيل وتفكير طلاب المتوسطة لمادة التاريخ في مدارس الكرخ_بغداد	حيدر رحيم حسين فرطوسي أ.د. فياض علوي أ.م.د. هاشم أبو خمسين	288-267

.15	تأهيل وترميم المتحف البغدادي للحفاظ على تاريخ العراق المعاصر	م.د إيمان محمد عبد علوان ا.م.د انس إبراهيم خلف	302-289
.16	تداعيات مشكلة الأسلحة النووية السوفيتية الموروثة في أوكرانيا (ازمة القرم 2014 انموذجاً)	أحمد خماط صابر أ.د فرقد عباس قاسم	320-303
.17	حروب النوع العاقل: مراجعة أنثروبولوجية في الأصول التطورية وانعكاساتها على ازدواجية المعايير الدولية	م. د. سعدون محسن ضمد م. د. كاظم عبد الزهرة رسن	354-321
.18	دور البرامج الحوارية الاقتصادية التلفزيونية في معرفة الجمهور بقضايا الإصلاح الاقتصادي الحكومي	عمر عايد عبد حسن الحمداني أ.د. وسام فاضل راضي	364-355
.19	زيارة ثيودور روزفلت الى القاهرة عام 1910 وموقف الحركة الوطنية المصرية منها	م.د. عمار مزهر ريسان	380-365
.20	سليمان فرنجية : من ولادة الزعيم إلى سياسة الاستمرار ما بعد الرئاسة	م. م هيفاء علي عبد الحسن الحسيناوي	406-381
.21	سياسة إنكلترا الخارجية في عهد الملك هنري الثامن (1511-1520م)	رواء فاضل عبد أ.م.أبتسام سلمان سعيد	426-407
.22	فاعلية استراتيجية قائمة على التعلم البنائي في اكتساب المفاهيم التاريخية لدى طلاب الصف الثاني المتوسط	أ.م. د. منى خليفة عبجل م. د. احمد داود سلمان	444-427
.23	نظرية الاستبداد المستنير وأثرها في نظام الحكم البروسي في عهد الملك فردريك الثاني ١٧٤٠-١٧٨٦	علي الأكبر ستار جبار أ.م.د. أسيل عبد الستار حاجم	468-445
.24	قوانين الخدمة المدنية وتعديلاتها 2006- 2008	داليا رعد شكر أ.م.د. زينة حارث جرجيس	482-469
.25	أثر برنامج الإصلاح الاقتصادي على قطاع الزراعة في غانا (1983-2001)"	حسام محمد خليل ابراهيم الفهداوي أ.د. حسين حماد عبد رجب الدليمي	508-483
.26	أدوارد سيمور حامي مملكة إنكلترا وركيزة الاستقرار السياسي 1547-1549م	م.م. جنان كاظم صالح فرحان	526-509
.27	الحرف العمرانية في العصر الملكي في العراق	فاطمة قاسم كاظم أ.د. صلاح الدين محسن زاير	540-527
.28	لجنة التربية والتعليم ونشاطها التخصصي في مجلس النواب العراقي للمدة (2006-2010).	كريم نوري عبد الله محيسن الدليمي أ.د علي محمد كريم المشهداني	570-541
.29	أثر برنامج الإصلاح الاقتصادي على قطاع الزراعة في غانا (1983-2001)	حسام محمد خليل أ.د. حسين حماد عبد	594-571
.30	أزمة نقص الأبنية المدرسية في العراق بعد عام 2003 ودور مشروع بناء المدارس الصينية في مواجهتها	هبة فخري عبيد	618-595
.31	حزب الإصلاح الفلسطيني تأسيسه وبدايات نشاطه السياسي حتى عام 1937	حذيفة عباس خضير أ. د وسام حسين عبد الرزاق	634-619

.32	دور مؤسسة الأوقاف في الحفاظ على التعليم وتطويره في ظل الدولة العثمانية	م.د.عصام صلاح الدين علي البياتي	650-635
.33	دور الطلبة في الإنتفاضة الشعبية السورية عام 1936(دراسة في الوثائق الفرنسية)	أ.م.د غصون كريم مجذاب	680-651
.34	سياسة الولايات المتحدة الامريكية تجاة ايطاليا 1973-1976 دراسة في الوثائق الامريكية	م.م دعاء احمد فياض جاسم	702-681
.35	قوانين الانتخابات البرلمانية العراقية دراسة سياسية	أ.د. ستار جبار الجابري	722-703
.36	مشروع سد ديالى الثابت (1928- 1946) "دراسة تاريخية"	م.م أميرة حسن جفات عويز أ.د. أحمد ناطق إبراهيم العبيدي	740-723
.37	دور المبشرين الامريكيين في بلغاريا (1819-1902)	أ.م.د. رجاء زامل كاظم شريف الموسوي	757-741

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

الأوضاع العامة في إنكلترا خلال الحكم النورماندي (١٠٦٦-١١٤٥م)

سراب جفات عوده

sarab.awda2404m@coeduw.uobaghdad.edu.iq

أ.د. ستار جبار حسين الجابري

sattar.aljaberi@cis.uobaghdad.edu.iq

الاستلام(Received) : ٢٠٢٦ / ٠٣/ ٠٢	التعديل (Revision) : ٢٠٢٦ / ٠٣/١٥
القبول(Accepted) : ٢٠٢٦ / ٠٤/ ٠٧	النشر (Published) : ٢٠٢٦/ ٠٩/٣٠

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص:

يتناول هذا البحث الأوضاع العامة في إنكلترا خلال الحكم النورماندي في الفترة بين (١٠٦٦-١١٤٥م)، مركّزًا على التحولات السياسية والاجتماعية التي صاحبت صعود أسرة بلانتجنيت إلى السلطة. يبدأ البحث بمحور أصول أسرة بلانتجنيت، مستعرضًا خلفيتها العائلية والنفوذ الذي مكّنها من فرض سيطرتها على إنكلترا. ثم ينتقل إلى محور مقاطعة نورماندي، موضحًا أهميتها كمركز للسلطة النورماندية وعلاقاتها مع الأراضي الإنكليزية. ويبحث المحور الثالث في طبيعة العلاقة بين أسرة بلانتجينت وإنكلترا، مبرزًا أساليب الحكم والاندماج في المجتمع الإنكليزية والتحديات التي واجهتها الأسرة في تعزيز سيطرتها على النبلاء المحليين والشعب. وأخيرًا، يتناول البحث خلافة أبناء ويليام الفاتح وتقسيم المملكة، مستعرضًا كيفية توزيع السلطة بين الأبناء والصراعات الداخلية الناتجة عن هذا التقسيم، وتأثيرها على استقرار الحكم النورماندي.

الكلمات المفتاحية: إنكلترا، النورمان، أسرة بلانتاجنيت، العصور الوسطى، ويليام الفاتح، هنري الأول.

Abstract:

This study examines the general conditions in England during the Norman rule from 1066 to 1145, focusing on the political and social transformations that accompanied the rise of the House of Plantagenet to power. The research begins with the origins of the House of Plantagenet, reviewing its familial background and the influence that enabled it to assert control over England. It then moves to the province of Normandy, highlighting its significance as a center of Norman authority and its relations with English territories. The third section investigates the nature of the relationship between the House of Plantagenet and England, emphasizing the methods of governance, integration into English society, and

the challenges faced by the family in consolidating its control over the local nobility and the population. Finally, the study addresses the succession of William the Conqueror's sons and the division of the kingdom, outlining how power was distributed among the heirs, the internal conflicts resulting from this division, and their impact on the stability of Norman rule.
Keywords: England, the Normans, the Plantagenet, the Middle Ages, William the Conqueror, Henry I.

المقـــــدمة:

يمثل الحكم النورماندي في إنكلترا (١٠٦٦-١١٤٥م) مرحلة محورية في تاريخ المملكة، حيث شهدت البلاد تحولات سياسية واجتماعية واقتصادية عميقة نتيجة غزو نورماندي بقيادة ويليام الفاتح. وقد أسس هذا الغزو أسرة بلانتجنيت التي لعبت دورًا محوريًا في رسم معالم الحكم والنظام الإداري في إنكلترا. كما ارتبطت العلاقة بين إنكلترا ومقاطعة نورماندي بعلاقات معقدة ومتداخلة، تجمع بين الولاء الشخصي والمصالح السياسية، ما أثّر على الاستقرار الداخلي للمملكة.

يهدف هذا البحث إلى دراسة الأوضاع العامة في إنكلترا خلال الحكم النورماندي من خلال أربعة محاور رئيسية: المحور الأول يتناول أصول أسرة بلانتجنيت، والمحور الثاني يستعرض طبيعة مقاطعة نورماندي ودورها في السياسة في إنكلترا، والمحور الثالث يركز على طبيعة العلاقة بين أسرة بلانتجنيت وإنكلترا، أما المحور الرابع فيتناول خلافة أبناء ويليام الفاتح وتقسيم المملكة وتأثير ذلك على وحدة البلاد واستقرارها. من خلال هذا البحث، سيتم تقديم صورة شاملة عن التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي ميزت فترة الحكم النورماندي في إنكلترا، مع التركيز على العوامل التي شكلت مسار التاريخ الإنكليزي في هذه الحقبة.

المحور الأول: أصول أسرة بلانتاجنيت (Plantagenet):

تعود أصول الأسرة إلى فرنسا من اتحاد النورمانديين والأنجويين[١]، وترجع تسميتهم إلى الشعار الخاص بالكونت[٢] أنجو جيفري (Geoffrey of Anjou) (١١١٣-١١٥١م)[٣]، حاكم نورماندي ومؤسس السلالة، وهو الاسم اللاتيني لنبتة جينستا (Genista) والتي تعني زهرة المكنسة الصفراء، والتي كان جيفري يضعها على قبعته[٤].

وقد عُرف الحكام الأوائل لتلك السلالة أيضاً باسم أنجيفن (Angevin) من اسم أنجو، وحكمت تلك الأسرة إمبراطورية شاسعة تمتد من اسكتلندا شمال إنكلترا إلى جبال البرانس (Pyrenees) جنوب فرنسا، ولأكثر من ثلاثة قرون، من القرن الثاني عشر للميلاد وحتى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد، وتحديدًا من عام (١١٥٤-١٤٨٥م)[٥].

نشأ جيفري وشقيقه هيلياس (Helyas) وشقيقتاه ماتيلدا (Matilda) وسيبيل (Sibyl) في منزل والده فولك الخامس (Fulk V) (١٠٩٢–١١٤٣م)[٦] مع أبناء النبلاء المحليين، وتلقى تعليمه في القيادة والإدارة والحرب والأدب منذ صغره، وكان يرافق والديه في العديد من واجباتهما اليومية، فشهد معهما على المواثيق وحضر جلسات المحكمة الكنسية، تلقى تعاليم خاصة بالسياسة والحرب والأمور العسكرية والإدارية، وشارك في حكومة والديه منذ سن مبكر جدًا[٧]. كانت كل مقاطعة من البلاد تحت حكم أمير مستقل، لكن تبعية تلك المقاطعات كانت تعود إلى ملك فرنسا[٨]. في ذلك الحين، كانت فرنسا مقسمة إلى عدد من الإقطاعات والدوقيات المستقلة، ويحكم كل منها كونت بصفته نائبًا عن الملك[٩].

شكلت بدايات القرن الثاني عشر الميلادي مرحلة محورية في تاريخ أوروبا الغربية، تمخضت عنها بزوغ نجم سلالة بلانتجنيت، فقد تنازل فولك الخامس، كونت أنجو، عن جميع أملاكه وألقابه الفرنسية لابنه جيفري الخامس في عام ١١٢٩م، كان الدافع وراء ذلك التنازل هو مغادرة فولك إلى الشرق لتولي منصب ملك المملكة اللاتينية في القدس (King of Jerusalem) عن طريق زواجه من الأميرة ميليسندا (Melisende) (١١٠٩–١١٦١م)[١٠]، الوارثة الشرعية للعرش[١١].

وبتلك الخطوة، ورث جيفري الخامس، الذي اشتهر بلقب جيفري بلانتجنيت، مجموعة من أهم الإقطاعيات الفرنسية، والتي أصبحت النواة التي ستتطور لاحقًا إلى ما يُعرف بالإمبراطورية الأنجيفية[١٢]. تحت حكم ابنه الملك هنري الثاني (Henry II) (١١٣٣–١١٨٩م)[١٣]. وكانت أبرز تلك الممتلكات:

١– كونتيه أنجو (County of Anjou)

تقع في غرب فرنسا، وكانت أنجو مقاطعة إدارية صغيرة نسبياً، مركزها مدينة أنجيه عند ملتقى نهر لوار وماين، وتوسعت في القرن الحادي عشر لتصبح إحدى الإمارات الرئيسة في فرنسا، وبفضل نفوذها القوي استطاعت أنجو السيطرة على معظم غرب فرنسا بشكل مستقل عن ملك فرنسا، ومن تلك القاعدة تمكن آل بلانتجنيت من غزو نورماندي وإنكلترا[١٤].

٢– كونتيه ميين (County of Maine)

إقليم مجاور لأنجو، يقع إلى الشمال منها، وكان مرتبطاً سياسياً وإدارياً بكونتية أنجو، مما وسع النفوذ المباشر لآل بلانتجينت في شمال غرب فرنسا، اتحدت مع أنجو عام ١١٢٦م، وأصبحت إنكليزية عام ١١٥٤م[١٥].

٣– كونتيه تورين (County of Touraine)

هي وحدة إقطاعية تاريخية في غرب فرنسا، تمركزت حول مدينة تور في وادي اللوار، وشكلت إحدى المقاطعات الإقليمية المهمة في التنظيم السياسي لفرنسا خلال العصور الوسطى. اكتسبت أهميتها

من موقعها الاستراتيجي في وادي اللوار الخصيب، ومن كونها مركزًا دينيًا بارزًا منذ انتشار المسيحية المبكرة، فضلًا عن دورها كمقر لإقامة ملوك فرنسا، ولا سيما في عصر النهضة. وقد ارتبطت المقاطعة بالبنية الإقطاعية للمملكة الفرنسية، إذ خضعت لحكم كونتات محليين قبل أن تندمج تدريجيًا ضمن السلطة الملكية المباشرة، وأصبحت لاحقًا أساسًا للوحدة الإدارية الحديثة المعروفة بإقليم إندر-إي-لوار، مما يعكس استمرارية دورها السياسي والإداري في التاريخ الفرنسي(١٦).

المحور الثاني: مقاطعة نورماندي:

يعود تاريخ دوقية نورماندي في العصور الوسطى إلى أوائل القرن العاشر، حينما منح ملك الفرنجة أراضي في وادي السين السفلي لزعيم الفايكنج (Vikings)(١٧)، رولو (Rolf) (٨٦٠-٩٣٢م)(١٨) الذي استقر مع أتباعه حول مدينة روان. في القرن الذي تلا ذلك توسعت نورماندي، أي (Northmania)، أراضي الشماليين تدريجياً حتى امتدت شرق نهر السين إلى نهر إبتي، وغرباً إلى الشاطئ الأطلسي لشبه جزيرة كوتنتين (Cotentin).

لم تكتفِ الأسرة بالإقطاعات الفرنسية، بل سعت إلى التوسع في الجزر المجاورة لها، إذ غزا دوق نورماندي ويليام الفاتح (William the Conqueror) (١٠٢٧-١٠٨٧م)(١٩) عام ١٠٦٦م إنكلترا، واضعاً أسس مملكة عبر القنال الإنكليزي، دُمجت العادات واللغة النورماندية مع الأنكلوساكسونية، مما شكّل نقطة تحول في تاريخ كل من الدوقية الفرنسية والمملكة الإنكليزية، ومن الجدير بالذكر أن تلك المقاطعة لم تكن ضمن ميراث جيفري من والده فولك الخامس، بل حصل عليها عن طريق زوجته ماتيلدا (Matilda)(٢٠)، التي ورثتها من أجدادها(٢١).

المحور الثالث: طبيعة العلاقة بين أسرة بلانتاجنيت وإنكلترا:

ترتبط العلاقة بين أسرة بلانتجنيت وإنكلترا ارتباطاً وثيقاً بجذور الأسرة في مقاطعة نورماندي الفرنسية. فقد نشأت توترات مبكرة بين التاج الإنكليزي والنبلاء النورمان، ولاسيما في عهد الملك هنري الأول (Henry I) (١٠٦٨-١١٣٥م)(٢٢)، والذي كانت أصوله نورماندية تعود إلى الملك ويليام الفاتح. أدى ذلك التنافس إلى صراع على السيطرة على مقاطعة نورماندي نفسها، مما جعل العلاقة بين المملكتين معقدة ومليئة بالتداخل(٢٣).

تعود جذور تلك العلاقة إلى ويليام الفاتح، دوق نورماندي، وقد كانت نقطة التحول الحاسمة عقب عام ١٠٦٦م نتيجة انعدام الوريث مباشر للعرش، مما أدى إلى فراغ سياسي وأزمة خلافة حادة. وكان سبب غزو نورماندي لإنكلترا حينما نصب الملك إدوارد ابن الملك أثيلراد، والذي لقب بإدوارد المعترف، وقد بلغ من العمر أربعين عاماً ولم يكن له وريث على العرش، مما أدى إلى حدوث صراع حول من

يتسلم عرش إنكلترا من بعده. ومن تلك الشخصيات التي كانت بارزة على الساحة في إنكلترا: هارولد جودوينسون (Harold Godwinson) (١٠٢٢-١٠٦٦م)[٢٤] ووليام الفاتح، دوق نورماندي[٢٥].

ادعى وليام الفاتح أن الملك إدوارد المعترف قد وعده بالعرش، ومن هنا جاءت شرعيته في المطالبة بالعرش بعد وفاة إدوارد المعترف. وقد رشح مجلس الويتان (Witan)[٢٦] هارولد ليصبح ملكاً على إنكلترا، في حين أنه تناسى القسم الذي أداه لدوق نورماندي وليام بمساعدته ليصبح ملكاً على إنكلترا، وحدث ذلك القسم عندما زار هارولد نورماندي، وهناك أقسم يمين الولاء لمساعدة وليام على أن يخلف إدوارد المعترف على عرش إنكلترا، وقد أخفى وليام بعض الشهود أثناء تأدية هارولد لذلك القسم ليكونوا شهوداً على هارولد[٢٧].

في حين تذكر رواية أخرى أن سفينة هارولد كانت قد انحرفت عن مسارها على السواحل النورماندية، والقي القبض عليه وأرسل إلى وليام النورماندي الذي أخذ منه تعهداً وأقسم يميناً بأن يكون تابعه ويعينه في أن يصبح ملكاً على إنكلترا مقابل إطلاق سراحه[٢٨].

وبحسب رأي الباحثة، فإن ذلك القسم لا صحة له، لأن وليام كان معتاداً على الانتصار بالمكر عندما لا يستطيع فعل ذلك بالوسائل المتاحة، لذلك ابتكر خدعة القسم وادعاءه بأن هارولد أقسم له قسماً رسمياً بأنه سيساعده في اعتلاء عرش إنكلترا بعد وفاة إدوارد المعترف.

بغض النظر عن مدى دقة ذلك الادعاء، فإن ما جرى في تلك المدة من تاريخ إنكلترا يظهر أن النورمانديين لم يكونوا ليغزوا البلاد لولا قناعتهم بحقهم الشرعي في العرش، إذ لم يكن هدفهم مجرد احتلال أو طموح توسعي، بل كان اعتقادهم قائماً على أحقيتهم بملكية العرش بموجب الوعد الذي قطعه هارولد لوليام. ولتأكيد على ذلك الحق، سعى وليام للحصول على دعم كنسي رسمي من البابا ألكسندر الثاني (Alexander II)[٢٩]، الذي بارك الحملة النورماندية وأضفى عليها الطابع الديني المشروع، كونها أصبحت حرب وليام تُقدَّم باعتبارها قضية عادلة ذات بعد ديني وسياسي معاً[٣٠].

وفي أيلول من عام ١٠٦٦م، نزل النورمانديون على السواحل الإنكليزية عند بيفنسي (Pevensey) الواقعة جنوب لندن على ساحل القناة، وساروا بعدها نحو هاستينغز (Hastings)، حيث أقاموا معسكرهم. وفي تلك الأثناء، كان هارولد قد انتصر في معركته ضد النرويجيين في الشمال قرب جسر ستامفورد، شمال شرق مدينة يورك، غير أن ذلك النصر أضعف قواته وأرهقها، مما اضطره إلى التوجه جنوباً إلى مدينة هاستينغز لمواجهة وليام الفاتح. وفي الرابع عشر من تشرين الأول عام ١٠٦٦م، دارت بين الطرفين معركة هاستينغز الشهيرة، التي انتهت بانتصار النورمانديين ومقتل هارولد، ليبدأ بذلك عهد جديد في تاريخ إنكلترا يُعرف بالعصور النورماندية (Norman period)، التي تمثل مرحلة مفصلية في تطور النظام السياسي والاجتماعي في البلاد[٣١].

كان للروابط الأُسرية بين الملوك والنبلاء في تلك الحقبة أثرٌ كبير في تحديد ملامح السياسة الأوروبية. فزواج أديل أخت الملك فيليب الأول (Philip I) (١٠٥٢-١١٠٨م)[٣٢]، من بلدوين الخامس (Baldwin V) (١١٨٦-١١٨٧م)[٣٣] حاكم مقاطعة فلاندرز، منح النورمانديين سندًا سياسيًا مهمًا في القارة، فضلًا عن أنهّ هيّأ الأرضيّة للتقارب بين فرنسا وإنكلترا في مراحل لاحقة. ومع ذلك بقي التنافس قائمًا بين التاجين الفرنسي والنورماندي حول بسط النفوذ والسيطرة، خصوصًا بعد أن استولى ويليام الفاتح على العرش الإنكليزي، ملكًا يجمع بين سلطتين: سلطة دوق النورمانديين التابعة اسميًا لملك فرنسا، وسلطة ملك إنكلترا المستقلة سياسيًا. ولد لاحقًا ذلك الوضع المعقد سلسلة من النزاعات السياسية والعسكرية التي امتدت آثارها، وشكلت إحدى السمات البارزة في تاريخ العلاقات الفرنسية الإنكليزية[٣٤].

بعد مقتل هارولد، في معركة هاستينغز عام ١٠٦٦م، التي شكلت نقطة تحول حاسمة في التاريخ الإنكليزي، تمكن ويليام، دوق نورماندیا، من إحراز نصر عسكري واضح مكنه من التقدم نحو العاصمة لندن. وقد مثل ذلك الانتصار بداية لمرحلة جديدة في التاريخ السياسي لإنكلترا، إذ استطاع ويليام أن يفرض سيطرته الفعلية على البلاد، ويعلن نفسه ملكًا على إنكلترا، غير أن تتويجه لم يحصل بصورة تلقائية أو مرضية لجميع الأطراف[٣٥].

واجه الملك ويليام الفاتح معارضة من النبلاء الأنغلوساكسون، الذين رفضوا الاعتراف بشرعيته، الأمر الذي اضطره إلى دعوة مجلس الويتان للانعقاد بغية الحصول على اعتراف رسمي بتنصيبه ملكًا. إلا أن موافقة المجلس لم تكن نابعة من قناعة تامة أو رضا حقيقي، بل كانت نتيجة مباشرة لحالة الخوف والترهيب التي فرضها الملك ويليام بقوة السلاح. على الرغم من ذلك، فقد أدرك الملك الجديد ضرورة ترسيخ سلطته عبر إجراءات إدارية وسياسية متدرجة تهدف إلى ضمان خضوع طبقة النبلاء للنظام الجديد[٣٦].

اعتمد الملك ويليام الفاتح على سياسة مركبة، تقوم على مصادرة أملاك كبار ملاك الأراضي من الأنغلوساكسون ومنحها إلى النبلاء النورمانديين الذين رافقوه في حملته العسكرية، وهو ما أسفر عن تبدل جذري في البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الإنكليزي. وقد أثارت تلك السياسة استياءً واسعًا في الأوساط المحلية، وأدت إلى اندلاع سلسلة من حركات التمرد والمقاومة ضد الحكم النورماندي، كان أبرزها انتفاضة عام ١٠٦٧، التي عمت بعض أقاليم الشمال. واجه الملك ويليام تلك الثورات بصرامة شديدة، واتبع سياسة العقاب الجماعي والتدمير الممنهج للمدن والقرى التي شاركت في التمرد، بغية فرض هيبة السلطة الجديدة وإخماد روح المقاومة. كما اضطره ذلك إلى السفر إلى نورماندیا لمعالجة بعض القضايا الإدارية والعسكرية، قبل أن يعود مجددًا إلى إنكلترا لمتابعة قمع بعض الحركات المناهضة له.

وبفضل حنكته السياسية وحزمه العسكري، تمكن في نهاية المطاف من إحكام السيطرة على البلاد والقضاء على الاضطرابات الداخلية(٣٧).

على الرغم مما شاب مدة حكمه الأولى من توتر وصراعات، فإن الملك ويليام الفاتح استطاع لاحقًا أن يؤسس نظامًا ملكيًا قويًا يتميز بالمركزية والانضباط الإداري. فقد عمد إلى تنظيم شؤون المملكة عن طريق وضع أسس دقيقة للحكم والإدارة، وأسس جهازًا بيروقراطيًا (Bureaucratic) فاعلًا، يشرف عليه رجال من النورمان، في حين أُبعد الأنغلوساكسون تدريجيًا عن المناصب العليا في الدولة. فضلاً عن أنهّ ألزم كبار النبلاء بأداء قسم الولاء المباشر لشخص الملك، في خطوة هدفت إلى ترسيخ سلطة التاج ومنع تكرار الانقسامات الإقطاعية التي كانت سائدة في الحقب السابقة. وقد أسهمت تلك الإجراءات في تثبيت دعائم الحكم النورماندي في إنكلترا، ومهدت لمرحلة من الاستقرار السياسي والإداري، انعكست آثارها على تطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية. وهكذا دخلت البلاد حقبة جديدة، تميزت بإعادة بناء مؤسسات الدولة، وفق نموذج أكثر مركزية وتنظيمًا، لتبدأ إنكلترا رحلة التحول نحو كيان سياسي موحد يمتلك مقومات الدولة في أوروبا في العصور الوسطى(٣٨).

أسس الفاتح في إنكلترا النظام الإقطاعي (Feudal System)، كما هو المتبع في القارة، أي إن جميع الأراضي، باستثناءات قليلة جدًا، قُسمت إلى بارونات (Baronies)، ووُهِبت لأهم أتباعه، شريطة أن يؤدوا خدمات عسكرية معينة، ويدفعوا مدفوعات معينة للتاج. وتقاسم البارونات، الذين تولوا زمام الأمور فورًا، قسم ممتلكاتهم من الأراضي لأفراد آخرين، كان يُطلق عليهم الأتباع (Vassals)، كما كان يُطلق على البارونات أتباع التاج، واولئك أيضًا كانوا يمنحون الأراضي، في كثير من الأحيان، لآخرين من درجة أقل بشروط مماثلة. وهكذا نشأت سلسلة من التبعيات عبر الأرض، إذ يدين الأدنى بالخدمة والطاعة للأعلى، بينما كان الأعلى ملزمًا بحماية مرؤوسيه. وقد يكون الشخص نفسه في وضع تابع من جهة، ولورد (Lord) معين من جهة أخرى، وهكذا كان الملك ويليام نفسه، بصفته دوق نورماندي، تابعًا لملك فرنسا. حتى رجال الدين أُجبروا على دخول النظام الإقطاعي للأراضي التي يمتلكونها، وتوفير الرجال المسلحين للخدمة في الحرب(٣٩).

يعد من أبرز إنجازات الملك ويليام الفاتح إنجاز الإحصاء لسجل الأراضي الشامل، المعروف باسم (Domesday Book)، الذي يعد عملًا رائدًا في تاريخ الإدارة والاقتصاد الإنكليزي. إذ قام الملك بإجراء مسح شامل لممتلكات مملكته بهدف جمع معلومات دقيقة عن الأراضي والموارد الزراعية. وقد بدأ ذلك العمل عام ١٠٨٤م، واستمر حتى عام ١٠٨٦م، ليشمل معظم المناطق التابعة للتاج الملكي. واعتمدت عملية المسح على فرق ميدانية قامت بجمع البيانات من المقاطعات، متضمنة أسماء المالكين، وحجم الأراضي والمحاصيل والإيرادات. ويعد كتاب من أفضل السجلات الاقتصادية التي أُنجزت في

العصور الوسطى، لما احتواه من بيانات دقيقة ومتكاملة عن الثروة الزراعية والملكية العقارية في إنكلترا، فضلًا عن ذلك يُعد الإحصاء من أبرز الإنجازات الإدارية في عهد ويليام، إذ مثل خطوة نوعية نحو تطوير نظم الإحصاء والمراقبة المالية في الدولة(٤٠).

وفي السياق نفسه، أسس الملك ويليام الفاتح مجلسًا استشاريًا عُرف بالمجلس الكبير (Great Council)(٤١)، ضم كبار النبلاء ورجال الدين، وكانت مهمته الأساسية تقديم المشورة للملك في القضايا الكبرى، ولاسيما تلك المتعلقة بإدارة الإقطاعيات وفرض الضرائب. ومع مرور الوقت تطور ذلك المجلس ليشكل نواة لما عُرف لاحقًا بـ مجلس الملك الخاص (Privy Council)(٤٢)، الذي تولى الإشراف على الشؤون الإدارية والمالية والسياسية للبلاد. بناءً على ذلك، أدى ذلك التطور المؤسسي إلى نشوء توازن تدريجي بين السلطة الملكية والطبقة الإقطاعية، إذ احتفظ الملك بالاختصاصات التنفيذية الأساسية، في حين اتجه المجلس الكبير نحو ممارسة دور استشاري وتشريعي محدود، مهد لاحقًا لظهور البرلمان الإنكليزي (English Parliament)، بوصفه مؤسسة تشريعية تعبر عن الإرادة السياسية للنبلاء، ثم لمختلف فئات المجتمع في العصور اللاحقة(٤٣).

شهدت إنكلترا في العصور الوسطى صراعًا معقدًا بين السلطة الملكية والمؤسسات الدينية والسياسية، تمحور حول مسألة الصلاحيات التنفيذية والقضائية وحق فرض الضرائب. منذ الفتح النورماندي امتدت سلطة الملك ويليام الفاتح إلى مختلف مفاصل الدولة، فاستند في إدارته شؤون الدولة إلى رجال الدين والنبلاء النورمانديين، وأسند إليهم أهم المناصب الإدارية والقضائية، ساعيًا من وراء ذلك إلى ترسيخ شرعية حكمه عبر الدمج بين سلطة الملك والتشريع الديني. وعلى الرغم من تبنيه شعارات دينية منحته غطاءً شرعيًا، فإن الملك ويليام الفاتح حرص على إحكام سيطرته على الكنيسة من خلال فصل القضاء الكنسي (Ecclesiastical Courts) عن المدني، وجعل المؤسسات الدينية تابعة لسلطته، مما أثار اعتراض رجال الدين الذين رأوا في ذلك تعديًا على امتيازاتهم البابوية(٤٤).

ومع مرور الزمن ترك الاحتلال النورماندي أثرًا عميقًا في البنية السياسية والاجتماعية لإنكلترا، إذ أصبح النظام الإداري والقضائي متأثرًا بالعادات النورماندية، واستقر رجالهم في مفاصل الدولة ومؤسساتها، وبذلك تحولت الكنيسة والهيئات القضائية إلى أدوات بيد السلطة الملكية، في حين تولى النورمانديون معظم المناصب الحكومية العليا(٤٥).

وقد انعكس ذلك الوضع على علاقة الملك بالكنيسة، إذ دخل الملك ويليام وخلفاؤه في نزاعات متكررة مع البابوية (Papacy)، كان أبرزها رفض الملك ويليام السماح بإرسال المبعوثين البابويين (Papal Legates) إلى إنكلترا من دون إذن مسبق منه، وامتناعه عن تنفيذ قراراتهم ما لم تُعرض على

التاج. ومن هنا نشأ صراع طويل الأمد بين السلطة الملكية التي سعت لتأكيد سيادتها الداخلية والخارجية، وبين الكنيسة التي طالبت بالاستقلال الروحي والسلطة المعنوية على المجتمع الإنكليزي(٤٦).

اتسمت العلاقة بين الملك ويليام الفاتح والملك الفرنسي فيليب الأول بالتعقيد والتشابك؛ إذ طغى عليها طابع التنافس السياسي أكثر من التبعية الشكلية، على الرغم من أن الملك ويليام كان يحمل لقب دوق نورماندي ويُعد من الناحية الإقطاعية تابعًا للملك الفرنسي، إلا أنه بعد فتحه لإنكلترا عام ١٠٦٦م أصبح في موقع يفوق مكانة سيده الأسمي، إذ غدا ملكًا على مملكة أقوى وأغنى من فرنسا نفسها. ذلك التحول في موازين القوى أثار توترًا سياسيًا بين الطرفين، وأفقد العلاقة التقليدية بين الدوق والملك معناها القديم، لتتحول إلى علاقة ندية يسعى فيها كل منهما إلى تثبيت نفوذه وتوسيع سلطاته ضمن الإطار الأوروبي العام في القرن الحادي عشر(٤٧).

شهد عهد الملك ويليام الفاتح جملة من التحديات الخارجية التي مثلت اختبارًا حقيقيًا لسلطته في إنكلترا، ومن أبرزها محاولات الغزو التي قام بها الملك الدنماركي كنوت الرابع (Cnute IV)(٤٨). ففي عام ١٠٨٥م شرع كنوت في إعداد حملة بحرية واسعة النطاق استهدفت السواحل الإنكليزية، مدعيًا أحقيته بالعرش الإنكليزي. إلاّ أنّ اضطرابات داخلية في الدنمارك حالت دون تنفيذ خطته، إذ اندلع تمرد قاده عدد من الفلاحين انتهى بمقتله عام ١٠٨٦م. وقد أثارت تلك التطورات مخاوف الملك ويليام الفاتح من العناصر الدنماركية المقيمة في بلاد الإنكليز، فبادر إلى مراقبة المنفيين والمرتبطين بعلاقات مع الدنمارك داخل المملكة خشية تكرار محاولات التدخل الخارجي(٤٩).

تميز عهد الملك ويليام الفاتح بعدد من السمات التي أثرت بوضوح في استقرار مملكته، وكان من أبرزها الصراع المتجدد مع الملك الفرنسي فيليب الأول الذي لم يهدأ طوال مدة حكمه. وقد بلغت الخلافات بين الطرفين ذروتها في السنوات الأخيرة من حياة ويليام، إذ أثارت قوته العسكرية ونفوذه الواسع حفيظة الملك الفرنسي، فقرر الأخير مواجهته ميدانيًا(٥٠).

قاد الملك ويليام الفاتح في أواخر شهر تموز عام ١٠٨٧م، حملة عسكرية ضخمة نحو أراضي فرنسا، متبعًا طريق نهر السين حتى وصل إلى مشارف باريس، إذ أقدم على إحراق المزارع والحقول الواقعة على امتداد الطريق حتى مدينة روان (Rouen) الواقعة على نهر السين. وبعد دخوله مدينة مانش (Le Mans) الواقعة على مصب نهر اللوار، أمر بإحراقها، فاشتعلت فيها النيران وامتدت إلى الكنائس والمنازل والمتاجر، مما أدى إلى تدمير أجزاء كبيرة من المدينة. وأثناء إشرافه على سير المعركة سقط الملك ويليام من على جواده، فأُصيب بجروح خطيرة. وعلى الرغم من محاولات أطبائه لعلاجه، فإن إصابته كانت بالغة، فاستُدعي إليه القساوسة لإقامة الطقوس الأخيرة(٥١).

باءت جميع محاولات الأطباء لعلاج الملك ويليام بالفشل، فبقي يعاني لأسابيع من الألم الشديد إلى أن تُوفي في أيلول عام ١٠٨٧م. وبعد وفاته نُقل جثمانه إلى دير سان ستيفن (Saint-Étienne Abbey) في روان، بحضور عدد من رجال الدين وأفراد أسرته. وهكذا اختتم الملك ويليام الفاتح مسيرة امتدت نحو عقدين من الزمن، كانت حافلة بالصراعات العسكرية والسياسية التي أسست لمرحلة جديدة في تاريخ إنكلترا والنورمان(٥٢).

يُعدّ عهد الملك ويليام الفاتح من أهم المنعطفات التاريخية التي شكّلت وجه إنكلترا وأوروبا الحديثة، إذ إنه لم يكن مجرد غزو عسكري، بل عملية إعادة هيكلة شاملة للدولة والمجتمع، إذ نجح الملك ويليام في تحويل إنكلترا من ملكية أنكلو-سكسونية مفككة إلى واحدة من أكثر الملكيات مركزية في أوروبا، فضلًا عن قيامه بقطع صلة إنكلترا بالعالم الإسكندنافي الفايكنج وربط مصيرها ثقافيًا وسياسيًا بفرنسا وأوروبا القارية، فضلًا عن خلق هوية إنكليزية جديدة تمزج بين الجذور السكسونية والتنظيم النورماندي، إذ استطاع إنهاء عصر العزلة البريطانية وربطها بقلب أوروبا، ذلك التحول جعل إنكلترا لاعبًا أساسيًا في السياسة الأوروبية بدلًا من أن تكون جزيرة معزولة.

المحور الرابع: الملامح الثقافية في إنكلترا:

أ- المتغيرات اللغوية وأثرها التاريخي

كانت اللغة اللاتينية هي اللغة السائدة في القرن الثاني عشر، فضلًا عن أنهّا اللغة العالمية آنذاك، فلم تقتصر وظيفتها على كونها أداة للدبلوماسية والتفاهم بين الدول فحسب، بل تغلغلت في النسيج الاجتماعي لدول غرب أوروبا، مستخدمة في المحافل العامة والمناسبات الخاصة على حد سواء، ويبقى المؤشر الأهم لمكانتها هو استمرارها كلغة معتمدة لطبقة المثقفين والكتاب ورجال الدين في شتى بقاع الغرب الأوروبي(٥٣).

تجلّت المكانة المركزية للغة اللاتينية في النسيج الثقافي لأوروبا في العصور الوسطى، إذ لم تقتصر وظيفتها على أداة وصل بين رجال الدين والعامة في مختلف الأقاليم، بل كانت اللغة المهيمنة في الصلوات والتراتيل الكنسية، كما كانت هي اللغة المتصدّرة في حقل التعليم، وأصبحت لغة التدريس الأساسية، ولم يقف نفوذها عند حدود الدين والعلم، بل امتد ليشمل مؤسسات الدولة لتدوين القوانين والتشريعات وإدارة الشؤون القضائية(٥٤).

ومع التحول المفصلي الذي شهده عام ١٠٦٦م بوصول النورمان، لم تعد الإنكليزية هي اللغة الوحيدة السائدة، بل تعرّضت لموجات من التأثيرات اللغوية المتباينة التي أثّرت على بنيتها، وشكّلت فيما بعد مرجعًا أساسيًا لتتبّع التطور التاريخي للأدب الإنكليزي، ويُعزى ذلك التحول الجذري إلى المدّ

النورماندي القادم من فرنسا، والذي أرسى قواعد عهد جديدة في تاريخ الجزيرة البريطانية منذ منتصف القرن الحادي عشر(٥٥).

فمنذ اللحظات الأولى للغزو النورماندي، نُقلت اللغة الفرنسية إلى الأراضي الإنكليزية لتفرض هيمنتها على أروقة المحاكم القانونية، وداخل البلاط الملكي، وبين أوساط النخبة من أصحاب المناصب العليا في الكنيسة والدولة، وصولًا إلى طبقة النبلاء والمحاربين(٥٦).

لم يكن النورمان غرباء تمامًا عن تلك اللغة، فقد استوطنوا نورماندي قادمين من أصول إسكندنافية، وتشربوا الفرنسية تدريجيًا عبر الاختلاط بالسكان الأصليين والمصاهرة معهم، ومع مرور الوقت نشأ جيل جديد من الأبناء الذين تلقّوا لغتهم عن أمهاتهم الفرنسيات وآبائهم النورمان، مما عمّق من جذور تلك اللغة في النسيج الاجتماعي الجديد(٥٧).

كانت السيادة النورماندية طاغية في شتى مناحي الحياة، ففي القلاع والميادين، وفي مجالس الحكم، وحتى في أوقات الصيد واللهو، لم تكن سوى الفرنسية لغة التواصل بين السادة، ذلك الواقع أدى إلى وأد أي تطلع لتطور الحياة الإنكليزية على أسس أنكلو–سكسونية خالصة، كما بدّد احتمالات اندماج إنكلترا ضمن إمبراطورية إسكندنافية شمالية، وبدلًا من ذلك دفع الفتح النورماندي بإنكلترا نحو الحضارة اللاتينية مجددًا بعد أن كانت قد ابتعدت عنها منذ القرن الخامس الميلادي، والأهم من ذلك أنّ الفتح جعل من إنكلترا شريكًا أصيلًا في إرث الحضارة الرومانية، سواء في فقهها وعمارتها وأدبها أو نظمها الاجتماعية والسياسية، وعلى الرغم من محاولات النورمان احتواء أنماط الحياة والعادات السكسونية، إلا أن الفجوة اللغوية بقيت قائمة كعنصر تمايز طبقي، في حين كانت لغة النورمان هي السائدة في مفاصل الدولة. انحسرت اللغة الأنكلو–سكسونية لتصبح لغة الطبقات الكادحة والفقيرة من الشعب الإنكليزي(٥٨).

شهدت المرحلة التي تلت الغزو النورماندي تحولًا جذريًا في المشهد السياسي، إذ اندمجت إنكلترا ودوقية نورماندي في كيان سياسي واحد عابر للقناة الإنكليزية، ولم يعد بحر المانش عائقًا، بل صار جسرًا يربط بين أملاك الطبقة الأرستقراطية النورماندية التي بسطت نفوذها على ضفتي القناة، مما أدى إلى تداخل عميق في المصالح والسياسات، فدوق نورماندي الذي أصبح ملكًا على إنكلترا بقي في الوقت ذاته تابعًا للتاج الفرنسي من الناحية الإقطاعية، مما جعل السياسة الإنكليزية تدور في فلك الشؤون الفرنسية بشكل غير مسبوق(٥٩).

وبعد الفتح النورماندي لإنكلترا، تكوّنت هناك ثلاث لغات مختلفة في إنكلترا؛ الأولى هي اللغة الفرنسية (النورماندية) لغة الغزاة والنخبة الحاكمة، وصارت رمزًا للتحضر والرقي الاجتماعي، فكان اقتناؤها دليلًا على الانتماء للطبقة الأرستقراطية، والثانية هي اللغة اللاتينية، والتي بقيت لغة العلم

والتدوين الرسمي والطقوس الكنسية والقضاء، أما اللغة الثالثة فكانت الإنكليزية القديمة التي انحسرت لتصبح لغة الطبقات الشعبية الكادحة(٦٠).

لم يقتصر التأثير على السياسة واللغة، بل امتد ليشمل الهوية الاجتماعية، ويستدل المؤرخون على ذلك بالتغير السريع في أنماط التسمية، ففي غضون مدة من الزمن انتقلت نسبة الأسماء الفرنسية مثل (ويليام وروبرت وريتشارد) بين ملاك العقارات في وينشستر من أقل من (٣٠%) عام ١٠٦٦م إلى أكثر من (٨٠%) بحلول عام ١٢٠٧م، وهو مؤشر على الرغبة في التباهي مع الطبقة الحاكمة، وقد تجلّى التفوق النورماندي في المجالات الإبداعية، لاسيما فنون الموسيقى والأدب، وبالأخص في العمارة الكنسية التي تبنّت الأنماط الأوروبية، مما جعل إنكلترا جزءًا لا يتجزأ من النسيج الثقافي الأوروبي العام، وأخرجها من عزلتها الأنكلوسكسونية إلى رحاب العالمية الفرنسية التي كانت تهيمن على المشهد الحضاري آنذاك(٦١).

في المقابل، بقي الفلاحون في الأرياف الإنكليزية متمسكين بلهجاتهم المحلية التي تمايزت عن لغة الطبقة السائدة، وعلى الرغم من أنّ اللغة الإنكليزية فقدت في تلك المرحلة الكثير من قواعدها النحوية الأصلية، إلاّ أنهّا اغتنت بروافد معجمية ضخمة من الفرنسية، وقد شمل ذلك الاقتراض اللغوي مفاهيم ومصطلحات شتى مست جوانب الشؤون العسكرية والسياسية والقضاء والإدارة والقانون، وبذلك نجد أن اللغة الإنكليزية لم تكن مجرد أداة للتواصل، بل كانت وعاءً لصهر حضاري جمع بين موروث الأنكلوسكسوني ونظام النورمان الإداري، وهكذا أصبحت اللغة الفرنسية هي اللغة الأساسية في إنكلترا، ولكن بعد مدة أصبحت لغة الكتابة هي الإنكليزية(٦٢).

ب- الأدب

شجّع الملوك والأمراء النورمان على العلم ودراسة الأدب، وقد أولوا اهتمامًا كبيرًا بالأدب في إنكلترا، إذ تم جمع أعمال ويليام سالسبوري (William Salisbury)، وهو من أهم الشخصيات الثقافية في إنكلترا، وكان يُعدّ أعظم رجال عصره لما كانت تتصف به كتاباته من رومانسية، فضلًا عن تشجيعهم للدراسة وإقامة المدارس في البلاد لدراسة العلوم واللغة اللاتينية(٦٣).

تشير المصادر التاريخية إلى ملامح مبكرة من التنظيم التعليمي في مدينة كامبريدج (Cambridge)، إذ لم يقتصر الأمر على تشييد المدارس المخصصة للعلوم واللغة اللاتينية، بل امتد ليشمل منهجية تدريبية منضبطة، في حين أن طلبة السنة الأولى كانوا يتلقون دروسهم مجتمعين في قاعة كبرى، بينما يتوزع طلبة السنة الثانية على غرف تخصصية يتفرد فيها كل أستاذ بطلبته(٦٤).

كان الجدول اليومي حينذاك يعكس صرامة المنهج المدرسي، إذ تبدأ الحصص في الصباح الباكر بدراسة علوم اللسان (الصرف والنحو)، تليها في الساعة السادسة دراسة المنطق والفلسفة الأرسطية، وعند

التاسعة ينتقل الطلبة إلى تفسيرات الفلسفة وصولًا إلى منتصف النهار، إذ تُدرس النصوص المقدسة مع شروحها، ومن الملاحظ في تلك الحقبة إحلال الأشعار السكسونية محل النصوص التقليدية في بعض الدروس، مع التركيز على شرح سير الأبطال التاريخيين الذين جسدوا قيم الفروسية مثل الإسكندر الأكبر وآرثر وشارلمان(٦٥).

شهد القرن الثاني عشر تحولًا جذريًا في المشهد الأدبي المحلي، إذ لم تقتصر آثاره على الحركات الثقافية فحسب، بل امتدت لتصوغ ملامح الحياة الاجتماعية آنذاك، وقد أدى الأدب الناشئ دورًا محوريًا في بلورة مفهوم الملكيات الوطنية، إذ بدأت اللغات الدارجة تحجز لنفسها مكانًا ثابتًا في نسيج المجتمع الأوروبي(٦٦).

ت- الفنون

لقد أحدث الفتح النورماندي لإنكلترا تطورًا كبيرًا في فن العمارة، لاسيما في الكنائس والقلاع والمنازل التي كانت أغلبها من الخشب، ومع حلول القرن الحادي عشر الميلادي شرع المعماريون الإنكليز في تشييد قباب الكنائس وفق المخطط الدائري محاكاةً للنماذج الرومانية القديمة في غرب أوروبا، مع تأثر ملحوظ بالمدارس الفنية الإيطالية، وإن ذلك الأسلوب الزخرفي كان أكثر التصاقًا بالمباني في جنوب شرقي فرنسا منه بمباني نورماندي ذاتها، وقد بدأ تزيين الواجهات الداخلية للمباني(٦٧).

بلغت العمارة النورماندية ذروتها في عهد الملك ويليام الفاتح، إذ اتسمت بأسلوب فني رفيع، في حين أن جميع المباني التي قامت في إنكلترا أثناء الفتح النورماندي تعود للطراز النورماندي الفرنسي، فضلًا عن أن الصناع والبنّائين النورمانديين قد أسهموا بأفكارهم المعمارية في تطور الأبنية، ومع نهاية القرن الحادي عشر بدأ الطراز النورماندي ينتشر في إنكلترا، ومع حلول القرن الثاني عشر أصبحت المباني سميكة وقليلة الارتفاع، فضلًا عن استعمال الأحجار في البناء، وانتشر الطراز الجديد لبناء المنازل والمباني، وعلى الرغم من أن الكنائس التي كانت تُبنى في إنكلترا كانت تحتوي على عناصر إنكليزية معروفة، إلاّ أنّ التصميمات كانت تأتي من الخارج من إيطاليا وصقلية والدولة البيزنطية(٦٨).

يجمع مؤرخو العمارة والآثار على أن الطفرة الإنشائية التي شهدتها إنكلترا في أعقاب الفتح النورماندي تمثل العصر الذهبي لذلك الطراز، وتعد كاتدرائية سانت أوليتز (Sanit Olitz) المشيدة بين عامي (١٠٧٧-١٠٨٨م) أنموذجًا حيًا لتلك الحقبة، إذ تعكس أجزاؤها المتبقية، لاسيما شرفة المرنمين والفضاء الواقع أسفل البرج، جوهر التصميم النورماندي الأصيل الذي وضعه بول الكانلي، أول رئيس نورماندي لدير سانت أوليتز، على الرغم مما طرأ عليها من ترميمات لاحقة(٦٩).

لم تكن العمارة النورماندية في إنكلترا مجرد نقل حرفي للأنماط الفرنسية، بل كانت نتاج تفاعلات حضارية معقدة، كما تظهر الأدلة الأثرية تأثيرًا واضحًا بروح العمارة اللومباردية وبعض التقاليد الجرمانية

التي تجلت بوضوح في تقنيات تغطية السقوف بالقبب المضلعة عام ١١٠٣م، وهي السمة الإنشائية التي مهدت الطريق لاحقًا لظهور العمارة القوطية (Gothic Architecture)[٧٠].

وتبقى كاتدرائية دورهام (Durham Cathedral) التي شرع في تشييدها الأسقف كارليف عام ١٠٩٣م الشاهد الأسمى على عبقرية العمارة الكنسية النورماندية في تجسيد القوة الفنية والمتانة الإنشائية، وتعد مختبرًا حقيقيًا تطورت فيه العناصر المعمارية التي ميزت ذلك العصر[٧١].

ومع ذلك، يبقى التأثير الفرنسي هو الأقوى والأكثر مباشرة في ذلك السياق، ويبرز جليًا في استقدام المعماري الفرنسي الشهير ويليام السنسي (William of Sens) (١١١٠-١١٨٠م) الذي أُسندت إليه مهمة إعادة تشييد كاتدرائية كانتربري عام ١١٧٤م في أعقاب الحريق الذي تعرضت له، أما على صعيد التطور الطرازي فقد شهد عهد الملك هنري الثاني طفرة نوعية، إذ أُدخلت عناصر تجديدية على الأنماط الإنكليزية، وتبلورت فيما يعرف بـ(الأسلوب الأنجيفي الرومانسكي (Angevin Romanesque)، وقد امتاز ذلك الطراز بخصائص فنية فريدة منحته طابعًا خاصًا وهوية متميزة واضحة في سجل الفنون بإنكلترا[٧٢].

المحور الخامس: خلافة أبناء الملك ويليام الفاتح وتقسيم المملكة:

بعد وفاة الملك ويليام الفاتح عام ١٠٨٧م، شهدت إنكلترا مرحلة انتقالية جديدة على إثر تنافس أبنائه على العرش، إذ أوصى الأخير رئيس أساقفته لانفرانك (Lanfranc) (١٠١٠-١٠٨٩م)[٧٣] بأن يتولى العرش من بعده ابنه الأصغر ويليام الثاني (William II) (١٠٥٧-١١٠٠م)[٧٤] في حين أوصى بدوقية نورماندي إلى الابن الأكبر روبرت كورتوس (Robert Curthose) (١٠٥١-١١٣٤م)[٧٥]، أما الابن الثالث هنري الأول فقد منحه بعض المال، وقد اتسمت تلك المرحلة بصراع داخلي بين الأخوين ويليام الثاني وروبرت كورتوس، تغذيه الطموحات السياسية والرغبة في السيطرة على ممتلكات العائلة في إنكلترا ونورماندي على حد سواء، مما ألقى بظلاله على استقرار المملكة، وأدى إلى اضطرابات متكررة في بدايات حكم الملك ويليام الثاني[٧٦].

وبحسب رأي الباحثة أن الملك ويليام الفاتح كان يسعى من وراء ذلك التقسيم إلى الحفاظ على الممتلكات التي كانت تحت حكمه، فدوقية نورماندي التي ورثها من سلفه عدّها من التراث العائلي، فتسليمها لابنه الأكبر روبرت كان امتثالا للتقليد، فضلا عن أن المملكة الإنكليزية التي اكتسبها الملك ويليام الفاتح بعد الغزو كانت نوعا من أملاك الغنيمة أو الأرض المفتوحة حديثا، لذا سلّمها لويليام الثاني كونه الوريث المتوقع لملك إنكلترا، كما يبدو أن الملك ويليام الفاتح رأى الابن الثاني ويليام روفوس كان الأنسب لحكم إنكلترا في نظره، أو الأقل إثارة للمشاكل مقارنة بروبرت الأخ الأكبر الذي كان موضع ثورة وتمرد ضد أبيه، بالمقابل الابن الثالث هنري كان أصغر سنا، وربما لم

يُعدّ نفسه بعد لتولي سلطة كبرى، فاختير له مكافأة مالية بدلا من حكم مباشر، ذلك يعكس أن الملك ويليام لم يرد، أو لم يُمكّن هنري من حكم فوري، بل أعطاه مالا ربما للاعتماد على نفسه أو تأمين موقعه المالي والاجتماعي بدلا من سلطة إدارية كبيرة، من جهة أخرى، بمرور الزمن أصبح ممكنا أن يستحوذ على السلطة بعد ويليام الثاني، كان ذلك تقسيم الميراث ليس فقط الترتيب الأبوي، لكن تقسيم الأب لأبنائه للسياق السياسي وأمن الدولة.

١- الملك ويليام الثاني (١٠٨٧-١١٠٠م):

تُوّج روبرت دوق نورماندي ملكا على إنكلترا، في حين تُوّج شقيقه ويليام ملكا على نورماندي، وقد أثار ذلك الانقسام بين الأخوين صراعا حادا بين النبلاء الإنكليز الذين انقسموا في ولائهم، إذ فضّل معظمهم الأخ الأكبر روبرت لما عُرف عنه من شجاعة وكرم، غير أنّ ضعف شخصيته وسهولة انقياده جعلاهم يعيدون النظر في موقفهم، لاسيما بعد أنّ أظهر ويليام حزما وقوة في إنكلترا. لذلك اشتعل النزاع بين الطرفين عام ١٠٨٨م، غير أنّ النزاع لم يدم طويلا، إذ سرعان ما تمكن ويليام من إحكام سلطته، وانتهت المواجهات العسكرية بانتصاره وتوطيد حكمه[٧٧].

أما علاقته بالكنيسة فكانت معقدة منذ البداية، إذ تميزت حقبة حكمه الأولى بصراع متواصل بينه وبين رجال الدين، ولاسيما بعد وفاة رئيس الأساقفة لانفرانك عام ١٠٨٩م، لم يُعيّن شخص يحل محله، بل ترك أسقفية كانتربري في إنكلترا من دون رئيس أساقفة لمدة أربع سنوات، وكان هدفه من ذلك رجوع إيرادات الكنيسة إليه[٧٨].

الأمر الذي أفسح المجال لنزاع طويل بين الملك والكرسي الكنسي حول حق التعيين في المناصب الكنسية، غير أن المرض الذي أُصيب به الملك ويليام الثاني جعله يتراجع عن موقفه، وقام بتعيين القديس أنسلم (Anselm) (١٠٣٣-١١٠٩م)[٧٩] رئيسا لأساقفة كانتربري في إنكلترا عام ١٠٩٣م ليكفّر عن خطاياه، وهو من الشخصيات ذات المكانة المرموقة في الكنيسة الغربية، ومع أنّ الملك بحاجة إلى دعم الكنيسة، فإنه لم يتردد في تحدي سلطتها ومصادرة بعض ممتلكاتها، مما أدى إلى توتر دائم بين الطرفين، وصل في بعض الأحيان إلى القطيعة التامة[٨٠].

بيد أن الملك ويليام الثاني عاد إلى أسلوبه السابق نفسه بعد شفائه من مرضه، إذ بدأ النزاع مجددا بينه وبين رئيس الأساقفة أنسلم، لأنه أخذ يطالب الكنيسة بالأموال التي كان بحاجة إليها لتمويل جيشه في حربه مع ويلز، فضلا عن حاجته إلى الأموال لإمداد حروب أخيه روبرت في حملته الصليبية الأولى (First Crusade)[٨١] عام ١٠٩٥م، لأنه قام برهن نورماندي للحصول على الأموال الإضافية، ازداد النزاع بين الملك ويليام الثاني ورئيس الأساقفة أنسلم عندما أراد السفر إلى روما للحصول على شارة الاعتراف البابوي الرسمي ليقلده البابا وظيفته الجديدة، ومن هنا بدأ الصراع ما بين الملك والكنيسة، إذ قام

الملك ويليام الثاني بتوجيه إنذار له، في حالة مغادرته إلى روما فإنه لا يسمح له بالعودة مرة ثانية إلى إنكلترا[٨٢].

وفعلا ترك أنسلم منصبه في عام ١٠٩٧م، ولم يقم بأي محاولة للعودة إلى إنكلترا طوال حقبة حكم الملك ويليام الثاني. وخلاصة القول إن الملك ويليام الثاني ملك إنكلترا لم يُبدِ أي اهتمام ملحوظ بالدعوة التي أطلقها البابا أوربان الثاني (Urban II) (١٠٣٥-١٠٩٩م)[٨٣] لشن الحملة الصليبية الأولى عام ١٠٩٥م، وكان منشغلا بتوطيد أركان حكمه ومعالجة القضايا الداخلية في مملكته، لاسيما النزاعات مع النبلاء، ومن ذلك المنطلق لم يشارك الملك ويليام في الحملة، بل رأى فيها فرصة لتحقيق مكاسب مادية وسياسية، إذ عمد إلى شراء الإقطاعات والأراضي التي باعها النبلاء الراغبون في التوجه إلى الشرق، مما عزز من سلطته ونفوذه في إنكلترا[٨٤].

استغل الملك ويليام الثاني غياب عدد من النبلاء عن البلاد في الحملة لتقوية مركزه الملكي، وإعادة فرض سيطرته على المناطق التي كانت موضع نزاع، ومع حلول عام ١٠٩٧م طلب شقيقه روبرت دوق نورماندي، الذي كان أحد المشاركين في الحملة، قرضا ماليا من الملك ويليام الثاني مقابل رهن دوقيته نورماندي، فاستجاب الأخير لذلك الطلب، وقد مثلت تلك الصفقة خطوة مهمة مكنت الملك ويليام الثاني من توسيع سلطاته إلى الأراضي النورماندية، مما يعكس ذكاءه السياسي في توظيف الحملة الصليبية لخدمة أهدافه الداخلية والإقليمية، لم يحقق الملك ويليام الثاني إنجازات تُذكر خلال حقبة حكمه، إذ اتسم عهده بالاضطرابات والصراعات الداخلية، إلى أن انتهى باغتياله أثناء رحلة الصيد عام ١١٠٠م، بعد أن حكم إنكلترا لمدة ثلاثة عشر عاما. وفي السياق ذاته، اتُّهم شقيقه الملك هنري الأول بأنه دبر الحادثة طمعا في العرش، لاسيما أنه الشخص الوحيد الذي سارع لتسلم مقاليد الحكم فور وفاة أخيه، معلنا نفسه ملكا من دون انتظار أي تحقيق رسمي في الواقعة[٨٥].

يمكن القول إنّ عهد الملك ويليام الثاني كان تجسيدًا للصراع بين كفاءة الإدارة السياسية واصطدام القيم الدينية، فرغم الصورة القاتمة التي رسمها له مؤرخو الكنيسة كملك جشع ومستبد، إلا أن القراءة المتأنية لعهده تكشف عن حاكم قوي استطاع ببراعة عسكرية واقتصادية الحفاظ على وحدة الممالك النورماندية في وقت عصيب. لقد كان الملك ويليام الثاني ملكًا آمن بالقوة واقعًا، وبالمال وسيلة، وحينما انتهى عهده بموته الغامض في الغابة الجديدة، إلاّ أنهّ ترك لشقيقه هنري الأول مملكة مستقرة الحدود وقوية الأركان، ليبقى التاريخ يذكره كأحد أكثر ملوك إنكلترا إثارةً للجدل والغموض.

٢- الملك هنري الأول (١١٠٠-١١٣٥م):

بعد وفاة الملك ويليام الثاني عام ١١٠٠م من دون ترك وريث أو وصية رسمية تتعلق بمن يخلفه على عرش إنكلترا، برز هنري الأخ الأصغر كوريث رسمي عملي وسريع لتولي الحكم، ولاسيما أنّ أخيه

الأكبر روبرت كان منشغلا بالمشاركة في الحملة الصليبية الأولى، ذلك الغياب أتاح لهنري فرصة الاستيلاء على الحكم من دون منازع، فبادر إلى اعتلاء العرش مباشرة مستندا إلى دعم بعض النبلاء الذين خشوا من الفوضى التي قد تنشأ في ظل غياب سلطة واضحة، وكان تولي هنري العرش نتيجة ظروف سياسية مؤقتة[٨٦].

كان من حسن حظه أن شقيقه الأكبر روبرت دوق نورماندي كان يفتقر إلى القوة اللازمة للاحتفاظ بالإرث القاري الذي تركه له الملك ويليام الفاتح بعد أربعين عاما من معركة هاستينغز، قلب هنري الأول مجرى التاريخ، واستعاد نورماندي من أخيه، وبذلك أعاد توحيد أراضي الملك ويليام الفاتح، كان الملك هنري الأول ملكا عظيما، أطلق عليه رعيته لقب هنري بوكليرك (Henry Beauclerc) لأنه كان عالما بارعا، وكذلك أطلق عليه لقب أسد العدل، وذلك بسبب الإصلاحات التي قام بها في المملكة[٨٧].

تزوج الملك هنري الأول من الأميرة الإنكليزية إديث (Edith)[٨٨] مالكولم، المنتمية إلى أسرة نبيلة من بيت كلير، وقد أُطلق عليها لاحقا اسم ماتيلدا، بهدف كسب رضا النورمانديين، إذ كان يُنظر إلى اسمها الأول على أنه ذو جذور أنغلو ساكسونية، وقد مثل ذلك الزواج خطوة سياسية مدروسة، إذ سعى الملك هنري من خلاله إلى توطيد علاقات المصاهرة مع إحدى أعرق الأسر الإنكليزية، مما منح حكمه دعامة شرعية إضافية في نظر النبلاء ورجال الكنيسة، ومع ذلك فقد عدّ بعض النورمانديين ذلك الإجراء تنازلا غير مبرر عن الامتيازات النورماندية التقليدية، مما أثار شيئا من التذمر بين صفوفهم عند تنصيب الملك هنري ملكا على إنكلترا[٨٩].

دخل حكم الملك هنري الأول مرحلة جديدة من الصراع بين السلطة الملكية والكنيسة، إذ إن اشتداد نفوذ رجال الدين وتنامي دورهم السياسي أدّيا إلى توترات متكررة، فعندما تُوّج الملك هنري الأول على العرش الإنكليزي، دعا أنسلم أسقف كانتربري المنفي للعودة إلى إنكلترا، وقد أسهمت عودته في إثارة قضية التعيينات الكنسية مجددا، وتمحور الخلاف حول ما إذا كان للملك الحق في منح المناصب الدينية، أم أن ذلك من صلاحيات الكنيسة وحدها، وقد بلغ الصراع ذروته في عام ١١٠٣م حين أصر الملك هنري الأول على الاحتفاظ بحقوقه الملكية في تعيين الأساقفة ومنحهم رموز السلطة الزمنية، في حين تمسك رجال الكنيسة بمبدأ استقلال المؤسسة الدينية عن تدخلات الملكية، وعلى الرغم من حدة الخلاف فقد انتهى الأمر إلى تسوية سياسية ضمنية ضمنت للملك استمرار نفوذه، مقابل تأكيد رجال الكنيسة على الطاعة والولاء للعرش الإنكليزي[٩٠].

سعى الملك هنري الأول إلى تهدئة الأزمة مع الكنيسة عبر عرض الصراع على البابا باسكال الثاني (Paschal II)[٩١] في محاولة لإيجاد حل يضمن الحفاظ على هيبة العرش من دون الإضرار بالمصالح الكنسية، وقد اتسمت سياسة الملك هنري في تلك المرحلة بالاتزان والحذر، إذ آثر التريث

وكسب الوقت إلى أن تتضح موازين القوى السياسية في إنكلترا وأوروبا، وكان الهدف من ذلك تقليص حدة الصراع مع رجال الكنيسة، ريثما يعود الاستقرار بعد حقب الاضطراب الناجمة عن الحروب مع أخيه روبرت دوق نورماندي، وكذلك صدّ التهديدات الفرنسية المتزايدة من جانب الملك الفرنسي لويس السادس (LouisVI)[٩٢] وعلى الرغم من ذلك لم يكن تردد الملك هنري الأول ناتجا عن ضعف في سلطته أو رغبة في التنازل، بل عن حرصه على عدم المساس بالمبدأ الملكي القائم على حق الملوك الإلهي في الحكم، ورفضه لتدخل بابوي ينقص من هيبة التاج، وقد عبّر الملك هنري عن موقفه ذلك في رسالة إلى البابا أكد فيها على تمسكه بحقوقه الملكية وعدم استعداده للتنازل عنها ولو على حساب حياته، قائلا: **«إن قوانين وتقاليد المملكة سوف لا تتلاشى أبدا طيلة حياتي، وحتى إذا ما خضعت نفسي لذلك الإذلال، فإن الرب يمنعني من ذلك، وعدم سماح بارونات وشعب المملكة بذلك»**[٩٣].

وفي ذروة ذلك الصراع، أدت الأميرة أديلا المدعوة ماتيلدا، شقيقة الملك هنري الأول، دورا بارزا في التوسط بين الطرفين، مما أسفر عن اتفاق عُرف باسم اتفاقية بك (Bec) عام ١١٠٦م، فقد جرى التوصل إلى تسوية مؤقتة بين العرش والكرسي البابوي[٩٤].

نصّت الاتفاقية على الاعتراف بحق الملك في منح الرموز للأساقفة، مقابل التزامه بعدم التدخل في الشؤون الروحية للكنيسة، وقد مثلت تلك التسوية تحولا مهما في مسار العلاقة بين الدولة والكنيسة في إنكلترا، إذ حافظت على توازن دقيق بين السيادة الملكية والسلطة الدينية، ووفرت أنموذجا وسطا بين الخضوع البابوي المطلق والاستقلال الملكي الصارم، مثلت الاتفاقية التي أُبرمت بين الطرفين تسوية وسطية جوهرها ترسيخ مبدأ سيادة السلطة المدنية في مواجهة السلطة الكنسية، وأهم بنود اتفاقية بك[٩٥]:

١. الاعتراف بسيادة السلطة الملكية: أقرت المعاهدة بسيادة الملك على الشؤون المدنية للدولة، مع الإبقاء على استقلال الكنيسة في إدارة شؤونها الدينية والروحية.
٢. حق التعيين والمصادقة الملكية أو من ينوب عنه: مُنح الملك هنري الأول الحق في حضور مراسم انتخاب الأساقفة والموافقة النهائية على تعيينهم، تأكيدا لمكانة العرش الإنكليزي وهيبته أمام المؤسسة الكنسية، و نصّت المعاهدة على حضور الملك أو من ينوب عنه لمراسم تنصيب الأساقفة، تعبيرا عن السيادة الرمزية للتاج على رجال الكنيسة.
٣. حق منح الأراضي والممتلكات الكنسية: نصّت الاتفاقية على احتفاظ الملك بسلطته في منح الأراضي والممتلكات لرجال الدين، وهو ما أتاح له توطيد نفوذه داخل الكنيسة وكسب ولاء كبار رجالها.
٤. تحقيق التوازن بين السلطتين الزمنية والروحية: أكدت المعاهدة على ضرورة احترام كل من الملك والكنيسة لحدود سلطتهما، بحيث لا تتجاوز إحداهما الأخرى حفاظا على الاستقرار السياسي والديني في البلاد.

٥. إلغاء الحرم الكنسي: يحق للملك حظر رجال الدين من إصدار قرارات الحرمان الكنسي أو تنفيذها ضد الملك أو ممثليه، إلا بعد الرجوع إلى الكرسي البابوي، وهو ما حدّ من سلطة البابوية في إنكلترا.

٦. تقديم فروض الطاعة والولاء للتاج: ألزمت الاتفاقية رجال الدين بتقديم قسم الطاعة والولاء للملك قبل تسنم مناصبهم الكنسية، الأمر الذي رسخ خضوع المؤسسة الدينية لسلطة الملك.

وبذلك تمكن الملك هنري الأول من فرض نوع من التوازن الدقيق بين الطرفين، إذ كسب ولاء عدد كبير من رجال الكنيسة من دون أن يتنازل عن جوهر سلطته الملكية(٩٦).

تميز عهد الملك هنري الأول على الصعيد السياسي بسلسلة من الصراعات مع شقيقه الأكبر روبرت دوق نورماندي، الذي عاد من الشرق عام ١١٠١م بعد مشاركته في الحملات الصليبية، مطالبا بحقه في العرش الإنكليزي، لم يلبث النزاع أن تطور إلى مواجهة عسكرية مباشرة انتهت بانتصار الملك هنري الأول وضمه دوقية نورماندي إلى التاج الإنكليزي، وقد أدت فرنسا بقيادة الملك فيليب الأول ثم الملك لويس السادس دورا في ذلك النزاع، إذ سعت إلى استغلال الخلاف بين الأخوين لإضعاف الموقف الإنكليزي، لكنها فشلت في تحقيق مكاسب حقيقية، ولاسيما بعد أن رسخ الملك هنري سلطته في نورماندي، وتمكن بفضل دهائه السياسي من أن يحافظ على وحدة مملكته وهيبتها في الداخل والخارج(٩٧).

شهدت إنكلترا في عهده مرحلة من التنظيم الإداري والسياسي المميز، الذي أسهم في ترسيخ السلطة المركزية وتقوية دعائم الحكم، فقد حرص الملك هنري على تثبيت أركان ملكه من خلال اتباع سياسة تقوم على احترام القوانين التي أرساها والده ويليام الفاتح، والتأكيد على ضرورة التزام النبلاء والأمراء بها، كما سعى إلى إحكام قبضته على شؤون الدولة عبر إصدار الأوامر الحكومية وتعيين الموظفين الأكفاء لإدارة مفاصل الحكم(٩٨).

فضلا عن ذلك، اشتهر الملك هنري الأول بلقب أسد العدالة لما امتاز به من حرص على تحقيق العدل والمساواة بين رعاياه، ولإنشائه محاكم مفتوحة، أو المحاكم المتجولة، تتولى النظر في القضايا التي تخرج من نطاق المحاكم المحلية، إذ كانت الشكاوى تُرفع إليه مباشرة، فيصدر أوامر للفصل فيها ضمن مواعيد محددة وفق نظام قضائي منظم، وقد مثل ذلك النظام خطوة مهمة في سبيل تطوير القضاء الإنكليزي، إذ عمل على تنظيم جباية الضرائب، ففرض نظاما دقيقا لجمع الأموال، وإنشاء هيئة متخصصة للإشراف المالي عُرفت باسم "**مجلس الخزانة**" (Treasury Board) ، تتألف من الوزراء والمستشارين الذين كانوا يجتمعون دوريا لمراجعة الحسابات المالية للدولة والتدقيق فيها، أما من الناحية الإدارية فقد اتسمت سياسته بالصرامة والانضباط، وحرصه على أن تصل التكاليف المالية إلى الخزينة

الملكية من دون وساطة، لضمان شفافية الموارد والنفقات، وقد كان لتلك الإجراءات أثر واضح في ترسيخ سلطة الدولة وتقوية مركزها المالي والإداري، توفي الملك هنري الأول عام ١١٣٥م عن عمر ناهز ٦٧ عاما[٩٩].

بناءً على ذلك، يمكن عدّ عهد الملك هنري الأول بأنهّ كان جسر العبور لإنكلترا من حكم الغزو العسكري إلى حكم المؤسسات، لم يكن الملك هنري مجرد ملك محارب كوالده الملك ويليام الفاتح، بل كان إداريًا أدرك أن استدامة العرش لا تتحقق بالسيف وحده، بل بضبط المال وإقامة العدل. يكمن نجاحه في تحويل السلطة من شخص الملك إلى مؤسسة الدولة، فعن طريق تأسيس الخزانة وتطوير القضاء، وضع اللبنات الأولى للجهاز الإداري الذي جعل إنكلترا واحدة من أقوى الممالك المركزية في أوروبا في العصور الوسطى، يبقى الملك هنري الأول أحد أعظم ملوك إنكلترا البنائيين، إذ ترك خلفه دولة منظمة ماليًا وقانونيًا، لكنه تركها أيضًا بلا وريث قوي، مما يجعل عهده نموذجًا تاريخيًا للملك الذي نجح في إدارة الدولة وفشل في ضمان استمرار استقرارها من بعده، وأنهّ علّم إنكلترا كيف تُحكم من وراء المكاتب لا من فوق ظهور الخيول فقط، لكنه لم يستطع أن يورث ذلك العلم لباروناته.

الخاتمة:

توصلت هذه الدراسة إالى إن الحكم النورماندي في إنكلترا (١٠٦٦-١١٤٥م) شكّل مرحلة حاسمة في تاريخ المملكة، فقد أدت أصول أسرة بلانتجنيت ودورها السياسي إلى تأسيس نظام حكم قوي ومنظم. كما أثّرت مقاطعة نورماندي وعلاقاتها المتشابكة مع إنكلترا في صياغة السياسة الداخلية والخارجية للملكة. وأظهرت طبيعة العلاقة بين أسرة بلانتجنيت وإنكلترا التوازن بين الولاء والمصالح السياسية، بينما خلقت خلافة أبناء ويليام الفاتح وتقسيم المملكة تحديات استقرارها ووحدة أراضيها. في المجمل، ترك الحكم النورماندي إرثًا سياسيًا واجتماعيًا وثقافيًا مهمًا ساهم في رسم ملامح التاريخ الإنكليزي لاحقًا.

الهوامش:

(1) *Vivek Singh, Dynastles Of Power Royal Familes That Ruled The Worled, N.D, P.37.*

(٢) الكونت: لقب نبيل تاريخي يُستخدم في النظام الإقطاعي الأوروبي، ويُعادل اللقب الإنكليزي آيرل. أصله من الكلمة اللاتينية comes، والتي كانت تعني "رفيق" أو "مرافق" للحاكم في أواخر العهد الروماني، ثم تطور اللقب ليشير إلى حاكم أو مسؤول عن إقليم ضمن الهيكل الإقطاعي، مع صلاحيات قضائية وإدارية وعسكرية أعلى من البارون وأدنى من الدوق، وكان يمارس السلطة نيابة عن الملك أو الإمبراطور في منطقته. للمزيد ينظر إلى:
Charles Catton, The English Peerage; Or, A View Of The Ancient And Present State Of The English Nobility, Vol.1, Spilsbury And Son, London, 1790, pp.142-144.

(٣) أنجو جيفري: وُلد عام ١١١٣م في أنجوفي قلعة شاتو شينون (Château Chinon) بفرنسا، وهو الابن الأول لفولك الخامس (Fulk V) وإرمبورجيا (Ermengarde)، تسلّم الحكم عام ١١٢٩م، تزوّج من ماتيلدا (Matilda) ابنة الملك هنري الأول (Henry I) ملك إنكلترا عام ١١٢٨م، وتوفي عام ١١٥١م. للمزيد يُنظر:

Willim, Kibler W, and Douglas Kelly, eds. Medieval France: An Encyclopedia, Garland Publishing, London, 1995, p.744.

(4) *Dan, Jones, The Plantagenets The Warrior Kings and Queens who made England, New York, 2012, pp.23-24.*

(5) *Ibid, p.24.*

(٦) فولك الخامس: كونت أنجو منذ عام ١١٠٩م وملك القدس منذ ١١٣١م، عُرف بكونه قائدًا عسكريًا وسياسيًا فطنًا. عزّز نفوذه عبر التحالفات الأسرية، إذ رتّب زواج ابنه جيفري بلانتجنيت من ماتيلدا ابنة الملك هنري انكلترا، ما أسهم في تخفيف العداء بين أسرة أنجو والنورمان، ومهّد لقيام السلالة الأنجوية الحاكمة في انكلترا. للمزيد ينظر:

Jennifer Lawler, Encyclopedia Of The Byzantine Empire, Mcfarland & Company, U.S.A, 2004, P.130.

(7) *Kathryn Ann Dutton, Geoffrey Count Of Anjou And Duke Of Normandy 1129-1151, Submitted In Fulfilment Of The Requiements For The Degree Of Phd, College Of Arts, University Of Glasgow, August, 2011, pp. 27.*

(٨) أسعد خليل داغر، تاريخ وليم الظافر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢، ص ٢٩.

(٩) كامل جاسم دهش، وليم الفاتح حياته ودوره السياسي في إنجلترا ١٠٦٦–١٠٨٧، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٣، ص ١٨.

(١٠) ميليسندا: ملكة القدس، وابنة الملك بالدوين الثاني والملكة مورفيا الأرمنية، تُعدّ آخر امرأة حكمت مملكة القدس. تولّت الحكم بوصفها قرينة زوجها فولك، انفردت بالحكم عقب وفاته عام ١١٤٣، شهد عهدها تنفيذ مشاريع عمرانية ودينية وثقافية مهمة، أبرزها إنشاء سوق مغطّى، وتأسيس دير، ورعاية الفنون، وترميم كنيسة القيامة عام ١١٤٩. رفضت التنازل عن الحكم لأبنها بلدوين الثالث، مما دفعه لانتزاع السلطة منها وإخضاعها، وبسبب كفاءتها الإدارية ومهارتها في الحكم، أبقاها مستشارةً ملكية له. للمزيد ينظر:

Mary Ellen Snodgrass, Who's Who In The Middle Ages, Mcfarland & Company, U.S.A, 2001, P.168.

(11) *Dan Jones, op.cit, p.40.*

(12) *Kathryn Ann Dutton, Op.Cit, P.27.*

(١٣) هنري الثاني: أول ملوك أسرة بلانتجنيت في إنجلترا، والداه جيفري بلانتجنيت وماتيلدا، ابنة هنري الأول، تولّى العرش عام ١١٥٤، ويُعدّ من أبرز ملوك إنجلترا في العصور الوسطى. تميّز عهده بإصلاحات قضائية مهمة، أبرزها إحياء نظام المحاكمة بهيئة المحلفين وتطوير الإدارة العدلية، كما شهد صراعًا بارزًا مع توماس بيكيت حول حدود السلطة بين الكنيسة والدولة، فضلًا عن إخضاعه البارونات المتمرّدين وتوسيع النفوذ الإنجليزي، بما في ذلك إخضاع اسكتلندا. للمزيد ينظر:

William F. Rocheleau, The Home And School Reference Work, Vol.Iii, The Home And School Education Society, Chicago, 1915, P.1303.

(14) *Willim, Kibler, W, and Douglas Kelly, Op.Cit, p.77.*

(15) *Court Landt Canby, Engyclopedla Of Historic Places, New York, 2007, p.662.*

(16) *James Mcconnachie, The Rough Guide To The Loire ،Rough Guides, N.P, 2004, PP.55-58.*

(١٧) الفايكنج: لقب أُطلق على العناصر الشمالية التي كانت تسكن شبه جزيرة الدنمارك، بدأت غاراتها على أوروبا في القرن التاسع، وكلمة الفايكنج تعني سكان الخلجان. للمزيد يُنظَر: سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠١٥، ص ١٨٩.

(١٨) رولو: وُلِد في النرويج عام ٨٦٠م، ويُعرَف باسم رولون، ويُلقَّب برولف الزعيم أو المتجول، وتم نفيه من النرويج بأمر من الملك هارالد بسبب قيامه بمهاجمة بعض القوى النرويجية. للمزيد يُنظَر:
Sarah Orne Jewett, The Norman: Told Chiefly In Relation To Their Conquest Of England, Place Of Publication, New York, 1905, p.2.

(١٩) ويليام الفاتح: وُلد عام ١٠٢٧، يُدعى ويليام اللقيط، وهو الابن غير الشرعي لروبرت الأول، الدوق السادس لمقاطعة نورماندي، وتُدعى أمه هيرليف، التي لم تكن دوقة، بل كانت ابنة دبّاغ. تُوفي عام ١٠٨٧. للمزيد يُنظر: نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أوروبا، ج١، دار الفكر العربي، دمشق، ١٩٨٢، ص ٦٥٨.

(٢٠) ماتيلدا: سنتحدث عنها لاحقاً في المبحث الثاني بالتفصيل.

(21) *Willim, Kibler, W, and Douglas Kelly, Op.Cit, p.1310.*

(٢٢) الملك هنري الأول: ملك إنكلترا وابن ويليام الفاتح، وتميز بحكم امتد ٣٥ عامًا عُرف خلاله بإصلاح النظام الإداري وتثبيت السلطة الملكية. ولُقّب بـ«بيوكليرك» لكونه أول ملك إنكليزي متعلم قادر على القراءة والكتابة، كما لُقّب بـ«أسد العدالة» لدوره في توحيد وتطوير نظام الحكم في البلاد. للمزيد ينظر:
Harvey Eugene Lehman ,Lives Of England's Monarchs, H. E. Lehman, U.S.A, 2005, P.40.

(٢٣) محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة، ط٢، بيروت، ١٩٨٦، ص٢٣٤.

(٢٤) هارولد جودوينسون: ولد عام ١٠٢٢م هو ابن الأمير غودون (Godwin) وأمه غيثا (Gytha)، أما أخته فهي إديث (Edith)، زوجة إدوارد المعترف أصبح هارولد ملكاً في ليلة وفاة إدوارد المعترف، وتوفي عام ١٠٦٦م. للمزيد يُنظَر:
Frederica Rowan, History of England, William and Robert chambers, Landon and Edinburgh, 1851, p.32.

(٢٥) موريس بيشوب، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ترجمة علي السيد علي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٦٠.

(٢٦) مجلس الويتان: مجلس أنجلوسكسوني يعقد جلساته بحسب رغبة الملك، وظيفته استشارية فقط، ويقدم المشورة للملك عند النظر في القضايا التي تتم مناقشتها، كالنظر في حالات التمرد التي تقع في البلاد أو إقرار بعض القوانين. أما عضوية المجلس فمحصورة بالطبقة الراقية من المجتمع الإنكليزي، مثل كبار النبلاء والأساقفة. للمزيد يُنظَر: كامل جاسم دهش، المصدر السابق، ص٥٣.

(٢٧) محمود سعيد عمران، المصدر السابق ص٢٤٣.

(28) *Tout, T. F., An Advanced History of Great Britain, Book III, Longmans Green And Co, New York, 1982, p.68.*

(٢٩) ألكسندر الثاني: بابا الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بين عامي ١٠٦١-١٠٧٣م، وُلِد عام ١٠١٠م في ميلانو بإيطاليا، اسمه أنسلمو داباجيو (Anselmo da Baggio)، وانتُخب للبابوية عام ١٠٥٩م. للمزيد يُنظَر:
F. Donald Logan, A History of Church in the Middle Ages, London, 2002, p.112.

(٣٠) محمد محمد مرسي الشيخ، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص ص ٤٠٨-٤١٠.

(٣١) محمد محمد مرسي الشيخ، المصدر نفسه، ص ص ٤٠٨–٤١٠.

(٣٢) فيليب الأول: ملك فرنسا من أسرة آل كابيه (Capetian Dynasty)، وُلد عام ١٠٥٢، والده هو هنري الأول ملك فرنسا (Henry I of France)، وأمه آن كييف (Anne of Kiev)، حكم فرنسا أكثر من ثمانية وأربعين عامًا، وهي أطول حقب الحكم بين ملوك فرنسا. تُوّج ملكًا وهو في السابعة من عمره، إذ أصبحت والدته الوصية عليه حتى بلغ الرابعة عشرة من عمره، تُوفي عن عمر السادسة والخمسين عام ١١٠٨م. للمزيد يُنظر:

Garland Encyclopedias of the Middle Ages, Vol. 2, Garland Reference Library of the Humanities, Vol. 932, New York and London, 1995, p. 1369.

(٣٣) بلدوين الخامس: أحد أبرز حكام مقاطعة فلاندرز، في القرن الحادي عشر، تولى الحكم بين عامي (١٠٣٥–١٠٧٦م)، تزوج من أديلا ابنة روبرت الثاني ملك فرنسا (Robert II of France)، وبذلك ربط أسرة فلاندرز بالنظام الملكي الفرنسي، شارك في إدارة شؤون المملكة الفرنسية عندما أصبح وصيًا على الملك فيليب الأول عام ١٠٦٠، تُوفي عام ١٠٦٧م. للمزيد يُنظر:

David C. Douglas, William the Conqueror: The Norman Impact upon England, University of California Press, 1964, pp. 38–40.

(34) *Elizabeth Hallam, Capetian France: 987–1328, Longman, N.P, 1980, pp. 51–56.*

(35) *David McDowall, An Illustrated History of Britain, Longman Group UK Limited, United Kingdom, 1989, p. 23.*

(٣٦) محمود سعيد عمران، المصدر السابق، ص ٢٤٤.

(٣٧) محمود سعيد عمران، المصدر السابق، ص ٢٤٤.

(٣٨) المصدر نفسه، ص ٢٤٤.

(39) *Christopher Dyer, An Age of Transition: Economy and Society in England in the Later Middle Ages, Clarendon Press, Oxford, 2005, p. 45.*

(٤٠) أمل يوسف عبد الله معوض، المصاهرات السياسية بين إنكلترا وفرنسا في العصور الوسطى ٨٧١–١٣١٤م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٣٢.

(٤١) المجلس الكبير: هيئة استشارية إقطاعية في إنكلترا تضم كبار رجال المملكة من رؤساء الأساقفة، والأساقفة، ورؤساء الأديرة، والأيرلات، والبارونات، والفرسان، كانت تجتمع بحضور الملك لمناقشة الأوضاع العامة للمملكة وتقديم المشورة له، وللمجلس صلاحيات تشريعية وتنفيذية وقضائية. للمزيد ينظر: زينب عبد المجيد، ماهية البرلمان الإنجليزي في القرن الثالث عشر وحتى نهاية حكم الملك إدوارد الأول عام ١٣٠٧م، مصر، د.م، ص ص ٢٧–٢٩.

(٤٢) مجلس الملك الخاص: هيئة استشارية يعيّنها الملك في إنكلترا لتقديم المشورة في شؤون الدولة، نشأت تدريجيًا من مجلس الويتاناغيموت (Witenagemot) ثم المجلس الكبير، واستقرّ كجهاز رسمي خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر. للمزيد ينظر:

The New International Encyclopaedia, Vol.XVI, Dodd, Mead And Company, New York, 1909, P.416.

(٤٣) علي جبر حسن، الصراع بين الملك والبرلمان في إنكلترا ١٦٠٣–١٦٨٩، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الدول العربية، اتحاد المؤرخين العرب، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، بغداد، ٢٠١٢، ص ١٦.

(44) *Robin Son, James Harvey, Medieval and Modern Times, Ginn and Co, London, 1926, p. 117.*

(45) *Robin Son, Op.Cit, p. 118.*

(٤٦) أندرو ملر، مختصر تاريخ الكنيسة، ترجمة: ناشد ساويرس، ط٤، شركة الطباعة المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٢٨٣.

(٤٧) زينب عبد المجيد عبد القوي، الإنجليز والحروب الصليبية في المدة من ١١٨٩-١٢٩١م، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد ٣٢، ١٩٩٦، ص ٣٢.

(٤٨) كنوت الرابع: وُلد عام ١٠٤٢، وهو أحد ملوك الدنمارك، دخل عضوًا في الكنيسة الكاثوليكية (Catholic Church) عام ١٠٦٩، وكان من المعارضين لهارولد ووليام الفاتح، وفي عام ١٠٨٠ نجح باعتلاء عرش الدنمارك، قُتل عام ١٠٨٦م. للمزيد يُنظر: الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الخامس، د.م، ٢٠١٠، ص ٢٦٥٤.

(٤٩) عباس فخري حمزة، هنري الثاني والتطورات الداخلية في إنكلترا ١١٥٤-١١٨٩م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، ٢٠١٥م، ص ١٧.

(٥٠) كامل جاسم دهش، المصدر السابق، ص ١٧٣.

(٥١) محمود سعيد عمران، المصدر السابق، ص ٢٤٦.

(٥٢) محمود سعيد عمران، المصدر السابق، ص ٢٤٦.

(٥٣) أسامة إبراهيم حسيب، إنكلترا تحت حكم النورمان ١٠٦٦-١١٥٤، ط١، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٣٠٥.

(٥٤) سعيد عبد الفتاح عاشور، محمد أنيس، النهضات الأوروبية في العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة، القاهرة، ١٩٥٦، ص ص ١١٤-١١٥.

(55) *Melkle John ،English Literature From Saxon Times to Georgian Era, London, 1928, p.9.*

(56) *Ibid, p.9.*

(٥٧) هـ. أ. ل. فشر، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة مصطفى زيادة والباز العريني، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٦، ص ١٦٤.

(٥٨) هـ. أ. ل. فشر، المصدر السابق، ص ١٦٤.

(59) *Kenneth Feiling ،A History of England from the Coming of the Normans to 1918 ،London, 1950, pp. 122–123.*

(60) *William son, English History, London, 1899, p.48.*

(٦١) أسامة إبراهيم حسيب، المصدر السابق، ص ص ٣٠٨-٣٠٩.

(٦٢) المصدر نفسه، ص ص ٣١٠-٣١١.

(63) *Haskins C.H, The Normans in European History, New York, 1945, p.57.*

(٦٤) إدمون ديمولان، سر تقدم الإنكليز الساكسونيين، ترجمة فتحي زغلول باشا، مطبعة الرحمانية، مصر، ١٩٤٦، ص ٣٤.

(٦٥) إدمون ديمولان، المصدر نفسه، ص ٣٤.

(٦٦) أسامة إبراهيم حسيب، المصدر السابق، ص ٣٢٥.

(67) *Freeman, A Short History of the Norman Conquest of England, Oxford Press, 1922, p.145.*

(68) *Kenneth Feiling ،Op.Cit, pp.122-123.*

(69) *Freeman ،Op.Cit, p.164.*

(70) *Stenton, Anglo-Saxon England, Press, 1943, pp.66-74.*

(71) *Freeman ،Op.Cit, p.164.*

(72) *Kenneth Feiling ،Op.Cit, pp.122-123.*

(٧٣) لانفرانك: وُلد في عام ١٠١٠م في مدينة بافيا شمال إيطاليا، تلقى تعليمه في تلك المدينة، وغادر إيطاليا إلى فرنسا شابا، ذاع صيته كمعلم متجول في المنطقة المحيطة بأفرانش في عام ١٠٤٢، التحق بدير بك في نورماندیا، وفي عام ١٠٧٠ عُيّن رئيسا لأساقفة كانتربري في إنكلترا، واستبدل معظم الأساقفة الأنغلوساكسون بالنورمان، توفي عام ١٠٨٩م. للمزيد ينظر:

Kibler, William W, and Douglas Kelly, eds. Medieval France: An Encyclopedia, Garland Publishing, New York and London, 1995, p. 398.

(٧٤) ويليام الثاني: يعرف أيضًا باسم ويليام رُفوس (Rufus) ملك إنكلترا، وابن الملك ويليام الفاتح. اشتهر بطبيعته الاستبدادية وبسعيه القمعي للحفاظ على السلطة، كما وصفه بعض المؤرخين بالعنيف المتعطش للدماء. ومع ذلك، لا علاقة لهاتين الصفتين بلقبه "الأحمر"، إذ تتفق المصادر على أن هذا اللقب يعود إلى احمرار وجهه. خلال حكمه، واجه ثورتين تهدفان إلى خلعه من العرش، وقد قمعهما بقسوة. وفي نهاية حكمه، قُتل غيلة أثناء رحلة صيد. للمزيد ينظر: منير البعلبكي، موسوعة اعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٤٩٧.

(٧٥) روبرت كورتوس: الابن الأكبر لوليام الفاتح كان دوق نورماندي الذي شارك في الحملة الصليبية الأولى، ورفض مملكة القدس، ثم حاول الاستيلاء على عرش إنكلترا بعد وفاة شقيقه ويليام روفوس. فشل غزوه لإنكلترا عام ١١٠١، وهُزم في معركة تانشبري ١١٠٦ على يد شقيقه هنري الأول، فاعتُقل وقضى بقية حياته سجينًا حتى وفاته عام ١١٣٤. للمزيد ينظر:

Edward Sandford Burgess, Memoirs Of The Torrey Botanical Club, Vol.X, The Clue, New York, 1902, P.238.

(٧٦) موسى محمد آل طويرش، التطور الديمقراطي في بريطانيا ١٠٦٦-١٩٠١، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٢، ص ٤٩.

(٧٧) عبد القادر أحمد اليوسف، العصور الوسطى الأوروبية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٦٧، ص ١٧٤.

(٧٨) زينب عبد المجيد عبد القوي، المصدر السابق، ص ٤٤.

(٧٩) القديس أنسلم: وُلد في عام ١٠٣٣م في مدينة أوستا الواقعة في منطقة بييمونتي شمال إيطاليا، تلقى تعليمه في مدرسة دينية، ورحل في شبابه إلى فرنسا، حيث واصل دراسته في مدرسة تابعة لدير بك في مقاطعة نورماندي عام ١٠٥٩، وأصبح رئيسا للدير في عام ١٠٧٨، توفي عام ١١٠٩، مؤسس الدير. للمزيد يُنظر:

Kibler, William W, and Douglas Kelly, op. cit., p. 38.

(٨٠) عبد القادر أحمد اليوسف، المصدر السابق، ص ١٧٤.

(٨١) الحملة الصليبية الأولى: بدأت الحملة عام (١٠٩٥-١٠٩٩) التي دعا إليها البابا أوربان الثاني في مجمع كليرمون في ٢٧/تشرين الثاني/١٠٩٥م شعب فرنسا تحديدا للسير في طريق القبر المقدس واستعادة الأرض المقدسة من الأتراك. للمزيد يُنظر:

Richard K. Emmerson, Key Figures in Medieval Europe, op. cit., p. 642.

(٨٢) مواهب عدنان أحمد محمد، الماكنا كارتا (Magna Carta) وبدايات التطور الدستوري في إنكلترا (١٢١٥-١٢٢٥)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠٠٨، ص ٢٤-٢٥.

(٨٣) البابا أوربان الثاني: وُلد عام ١٠٣٥، كان فرنسي الأصل، ينحدر من عائلة نبيلة من شاتيلون، وكان اسمه أودو حين تعميده، كان مصلحا كنسيا ومؤسسا للحركة الصليبية، توفي عام ١٠٩٩. للمزيد يُنظر:

Richard K. Emmerson, Key Figures in Medieval Europe, op. cit., p. 641.

(٨٤) نور الدين حاطوم، المصدر السابق، ص ٧٨٤.

(٨٥) منى محمود عبد الرؤوف بهلول، تاريخ إنجلترا السياسي والحضاري في عصر الملك هنري الأول (١١٠٠ – ١١٣٥م)، وحتى سنة ١١٥٤م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، ٢٠٠٩، ص، ص ٦٤. ؛ نور الدين حاطوم، المصدر السابق، ص ٧٨٤.

(86) *Williamson, James A., The Evolution of England, Clarendon Press Oxford, 1945, p. 92.*

(87) *Caroline Bingham, The Crowned Lions: The Early Plantagenet Kings, Newton Abbot, England, David and Charles, N.P, 1987, p. 11.*

(٨٨) إديث: تُعرف باسم ماتيلدا، أميرة اسكتلندية، وزوجة الملك هنري الأول الإنكليزي، أدارت ممتلكات واسعة مكنتها من ممارسة الرعاية الدينية والعلمانية، وأسهمت في تأسيس رهبان الأوغسطينيين في إنكلترا، كما نفذت مشاريع بنية تحتية في لندن. عُرفت بعلاقتها المبنية على الاحترام المتبادل مع الملك، وبنشاطها السياسي والإداري في غيابه، وباهتمامها بالفنون والثقافة، وبأعمالها الخيرية وورعها الشخصي، حتى وصفها المعاصرون بأنها "ملكة صالحة" و"ذاكرة مباركة". للمزيد ينظر:

Lois L. Huneycutt, Matilda Of Scotland, The Boydell Press, Uk, 2003, P.1.

(٨٩) محمود سعيد عمران، المصدر السابق، ص ٢٤٨.

(٩٠) زينب عبد المجيد عبد القوي، المصدر السابق، ص ٥١.

(٩١) البابا باسكال الثاني: وُلد عام ١٠٥٠م (بنيريوس) لعائلة نبيلة في بييدا جنوب فاينسا في وسط إيطاليا، وفي صغره أُدخل ديرا للرهبنة البندكتية، وفي سن العشرين أُرسل إلى روما، حيث نال ثقة البابا غريغوري السابع ورضاه، فعينه كاردينالا لدير سان كليمنتي، توفي عام ١١١٨. للمزيد يُنظر:

Richard K. Emmerson, Key Figures in Medieval Europe: An Encyclopedia, Routledge New York, 2006, p. 503.

(٩٢) لويس السادس: هو ابن فيليب الأول وبيرتا من هولندا، وملك فرنسا من عام (١١٠٨-١١٣٧م)، وكان يُدعى بـ(لويس السمين) لبدانته، ويبدو أنه عُرف ببدانته بقدر ما عُرف بسيطرته المحدودة، ورث لويس تحديات سياسية وإقطاعية فوضوية للسلطة الملكية، توفي عام ١١٣٧م. للمزيد يُنظر:

Kibler, William W, and Douglas Kelly, op. cit., p. 1118.

(٩٣) زينب عبد المجيد عبد القوي، المصدر السابق، ص ٥١.

(٩٤) موسى محمد آل طويرش، المصدر السابق، ص ٥١

(٩٥) المصدر نفسه، ص ٥١.

(٩٦) موسى محمد آل طويرش، المصدر السابق، ص ٥٢.

(٩٧) نور الدين حاطوم، المصدر السابق، ص ٧٩١.

(٩٨) محمد ترحيني، معالم التاريخ الأوروبي الوسيط، دار الهادي، بيروت، ١٩٩٢، ص ٩٨.

(٩٩) موسى محمد آل طويرش، المصدر السابق، ص ٥٢.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

الاستراتيجية الاقتصادية للاتحاد السوفيتي في مرحلة ما بعد الحرب ١٩٤٥-١٩٥٣ بين اعادة الاعمار والتخطيط المركزي

م. د. رحاب قاسم حسين
قسم ضمان الجودة والاداء الجامعي/الجامعة العراقية
٠٧٧١٧٨٣٥١٢٥
Rehab-qasim@aliraqia.edu.iq

الاستلام(Received) :	١٨ /٠٤/ ٢٠٢٦	التعديل (Revision) :	٠٥/٠٥ / ٢٠٢٦
القبول(Accepted) :	١٩ /٠٥/ ٢٠٢٦	النشر (Published) :	٠٩/٣٠ /٢٠٢٦

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص

شهد الاتحاد السوفيتي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ تحديات اقتصادية كبيرة نتيجة الدمار الواسع الذي أصاب البنية التحتية والقطاع الصناعي والزراعي، فأصبحت عملية إعادة الإعمار في هذا السياق أولوية قصوى في سياسة الدولة، اذ تبنت القيادة السوفيتية بقيادة جوزيف ستالين استراتيجية اقتصادية قائمة على إعادة الإعمار والتخطيط المركزي ركزت على اعادة بناء الصناعة الثقيلة وتعزيز القدرات الانتاجية. بهدف استعادة القوة الاقتصادية وتعزيز مكانة الاتحاد السوفيتي كقوة عالمية. وقد اعتمدت هذه الاستراتيجية على الخطط الخمسية والتي ركزت بصورة أساسية على توجيه الموارد والإمكانات البشرية نحو القطاعات الصناعية والعسكرية. اذ أولت الدولة اهتماماً كبيراً بإنتاج الحديد والفولاذ والفحم والنفط، باعتبارها الأساس في عملية النهوض الاقتصادي والعسكري.

ينطلق البحث من فرضية مفادها أن السياسة الاقتصادية السوفيتية لم تكن مجرد سياسة داخلية لإعادة بناء اقتصاد دمرته الحرب بل كانت جزءاً من استراتيجية شاملة هدفت إلى تثبيت النموذج الاقتصادي السوفيتي، وتعزيز قدرة الدولة، وربط الاقتصاد بالأهداف السياسية والعسكرية والدولية، لاسيما في اطار التنافس مع الولايات المتحدة الامريكية خلال بدايات الحرب الباردة. وتوصّل البحث إلى أن الاقتصاد السوفيتي أسهم بصورة مباشرة في بناء الكتلة الشرقية، وتعميق الانقسام مع الغرب، وتحويل الاقتصاد إلى أداة من أدوات الصراع الدولي.

الكلمات المفتاحية: (الاتحاد السوفيتي، السياسة الاقتصادية، جوزيف ستالين، الخطة الخمسية، إعادة الإعمار)..

The Soviet Union's post-war economic strategy 1945-1953: between reconstruction and central planning

abstract

Following the end of World War II in 1945, the Soviet Union faced significant economic challenges due to the widespread destruction of its infrastructure, industry, and agriculture. Reconstruction became a top priority in state policy. Under Joseph Stalin, the Soviet leadership adopted an economic strategy based on reconstruction and central planning, focusing on rebuilding heavy industry and boosting production capacity. The aim was to restore economic strength and solidify the Soviet Union's position as a global power. This strategy relied on five-year plans that primarily directed resources and human capital toward the industrial and military sectors. The state placed great emphasis on the production of iron, steel, coal, and oil, considering them fundamental to economic and military development.

This research begins with the premise that Soviet economic policy was not merely a domestic effort to rebuild a war-torn economy, but rather part of a comprehensive strategy aimed at consolidating the Soviet economic model, strengthening the state's power, and linking the economy to political, military, and international objectives, particularly within the context of competition with the United States during the early stages of the Cold War. The research concludes that the Soviet economy directly contributed to the formation of the Eastern Bloc, deepened the divide with the West, and transformed the economy into an instrument of international conflict.

Keywords: (Soviet Union, economic policy, Joseph Stalin, five-year plan, reconstruction).

المقدمة

شكّلت نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ نقطة تحول كبرى في تاريخ الاتحاد السوفيتي وفي تاريخ العلاقات الدولية على السواء، إذ واجه الاتحاد السوفيتي تحديات اقتصادية كبيرة فقد خرج من الحرب بوصفه إحدى القوتين العظميين في النظام الدولي الجديد، لكنه في الوقت نفسه خرج وهو يواجه أوضاعاً اقتصادية شديدة التعقيد نتيجة الخسائر البشرية والمادية الهائلة التي تكبدها في الحرب.

تنبع أهمية هذا الموضوع من أن الاستراتيجية الاقتصادية السوفيتية خلال المدة ١٩٤٥–١٩٥٣ لم تكن تقتصر على كونها سياسة داخلية تستهدف معالجة آثار الحرب، بل كانت جزءاً من مشروع أوسع لتثبيت الاتحاد السوفيتي بوصفه قوة عظمى، وإعادة تنظيم المجتمع والاقتصاد وفق مبادئ الدولة المركزية وربط الاقتصاد بالأمن القومي وبأهداف السياسة الخارجية السوفيتية. لذلك فإن دراسة هذه السياسة لا تساعد فقط على فهم طبيعة الاقتصاد السوفيتي في مرحلة ما بعد الحرب، بل كشفت أيضاً عن الدور الذي أداه الاقتصاد في تكوين الكتلة الاشتراكية وفي تعميق الانقسام الدولي، وفي تكريس الحرب الباردة خلال سنواتها الأولى.

اختيرت المدة ١٩٤٥–١٩٥٣ لأنها تمثل مرحلة متكاملة تبدأ بنهاية الحرب العالمية الثانية، وما فرضته من تحديات إعادة الإعمار، وتنتهي بوفاة ستالين عام ١٩٥٣، التي مثلت نهاية مرحلة كاملة من تاريخ الاستراتيجية السوفيتية الاقتصادية.

قسم البحث على ثلاث نقاط اساسية، عالجت النقطة الأولى الانتقال من اقتصاد الحرب إلى إعادة الإعمار حتى عام ١٩٤٧ وجذور الاقتصاد السوفيتي حتى عام ١٩٤٥، فضلا عن توجهات القيادة السوفيتية لتنظيم الاقتصاد بعد الحرب، اما النقطة الثانية فقد تخصصت بإعادة إعمار الاقتصاد السوفيتي في إطار الخطة الخمسية الرابعة والخامسة(١٩٤٦–١٩٥٣) ونتائجها في القطاعين الصناعي والزراعي، في حين تطرقت النقطة الثالثة للانعكاسات الاستراتيجية الاقتصادية السوفيتية على الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية (١٩٤٥–١٩٥٣) والتحول من إعادة الإعمار إلى تثبيت النموذج الاقتصادي السوفيتي.

أولا: الانتقال من اقتصاد الحرب إلى إعادة الإعمار حتى عام ١٩٤٧

١– جذور الاقتصاد السوفيتي حتى عام ١٩٤٥

تعود جذور السياسة الاقتصادية في الاتحاد السوفيتي إلى التحولات التي أعقبت الثورة البلشفية عام ١٩١٧، حين واجهت الدولة الجديدة بقيادة فلاديمير لينين [١] (Vladimir Lenin)انهياراً اقتصادياً واسعاً نتيجة الحرب العالمية الأولى وفي هذا السياق، تبنّت السلطة السوفيتية في البداية سياسة "شيوعية الحرب"، التي قامت على التأميم الشامل للموارد والسيطرة الصارمة للدولة على الإنتاج والتوزيع، بهدف ضمان بقاء الدولة الجديدة، إلا أن هذه السياسة أدت إلى تراجع حاد في الإنتاج الزراعي والصناعي، وانخفاض مستوى المعيشة بشكل كبير. وقد دفع ذلك لينين إلى التحول نحو "السياسة الاقتصادية الجديدة" (النيب) [٢] (New Economic Policy) (NEP) عام ١٩٢١، التي سمحت بقدر محدود من النشاط الخاص والتبادل التجاري، ولا سيما في الزراعة والتجارة، بهدف إعادة تنشيط الاقتصاد واستعادة التوازن بين القطاعين الزراعي والصناعي. وقد مثّلت تلك السياسة مرحلة انتقالية أسهمت في استقرار الاقتصاد نسبياً، لكنها لم تكن كافية لتحقيق التحول الصناعي الذي كانت تطمح إليه القيادة السوفيتية[٣].

ومع نهاية عشرينيات القرن العشرين، شهد الاقتصاد السوفيتي تحولاً جذرياً مع صعود جوزيف ستالين[٤](Joseph Stalin) الذي أنهى العمل بسياسة (النيب) السياسة الاقتصادية الجديدة واتجه إلى بناء اقتصاد اشتراكي قائم على التخطيط المركزي الصارم. وقد تجسد هذا التحول في إطلاق الخطة الخمسية الأولى (١٩٢٨–١٩٣٢)، التي هدفت إلى تحقيق التصنيع السريع، لاسيما في الصناعات الثقيلة مثل الحديد والصلب والطاقة. ورافق ذلك تنفيذ مشروع واسع للزراعة الجماعية الذي سعى إلى دمج المزارع الفردية ضمن وحدات إنتاجية جماعية خاضعة لسيطرة الدولة. وقد أدت هذه السياسات إلى زيادة

ملحوظة في الإنتاج الصناعي، إذ تضاعف إنتاج بعض القطاعات خلال هذه المدة، إلا أنها تسببت في اضطرابات اقتصادية واجتماعية، لاسيما في الريف، اذ واجه الفلاحون ضغوطاً كبيرة نتيجة فرض النظام الجماعي[٥].

وقد تواصل هذا التوجه في إطار الخطة الخمسية الثانية (١٩٣٣-١٩٣٧)، التي ركزت على تعزيز الصناعات الثقيلة وتطوير البنية التحتية، بما في ذلك شبكات النقل والطاقة. وفي تلك المرحلة، سعت القيادة السوفيتية إلى ترسيخ قاعدة صناعية قادرة على دعم القوة العسكرية للدولة، لاسيما في ظل تصاعد التوترات الدولية في أوروبا. أشار المؤرخ البولندي آدم أولام (Adam Ulam) إلى أن تلك السياسات لم تكن اقتصادية فحسب، بل كانت جزءاً من رؤية استراتيجية ربطت بين التصنيع والأمن القومي، إذ عد ستالين أن تأخر الاتحاد السوفيتي صناعياً قد يعرّضه للهيمنة الخارجية، وهو ما استدعى تسريع عملية التصنيع بأي ثمن[٦].

مع اقتراب الحرب العالمية الثانية، اتجهت السياسة الاقتصادية السوفيتية نحو تعزيز الطابع العسكري للاقتصاد لذلك جاءت الخطة الخمسية الثالثة (١٩٣٨-١٩٤١)، في ظل تصاعد احتمالات الحرب، ركزت تلك الخطة بشكل متزايد على الصناعات العسكرية والدفاعية. وقد جرى توجيه الموارد نحو إنتاج الأسلحة والمعدات العسكرية، وهو ما أدى إلى تحويل جزء كبير من الاقتصاد إلى خدمة الأغراض الحربية. ومع اندلاع الحرب، ثم الهجوم الألماني على الاتحاد السوفيتي في حزيران عام ١٩٤١، تعرض الاقتصاد السوفيتي لضغوط هائلة نتيجة العمليات العسكرية التي دارت على أراضيه، مما أدى إلى تدمير جزء كبير من البنية التحتية الصناعية والزراعية، وشمل الدمار الذي لحق بالاقتصاد السوفيتي مختلف القطاعات وتراجع الإنتاج بشكل كبير[٧].

كان القطاع الزراعي من أكثر القطاعات تضرراً، اذ أدى فقدان اليد العاملة نتيجة الحرب، إلى جانب تدمير الأراضي الزراعية فقد تم تدمير مئات الآلاف من المزارع الجماعية، وفقدان ملايين رؤوس الماشية، وتدمير ملايين المنازل ونقص المعدات إلى انخفاض كبير في الإنتاج الزراعي. انعكس في نقص حاد في المواد الغذائية، وهذا مازاد من معاناة السكان في السنوات الأولى بعد الحرب العالمية الثانية، فضلاً عن الأضرار الجسيمة التي أصابت البنية التحتية، بما في ذلك السكك الحديدية والجسور. كما قامت القوات الألمانية المنسحبة بنقل معدات صناعية وزراعية، مما ضاعف من حجم الخسائر الاقتصادية. ويظهر من ذلك أن الاقتصاد السوفيتي كان يعاني من اختلال بنيوي واضح، تمثل في ضعف القطاع الزراعي مقابل استمرار التركيز على الصناعة الثقيلة[٨]. فضلا عن ذلك، واجه الاتحاد السوفيتي صعوبة كبيرة في الحصول على دعم خارجي، لاسيما بعد توقف برنامج الإعارة والتأجير[٩] (Lend-Lease) الذي كانت الولايات المتحدة الامريكية قد قدمته خلال الحرب. وقد أدى ذلك إلى

اعتماد الدولة بشكل شبه كامل على مواردها الذاتية في إعادة الإعمار، وهو ما فرض ضغوطاً إضافية على الاقتصاد. كما أن التعويضات التي حصل عليها الاتحاد السوفيتي من ألمانيا لم تكن كافية لتعويض حجم الخسائر التي تكبدها(١٠).

بذلك تكبد الاتحاد السوفيتي خسائر بشرية ومادية جسيمة، إذ تشير التقديرات إلى فقدانه ما بين (٢٠–٢٧) مليون نسمة، إضافة إلى تدمير نحو ثلث الثروة الوطنية. ويؤكد المؤرخ البريطاني مارك هاريسون (Mark Harrison) أن واحداً من كل ثمانية مواطنين سوفييت قد قُتل خلال الحرب، وهو ما يعكس حجم التأثير الديموغرافي العميق لتلك الخسائر على الاقتصاد(١١).

تعرض الاتحاد السوفيتي بعد الحرب الى تحديات شديدة في النظام الاقتصادي الدولي، اذ فرضت الدول الغربية سلسلة من القيود الاقتصادية والتجارية عليه، مما قيّد التبادلات الاقتصادية بينه وبين الدول الغربية. وقد جعل هذا الحصار الاقتصادي والعقوبات من الصعب على الاقتصاد السوفيتي الاندماج في النظام الاقتصادي الدولي، كما تأثرت التجارة الخارجية بشكل كبير، وتعرض تطور التجارة الدولية للاتحاد السوفيتي لقيود شديدة. وقد أدى ذلك إلى خلق صعوبات وتحديات كبيرة أمام تطور الاقتصاد السوفيتي(١٢).

أدت تلك الخسائر إلى تعميق الاختلالات الهيكلية في الاقتصاد السوفيتي، لذلك دخل الاقتصاد مرحلة اقتصاد الحرب، اذ تم توجيه معظم الإنتاج لخدمة المجهود العسكري، وتم اتخاذ إجراءات واسعة لإعادة تنظيم الاقتصاد، من بينها نقل مئات المصانع إلى المناطق الشرقية لضمان استمرار الإنتاج. وقد مكّن هذا التنظيم المركزي الصارم الدولة السوفيتية من الحفاظ على قدرتها الإنتاجية خلال الحرب، رغم التدمير الواسع الذي لحق بالمناطق الصناعية الغربية(١٣).

وعلى الرغم من هذا الوضع الاقتصادي الصعب، خرج الاتحاد السوفيتي من الحرب بوصفه قوة عظمى بإمتلاكه قاعدة صناعية وعسكرية مهمة، فضلاً عن نفوذ واسع في أوروبا الشرقية، مما أتاح له إمكانية إعادة بناء اقتصاده والانطلاق نحو مرحلة جديدة من التطور الاقتصادي بعد عام ١٩٤٥(١٤).

عكس هذا الوضع تناقضاً واضحاً بين القوة السياسية والعسكرية من جهة، والإنهاك الاقتصادي من جهة أخرى، وهو ما جعل إعادة بناء الاقتصاد أولوية قصوى في المرحلة التي أعقبت الحرب(١٥).

بذلك، فإن السياسة الاقتصادية السوفيتية حتى عام ١٩٤٥ مرت بمراحل متتابعة بدأت بالاقتصاد الانتقالي في عهد لينين، ثم انتقلت إلى مرحلة التخطيط المركزي والتصنيع السريع في عهد ستالين من خلال الخطط الخمسية، وصولاً إلى اقتصاد موجّه لخدمة المجهود الحربي، وهي المراحل التي شكلت الأساس الذي قامت عليه سياسات إعادة الإعمار بعد الحرب العالمية الثانية(١٦).

٢– توجهات القيادة السوفيتية لتنظيم الاقتصاد السوفيتي بعد الحرب

شكّل عام ١٩٤٥ نقطة تحول حاسمة في تاريخ الاقتصاد السوفيتي، إذ خرج الاتحاد السوفيتي من الحرب العالمية الثانية منتصراً عسكرياً، لكنه في الوقت نفسه عانى من انهيار اقتصادي واسع، شمل مختلف القطاعات الاقتصادية[١٧]، انعكس ذلك في انخفاض مستوى المعيشة ونقص السلع الأساسية، نتيجة تركيز الموارد على المجهود الحربي وهو ما شكّل تحدياً رئيساً أمام القيادة السوفيتية بقيادة ستالين لجعل مرحلة ما بعد عام ١٩٤٥ تنطلق من قاعدة اقتصادية مرهقة تتطلب إعادة إعمار شاملة[١٨].

برزت أزمة السكن والنقل بوصفها عقبتين أساسيتين أمام إعادة الإعمار. فالدمار الذي أصاب ملايين المنازل، إلى جانب الأضرار الواسعة في السكك الحديدية والجسور، جعل عملية إعادة تشغيل الاقتصاد أكثر صعوبة. فالإنتاج لا يعتمد على المصانع وحدها، بل على وجود بنية تحتية قادرة على نقل المواد الخام والعمال والسلع، وعلى وجود حد أدنى من الاستقرار الاجتماعي الذي يسمح بإعادة تنظيم القوة العاملة. ولهذا فإن التحديات في تلك المرحلة لم تكن محصورة في "الاقتصاد"، بل شملت الشروط الاجتماعية والمادية الضرورية لنجاح أي برنامج إعمار[١٩].

فرض هذا الواقع الاقتصادي تبني سياسة تقوم على تعبئة الموارد الداخلية بشكل مكثف، وإعادة توجيه الاقتصاد نحو القطاعات الأساسية، ولا سيما الصناعة الثقيلة. وعكس هذا التوجه استمرار النهج الذي اتبعته الدولة منذ ثلاثينيات القرن العشرين، والذي يقوم على ربط الاقتصاد بالأهداف السياسية والاستراتيجية، اذ لم يكن الهدف مجرد إعادة البناء، بل إعادة بناء اقتصاد قادر على دعم مكانة الاتحاد السوفيتي كقوة عظمى في النظام الدولي[٢٠].

أن ذلك الوضع لم يكن مجرد أزمة اقتصادية مؤقتة، بل كان نتيجة مباشرة لطبيعة النموذج الاقتصادي السوفيتي، الذي ركّز على الصناعة الثقيلة وأهمل التوازن بين القطاعات المختلفة، وهو ما جعل عملية إعادة الإعمار أكثر تعقيداً، لاسيما في ظل ضعف القطاع الزراعي واستمرار الضغط على مستوى المعيشة.

مع نهاية الحرب لم يكن التحدي الذي واجه الاتحاد السوفيتي مقتصراً على إعادة بناء ما دُمّر، بل تمثل أيضاً في إعادة تنظيم الاقتصاد بما يتلاءم مع مرحلة السلم دون التفريط بالقدرة العسكرية التي شكّلت أساس القوة السوفيتية. وفي هذا السياق، برز دور جوزيف ستالين في تحديد الاتجاه العام للسياسة الاقتصادية، اذ اتجهت القيادة السوفيتية إلى الحفاظ على الطابع المركزي للاقتصاد، مع إعادة توجيه الموارد من اقتصاد الحرب إلى اقتصاد إعادة الإعمار، دون إحداث تحول جذري في بنية النظام الاقتصادي[٢١].

واجهت الحكومة السوفيتية مهام إعادة إعمار ضخمة ووضعًا دوليًا معقدًا. ومن أجل مواجهة تلك التحديات، أجرى الاتحاد السوفيتي مجموعة من التعديلات في السياسات الاقتصادية. اذ زادت الحكومة السوفيتية من الاستثمار في التصنيع داخل البلاد بعد الحرب[٢٢].

تجلّى هذا التوجه بوضوح في الخطاب الذي ألقاه ستالين في شباط عام ١٩٤٦، والذي أكد فيه على ضرورة مواصلة تطوير الصناعة الثقيلة بوصفها الركيزة الأساسية لقوة الدولة. ولم يكن هذا الطرح مجرد موقف سياسي، بل شكل أساساً لتوجيه السياسة الاقتصادية في مرحلة ما بعد الحرب، اذ تم التأكيد على أن إعادة الإعمار يجب أن تنطلق من إعادة بناء القاعدة الصناعية، وليس من تحسين مستوى الاستهلاك أو إعادة التوازن بين القطاعات الاقتصادية[٢٣].

وفي ضوء ذلك التوجه، بدأت الدولة بإعادة تنظيم الجهاز الاقتصادي، اذ تم تحويل جزء كبير من المؤسسات الإنتاجية من الطابع العسكري إلى الطابع المدني، مع الحفاظ على القدرة الإنتاجية للصناعات الدفاعية. وهذا تطلّب إعادة توزيع الموارد البشرية، لاسيما مع عودة ملايين الجنود من الجبهة، اذ تم إدماجهم في سوق العمل، ولا سيما في القطاعات الصناعية. وقد شكّلت تلك العملية أحد أهم عناصر إعادة تنظيم الاقتصاد، إذ ساهمت في استعادة جزء من القدرة الإنتاجية التي فُقدت خلال الحرب[٢٤].

شكّلت التكاليف الاقتصادية الناجمة عن الحرب العالمية الثانية عبئًا كبيرًا على الاتحاد السوفيتي، إذ لم تقتصر تلك التكاليف على مدة الحرب، بل امتدت آثارها إلى مرحلة ما بعد الحرب خلال الاعوام ١٩٤٥ و١٩٥٣. وتشير التقديرات إلى أن جزءًا مهمًا من الخسائر الاقتصادية لم يُستوعب خلال سنوات الحرب، بل جرى ترحيله إلى مرحلة إعادة الإعمار، وهو ما يُعرف بـ"التكلفة الممتدة للحرب"[٢٥].

كما أن التكاليف المتبقية أثّرت بشكل مباشر في سياسات إعادة البناء، وفي توجيه الموارد الاقتصادية نحو القطاعات الإنتاجية الأساسية خلال السنوات اللاحقة للحرب. واظهرت التحليلات أن استمرار هذه الأعباء المالية بعد عام ١٩٤٥ كان له دور أساسي في إبطاء عملية التعافي الاقتصادي، الأمر الذي دفع القيادة السوفيتية إلى تبني سياسات اقتصادية مركزية صارمة، ركزت على إعادة بناء الصناعة الثقيلة وتعويض الخسائر البشرية والمادية التي خلفتها الحرب[٢٦]. فضلا عن ذلك، اعتمدت القيادة السوفيتية على سياسة تعبئة الموارد الداخلية، اذ تم توجيه الاستثمارات نحو القطاعات الإنتاجية الأساسية، مع تقليص الإنفاق على السلع الاستهلاكية. وقد عكس ذلك التوجه استمرار النهج الستاليني الذي يربط بين الاقتصاد والأمن القومي، إذ لم يكن الهدف من إعادة الإعمار مجرد تحسين الظروف الاقتصادية، بل بناء اقتصاد قادر على دعم مكانة الاتحاد السوفيتي كقوة عظمى في النظام الدولي[٢٧].

برز دور مؤسسات التخطيط المركزي، وعلى رأسها جهاز التخطيط الحكومي (Gosplan)، الذي تولّى مهمة وضع الخطط الاقتصادية وتحديد أولويات الإنتاج. وساهم في تنظيم عملية إعادة الإعمار، من خلال توزيع الموارد وتوجيهها نحو القطاعات الأكثر أهمية، خاصة الصناعة الثقيلة والطاقة والنقل. إلا أن هذا النظام، رغم فعاليته في تحقيق السيطرة، كان يفتقر إلى المرونة، وهو ما انعكس في ضعف الاستجابة لبعض الاحتياجات الاقتصادية، خاصة في القطاع الزراعي[٢٨].

ارتبطت عملية إعادة تنظيم الاقتصاد بالسياق الدولي، اذ بدأت بوادر التوتر مع الغرب تظهر منذ عام ١٩٤٦، وهو ما دفع القيادة السوفيتية إلى الاستمرار في التركيز على الصناعات الاستراتيجية. وقد ساهم هذا التوجه في تكريس الطابع التعبوي للاقتصاد، حتى في مرحلة السلم، إذ ظل الاقتصاد موجهاً نحو تحقيق أهداف سياسية وعسكرية، إلى جانب أهدافه الاقتصادية[٢٩].

يظهر أن توجهات القيادة السوفيتية في هذه المرحلة لم تسعَ إلى تغيير النموذج الاقتصادي، بل إلى إعادة تفعيله في ظروف جديدة، اذ استمر الاعتماد على التخطيط المركزي، والتركيز على الصناعة الثقيلة، وتعبئة الموارد، وهو ما يعكس استمرارية النهج الاقتصادي الذي تبلور في عهد ستالين قبل الحرب.

ثانيا: إعادة إعمار الاقتصاد السوفيتي في إطار الخطة الخمسية الرابعة والخامسة(١٩٤٦-١٩٥٣)

١- إطلاق الخطة الخمسية الرابعة والتحديات التي واجهتها

مثّل عام ١٩٤٦ نقطة تحول مركزية في مسار إعادة إعمار الاقتصاد السوفيتي، إذ أعلنت القيادة السوفيتية بقيادة جوزيف ستالين عن إطلاق الخطة الخمسية الرابعة (١٩٤٦-١٩٥٠) بوصفها الإطار العام لإعادة بناء الاقتصاد بعد الحرب. وقد جاءت هذه الخطة في سياق اقتصادي شديد التعقيد، اتسم بتدمير واسع للبنية الإنتاجية ونقص حاد في الموارد، الأمر الذي جعل من التخطيط المركزي أداة أساسية لإعادة تنظيم الاقتصاد وتوجيهه نحو أهداف محددة[٣٠].

هدفت الخطة الخمسية الرابعة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف الأساسية، في مقدمتها إعادة مستويات الإنتاج الصناعي إلى ما كانت عليه قبل الحرب، بل وتجاوزها في بعض القطاعات الاستراتيجية. ولذلك، تم إعطاء الأولوية المطلقة للصناعات الثقيلة، مثل الفحم والصلب والطاقة الكهربائية، اذ عدت هذه القطاعات الأساس لإعادة بناء الاقتصاد وتعزيز القوة العسكرية للدولة. أشار عدد من الباحثين إلى أن هذه الخطة لم تهدف إلى إعادة التوازن الاقتصادي، بل إلى إعادة بناء القدرة الصناعية في أقصر وقت ممكن، حتى لو جاء ذلك على حساب الاستهلاك[٣١].

اعتمد تنفيذ الخطة على تعبئة الموارد الداخلية بشكل مكثف، اذ جرى توجيه الاستثمارات نحو إعادة تشغيل المصانع المتضررة، وإعادة بناء البنية التحتية الصناعية، بما في ذلك شبكات النقل والطاقة.

كما تم استخدام التعويضات التي حصل عليها الاتحاد السوفيتي من ألمانيا، والتي شملت نقل معدات صناعية ومنشآت كاملة في دعم عملية إعادة الإعمار. وساهمت هذه الموارد في تسريع عملية إعادة بناء القاعدة الصناعية، رغم محدوديتها مقارنة بحجم الدمار الذي لحق بالاقتصاد[٣٢].

إذا كانت الخطة الخمسية الرابعة قد مثّلت الإطار الرسمي لإعادة الإعمار، فإن السنوات الأولى من تنفيذها كشفت بسرعة أن الطريق إلى التعافي لم يكن سهلاً ولا مستقيماً. فقد واجه الاقتصاد السوفيتي في المدة (١٩٤٦–١٩٤٧) مجموعة مترابطة من الأزمات، في مقدمتها ضعف القطاع الزراعي، واختلال التوازن بين الإنتاج الصناعي والاستهلاك، واستمرار آثار الحرب في النقل والإسكان والعمل. وكانت الدولة قد قررت أن تجعل إعادة بناء الصناعة الثقيلة أولويتها الأولى، الا ان هذا القرار لم يلغِ الحاجة الملحة إلى الغذاء والسلع الأساسية، وهو ما جعل التناقض بين أهداف الخطة وواقع المجتمع السوفيتي أكثر وضوحاً في هذه المرحلة[٣٣].

وعلى الرغم من الطموحات الكبيرة التي حملتها الخطة الخمسية الرابعة، فإن تنفيذها في السنوات الأولى (١٩٤٦–١٩٤٧) واجه تحديات كبيرة، كان أبرزها أزمة الجفاف التي ضربت الاتحاد السوفيتي عام ١٩٤٦، والتي أدت إلى انخفاض حاد في الإنتاج الزراعي، وضعف المحاصيل وإلى تفاقم أزمة التموين في عدد من المناطق السوفيتية التي زادت من معاناة السكان نتيجة نقص المواد الغذائية. وقد كشفت هذه الأزمة عن ضعف القطاع الزراعي، وعدم قدرته على مواكبة الجهود المبذولة في القطاع الصناعي، وهو ما أدى إلى استمرار الاختلال بين القطاعات الاقتصادية. تزامن ذلك مع حالة الإنهاك التي أصابت الريف نتيجة الحرب، اذ كانت الأراضي الزراعية متضررة، والمعدات ناقصة، واليد العاملة أقل عدداً بسبب الخسائر البشرية الهائلة. ونتيجة لهذا التداخل بين الكارثة الطبيعية والضعف البنيوي، تراجع الإنتاج الزراعي وتزايد النقص في المواد الغذائية، الأمر الذي جعل إعادة الإعمار الاقتصادية غير متوازنة منذ بدايتها[٣٤].

جدير بالذكر ان السياسة الاقتصادية السوفيتية خلال المدة ١٩٤٥–١٩٥٣ لم تكن منفصلة عن السياسات الزراعية التي أرساها النظام الستاليني في العقود السابقة، إذ شكّلت سياسة القضاء على الكولاك والتجميع الزراعي الأساس الذي بُني عليه الاقتصاد الزراعي السوفيتي بعد الحرب العالمية الثانية، اذ أدت الإجراءات التي اتخذتها الدولة ضد طبقة الكولاك إلى إنهاء الملكية الزراعية الفردية وإخضاع الريف السوفيتي للسيطرة المركزية للدولة من خلال نظام المزارع الجماعية (الكولخوزات والسوفخوزات). واعتمدت الحكومة السوفيتية عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية على ذلك النظام في تنفيذ خطط إعادة الإعمار وزيادة الإنتاج الزراعي لتأمين الغذاء ودعم التنمية الصناعية، الأمر الذي عزّز استمرار

التخطيط المركزي وهيمنة الدولة على النشاط الاقتصادي. كما ساعدت تلك السياسة القيادة السوفيتية على توجيه الموارد الزراعية لخدمة أهداف التصنيع وإعادة بناء الاقتصاد الذي تضرر بفعل الحرب[٣٥].

يظهر من ذلك أن الدولة، رغم نجاحها النسبي في إعادة تشغيل الصناعة، لم تمتلك الكفاءة نفسها في إعادة التوازن إلى القطاع الزراعي، وهو ما جعل مشكلة الغذاء تستمر بوصفها واحدة من أبرز مظاهر الضعف في الاقتصاد السوفيتي المبكر بعد الحرب[٣٦].

ومن التحديات المهمة أيضاً اختلال النظام النقدي والتجاري في مرحلة ما بعد الحرب، إذ أدت سنوات الحرب إلى توسع الكتلة النقدية، وإلى نشوء فجوة بين الأسعار الرسمية والواقع الفعلي للتبادل، كما اتسعت السوق غير الرسمية نتيجة نقص السلع الأساسية. ولذلك لجأت الحكومة السوفيتية إلى الإصلاح النقدي عام ١٩٤٧، الذي استهدف إعادة ضبط العملة وتقليص آثار التضخم واستعادة السيطرة على السوق. لإعادة فرض الانضباط على الحياة الاقتصادية، لكنه لم يكن علاجاً سحرياً، لأن مشكلات الندرة والاختلال القطاعي ظلت قائمة بعده[٣٧].

يظهر أن الخطة الخمسية الرابعة لم تكن مجرد برنامج اقتصادي لإعادة الإعمار، بل كانت تعبيراً عن استمرار النهج الستاليني في إدارة الاقتصاد، اذ تم ربط عملية إعادة البناء بالأهداف السياسية والاستراتيجية للدولة. فقد استمر التركيز على الصناعة الثقيلة، وتعبئة الموارد، والتخطيط المركزي، بوصفها أدوات أساسية لتحقيق القوة الاقتصادية والعسكرية.

كشفت هذه التحديات عن الطبيعة الحقيقية لأولويات القيادة السوفيتية. فبدلاً من إعادة توزيع الموارد على نحو يحقق توازناً أسرع بين الصناعة والاستهلاك، استمرت الدولة في منح الأفضلية للصناعات الثقيلة، وهو ما عمّق الفجوة بين التحسن في المؤشرات الصناعية وبين استمرار الضيق المعيشي اليومي للسكان. وهذا يعني أن السنوات (١٩٤٥–١٩٤٧) لم تكن فقط سنوات إعادة بناء، بل كانت أيضاً سنوات إعادة تأكيد للنموذج الستاليني نفسه اقتصاد مركزي، تعبوي، يقدّم القوة الإنتاجية الاستراتيجية على حاجات الاستهلاك المباشر[٣٨].

كشفت هذه المرحلة أن الدولة السوفيتية لم تكن تتعامل مع الاقتصاد بوصفه مجالاً مستقلاً عن السياسة، بل كانت تنظر إليه باعتباره أداة من أدوات تثبيت السلطة وتعزيز المكانة الدولية. ولذلك فإن استمرار الأزمات في الغذاء والسكن والنقد لم يدفعها إلى تغيير نموذجها الاقتصادي، بل إلى التشدد أكثر في إدارته. وبهذا المعنى، فإن التحديات الاقتصادية في المدة (١٩٤٦–١٩٤٧) لم تكن مجرد عقبات عابرة، بل كانت اختباراً مبكراً لقدرة النظام السوفيتي على الجمع بين إعادة الإعمار والاستمرار في نهجه المركزي الصارم[٣٩] .

يمكن القول إن التحديات الاقتصادية المبكرة في المدة (١٩٤٦–١٩٤٧) لم تكن هامشية بالنسبة إلى مشروع إعادة الإعمار، بل شكلت الإطار الواقعي الذي تحركت داخله الخطة الخمسية الرابعة. فقد كشفت هذه المرحلة عن قدرة الدولة على فرض الانضباط والتخطيط، لكنها كشفت في الوقت نفسه عن حدود هذا النموذج، خاصة حين يتعلق الأمر بالزراعة والاستهلاك والمرونة الاقتصادية. ومن هنا اكتسبت السنوات اللاحقة أهميتها، لأنها مثّلت مرحلة اختبار لمدى قدرة الاتحاد السوفيتي على تحويل هذا التعافي الأولي إلى نتائج أكثر رسوخاً بحلول عام ١٩٥٠[٤٠].

٢– نتائج الخطة الخمسية الرابعة

أ–القطاع الصناعي

ابتداءً من عام ١٩٤٧ بدأت نتائج الخطة الخمسية الرابعة تظهر بوضوح في القطاع الصناعي، إذ انتقل الاقتصاد السوفيتي من مرحلة إعادة تشغيل المنشآت الأساسية إلى مرحلة أوسع اتسمت بزيادة الطاقة الإنتاجية وارتفاع معدلات النمو في الصناعات الثقيلة، ولم يكن هذا التطور عفوياً، بل جاء نتيجة توجيه الدولة بقيادة ستالين الجزء الأعظم من الموارد نحو القطاعات التي عُدّت أساساً للقوة الاقتصادية والعسكرية، ولا سيما الفحم والحديد والصلب والطاقة الكهربائية والصناعات الهندسية[٤١].

أسهمت عدة عوامل في هذا التعافي الصناعي السريع، في مقدمتها استئناف العمل في المصانع التي أُجلِيت أو تضررت خلال الحرب، وإعادة تنظيم القوى العاملة، واستثمار البنية التخطيطية التي كانت الدولة قد راكمتها منذ الثلاثينيات. وعاد الاقتصاد السوفيتي بعد الحرب سريعاً إلى "صورته السابقة" من حيث التعبئة السياسية والاقتصادية، وأن هذا التعافي لم يكن منفصلاً عن بقاء النظام المركزي الصارم، بل تم في ظل تجدد الضبط الإداري وتأكيد أولوية الدولة في توجيه الإنتاج. وهذا يعني أن الانتعاش الصناعي بين ١٩٤٧ و١٩٥٠ لم يكن ثمرة انفتاح اقتصادي، وإنما جاء عبر إعادة تفعيل آليات التخطيط والتعبئة والإلزام التي كانت قد طُورت قبل الحرب وخلالها[٤٢].

مثل القطاع الصناعي المجال الذي حققت فيه الخطة الخمسية الرابعة أبرز نتائجها، اذ تمكنت الصناعة السوفيتية من إنجاز أهداف الخطة الأولى بعد الحرب قبل موعدها، وأن الناتج الصناعي عام ١٩٥٠ أصبح أعلى من مستواه عام ١٩٤٠ بنسبة تقارب ٧٣%، بينما زاد إنتاج الصناعة الثقيلة بأكثر من مرتين قياساً بآخر سنة قبل الحرب. وكشفت هذه الارقام أن الاتجاه العام للخطة لم يكن مجرد ترميم الأضرار، بل إعادة تأسيس قاعدة إنتاجية أوسع وأكثر كثافة من تلك التي كانت قائمة قبل ١٩٤١[٤٣].

وتتأكد هذه الصورة حين ننتقل من المؤشرات العامة إلى بنية الإنجاز الصناعي نفسه. فقد تم خلال سنوات الخطة إعادة بناء وتشغيل آلاف المنشآت الصناعية، وتذكر الدراسة نفسها أن ما يزيد على ٦٠٠٠ منشأة صناعية أُعيد بناؤها أو إنشاؤها أو وضعها في الخدمة بين عامي ١٩٤٦ و١٩٥٠، من

دون احتساب المشروعات الصغيرة التابعة للدولة أو التعاونيات أو المزارع الجماعية. وتكشف هذه المعطيات عن أن السياسة الصناعية السوفيتية لم تكن تكتفي بإعادة ما دُمّر، بل كانت توسع الشبكة الإنتاجية نفسها. كما أن هذا الإنجاز يفسر كيف أصبح القطاع الصناعي أكثر قدرة على استيعاب أهداف سياسية واقتصادية أوسع مع بداية الخمسينيات(٤٤).

وفي وسط هذا النجاح الصناعي برز قطاع الصناعات الهندسية بوصفه المجال الذي يعكس انتقال الاقتصاد من التعافي البسيط إلى التوسع البنيوي. اذ تمكنت الصناعة الهندسية خلال الخطة الرابعة من استيعاب وتطوير مدى واسع من المنتجات الجديدة، إذ جرى إتقان إنتاج نحو ٢٥٠ نوعاً جديداً من آلات القطع المعدنية ذات الاستعمال العام، وأكثر من ١٠٠٠ نوع من الآلات الخاصة والوحدات المعيارية، و٢٣ نوعاً من الآلات الأوتوماتيكية وشبه الأوتوماتيكية، فضلاً عن ٣٤ نوعاً من آلات الطرق والكبس الأوتوماتيكية، إلى جانب تطوير معدات جديدة للصب والتشكيل(٤٥).

وتُظهر هذه الأرقام أن التصنيع لم يكن مجرد زيادة كمية في الإنتاج، بل كان أيضاً توسيعاً في التنوع الفني والتقني لوسائل الإنتاج، وهو ما منح الاقتصاد السوفيتي قدرة أكبر على إعادة تجهيز القطاعات الأخرى.

ومن الناحية السياسية، تعكس هذه النتائج بوضوح استمرار التفضيل الستاليني التقليدي للصناعة الثقيلة على غيرها من القطاعات. فقد جعل ستالين في خطابه الشهير في التاسع من شباط عام ١٩٤٦ إعادة بناء الصناعة هدفاً يتجاوز المسألة الاقتصادية الضيقة، وربطه بأمن الدولة في مواجهة كل أنواع الأخطار الدولية المحتملة. وقد استُهدف في هذا الإطار رفع إنتاج الحديد الخام إلى ٥٠ مليون طن، والصلب إلى ٦٠ مليون طن، والفحم إلى ٥٠٠ مليون طن، والنفط إلى ٦٠ مليون طن سنوياً، وهو ما يوضح أن التفكير الصناعي الرسمي كان ينظر إلى إعادة الإعمار بوصفها تأسيساً جديداً لاقتصاد قوة قائمة على الصناعة الثقيلة، لا مجرد استعادة لمستويات الانتاج التي سبقت الحرب(٤٦).

وإذا كان هذا التوجه قد منح الاقتصاد السوفيتي قدرة واضحة على استعادة قوته الإنتاجية، فإنه يكشف أيضاً طبيعة النتيجة التي حققتها الخطة في الصناعة تحديداً، فقد تعافى القطاع الصناعي لأنه كان أول المستفيدين من الاستثمار والمواد والطاقة والعمل المنظم، ولأنه كان محل إجماع سياسي داخل القيادة. ومن هنا فإن نجاح الصناعة في هذه المرحلة لا يمكن فصله عن طبيعة النموذج السوفيتي نفسه، الذي كان يمنح الأولوية لوسائل الإنتاج ولما عُرف لاحقاً بالقطاع **"A"**. وقد أدى ذلك إلى نشوء تعافٍ صناعي قوي نسبياً، لكنه غير متوازن، لأن القطاعات الأخرى، وبخاصة الزراعة والسلع الاستهلاكية، لم تحظَ بالدرجة نفسها من العناية(٤٧).

وبذلك يمكن القول إن نتائج تنفيذ الخطة الخمسية الرابعة في القطاع الصناعي بين ١٩٤٧ و١٩٥٠ كانت أبرز وجوه نجاح إعادة الإعمار السوفيتية. فقد استعادت الصناعة السوفيتية قدرتها على الإنتاج بمستوى عالٍ، وحققت زيادة كبيرة على مستوى ١٩٤٠، وتوسعت في عدد المنشآت وفي تنوع الإنتاج الهندسي وترسخ من خلالها منطق الدولة الصناعية المركزية. غير أن هذا النجاح، على أهميته، حمل في داخله بذور الاختلال اللاحق، لأنه كُوِّن على أساس تفضيل الصناعة الثقيلة والتقنية الاستراتيجية، لا على أساس توازن شامل بين فروع الاقتصاد المختلفة(٤٨).

ب- محدودية التعافي في القطاع الزراعي

إذا كانت الصناعة قد حققت بين عامي ١٩٤٧ و١٩٥٠ تعافياً سريعاً نسبياً في إطار الخطة الخمسية الرابعة، فإن القطاع الزراعي لم يُظهر المستوى نفسه من الاستجابة، بل ظل الحلقة الأضعف في الاقتصاد السوفيتي خلال تلك المرحلة. ويعود ذلك إلى أن الريف خرج من الحرب في وضع شديد التدهور نقص في اليد العاملة بسبب الخسائر البشرية، تراجع في أعداد الماشية، دمار في الأبنية والآلات الزراعية، واضطراب في شبكات النقل والتوزيع. وقد جعلت تلك العوامل من إعادة تشغيل الزراعة عملية أبطأ بكثير من إعادة تشغيل الصناعة، ولا سيما أن الزراعة السوفيتية كانت قد دخلت الحرب أصلاً وهي تعاني من آثار بعيدة لسياسة التجميع القسري والتوسع في المزارع الجماعية(٤٩).

زادت أزمة الجفاف عام ١٩٤٦ من تعقيد هذا الوضع، لأن آثارها لم تتوقف عند حدود سنة وقوعها، بل امتدت إلى السنوات التالية، وأصبحت أحد المحددات الأساسية لمسار الزراعة السوفيتية في المدة ١٩٤٧–١٩٥٠. اذ أدى ضعف المحصول إلى تفاقم نقص الغذاء، وقلّص قدرة الدولة على تموين المدن والمناطق الصناعية بالمستوى المطلوب(٥٠)، اذ لم تستطع المزارع الجماعية ومزارع الدولة أن توفر الحوافز الكافية لرفع الإنتاج بسرعة، بخلاف ما كانت الدولة تأمله. فالنظام الزراعي ظل خاضعاً لإدارة مركزية صارمة، بينما بقي الفلاح يفتقر إلى القدرة على التصرف الحر بالإنتاج أو توسيع المبادرة الفردية. ما انعكس ذلك في بطء تحسن الإنتاج، وفي اتساع الفجوة بين حاجات السكان الفعلية وبين ما يستطيع النظام الجماعي توفيره. بهذا المعنى، فإن السنوات التالية للجفاف لم تكن سنوات "تعافٍ زراعي" بالمعنى الدقيق، بل كانت سنوات محاولة مستمرة لتجاوز أزمة بنيوية تفاقمت بفعل كارثة مناخية كبرى(٥١).

بذلك يمكن القول إن عدم توازن التنمية كان السمة البنيوية الأبرز للاقتصاد السوفيتي في هذه المرحلة: صناعة تتقدم بسرعة، وزراعة تتعثر، واستهلاك يتراجع إلى المرتبة الثانية، واقتصاد لا يزال مشدوداً إلى أولويات القوة أكثر من أولويات الرفاه. وهذه السمة ليست تفصيلاً ثانوياً، بل هي مفتاح لفهم ما سيأتي لاحقاً، لأن كثيراً من نجاحات أواخر الأربعينيات كانت تحمل في داخلها عناصر الضعف التي ستستمر في الاقتصاد السوفيتي لسنوات طويلة(٥٢).

٣- السياسة الاقتصادية في إطار الخطة الخمسية الخامسة

شكل عام ١٩٥١ بداية مرحلة جديدة في السياسة الاقتصادية السوفيتية، إذ تم الانتقال من منطق تثبيت نتائج إعادة الإعمار إلى منطق توسيع القدرة الاقتصادية للدولة في إطار الخطة الخمسية الخامسة (١٩٥١-١٩٥٥). ولم تكن هذه الخطة مجرد امتداد فني للخطة الرابعة، بل جاءت في سياق داخلي ودولي مختلف، اتسم من جهة بتعافي الصناعة السوفيتية بدرجة مكّنت القيادة من الانتقال إلى أهداف أوسع، ومن جهة أخرى بتصاعد الحرب الباردة واندلاع الحرب الكورية عام ١٩٥٠، وهو ما أعاد التأكيد على ضرورة بقاء الاقتصاد السوفيتي اقتصاداً موجهاً نحو القوة، لا نحو الاستهلاك. ولذلك دخل الاتحاد السوفيتي هذه الخطة وهو يحمل تصوّراً واضحاً مفاده أن النجاحات الصناعية التي أُنجزت حتى ١٩٥٠ ينبغي أن تتحول إلى قاعدة لتوسيع التفوق في القطاعات الاستراتيجية، ولا سيما الصناعة الثقيلة والطاقة والنقل والصناعات الهندسية(٥٣).

استندت الخطة الخمسية الخامسة إلى منطق مشابه في جوهره لمنطق الخطط السابقة، لكنها جاءت أكثر وضوحاً في ربطها بين التنمية الاقتصادية والاستعداد السياسي والعسكري الطويل الأمد. فالأولوية بقيت للصناعة الثقيلة، لا لأن الاقتصاد السوفيتي لم يتجاوز بعد اختلالاته الداخلية فحسب، بل لأن القيادة السوفيتية كانت ترى أن التنافس مع الغرب، لاسيما مع الولايات المتحدة الامريكية، لا يمكن أن يُخاض بنجاح إلا إذا امتلك الاتحاد السوفيتي قاعدة صناعية وطاقة إنتاجية قادرتين على دعم الدولة في كل الظروف. ومن هنا، فإن الخطة الخامسة لم تُصغ بوصفها خطة تحسين مستوى معيشة المجتمع أولاً، بل بوصفها خطة توسيع للقوة الاقتصادية المادية للدولة(٥٤).

ركزت الخطة الخامسة على عدد من المجالات الأساسية، زيادة إنتاج الفحم والصلب والنفط والطاقة الكهربائية، توسيع الصناعات الهندسية، تطوير وسائل النقل، وتعزيز القاعدة التقنية للإنتاج. ولم تكن هذه الأهداف منفصلة عن التجربة السابقة، بل كانت مبنية على ما تحقق خلال الخطة الرابعة، ولكنها هدفت هذه المرة إلى الانتقال من استعادة الطاقة الإنتاجية إلى رفعها ورفع كفاءتها. ولهذا استمرت الدولة في توجيه نسبة كبيرة من الاستثمارات إلى القطاعات المنتجة لوسائل الإنتاج، أي إلى القطاع الذي يُنتج الآلات والمعدات والطاقة والبنية التحتية للصناعة، بينما بقي قطاع السلع الاستهلاكية في موقع ثانوي نسبياً(٥٥).

كما ارتبطت الخطة الخامسة باستمرار العمل من خلال جهاز التخطيط المركزي وأجهزة الدولة الاقتصادية، اذ ظل Gosplan الأداة الرئيسة في تحديد الأهداف الكمية وتوزيع الموارد وتوجيه القطاعات المختلفة. وفي هذه المرحلة لم يكن دور التخطيط هو مجرد ترميم الاقتصاد، بل تنظيم نموه وفق أولويات

الدولة الستالينية، وهو ما منح الخطة طابعاً أكثر انتظاماً من الخطط الأولى بعد الحرب، لكنه كرّس أيضاً ازدياد البيروقراطية الاقتصادية(٥٦).

ومن الناحية العملية، ساعدت المعطيات التي تحققت حتى عام ١٩٥٠ على منح الخطة الخامسة قاعدة انطلاق أقوى مما كان متاحاً للخطة الرابعة في بدايتها. فقد كان القطاع الصناعي قد استعاد جانباً كبيراً من قدرته، وأصبحت الدولة أكثر قدرة على الانتقال من إعادة تشغيل المصانع إلى توسيع الإنتاج وتحديثه. وتبرز هنا أهمية قطاع الصناعات الهندسية، الذي كان قد شهد في أواخر الخطة الرابعة توسعاً نوعياً في إنتاج الآلات والتجهيزات، وهو ما أتاح للخطة الخامسة أن تعتمد بدرجة أكبر على قاعدة إنتاج محلية في التوسع الصناعي، بدلاً من الاعتماد الحصري على التعويضات أو إعادة تشغيل المنشآت القديمة(٥٧).

إلا أن هذا الطابع الصناعي القوي للخطة الخامسة لم يكن محايداً من الناحية الاجتماعية. فمثلما حدث في الخطط السابقة، ظل التركيز على القطاعات الأساسية والاستراتيجية يتم على حساب تحسين البنية الاستهلاكية للاقتصاد. ولهذا لم يكن من المستغرب أن تستمر المشكلات المرتبطة بالسلع الاستهلاكية وبضعف التوازن بين الصناعة والزراعة. ومع أن مستويات الأجور شهدت في مطلع الخمسينيات قدراً من التحسن، فإن ذلك لم يُلغِ حقيقة أن النموذج الاقتصادي كان لا يزال موجهاً نحو تراكم القدرة الإنتاجية للدولة لا نحو إعادة توزيع ثمار النمو بصورة واسعة داخل المجتمع(٥٨).

نتائجها

ساهمت الخطة في توسيع الطابع الدولي للاقتصاد السوفيتي، لأن نجاح الصناعة السوفيتية وتماسكها النسبي أصبحا شرطاً ضرورياً لاستمرار الدور السوفيتي في أوروبا الشرقية وفي الكتلة الاشتراكية الناشئة. ومن هنا فإن الخطة الخامسة لم تخدم فقط البناء الداخلي، بل دعمت كذلك الموقع الذي كانت موسكو تريد ترسيخه داخل العالم الاشتراكي، وهو ما سيظهر بوضوح أكبر في أثر السياسة الاقتصادية على العلاقات الدولية(٥٩).

لم تنجح الخطة الخامسة في تجاوز التناقضات البنيوية التي كان الاقتصاد السوفيتي يحملها من المراحل السابقة، بل أجّلتها أو أعادت إنتاجها في صورة جديدة. فقد استمرت الزراعة في موقع أضعف من الصناعة، واستمر الاستهلاك في موقع أقل من الإنتاج الثقيل، وظل الاقتصاد موجهاً أكثر نحو التوسع الاستراتيجي منه نحو التوازن الاجتماعي(٦٠).

بذلك يمكن القول إن السياسة الاقتصادية في إطار الخطة الخمسية الخامسة مثّلت ذروة تطور الاقتصاد الستاليني بعد الحرب، فهي مرحلة استندت إلى ما تحقق في إعادة الإعمار، لكنها تجاوزته إلى مستوى ترسيخ اقتصاد القوة والتوسع المنظم. مع ذلك فإن أهمية هذه الخطة لا تكمن فقط في أهدافها

ونتائجها الأولية، بل أيضاً في أنها تكشف الحد الذي بلغته الدولة السوفيتية في تثبيت نموذجها الاقتصادي قبيل وفاة ستالين عام ١٩٥٣: نموذج قوي، مركزي، صناعي، لكن غير متوازن بنيوياً.

المبحث الثالث: انعكاسات الاستراتيجية الاقتصادية السوفيتية على الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية(١٩٤٥-١٩٥٣)

اولا: الاوضاع الاقتصادية (التحول من إعادة الإعمار إلى تثبيت النموذج الاقتصادي السوفيتي)

بلغت السياسة الاقتصادية السوفيتية خلال المدة (١٩٤٥- ١٩٥٣) مرحلة يمكن فيها تلمّس حصيلتها الداخلية بصورة أوضح من السنوات السابقة، إذ لم يعد الأمر متعلقاً فقط بإعلان خطط أو إطلاق مشاريع، بل بظهور نتائج تراكمية مست الاقتصاد والمجتمع معاً[٦١]. اذ تجاوزت السياسة الاقتصادية السوفيتية المرحلة الأولى من إعادة تشغيل الاقتصاد بعد الخراب الذي خلّفته الحرب العالمية الثانية، وانتقلت إلى طور جديد لم يعد هدفه الرئيس مجرد ترميم ما دُمّر، بل تثبيت نموذج اقتصادي بعينه وترسيخه بوصفه أساساً دائماً للدولة السوفيتية. ففي هذه المرحلة لم تعد القيادة السوفيتية تتعامل مع الاقتصاد بمنطق الطوارئ وحده، بل بمنطق بناء القدرة الطويلة الأمد، أي تحويل نتائج الإعمار الصناعي إلى قاعدة مستقرة تضمن استمرار قوة الدولة في الداخل والخارج[٦٢].

وهذا يعني أن عام ١٩٥٠ لم تكن خاتمة لمرحلة التعافي فقط، بل لحظة سياسية اقتصادية جرى فيها تثبيت الخيار الستاليني من جديد، وتأكيد أن نجاح إعادة الإعمار الصناعي يبرر استمرار الدولة في منح الصناعات الأساسية والتقنية والاستراتيجية مكانة أعلى من الزراعة والسلع الاستهلاكية[٦٣].

إن أهمية هذه المرحلة الجديدة تكمن في أن تلك النتائج لم تُقدَّم رسمياً باعتبارها نهاية أزمة الحرب فقط، بل باعتبارها بداية لاستقرار اقتصادي جديد تقوده الدولة. فالمؤشرات الصناعية التي ارتفعت حتى تجاوز بعضها مستويات ١٩٤٠ لم تُستخدم في الخطاب الرسمي بوصفها أرقام تعافٍ فقط، بل بوصفها برهاناً على قدرة الاقتصاد الاشتراكي المخطط على تحقيق ما عجزت عنه الأنظمة الرأسمالية في نظر القيادة السوفيتية[٦٤].

ووفقًا للإحصاءات الرسمية، بلغ إجمالي استثمارات الاتحاد السوفيتي ٣٤,٨٨ مليار روبل خلال الخطة الخمسية الرابعة (١٩٤٦-١٩٥٠)، و٦٧,١٨ مليار روبل خلال الخطة الخمسية الخامسة (١٩٥١-١٩٥٥). ومن حيث نسب الاستثمار، فقد استحوذت الصناعة على ٣٨,٦%، والزراعة على ١١,٨%، والنقل والبريد والاتصالات على ١٢,٨%، وبناء المساكن على ١٩,٤% خلال الخطة الخمسية الرابعة. أما خلال الخطة الخمسية الخامسة، فقد بلغت نسبة الصناعة ٤١%، والزراعة ١٤,٢%، والنقل ٩,٧%، والإسكان ١٩,٨%[٦٥].

وكانت الاستثمارات السوفيتية في البناء الرأسمالي موجهة أساسًا إلى قطاع الإنتاج المادي. ووفقًا لعدد المؤسسات التي تم إنشاؤها وتسليمها خلال الخطة الخمسية، فقد شهدت الخطة الخمسية الرابعة (١٩٤٦–١٩٥٠) إنشاء ٦٢٠٠ مؤسسة، وهو أعلى رقم في تاريخ الاتحاد السوفيتي. وخلال الخطة الخمسية الرابعة (١٩٤٦–١٩٥٠) والخطة الخمسية الخامسة (١٩٥١–١٩٥٥)، بلغ مؤشر نمو الناتج الصناعي الإجمالي ١٨٩% و١٨٥% على التوالي. ويرجع ذلك بشكل رئيسي إلى الدعم القوي الذي قدمته الحكومة للصناعات الثقيلة، مثل الصلب والفحم والآلات وغيرها من الصناعات. كما قامت الحكومة السوفيتية بزيادة الاهتمام بالصناعة العسكرية من أجل مواجهة حالة عدم اليقين في الوضع الدولي[٦٦].

فضلا عن ذلك، اتجه التخطيط إلى تعزيز الانضباط الإنتاجي، وإعادة ترتيب الاستثمارات، وربط الأداء الصناعي بأهداف أوسع من مجرد ترميم المصانع. وهذا ما منح الاقتصاد السوفيتي قدراً من الاستقرار المؤسسي في الظاهر، لكنه في الوقت نفسه كرّس الطبيعة البيروقراطية للنظام الاقتصادي، وجعل قدرته على التكيف مع الاختلالات أقل من قدرته على فرض الأهداف الكمية[٦٧].

يظهر بوضوح أن المرحلة التي انتهت بوفاة ستالين في ٥ آذار عام ١٩٥٣، كانت قد رسخت ملامح نموذج اقتصادي خاص قائم على الاستقلال الاقتصادي والتخطيط المركزي، قوامه مركزية الدولة، أولوية الصناعة الثقيلة، تراجع في القطاع الزراعي، وضعف التوازن بين النمو الاقتصادي والرفاه الاجتماعي. ولم يكن هذا النموذج مجرد نتيجة عفوية للظروف، بل نتاجاً مباشراً لخيارات سياسية واقتصادية متراكمة. ولهذا فإن وفاته لم تمثل نهاية حياة زعيم فحسب، بل نهاية مرحلة اقتصادية كاملة، لأن من خلفوه واجهوا اقتصاداً قوياً في بعض أسسه، لكنه مثقل في الوقت نفسه بتناقضات داخلية ستدفعهم لاحقاً إلى محاولة المراجعة أو التعديل[٦٨].

ارتبط مفهوم الاستقلال الاقتصادي أساساً بالتصنيع السريع والتخلص من التبعية التقنية للغرب، وأصبح بعد الحرب مرتبطاً أيضاً ببناء قدرة اقتصادية تمكّن الاتحاد السوفيتي من خوض الصراع الدولي الطويل من موقع الندّية. ولهذا لم تُنظر إلى الصناعات الثقيلة والطاقة والنقل والصناعات الهندسية كمجرد قطاعات إنتاجية، بل بوصفها أدوات سيادة[٦٩].

وفي مقابل هذا الاستقرار النسبي في الصناعة والتنظيم، بقيت نقاط الضعف القديمة من دون حل جذري، ولا سيما في الزراعة وقطاع السلع الاستهلاكية. فالقيادة السوفيتية لم تتجه في عامي١٩٥٠–١٩٥١ إلى إعادة توزيع واسعة للموارد من الصناعة إلى الريف، كما لم تُعِد النظر في بنية الزراعة الجماعية أو في أولوية الإنتاج الثقيل. ولذلك استمر الاقتصاد السوفيتي يدخل هذه المرحلة الجديدة وهو

يحمل داخله اختلالاً واضحاً قطاع صناعي أكثر صلابة، وقطاع زراعي لا يزال متعثراً، وسوق استهلاكية عاجزة عن عكس التقدم الإنتاجي الكلي(٧٠).

يلاحظ إن التحول من إعادة الإعمار إلى تثبيت النموذج الاقتصادي السوفيتي لم يكن انتقالاً زمنياً بسيطاً، بل تحوّلاً في طبيعة الوظيفة التي أُنيطت بالاقتصاد نفسه. وإن تثبيت النموذج الاقتصادي السوفيتي كان تثبيتاً لنقاط قوته بقدر ما كان تثبيتاً لنقاط ضعفه أيضاً.

ثانيا: الاوضاع الاجتماعية

كانت أهم نتيجة قد تحققت بحلول هذه المرحلة هي استقرار القاعدة الصناعية التي أعادت الدولة بناءها بعد الحرب، ولا سيما في القطاعات الثقيلة والهندسية والطاقة. ومع أن هذا التطور كان واضحاً في الصناعة، فإنه لم يُترجم إلى توازن شامل داخل الاقتصاد، لأن الزراعة لم تستعد موقعاً مماثلاً، وظل قطاع السلع الاستهلاكية أقل نمواً من القطاعات الأساسية. وبذلك ظهر الاقتصاد السوفيتي في مطلع الخمسينيات بوصفه اقتصاداً قوياً في بنيته الصناعية، لكنه هشّ نسبياً في بنيته الزراعية والاجتماعية(٧١). فلم تتمكن الدولة حتى ١٩٥٣ من الوصول إلى حل جذري لمحدودية الإنتاج الزراعي أو لضعف فاعلية المزارع الجماعية مقارنة بالطموحات الرسمية(٧٢).

انعكس هذا الوضع على مستوى المعيشة بصورة مباشرة. فبحسب ما أورده آلان تود، شهدت المرحلة الممتدة من أواخر الأربعينيات إلى أوائل الخمسينيات تحسناً تدريجياً في الأجور، حتى إن مستويات الأجور بحلول عام ١٩٥٢ أصبحت أعلى من مستويات ما قبل الحرب. إلا أن هذا التحسن لا يعني أن المجتمع السوفيتي دخل مرحلة رخاء حقيقي، لأن ارتفاع الأجور الاسمية لم يكن مصحوباً بوفرة كافية في السلع الاستهلاكية أو بتوازن مناسب في العرض الداخلي. ولذلك بقيت حياة المواطن السوفيتي اليومية محكومة بضيق نسبي في الاستهلاك، خاصة في ظل استمرار ضعف الإنتاج الزراعي ومحدودية تنوع السوق الداخلية(٧٣).

بذلك يمكن القول نجح الاقتصاد السوفيتي في تثبيت قاعدة صناعية قوية، وتعزيز الاستقرار المؤسسي للاقتصاد، ورفع الأجور نسبياً، والحفاظ على موقع الاتحاد السوفيتي بوصفه دولة كبرى. لكن بالمقابل استمرت أزمات الزراعة والسكن، وبقي المجتمع يعيش نتائج غير متوازنة، تعطي الأولوية لقدرة الدولة على التوسع والقوة أكثر مما تعطي الأولوية لتحسين شروط الحياة الاجتماعية(٧٤).

الاوضاع السياسية

أن هذه المرحلة لم تكن منفصلة عن التحولات الدولية المتسارعة. فمع بدايات الحرب الباردة بصورة أوضح بعد ١٩٤٧، ثم اتساع التوتر الدولي مع نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات(٧٥)، أدت السياسة الاقتصادية السوفيتية إلى تعميق الانقسام مع الدول الرأسمالية، لاسيما بعد رفض مشروع

مارشال[٧٦](Marshall Plan) في حزيران عام ١٩٤٧ لإعادة إعمار أوروبا الغربية[٧٧]، مما ساهم في ترسيخ نظام دولي قائم على القطبية الثنائية والانقسام الاقتصادي بين الشرق والغرب لأنها أسهمت في بناء الكتلة الشرقية من خلال ربط اقتصادات دول أوروبا الشرقية بالاقتصاد السوفيتي، ومن أبرز المحطات المؤسسية في هذا المسار تأسيس مجلس التعاون الاقتصادي المتبادل (Council for Mutual Economic Assistance – CMEA/COMECON) في عام ١٩٤٩، الذي ضم في بداياته الاتحاد السوفيتي وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا وبولندا ورومانيا. وقد مثّل هذا المجلس نقلة مهمة من العلاقات الثنائية المتفرقة إلى إطار اقتصادي أوسع داخل المعسكر الاشتراكي. مع أن المجلس لم يحقق تكاملاً اقتصادياً كاملاً منذ البداية، فإنه كرّس من حيث المبدأ وجود منظمة اقتصادية شرقية تقف في مواجهة البنية الغربية الناشئة. وهنا انتقل الاقتصاد السوفيتي من كونه أداة نفوذ في كل دولة على حدة إلى أداة لبناء كتلة اقتصادية إقليمية كاملة[٧٨].

ففي مواجهة الانفتاح الاقتصادي الغربي المقترح على أوروبا، عمل الاتحاد السوفيتي على منع دول أوروبا الشرقية من الاندماج في المشروع الأمريكي، ودفعها بدلاً من ذلك إلى مزيد من الارتباط الاقتصادي به. من هنا أخذت السياسة الاقتصادية السوفيتية تؤدي وظيفة دفاعية وهجومية معاً دفاعية لأنها تمنع اختراق المجال الشرقي من قبل الغرب، وهجومية لأنها تبني مجالاً اقتصادياً موازياً يعزز موقع موسكو في القارة. وعُرفت هذه السياسة في بعض الأدبيات الغربية باسم خطة مولوتوف[٧٩] " Molotov Plan" بوصفها الرد السوفيتي غير الرسمي على خطة مارشال[٨٠].

من الناحية السياسية، أسهم هذا الارتباط الاقتصادي في تدعيم السيطرة السوفيتية على الأنظمة المحلية، لأن التبعية الاقتصادية كانت تعني بالضرورة تضييق مساحة القرار الوطني المستقل. فلم تعد الحكومات في وارسو أو بودابست أو صوفيا أو بوخارست تتعامل مع الاقتصاد بوصفه مجالاً داخلياً صرفاً بل بوصفه جزءاً من منظومة شرقية أوسع تقرر موسكو اتجاهاتها الكبرى. بذلك أصبح الاقتصاد أداة لربط الدولة التابعة بمركز القوة السوفيتي وأحد أكثر الأبعاد العملية لقيام الكتلة الشرقية في أوروبا[٨١].

ارتبط هذا التوجه أيضاً بدور جوزيف ستالين نفسه، إذ ظل الاقتصاد في هذه المرحلة مجالاً من مجالات القيادة السياسية العليا، لا مجرد شأن إداري تتولاه الأجهزة المختصة. فقد ظل ستالين ينظر إلى الصناعة الثقيلة بوصفها الأساس الذي يضمن أمن الدولة السياسي، واستمر تأثيره المباشر في رسم الأولويات الكبرى، سواء على مستوى التوسع الصناعي أو على مستوى إبقاء القطاعات الاستراتيجية تحت رقابة الدولة الشديدة. ومن هنا فإن الانتقال إلى تثبيت النموذج الاقتصادي لم يكن انتقالاً تقنياً، بل

قراراً سياسياً يعكس إرادة استمرار الدولة الستالينية في إدارة الاقتصاد باعتباره أداة قوة ونفوذ واستعداد دائم، لا مجرد جهاز لإنتاج الثروة وتحسين الاستهلاك[٨٢].

لم يكن هذا الربط الاقتصادي وليد قرارات عامة فقط، بل تُرجم عملياً عبر اتفاقات ثنائية للتجارة والمدفوعات والتعاون الاقتصادي أُبرمت بين الاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية منذ ١٩٤٥–١٩٤٧، وكان يشرف على جانب مهم من هذا التوجه فياتشيسلاف مولوتوف[٨٣](Vyacheslav Molotov) بوصفه وزير الخارجية وأحد أبرز منفذي خط ستالين السياسي والاقتصادي. واتجهت هذه الاتفاقات إلى تنظيم التبادل على أساس يخدم حاجات المركز السوفيتي، بحيث تُرسل هذه الدول المواد الخام والمنتجات الزراعية وبعض السلع الوسيطة، بينما تحصل من موسكو على الآلات والمعدات ومنتجات الصناعة الثقيلة. وبهذا لم تعد التجارة مجرد تبادل متكافئ، بل أصبحت أداة لإعادة تشكيل البنية الاقتصادية داخل أوروبا الشرقية على نحو يرسّخ التبعية للمركز السوفيتي[٨٤]. فقد شجّعت موسكو، اعتماد التخطيط المركزي، وتوسيع ملكية الدولة، وإعطاء الأولوية للصناعة الثقيلة، وهو ما جعل هذه الدول تعيد تشكيل اقتصاداتها وفق النموذج السوفيتي[٨٥].

لذلك فإن وفاة ستالين لم تمثل نهاية حكم سياسي فحسب، بل نهاية مرحلة كان الاقتصاد فيها أحد أهم ميادين الصراع الدولي، وأحد الأعمدة التي استندت إليها الحرب الباردة في سنواتها الأولى[٨٦].

الخاتمة

يتضح من خلال دراسة الاستراتيجية الاقتصادية للاتحاد السوفيتي خلال المدة (١٩٤٥–١٩٥٣)، أنها مثّلت محوراً أساسياً في فهم طبيعة التحولات التي شهدها الاتحاد السوفيتي بعد الحرب العالمية الثانية، سواء على المستوى الداخلي أم على مستوى العلاقات الدولية.

تبين في ختام هذا البحث أن الاستراتيجية الاقتصادية للاتحاد السوفيتي ، شكّلت مرحلة حاسمة في تاريخ الاقتصاد السوفيتي، إذ سعت القيادة السوفيتية إلى تجاوز آثار الحرب العالمية الثانية عبر اعتماد سياسة التخطيط المركزي وإعادة الإعمار الشامل. وتمكنت الدولة من إعادة بناء القاعدة الصناعية واستعادة قدراتها الإنتاجية خلال مدة زمنية قصيرة نسبياً، مستفيدة من الإمكانات البشرية والموارد الاقتصادية التي وُجّهت نحو دعم الصناعات الثقيلة والعسكرية.

أسهمت سياسات التخطيط المركزي في تحقيق معدلات نمو صناعي مرتفعة خلال أواخر الأربعينيات وبداية الخمسينيات، إذ تمكن الاتحاد السوفيتي من استعادة قدراته الإنتاجية بسرعة نسبية مقارنة بحجم الدمار الذي خلفته الحرب. مع ذلك، واجه الاقتصاد السوفيتي العديد من التحديات، من أبرزها انخفاض مستوى المعيشة، وقلة الاهتمام بالسلع الاستهلاكية، والاعتماد المفرط على الصناعات الثقيلة والعسكرية.

ساعدت هذه السياسة في تعزيز النفوذ السوفيتي داخل دول أوروبا الشرقية عبر ربط اقتصاداتها بالنظام الاقتصادي الاشتراكي السوفيتي. الأمر الذي عزز مكانة الاتحاد السوفيتي كقوة دولية كبرى في مرحلة ما بعد الحرب.

أظهرت الدراسة أن الخطة الخمسية الرابعة والخامسة، شكّلت الأساس في إعادة تشغيل الاقتصاد السوفيتي، لا سيما في القطاع الصناعي، إذ استطاعت الدولة تحقيق تقدم ملحوظ في استعادة القدرة الإنتاجية، لاسيما في الصناعات الثقيلة والطاقة والنقل. غير أن هذا التقدم لم يكن متوازناً، اذ عانى الاقتصاد السوفيتي في أواخر الأربعينيات من اختلال هيكلي واضح، تمثل أساساً في تفوق الصناعة الثقيلة على الزراعة، ولم يكن هذا الاختلال عارضاً، بل كان نتيجة مباشرة لطبيعة النموذج الاقتصادي السوفيتي، وهذا ما جعل الصناعة الثقيلة المعيار الأول للنجاح الاقتصادي.

خلاصة القول، لم تكن السياسة الاقتصادية السوفيتية خلال المدة (١٩٤٥–١٩٥٣) مجرد سياسة تنموية داخلية تستهدف رفع الإنتاج أو استكمال إعادة الإعمار بل كانت جزءاً من الاستراتيجية السوفيتية في إدارة الصراع الدولي، والاستقلال عن المنظومة الرأسمالية، وهي خيارات ارتبطت بضرورات الأمن القومي وبالسعي إلى تثبيت الاتحاد السوفيتي كقطب دولي موازٍ للولايات المتحدة الأمريكية.

الهوامش

(١) سياسي روسي، قائد الحزب البلشفي وثورة اكتوبر الاشتراكية، ولد في ١٠ نيسان ١٨٧٠ في مدينة أوليانوفسك، حصل على شهادة الحقوق في عام ١٨٩١، ثم انتقل بين فرنسا وألمانيا وسويسرا للالتقاء بالماركسيين النشطين هناك، وهو أحد أعضاء اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي– الديمقراطي الروسي، قاد البلاشفة وشارك في الحركة الثورية ١٩٠٥–١٩٠٦، تعرض في ٣٠ آب ١٩١٨ لمحاولة اغتيال تسببت له في حدوث نوبات دماغية عدة قضت آخرها على حياته في ٢١ كانون الثاني ١٩٢٤. للمزيد ينظر:
The New Encyclopedia Britannica, Vol. 7, New York , 1989, PP.264.

(٢) السياسة الاقتصادية الجديدة (NEP): هي السياسة التي أعلنها فلاديمير لينين عام ١٩٢١ بعد أزمة شيوعية الحرب، وهدفت إلى إنعاش الاقتصاد السوفيتي عبر استبدال مصادرة الحبوب بضريبة عينية، والسماح بقدر محدود من التجارة الخاصة والنشاط الفردي.
Vladimir I. Lenin, Selected Works, vol. 9 (Moscow: Foreign Languages Publishing House, 1937), p. 260.

(3)Alec Nove, An Economic History of the USSR 1917–1991 (London: Penguin Books, 1992), p.84.

(٤) وُلِد في ١٨ كانون الأول ١٨٧٨ في غوري بجورجيا، وتوفي في ٥ آذار ١٩٥٣ في موسكو. أصبح الحاكم الفعلي للاتحاد السوفيتي من أواخر عشرينيات القرن العشرين، وارتبط اسمه بترسيخ الحكم المركزي، والتصنيع السريع، والزراعة الجماعية، ثم تحويل الاتحاد السوفيتي إلى قوة عظمى بعد الحرب العالمية الثانية. ينظر:
Stephen Kotkin, Stalin: Volume I, Paradoxes of Power, 1878–1928 (New York: Penguin Press, 2014), p. 1–3;
اسحق دويتشر، ستالين سيرة سياسية، ترجمة فواز طرابلسي، (دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٩).

([5])Robert C. Allen, Farm to Factory: A Reinterpretation of the Soviet Industrial Revolution (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2003), 102.
([6])Adam B. Ulam, Expansion and Coexistence: Soviet Foreign Policy, 1917–1973 (New York: Praeger Publishers, 1974), p.150.
([7])Mark Harrison, The Soviet Union after 1945: Economic Recovery and Political Repression (Coventry: University of Warwick, 2010), p.2;
روجيه غارودي، موجز تاريخ الاتحاد السوفيتي، ترجمة نورا أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٨٩، ص٨٢.
([8])Philip Hanson, The Rise and Fall of the Soviet Economy: An Economic History of the USSR from 1945 (London: Pearson Education Limited, 2003), p.60;
آلان تد، ديمقراطيات ودكتاتوريات سادت أوروبا والعالم ١٩١٩–١٩٨٩، تعريب: مروان ابو حبيب، شكة الحوار الثقافي ، بيروت، ٢٠٠٤، ص٢١٥.

([9]) هو البرنامج الذي أقرّه الكونغرس الأمريكي في ١١ آذار عام ١٩٤١ تحت اسم An Act to Promote the Defense of the United States، وسمح للرئيس الأمريكي بتزويد الدول التي يُعدّ دفاعها مهماً للولايات المتحدة بالأسلحة والذخائر والمعدات والمواد الخام. وقد مثّل أحد أهم أشكال الدعم الأمريكي للحلفاء، ومنهم الاتحاد السوفيتي خلال الحرب العالمية الثانية. للمزيد ينظر: عبد الرزاق حمزة عبد الله، مرسوم الإعارة والتأجير الأمريكي في سنوات الحرب العالمية الثانية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٦.

([10])Tony Judt, Postwar: A History of Europe Since 1945 (New York: Penguin Press, 2005), p.37;
عبد الحميد البطريق، التيارات السياسية المعاصرة ١٨١٥–١٩٦١، بيروت،١٩٧٤، ص٤٥٣.
([11])Mark Harrison, Op Cit., p. 2.
([12])Penghui Deng et al., "The Major Achievements of Soviet Union's Economic Development (1945-1953)," SSRN Electronic Journal, April 1, 2025, p.3.
([13])Ibid., p.2.

([14]) إياد طارق العلواني، سياسة الاتحاد السوفيتي الخارجية ١٩٥٦–١٩٤٥: دراسة تأريخية (السليمانية: دار سردم، ٢٠١٦)، ص١٦.

([15])Tony Judt, Op. Cit., p.35.
([16])Mark Harrison, Op. Cit., p.228.
([17])Ibid., p.2.
([18])Philip Hanson, Op Cit., p.52.

([19]) آلان تد، المصدر السابق، ص٢١٥.

([21]) بوريس سكفورتسوف، الاقتصاد السوفيتي في الحرب العالمية الثانية: كيف انشئت القدرة الدفاعية، مجلة المال والتجارة، العدد ١٩٢، ١٩٨٥، ص٥٥ ؛ Alec Nove, Op. Cit., p.263 .

([22])Penghui Deng et al., Op. Cit., p.3.
([23])Adam B. Ulam, Op. Cit., p.152.
([24])Mark Harrison, Op. Cit., p.3.
([25])Susan J. Linz, Measuring the Carryover Cost of WWII to the Soviet People: 1945–1953, Explorations in Economic History, Vol. 20, 1983, p. 375.
([26])Ibid.

([27])Philip Hanson, Op Cit., p.61.
([28])Alec Nove, Op Cit., p.265.
([29])John Lewis Gaddis, The Cold War: A New History (New York: Penguin Press, 2005), 25.
([30])Alec Nove, Op Cit., p.264.
([31])Philip Hanson, Op Cit., p.62.
([32])Tony Judt, P Op Cit., p.37.
([33])Maurice Dobb, Soviet economic Development Since 1917, London, Rutledge, 1948, p.300; Alec Nove, Op Cit., pp.264-265.
([34])Donald Filtzer, Soviet Workers and Late Stalinism: Labour and the Restoration of the Stalinist System after World War II (Cambridge: Cambridge University Press, 2002), p.25–31; Philip Hanson, Op Cit., pp.63-64.
([35])Harry Schwartz, The Soviet Economy Since Stalin (London: Victor Gollancz Ltd., 1965), p.45-48; Edward Hallett Carr, A History of Soviet Russia, (London: Macmillan Press, 1950-1978, p .112-118.

([36]) آلان تد، المصدر السابق، ص٢١٦–٢١٧.

([37])Philip Hanson, Op Cit., p.65.
([38])Adam B. Ulam, Op Cit., p.152.

([39]) إياد طارق العلواني، المصدر السابق، ص١٥–١٨.

([40])Mark Harrison, Op. Cit., p.2; Alec Nove, Op. Cit., p.265.
([41])Maurice Dobb,Op. Cit.,, p.300; Alec Nove, Op Cit., p.266.
([42])Mark Harrison, Op. Cit., pp.2-3.
([43])Lyubov Lazareva et al., "USSR in the Post-War Years: The Struggle for Economic Independence (1945–1953)," E3S Web of Conferences, Vol. 210 (2020): 16015, 5 .
([44])Ibid .
([45])R. W. Davies, and S. G. Wheatcroft, the economic Transformation of the Soviet Union 1913-1945, Cambridge, Cambridge University press, 1994, p.200.
([46])Robert Service, A History of Modern Russia: From Tsarism to the Twenty-First Century, 3rd ed. (London: Penguin Books, 2009), p.290–292; Lyubov Lazareva et al., Op. Cit., p.16015, 5; Adam B. Ulam, Op Cit., p.152.
([47])Philip Hanson, Op Cit., p.68.
([48])Alec Nove, Op. Cit., p.267; Philip Hanson, Op Cit., p.70.
([49])Philip Hanson, Op Cit., p.63; آلان تود، المصدر السابق، ص٢١٦–٢١٧.
([50])Ibid.
([51])Alec Nove, Op. Cit., p.266.
([52])Alec Nove, Op. Cit., p.268. اياد طارق، المصدر السابق، ص١٦
([53])John Lewis Gaddis, Op Cit., p. 32 ; Alec Nove, Op. Cit., p.311.
([54])Adam B. Ulam, Op Cit., p.152;

إياد طارق العلواني، المصدر السابق، ص١٧.

([55])Alec Nove, Op. Cit., p.311; Philip Hanson, Op Cit., p.72.
([56])Alec Nove, Op. Cit., p.312; Mark Harrison, Op. Cit., p.5.
([57])Lyubov Lazareva et al., Op. Cit., 16015, pp. 4-5.
([58])Philip Hanson, Op Cit., p. 74; آلان تود، المصدر السابق، ص٢١٨
([59])Alec Nove, Op. Cit., p.313;

إياد طارق العلواني، المصدر السابق، ص١٨–١٩.

([60])Philip Hanson, Op Cit., p. 76; Mark Harrison, Op. Cit., p.5.
([61])Alec Nove, Op. Cit., p.312; Mark Harrison, Op. Cit., p.5.
([62])Alec Nove, Op. Cit., p.266; Mark Harrison, Op. Cit., pp.2-3.
([63])Philip Hanson, Op Cit., p.68; إياد طارق ، المصدر السابق، ص١٦.
([64])Lyubov Lazareva et al., Op. Cit., 16015, pp.4–5.
([65])Penghui Deng et al., Op. Cit., p.3.
([66])Alec Nove, Op. Cit., p.312; Mark Harrison, Op. Cit., p.5.
([67])Alec Nove, Op. Cit., p.268; Philip Hanson, Op Cit., p.72.
([٦٨])إياد طارق العلواني ، المصدر السابق، ص١٨–١٩.
([69])Eugene Zaleski, Stalinist Planning for Economic Growth, 1933–1952 (Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1980), p. 679–681; Lyubov Lazareva et al., Op. Cit., 16015, pp.1-4.
([70])Donald Filtzer, Op Cit., p.86; Philip Hanson, Op Cit., p. 70.
([71])Philip Hanson, Op Cit., p. 74.
([72])Philip Hanson, Op Cit., p. 76; Alec Nove, Op. Cit., p.313 .
([٧٣]) آلان تود، المصدر السابق، ص٢١٨.
([74])Philip Hanson, Op Cit., p. 76; Alec Nove, Op. Cit., p.313 .
([75])John Lewis Gaddis, Op Cit., p. 28 ;Tony Judt, Op Cit., p.35.
([٧٦]) هو برنامج أمريكي لإعادة إعمار أوروبا أعلنه وزير الخارجية جورج مارشال في ٥ حزيران عام ١٩٤٧ في خطابه بجامعة هارفرد، وبدأ تطبيقه فعلياً عام ١٩٤٨. هدف المشروع إلى دعم اقتصاديات أوروبا الغربية عبر المساعدات المالية والفنية، كما أسهم في ربط هذه الدول بالنظام الاقتصادي الأمريكي وتعزيز المعسكر الغربي في بدايات الحرب الباردة. للمزيد ينظر: عبد الرزاق حمزة عبد الله، خطة مارشال (دراسة تاريخية)، اطروحة دكتوراه(غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠١٣ ؛

Anthony Carew, Labour Under the Marshall Plan (The Politics of Productivity and the Marketing of Managerial Sciences), First Published, USA, Macmillan Press, 1987, P. 6.
([77])Michael J. Hogan, The Marshall Plan: America, Britain, and the Reconstruction of Western Europe, 1947–1952 (Cambridge: Cambridge University Press, 1987), p. 24.
([78])Michael Cox, The Cold War: A New History (London: Continuum, 2009),p. 38–43; Alec Nove, Op. Cit., p.303; Michael Ellman, Socialist Planning (Cambridge: Cambridge University Press, 1989), p.180.
([٧٩]) هي التسمية التي أُطلقت على النظام الذي بدأه الاتحاد السوفيتي عام ١٩٤٧ لتقديم المساعدة الاقتصادية وإعادة تنظيم اقتصادات أوروبا الوسطى والشرقية الواقعة ضمن نفوذه، وذلك رداً على مشروع مارشال الأمريكي. وقامت على شبكة من الاتفاقات التجارية الثنائية، ومهّدت لاحقاً لتأسيس مجلس التعاون الاقتصادي المتبادل (CMEA/COMECON) في كانون الثاني عام ١٩٤٩. ينظر:

Norman Lowe, Mastering Modern World History, 4th ed. (Basingstoke: Palgrave Macmillan, 2005), 130.
([80])John Lewis Gaddis, Op Cit., p. 28 ;Tony Judt, Op Cit., p.132.
([81])Paul Gregory and Robert Stuart, Comparative Economic Systems (Boston: Houghton Mifflin Company, 1995), p. 213–215; Adam B. Ulam, Op Cit., p.422.
([82])Mark Harrison, Op. Cit., pp.2-5; Adam B. Ulam, Op Cit., p.152.

(٨٣) وُلِد في ٩ آذار ١٨٩٠ في كوكاركا وتوفي في ٨ تشرين الثاني ١٩٨٦ في موسكو. من أبرز رجال الدولة السوفيت، تولى رئاسة الحكومة ووزارة الخارجية، وارتبط اسمه بالسياسة الخارجية السوفيتية في عهد ستالين وبعدد من الاتفاقات والمحطات الدولية الحاسمة قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها. ينظر

Robert Service, Op. Cit., p. 280 .

(84)Alec Nove, Op. Cit., p.303; Philip Hanson , Op. Cit., p.54.

(85)Michael Ellman, Op Cit., pp.178–182; Philip Hanson, Op Cit., pp.55–56.

(85)Vojtech Mastny, The Cold War and Soviet Insecurity: The Stalin Years (New York: Oxford University Press, 1996), pp. 120–128; Geoffrey Roberts, Stalin's Wars: From World War to Cold War, 1939–1953 (New Haven, CT: Yale University Press, 2006), pp. 345–349.

قائمة المصادر:

اولا: الكتب باللغة الانكليزية

1. Adam B. Ulam, Expansion and Coexistence: Soviet Foreign Policy, 1917–1973, New York, Praeger Publishers, 1974.
2. Alec Nove, An Economic History of the USSR 1917–1991, London, Penguin Books, 1992.
3. Anthony Carew, Labour Under the Marshall Plan (The Politics of Productivity and the Marketing of Managerial Sciences), First Published, USA, Macmillan Press, 1987.
4. Donald Filtzer, Soviet Workers and Late Stalinism: Labour and the Restoration of the Stalinist System after World War II, Cambridge, Cambridge University Press, 2002.
5. Edward Hallett Carr, A History of Soviet Russia, (London: Macmillan Press, 1950-1978.
6. Eugene Zaleski, Stalinist Planning for Economic Growth, 1933–1952, Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1980.
7. Geoffrey Roberts, Stalin's Wars: From World War to Cold War, 1939–1953, New Haven, CT: Yale University Press, 2006.
8. Harry Schwartz, The Soviet Economy Since Stalin (London: Victor Gollancz Ltd., 1965).
9. John Lewis Gaddis, The Cold War: A New History, New York: Penguin Press, 2005.
10. Maurice Dobb, Soviet economic Development Since 1917, London, Rutledge, 1948.
11. Michael Cox, The Cold War: A New History (London: Continuum, 2009).
12. Michael Ellman, Socialist Planning, Cambridge: Cambridge University Press, 1989.
13. Michael J. Hogan, The Marshall Plan: America, Britain, and the Reconstruction of Western Europe, 1947–1952, Cambridge: Cambridge University Press, 1987.
14. Norman Lowe, Mastering Modern World History, 4th ed., Basingstoke: Palgrave Macmillan, 2005.
15. Paul Gregory and Robert Stuart, Comparative Economic Systems, Boston: Houghton Mifflin Company, 1995.
16. Philip Hanson, The Rise and Fall of the Soviet Economy: An Economic History of the USSR from 1945, London: Pearson Education Limited, 2003.
17. R. W. Davies, and S. G. Wheatcroft, the economic Transformation of the Soviet Union 1913-1945, Cambridge, Cambridge University press, 1994.
18. Robert C. Allen, Farm to Factory: A Reinterpretation of the Soviet Industrial Revolution , Princeton, NJ: Princeton University Press, 2003.
19. Robert Service, A History of Modern Russia: From Tsarism to the Twenty-First Century, 3rd ed. , London: Penguin Books, 2009.
20. Stephen D. Roper, Romania: The Unfinished Revolution, London, Routledge, 2000.
21. Stephen Kotkin, Stalin: Volume I, Paradoxes of Power, 1878–1928 (New York: Penguin Press, 2014).
22. Tony Judt, Postwar: A History of Europe Since 1945 (New York: Penguin Press, 2005).
23. Vladimir I. Lenin, Selected Works, vol. 9 (Moscow: Foreign Languages Publishing House, 1937).

24. Vojtech Mastny, The Cold War and Soviet Insecurity: The Stalin Years (New York: Oxford University Press, 1996).

ثانيا: الكتب العربية والمعربة

١. اسحق دويتشر، ستالين سيرة سياسية، ترجمة فواز طرابلسي، (دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٩).
٢. آلان تد، ديمقراطيات ودكتاتوريات سادت أوروبا والعالم ١٩١٩-١٩٨٩، تعريب: مروان ابو حبيب، شكة الحوار الثقافي ، بيروت، ٢٠٠٤.
٣. إياد طارق العلواني، سياسة الاتحاد السوفيتي الخارجية ١٩٥٦-١٩٤٥: دراسة تأريخية (السليمانية: دار سردم، ٢٠١٦).
٤. روجيه غارودي، موجز تاريخ الاتحاد السوفيتي، ترجمة نورا أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٨٩.
٥. عبد الحميد البطريق، التيارات السياسية المعاصرة ١٨١٥-١٩٦١، بيروت، ١٩٧٤.

ثالثا: الرسائل والاطاريح

١. عبد الرزاق حمزة عبد الله، خطة مارشال (دراسة تاريخية)، اطروحة دكتوراه(غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠١٣ .
٢. ــــــــ ، مرسوم الإعارة والتأجير الأمريكي في سنوات الحرب العالمية الثانية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٦.

رابعا: البحوث المنشورة

باللغة الانكليزية

1. Lyubov Lazareva et al., "USSR in the Post-War Years: The Struggle for Economic Independence (1945–1953)," E3S Web of Conferences, Vol. 210 (2020): 16015.
2. Mark Harrison, The Soviet Union after 1945: Economic Recovery and Political Repression (Coventry: University of Warwick, 11 December 2010).
3. Penghui Deng et al., "The Major Achievements of Soviet Union's Economic Development (1945-1953)," SSRN Electronic Journal, April 1, 2025.
4. Susan J. Linz, Measuring the Carryover Cost of WWII to the Soviet People: 1945–1953, Explorations in Economic History, Vol. 20, 1983.

باللغة العربية

بوريس سكفورتسوف، الاقتصاد السوفيتي في الحرب العالمية الثانية: كيف انشئت القدرة الدفاعية، مجلة المال والتجارة، العدد ١٩٢، ١٩٨٥.

خامسا: الموسوعات

1. The New Encyclopedia Britannica, Vol. 7, New York , 1989.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

الأدوار السياسية والإدارية للأسر في العراق خلال فترة الحكم العثماني

م.م. نوره رشيد علي فرحان
noura.r@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

The Political and Administrative Roles of Families in Iraq During the Ottoman Period

M.M. Noura Rashid Ali Farhan
noura.r@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

الاستلام(Received) : ٢٠٢٦ / ٠٦/ ٢٩	التعديل (Revision) : ٢٠٢٦ / ٠٧/٠٩
القبول(Accepted) : ٢٠٢٦ / ٠٩/٢٧	النشر (Published) : ٢٠٢٦/ ٠٩/٣٠

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

ملخص

دخلت الدولة العثمانية في صراع مع الصفويين للاستحواذ على العراق، ونجحت في السيطرة عليه عام ١٥٣٤م، باستيلائها على مدينة بغداد، واتبعت الدولة العثمانية في سيطرتها على العراق سياسة التقرّب من العشائر والأسر المحلية والتي كانت تتمتع بنفوذ كبير في العراق، ولاحقاً أدّت دوراً مهماً في أحداث العراق، وخاصة الجوانب السياسية منها والإدارية، وقد عكست مشاركة الأسر العراقية في تاريخ العراق وأحداثه عن وعيها السياسي ومدى نفوذها، وقدرتها على النهوض بالعراق ومواجهة المخاطر والتحديات التي واجهت العراق، وامتازت من بين هذه الأسر أسرة الجليلية التي حكمت الموصل، وتفرّدت أسرة الكيلاني عن طريق نشاط أفرادها في رتبة النقيب والتي كانت من المناصب الدينية والإدارية الرفيعة في العراق، وتلقّت من العثمانيين سلطة كبيرة في مناطقها، كما كان لأسرة الكيلاني دور كبير في إدارة الأوقاف الدينية، ومن بين الأسر العراقية التي كان لها شأن في تاريخ العراق وأحداثه أسرة البابانية التي تفرّدت بحماية الحدود الشرقية للعراق من هجمات الصفويين، وتأسيسها لمدينة السليمانية، ونجحت هذه الأسر في تأدية دور محوري هام في تاريخ العراق مهّد لانطلاقة الوعي السياسي فيه والاستقلال فيما بعد.

الكلمات المفتاحية: الدور السياسي–الأسر العراقية–العثمانيين–الكيلاني–البابانية–الوعي السياسي.

Abstract

The Ottoman Empire entered into conflict with the Safavids to seize Iraq and succeeded in controlling it in 1534 AD, with its capture of Baghdad. In its control of Iraq, the Ottoman Empire followed a policy of rapprochement with local tribes and families that enjoyed considerable influence in Iraq and later played an important role in Iraq events, especially the political and administrative aspects. The participation of Iraq families in the history and events of Iraq reflected their political awareness, the extent of their influence, and their ability to develop Iraq and confront the dangers and challenges that faced it. Among these families, the Jalali family, which ruled Mosul, Stood out. The Kilani family was distinguished by the activity of its members in the rank of Naqib, which was one of the high religious and administrative positions in the Iraq, and they received considerable authority from the Ottomans in their regions, The Kilani family also played a major role in managing religious

endowments, and was among the Iraq families that had a significant presence in the history if Iraq and the Lebanese family situation, which was close to protecting Iraq's eastern borders from attacks by the two sides, and the city of Sulaymanitah. These families succeeded in Second important pivotal role in the history of Iraq from the launch of political awareness in it and independence after that.
Key Words : Political role, families, ethnic, Omanis, Kilani, political awareness.

مقدمة:

حظي العراق باهتمام كبير من قبل الدولة العثمانية، وذلك لأهمية موقعه وغنى ثرواته، ونجح العثمانيون في ضم العراق للدولة العثمانية في القرن السادس الميلادي، واعتمد العثمانيون في حكمهم للعراق على العشائر والقبائل المحلية، والتي كان لها شأن كبير في حماية العراق وحفظ أمنه واستقراره، وإنّ المتتبع لسياسة العثمانيين في إدارة العراق يُلاحظ الإهمال وعدم التنظيم والنهوض بالعراق وتحقيق تطوره وتقدمه، إضافة إلى عدم الاستقرار السياسي، وذلك بسبب عدم استقرار الولاة العثمانيين لمدة طويلة، حتى إنّ بعضهم لم تتجاوز ولايته سوى أشهر قليلة، وهذا ما ترك آثاراً سلبية شملت كافة نواحي العراق السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية، كما عاني العراق داخلياً من الفوضى وضعف الجهاز الإداري والتقلبات السياسية، كذلك عانى من الأحداث الخارجية وخاصة الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية مع الدول الأخرى وأبرزها حرب القرم مع روسيا، حيث عملت الدولة العثمانية على تجنيد العراقيين وفرضت التجنيد الإجباري ، وعليه فقد برزت العديد من الأسر العرقية التي عملت على الانخراط بالجانب السياسي والإداري، وأبرز هذه الأسر، الأسرة الجليلية في الموصل، والكيلاني، وأسرة السعدون في البصرة، وغيرها من الأسر، التي كان لها دور محوري مهم على الصعيدين السياسي والإداري في العراق.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في تبيان لأهم الأسر العراقية التي كان لها دور سياسي وإداري هام خلال الحكم العثماني، حيث شكّلت تلك الأسر عن طريق دورها في العراق بوابة لمعرفة آلية الحكم العثماني في العراق وكيف كانت تلك الإدارة.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى إعطاء لمحة واسعة عن الدور الريادي للأسر العراقية خلال الحكم العثماني، وتبيان نفوذ كل أسر، ومدى القوة التي تمتعت بها تلك الأسر وعلاقتها بالدولة العثمانية.

إشكالية البحث:

تطرح الدراسة العديد من التساؤلات التي سوف يتم الإجابة عنها خلال البحث، ولعل أهمها:

١- كيف تجلى دور الأسر العراقية في العراق وهل كان لها نفس الدور السياسي والإداري؟

٢- ما هي العلاقة التي جمعت الدولة العثمانية بالأسر العراقية كأسرة الكيلاني والبابانية والجليلية وغيرها من الأسر العراقية؟

٣- هل عكست مشاركة الأسر العراقية في حكم العراق خلال الحكم العثماني عن تنظيم إداري ووعي سياسي أم كانت استجابة لدور يقتصر على مناطق وجود كل منها؟

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج التاريخي القائم على جمع المادة العلمية الواردة في المصادر العربية والمراجع الحديثة عن أهم الأسر العراقية في العراق خلال الحكم العثماني، ودراسة تلك المادة وتحليلها وصياغتها بأسلوب سلس بما يخدم البحث.

المبحث الأول-سيطرة الدولة العثمانية على العراق، والتقسيمات الإدارية:

أولاً-سيطرة الدولة العثمانية على العراق:

بدأت سيطرة العثمانيين على العراق سنة ١٥٣٤م، وامتدت حتى سنة ١٩١٨م، وعندما دخل العراق تحت الانتداب البريطاني بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى على يد بريطانيا وحلفائها، وبقي العراق تحت الحكم العثماني قرابة الأربع قرون عدا بعض السنوات التي أصبح فيه العراق تحت الحكم الصفوي من عام ١٦٢٣ وحتى عام ١٦٣٧م.[١]

سيطرت الدولة العثمانية على المدن الكبيرة مثل بغداد والبصرة والموصل، أمّا بقية مناطق العراق الأخرى فقد وقعت تحت سيطرة القبائل[٢]، وكثيراً ما كانت تلك العشائر تتمرّد وتثور على الدولة العثمانية بسبب محاولات الأخيرة بفرض الضرائب على تلك العشائر والتي مثّلت تحدّياً كبيراً للدولة العثمانية، ووصل الأمر في إحدى المرات إلى قيام عشائر عنزة وشمر وزبيد بمحاصرة مدينة بغداد حصاراً شديداً وكادت تطيح بالوالي عليّ رضا باشا (١٨٣١-١٨٤٢م)، نفسه الذي استلم الحكم في العراق عام ١٨٣١م، بعد انتهاء حكم المماليك إثر سيطرة الدولة العثمانية على الحكم في العراق بعد القضاء على داوود باشا آخر ولاة المماليك عام ١٨٣١م.[٣]

وقد اتبعت الدولة العثمانية سياسة أخرى تجاه العشائر العراقية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، بعد أن فشلت سياسة البطش والقسوة التي اتبعتها في السابق مع تلك العشائر، ولا سيما انتفاضة مفتي بغداد عبد الغني جميل زادة عام ١٨٣٢م، والمذبحة الكبرى ضد أهالي كربلاء سنة ١٨٤٢م، والتي راح ضحيتها قرابة ٤٠٠٠ مواطن من أهالي كربلاء، وكذلك سياسة التعسف التي كانت تنتهجها الدولة العثمانية ضد العراقيين من خلال فرض التجنيد الإلزامي وإجبارهم على جمع الأموال منهم بصورة قسرية لتغذية الحروب التي كانت تخوضها الدولة العثمانية في الغرب.[٤]

لذلك رأت الدولة العثمانية ضرورة تبديل تلك السياسة لأجل السيطرة على العشائر، فعملت خلال ولاية مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢م)، على العمل على توطين العشائر الرحالة في مناطق مستقرة، من خلال توزيع الأراضي الزراعية عليها عندما استحدث نظام تسجيل الاراضي (الطابو)، وكان الهدف الأساسي من ذلك، هو العمل على توطين واستقرار القبائل بهدف تسهيل مهمة الدولة في جمع الضرائب منها وتجنيد أفرادها.(٥)

ولم تحقق الخطوات الجديدة التي اتخذها الوالي مدحت باشا في إسكات العشائر، النجاح المطلوب بسبب اعتماده على جهاز إداري وموظفين غير أكفاء، فضلا عن تفشّي الرشوة والمحسوبية والمنسوبية في جهاز الدولة، فضلاً عن عدم اكتراث الولاة الذي جاؤوا بعده بمتابعة مشروع توطين العشائر، بل إنّهم استخدموا السياسات القديمة للدولة العثمانية في مواجهة العشائر باستخدام القوة والعنف، كما أنّ أولئك الولاة، لم يكترثوا بالتقاليد الاجتماعية للسكان العرب في تلك المناطق وازدروها.(٦)

وبقيت صورة الدولة العثمانية صورة ملازمة للعنف والتسلّط والاضطهاد في نظر العشائر بصورة خاصة[٧]، ونتيجة لذلك استمرت التمرّدات والمعارك بين العشائر والعثمانيين الذين قادوا حملات يائسة وفاشلة في معظم الأحيان لم يستطيعوا من خلالها إخضاع العشائر، فاضطرّوا إلى منح المقاطعات والأراضي الزراعية بطريقة الالتزام لقاء مبالغ سنوية يؤدونها إلى الخزينة في بغداد، وفي هذه المدة ازدادت المجتمعات العشائرية صلابةً في مواجهة السلطة العثمانية.(٨)

أما الأوضاع في المدن العراقية في العهد العثماني الأخير فكانت حالتها سيئة هي الأخرى، بسبب الإهمال الكبير لها، فقد كُثرت المجاعات وانتشرت الأمراض والأوبئة فيها، ولاسيما مرض الطاعون الذي عانى منه سكان بغداد وغيرهم من المدن الأخرى، وكان الولاة العثمانيون حكاماً مستبدين لا يهمهم سوى مصالحهم ولا يتردّدون في استخدام القمع والاضطهاد ضد أبناء المدن العراقية، كما تميزت سنوات حكم الولاة العثمانيين ولا سيما المتأخرين منهم بعدم استقرار الولاة لمدة طويلة حتى إنّ بعضهم لم تتجاوز ولايته سوى أشهر قليلة، وما لهذا من انعكاسات ولّد عند الكثيرين من أبناء المدن حالات التذمّر والازدراء ضد تلك السياسات ونتج عن ذلك عدد من الانتفاضات والثورات ضد السلطات الإدارية العثمانية المتعاقبة في العراق.(٩)

ثانياً-التقسيمات الإدارية في العراق خلال الحكم العثماني:

بعد دخول العثمانيين لبغداد سنة ١٥٤٦م، قسّموا العراق إلى أربع ولايات، وهي بغداد والموصل والبصرة وشهرزور، وكان والي بغداد باشا من الدرجة الأولى بينما كان بقية الولاة باشاوات من الدرجة الثانية، ويكُلف هؤلاء الولاة بأمر من الباب العالي، وكان الوالي على رأس الجهاز الإداري، ومن مهامه إرسال

الأموال سنوياً إلى السلطان إضافة إلى تولّيه إدارة أمور الولاية دون الرجوع إلى السلطان واعتمد في ذلك على شيوخ العشائر وحكام المدن.[١٠]

وقد عانى العراق بشكل كبير أثناء حكم العثمانيين، وتركزت تلك المشاكل بالفساد الإداري، وسوء الأحوال العامة لسكان الولايات وإهمال مصالحهم، ونتيجة لهذه السياسة فقد أصدرت الدولة العثمانية العديد من القرارات ودعت إلى القيام بإصلاحات كبيرة في نظام الدولة العثمانية، ولم تُطّبق هذه السياسة في العراق إلاّ في عام ١٨٦٩م، بعد تولّي الوالي مدحت باشا في العراق، فقد أعاد تنظيم العراق إدارياً فبعد أن كان العراق يتألف من أربع ولايات هي بغداد، والبصرة، الموصل، شهرزور، أصبح بموجب التقسيم يضم ولايتين هما بغداد والموصل.[١١]

كما كانت من أبرز التشكيلات الإدارية في العراق وأكثرها أهمية التي جاء بها قانون الولايات العثماني هو أنشاء المجالس المحلية في الولاية، وفي اللواء والقضاء والناحية، ويتكون مجلس الولاية من الوالي والذي يترأس المجلس[١٢]، ومن أعضاء منتخبين وموظفين يمثلون الدوائر المختصة، وبعض الأشراف، ومندوبين من الأسر العشائرية والحضرية، ويختص المجلس بدراسة التنمية الاقتصادية في مجال الزراعة والتجارة ودراسة كل ما يتعلق بتعديل الضرائب التي تفرضها الألوية وآلية توزيعها، وينعقد هذا المجلس مرة واحدة في السنة وتستمر مدة انعقاده أربعين يوماً، وتكون القرارات التي يُصدرها المجلس غير ملزمة إلاّ بعد تصديقها من السلطات المركزية.[١٣]

وقد مرّ النظام الإداري في العراق في ظل الحكم العثماني بمرحلتين هما:

- **المرحلة الأولى:**

بدأت هذه المرحلة منذ سيطرة الدولة العثمانية على العراق سنة ١٥٣٤م، حتى عام ١٨٦٩م، وهو العام الذي أصبح فيه مدحت باشا والياً على العراق، فقد اتسم النظام الإداري في العراق بطابع خاص لا يمكن القياس عليه، فعلى الرغم من خضوع الوالي للسلطة المركزية في الباب العالي (الآستانة)، التي تولت تعيينه وقيامه بمهمته الأساسية وهي إرسال الأموال التي تتم جبايتها إلى السلطان فإنّه يملك فيما يتعلق بإدارة أمور الولاية سلطات واسعة دون الرجوع إلى السلطة المركزية، ويتجاوز الحد الذي تقف عنده المركزية الإدارية النسبية.

أو صورة عدم التركيز الإداري والتي تقوم على أساس قيام السلطة الإدارية المركزية بمنح موظفيها في الأقاليم بعض الصلاحيات من دون الرجوع إلى المركز، ولا تصل إلى حد اللامركزية الإدارية، والتي تقتضي وجود هيئات محلية في الغالب تكون منتخبة، حيث إنّ أغلب هؤلاء الولاة كانوا من القادة العسكريين وكان حكمهم للولايات بمثابة مكافأة في خدماتهم من أجل الدولة العثمانية ومن ثم فإنّ طبيعة

النظام الإداري في هذه المرحلة لها نموذج خاص لا يمكن أن ننسبها إلى المركزية الإدارية ولا حتى اللامركزية الإدارية.[١٤]

- **المرحلة الثانية:**

ابتدأت هذه المرحلة منذ تولي الوالي مدحت باشا ولاية العراق عام ١٨٦٩م، حيث مزج النظام الإداري وفقاً لقانون الولايات سنة ١٨٦٤م بين أسلوب المركزية الإدارية مع أسلوب اللامركزية الإدارية من حيث وجود المجالس المحلية ومحاولة تمثيل الأهالي مع رجحان كفة ممثلي الإدارة المركزية، حيث لم تكتمل أركان اللامركزية الإدارية بخلاف ما عليه الحال فيما يتعلق بالمجالس البلدية والتي نظّمها قانون بلديات الولايات لسنة ١٨٧٧م، والتي جاءت أحكامهُ تطبيقاً يكاد يكون كاملاً لأركان اللامركزية الإدارية.[١٥]

إنّ الاعتبارات التي دفعت الدولة العثمانية في أواخر عهدها إلى إصلاح النظام الإداري ومحاولة تبنّي أسلوب اللامركزية كانت ذات طابع سياسي هدفهُ امتصاص نقمة الشعوب الخاضعة لحكم الدولة العثمانية من الممارسات الخاطئة لأغلب الولاة الذين كانوا من العسكريين ولسد الطريق أمام محاولات الدول الاستعمارية خصوصاً بريطانيا في إيجاد وتعميق الهوة بين الدولة العثمانية والشعوب الخاضعة لها.[١٦]

ثالثاً–معالم البيئة الاجتماعية للعراق أواخر العهد العثماني ونشوء المجتمع السياسي في العراق:

في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين لم يكن العراقيون شعباً واحداً أو جماعة سياسية واحدة، فقد كانت هناك الكثير من الأقليات العرقية والدينية في العراق، كالتركمان والأكراد والفرس والآشوريين والكلدانيين واليهود واليزيدين والصابئة وآخرين، فضلاً عن ذلك العرب الذين كانوا يؤلفون أكثرية سكان العراق والذين كانوا يتشكلون إلى حدٍ بعيد من جملة المجتمعات المتمايزة والمختلفة فيما بينها والمنغلقة على الذات بالرغم من تمتّعهم بسمات مشتركة.[١٧]

أ– معالم البيئة الاجتماعية:

في الحديث عن الوضع الاجتماعي في العراق في العهد العثماني المتأخر، كانت هناك هوّة كبيرة وواسعة تفصل المدن عن المناطق العشائرية، ففي عام ١٨٦٧م كانت نسبة البدو الرحل في العراق ٣٥% من مجموع السكان، أما سكان الريف فكانوا يشكلون نسبة ٤١%، وأما سكان الحضر فلم يكونوا يؤلفون سوى ٢٤% من السكان، وكان العرب الحضريون وعرب العشائر ينتمون في طبيعتهم إلى عالمين يكادان يكونان منفصلين، سكان المدن الواقعة في عمق المناطق العشائرية أو رجال العشائر الذين يقطنون قرب المدن، وقد كان هذا التمايز هو اقتصادي بالدرجة الأولى، لذلك فأن العلاقة بين المدن والمناطق العشائرية لم تكن نشيطة وكانت ضعيفة إلى حدٍ ما.[١٨]

لقد كان هناك تباعد اجتماعي ونفسي بين العرب الحضريين والعرب العشائريين، فقد كان يختلف بعضهم عن بعض بطرق كثيرة، فقد خضعت حياة العرب الحضريين بشكلٍ ما إلى القوانين الاسلامية والعثمانية، وأما حياة العرب العشائريين فكانت تخضع إلى العادات والتقاليد العشائرية القديمة المصبوغة بصبغة إسلامية، كذلك فقد كان بعض العرب الحضريين خصوصاً شريحة المتعلمين منهم يخضعون لتأثير الثقافة التركية أو الثقافة الفارسية في المدن الشيعية، أما العرب العشائريون فقد نجوا من تأثير هذه التأثيرات كلياً[١٩]، وعلاوةً على ذلك، فقد كانت المدن الحضرية أيضاً تعيش الانقسامات المجتمعية سواء كانت بسبب العامل الاقتصادي أو الاختلاف الديني.[٢٠] حتى بين المسلمين أنفسهم بسبب الانقسام المذهبي الحاصل إلى سنة وشيعة، فقد كان هذا الانقسام هو الأكثر حدّةً، وكان نادراً ما يكون هناك اختلاطاً اجتماعياً، بل حتى في المدن المختلطة، كانوا يعيشون في أحياء منفصلة حيث لكل منهم حياته، وهو ما قاد بالتالي إلى الانقسام الطبقي والذي كان يعود في أسبابه إلى الوضع الاجتماعي والاقتصادي[٢١].

كذلك فإنّ الانشقاقات الحضرية في المدن قد اتّخذت طابعاً أكثر حدّةً عندما وجدت لنفسها تعبيراً آخراً في ظاهرة الانقسام هي ظاهرة (المحلة) أو الحي، بحيث أنّ هذه المجموعات التي كانت تسكن المدن الحضرية والتي هي من أصول عرقية (اثنية) أو عشائرية مختلفة أو عقائد دينية أو طوائف أو طبقات مختلفة كانت تميل إلى العيش في "محلات" منفصلة، فعلى سبيل المثال كانت الضفة الشرقية لبغداد (الرصافة اليوم) يعيش فيها الشيعة في منطقة (الدهانة وصبابيغ والقشل وسوق العطارين وأحياء اخرى).[٢٢]

وعاش معظم اليهود في التكية وأبو سيفين وسوق حنون، وعاش المسيحيون في عقد النصارى ورأس القرية، وكان السنة يشغلون جزءاً من أحياء القسم الشرقي من المدينة. ولكن هذا الجزء كان مقسماً على أسس أخرى، فكان الميدان موطناً للعسكريين الأتراك، والحيدر خانه موطناً للعائلات الأرستقراطية وكبار المسؤولين، وكانت منطقة دكان شناوة للموظفين الأدنى مرتبة، والقسم الداخلي من باب الشيخ موطناً للحرفيين، وكانت الأطراف الخارجية من باب الشيخ موطناً لصغار الكسبة، أما الكاظمية الي تضم ضريحي الإمامين السابع والتاسع لم تكن مسكونة إلاّ من الشيعة، وكان فيها تمركز كبير للصفويين الإيرانيين في حين أنّ الأعظمية التي فيها ضريح أبو حنيفة النعمان فقد كانت تقتصر في سكانها على السنة.[٢٣]

وبالنظر إلى الولاءات المختلفة في العراق ما قبل الحرب العالمية الاولى كما لو كانت هذه الولاءات والانقسامات سلبية فقط في الواقع، فإنّها من جهةٍ أخرى كانت تفي بحاجة إيجابية، فالعشائر والمحلات

والأصناف كانت تشكّل تعبيراً جزئياً عن النزعة الفطرية للحصول على الحماية من خلال الوحدة، وهي حماية لم تكن الدولة العثمانية تؤمّنها في ذلك الوقت نتيجةً لضعفها[٢٤].

المبحث الثاني

الدور السياسي للأسر في العراق خلال فترة الحكم العثماني

كان للأسر العراقية دورٌ بارز في الأحداث التي شهدها العراق، منذ وقوعه تحت سيطرة العثمانيين، وخلال فترة حكمهم للبلاد، وبرزت عدة أسر من مختلف المناطق العراقية، دخلت معترك السياسة واختلف أدوارها بين معارضة للحكم العثماني، ومطالبة بالاستقلال، والمحافظة على الهوية العربية العراقية في وجه التحديات.[٢٥]

ومن أهم هذه الأسر:

أ- الأسرة الجليلية:

وهي أهم الاسر العربية التي حكمت في الموصل، وقد تميز حكمهم بالولاء للدولة العثمانية، إذ نالوا ثقة العثمانيين، وأهم ولاتهم هو حسين الجليلي الذي قدّم خدمات جليلة للدولة العثمانية، وكان جدّهم الأكبر قد قدم من ديار بكر لغرض التجارة، وبعد وفاته في الموصل عام ١٥٩١م خلفه ابنه عبد الجليل الذي تنتسب إليه الأسرة، وفي عام ١٦٨١م توفي عبد الجليل عن سبعة أولاد أبرزهم إسماعيل، الذي قدم خدمات كبيرة للعثمانيين في حربهم مع أشرف خان الأفغاني في بلاد فارس.[٢٦]

وفي عام ١٧٢٦م، أنعم السلطان على إسماعيل حكم ولاية الموصل وفي عام ١٧٢٧م، تولى حسين باشا الجليلي حكم الموصل، ثم أُعفي عدة مرات وأُعيد إلى الحكم ولاسيما أنّه عُرف بموقفه البطولي، حيث أبدى موقفاً مشرفاً في الدفاع عن الموصل ضد حصار نادر شاه للموصل عام ١٧٣٢م.

ب- الأسرة البابانية:

تُعدُّ الأسرة البابانية من أهم الأسر التي حكمت في شمال العراق، ولا سيما في السليمانية، والأسرة معروفة بنسبها إلى القبيلة العربية المشهورة ببني مخزوم ومنها الصحابي خالد بن الوليد، وسُمّيت لذلك أسرة بابان الخالدي، وهي أسرة عربية اندمجت بالمجتمع الكردي، وتولّت الزعامة على كثير من العشائر الكردية في شمال العراق، وحكمت تلك الأصقاع، حقبة من الزمن، وقامت بأعمال إصلاحية وعمرانية في مدن وقصبات الشمال، وذُكرت بإسهاب في كتب التراجم، وقد كان أكثر حكامهم يتمرّدون على السلطة العثمانية ولاسيما ولاة بغداد، الأمر الذي جعل أكثر ولاة بغداد يشنّون حملات عليهم.[٢٧]

يعود أصل البابانيين من لاهيجان، وقد نشأت إمارتهم في سوران، وتمكّنوا من استمالة بعض العشائر بالقوة والمصاهرة، ثم توسعت إمارتهم حتى وصلت إلى حدود كركوك، وكان بير بوداق زعيم الأسرة منذ عام ١٥٠٠م.[٢٨]

أنعم السلطان سليمان القانوني عليهم حكم إمارة بابان بعد احتلاله بغداد عام ١٥٣٤م، واستمروا في حكم الإمارة حتى عام ١٥٩٦م، وكانت أقوى الأسر الكردية في مطلع القرن الثامن عشر، ويُعدُّ بابا سليمان المؤسس الحقيقي للأسرة البابانية في منطقة بشدر، وبعد سيطرة البابانيين على كركوك هدّدهم والي بغداد وطلب منهم الانسحاب منها، لكن ذلك التهديد لم يجدِ نفعاً، وظلت كركوك تحت سيطرتهم حتى عام ١٧٠١م، بعد أن جرّد والي بغداد حملة ضدهم واستردها منهم في عام ١٧٠٣م، وصلت الأسرة البابانية إلى أوج قوتها بعد تولّي بكر بيك الإمارة إذ امتدت الإمارة من ديالى إلى الزاب الصغير، لكن والي بغداد حسن باشا ألحقها إلى ولاية شهرزور عام ١٧١٤م.[٢٩]

كانت علاقة البابانيين غير مستقرة مع ولاة بغداد معتمدين على بلاد فارس في حروبهم مع ولاة بغداد، وفي عهد المماليك قاد سليمان باشا أبو ليلة حملة كبيرة ضدهم لقتال سليم باشا، وفي بعض الأحيان اعتمد ولاة بغداد عليهم في مواجهة تمرد العشائر العربية في وسط وجنوب العراق، وفي عام ١٨٥٠م، انتهى حكم البابانيين بعد سيطرة الدولة العثمانية على السليمانية.

وبرز من هذه الأسرة القائد العسكري عثمان باشا بابان[٣٠]، وكان عثمان قد اصطحب معه ٥٠٠ مقاتل من الأكراد، وهجم على الثوار المتمردين الذين حاصروا بغداد، وقطع عنهم الميرة والطعام، فانتصر عليهم وشتت شملهم، وكان المتمرّدين أكثر من عشرة آلاف رجل، فأنعم عليه الوزير برتبة باشا وأنعم على جنوده بالهدايا والمنح، وفي سنة ١١٩٦هـ/١٧٨٢م، عزل أبوهُ محمود باشا عن وظيفته، فلم يرق له الأمر، فجمع محمود باشا وابنه عثمان الجموع، وبدأوا بمحاولة للتمرد، ولمّا أخفقا بالحركة التجأ إلى بلاد فارس (إيران)، مع بعض أتباعهما.[٣١]

وأرسله والده محمود باشا إلى أصفهان لمقابلة الحاكم علي مراد خان فاستقبله وخصصّ له ولأخيه عبد الرحمن باشا راتباً، ومنحهُ مقاطعة (صادق بولاق)، لأنّ علي مراد خان كان ينوي ضم كردستان إلى إيران، ثم قتل محمود باشا في إيران، وكان عثمان باشا قد عاد من راوندوز، ثم ذهب إلى بلدة العمادية ومن هناك كتب إلى الوزير، واستدعاهُ إلى بغداد، وفي سنة ١٢٠١هـ/١٧٨٧م، عيّنه الوالي سليمان باشا حاكماً على كردستان، وطلب منه مقاتلين لإخماد فتنة الخزاعل والمنتفق، وفي سنة ١٢٠٣هـ/١٧٨٩م، عزلهُ الوالي عن وظيفته لعدم الاطمئنان أليه، حيث وصلت إلى الوالي الرسائل المتبادلة سراً بين عثمان باشا والحاج سليمان بك الشاوي أمير قبيلة العبيد، فيما يتعلق بمساعدة مصطفى باشا مستلم البصرة في عصيانه فتأثّر الوالي بذلك، وعزل عثمان باشا، ثم استدعاهُ إلى بغداد برفق ولطف، فحضر عثمان واستقبلهُ الوالي وأكرمهُ واحتفى به، ثم سمح له بالعودة إلى كردستان ليجمع قواته ويوافيه في الربيع, وكان سليمان باشا قد ذهب إلى البصرة، وأخمد الفتنة، وعند عودته إلى بغداد، أمر باعتقال عثمان باشا، ثم عرضت الرسائل السرية على عثمان باشا، فلمّا رآها ندم وانهارت قواه، فاعتقلهُ الوالي ووضعه في السجن

فمرض، ثم أمر الوالي بنقله من السجن إلى دار محمد سعيد بك، واهتم بمعالجته وخصصّ له الأطباء، ثم اشتد عليه المرض، فتوفي ودُفن في مقبرة الخيزران في الأعظمية بكل حفاوة وإكرام.[٣٢]

ومشى في تشييعه معظم أعيان بغداد، وذلك في سنة ١٢٠٣هـ/١٧٨٩م، وقيل عنه أنّه مات مسموماً، ثم بُنيت على قبره قبة وحجرتان، وصارت مدفناً خاصاً لأسرة آل بابان في بغداد، وعند توسيع الشارع هدمت تلك الحجرات ونقلت الرفات إلى المقبرة المسيجة، وخصصّ لهم قطعة من الأرض صارت مدفناً لآل بابان، وهي قريبة من قبر الشاعر معروف الرصافي.[٣٣]

كما برز من أسرة بابان، أمجد الزهاوي[٣٤] مفتي بغداد، ووالدهُ العلاّمة الشيخ محمد فيضي الزهاوي، ورئيس الوزراء في العهد الملكي أحمد مختار بابان، والشاعر جميل صدقي الزهاوي، والشاعر إبراهيم أدهم الزهاوي، وحمدي باشا بن محمود بك المتوفي سنة ١٣٢٤هـ/١٩٢٥م، وكان لهذه الأسرة مجالس عليمة يتردد عليها الكثير من علماء بغداد، ومن هذه الأسرة العلاّمة عبد الله بن أفندي بن عبد الرحمن بن إبراهيم أفندي بابان السليماني رئيس المحكمة الشرعية ببغداد، والذي تقلّد العديد من المناصب في عهد الدولة العثمانية، ولديه العديد من المؤلفات باللغة التركية والفارسية، بالإضافة إلى مؤلفاته باللغة العربية، وغيرهم من أدباء وعلماء بغداد[٣٥].

ولقد أسسّت هذه الأسرة الكردية الدولة البابانية التي امتدّ نفوذها فشمل سهل راوندوز، وخانقين، وقصر شيرين، وزهاوة، وناحية خورمال، وتولت الإمارة على مناطق في شمال العراق لمدة قرنين من الزمن، ومن أشهر رجالاتها بابان سليمان الكبير، وعبد الرحمن باشا بابان، وخضر بك بابان، والأمير إبراهيم باشا بابان، الذي بنى مدنية السليمانية المشهورة، في شمال العراق.[٣٦]

ت- أسرة آل الكيلاني:

حظيت أسرة آل الكيلاني بمكانة مرموقة في العراق، وهي من أهم الأسر الدينية والسياسية، ويرجع نسبها إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وبرزت مكانتها الدينية من تولّيها الأوقاف القادرية، ونجحوا من خلال ذلك في حفظ الأمن والاستقرار في العراق وضمان توازنه الروحي والديني.[٣٧]

امتازت أسرة آل الكيلاني بدورها السياسي المهم في العراق، فقد جمعتها بالعثمانيين علاقات قوية، وحازت على امتيازات تمثلت بمناصب إدارية ومحاكم وبلديات ودوائر وأوقاف وغيرها، والدليل على ذلك ما أصدرته الدوية العثمانية عام ١٨٩٤م، وكان عبارة عن لائحة رسمية اعترفت فيها بخمس عائلات من الأشراف مشمولة بالمنح السلطانية والامتيازات الاستثنائية[٣٨]، وهذا ما منح تلك الأسر ثراءً كبيراً، وامتلكت إقطاعيات واسعة، وكان من بين هذه الأسر أسرة الكيلاني، والتي تمتعت بالعديد من المنح التي كانت تُوهب للمقام وتُعدُّ من بين الأوقاف الأحد عشر التي كانت مُستثناة من رقابة وضرائب وإشراف

وزارة المالية في الإمبراطورية العثمانية، وكان النقيب مثله مثل متولي الأوقاف، يُدير العائدات لما يُلائم مصالحهُ ومصالح عائلته.[٣٩]

وكان من أبرز وجهاء آل الكيلاني، النقيب عبد الرحمن بن علي بن سلمان بن مصطفى القادري، وكان نقيب الأشراف في محلة باب الشيخ ببغداد عام ١٨٤١م، ونشأ في أسرة دينية[٤٠]، وتولى رئاسة نقابة الأشراف في بغداد، وحظيت أسرته باحترام ودعم الدولة العثمانية، كما تمتعت بامتيازات مالية وزراعية وإدارية.[٤١] كان للنقيب عبد الرحمن الكيلاني مجلساً في بغداد، تردّد عليه مختلف طبقات الناس، ومن سائر الملل والنحل، وكان مجلسه أشبه بمجمع علمي تُبحث فيه مشكلات العلوم، وتُكشف غوامض أسرار البلد السياسية، فكان محفلاً سياسياً وكل ذلك بفضل ما كان يتمتّع به شخص عبد الرحمن من أخلاق فاضلة.[٤٢]

حظي النقيب عبد الرحمن الكيلاني بمكانة عالية، جعلت السلطان عبد الحميد يُصدر مرسوماً عام ١٨٧٩م، آمراً بعفة عائلة الكيلاني من التجنيد الإجباري الذي كان يُساق إليه شباب العراق للقتال في حروب الدولة العثمانية، وعادةً لا يعد أحد منهم، كما عيّن مستشاراً للوالي وعضواً دائماً في مجالس إدارة بغداد، وأصدر السلطان أمراً آخر يكرس ربع العشر على أراضي الدولة في العراق للأوقاف القادرية التي يُشرف عليها النقيب، وكان النقيب ينتمي إلى طبقة الأجلاّء في المدينة.[٤٣]

كما كان لعبد الرحمن النقيب الكيلاني دور مهم في سياسة العراق، وكان يُعدُّ الشخصية الثانية بعد شخصية الوالي، باعتباره نقيب أشراف بغداد، وكانت العلاقة بين العثمانيين والنقيب الكيلاني جيدة.[٤٤]

ث- أسرة آل السعدون:

يرجع نسب أسرة آل السعدون إلى الأشراف، إلى عام ١٥٣٠م، حيث شُكّلت امارة المنتفق المشهورة التي تركزت في منطقة البصرة (الجنوب العراقي)[٤٥]، وقد تقاسمت أسرة آل السعدون مع العثمانيين مناطق النفوذ في العراق، في جنوبه وأجزاء من وسطه لأسرة السعدون[٤٦]، وفي شماله وأجزاء من وسطه للدولة العثمانية بالإضافة إلى الصرع المستمر حول مدينة البصرة، ممّا أدّى إلى الاصطدام بين الطرفين، في الكثير من المعارك والتي أغلبها كان النصر فيها للإمارة (أسرة آل السعدون) وعشائرها.[٤٧]

وتاريخياً كانت أسرة آل السعدون من الأسر العربية القليلة التي استطاعت أن تجمع بين المشيخة القبلية وبين حكم الدولة، حيث كان آل السعدون شيوخ مشايخ لاتحاد المنتفخ القبلي أكبر اتحاد للقبائل والعشائر، كما سيطرت الإمارة التي أسسّوها على نصف مساحة العراق[٤٨]، وبرز من رجال أسرة آل السعدون، السيخ ثويني بن عبد الله، وكانت مدة حكمه من عام ١٧٦٠م وحتى عام ١٧٧٩م، وهو من أشهر مشايخ أسرة آل السعدون، وبرز دوره السياسي لمشاركته في العصيان الذي قام به والدهُ ضد الدولة العثمانية سنة ١٧٦٨م، كما كان الساعد الأيمن في جميع حركات ومواجهات الأمير ثامر، وشارك في

محاربة الفرس عند محاصرتهم واحتلالهم البصرة عام ١٧٧٥م، ووصل غزواته إلى القصيم في نجد، وهو منتصر بأغلب معاركه، وقد غزا الإحساء لمحاربة ابن سعود.[٤٩]

ولم يكن لآل السعدون أن يتردّوا من الإعلان عن عزمهم على تحقيق الاستقلال، لذلك كان عمد العثمانيون أن تكون تصرفاتهم وخططهم التي رسمت خلال مدة حكمهم كلها تستهدف زعزعة الأسرة السعدونية القوية والقضاء عليها بالحركات العسكرية والتدابير الإدارية والضغط السياسي والاقتصادي حتى تقليص حجم المملكة فيما عُرف بمرحلة الإفراز ما بين عامي ١٨٥٣-١٨٨١م، وهي المرحلة الأخطر والأكثر تأثيراً في السياسات العثمانية ضد مملكة المنتفخ، إلاّ أنّ اتحاد قبائل المنتفخ حافظ على كونه أكبر اتحاد للقبائل في العراق.[٥٠]

كما أسست أسرة السعدون مدناً اقتصادية (تجارية)، مثل سوق الشيوخ والناصرية، ولاحقاً الخميسية عاصمة إمارة المنتفخ ما بين ١٨٩٢-١٩١١م، التي بناها ابن خميس بإيعاز وحماية من الأمير فالح السعدون، وكانت تتحكّم في اقتصاد وتجارة القبائل بواسطة هذه المدن، وقد كانت أسرة آل السعدون تهتم باقتصاد الإمارة من الناحية الزراعية في جنوب ووسط العراق، حيث قاموا بتشجيع عشائر وقبائل من الجزيرة العربية ومن أنحاء العراق الأخرى إلى الهجرة إلى إمارة المنتفق، وقاموا بإعطائهم أراضي على ضفتي الفرات، وذلك لكي يزرعونها، وبذلك ازدهرت الزراعة والصادرات الزراعية للإمارة وانتعش اقتصاد الإمارة من الضرائب المفروضة على المنتجات الزراعية من هذه الأراضي.[٥١]

وكانت إمارة المنتفق إمارة عشائرية، مارست نفوذاً عسكرياً وسياسياً واسعاً على مناطق جنوب العراق إبان العصر العثماني، بلغ ذروته أن أمر سعيد بن سليمان الكبير، حاكم بغداد، وذكرت المصادر التاريخية أنّ حاكم إمارة المنتق وشيخ مشايخ قبائلها الأمير حمود بن ثامر بن سعدون بن محمد بن مانع الشبيبي الحسيني أمير المنتفق في العراق، وأحد من اشتُهروا بالفروسية، فقد كانت أيام حروبه تُعدُّ كأيام العرب في الجاهلية، ولجأ إليه من بغداد أحد بشوات الترك ويُدعى سعيد باشا، فارّاً من الوالي عبد الله باشا، فطلبه هذا من حمود[٥٢].

فأبى تسلميه، فكتب إليه الوالي بالعزل، وجرّد جيشاً لقتاله، فقاتله حمود، ونشبت بينهما معركة انهزم فيها جيش الوالي واستسلم هو وبعض القادة، فأمر حمود بقتلهم فقُتلوا، واستفحل أمره فضم إلى إمارته، ما في جنوب البصرة من القرى، واتسعت ثروته، وقصده الشعراء بالمدائح، فكانت جوائزهُ حديث الناس وسافر إلى بغداد ومعه سعيد باشا، فكتب سعيد إلى الآستانة فجاءتهُ التولية على العراق (بغداد، وشهرزور والبصرة)، وعاد حمود إلى المنتفق وأمره نافذ في الوالي الجديد[٥٣].

وكنتيجة لعجز الدولة العثمانية عن الاستيلاء على امارة المنتفق، فقد لجأت إلى سياسة عدم الاصطدام بين أبناء الأسر الحاكمة في مملكة المنتفق، (آل سعدون)، وتشجيع التنافس بينهم على الحكم، حيث

بدأت استعدادها لتقديم الدعم العسكري والسياسي لأي فرد من أبناء الأسرة الحاكمة في مملكة المنتفق، مقابل خروجه على الحاكم الفعلي من أبناء عمه، وتعهّدت بدفع ضرائب للدولة العثمانية بعد وصوله للحكم، وهو ما أدّى إلى كثرة الطامحين إلى الوصول للحاكم، وتسببّ في الكثير من المعارك الدخيلة في مملكة المنتفق في تلك الفترة.(٥٤)

ومنذ عام ١٨٥٣م، بدأت امارة المنتفق في الدخول في أضعف فتراتها التاريخية، وذلك عندما بدأت مرحلة الإفراز (المرحلة الأخطر والأكثر تأثيراً في السياسات العثمانية ضد امارة المنتفق)، وتتلخص هذه المرحلة بدعم العثمانيين لأحد أفراد الأسرة الحاكمة في مملكة المنتفق (آل سعدون)، ضد الحاكم الفعلي من أبناء عمه، وهذا الدعم يكون بالقوات العسكرية العثمانية والسلاح والاعتراف السياسي بحكمه، وذلك مقابل تخلّي الحاكم الجديد عن أراضي من دولته بكل قبائلها وعشائرها للدولة العثمانية.(٥٥)

وكان أول إفراز هو إفراز لواء السماوة كاملاً بكل عشائره وقبائله والتنازل عنه للدولة العثمانية، وتدرّج العثمانيون باقتطاع أراضي مملكة المنتفق في القرن التاسع عشر، وتم للعثمانيين ما أرادوه والذي كان يعملون عليه منذ قرون، فقد لجأوا على البنيان بالهدم، ومن السياسات التي بدأت الدولة العثمانية في هذه المرحلة تطبيقها في محاولة استمالة آل سعدون، وهي سياسة منحهم ألقب رسمية على لقب (باشا)، وظلت الأمور على حالها حتى عام ١٩١٨م، إذ سقطت الدولة العثمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى.(٥٦)

ويمكن القول إن الوحدة العظيمة بين اتحاد القبائل كان سبباً رئيسياً لصعود مملكة المنتفق لعدة قرون أمام الحملات العثمانية وحملات الدول الإقليمية، وهذه الوحدة (التي أوجدتها أسر السعدون الأشراف بين قبائل المنتفق)، جعلت مملكة المنتفق وقبائلها وحكامها اللاعب الرئيسي في تاريخ العراق.(٥٧)

الخاتمة:

أدّت الأسر العراقية دوراً مهماً في تاريخ العراق السياسي وتنظيمه الاجتماعي، ومنذ قدوم العثمانيين وسيطرتهم على العراق أدركوا مدى أهمية تلك الأسر وتأثيرها في طبقات المجتمع، فكان لا بدّ من إشراكهم بحكم البلاد وإدارتها، انطلاقاً من أهمية دورهم وشدة تأثيرهم على طبقات فئات المجتمع، وتعددت أدوار تلك الأسر، ما بين تعميق الوعي السياسي لدى الناس، وإدراكهم لأهم الأحداث السياسية التي مرّ بها العراق، وصولاً للناحية الاقتصادية والثقافية، فبرزت أسرة الكيلاني التي انخرطت بالعمل السياسي، وتمتعت بمكانة دينية واجتماعية مهمة، وتولى العديد من أفرادها قيادة نقابة الأشراف، وشكّلت حلقة وصل بين السلطة العثمانية والمجتمع العراقي، كما ظهرت من الأسر العراقية أسرة آل السعدون من الأسر التي كان لها دور مهم في تاريخ العراق، وذلك للدور المحوري الذي أدّته في تأسيسها إمارة المنتفق، وتأرجحت علاقتها مع السلطة العثمانية بين التحالف والصدام، ولعلّ أبرز دور لهذه الأسرة كان

في حمايتها لجنوب العراق العثماني من الهجمات المتتابعة، كما برزت أسرة الجليلية وكان لها دور سياسي مهم في الدفاع عن الحدود الشرقية وحكم ولاية الموصل، وشهدت الموصل في عهدهم انتعاشاً ملحوظاً من بناء المدارس والمساجد والأسواق، كما كان للأسر الكردية في العراق دورٌ بارز، وأكبر مثال على ذلك أسرة البابانية، وشكّلت درعاً واقياً للحدود الشرقية للإمبراطورية في منطقة شهرزور (السليمانية)، وتميّز دورهم بالجمع بين الاستقلال الإداري والتحالف السياسي من جهة وتمرّداتهم العسكرية من جهة أخرى.

الهوامش:

(١) محمد، ابتسام حمود، العراق من العهد العثماني المتأخر ١٨٣١-١٩١٤م، كلية التربية للعلوم الإنسانية، تاريخ العراق الحديث، جامعة تكريت، تكريت، ٢٠١٨م، ص٣.

(٢) نديم، شكري محمود، العراق في عهد السيطرة العثمانية: مرحلة المشروطية الثانية ١٣٦٢-١٣٣٧هـ/١٩٠٨-١٩١٨م، دار دجلة للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠٠٨م، ط١، ص١٥.

(٣) شاكر، محمود، موسوعة تاريخ الخليج العربي، دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٥م، ط١، ص٤٧٦.

(٤) الحمداني، سامي، الإدارة المحلية تطبيقها والرقابة عليها، دار المنهل للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤م، ط١، ص٣٥.

(٥) نغميش، رحيم عويد، الإصلاح الإداري والتنمية الإدارية في العراق، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٤م، ص٢١٣.

(٦) البزاز، عبد الرحمن، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، دار مطبعة العاني للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٦٧م، ط٣، ص٧٩.

[7] BOA, Iraq dahiliye, note by Umum Erkan, 2001- p: 146

(٨) الجبوري، ماهر صلاح، الوسيط في القانون الإداري، دار ابن الأثير للطباعة والنشر والتوزيع، جامعة الموصل، الموصل، ٢٠٠٩م، ص٤٩.

(٩) نديم، شكري محمود، العراق في عهد السيطرة العثمانية، ص٢٢.

(١٠) نوار، عبد العزيز، تاريخ العراق الحديث، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٨م، ط١، ص٧.

(١١) الرحال، حسين-كمونة، عبد المجيد. الإدارة المركزية والإدارة المحلية في العراق، دار مطبعة عبد الكريم زهد، بغداد، ١٩٨٧م، ط٢، ص٥٢.

([12])Bruce Masters, The Arabs of the Ottoman Empire 1516-1918, Cambridge University Press, 2023, p:163.

(١٣) نوار، عبد لعزيز سليمان، تاريخ العراق الحديث، ص٥٢.

(١٤) الرحال، حسين-كمونة، عبد المجيد. , الإدارة المركزية والإدارة المحلية في العراق، ص٥٥.

(١٥) العزاوي، عباس، تاريخ التشكيلات الإدارية في العراق، بحث منشور في مجلة القضاء، بغداد، ١٩٤٨م، العدد: ٣، ص٦٦.

(١٦) الحمداني، سامي، الإدارة المحلية، ص٣١.

(١٧) العزاوي، عباس، تاريخ التشكيلات الإدارية في العراق، العدد: ٣، ص٦٨.

(١٨) الحمداني، سامي، الإدارة المحلية، ص٣٣.

[19] Reidar Visser , Proto- Political Conceptions of Iraq in Late Ottoman Times inter Contemporary Iraq Studies, 2009, p:144.

(٢٠) نوار، عبد العزيز، تاريخ العراق الحديث، ص١٢.

(٢١) محمد، ابتسام حمود، العراق من العهد العثماني المتأخر ١٨٣١-١٩١٤م، ص١١.

(٢٢) العزاوي، عباس، تاريخ التشكيلات الإدارية في العراق، العدد: ٣، ص٧٠.

(٢٣) البزاز، عبد الرحمن، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، ص٨٠.

(٢٤) الرحال، حسين-كمونة، عبد المجيد, الإدارة المركزية والإدارة المحلية في العراق، ص٥٨.

(٢٥) العزاوي، عباس، تاريخ التشكيلات الإدارية في العراق، العدد: ٣، ص٧٢.

(٢٦) الزيدي، مفيد، موسوعة التاريخ الإسلامي: العصر العثماني (١٥١٦-١٩١٦م)، دار المنهل للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠٠٩م، ط١، ص١٣٠.

(٢٧) الدروبي، إبراهيم عبد الغني، البغداديون: أخبارهم ومجالسهم، دار مطبعة الرابطة ببغداد للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٨٥م، ط١، ص١٦٢-ص١٦٣.

(٢٨) الزيدي، مفيد، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص١٣١.

(٢٩) العزاوي، عباس، تاريخ التشكيلات الإدارية في العراق، العدد: ٣، ص٧٣.

(٣٠) عثمان باشا بابان: هو عثمان بن محمود باشا بابان، حاكم كردستان، وهو من سلالة بابان، ووُلد في القرى الكردية الواقعة في جنوب كردستان العثمانية، ضمن ولاية الموصل العثمانية، وكان قائداً عسكرياً شهماً شجاعاً، وفي سنة ١١٩٥هـ/١٧٨١م، أرسله أبوه لمعاونة الوالي سليمان باشا في كسر شوكة المتمردين المحاصرين لبغداد، للمزيد انظر: مطر، عباس، جدل الهويات: عرب...أكراد....تركمان....سريان....يزيدية، صراع الانتماءات في العراق والشرق الأوسط، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٣م، ط٢، ص١٢-ص٢٨.

(٣١) العزاوي، عباس، تاريخ التشكيلات الإدارية في العراق، العدد: ٣، ص٧٢.

(٣٢) الدروبي، إبراهيم عبد الغني، البغداديون: أخبارهم ومجالسهم، ص١٦٤.

(٣٣) معروف الرصافي: (١٢٩٢-١٣٦٥هـ/١٨٧٥-١٩٤٥م)، وهو أكاديمي وشاعر عراقي، وُلد في بغداد، وتعدو أصوله إلى عشيرة الجبارين، ومن ثم عُيّن معلماً في مدرسة الراشدية، امتاز أسلوب الرصافي بمتانة لغته ورصانة أسلوبه، وشارك الرصافي في قضايا أمته السياسية والاجتماعية، ودعا إلى بناء المدارس، للمزيد انظر: زكي، محمد أمين، مشاهير الكرد وكردستان، دار مطبعة الفيض الأهلية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٩٤م، ط٢، ص١٩٦.

(٣٤) أمجد الزهراوي: شيخ دين كردي ورئيس رابطة علماء العراق، وهو أبو سعيد أمجد بن الإمام محمد سعيد مفتي بغداد بن الإمام محمد فيضي الزهراوي، رئيس الأسرة البابانية، والذي أنشأ حفيده إبراهيم باشا بابان مدينة السليمانية وسماها باسم جده سليمان، وهو من ذرية الصحابي خالد بن الوليد المخزومي، للمزيد انظر: درويش، محمود فهمي، دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠م، دار مؤسسة الآفاق للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٩٩من ط١، ص٤٩١.

(٣٥) العزاوي، عباس، تاريخ التشكيلات الإدارية في العراق، العدد: ٣، ص٧٥.

(٣٦) الدروبي، إبراهيم عبد الغني، البغداديون: أخبارهم ومجالسهم، ص١٦٣.

[٣٧] الكيلاني، كرم محمد الحاج ذياب زيد، المتحف الكشاف في تاريخ وتراث ونسب آل زيد الكيلاني، دار آفاق عربية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٢م، ط١، ص٦.

[٣٨] القهواتي، حسين محمد، العراق في عهد الاحتلالين الصفويين وما بين الاحتلالين العثمانيين، دار ورد الأردنية للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٥م، ط١، ص٦١.

[٣٩] العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، دار مكتبة المثنى للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٩٨م، ط١، ج٣، ص٣٤٣.

[٤٠] منسي، محمود صالح، حركة اليقظة العربية في الشرق الأسيوي، دار مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٢م، ط١، ص١٩.

[٤١] العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، ص١٢٥.

[٤٢] القهواتي، حسين محمد، العراق في عهد الاحتلالين الصفويين وما بين الاحتلالين العثمانيين، ص٦٥.

[٤٣] رحيمي، عبد الحليم، تأريخ الحركة الإسلامية في العراق: الجذور الفكرية والواقع التاريخي (١٩٠٠-١٩٢٤م)، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٥م، ط١، ص٦٤.

[٤٤] الدروبي، إبراهيم عبد الغني، البغداديون: أخبارهم ومجالسهم، ص١٥.

[٤٥] شلاه، حسين هادي، طالب باشا النقيب البصري ودوره في تاريخ العراق السياسي الحديث، الدار العربية للموسوعات للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠٠٢م، ط١، ص١١٢.

[٤٦] شمري، عليّ ناصر، شيوخ وعشائر المنتفق: دور العشائر في ثورة عام ١٩٢٠م، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٠م، ط١، ص٧.

[٤٧] القهواتي، حسين محمد، العراق في عهد الاحتلالين الصفويين وما بين الاحتلالين العثمانيين، ص٦٦.

[٤٨] كانت أسرة آل السعدون أول من بعث الفكرة العربية من مرقدها في العراق الحديث، وحمل راية النضال من أجلها بالدم والحديد في وجه الأتراك، بعد أن دثرت وانطمست مآثرها على أيدي المغول الأثيمة، وقد كان العثمانيون يشعرون بثقل العب الملقي على عاتقهم من نفوذ الأسرة ووطنيها، وقد حكمت أسرة السعدون (الأشراف) مملكة المنتفخ منذ تأسيسها وحتى سقوطها نهاية الحرب العالمية الأولى في الفترة ١٥٣٠-١٩١٨م، للمزيد انظر: شمري، عليّ ناصر، شيوخ وعشائر المنتفق، ص٣٢.

[٤٩] فيان، حسين أحمد، حرية الصحافة في العراق: ١٩٢٢-١٩٣٣م، دار المعتز للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م، ط١، ص٣٧.

[٥٠] فياض، عامر حسن، جذور الفكر الديمقراطي في العراق الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة- آفاق عربية للطباعة والنشر والتويع، بيروت، ٢٠٠٢م، ط١، ص١٤٦.

[٥١] القهواتي، حسين محمد، العراق في عهد الاحتلالين الصفويين وما بين الاحتلالين العثمانيين، ص٦٧.

[٥٢] شمري، عليّ ناصر، شيوخ وعشائر المنتفق، ص٣٢.

[٥٣] زبيدي، حسن لطيف كاظم، موسوعة الأحزاب العراقية: الأحزاب والجمعيات والحركات السياسية والقومية والدينية في العراق، دار مؤسسة العارف للمطبوعات للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠٠٧م، ط١، ص٤٧٩.

[٥٤] شمري، عليّ ناصر، شيوخ وعشائر المنتفق: دور العشائر في ثورة عام ١٩٢٠م، ص١٠.

[٥٥] زبيدي، حسن لطيف كاظم، موسوعة الأحزاب العراقية، ص٤٧٩.

[٥٦] القهواتي، حسين محمد، العراق في عهد الاحتلالين الصفويين وما بين الاحتلالين العثمانيين، ص٦٨.

[٥٧] زبيدي، حسن لطيف كاظم، موسوعة الأحزاب العراقية، ص٤٧٩.

قائمة المصادر والمراجع:

١-البزاز، عبد الرحمن، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، دار مطبعة العاني للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٦٧م، ط٣.

٢-الجبوري، ماهر صلاح، الوسيط في القانون الإداري، دار ابن الأثير للطباعة والنشر والتوزيع، جامعة الموصل، الموصل، ٢٠٠٩م.

٣-الحمداني، سامي، الإدارة المحلية تطبيقها والرقابة عليها، دار المنهل للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤م، ط١.

٤-الدروبي، إبراهيم عبد الغني، البغداديون: أخبارهم ومجالسهم، دار مطبعة الرابطة ببغداد للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٨٥م، ط١.

٥-درويش، محمود فهمي، دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠م، دار مؤسسة الآفاق للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٩٩من ط١.

٦-الرحال، حسين-كمونة، عبد المجيد. الإدارة المركزية والإدارة المحلية في العراق، دار مطبعة عبد الكريم زهد، بغداد، ١٩٨٧م، ط٢.

٧-رحيمي، عبد الحليم، تأريخ الحركة الإسلامية في العراق: الجذور الفكرية والواقع التاريخي (١٩٠٠-١٩٢٤م)، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٥م، ط١.

٨-زبيدي، حسن لطيف كاظم، موسوعة الأحزاب العراقية: الأحزاب والجمعيات والحركات السياسية والقومية والدينية في العراق، دار مؤسسة العارف للمطبوعات للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠٠٧م، ط١.

٩-زكي، محمد أمين، مشاهير الكرد وكردستان، دار مطبعة الفيض الأهلية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٩٤م، ط٢.

١٠- الزيدي، مفيد، موسوعة التاريخ الإسلامي: العصر العثماني (١٥١٦-١٩١٦م)، دار المنهل للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠٠٩م، ط١.

١١- شاكر، محمود، موسوعة تاريخ الخليج العربي، دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٥م، ط١.

١٢- شلاه، حسين هادي، طالب باشا النقيب البصري ودوره في تاريخ العراق السياسي الحديث، الدار العربية للموسوعات للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠٠٢م، ط١.

١٣- شمري، عليّ ناصر، شيوخ وعشائر المنتفق: دور العشائر في ثورة عام ١٩٢٠م، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٠م، ط١.
١٤- العزاوي، عباس، تاريخ التشكيلات الإدارية في العراق، بحث منشور في مجلة القضاء، بغداد، ١٩٤٨م، العدد: ٣.
١٥- العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، دار مكتبة المثنى للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٩٨م، ط١، ج٣.
١٦- فياض، عامر حسن، جذور الفكر الديمقراطي في العراق الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة- آفاق عربية للطباعة والنشر والتويع، بيروت، ٢٠٠٢م، ط١.
١٧- فيان، حسين أحمد، حرية الصحافة في العراق: ١٩٢٢-١٩٣٣م، دار المعتز للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م، ط١.
١٨- القهواتي، حسين محمد، العراق في عهد الاحتلالين الصفويين وما بين الاحتلالين العثمانيين، دار ورد الأردنية للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٥م، ط١.
١٩- الكيلاني، كرم محمد الحاج ذياب زيد، المتحف الكشاف في تاريخ وتراث ونسب آل زيد الكيلاني، دار آفاق عربية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٢م، ط١.
٢٠- محمد، ابتسام حمود، العراق من العهد العثماني المتأخر ١٨٣١-١٩١٤م، كلية التربية للعلوم الإنسانية، تاريخ العراق الحديث، جامعة تكريت، تكريت، ٢٠١٨م.
٢١- مطر، عباس، جدل الهويات: عرب...أكراد....تركمان....سريان....يزيدية، صراع الانتماءات في العراق والشرق الأوسط، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٣م، ط٢.
٢٢- منسي، محمود صالح، حركة اليقظة العربية في الشرق الأسيوي، دار مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٢م، ط١.
٢٣- نديم، شكري محمود، العراق في عهد السيطرة العثمانية: مرحلة المشروطية الثانية ١٣٦٢-١٣٣٧هـ/١٩٠٨-١٩١٨م، دار دجلة للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠٠٨م، ط١.
٢٤- نغميش، رحيم عويد، الإصلاح الإداري والتنمية الإدارية في العراق، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٤م.
٢٥- نوار، عبد العزيز، تاريخ العراق الحديث، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٨م، ط١.

المصادر الأجنبية:

1. BOA, Iraq dahiliye, note by Umum Erkan, 2001
2. Bruce Masters, The Arabs of the Ottoman Empire 1516-1918, Cambridge University Press, 2023.
3. Reidar Visser , Proto- Political Conceptions of Iraq in Late Ottoman Times inter Contemporary Iraq Studies, 2009.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

الثورة الديمقراطية المنغولية لعام ١٩٩٠

أ.م.د فاطمة جاسم خريجان مهدي
جامعة المثنى/ كلية التربية الأساسية/ قسم التاريخ (العراق).
fatamagasam@mu.edu.iq

الاستلام(Received) : ١٦ /٠٤/ ٢٠٢٦	التعديل (Revision) : ٠٨/٠٥ / ٢٠٢٦
القبول(Accepted) : ٢٣ /٠٦/ ٢٠٢٦	النشر (Published) : ٣٠/٠٩/ ٢٠٢٦

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص

كانت منغوليا الخارجية منذ عشرينيات القرن الماضي تحت حكم الحزب الواحد وهو حزب الشعب الثوري المنغولي(MPRP) ، والذي كان على ارتباط وثيق بالاتحاد السوفيتي ومع بداية تفكك الكتلة الشرقية في أواخر الثمانينيات، بدأ تأثير البيريسترويكا والغلاسنوست يُشعل الرغبة في التغيير في منغوليا الخارجية أيضاً.

الكلمات الافتتاحية: الثورة الديمقراطية، منغوليا الخارجية، الحزب الواحد.

Abstract

since the 1920s, Outer Mongolia had been under the rule of the one-party Mongolian People's Revolutionary Party (MPRP), which was closely affiliated with the Soviet Union. With the beginning of the disintegration of the Eastern Bloc in the late 1980s, the effects of Perestroika and Glasnost began to ignite a desire for change in Outer Mongolia as well.

Key words: Democratic Revolution, Outer Mongolia, One-Party.

المقدمة

شهدت منغوليا الخارجية عام ١٩٩٠ تحولًا تاريخياً من الحكم الشيوعي إلى النظام الديمقراطي في واحدة من أكثر الثورات السلمية في آسيا الوسطى. بدأت الاحتجاجات الشعبية في العاصمة أولان باتور بقيادة طلاب ومثقفين مطالبين بالإصلاح السياسي والحرية وتعدد الأحزاب. جاءت هذه التحركات في ظل تأثر البلاد بإصلاحات ميخائيل غورباتشوف في الاتحاد السوفيتي، ومع تصاعد الضغط الشعبي استقالت القيادة الشيوعية في أذار عام ١٩٩٠، مما مهّد الطريق لإجراء أول انتخابات حرة وبذلك تكون منغوليا قد اتجهت نحو الديمقراطية على الرغم من افتقارها الى سمات الديمقراطية ، اذ لم تكن تتمتع بالتعددية السياسية وغيرها من السمات المميزة لمعظم الدول السائرة في طريق الديمقراطية.

أقتضت طبيعة البحث تقسيمه الى مقدمة وعدة مواضيع وخاتمة.

تناول الموضوع الأول السياق التاريخي والسياسي للثورة والذي أشار إلى الظروف التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية التي سبقت قيام ثورة عام ١٩٩٠ وأسهم في حدوثها وتحديد مسارها، في حين تناول الموضوع الثاني انطلاق الثورة وأحداثها وفيه تم التطرق الى مجريات الثورة وكيف بدأت ، وتناول الموضوع الثالث **نتائج الثورة** والذي تناول التغييرات الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية التي أحدثتها الثورة الديمقراطية عام ١٩٩٠ في منغوليا الخارجية.

أولاً- السياق التاريخي والسياسي للثورة.

تُعد الثورة الديمقراطية مصطلح وظاهرة جديدة نسبياً، فتعرف بأنها تحولات جوهرية سريعة في حالة المجتمع وبنيته الطبقية، مصحوبة بثورات طبقية من القاعدة، وتُنفَّذ بشكل جزئي[١]، أو بأنها تغيير سياسي ناتج عن صراع بين الطبقات، يشمل مشاركة عدد كبير من الناس في حركات عنيفة قصيرة الأمد[٢]،أو أنها محاولة لتغيير المؤسسات السياسية ومبررات السلطة السياسية في المجتمع، مصحوبة بتعبئة جماهيرية رسمية أو غير رسمية، وإجراءات غير مؤسسية تُقوّض السلطات القائمة[٣]، أو هي انتفاضات شعبية عفوية يُسقط فيها الشعب الطغاة ، ويبدأ عملية انتقالية تُؤدي إلى ترسيخ الديمقراطية، وتتميز الثورة الديمقراطية بكونها سلمية ويكون قادتها من عامة الشعب[٤]. شهد العالم خلال المدة من ١٩٧٠– ١٩٩٠ حركات احتجاجية للتحول نحو الديمقراطية في معظم قارات العالم سيما في دول أوربا الشرقية مثل بلغاريا والمانيا والبانيا ودول أفريقية وآسيوية مثل منغوليا.

كانت منغوليا الخارجية(Outer Mongolia) التي تقع بين روسيا والصين جزء من إمبراطورية المانشو منذ عام ١٦٩١ [٥]، لكن بعد سقوط سلالة المانشو ونشوب الثورة المنغولية عام ١٩١١ [٦] وبدعم من روسيا القيصرية أعلنت منغوليا الخارجية استقلالها ، وفي ٣ تشرين الثاني ١٩١٢ وقعت منغوليا الخارجية مع روسيا معاهدة اعترفت فيها روسيا باستقلال منغوليا الخارجية[٧]، ولكن في عام

١٩١٣ ونتيجة لترابط المصالح الروسية والصينية أصدرت روسيا والصين بياناً ينص على أن منغوليا الخارجية لا تزال تحت السيادة الصينية اعترضت منغوليا الخارجية على ذلك ولكن تم تعزيز هذا الوضع من خلال عقد معاهدة كياختا (Kyakhta)الثلاثية الأطراف في ٧ حزيران ١٩١٥ بين منغوليا وروسيا والصين[٨]، والتي بموجبها اضطرت حكومة بوغدو خان(Bogdo Khan)[٩] الى قبول الحكم الذاتي تحت السيادة الصينية لكن هذا الاستقلال استمر لمدة قصيرة ففي عام ١٩١٩ استغلت الصين الاضطرابات الداخلية الدائرة في روسيا وانشغالها بأحداث الثورة البلشفية التي نشبت فيها عام ١٩١٧ فقامت بغزو منغوليا الخارجية والغت في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٩الحكم الذاتي الذي كانت تتمتع به منغوليا الخارجية[١٠].

وبعد استقرار الأوضاع في روسيا زارت بعض النخب السياسية موسكو لطلب المساعدة السوفيتية ضد السيطرة الصينية على الأراضي المنغولية، فاستقبلهم فلاديمير لينين(Vladimir I. Lenin)[١١] ووعدهم بتقديم المساعدة وإقامة دولة بروليتاريا مستقلة بشرط أن تتحول منغوليا الخارجية من الرأسمالية وتعتمد النظام السوفيتي الماركسي ، وبناءاً على موافقة المنغول ساعدهم الروس في تأسيس حزب الشعب المنغولي عام ١٩٢٠[١٢]، والذي قاد ثور عام ١٩٢١[١٣] للتخلص من الحكم الصيني، وفقًا لثورة عام ١٩٢١ فقد تغيير النظام الملكي إلى نظام حكم دستوري يُدار من حزب الشعب الثوري المنغولي الحزب الواحد والاتحاد السوفيتي، وفي عام ١٩٢٤ أستولت الحكومة الثورية في منغوليا الخارجية على السلطة وأُعلنت في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٢٤عن تأسيس ثاني دولة شيوعية في العالم وهي جمهورية منغوليا الشعبية[١٤].

وبعد وفاة بوغدو خان عام ١٩٢٤ رفضت حكومة حزب الشعب الثوري البحث عن تجسيد أخر لبوذا الحي[١٥]، وفي عام ١٩٢٩ فرضت الحكومة الشعبية حظر رسمي على الاعتراف بأي تجسيد لبوذا الحي، وخلال المدة ١٩٣٠–١٩٣١ اتجه أعضاء الحزب نحو سياسة يسارية فجرت تصفية جسدية لبعض أعضاء الحزب الذين اتهموا بالخيانة والثورة المضادة ومخالفة مبادئ ثورة عام ١٩٢١، كما صودرت معظم ممتلكات الأديرة والمعابد والأراضي التابعة لهما فتمت مصادرة ١٥٦٦ قطعة أرض ، واغلق ٣٠٠ دير ، وسُجن ٥٧٠٠ شخص لفترات متفاوتة بينهم ٧١١ شخص من ملاك الأراضي واعدم ٢٠٠٠٠ شخص رمياً بالرصاص[١٦]، وفُرضت سياسة التجميع القسري لمزارع الماشية، وأُغلقت المعابد البوذية، وسُجن عدد كبير من اللامات أو تم نفيهم إلى سيبيريا مما أدى الى كسر سلطة الأديرة البوذية والنبلاء التقليديين وتشير بعض التقديرات الى أن ١٥% من السكان قد جرى تصفيتهم ، فتم قمع الثقافة التقليدية المنغولية وأدخلت الأبجدية السيريلية وهذا الأمر أثار حفيظة المنغول الذين بدأوا بسلسلة من التمردات والتي تم القضاء عليها عام ١٩٣٢ بمساعدة من القوات السوفيتية[١٧].

وبحلول عام ١٩٣٣ تعرضت منغوليا الخارجية الى تهديد جديد من اليابان التي أنشت دولة مانشوكو(Manchukuo)[١٨] وأدعت أن منغوليا الخارجية جزء من هذه الدولة، الأمر الذي جعل المنغول يوقعون بروتوكول مساعدة عسكرية متبادلة مع السوفيت في ١٢ آذار ١٩٣٦ لمدة سبع سنوات، وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ تحولت منغوليا الى ساحة قتال بين القوات السوفيتية–واليابانية وأبرز المعارك التي جرت على أراضيها هي معركة خالكين غول(Khalkin Gol)[١٩] وكانت نتيجتها تحقيق الانتصار بفضل التعاون بين القوات السوفيتية والمنغولية وعلى أثرها تجنبت اليابان فتح جبهة ثانية في الشرق مع الاتحاد السوفيتي، وبناءاً على ذلك أعلنت منغوليا عام ١٩٤٠ عن بداية المرحلة الاشتراكية في التطور السياسي لمنغوليا، فقدمت منغوليا الخارجية الدعم اللوجستي لحليفها الاتحاد السوفيتي عام ١٩٤١ عندما غزت القوات الالمانية الاتحاد السوفيتي ، وقبل خمسة أيام من استسلام اليابان عام ١٩٤٥ شاركت منغوليا الخارجية في الحرب ،فكان لتدخل القوات المنغولية ضد اليابان قيمة دعائية كبيرة، إذ جعل منغوليا الخارجية حليف للولايات المتحدة وبريطانيا [٢٠].

وتثميناً للجهود التي قدمتها منغوليا للسوفيت طالب الاتحاد السوفيتي خلال مؤتمر يالطا المبرم عام ١٩٤٥ بالحفاظ على الوضع الراهن في منغوليا الخارجية وهو ما فهمه الأخرون بأنه سيادة صينية على منغوليا لكن موسكو كانت تشير إلى وضع منغوليا الخارجية جمهورية شعبية مستقلة عن الصين ، فوافقت الصين على ذلك لكن بشرط اجراء استفتاء شعبي وفعلاً اجري الاستفتاء تحت إشراف مراقبين خارجيين، بمن فيهم بعض المراقبين من الصين حيث نُظِّمَ الاستفتاء من خلال ٣٣٠٤ لجان تصويت محلية في ٢٠ تشرين الأول ١٩٤٥ ، وكانت النتيجة لصالح استقلال منغوليا الخارجية بنسبة تصويت بلغت ١٠٠%[٢١].

وفي عام ١٩٥٢ مرت على منغوليا الخارجية مدة أنتقال سياسي فقد عين يومجاجين تسيدينبال (Yumjagiin Tsedenbal)[٢٢] في ٢٧ أيار ١٩٥٢ رئيساً لمجلس الوزراء لكن تمت الأطاحة به عام ١٩٥٤ من قبل داشين دامبا(Dashiin Damba)[٢٣]نتيجة الأنقسام الذي جرى بين يومجاجين تسيدينبال ودامبا حول رده على الخطاب الذي القاه زعيم الاتحاد السوفيتي نيكيتا خروتشوف(Nikita S. Khrushchev's)(١٨٩٤–١٩٧١) وفيه انتقد جوزيف ستالين(Joseph Stalin)(١٨٧٩–١٩٥٣) في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي عام ١٩٥٦ ، فأنشأ المكتب السياسي المنغولي لجنة خاصة برئاسة بازارين شيريندیو(Bazaryn Shirendew)[٢٤] لإعادة النظر في قضايا من مدة خورلوجين شويبالسان(Khorloogiin Choibalsan)[٢٥]، وبينما دعم دامبا اللجنة ومنحها حق الاطلاع على ملفات وزارة الداخلية السرية جداً عرقل يومجاجين تسيدينبال عملها مرات عدة، وفي عام ١٩٥٨ نجح يومجاجين تسيدينبال في إقالة دامبا من منصبه ثم أصبح هو الأمين العام الأول لحزب الشعب الثوري

المنغولي فعمل على دعم ومساندة نهج الاتحاد السوفيتي ، كما عمل على تحويل الاقتصاد المنغولي من اعتماده على تربية الماشية إلى اقتصاد زراعي صناعي، على غرار النموذج السوفيتي التقليدي، وبمساعدة من الاتحاد السوفيتي[٢٦].

وقفت منغوليا الخارجية الى جانب موسكو عندما نشب الصراع الايديولوجي بينها وبين الصين عام ١٩٦٠ حول وحدة الحركة الشيوعية وقيادتها، فكان انحياز منغوليا إلى الاتحاد السوفيتي نتيجة لأسباب عملية مباشرة، نتيجة خوفها التاريخي من صعود الصين ، لذا فقد أضطلع الاتحاد السوفيتي بدور أكثر نشاطاً في تحويل منغوليا الى دولة عازلة بينه وبين الصين[٢٧]، وخلال أزمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٢ وقعت منغوليا الخارجية والاتحاد السوفيتي على معاهدة سرية تسمح بنشر قوات وطائرات وصواريخ في منغوليا، وقد صرح الروس بشكل علني على أن السبب وراء نشر القوات والصواريخ هو لحماية منغوليا من الطموحات الإقليمية للصين، وهذا الأمر استغله يومجاجين تسيدينبال للضغط على موسكو للحصول على مزيد من المساعدات الاقتصادية، وفي عام ١٩٦٦ أظهر يومجاجين تسيدينبال اعجابه الشديد بروسيا فعمل على تحويل منغوليا الى دولة صناعية زراعية مشابه للاتحاد السوفيتي[٢٨].

وبناءاً على ذلك وقعت منغوليا والاتحاد السوفيتي في عام ١٩٧٣ على معاهدة تسمح للروس بالاستفادة من الثروات المعدنية الموجودة في منغوليا، كما ساعد الاتحاد السوفيتي منغوليا على بناء مدينة إردينيت(Erdenet) عام ١٩٧٩ موقع مناجم النحاس وعنصر الموليبدينوم(Molybdenum) الضخمة فلولا مساهمة مصممين متخصصين من وزارة المعادن في الاتحاد السوفيتي، والتدريب التقني للمهندسين وغيرهم في الاتحاد السوفيتي، وتوفير خطوط الكهرباء من مصنع بالقرب من بحيرة بايكال(Baikal) لما أمكن بناء المدينة، وفي عام ١٩٨٠ تم طرد العمال الصينين من منغوليا وحل مكانهم العمال السوفيت وأصبح اقتصاد منغوليا مندمج بشكل متزايد في الاقتصاد السوفيتي فكان ما يقرب من ٩٥% من تجارة منغوليا كانت مع الاتحاد السوفيتي[٢٩].

وفي عام ١٩٨١ قام يومجاجين تسيدينبال وبناءاً على توجيهات موسكو بأجراء تطهير لأعضاء حزب الشعب الثوري المنغولي فقام بعزل المسؤولين التقدميين الذين دافعوا عن علاقات أوثق مع بكين، مما هدد منصبه ونتيجة لذلك تمت اقالته من منصبه عام ١٩٨٤ ليحل محله الأمين العام للحزب ورئيس للبلاد جامبين باتمونخ(Jambyn Batmönkh)[٣٠] ، وخلال الانتخابات التي أجريت عام ١٩٨٦ أعيد انتخاب جامبين باتمونخ رئيساً للبلاد والذي تأثر بشكل مبالغ فيه بما يحدث في الاتحاد السوفيتي مثل السياسيات الاصلاحية التي أتبعها ميخائيل سيرجيفيتش غورباتشوف(Mikhail Sergeyevich Gorbachev)[٣١]عام ١٩٨٨ مثل البيريسترويكا (Perestroika)[٣٢] أي أعادة الهيكلية الاقتصادية والسياسية والغلاسنوست(Glasnost)[٣٣] أي الانفتاح ومحاولة تطبيقها في منغوليا، وهذه السياسات

سمحت للقوى السياسية والاجتماعية الافلات من سيطرة القيادة على جميع المستويات، وإلغاء الدور الاحتكاري للحزب الشيوعي السوفيتي، وإنشاء هيئات تشريعية منتخبة ديمقراطياً على جميع المستويات، وانتشار الأحزاب السياسية المتعددة، وهذا الأمر أدى إلى خلق نظام سياسي تعددي حقيقي[٣٤] ، كما أعلن باتمونخ عام ١٩٨٨ عن جملة من التدابير تُوازي تقريباً جميع التدابير التي اتُخذت في الاتحاد السوفيتي ومنها: تشجيع التعاونيات الخاصة لتزويد السكان بالسلع الاستهلاكية والمواد الغذائية، وتحسين الخدمات العامة، وتطوير المزارع الفرعية لمساعدة الناس على قضاء أوقات فراغهم بفعالية، وفتح أسواق حيث يُمكن للأفراد جلب منتجاتهم للبيع، وتشجيع ترتيبات التأجير لتوسيع الزراعة[٣٥]، وبهذه السياسية كانت منغوليا مندمجة بشكل أيديولوجي وعسكري واقتصادي بالاتحاد السوفيتي[٣٦]، لكن هذه السياسة كانت غير فعالة في منغوليا وسببت ركود سياسي واقتصادي جعل المنغول يطالبون بأجراء أصلاح شامل في البلاد.

ثانياً- انطلاق الثورة وأحداثها.

أنطلقت رياح التغيير في منغوليا الخارجية من خلال المظاهرات الشعبية التي بدأت عام ١٩٨٩، ففي ٨ كانون الأول ١٩٨٩ نشر مقال في أحدى الصحف المحلية بعنوان **(دعونا نخلد ذكرى الثوار المظلومين)** وفيه أشار الكاتب الى حملة التطهير التي طالت افراد الحزب خلال ثلاثينات القرن العشرين حيث قمع وقتل الكثير من أنصار ثورة عام ١٩٢١ فقد أشار الكاتب الى أن هؤلاء الأشخاص لم يرتكبوا أعمالًا مضادة للثورة بل ناضلوا من أجل حرية واستقلال وطنهم وشعبهم ضد الغزاة الأجانب المستهترين بحياتهم، وطالب الكاتب بأقامة تماثيل لهم، بعدها قامت مجموعة صغيرة مكونة من ٥-٧ أشخاص أطلقوا على أنفسهم تسمية (الأوقات الجديدة)(New Times)بلصق مجموعة من اللافتات تنتقد فيها الحكومة لكن سرعان ما ألقت وزارة الأمن العام (الشرطة السرية) القبض على خمسة منهم ثم قامت بأطلاق سراحهم بعدما أخذ تعهد منهم بعدم تكرار أفعالهم ثم أصدرت وزارة الأمن العام تحذير شديد اللهجة الى الشعب ثم قامت بإزالة اللافتات[٣٧].

بعدها نظم ما يقرب من ٢٠٠ شاب تظاهرة في ١٠ كانون الأول عام ١٩٨٩ بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي لحقوق الإنسان في مدرجات مركز الشباب الثقافي على مسافة قريبة من ساحة سخباتار (Suhbaatar) العامة في العاصمة أولان باتور(Ulan Bator) حيث كانت فرقة الروك تغني أغنية بعنوان(صوت الجرس) التي بدأت بكلمات(**قيدتُ كلماتي لأحكي، حجبتُ عيني لأرى...**) والتي أصبحت نشيد للمتظاهرين[٣٨]، وعلى الرغم من تصوير الحدث الإ أنه تم تجاهله من قبل الصحافة المحلية، ثم تصاعدت المظاهرات في ١٤ كانون الثاني ١٩٩٠ التي ضمت ٤٠٠٠-٥٠٠٠ شخص، وقاد هذه المظاهرات أول حزب معارض في البلاد وهو حزب الاتحاد الديمقراطي المنغولي(MDU)[٣٩] من

المثقفين المتأثرين بالتطورات في أوربا الشرقية ، وسرعان ما تشكلت منظمات أخرى غير رسمية مثل رابطة الشباب الثوري المنغولي(Mongolian Revolutionary Youth League) التي أسسها مجموعة من الطلاب الدراسين في روسيا، فنظمت الرابطة مظاهرة في ٢٠ كانون الثاني ١٩٩٠ امام دار سينما يالالت(Yalalt) التي تقع في أولان باتور ، وفي ٢١ كانون الثاني ١٩٩٠ في ذكرى وفاة لينين نظم ٣٠٠٠ شخص مظاهرة أخرى بعدما حظرت الحكومة اقامة المظاهرات والاجتماعات في الشوارع والساحات ، وهذه المظاهرة كانت بتحريض من رابطة الشباب الثوري المنغولي التي قدمت دعمها لمطالب التغيير في النظام السياسي، وفي ٢٤ كانون الثاني ١٩٩٠، أصدرت وكالة الأنباء الرسمية المنغولية مونتسامي (Montsame) بيان أوضحت فيه بأن الحكومية المحلية لم تحظر التجمعات والمظاهرات ولكنها منعت من اقامتها في مناطق محددة فقط[٤٠].

وفي افتتاحية للصحيفة اليومية الحقيقة(أونين)(Unen)[٤١] التابعة للحزب الحاكم حزب الشعب الثوري المنغولي الصادرة في ١٦ شباط ١٩٩٠ بعنوان**(ديمقراطية أم فوضى؟)** أنتقدت فيه قيام بعض الأشخاص باستغلال الأوضاع لصالحهم فقامت وزارة الأمن العام بالتحقيق مع بعض الأشخاص الذين بنظر الدولة حالوا تقويض النظام الاشتراكي في البلاد[٤٢]، وكرد فعل طالبت المعارضة انشاء برلمان دائم ، واقامة نظام متعدد الأحزاب، وانتخابات حرة بالاقتراع العام، واستبدال الاقتصاد المخطط مركزياً بنظام السوق والملكية الخاصة، واعادة تنظيم الحكومة وحماية حقوق الإنسان بما في ذلك حرية الدين والصحافة ، ومعالجة قضايا القمع السياسي والتدمير واسع النطاق للأديرة وقمع الرهبان واللامات، واجراء انتخابات شعبية لمجلس الشعب الكبير والهيئة التشريعية الرئيسة[٤٣].

ولكن أعضاء حزب الشعب الثوري المنغولي الحزب الحاكم لم يكونوا على في عجلة من أمرهم فصرح رئيس الوزراء دوماجين سودنوم(Dumaagiyn Sodnom)[٤٤] أن هذه المطالب يمكن أن تحدث بشكل تدريجي وتحتاج الى مدة زمنية قد تصل الى خمس سنوات، كما أعلن أنه لا توجد أزمة سياسية أو اقتصادية حقيقية في البلاد، كما صرح عضو المكتب السياسي نسيريندايش نامسراي(Tserendashiyn Namsray)[٤٥] أن الغرض الرئيس من وجود تعددية حزبية هو تحسين أداء الحزب الحاكم، لكن أجبرت الاضطرابات الشعبية المستمرة أعضاء الحزب على التحرك بسرعة أكبر مما توقعوا[٤٦].

فخلال اجتماعات المكتب السياسي في ٤ آذار عام ١٩٩٠ انطلقت مسيرة جماهيرية حاشدة تضم ٢٠٠٠ شخص من مبنى مسرح الدراما الحكومي الى ساحة الحرية أو ساحة سخباتار التي تقع امام المبنى الحكومي الرئيس، وكان المتظاهرون يوزعون لافتات ومنشورات ضد الحزب الحاكم، ويدعون إلى تعديل الدستور واستقالة اللجنة المركزية للحزب ، وفصل الحزب عن الدولة، وإنشاء مجلس شعب مؤقت تشارك فيه جميع المجموعات السياسية بالتساوي، فقام عضو المكتب السياسي نسيريندايش نامسراي بتقدم رد

للمتظاهرين عبر الإذاعة والتلفزيون في مساء يوم ٦ آذار ونظراً لعدم رضا المتظاهرين عن الإجابات التي تلقوها من الحكومة، بدأ عشرة أعضاء من حزب الاتحاد الديمقراطي المنغولي في ٧ آذار ١٩٩٠ إضراب عن الطعام في ساحة سخباتار في الساعة الثانية ظهراً[٤٧]، كما نظم اضراب عن الطعام في مكان أخر في مدينة مورون(Moron) في مقاطعة كوفسجول(Hovsgol) الغربية، واضراب أخر الريف في مدينتي دارهان(Darhan) وإردينيت، وكانت الحركة جماهيرية واسعة، اذ أوقف الطلاب دروسهم ، وحضر الرهبان لدعم المضربين عن الطعام، كما نظم عمال المناجم اضرابات تعاطف ، وفي غضون أيام قليلة نظم النشطاء إضرابات للمعلمين والعمال في جميع أنحاء البلاد، وكان أقواها إضراب ساحة سوخباتار[٤٨].

وفي ٧ آذار ١٩٩٠ أصدرت الحكومة بيان أنتقدت فيه الأضراب عن الطعام، وحاول المكتب السياسي التفاوض مع المضربين عن الطعام لأنهاء الاضراب بشكل سلمي دون استخدام العنف، فصرح الأمين العام للحزب جامبين باتمونخ قائلاً:-" **كانت المظاهرات والاحتجاجات أمر جديد علينا، لقد أصدرتُ لهم تعليماتٍ بعدم استخدام القوة تحت أي ظرف من الظروف لن تُستخدم أي قوة لا داعي لاستخدام الشرطة أو إشراك الجيش يجب أن يكون منظمو هذه الحركات والمظاهرات مسؤولين عن النظام الاجتماعي في الواقع، هؤلاء المتظاهرون والمشاركون والمحتجون هم أبناؤنا**" لكن المضربين عن الطعام أكدوا على أنهم سيصمدون حتى تلبي الحكومة مطالبهم بل طالب المضربين بالاستقالة الفورية لأعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية لحزب الشعب الثوري المنغولي، كما قام بعض أعضاء الحزب بنشر بيان رسمي في الصحيفة اليومية (الحقيقة) موجه الى قيادة الحزب وطالبوا فيه بأحداث تغيير جذري في بنية الحزب معللين ذلك في أن نصف أعضاء الحزب كانوا فوق سن التقاعد وأن ثلثهم قد أعيد انتخابهم منذ عام ١٩٧٥[٤٩]، فعمد حزب الشعب الثوري المنغولي الى اجراء بعض الاصلاحات في نظامه الداخلي فقلصت اللجنة المركزية التابعة للحزب عدد إداراتها من ١٢ إدارة الى ٨ إدارات، وتكوين ٤ مجالس للأشراف على مجريات الاصلاح ، وتشكيل لجان خاصة لمراجعة برنامج حزب الشعب الثوري المنغولي ، وصياغة تعديلات على قواعد الحزب ودستوره[٥٠].

وفي يومي ٨ -٩ آذار ١٩٩٠ وخلال الإضراب عن الطعام الذي صادف يوم عطلة رسمية حضر النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء شارافين جونجادورج(Sharavyn Gungaadorj)(١٩٣٥-؟) الى ساحة سخباتار والتقى بالمضربين عن الطعام وطالبهم بأنهاء الاضراب لأسباب إنسانية وصحية، كما أجرى دوماجين سودنوم رئيس مجلس الوزراء الذي عاد لتوه من زياته الرسمية الى اليابان لقاء مع بعض أعضاء حزب الشعب الثوري المنغولي، ودعا إلى اتخاذ موقف حاسم من المضربين عن الطعام[٥١]، لكن عشرات الالاف من المتظاهرين طالبوا حزب الشعب الثوري المنغولي بالتخلي عن السلطة ، فتم نشر ما

يقارب ١٢٠٠ شرطي مع عدد مماثل من قوات الأمن لمواجهة احتجاجات ضمت ٣٠٠٠٠ متظاهر، لكن دون استخدام العنف ،في حين صاغ الحزب الحاكم حزب الشعب الثوري المنغولي قرار للنظر في قمع المظاهرات باستخدام القوة، وكان ينتظر توقيع رئيس الحزب جامبين باتمونخ ؛ إلا أن الأخير رفض التوقيع متمسكاً بالمبادئ السلمية ، وقال:-" **لن أوقعه لم نصل بعد إلى حد نزيف أنوف بعضنا البعض**" [٥٢].

كما أعلن المضربين عن الطعام أن الاضراب لن ينتهي حتى يقدم المكتب السياسي استقالته، وبعد بعض المقاومة رضخت القيادة للضغط الشعبي فأعلن جامبين باتمونخ في ١٢ آذار ١٩٩٠ أنه يستقيل من منصبه أمين عام ، كما سيتنحى المكتب السياسي كله، كما وعد بأن حزب الشعب الثوري المنغولي سيتخلى عن دوره القيادي المنصوص عليه في الدستور، وسيتم تحديد موعد لانتخابات الحزب في ١٥ آذار ١٩٩٠، وفي نفس الوقت تم تشكيل ست أحزاب معارضة وأنشئت ائتلاف ونظمت مظاهرات جديدة لأجبار حزب الشعب الثوري المنغولي على قبول الأصلاح والتخلي عن كونه الحزب الحاكم الوحيد في البلاد [٥٣].

وفي الجلسة العامة للحزب في ١٧ آذار انتخب غومبوجابين أوتشيربات(Gombojabyn Ochirbat)[٥٤] أمين عام للحزب فواصل الحزب الضغط من أجل الاصلاح في جلسات مجلس النواب التي بدأت في ٢١ آذار ١٩٩٠ وخلال الجلسات قدم الأمين العام لحزب الشعب الثوري المنغولي جامبين باتمونخ ورئيس الوزراء سودنوم استقالتهما، وقد بث بيان الاستقالة عبر الإذاعة والتلفزيون ، كما أعلن مجلس النواب أنه سيجتمع مرة أخرى في شهر أيار لمراجعة الدستور واجراء انتخابات حرة والعمل بنظام تعدد الأحزاب، والغاء الوضع القيادي للحزب، واعتماد نظام رئاسي، فضلاً عن انشاء مجلس نواب صغير(باغا خورال)(Baga Khural)[٥٥] يتولى مسؤولية القيام بأعمال الحكومة، أجبرت المظاهرات الجديدة التي أندلعت في ٢٩ نيسان ١٩٩٠ والتي نظمها أكثر من ٥٠٠٠٠ شخص رئيس البلاد بونسالماجين أوتشيربات(Punsalmaagiin Ochirbat)[٥٦] على العودة وبسرعة الى منغوليا وقطع زيارته الى الصين واستدعاء القوات المسلحة للحفاظ على النظام في البلاد، وصرح بأن حزب الشعب الثوري المنغولي قد ارتكب أخطاء لكنه لن يفشل مثل باقي الأحزاب الشيوعية في أوربا الشرقية[٥٧].

ومع بداية شهر نيسان ١٩٩٠ خفت حدة التوتر بعدما وافق حزب الشعب الثوري المنغولي على الاجتماع مع أحزاب المعارضة لمناقشة تغيير دستور البلاد ، وتعديل ديباجة الدستور سيما المادة رقم(٨٢) منه لحذف الإشارات المتعلقة بالدور القيادي والتوجيهي للحزب الشعبي الثوري المنغولي في المجتمع بشكل رسمي في جلسة مجلس النواب المزمع عقدها في ١٤ أيار ١٩٩٠ لجعل مجلس النواب هيئة اشرافية منتخبة بحرية مع انشاء مجلس نواب صغير ليصبح برلمان دائم تشريفي وتشريعي ، فأعلن غومبوجابين

أوتشيربات الأمين العام للحزب قائلاً:-" **أن هذه الخطوة مهمة في فصل الحزب عن الدولة، وكذلك في تجديد نظام الدولة**"[٥٨]، سجل حزب الشعب الثوري المنغولي في ٢٤ أيار ١٩٩٠ للتمهيد لأجراء انتخابات حرة وديمقراطية كما وعد الشعب المنغولي، ولضمان فوزه بالانتخابات قام الحزب بأنهاء سيطرته على النقابات العمالية والأنشطة الثقافية ووسائل الإعلام والعلوم والشباب، وزيادة رواتب الفئات ذات الرواتب المنخفضة ، واعفاء التعاونيات الزراعية من الديون المترتبة عليها للدولة، وتخفيض رسوم التدفئة بنسبة ٢٥% للمساكن، وزيادة رواتب الطلاب [٥٩].

سبق أجراء الانتخابات العامة عقد مؤتمر استثنائي لحزب الشعب الثوري المنغولي الحزب الحاكم في أوائل حزيران ١٩٩٠ فقدم الأمين العام للحزب غومبوجابين أوتشيربات تقرير عن المهام العاجلة لتعميق إعادة هيكلة الحزب وتجديده، وفي الوقت نفسه أكد حزب المعارضة الرئيس الحزب الديمقراطي المنغولي(MNDP)على هدفه المتمثل في جعل جميع المنظمات العامة ديمقراطية وإصلاح النظام السياسي في البلاد، فضلاً عن تطوير الملكية الخاصة، وقد ترشح للانتخابات ٢٤١٣ مرشح لشغل لمقاعد مجلس الشعب الكبير البالغ عددها ٤٣٠ مقعد، بعدها أجريت أول انتخابات عامة متعددة الأحزاب خلال المدة ٢٢-٢٩ تموز ١٩٩٠[٦٠].

وفي ٢٢ تموز أجريت الانتخابات التمهيدية في ٢٣٨ دائرة انتخابية من أصل ٤٣٠ دائرة انتخابية بهدف تضييق نطاق المرشحين إلى اثنين لكل دائرة انتخابية، كانت نسبة المشاركة في التصويت بلغت ٩٢% ، وفي ٢٩ تموز اجريت الانتخابات العامة بنسبة مشاركة في التصويت بلغت ٩٨% وتنافس فيها حزب الشعب الثوري المنغولي، والحزب الديمقراطي المنغولي، والحزب الاجتماعي الديمقراطي المنغولي(MSDP)، وحزب العمل الحر المنغولي(HUN)، والحزب التقدمي الوطني المنغولي(MNPP)، والحزب الأخضر المنغولي(MHH)، فاز حزب الشعب الثوري المنغولي وحصل على ٦٠% من الأصوات وفاز بـ ٣٥٧ مقعد و٤ مقاعد في مجلس الشعب الكبير و ٥٠ مقعد في مجلس الدولة الصغير، في حين فاز الحزب الديمقراطي المنغولي بـ١٦ مقعد، والحزب الوطني التقدمي المنغولي بـ ٦ مقاعد، والحزب الاجتماعي الديمقراطي المنغولي بـ ٤ مقاعد فقط، أما نسبة توزيع المقاعد على الجنس فكانت للرجال ٤٢١ وللنساء ٩، ففاز بونسالماجين أوتشيربات عن حزب الشعب الثوري المنغولي بفارق ضئيل بلغ ٢٠٠ صوت على خصمه من الحزب التقدمي الوطني المنغولي[٦١].

أجتمعت حكومة منغوليا المشكلة حديثاً في ٤ أيلول ١٩٩٠ وانتخب فيها بونسالماجين أوتشيربات رئيساً للبلاد، وفي ٥ أيلول ١٩٩٠ القى رئيس منغوليا بونسالماجين أوتشيربات خطاب في التلفزيون، أشار فيه الى الوضع التاريخي لمنغوليا ، وفي الخطاب شدد بونسالماجين أوتشيربات على ضرورة التخلي عن الاعتماد بشكل مفرط على الاتحاد السوفيتي، واتباع سياسة خارجية غير منحازة، مع بناء علاقات أقوى

مع دول منطقة آسيا والمحيط الهادئ، كما دعا إلى تطبيق اقتصاد السوق بشكل محلي، والسعي للحصول على عضوية صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وبنك التنمية الآسيوي، كما أنه جعل زيارة الولايات المتحدة في أولويات جدول أعماله كرئيس جديد للبلاد[٦٢]، في حين أصبح رادناسومبير غونشيغدورج(Radnaasümbereliin Gonchigdorj)[٦٣] زعيم الحزب الديمقراطي الاجتماعي نائب للرئيس ورئيس للخورال الصغير، وأصبح داشين بيامباسورين(Dashiyn Byambasuren)[٦٤] في ١٠ أيلول ١٩٩٠ رئيساً للوزراء، وفي جلسة البرلمان التي عقدت في ١٣ أيلول ١٩٩٠ تم تخفيض عدد الوزارات الى ١١ وزارة وتشكيل حكومة من ١٦ وزير فقط [٦٥]، فتم اضافة وزرات جديدة مثل الضمان الاجتماعي؛ والصناعات الثقيلة والتجارة والتعاون، في حين تم دمج أو إلغاء العديد من الوزارات القديمة مثل الزراعة والصناعات الغذائية والعلاقات الاقتصادية الخارجية والإمداد والصناعات الخفيفة والطاقة والتعدين والجيولوجيا والاقتصاد الاجتماعي والخدمات والتجارة والمشتريات[٦٦].

ولتقليل الاعتماد على الاتحاد السوفيتي قامت منغوليا بأقامة علاقات دبلوماسية مع كوريا الجنوبية والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا واليابان التي قدمت لها قرض بقيمة ٦٠ مليون دولار لتطوير صناعة المعادن ، كما بدأت منغوليا مع اليابان مشروع لإنتاج أجهزة التلفزيون ، كما وافقت شركة كانيماتسو (Kanematsu)اليابانية على بناء مصنع لورق المراحيض في منغوليا، كما زار رئيس البلاد بونسالماجين أوتشيربات بريطانيا ووقع معها على اتفاقية لاستيراد الآت التعدين مع انشاء مشروع مشترك لإنتاج المولدات الصغيرة التي تعمل بطاقة الرياح، واتفاقيات حول التنقيب عن النفط[٦٧]، كما زار وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر(James Baker)(١٩٣٠-؟) منغوليا في شهر أب ١٩٩٠ وهو أول مسؤول أمريكي رفيع المستوى يزور منغوليا منذ عام ١٩٤٤، كما جابت الوفود المنغولية آسيا بحثاً عن أنواع جديدة من التعاون الثنائي بما في ذلك النقل الجوي والاتفاقيات العلمية والتقنية وغيرها من التدابير لتعزيز تطوير منغوليا، كما أكد الرئيس بونسالماجين أوتشيربات بأن القوات السوفيتية الموجودة على الأراضي المنغولية جرى الاتفاق على انسحابها بحلول نهاية عام ١٩٩١ بينما ينسحب العمال والمدربين والفنيين السوفيت بحلول عام ١٩٩٢، كما وعد المجتمع الدولي بمجرد اتمام عملية انسحاب القوات السوفيتية فأن بلاده تنضم الى حركة عدم الانحياز[٦٨].

ثالثاً- نتائج الثورة.

كان للثورة الديمقراطية في منغوليا عام ١٩٩٠ عدة نتائج يمكن اجمالها بما يأتي:-

أ- إصلاحات دستورية وسياسية والتي تمثلت بما يلي[٦٩]:-

١- وضع هيكل جديد للدولة ، ووضع أسس مجتمع ديمقراطي، والاعلان عن انتخابات تعددية.

٢- تشكيل **برلمان جديد يتكون من مجلسين هما الخورال الكبير الذي يتمتع** بصلاحيات حقيقية مثل البت في الشؤون الرئيسة للدولة واختيار رئيس الوزراء ومجلس الوزراء وتعديل الدستور ويجتمع كل ٦ أشهر، أما الخورال الصغير وهو مسؤول عن الأنشطة التشريعية، ويضم ٥٠ عضو، وُزِّعت المقاعد على النحو التالي: الحزب الثوري الشعبي المنغولي ٣١ مقعد، والحزب الديمقراطي المنغولي ١٣ مقعد، وحزب التقدم الوطني المنغولي والحزب الديمقراطي الاجتماعي المنغولي ٣ مقاعد لكل منهما، وكان المجلس الصغير يجتمع مرتين سنوياً لدورات لا تقل مدتها عن ٧٥ يوم.

٣- تغيير اسم البلاد من جهورية منغوليا الشعبية الى جمهورية منغوليا.

٤- وضع دستور جديد للبلاد مشابه الى دستور الولايات المتحدة الأمريكية يضمن قانونياً الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان واستمرارية الاصلاحات الديمقراطية ، وينص على حرية الصحافة، وحرية الدين، واقتصاد السوق، واجراء انتخابات حرة دورية.

٥- تكوين ثلاث سلطات في منغوليا هي التنفيذية والتشريعية والقضائية، فالسلطة التنفيذية تشمل رئيس الدولة ورئيس الوزراء، والسلطة التشريعية تتكون من مجلس الدولة الكبير الذي يضم ٧٦ ممثل منتخب من الشعب لمدة أربع سنوات، والسلطة القضائية مع المحكة العليا[٧٠].

٦- اتباع سياسية خارجية منفتحة ومستقلة نسبياً تهدف الى حماية مصالح البلاد الوطنية، اذ واجهت منغوليا تحدي تطوير سياستها الخارجية الخاصة بها وتحديد موقعها في ساحة الشؤون العالمية، فقد بذلت البلاد جهودًا لتحرير نفسها من كونها مجرد أداة للسياسة الخارجية والأمنية السوفيتية، والتحول إلى جهة فاعلة تعتمد على نفسها .

٧- تعزيز العلاقات مع الولايات المتحدة واليابان والديمقراطيات الأخرى.

٨- اتباع سياسة خارجية غير منحازة.

ب-اصلاحات اقتصادية تمثلت بما يلي:-

١- تبني اقتصاد السوق الحرة.

٢- خصخصة مؤسسات الدولة والتي قسمت الى خصخصة صغيرة شملت قطاعات التجارة والخدمات والإسكان والثروة الحيوانية وخصخصة كبيرة شملت المزارع الحكومية والمزارع الكبرى والمؤسسات الكبيرة.

٣- تراجع الروابط التجارية لمنغوليا مع روسيا بشكل كبير بينما زادت التجارة مع الصين بشكل أسرع من أي دولة أخرى.

٤- تحرير الأسعار والأجور والتجارة والسياسات التي تمكن العملة الوطنية المنغولية التوغروغ(Tugrug)من التعويم بحرية.
٥- تشجيع الأستثمار الأجنبي المباشر[٧١].
٦- تقييد الإيرادات التي تملكها الدولة، وهو ما يعني بشكل عملي تخفيضات كبيرة في الضرائب وتقليص حاد في حجم بيروقراطية الدولة، وكذلك إنشاء بنوك تجارية وتقليص نفوذ بنك الدولة[٧٢].

ت-اصلاحات ثقافية واجتماعية.

١- سعت منغوليا الى الحد من تأثير الشيوعية على منغوليا باستخدام الرموز التقليدية لتعزيز الوعي الوطني واعادة لاهتمام بالشخصية الوطنية مثل جنكيز خان باعتباره شخصية تاريخية فتم الأحتفال بالذكرى ٨٢٨ لميلاده، لأن الروس فيما مضى كانوا حريصين على القضاء على أي اهتمام بجنكيز خان بين المنغول فقد حاول السوفيت مراراً وتكراراً تشويه سمعته أو تهميشه في التاريخ.
٢- فتح صحف جديدة تضم رموز العصر الجديد ، كما أعيد تصميم العلم الوطني وشعار النبالة، سيما عودة رمز (سويومبو)(Soyombo)[٧٣] الذهبي القديم الذي استُبدل في عهد النظام الستاليني[٧٤].
٣- أقيم نصب تذكاري لأقدم مخطوطة تاريخية في منغوليا وهي التاريخ السري للمغول التي كتبت في القرن الثالث عشر الميلادي والتي تتحدث عن أصول الشعب المغولي وكيف صعدوا للسلطة وفترة حكم جنكيز خان وأبنائه وخلفائه.
٤- جعل التعليم والرعاية الطبية والرعاية الاجتماعية مجانية.
٥- اعادة استخدام اللغة والخط المنغولي القديم وهو خط البيشيغ(Bichig)المشتق من الأبجدية الأيغورية القديمة ويكتب على شكل خطوط عمودية من الأعلى والأسفل ومن اليسار الى اليمين بعد أن تم الغائها خلال الحقبة الاشتراكية وتدريسه في المدارس واستخدامه في جميع المراسلات الرسمية .
٦- اعطاء الحرية للشعب في اعتناق أي دين يريد ، كما أعيد فتح الأديرة والمعابد البوذية[٧٥] .

الخـــــــــاتمة

١- شكّلت الثورة الديمقراطية في منغوليا الخارجية عام ١٩٩٠ نقطة تحول فارقة في تاريخ البلاد الحديث، إذ وضعت نهاية لعقود من الحكم الشيوعي وأرست أسس الديمقراطية والتعددية السياسية، فقد أثبت الشعب المنغولي أن التغيير السلمي ممكن، وأن الإرادة الشعبية قادرة على بناء مستقبل جديد دون عنف أو فوضى فقد كانت منغوليا الخارجية أول دولة آسيوية شيوعية تنجح في التحول إلى الديمقراطية دون عنف، فالثورة كانت سلمية بالكامل، وهو أمر نادر في التحولات السياسية.

٢- أفضت الثورة الديمقراطية لعام ١٩٩٠ إلى تبني دستور ديمقراطي جديد عام ١٩٩٢، وفتحت الباب أمام حرية التعبير واقتصاد السوق، وبذلك أصبحت منغوليا الخارجية نموذج ناجح للتحول السلمي نحو الديمقراطية في آسيا.

٣- اتجهت منغوليا الخارجية في سياستها الخارجية الى اتباع مبدأ الحياد، لذا فقد حظرت تمركز أو عبور القوات الأجنبية أو الأسلحة النووية أو غيرها من أسلحة الدمار الشامل داخل أراضيها الوطنية، وقد حظيت هذه الخطوة باحترام وتقدير الدول المجاورة لها ، وفي الوقت نفسه زادت من قيمة موقعها الجيوستراتيجي.

٤- كان عام ١٩٩٠ نقطة تحول مفصلية للحزب الشيوعي الثوري المنغولي فعلى العكس من نظرائه من الأحزاب في أوربا الشرقية فأنه لم يسلم السلطة للمتظاهرين مباشرة بل أجرى تعديل جذري في قيادته للحفاظ على السلطة ودعا الى اجراء انتخابات مبكرة لكي لا يمنح الأحزاب المعارضة الوقت الكافي لتنظيم صفوفها.

الهوامش

(1)Theda Skocpol, States and Social Revolutions: A Comparative Analysis of France, Russia and China Cambridge, New York, 1979, P.4.
(2) Charles Fairbanks, Revolution Reconsidered, Journal of Democracy, Vol. 18 , 2007, P.44.
(3) Jack Goldstone, Toward a Fourth Generation of revolutionary Theory, Annual Review of Political Science, Vol. 4 ,2001, P.140.
(4)Taku Yukawa and Kaoru Hidaka, Explaining the Undemocratic Results of Democratic Revolutions: The Necessity and Rationality of Democratic Slogans, OSIPP Discussion Paper,2018,P.2.

(٥) في عام **١٦٩١** أعلنت القبائل المنغولية في منغوليا الخارجية بشكل رسمي **ولاءها لأسرة المانشو الصينية** خلال **اجتماع خاص عقد في مدينة دولونور**(Dolonnor) في منغوليا الداخلية(Inner Mongolia) وهي منطقة حكم ذاتي تابعة للصين، وقرروا أداء يمين الولاء لإمبراطور المانشو كانغ هسى(K'ang–Hsi)(١٦٥٤–١٧٢٢) هرباً من تهديد المغول الزونغاريين، وبذلك أصبحت منغوليا الخارجية **تابعة سياسياً للإمبراطورية الصينية**، لكنها حافظت نسبياً على بعض من استقلالها الذاتي في الشؤون المحلية والدينية.ينظر:

Peter C. Perdue, China Marches West: The Qing Conquest of Central Eurasia, Harvard University Press, 2005,P.188.

(٦) ثورة عام ١٩١١: وهي ثورة نشبت في منغوليا الخارجية وأدت إلى **استقلالها عن حكم سلالة المانشو الصينية**، حدثت هذه الثورة نتيجة عوامل داخلية وخارجية عديدة، أهمها حدوث اضطرابات داخلية في الصين نتيجة تدهور أوضاعها الاقتصادية بعد خوضها سلسلة من الحروب الفاشلة مثل حرب الأفيون الاولى والثانية الحرب الصينية–اليابانية وكثرة التدخل الأجنبي، وتفشي الفقر والجهل وكثرة المديونية للتجار الصينيين في منغوليا، فضلاً عن فرض الصين على منغوليا جملة من الاصلاحات سميت الادارة الجديدة والتي اضرت بنمط حياتهم الرعوية الأمر أدى إلى **سخط المنغول فقاموا بثورة تزامنت مع سقوط اسرة المانشو في الصين واعلنوا استقلالهم تحت حكم بوغدو خان**(Bogdo Khan)**(١٨٧٠–١٩٢٤)**. للمزيد. ينظر:

Makoto Tachibana, The 1911 Revolution and Mongolia: Independence, Constitutional Monarchy or Republic, The Journal of Contemporary China Studies, Vol.3, No. 1,2017,P.69-87.

(7) Carnegie Endowment for International Peace, Outer Mongolia and Treaties and Agreements, No. 41, Washington, 1921, P.17-18.

(8) John V.A. Macmurray, Treaties and Agreements with and Concerning China, 1894-1919,Vol. 1, New York, 1921, P.1237-1239.

(٩) بوغدو خان: حاكم منغوليا الديني، ولد في مدينة لاسا في التبت في ٨ أيلول ١٨٧٠، وهو التجسيد الثامن لبوذا الحي، ولد في التبت ثم أنتقل الى منغوليا عام ١٨٧٤، وهو المدبر لثورة عام ١٩١١ والتي على أثرها نالت منغوليا استقلالها ونصب بوغدو خان حاكم لها، استمر يحكم منغوليا الى أن توفى في ٢٠ أيار ١٩٢٤. ينظر:

Alan J. K .Sanders, ***Historical Dictionary of Mongolia*** Historical Dictionaries of Asia Oceania and the Middle East, Vol. 74, Third Edition, Scarecrow Press, 2010,P. 107–108.

(10)Max Beloff, The Foreign Policy of Soviet Russia 1929-1941, Vol.1,Oxford University Press, New York, 1947, P.240.

(١١) فلاديمير لينين: سياسي سوفيتي، ولد في مدينة سيمبيرسك بروسيا في ٢٢ نيسان ١٨٧٠، وكان أحد أبرز المفكرين الثوريين والقادة السياسيين في القرن العشرين. يُعد لينين مؤسس الدولة السوفيتية وقائد ثورة أكتوبر ١٩١٧ التي أسست الحكم الشيوعي في روسيا، أسس في عام ١٨٩٥ اتحاد النضال من أجل تحرير الطبقة العاملة وهو نواة الحزب البلشفي، وقاد عام ١٩٠٣ انقسام حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي إلى جناحين هما البلاشفة والمناشفة، عاد عام ١٩١٧ من المنفى الى روسيا، وقاد الثورة البلشفية في أكتوبر، وأسقط الحكومة المؤقتة ، وخلال عامي ١٩١٨–١٩٢١ خاض لينين حرب أهلية ضد القوات المناهضة للشيوعية وخرج منها منتصر، لينين اعتمد على التفسير الماركسي وأضاف عليه فأسس ما يُعرف بـ(اللينينية) التي دمجت بين الماركسية والنضال الثوري المنظم بقيادة حزب طليعي، ابرز اعماله كتاب (ما العمل) الذي نشر عام ١٩٠٢ وناقش فيه التنظيم الثوري، وكتاب(الدولة والثورة) عام ١٩١٧ وشرح فيه دور الدولة في الصراع الطبقي، توفى في ٢١ كانون الثاني ١٩٢٤. ينظر:

Jack A. Goldstone, The Encyclopedia of Political Revolutions ,New York, 1998,P.317-319.

(١٢) حزب الشعب المنغولي: وهو **أقدم وأهم حزب سياسي في تاريخ منغوليا الحديث** .تأسس في عام **١٩٢٠** بعد اندماج مجموعتان ثوريتان سريتان هما مجموعة كونسيل هيل(Consular Hill Group) ومجموعة شرق أورغا(East Urga Group)، بدعم مباشر من البلاشفة الروس، ليكون الذراع السياسي للثورة المنغولية ضد الحكم الإقطاعي وضد النفوذ الصيني في منغوليا الخارجية، وقد أصبح الحزب القوة الحاكمة الوحيدة في البلاد منذ عام ١٩٢٤ بعد إعلان جمهورية منغوليا الشعبية. للمزيد. ينظر:

Thomas E. Ewing, The Origin of the Mongolian People's Party: 1920,University of Leeds, Mongolian Studies, Vol. 5, 1978 - 1979, P.79-105.

(١٣) ثور عام ١٩٢١: ثورة نشبت في منغوليا الخارجية نتيجة لعدة أسباب منها قيام الصين بالغاء استقلال منغوليا الخارجية عام ١٩١٩ وعودتها الى الصين، وقيام البارون أونغرين فون شترنبيرغ(١٨٨٥-١٩٢١) من الجيش الأبيض السوفيتي المعادي الى البلاشفة باحتلال منغوليا الخارجية، فقرر المنغول بقيادة حزب الشعب المنغولي التخلص من الاحتلال الصيني وبدعم من الروس انتصرت الثورة ونالت منغوليا الخارجية. للمزيد. ينظر:

Fujiko Isono, The Mongolian Revolution of 1921, Modern Asian Studies, Cambridge University Press, Vol. 10, No. 3 ,1976, P. 375-394.

(14) Robert L. Worden and Andrea Matles Savada, Mongolia :A country study, Library of Congress,1990,P.42.

(15)Nicholas Poppe, The Facts on Outer Mongolia, The People's Republic has been under Control of the USSR since 1921, 1956, P.13.

(16) Alan J. K Sanders, Mongolia in 1989: year of Adjustment, Asian Survey , Vol.30, No.1, 1990, P.60.

(17) Nicholas Poppe, Op. Cit ., P.14.

(١٨) دولة مانشوكو: وهي دولة دمية أنشأتها الإمبراطورية اليابانية في منطقة منشوريا بشمال شرق الصين، وقد أعلنت استقلالها في عام ١٩٣٢ عقب الغزو الياباني لمنشوريا عام ١٩٣١، في أعقاب حادثة موكدن وتم تنصيب الإمبراطور الصيني المخلوع بو-يي(Pou-Yi) (١٩٠٦-١٩٦٧)حاكم لها ،شكلت مانشوكو جزء أساسي من الاستراتيجية اليابانية التوسعية في آسيا، وقد شهدت مشاريع صناعية ضخمة وبنية تحتية شيدتها اليابان من خلال استغلال الموارد الطبيعية للمنطقة. كما تعرض السكان المحليون سيما الصينيين لقمع شديد وانتهاكات ممنهجة لحقوق الإنسان، انتهى وجود مانشوكو كيان سياسي في عام ١٩٤٥ مع نهاية الحرب العالمية الثانية ودخول القوات السوفيتية إلى منشوريا. ينظر:

Mitter Rana, The Manchurian Myth: Nationalism, Resistance, and Collaboration in Modern China, University of California Press, 2000, P.3-15.

(١٩) خالكين غول: معركة نشبت بين اليابان والقوات المشتركة السوفيتية- والمنغولية ، وقعت **خلال المدة** من **١١ أيار - ١٦ أيلول ١٩٣٩**على ضفاف نهر خالكين غول في منشوريا في منغوليا الداخلية، وهي ضمن الصراعات الحدوديّة بين الاتحاد السوفيتي ومنغوليا من جهة، واليابان من جهة أخرى، كانت هذه المعركة ذروة النزاع غير المعلن عام ١٩٣٩، حيث نجح الجيش السوفيتي بقيادة الجنرال **جورجي جوكوف** والقائد **غريغوري شتيرن**، في محاصرة وتدمير الفرقة اليابانية الثالثة والعشرين بقيادة **ميشيتارو كوماتسوبارا. للمزيد . ينظر:**

Amnon Sella, Khalkhin-Gol : The Forgotten War, *Journal of Contemporary History*, Vol. 18, No.4, 1983, P. 651- 687.

(20) Nicholas Poppe, Op. Cit ., P.14.

(21)Thomas Nivison Haining , The Yak, the Bear and the Dragon: Uneasy Bedfellows. A Cautionary Tale of Russian and Chinese Influences on Mongolian History, Journal of the Royal Asiatic Society, Vol.6, No.1, 1996, P. 76.

(٢٢) يومجاجين تسيدينبال: سياسي منغولي، ولد عام ١٩١٦ في مدينة بيان تشانداماني أوولا ، تخرج عام ١٩٣٨ من المعهد المالي والاقتصادي في روسيا، أصبح يومجاجين نائب لوزير المالية عام ١٩٣٩ ثم أصبح عام ١٩٤٠ السكرتير العام للحزب الثوري الشعبي المنغولي، وفي عام ١٩٥٢ أصبح رئيس للوزراء ، وفي عام ١٩٦٢ أصبح السكرتير الأول للحزب، وفي عام ١٩٨٢ أقيل من منصبه وأحيل الى التقاعد ، بعدها سافر الى الاتحاد السوفيتي وبقي فيه الى وفاته عام ١٩٩١.ينظر:

Christopher P. Atwood, Encyclopedia of Mongolia and the Mongol Empire, Indiana University, Bloomington, New York, 2004,P.547-548.

(٢٣) داشين دامبا: سياسي منغولي، ولد في ٢٩ آذار ١٩٠٨ في مقاطعة توشيت خان، أنضم عام ١٩٢٤ الى رابطة الشباب الثوري المنغولي، وفي عام ١٩٣٨ أنضم الى حزب الشعب الثوري المنغولي، ثم أصبح الأمين العام للحزب عام ١٩٥٤، دعم **داشين دامبا** حملات إعادة تقييم تاريخية في منغوليا، كما قام بفضح تجاوزات **تشويبالسان** الزعيم الأوحد السابق للحزب، وعين لجنة استطلاع وصلت إلى وثائق داخلية سرية في وزارة الداخلية ، اقيل من منصبه عام ١٩٥٨ ونسبت اليه تهم شملت التخلف الأيديولوجي، والمحافظة، وخطورة التساهل مع الانحرافات، فتم نفيه الى مقاطعة كوفسجول الواقعة على الحدود الروسية بمنصب مدير تربية الماشية في المقاطعة، ثم عمل نائب مدير لمعهد الزراعة خلال المدة ١٩٦٢- ١٩٧٧، توفى عام ١٩٨٩. ينظر:

Alan J. K Sanders, *Historical Dictionary of Mongolia*, Scarecrow Press, 2010, P.

(٢٤) بازارين شيريندیو: مؤرخ وسياسي منغولي، ولد في ١٦ أيار ١٩١٢ في مقاطعة هوشون من عائلة فلاحية، درس في البداية في دير نوخت عام ١٩٢٣، وفي عام ١٩٢٨ درس في مدرسة علمانية في مقاطعته، ثم درس في مدرسة تسيترليج الزراعية، وفي عام ١٩٣٠ عين مدير لبلدية مقاطعة تشولوت، ثم درس في كلية التاريخ في روسيا وحصل عى شهادة البكالوريوس عام ١٩٤١، أنضم الى الحزب الشعب الثوري المنغولي عام ١٩٤٢ ،عين في عام ١٩٤٤ سكرتير لدائرة الدعاية للحزب، أصبح عضو في المكتب السياسي للحزب عام ١٩٥٣ ونائب رئيس مجلس الوزراء لشؤون الثقافة والتعليم ،ثم أصبح عام ١٩٦١ رئيس لأكاديمية العلوم في منغوليا، ألف مجموعة كتب حول تاريخ منغوليا منها: تاريخ الثورة الشعبية المنغولية، وتجاوز الرأسمالية، ومنغوليا على حدود القرنين التاسع عشر والعشرين ثناء التحقيق في تجاوزات الحقبة الستالينية، أُتهم بأنه جاسوس بقيادة يومجاجين تسيدينبال ل، لكن تم تحذيره من قبل داشين دامبا مما أدى إلى انسحابه من المناصب الحكومية، وأُبعد عن رئاسة الأكاديمية عام ١٩٨٢ بحجة عدم الانضباط الحزبي، ثم عُين مستشار في معهد الدراسات الشرقية بعد سقوط يومجاجين تسيدينبال عام ١٩٨٤ ، وفي عام ١٩٩٠ وبعد تحول منغوليا الى الديمقراطية تراجع الحزب عن انتقاده له فتم تكريمه باعتباره عالم رائد في تاريخ منغوليا، توفى في ٨ آذار ٢٠٠١.ينظر:

B. Dalain Shirandev, On ocean waves, Moscow, 1993, P.201- 203.

(٢٥) خورلوجين شويبالسان: قائد عسكري وسياسي منغولي، ولد في ٨ شباط ١٨٩٥ في مقاطعة أشيت بيسن ،وفي عام ١٩١٤ أرسل للدراسة في روسيا، وهو أحد مؤسسي حزب الشعب الثوري المنغولي عام ١٩٢٠، شارك في ثورة عام ١٩٢١ في منغوليا ، وفي عام ١٩٢٣ أصبح القائد العام للقوات الثورية الشعبية،وفي عام ١٩٢٤ أصبح عضو في مجلس الدولة الخورال الكبير، ثم أصبح عام ١٩٢٨ عضو في اللجنة المركزية لحزب الشعب الثوري المنغولي، تولى تشويبالسان عدة مناصب عليا، من أهمها: رئيس وزراء منغوليا خلال المدة(١٩٣٩–١٩٥٢)، والقائد العام للجيش المنغولي، وعضو المكتب السياسي للحزب الثوري الشعبي المنغولي، قاد حملات تطهير سياسية واسعة للمدة(١٩٣٧– ١٩٣٩) استهدفت المعارضين والقيادات البوذية، بدعم مباشر من الاستخبارات السوفيتية، وأسهم في تحويل منغوليا إلى دولة شيوعية متحالفة بشكل كلي مع الاتحاد السوفيتي، توفى ٢٦ كانون الثاني ١٩٥٢. ينظر:

Alan J. K Sanders, *Historical Dictionary of Mongolia* ,P.103-105.

(26) Christopher P. Atwood, Op. Cit ., P.548.

(27)Julia S. Bilskie and Hugh M. Arnold, An Examination of the Political and Economic Transition of Mongolia Since the Collapse of the Soviet Union, Journal of Third World Studies, Vol.19, No.2, 2002, P.208.

(28) Christopher P. Atwood, Op. Cit ., P.549.

(29)Tom Ginsburg, Political Reform in Mongolia : Between Russia and China, Asian Survey, Vol.35, No.5, 1995, P.461.

(٣٠) جامبين باتمونخ : قائد سياسي منغولي لعب دور محوري في الانتقال السلمي للبلاد من النظام الاشتراكي إلى الديمقراطية التعددية، وُلد باتمونخ في ١٠ آذار ١٩٢٦ في منطقة خيارجاس بمقاطعة أوفسغرب منغوليا من عائلة من الرعاة .التحق بجامعة منغوليا الحكومية، حيث درس الاقتصاد، ثم واصل تعليمه في أكاديمية العلوم الاجتماعية التابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي، حيث حصل على درجة الدكتوراه، بدأ باتمونخ مسيرته المهنية أستاذ في المعهد التربوي، ثم أصبح رئيس لمعهد الاقتصاد، ثم رئيس لجامعة منغوليا الحكومية .في عام ١٩٧٤ عُين رئيس لمجلس الوزراء وشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٨٤ . انضم إلى الحزب الثوري الشعبي المنغولي في عام ١٩٤٨ ثم أصبح الأمين العام للحزب ورئيس هيئة رئاسة الخورال الكبير، مما جعله القائد الأعلى للدولة، وخلال قيادته تبنى سياسات الإصلاح والانفتاح من النموذج السوفيتي .شجع على حرية التعبير، ودعا إلى مراجعة التاريخ المنغولي، بما في ذلك إعادة تقييم دور جنكيز خان في التاريخ الوطن، وفي أواخر الثمانينيات، تصاعدت الدعوات للإصلاح السياسي، مما أدى إلى احتجاجات واسعة النطاق .في عام ١٩٩٠، رفض باتمونخ استخدام القوة ضد المتظاهرين، وبدلاً من ذلك، دعا إلى استقالة المكتب السياسي للحزب، مما مهد الطريق لأول انتخابات حرة في منغوليا. توفى في ١٤ أيار ١٩٩٧. ينظر:
Bogdan Szajkowski, Marxist Governments A World Survey, Vol.2, London, 1983,P.520.

(٣١) ميخائيل سيرجيفيتش غورباتشوف: أخر رئيس للاتحاد السوفيتي، ولد في ٢ آذار ١٩٣١ في قرية بريفولنوي بمقاطعة ستافروبول جنوبي الاتحاد السوفيتي من عائلة فلاحية ،تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة القرية ،وفي عام ١٩٤١– ١٩٤٥ عمل مشغل الآت في ورشة للآلات والجرارات، وفي عام ١٩٥٠ تخرج من المدرسة الثانوية، وفي عام ١٩٥٢ أنضم الى الحزب الشيوعي السوفيتي ، وفي عام ١٩٥٥ تخرج من كلية الحقوق بجامعة موسكو الحكومية وحصل على شهادة البكالوريوس، وفي عام ١٩٦٧ تخرج من معهد ستافروبول الزراعي متخصصاً في اقتصاد المزارع ، ثم أكمل دراسته فحصل عام ١٩٩٧ على شهادة الماجستير في الاقتصاد الزراعي، عين عام ١٩٧٠ سكرتير أول للحزب الشيوعي السوفيتي ، وفي عام ١٩٧١ عين مندوب في مؤتمرات الحزب ، ثم أصبح عام ١٩٧٤ سكرتير أول لمجلس السوفيت الأعلى ، وفي عام ١٩٨٠ أصبح عضو في المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب، ثم تولى عام ١٩٨٥ منصب الأمين العام لمجلس السوفيت ورئيساً للبلاد للمدة(١٩٨٨–١٩٩١)،أطلق غورباتشوف برامج اصلاحية مثل البيرسترويكا والغلاسنوست لكن هذه البرامج فشلت وأدت الى انهيار الاتحاد السوفيتي وتفككه عام ١٩٩١، توفى في ٣٠ أب ٢٠٢٢. ينظر:
John Paxton, Leaders of Russia and the Soviet Union from the Romanov Dynasty to Vladimir Putin, New York, 2004, P. 133-138.

(٣٢) البيريسترويكا: وهو برنامج إصلاحي اقتصادي وسياسي طرحه زعيم الاتحاد السوفيتي ميخائيل غورباتشوف بعد توليه رئاسة الحزب الشيوعي السوفيتي عام ١٩٨٥، وتعني أعادة البناء، وكان الهدف منه إعادة هيكلة الاقتصاد المخطط وتخفيف القيود المركزية بمعايير سوقية للحاق بركب الدول المتقدمة ، اذ تضمن أعطاء حرية أكثر للمصانع والشركات في تحديد الإنتاج والأسعار والسوق، والعمل على رفع التقشف بشكل تدريجي عن القضاء على التحكم المركزي الصارم، وأدرج تشريعات تسمح بتأسيس مشاريع تعاونية محدودة وقطاع خاص محدود، لكن البيريسترويكا أسمت في تفكيك جزء من التخطيط المركزي دون وجود نظام سوقي متكامل، كما أدت أدى إلى تفاقم الأزمات، ونقص المواد الاستهلاكية، واندلاع الاحتجاجات الاجتماعية نتيجة عدم الاستقرار مما أدى الى فشلها ،وكان من نتائجها تفكك الاتحاد السوفيتي وزواله عام ١٩٩١. للمزيد.ينظر:
Brian McNair, Glasnots, Perestroika and Soviet media, New York,1991.

(٣٣) الغلاسنوست: وهو برنامج طرحه زعيم الاتحاد السوفيتي ميخائيل غورباتشوف ، والغلاسنوست تعني الشفافية أو الأنفتاح ، وتهدف إلى تقليص الرقابة، وزيادة الحرية الإعلامية، وتعزيز الحوار العام حول القضايا السياسية والاجتماعية، وكان ينص على تقليل الحظر على حرية التعبير ونشر الانتقادات داخل الصحافة والإعلام، والسماح بإعادة تقييم تاريخ النظام، بما في ذلك الكشف عن أخطاء ستالين وبريجنيف، وتقديم دعم للمسائل البيئية والاجتماعية والحريات المدنية ، وكان لها تأثير في أحدث تغييرات جذرية في أجواء الإعلام، حيث انتعشت الصحافة والأدب والنقاشات السياسية، أسهم البرنامج في مطالبة الولايات السوفيتية بالاستقلال مما أدى في نهاية المطاف الى تفكك الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١. ينظر:

Ibid.

(34) R. Kelley Donald, The Democratic Revolution in the USSR: Can the System Cope with Pluralism?, The Midsouth Political Science Journal, Vol. 13, 1992,P.27.

(35)Paul B. Henze, Mongolia faces Glasnost and Perestroika, The Rand Corporation, Corporation,1989,P.26.

(36) Batbayar Tsedendamba, Mongolia's Foreign Policy in the 1990s: New Identity and New Challenges, Regional Security Issues and Mongolia, Vol. 17, Ulaanbaatar,2002,P.8.

(37)David Sneath and Christopher Kaplonski, The History of Mongolia, Vol.III, 2010,P.1043.

(38) Morris Rossabi, Modern Mongolia From Khans to Commissars to Capitalists, University of California Press,2005,P.123.

(٣٩) حزب الاتحاد الديمقراطي المنغولي (MDU) :حزب سياسي تأسس في ١٠ كانون الأول ١٩٨٩، وكان له دور محوري في التحول الديمقراطي في منغوليا، أسسه مجموعة من المثقفين الشباب الذين نظموا أول مظاهرة عامة مؤيدة للديمقراطية في العاصمة أولان باتور مطالبين بتعددية حزبية وحرية الصحافة واحترام حقوق الإنسان، تطور الحزب بسرعة حيث قام بتنظيم احتجاجات أسبوعية، فجذب آلاف المشاركين، وأطلق إضرابات عن الطعام، مما أدى إلى استقالة قيادة الحزب الحاكم في آذار ١٩٩٠ والموافقة على إجراء انتخابات حرة في شباط ١٩٩٠، فأعلن أعضاءه عن تأسيس الحزب الديمقراطي المنغولي، مما مهد الطريق لنظام سياسي متعدد الأحزاب في البلاد. ينظر:

Uradyn Erden Bulag, Nationalism and Hybridity in Mongolia, Oxford University Press,1998,P.17.

(40) David Sneath and Christopher Kaplonski, Op. Cit ., P.1049.

(٤١) صحيفة الحقيقة: وهي صحيفة يومية رسمية تأسست عام ١٩٢٥ ، وكانت تمثل الناطق الرسمي للحزب الثوري الشعبي المنغولي، وهو الحزب الحاكم في منغوليا الخارجية طوال الحقبة الاشتراكية، فكانت تُستخدم كأداة دعائية لنشر أيديولوجية الدولة، وتوجيه الرأي العام، وترويج السياسات الحكومية في داخل البلاد وخارجها، تُعد الصحيفة مصدر تاريخي غني للباحثين في تاريخ منغوليا السياسي والإعلامي نظراً لمواكبتها للتطورات في منغوليا. ينظر:

Christopher Kaplonski, Truth, History and Politics in Mongolia: Memory of Heroes, Routledge, 2004, P. 78.

(42) Alan J. K Sanders, Mongolia in 1989,P.61.

(43)William R. Heaton, Mongolia in 1990: Upheaval Reform but No Revolution Yet, Asian Survey,Vol.31, N0.1, 1990,P.50-51.

(٤٤) دوماجين سودنوم: هو سياسي منغولي شغل منصب رئيس وزراء منغوليا من ١٢ كانون الأول ١٩٨٤ حتى ٢١ آذار ١٩٩٠، خلال الحقبة الاشتراكية في منغوليا .وُلد في ١٤ تموز ١٩٣٣ في منطقة أورغون بمقاطعة دورنوغوفي . بدأ مسيرته المهنية كموظف في وزارة المالية، ثم تدرّج في المناصب حتى أصبح وزير للمالية عام ١٩٦٣، وهو المنصب الذي شغله حتى عام ١٩٦٩،وبعد ذلك تولى رئاسة لجنة التخطيط الحكومية، ثم عُيّن نائب لرئيس مجلس

الوزراء في عام ١٩٧٤، و في عام ١٩٨٤ تم تعيينه رئيس لمجلس الوزراء وعضو في المكتب السياسي للحزب الثوري الشعبي المنغولي(MPRP) ، وذلك بعد الإطاحة بـ يومجاجين تسيدينبال وتولي جامبين باتمونخ رئاسة الدولة .استقال سودنوم من منصبه في آذار ١٩٩٠ خلال احتجاجات شعبية واسعة طالبت بالإصلاحات الديمقراطية، مما مهّد الطريق لانتقال منغوليا إلى نظام ديمقراطي متعدد الأحزاب. ينظر:

Alan J. K .Sanders, *Historical Dictionary of Mongolia* ,P.99-100.

(٤٥) تسيرنداشين نامسراي: سياسي منغولي وعضو في الحزب الثوري الشعبي المنغولي ، وُلد في ١٩ شباط ١٩٣٩ . تلقى تعليمه في جامعة لينينغراد الحكومية، وعمل صحفي في صحيفة الحزب الرسمية اذ عمل مراسل في موسكو وبكين ، ثم أصبح مدرب ثم رئيس للجنة العامة للحزب بين عامي ١٩٧٠ –١٩٨٣،وعُين سكرتير للجنة المركزية للحزب عام ١٩٨٣، وانضم إلى المكتب السياسي في عام ١٩٨٤، وكان نائب في البرلمان المنغولي (الخورال الكبير)، وشغل منصب رئيس البرلمان بين عامي ١٩٨٧ –١٩٨٨، ثم نائب للرئيس للمدة ١٩٨٨ – ١٩٩٠. توفى في تشرين الثاني ١٩٩٠.ينظر:

University of Cambridge, Mongolia and Inner Asia Studies Unit,Vol.9, 2007,P.98.

(46) William R. Heaton, Op. Cit ., P.51.

(47) David Sneath and Christopher Kaplonski, Op. Cit ., P.1052.

(48) Dulguun Maidar, Mongolian Democratic Revolution: Timeline of Mongolia's Democratic Revolution 1989-1990,2023,P.15.

(49) Dulguun Maidar, Op. Cit ., P.15.

(50) Alan J. K Sanders, Mongolia in 1989,P.61.

(51)Batbayar Erdenebat, Democratic Revolution and Capitalist Development of Mongolia, St. Cloud State University, 2016, P.9-10.

(52) Quoted in: Punsalmaagiin Ochirbat, The Time of Heaven, Ulan Bator,2018,P.300.

(53) William R. Heaton, Op. Cit ., P.51; Tom Ginsburg, Op. Cit ., P.463.

(٥٤) غومبوجابين أوتشيربات:سياسي منغولي وعضو في الحزب الثوري الشعبي المنغولي ، وُلد في ١٥ تشرين الثاني ١٩٢٩ في منطقة نومروغ بمقاطعة زافخان .شغل منصب الأمين العام للحزب في عام ١٩٩٠ خلال فترة التحولات الديمقراطية في منغوليا، ثم أصبح رئيس للحزب للمدة ١٩٩٠–١٩٩١، تلقى أوتشيربات تعليمه العالي في جامعة موسكو الحكومية بين عامي ١٩٥٢ –١٩٥٨، حيث درس الفلسفة .بعد عودته إلى منغوليا عمل محاضر في جامعة منغوليا الحكومية، ثم شغل منصب رئيس تحرير لجنة الدولة للصحافة للمدة من ١٩٥٨ – ١٩٦٢ .كما كان نائب رئيس تحرير صحيفة الحزب الرسمية أونين بين عامي ١٩٦٢ – ١٩٦٤، وعضو في اللجنة المركزية للحزب من ١٩٦٦ – ١٩٩٢. ينظر:

Alan J. K .Sanders, *Historical Dictionary of Mongolia* ,P.20.

(٥٥) باغا خورال: وهو أحد الهيئات التشريعية الهامة في تاريخ النظام السياسي المنغولي، وقد لعب دور محوري في التحول الديمقراطي للبلاد خلال المدة الانتقالية بين عامي ١٩٩٠ –١٩٩٢،تأسس المجلس في أعقاب أول انتخابات حرة وتعددية الأحزاب في منغوليا في تموز ١٩٩٠، كجزء من عملية إصلاح دستوري شاملة .تكوّن المجلس من ٥٠ عضو تم انتخابهم من بين ٤٣٠ نائب في مجلس الشعب الكبير (الخورال الكبير)، وهو مُخوّل بمناقشة الميزانيات والخطط الاقتصادية والإشراف على عمل الحكومة ، وخلال فترة عمله اضطلع المجلس بعدة مهام تشريعية وتنظيمية، من أبرزها:صياغة واعتماد ٢٧ قانون جديد، وتعديل ٩١ قانون، والمصادقة على ١٧ معاهدة واتفاقية دولية، وصياغة مسودة

الدستور الجديد لمنغوليا، الذي تم اعتماده في ١٣ كانون الثاني ١٩٩٢، مما أسس لنظام ديمقراطي برلماني متعدد الأحزاب في البلاد. ينظر:

Fouad Sabry, Cabinet of Government Decoding the Power Dynamics and Decision-Making Processes, 2024,P.125.

(٥٦) بونسالماجين أوتشيربات : رئيس منغوليا، ولد في ٢٣ كانون الثاني ١٩٤٢ في مقاطعة زافخان، كان والده غونسين غيندينجاف أحد اللامات في دير غالوتاين ووالدته تدعى تسوغتين بونسالما، توفى والده عندما كان في الخامسة من عمره، عاش في مقاطعته ثم انتقل مع والدته بعد وفاة والده الى العاصمة أولان باتور ، ودخل عام ١٩٥١ الى مدرسة أمغالان باتور الابتدائية وهو في سن التاسعة، أنهى دراسته الثانوية عام ١٩٦٠ ،ثم ذهب إلى لينينغراد في الاتحاد السوفيتي للدراسة في معهد التعدين، في عام ١٩٦٥، أكمل دراسته في معهد التعدين عام ١٩٦٥ وتخرج مهندس ، وفي عام ١٩٦٧ عين في وزارة الصناعات الثقيلة ، عين نائب لوزير الجيولوجيا عام ١٩٧٢، أصبح وزير للطاقة عام ١٩٧٦، وعضو في المكتب السياسي لحزب الشعب الثوري المنغولي، وأصبح عام ١٩٨٥ رئيس اللجنة الدولية للعلاقات الاقتصادية الخارجية،وعاد الى منغوليا عام ١٩٩٠ لإجراء أبحاث للحصول على درجة الدكتوراه في العلوم، وفي أعقاب استقالة جامبين باتمونخ أنتخب أوتشربات رئيس للبلاد عام ١٩٩٠ ، سن دستور جديد للبلاد عام ١٩٩٢، وفي عام ١٩٩٧ ترشح مرة أخرى للرئاسة ولكنه خسر ، ترك الحياة السياسية وأصبح عام ٢٠٠٥ رئيس البيئة والتنمية المستدامة ، وأصبح عام ٢٠١٠ عضو في المحكمة الدستورية في منغوليا ،توفى في ١٧ كانون الثاني ٢٠٢٥. للمزيد . ينظر:

Yuki onagaya, Ruhagwasren Rossabi and Mary Rossabi Morris, Punsalmaagiin Ochirbat First President of Mongolia , 2014, P.71-92.

(57) William R. Heaton, Op. Cit ., P.52.

(58)Quoted in: Robert L. Worden and Andrea Matles Savada, Op. Cit ., P.41.

(59) William R. Heaton, Op. Cit ., P.52.

(60)Ibid.

(61)Michael Dillon, Mongolia A Political History of the Land and Its People, London,2020, P.124.

(62) Robert L. Worden and Andrea Matles Savada, Op. Cit ., P.43.

(٦٣) رادناسومبير غونشيغدورج: سياسي منغولي، وزعيم الحزب الديمقراطي الاجتماعي المنغولي، ولد في عام ١٩٥٤ في مقاطعة أرخانغاي، درس في مدرسة تاربيت ، ودخل الجامعة الوطنية في منغوليا، عمل محاضر جامعي لمدة ١٣ فيها، وفي عام ١٩٨٨ أصبح مدير قسم الرياضيات في اكاديمية العلوم في منغوليا، وفي عام ١٩٩٠ أصبح نائب للرئيس ورئيس للخورال الصغير، وخلال المدة ١٩٩٦– ٢٠٠٠ شغل منصب رئيس مجلس الدولة الكبير، وخلال المدة ٢٠٠٤–٢٠٠٦ تولى رئاسة الحزب، وعمل نائب لرئيس البرلمان خلال المدة ٢٠١٣– ٢٠١٦. ينظر:

Nizam Ahmed and **Philip Norton** , Parliaments in Asia, Portland , 2000, P.156.

(٦٤) داشين بيامباسورين: سياسي منغولي، ولد في ٢٠ حزيران ١٩٤٢ في منطقة بيندر في مقاطعة خينتي، وينحدر من البويرات ، أنهى دراسته الثانوية بين عامي ١٩٥٠–١٩٦٠، ثم التحق بمعهد مدينة موسكو للاقتصاد والإحصاء بين عامي ١٩٦٠ –١٩٦٤ ، وتخرج من جامعة موسكو عام ١٩٦٥، وحصل على درجة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية؛ انضم إلى حزب منغوليا الثوري الشيوعي عام ١٩٦٣ ، أصبح عضو في اللجنة المركزية لحزب الشعب الثوري المنغولي بين عامي ١٩٨١ –١٩٨٦ ، وفي عام ١٩٨٧ أصبح مدير لمعهد رفع مهارات القيادة التابع الى مجلس الوزراء، وعين خلال المدة ١٩٩٠–١٩٩٢ رئيس للوزراء، كما أجرى زيارات دبلوماسية إلى أوروبا وروسيا والصين، وعزّز علاقات بلاده مع اليابان

والبنك الدولي، حيث نالت منغوليا دعم مالي بقيمة ٣٢٠ مليون دولار، انسحب من الحزب الثوري الشعبي المنغولي عام ١٩٩٢ احتجاجًا على هيمنته، ليؤسس عام ١٩٩٤ حزب نهضة الديمقراطية المنغولي. ينظر:

U.S. Department of Commerce, JPRS Repor East Asia Mongolia,1991,P.6.

(65)Christoph Baumer ,The History of Central Asia The Age of the Steppe Warriors, Vol.1,London, 2012, P.258.

(66) lan Jeffries, Mongolia A guide to Economic and Political Developments, Guides to Economic and Political Developments in Asia,Routledge,2007, P.14.

(67) Alan J. K Sanders, Mongolia in 1989,P.64.

(68) William R. Heaton**,** Op. Cit ., P.55- 56.

(69)Stephen Kotkin and Bruce A. Elleman, Mongolia in the Twentieth Century Landlocked Cosmopolitan, London, 2017, P.280.

(70) Julia S. Bilskie and Hugh M. Arnold, Op. Cit ., P. 210.

(71)Tsakhiagiin Elbegdorj, Democracy is A Way for Mongolia to Live, Journal of International Relations and Sustainable Development , No.1, 2014, P.91.

(72) Morris Rossabi, Op. Cit ., P.43-45.

(٧٣) سويومبو: رمز علم منغوليا الخارجية الوطني الذي اعتمد للمدة من (١٩١١-١٩٢٤)، السويومبو رمزٌ روحانيٌّ يُركّز على رمز الين واليانغ، بأشرطة عمودية يمين ويسار، وأشرطة أفقية، ورؤوس أسهم في الأعلى والأسفل، وتعلوه الشمس والقمر واللهب يتكون الرمز من عشرة أشكال مختلفة لكل شكل معنى خاص ، فالنار ترمز إلى النجاح والثروة والأبدية ، والسنة الشعلة الثلاثة ترمز إلى الماضي والحاضر والمستقبل ، والشمس والقمر ترمز إلى الأمة المنغولية التي ستكون موجودة إلى الأبد ، والأسهم المتجهة إلى الأعلى والأسفل ترمز إلى هزيمة أعداء منغوليا الخارجية في الداخل والخارج ، أما المستطيلات فترمز إلى الصدق والعدل ، واخيراً الأسماك المفتوحة العيون وهي الين واليانغ ترمز إلى المساواة بين الرجل والمرأة . ينظر:

Alan J. K .Sanders, *Historical Dictionary of Mongolia* ,P .185; Christopher P. Atwood, Op. Cit ., P.179.

(74) Morris Rossabi, Op. Cit ., P.128.

(75)William R. Heaton**,** Op. Cit ., P. 56.

المصـــــــــــــــــادر

أولاً- الكتب والكتب الوثائقية .

1- Alan J. K Sanders, *Historical Dictionary of Mongolia*, Scarecrow Press, 2010.
2- Batbayar Erdenebat, Democratic Revolution and Capitalist Development of Mongolia, St. Cloud State University, 2016.
3- Bogdan Szajkowski, Marxist Governments A World Survey, Vol.2, London, 1983.
4- B. Dalain Shirandev, On ocean waves, Moscow, 1993.
5- Carnegie Endowment for International Peace, Outer Mongolia and Treaties and Agreements, No. 41, Washington, 1921.
6- Christopher P. Atwood, Encyclopedia of Mongolia and the Mongol Empire, Indiana University, Bloomington, New York, 2004.
7- Christopher Kaplonski, Truth, History and Politics in Mongolia: Memory of Heroes, Routledge, 2004.

8- Christoph Baumer ,The History of Central Asia The Age of the Steppe Warriors, Vol.1,London, 2012.
9- David Sneath and Christopher Kaplonski, The History of Mongolia, Vol.III, 2010.
10- Fouad Sabry, Cabinet of Government Decoding the Power Dynamics and Decision-Making Processes, 2024.
11- lan Jeffries, Mongolia A guide to economic and political developments, Guides to economic and political developments in Asia,Routledge,2007.
12- Jack A. Goldstone, The Encyclopedia of Political Revolutions ,New York, 1998.
13- John V.A. Macmurray, Treaties and Agreements with and Concerning China, 1894-1919,Vol. 1, New York, 1921.
14- John Paxton, Leaders of Russia and the Soviet Union from the Romanov Dynasty to Vladimir Putin, New York, 2004.
15- Max Beloff, The Foreign Policy of Soviet Russia 1929-1941, Vol.1,Oxford University Press, New York, 1947.
16- Mitter Rana, The Manchurian Myth: Nationalism, Resistance, and Collaboration in Modern China, University of California Press, 2000.
17- Michael Dillon, Mongolia A Political History of the Land and Its People, London,2020.
18- Morris Rossabi, Modern Mongolia From Khans to Commissars to Capitalists, University of California Press,2005.
19- Nizam Ahmed and Philip Norton , Parliaments in Asia, Portland , 2000.
20- Peter C. Perdue, China Marches West: The Qing Conquest of Central Eurasia, Harvard University Press, 2005.
21- Robert L. Worden and Andrea Matles Savada, Mongolia : a country study, Library of Congress,1990.
22- Stephen Kotkin and Bruce A. Elleman, Mongolia in the Twentieth Century Landlocked Cosmopolitan, London, 2017.
23- Theda Skocpol, States and Social Revolutions: A Comparative Analysis of France, Russia and China Cambridge, New York, 1979.
24- Uradyn Erden Bulag, Nationalism and Hybridity in Mongolia, Oxford University Press,1998.
25- University of Cambridge, Mongolia and Inner Asia Studies Unit,Vol.9, 2007.

ثانياً- البحوث والمقالات.

1- Alan J. K Sanders, Mongolia in 1989: year of Adjustment, Asian Survey , Vol.30, No.1, 1990.
2- Amnon Sella, Khalkhin-Gol : The Forgotten War, *Journal of Contemporary History*, Vol. 18, No.4, 1983.
3- Batbayar Tsedendamba, Mongolia's Foreign Policy in the 1990s: New Identity and New Challenges, Regional Security Issues and Mongolia, Vol. 17, Ulaanbaatar,2002.
4- Fujiko Isono, The Mongolian Revolution of 1921 Modern Asian Studies, Cambridge University Press, Vol. 10, No. 3, 1976.
5- Julia S. Bilskie and Hugh M. Arnold, An Examination of the Political and Economic Transition of Mongolia Since the Collapse of the Soviet Union, Journal of Third World Studies, Vol.19, No.2, 2002.

6- Makoto Tachibana, The 1911 Revolution and Mongolia: Independence, Constitutional Monarchy or Republic, The Journal of Contemporary China Studies, Vol.3, No. 1,2017.
7- Nicholas Poppe, The Facts on Outer Mongolia, The People's Republic has been under Control of the USSR since 1921, 1956.
8- Paul B. Henze, Mongolia faces Glasnost and Perestroika, The Rand Corporation, Corporation,1989.
9- R. Kelley Donald, The Democratic Revolution in the USSR: Can the System Cope with Pluralism?, The Midsouth Political Science Journal, Vol. 13, 1992.
10- Taku Yukawa and Kaoru Hidaka, Explaining the Undemocratic Results of Democratic Revolutions: The Necessity and Rationality of Democratic Slogans, OSIPP Discussion Paper,2018.
11- Thomas E. Ewing, The Origin of the Mongolian People's Party: 1920,University of Leeds, Mongolian Studies, Vol. 5, 1978 – 1979.
12- Thomas Nivison Haining , The Yak, the Bear and the Dragon: Uneasy Bedfellows. A Cautionary Tale of Russian and Chinese Influences on Mongolian History, Journal of the Royal Asiatic Society, Vol.6, No.1, 1996.
13- Tom Ginsburg, Political Reform in Mongolia : Between Russia and China, Asian Survey, Vol.35, No.5, 1995.
14- Tsakhiagiin Elbegdorj, Democracy is A Way for Mongolia to Live, Journal of International Relations and Sustainable Development , No.1, 2014.
15- University of Cambridge, Mongolia and Inner Asia Studies Unit,Vol.9, 2007.
16- U.S. Department of Commerce, JPRS Repor East Asia Mongolia,1991.
17- Yuki onagaya, Ruhagwasren Rossabi and Mary Rossabi Morris, Punsalmaagiin Ochirbat First President of Mongolia , 2014.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

الحرب الاهلية اللبنانية في ضوء الوثائق الأجنبية (الامريكية، البريطانية، الصهيونية١٩٧٥ _١٩٨٩)

م. د. رواء عبد الكريم محمد
rk1981.re@gmail.com
وزارة التربية _مديرية تربية بغداد الكرخ الأولى

الاستلام(Received) : ١٢ /٠٥/ ٢٠٢٦	التعديل (Revision) : ٢٠٢٦ / ٠٥/٣٠
القبول(Accepted) : ٠٧ /٠٦/ ٢٠٢٦	النشر (Published) : ٢٠٢٦/ ٠٩/٣٠

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص

شكل اندلاع الحرب الاهلية اللبنانية حدثا اقليمياً، فلم تكن حدثاً داخلياً بل تداخلت فيه العديد من القوى والاجندات الخارجية، ما جعل دراسة هذه الحرب على ضوء الوثائق ضرورة تاريخية لاكتشاف مواقف القوى الكبرى إزاء هذا الحدث التاريخي، والوقوف على المراسلات التي جرت في تلك الحقبة الزمنية بين صناع القرار السياسي ودورهم في استمرار الصراع وديمومته ولاسيما الدور الصهيوني، في تشكيل قوات مسلحة في الجنوب اللبناني وجعلهم قوة ضد الحكومة المركزية اللبنانية من جهة، ولضرب المنضمات الفدائية الفلسطينية من جهة ثانية، ومن هذا المنطلق يسعى البحث الى دراسة مواقف القوى الكبرى تجاه الازمة من خلال دراسة الوثائق المتاحة،ويهدف الى القاء الضوء على طبيعة التداخل بين العامل الداخلي للبناني والعوامل الخارجية ومدى تأثير ذلك في مسارات الحرب وتطوراتها.

الكلمات المفتاحية: (الحرب، الوثائق، الامريكية، الصهيونية، البريطانية)

The Lebanese Civil War in Light of Foreign Documents (American, British, Zionism, 1975-1989)

Rawaa Abdul Karim Mohammed
rk1981.re@gmail.com
Al-Mustansiriya University / College of Education - Department of History

Abstract

e outbreak of the Lebanese civil war constituted a regional event. It was not an internal event, but many external forces and agendas overlapped, which made the study of this war in the light of documents a historic necessity to discover the positions of the major powers towards this historical event, and to identify the correspondence that took place in that time period between political decision-makers and their role in the continuation and permanence of the conflict, especially the Zionist role, in forming armed forces in southern Lebanon and making them a force against the Lebanese central government on the one hand, and to strike the Palestinian fedayeen affiliates on the other hand. From this point of view, the research seeks to study the positions of the major powers towards the crisis by studying the available documents, and aims to shed light on the nature of the overlap between the internal factor of the Lebanese and the external factors and the extent of the impact of this on the war and its developments.

Keywords: (war, documents, American, zionism, British)

المقدمة:

تعد لحرب الاهلية اللبنانية من اكثر الصراعات تعقيداً في تاريخ الشرق الأوسط المعاصر، استمرت الحرب لأكثر من ١٦ عام و٧ اشهر، تداخلت فيها عوامل داخلية ارتبطت بالبنية السياسية والطائفية في لبنان مع العوامل الإقليمية والدولية التي أسهمت في تعقد مسار الصراع واطالة امده، ولم تكن هذه الحرب مجرد نزاع داخلي بين القوى اللبنانية المتنافسة، بل تحولت الى ساحة لتقاطع لمصالح والاستراتيجيات الدولية، الامر الذي جعلها محل اهتمام واسع من قبل الدول الكبرى، تكتسب هذه الدراسة أهمية خاصة عند تحليلها في ضوء الوثائق الدبلوماسية والأمنية الصادرة عن كل من الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا والكيان الصهيوني، اذ توفر هذه الوثائق رؤى مهمة حول كيفية ادراك هذه الدول لطبيعة الصراع اللبناني، ودورها في التعامل مع تطوراته السياسية والعسكرية، كما تكشف هذه الوثائق عن ابعاد خفية في صناعة القرار وعن طبيعة التفاعلات الدولية التي اثرت في مسار الاحداث داخل لبنان، ومن هذا المنطلق يسعى البحث الى تحليل مواقف وسياسات هذه الدول تجاه الازمة اللبنانية، من خلال دراسة الوثائق الرسمية المتاحة، ومحاولة فهم دوافعها الاستراتيجية واهدافها في التعامل مع مجريات هذه الحرب، كما يهدف الى القاء الضوء على طبيعة التداخل بين العامل الداخلي للبناني والعوامل الخارجية ومدى تأثير ذلك في مسارات الحرب وتطوراتها.

شكلت محاولة اغتيال النائب اللبناني بيار الجميل بداية الحرب عام ١٩٧٥ وتوسع هذا الحادث ما ادى الى تدخل القوات الفلسطينية وحدوث مجزرة عين الرمانة وما تبعها من احداث استمرت حتى توقع اتفاق الطائف عام ١٩٨٩ .

ولابد من الإشارة ان الوثائق التي تم الاطلاع عليها، لم تذكر تفاصيل دقيقة عن الحرب الاهلية اللبنانية مثل الهجوم والاشتباكات والمقاومة، واغلب هذه الوثائق كانت عبارة عن رسائل وبرقيات رؤساء الدول وذكرت الموقف الدولي من الحرب والدول المشاركة به .

وقد اعتمد البحث على المنهج التاريخ التحليلي، مستنداً الى مجموعة من الوثائق الدبلوماسية والارشيفية الامريكية والبريطانية والصهيونية، اضافة الى الدراسات الاكاديمية والمصادر الثانوية التي تناولت موضوع الحرب الاهلية اللبنانية، بهدف تقديم قراءة علمية تستند الى الوثائق الاصلية، وتساهم في تعميق فهم هذه المرحلة المهمة من تاريخ لبنان المعاصر. ولابد من الإشارة الى ان الباحثة عمدت الى استخدام مصطلح الكيان الصهيوني داخل النصوص المقتبسة مع مراعات وضع المصطلح في اقواس، لذا اقتضى التنويه.

المبحث الأول

اولاً: بداية الحرب الاهلية اللبنانية ١٩٧٥

تكون الشعب اللبناني من طوائف مختلفة منهم المسيحيين والمسلمين والدروز، وأشارت وثائق وزارة الخارجية الأمريكية في لبنان، ان اكثر من نصف السكان المقيمين في لبنان هم من المسلمين الشيعة والسنة او الدروز، والباقي مسيحيون اغلبهم من الموارنة والروم الارثدوكس والكاثوليك والارمن، ويشكل المسلمون الشيعة اكبر طائفة ، وان تصريح المسلمين منذ اوائل السبعينيات بانهم يشكلون اغلبية ساهم في التوترات التي سبقت الحرب الاهلية بين ١٩٧٥ الى ١٩٨٩ ،كما ان وجود اللاجئين الفلسطينيين الذين وصل عدد منهم الى لبنان بعد الحرب العربية الصهيونية عام ١٩٦٧ و احداث ايلول الاسود في الاردن عام ١٩٧٠ ،وكان من بين هؤلاء ياسر عرفات و منظمة التحرير الفلسطينية، فزادت بذلك حدت الخلافات بين المسلمين والمسيحيين (U.S.Department of state Lebanon, p. 212)

وصفت الوثائق الصعوبات التي عانت منها لبنان قبل الحرب الاهلية عام ١٩٧٥ بسبب العدد الكبير من اللاجئين الفلسطينيين في لبنان والاشتباكات المتكررة بين القوات الصهيونية والمقاومة الفلسطينية ما ادى الى تعرض حياة المدنيين للخطر في جنوب لبنان، وزعزعة الاستقرار في البلاد، وبعد مناوشات طفيفة في اوائل السبعينيات ،اندلعت اشتباكات خطيرة بين المقاومة الفلسطينية وقوات الحكومة اللبنانية في ايار ١٩٧٣ ،مع اشتباكات طائفية بين المسلمين والمسيحيين اذ كان المسلمون غير راضيين بسبب التوزيع الغير عادل للسلطة السياسية (U.S.Department of state Lebanon, p. 1194) ، بالفعل عاشت لبنان في السنوات التي سبقت الحرب موجات من العنف امتدت الى جميع انحاء لبنان لتثبت الضعف في هيكل الدولة وتعميق الانقسامات داخل الطيف السياسي.

حدثت الحرب الاهلية اللبنانية في نيسان ١٩٧٥ ،عندما نصب مسلحون في شرق بيروت كمينا لحافلة محملة بالفلسطينيين لاسيما ان القوات الفلسطينية كانت تنتمي الى الفصائل ذات الاغلبية اليسارية واستمر القتال الذي توسع ليشمل معظم انحاء لبنان (U.S.Department of state Lebanon, p. 1194)، بينما تذكر وثيقة بريطانية "**ان تصعيد العنف في الحرب الاهلية اللبنانية بدا بعد حادثة ١٣ نيسان ١٩٧٥ عندما اوقف صبي ماروني يبلغ اربع عشر من عمره حافلة تقل فلسطينيين في قرية صغيرة تسمى عين الرمانة ،فأخرجهم من الحافلة واطلق عليهم النار وقتل ٢٧ شخصا**" (HL Deb , 1984). وبالفعل هذا ما اشارت اليه اغلب المصادر التاريخية وذكرت الحادثة باسم (عين الرمانة) وأشارت المصادر الى اتهامات كل طرف للآخر اذ ادعت منظمة التحرير الفلسطينية أن الكتائب اللبنانية، أطلقت النار على سيارة وحافلة فلسطينية أثناء عودتهم من مراسم إحياء ذكرى "عملية كريات

شمونة" في نيسان ١٩٧٤، أما الكتائب، فأتهمت المنظمات الفدائية الفلسطينية بإطلاق النار مرتين على سكان عين الرمانة، الأولى من سيارة سياحية تقل أربعة فدائيين، ثم من حافلة تقل عشرين مسلحاً منهم (محمد، ٢٠٢٥، صفحة ٢٠٥)

عقد وزير الخارجية الامريكية هنري كيسنجر(Henry Alfred Kissinger) (*)، اجتماع في واشنطن مع عدد من موظفيه في الثامن والعشرين من تشرين الاول عام ١٩٧٥،اي بعد ستة اشهر على بدء الحرب الاهلية اللبنانية، وجرى خلال الاجتماع التطرق الى الوضع في لبنان واوضح الموظفين للوزير الامريكي ان الوضع في لبنان يزداد سوءا، مع استمرار عمليات الاختطاف التي يتعرض لها الموظفين الاجانب، من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ففي الثاني والعشرين من تشرين الاول خُطف تشارلز غالاغر(Charles Gallagher) ووليام دايكس(William Dix) وهما موظفان في ال (uscis) (دائرة خدمات الهجرة الامريكية)،كما قام اعضاء في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين باختطاف كولونيل امريكي اخر،اطلق سراحه بعد ثلاثة عشر يوما دون ان يصاب بأذى ، وذكر السيد الفريد اثيرتون(Alfred Atherton) مساعد وزير الخارجية الامريكية لشؤون الشرق الادنى، "**ان الكتائب المسيحية والجماعات اليسارية الاسلامية تحاول السيطرة على اراضي بيروت وبدأت بنقل اسلحتها ومعداتها القتالية اليها تمهيدا لإقامة قواعد عسكرية**" (FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1975, p. 5)، وأكدت الوثائق الامريكية ان السلاح كان يصل الى المسلمين من سوريا اما المسيح فكانوا مستعدين الحصول على السلاح من أي المصادر التجارية ورجحت الوثائق انهم كانوا يحصلون عليها بشكل مباشر او غير مباشر من الصهاينة (FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1975, p. 5)

ومن الجدير بالذكر الى ان الوثائق البريطانية اشارت الى انسحاب الكثير من الجاليات الأجنبية والمنضمات الإقليمية التي كانت تتخذ من لبنان مقراً لها بسبب الفوضى، فقد صرح وزير الخارجية وشؤون الكومنولث جيمس كالاهان (James Callaghan) في مناقشات مجلس العموم البريطاني في التاسع والعشرون من تشرين الاول ١٩٧٥،بانه يوجد حوالي ٣٠٠٠ مواطن بريطاني في لبنان وجميعهم بخير ولم ترد اي اخبار عن اصابتهم في القتال العنيف الدائر في لبنان ونصحهم بان يغادروا لبنان في اقرب وقت ممكن في حالة لم يكن وجودهم ضروريا في البلاد (LEBANON, 1975, p. 1594). وبعد اعلان وقف اطلاق النار عام ١٩٧٦ عقد اجتماع في البيت الأبيض في السابع والعشرون كانون الثاني ١٩٧٦ بين الرئيس الامريكي جيرالد فورد (Gerald Rudolph Ford)، مع رئيس وزراء الكيان الصهيوني اسحاق رابين(Yitzhak Rabin) (*)، بحضور عدد من مسؤولي الطرفين وذكر اسحاق رابين، "**ان العالم العربي عموما يعتبر ان وقف النار الذي تم التوصل اليه في لبنان هو انجاز سوري**

و انهم (اي السوريين) منعوا كل عمل ممكن في لبنان من اي دولة عربية اخرى سواء منفردة او مجتمعة ،و بهذه الطريقة احتفظوا بتأثيرهم على الوضع ،وكانت اداتهم في ذلك منظمة التحرير الفلسطينية القوة الاكبر والافضل تنظيما في لبنان على العكس من المسيحيين الذين لم يكونوا منظمين بشكل جيد وعلاوة على ذلك كانوا يفتقرون الى الشجاعة" ،وذكر اسحاق رابين ،**"بان جهودهم مع الجماعات المسيحية المختلفة كان محكوم عليها بالفشل فبدون وجود شريك سياسي في لبنان لا يوجد امكانية لعمل عسكري ناجح"** (F.R.U.S,1975,P.908)، كما ذكر اسحاق رابين ان الحكومة اللبنانية لم تسمح للجيش اللبناني وهو مسيحي في الاساس بلعب اي دور مهم، فأقوى فصيل مسيحي هو الكتائب لم يتعاون مع العناصر المسيحية الاخرى (F.R.U.S,1975,P.908)، واكد اسحق رابين رئيس وزراء الكيان الصهيوني ان بلاده لن تتدخل في لبنان إلا إذا قامت القوات السورية بتهديد الكيان الصهيوني بشكل مباشر (Le Monde, 1976)، وذكر إيجال ألون (Igal Alon) [*]

"أن[الكيان الصهيوني] لن يبقى بدون رد فعل في حالة احتلال الفدائيين الفلسطينيين لجنوب لبنان، لاستخدامها كقاعدة للهجوم على الدولة اليهودية"،.. وأضاف ان الحرب الأهلية في لبنان خلقت وجود الفلسطينيين، الذين يعملون نيابة عن دمشق، ويستقرون بشكل دائم في جنوب البلاد" (Le Monde, 1976)

واكد المسؤولون الامريكيين في اجتماع عقد في واشنطن لمجلس الامن القومي الامريكي في السابع من نيسان ١٩٧٦ انهم تحدثوا مع القادة المسيحيين اللبنانيين و انهم لا يمكنهم المقاومة اكثر من ثلاثة اسابيع في حالة وقوع هجوم وانهم طالبوا بمدهم بالأسلحة والذخيرة، الا ان الجانب الأمريكي بين ان الصهاينة سوف يمدوهم بالأسلحة (F.R.U.S, 1976)، ومن المفيد الإشارة الى عقد اتفاقية الخطوط الحمر التي وقعت بين سوريا والكيان الصهيوني في التاسع من نيسان عام ١٩٧٦ كانت برعاية الولايات المتحدة الامريكية [*] ، التي نصت على ان يتم تقاسم النفوذ في لبنان فيكون الكيان الصهيوني في الجنوب وسوريا في بقية المناطق، كما وافق الكيان الصهيوني على دخول وحدات الجيش السوري في حزيران١٩٧٦، بعد ان فرضت عليها شروطاً تمثلت في ان لا يتجاوز الجيش السوري، نهر الليطاني والنبطية جنوبا، وان لا يستخدم سلاح استراتيجي او سلاح البحرية والطيران في الأجواء اللبنانية، والقضاء على نفوذ القوات المشتركة، وقد توافق هذا الطموح مع مصالح الكيان ، وكان بداية للتعاون السوري_ الصهيوني (بقرادوني، ٢٠٠٩، الصفحات ٦٧-٦٨).**في الحقيقة ان سوريا كان لها الدور الأساس في إيقاف الحرب الاهلية اللبنانية عام ١٩٧٦،على الرغم من معارضة اغلب الدول العربية، وبذلك انتهت المرحلة الأولى من الحرب الاهلية اللبنانية والتي عُرفت بمرحلة السنتين، والتي تمثلت**

بالدخول السوري في لبنان وجعل الأخيرة ساحة لأجندات سياسية خارجية، ولاسيما الصهيونية التي اتخذت من وجود المنظمات الفلسطينية حجة للاعتداءات على الجنوب اللبناني، واجتياح المنطقة وإقامة شريط حدودي يديره عملاؤها اللبنانيون المسيحيون في المنطقة.

ثانياً: الموقف الصهيوني من الحرب الاهلية اللبنانية

تطورت العلاقات المسيحية الصهيونية اثر الدعم العسكري الذي اعتمدت عليه الميليشيات المسيحية من قبل الصهاينة، حتى اصبح بوسع المدنيين المسيحيين في جنوب لبنان دخول الكيان الصهيوني للحصول على المساعدات الطبية وتسويق منتجاتهم الزراعية أو شراء بعض الحاجات الضرورية، وقد اطلق على هذه السياسة (بالسياج الجيد) وفيما يتعلق بهذه السياسة قال بيريز: "**ان [الكيان الصهيوني] قرر فتح الحدود منذ البداية، وان العيادات [الصهيونية]عالجت ما مجموعه ١٨٠٠٠ مسيحي ومسلم لبناني، كما ان سكان لبنان يعملون ويتسوقون ويبيعون منتجاتهم في [الكيان الصهيوني] وهذا خلق أنموذجاً افضل لعلاقات إنسانية**" (F.R.U.S., 1977 , p. 47)، يبدو ان الكيان الصهيوني لم يكن تفكر بالمصلحة الإنسانية وما يقدمه للمسيحيين بقدر ما كان هدفه تطبيع العلاقات مع الجنوب اللبناني ما يمكنه مستقبلا من السيطرة على المنطقة لما تمتلكه من ثروات هائلة لاسيما المائية متمثلة بنهر الليطاني.

ارسلت وزارة الخارجية الامريكية برقية الى البيت الأبيض في التاسع من اب ١٩٧٧ توضح لهم بان "**وزير الخارجية موشيه دايان اعلن بان [الصهاينة] غير راضيين عن الوضع في جنوب لبنان ،وانهم لا يرغبون في احتلال الاراضي او البقاء لفتره طويلة فيها ،ولكنهم ارادوا مساعدة المسيحيين في جنوب لبنان بطريقة عسكرية، وذلك بمحاربة الفلسطينيين الذين كانوا هناك والقضاء عليهم**" ، وذكرت وزارة الخارجية الامريكية ان القرار الصهيوني هذا يصب نحو تصعيد خطير للعمل العسكري ،لا سيما وان لبنان اراد نشر قواته في جنوب لبنان في ذلك الوقت (f. R. U.S, 1977, p. 419)،وفي هذا الصدد صرح السياسي اللبناني ريمون ادة منذ اندلاع الحرب الاهلية اللبنانية عام ١٩٧٥ "**ان الكيان[الصهيوني] سيستخدم هذا الوضع الصعب، لصالحها لاسيما بعد أن أصبح جنوب لبنان فلسطينيا، ولم يعد يتمتع بحماية دولة مستقلة ذات سيادة، ستكون هذه فرصة للدولة العبرية ولا يمكن الا ان تستغلها، لاحتلال جنوب لبنان وصولاً إلى نهر الليطاني، كونه حدوداً آمنة، لتحصل الدولة العبرية حينها على ما امتنعت عن تحقيقه عام ١٩٦٧**" (Le Monde, 1975)

وذكر رئيس وزراء الكيان الصهيوني مناحيم بيغن (Menachem Begin)[*]، في اجتماع عقد في القدس مع الجانب الامريكي في ١٠ اب ١٩٧٧ "**ان [الكيان الصهيوني] ليس له مطالبات اقليمية في لبنان وهو لا يريد حربا ضدها ،لكنه لن يخذل الاقلية المسيحية التي قدم لها مساعدات اقتصادية**

وعسكرية ويرغب بعقد معاهده سلام مع [الكيان الصهيوني]"، وطلب بيغن من وزير الخارجية الأمريكي سايروس فانز (Cyrus Vance) [*] ، استخدام النفوذ الامريكي في دمشق لمنع السوريين من الاستيلاء على اسلحة المسيحيين (F.R.U.S., 1977 , p. 437)، وارسل الرئيس الامريكي جيمي كارتر (Jimmy Earl Carter)[*]، رسالة الى رئيس الوزراء الصهيوني مناحيم بيغن، في الرابع والعشرين من ايلول ١٩٧٧ ، بين فيها الوضع الخطير في جنوب لبنان والتهديد الذي تتعرض له حكومة الرئيس اللبناني الياس سركيس ،فضلا عن تهديد سلامة السكان في الجنوب وسكان المدن الصهيونية في المناطق الحدودية لذلك دعا الرئيس الامريكي الجانب الصهيوني بالانسحاب من جنوب لبنان وبذل جهود مكثفة مع اللبنانيين والسوريين للتأكيد على ان القوات الفلسطينية في الجنوب توافق وتتعاون على وقف اطلاق النار تنفيذا لاتفاقية شتوره[*]، كما اكد الرئيس الامريكي ان القرار الصهيوني بدعم مبادرة عسكرية مسيحية في هذه المرحلة الدقيقة يعتبر تعقيدا للأوضاع بشكل خطير، لأنه حدث في وقت كان الفلسطينيون مستعدين للانسحاب من المناطق في جنوب لبنان ،بما في ذلك المناطق التي احتلها المسيحيون مؤخرا (F.R.U.S., 1977 , pp. 565-566)

المبحث الثاني

الاجتياح الصهيوني للبنان ١٩٧٨

وقعت عملية الشهيد كمال عدوان في الحادي عشر من اذار ١٩٧٨ [*] او ما يعرف بالمصادر الصهيونية بـ(مذبحة الطريق الساحلي) التي نفذتها المقاومة الفلسطينية داخل الاراضي المحتلة، اذ هجمت منظمة التحرير الفلسطينية على حافلتين محملتين بالسياح الصهاينة على طول الطريق الساحلي، واشتبكت مع القوات الصهيونية التي حاولت منعهم، وكانت النتائج ان قتل٣٥ صهيوني وجرح٧١ منهم (F.R.U.S., 1977 , p. 1056) لذلك اتخذ الكيان الصهيوني تلك العملية ذريعة لاحتلال جنوب لبنان في الرابع عشرمن اذار ١٩٧٨ بهدف القضاء على المقاومة الفلسطينية المتواجدة جنوب لبنان والحد من هجماتها على شمال الاراضي المحتلة.

بعث الرئيس جيمي كارتر الى رئيس الوزراء الصهيوني مناحيم بيغن رسالة بشأن الهجوم الذي وصفه (الإرهابي)، والتي قرأت على مسامع بيغن في اتصال هاتفي اجراه السفير الامريكي :**"لقد علمت بشعور من الصدمة الشخصية العميقة والغضب الاخلاقي بالهجوم الجبان الذي لا معنى له على مجموعة من الابرياء اليوم، من المؤكد هذا العمل الوحشي الارهابي سيقابل باشمئزاز عالمي من جميع اصحاب الضمير**" (F.R.U.S., 1977 , p. 1056). لابد من الإشارة الى ان الباحثة لم تجد أي وثيقة أمريكية

تشير الى الاعتداءات الصهيونية المتكررة على الأراضي العربية في فلسطين وسوريا ولبنان، الم تكن من الوحشية والهمجية المجازر المتكررة على الشعب العربي الفلسطيني والتي استمرت حتى يومنا هذا.

واشارت برقية من وزارة الخارجية الامريكية الى السفارة الصهيونية في تل ابيب في السادس عشر من اذار ١٩٧٨ حول جنوب لبنان ان الكيان الصهيوني في الرابع عشر من اذار رد على هجوم الحادي عشر من اذار بعملية الليطاني، وأرسل اكثر من ٢٥٠٠٠ جندي الى جنوب لبنان جنوب نهر الليطاني مباشرة بهدف معلن هو دفع الجماعات الفلسطينية المسلحة الى الشمال من الحدود اللبنانية – الصهيونية ، وكذلك تعزيز جيش لبنان الجنوبي الذي عمل كحليف للصهاينة، وذكرت الوثيقة عدد القتلى قدر اكثر من ١٠٠٠ لبناني، و٢٠ صهيوني خلال العملية، وفي ١٦ اذار قرأ المتحدث باسم وزارة الخارجية الامريكية هو دينغ كارتر بياناً عبر فيه عن توقع الحكومة الامريكية ان الكيان الصهيوني سينسحب من جنوب لبنان وانها ابلغت الحكومة الصهيونية بذلك وسعت الإدارة الامريكية الى الترتيبات الممكنة بما في ذلك فكرة دور الامم المتحدة فيما يتعلق بتسوية قضية جنوب لبنان (F.R.U.S., 1977 , pp. 1057–1058)

والسؤال هو هل من الممكن ان تكون قوات الكيان الصهيوني قد اجتاحت الاراضي اللبنانية بدون علم ومباركة الولايات المتحدة الامريكية، وبقدر تعلق الموضوع بالسؤال المطروح لا بد من الاشارة الى ان الطرفين سبق وان عقدا اتفاقية المساعدة الدفاعية المتبادلة منذ عام ١٩٥٢.

ذكرت وثيقة صهيونية ان القوات عبرت في الخامس عشر من اذار الى جنوب لبنان(*) للقضاء على "**قواعد منظمة التحرير الفلسطينية الارهابية التي كانت بمثابة نقطة انطلاق للهجمات على الكيان الصهيوني**"، واستعانت القوات البرية بالطيران والوحدات البحرية العاملة من البحر ضد قواعد منظمة التحرير الفلسطينية في صور وصيدا، واكدت على ان الهدف لم يكن انتقاماً على غارة الحافلتين وانما حماية الكيان الصهيوني من توغل المنضمات الفلسطينية التي اسمتهم بالإرهابيين ، واشارت الوثيقة الى ان القوات الصهيونية ستبقى في لبنان حتى ١٤حزيران ١٩٧٨،واشارت الى ان الهدف من العملية ليس الانتقام من جرائم الارهابيين ولكن حماية الكيان الصهيوني ومواطنيه من توغلات أعضاء منظمة فتح و منظمة التحرير الفلسطينية اللذين يستخدمون اراضي لبنان لمواجهة الكيان الصهيوني. (Israel's Foreign Policy, 1978)

"**جاءت الغارة [الصهيونية] ليلة ١٤ اذار ١٩٧٨ من اجل ضمان حماية وامن سكان [الكيان الصهيوني] للدفاع عن الدولة ومواطنيها ومنع اعتداءات اعضاء فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية، الذين يستخدمون الاراضي اللبنانية للهجوم**" (Israel's Foreign Policy, 1978)

يبدو ان هدف الكيان الصهيوني ليس القضاء على التنظيمات الارهابية بقدر تعلق الأمر بالأهمية الجغرافية والاستراتيجية التي تمتعت بها مناطق الجنوب اللبناني ما جعلهم يتحينون الفرص للسيطرة على المنطقة لما تمتلكه من ثروات مائية هائلة متمثلة بنهر الليطاني، وعليه كان الصهاينة يتحججون بوجود نشاط مسلح لمنظمة التحرير الفلسطينية وغيرها من المنظمات.

وفي برقية ارسلتها وزارة الخارجية الامريكية الى السفارة السورية في ٢٦ مارس ١٩٧٨ تضمنت رسالة الرئيس الامريكي جيمي كارتر الى الرئيس السوري حافظ الاسد حول زيارة رئيس الوزراء الصهيوني مناحيم بيغن للولايات المتحدة الامريكية.

"عزيزي السيد الرئيس اعتبر ان من المهم في هذه المرحلة الحاسمة من عملية مفاوضات السلام ان اقدم لكم تقريراً عن زيارة رئيس الوزراء وتقيمي لآفاق احراز مزيد من التقدم، اعتقد ان الرئيس بيغن عاد الى الوطن بفهم واضح للموقف الامريكي من القضايا، وما هو ضروري لتحقيق تسوية سلمية حقيقية وشاملة في الشرق الاوسط، ان مبدئ الانسحاب من الاراضي المحتلة ينطبق على جميع الجبهات ويجب انتهاء انشطة [الاستيطان الصهيوني] اذا اريد للمفاوضات ان تنجح..." (F.R.U.S., 1977, pp. 2–3). وجدت الباحثة في هذا النص إشارة الى توتر العلاقات الامريكية الصهيونية بسبب مفاوضات السلام اذ طلبت الولايات المتحدة من القوات الصهيونية الانسحاب من كل الأراضي المحتلة بما فيها جنوب لبنان وعمدت الولايات المتحدة ال منع وصول الأسلحة الامريكية الى الكيان الصهيوني بهدف الضغط لنجاح المفاوضات، وهذا أدى الى اعتراض مناحيم بيغن ولابد من الإشارة الى ان صحيفة اللوموند اشارت الى ذلك في مقالة نشرت في ايلول ١٩٧٨وذكرت المقالة: "**إن ما حدث للتو في كامب ديفيد ليس معجزة، ولكنه، في أفضل الفرضيات، بداية عملية طويلة وحساسة تولى فيها الرئيس كارتر، مسؤولية الأمم المتحدة، بصورة اكبر مما فعل أسلافه، وان الاتفاقيتين الإطاريتين اللتين تم توقيعهما مساء الأحد في البيت الأبيض من قبل بيغن وكارتر والسادات لا تحل ما يسمى عادة بمشكلة الشرق الأوسط، والسبيل الوحيد أمام السيد كارتر لإحراز تقدم الآن هو أن يكون يقظاً للغاية مع [الكيان الصهيوني]، ليس فقط لمنع المفاوضات بشأن الضفة الغربية وغزة من التعثر، بل أيضاً للحفاظ على تدفق الأسلحة للبقاء صامداً في المنطقة، وخاصة في لبنان، وبهذا الثمن، وبهذا السعر فقط، سوف تكتسب الجهود المبذولة في كامب ديفيد أهمية طويلة الأمد**" (Le Monde, 1978)

وذكرت وثائق العلاقات الخارجية للأمم المتحدة صدور قرار مجلس الامن رقم ٤٢٥ بتاريخ ١٩ اذار ١٩٧٨ الذي "**خول القوة المؤقتة(اليونيفيل)**[*] **منع منظمة التحرير الفلسطينية من العودة الى جنوب لبنان و تأكيد انسحاب [القوات الصهيونية]واستعادة السلم والامن الدوليين ومساعدة الحكومة اللبنانية**

على ضمان عودة سلطاتها الفعلية في المنطقة ويوافق [الكيان الصهيوني]على ان هذه البنود تشكل وحدة متكاملة وان قرار مجلس الامن رقم ٤٢٥ يجب ان ينفذ" (F.R.U.S., 1977, pp. 2-3)

اشار سفير الكيان الصهيوني في الأمم المتحدة هيرتزوغ (Herzog) [*] الى طبيعة التهديد الصهيوني، وحجم منظمة التحرير الفلسطينية وانشطتها في تهديد السيادة اللبنانية وابلغ الجمعية ان الكيان الصهيوني اوقف من جانبه اطلاق النار وانه يتعاون مع قوة الامم المتحدة المؤقتة في لبنان .I) F. P. , 1978, pp. 1977-1979)

وأعرب وزير الدفاع والشؤون الخارجية اللبناني فؤاد بطرس [*] عن دعم لبنان لجهود الامين العام لتنفيذ قرار مجلس الامن المرقم(٤٢٥) من جميع جوانبه، ودعا الرئيس سركيس في اذاعة بيروت في الثالث والعشرين من اذار ١٩٧٨ الى تنفيذ كل بند ومبدأ في قرار مجلس الامن الدولي... لتحقيق السيادة الكاملة على ارضهم، وفي مقابلة اجراها الرئيس اللبناني كميل شمعون لصحيفة "لو فيغارو" الفرنسية انتقد قرار مجلس الامن ٤٢٥ لإشارته فقط الى انسحاب قوات الكيان الصهيوني من جنوب لبنان وتجاهل منظمة التحرير الفلسطينية ومخاطرها، واشاد بدعم الصهاينة للمجتمع المسيحي في لبنان وانه لا يمنع لبنان من استعادت سيادته (F.R.U.S., 1977, pp. 2-3).يتضح من هذه الوثيقة الثقل والعبء الكبير للميليشيات الفلسطينية على الواقع اللبناني، وان الساسة اللبنانيون حاولوا التخلص من منظمة التحرير الفلسطينية على الرغم من فوائدها في مقاومة الاحتلال الصهيوني، الا انها ارتكبت اخطاء في حق الشارع اللبناني وشعبه، لا سيما بعد تجولهم في شوارع لبنان مع معداتهم الحربية واثارتهم للمشاكل، اتبعت منظمة التحرير الفلسطينية ذات الاسلوب في الاردن ومحاولتها للإطاحة بالملك حسين الاردني ونظامه في أيلول عام ١٩٧٠ ما سمي (أيلول الاسود)وعلى اثره نفيت من الاردن.

تناولت الوثائق مسألة القتال العنيف الذي شنته القوات السورية على المناطق ذات الأغلبية المسيحية في بيروت. واعدت وكالت المخابرات الامريكية المركزية في واشنطن في الثامن من اب ١٩٧٨ تقرير خاص حول سلسلة القتال العنيفة التي دارت بين الجيش السوري ومسلحي حزب الكتائب اللبنانية، لاسيما بعد اعتقال بشير الجميل من قبل السوريين، واشارت الى ان القتال السوري المسيحي العنيف الذي اندلع في بيروت في الاول من تموز ١٩٧٨ الذي استمر بشكل متقطع منذ ذلك الحين ومهد الطريق لمواجهات عديدة بين سوريا والميليشيات المسيحية اللبنانية الرئيسية، وعليه عمد الكيان الصهيوني الى تكثيف دعم الميليشيات المسيحية وهو جزء من الاجراءات الوقائية الصهيونية (F.R.U.S., 1977, pp. 2-3)

كما بين التقرير الى ان الهدف العام لسوريا في لبنان هو المحافظة على دولة لبنانية موحدة ومستقرة نسبياً ومستجيبة لنفوذ دمشق، وتحييد القوة السياسية العسكرية للمسيحيين بما يكفي لإجبارهم

على الاذعان لتوجيهات سوريا، وان الرئيس حافظ الاسد حاول تجنب هجوم شامل على المسيحيين، وان قلق سوريا من تدخل الكيان الصهيوني كان عائقاً امام السوريين في التعامل مع التحدي الذي تشكله الميليشيات المسيحية، "**حتى الان الاسد تحرك بحذر سعياً الى تجنب المواجهة مع [الكيان الصهيوني] مع تعزيز الوجود العسكري السوري حول المناطق المسيحية الرئيسية ومحاولة عزل قادة الميليشيات سياسياً**" (F.R.U.S., 1977, pp. 2–3)

ويصف التقرير اهداف الميليشيات المسيحية في لبنان :" **هو اجبار القوات السورية على الانسحاب من لبنان وتعزيز هيمنة الميليشيات المسيحية في جميع انحاء لبنان**" وتعتقد المخابرات المركزية الامريكية ان الميليشيات المسيحية ستستمر في محاولات استفزاز السوريين الى قتال متجدد واسع النطاق من شأنه ان يجر الكيان الصهيوني مباشرة الى الصراع اللبناني الى جانب المسيحيين (F.R.U.S., 1977, pp. 2–3) ، واذا لزم الامر فان القادة المسيحيين على استعداد تام لرؤية انهيار حكومة الرئيس اللبناني سيركس [*] ، واقامة دولة مسيحية مقطوعة في لبنان مدعومة من[الكيان الصهيوني]". (F.R.U.S., 1977, pp. 2–3) يبدو ان الكيان الصهيوني حاولت خلق قوات مسيحية مناصرة له ومدافعة عن مصالحه الامنية في المناطق الحدودية وعليه كان يتذرع بالجانب الانساني لمساعدة المسيحيين وتوفير احتياجاتهم الضرورية.

ولابد من الإشارة الى ان عملية الليطاني كان لها الأثر في فتح باب التعاون بين الصهاينة والمسيح ليشكل منعطفاً جديداً في العلاقات بينهما فلا غرو وان الكيان الصهيوني اراد من ذلك ان يبسط نفوذه السياسي والعسكري والاستخباراتي في لبنان بشكل صريح وواضح للعيان (حسن، ٢٠٠٥، صفحة ١٣)

صدرت برقية من وزارة الخارجية الامريكية الى سفاراتها في سوريا والكيان الصهيوني في ٣١ اب ١٩٧٨، اعرب فيها وزير الخارجية الامريكي انزعاج حكومته من الاعمال العدائية في لبنان وأوضح قلقه من مغادرة افراد المجتمع المسيحي لبنان او ان يتم دفعهم للانضمام الى المسلحين، وهذا سيعيق اعادة بناء وحدة الدولة اللبنانية ،اما ما يخص الوجود السوري في لبنان فقد اوضح وزير الخارجية الامريكي ان القوات السورية في لبنان موجودة الى جانب وحدات من القوات السعودية والسودانية والاماراتية بناءاً على طلب حكومة الياس سركيس وبموافقة جامعة الدول العربية للحفاظ على وحدة لبنان واستعادة الوضع الطبيعي ولكن التحركات الاخيرة للقوات السورية ضد المناطق المسيحية اثارت قلق شديد لدى الكيان الصهيوني يمكن ان يؤدي الى حدوث اشتباكات بين الطائرات الصهيونية والسورية التي تحلق في سماء لبنان ،لذلك دعا وزير الخارجية الامريكي الجانبان الى بذل الجهود لتهدئة الأوضاع

ووقف القتال بشكل نهائي (f. R. U. S, 1978, p. 58)

وفي هذا الصدد ارسل الرئيس السوري حافظ الاسد رسالة الى الرئيس الامريكي كارتر في الحادي عشر من ايلول ١٩٧٨ ووضح في تلك الرسالة اهداف السياسة السورية في لبنان وهي وحدة ارض لبنان وشعبه وسيادة الحكومة المركزية ووقف القتال ،وشدد على ان جميع اعمال قوة حفظ السلام هي المسؤولة عن الحفاظ على الامن والنظام العام، كما اوضح الدور الصهيوني في دعم الكتائب المسلحة لعرقلة المصالحة، فضلا عن ارسال الاسلحة والمساعدات العسكرية لهم والتحريض على ارتكاب اعمال استفزازية ضد قوات حفظ السلام والقوات السورية واغتيال قادة مسيحيين مناهضين لسياساتهم وممارساتهم مثل طوني فرنجيه النائب والوزير اللبناني الاسبق وحث الرئيس السوري الولايات المتحدة الامريكية الضغط على الكيان الصهيوني لوقف التدخل في لبنان (F.R.U.S, 1977–1980, p. 161)

ارسل الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان(ValéryGiscardd'Estaing)[*] ،رسالة الى الرئيس الامريكي كارتر في الرابع من تشرين الاول ١٩٧٨ مقترح حل قدمه الى الرئيس اللبناني الياس سركيس لوقف اطلاق النار، اذ اقترح اعادة انتشار قوات التحالف في العاصمة بيروت بطريقة تتجنب الاتصال او المواجهة بين العناصر العسكرية والعمل على استبدال هذه القوات في نهاية المطاف بوحدات من الجيش اللبناني، كما ارسل الرئيس الامريكي كارتر في الخامس من تشرين الاول رسالة الى الرئيس السوري حافظ الاسد يدعوه فيها الى قبول شروط وقف اطلاق النار، ورد الاخير على رسالة الرئيس الامريكي في السادس من تشرين الاول ذكر فيها ان السوريين سعوا ايضا الى تجنب اراقة الدماء وان المسؤولية الرئيسية عن الوضع في لبنان تقع على عاتق الكيان الصهيوني ، كما ارسل الرئيس الامريكي رسالة في السادس من تشرين الاول الى المسؤولين في الكيان الصهيوني بشان التدخل في لبنان بما في ذلك قصف الزوارق الحربية الصهيونية للساحل اللبناني ولغة التهديد التي يستخدمها المسؤولون في الكيان الصهيوني، وبناء على هذه المراسلات اوقفت القوات السورية اطلاق النار من جهة واحدة في السابع من تشرين الاول وفي الثامن تشرين الاول اوقفت القوات اللبنانية اطلاق النار (F.r. U. S, 1977–1980, p. 279)

تطرقت الوثائق الامريكية في عام ١٩٧٩ الى استخدام الكيان الصهيوني للأسلحة الامريكية في لبنان، في رسالة من وزير الخارجية الأمريكي سايروس فانس(Syrus Vance) الى النائب زايلوكي [*]، في الثامن من اب ١٩٧٩.

"خلال عام ١٩٧٩، مارست[القوات الصهيونية]ضغطاً عسكرياً على الارهابيين الفلسطينيين في جنوب لبنان لمنعهم من عبور [الحدود الصهيونية] وابقائهم في حالة عدم توازن والحاق اكبر قدر ممكن من الضرر **بمعسكراتهم ومنشأتهم بعد الهجوم على (مسجاف عام) وفي اوائل نيسان، دخل [الجيش الصهيوني] جنوب لبنان وحاول القاء القبض على اكبر عدد ممكن من الارهابيين، لكن الضغط الامريكي اجبر حكومة [الكيان الصهيوني] على اصدار اوامر للقوات بالعودة الى الوطن"**، في هذه الرسالة اوضح وزير الخارجية فانس موقف الولايات المتحدة من الوضع في جنوب لبنان، وفيما يتعلق باستخدام الكيان الصهيوني للأسلحة الامريكية، وضح فانس ان [الكيان الصهيوني]انتهكت قانون تصدير الأسلحة، **"في ظل هذه الظروف افيد بأنه هناك انتهاك لاتفاقية ١٩٥٢ ما سبب اعمال مثل الضربات الجوية الصهيونية في ٢٢ حزيران ونشر المدفعية التي قدمتها الولايات المتحدة في جنوب لبنان وفقاً للقانون الامريكي" (F.R.U.S., 1979)** وبينت وثيقة موقف العرب من قرار ٤٢٥صدرت الخامس من تشرين الثاني عام ١٩٧٩:

"هناك شيء يقترب من الاجتماع بين العرب على عدة نقاط : تعزيز وقف اطلاق النار، تعزيز قوة اليونيفيل ومجلس الامن التابع للأمم المتحدة ٤٢٥، اعادة الوجود اللبناني من حيث المبدأ في جنوب لبنان خاصة (صور)، وحمل منظمة التحرير الفلسطينية لإعطاء بعض التعاون للبنانيين، وحمل منظمة التحرير الفلسطينية على التوقف عن تحميل المسؤولية في بيروت عن اي هجمات تحدث في [الكيان الصهيوني]". وبينت الوثيقة ان الكيان الصهيوني سيخرج سعد حداد من منطقة اليونيفيل اذا تركتها منظمة التحرير الفلسطينية واليساريون، **كما ذكرت الوثيقة: " ان فرنسا تحاول دفع منظمة التحرير الفلسطينية على اصدار بيان توضح فيه وحدة الاراضي اللبنانية والطبيعة المؤقتة لوجود منظمة التحرير الفلسطينية ودعم وقف اطلاق النار والثناء على دور اليونيفيل"** (F.R.U.S, 1978 -1980, pp. 983-985)

المبحث الثالث

اجتياح الكيان الصهيوني للبنان عام ١٩٨١

تطورت العلاقات الصهيونية – المسيحية في بدايات عام ١٩٨٠ اكثر من ذي قبل و تطورت فكرة انقاذ المسيحيين ، فقد صرح مناحيم بيغن في مقابلة مع راديو الجيش الصهيوني:**" لقد غيرنا الوضع في لبنان ومنعنا القضاء على الاقلية المسيحية وهذا هو الانجاز الاخلاقي من الدرجة الاولى والمسيحيين في العالم يقدرون ذلك، وفيما يتعلق بأمننا وانشاء الحزام الامني في الشمال هنالك مشاكل مع سعد حداد انه رجل رائع ولكن في بعض الاوقات يفعل اشياء لا نقبلها بالنسبة لنا"**

(I.F.P., 1980). وبعد ان شكلت القوات النرويجية جزءاً من اليونيفيل وبالنظر الى التوتر المتزايد في جنوب لبنان كتب رئيس الوزراء النرويجي أودفار نوردلي(Odvar Nordli) الى رئيس الوزراء بيغن يعرب عن قلقه من تدهور الوضع ويطلب مساعدة الكيان الصهيوني لإقناع الرائد حداد بالتعاون بشكل افضل مع اليونيفيل، اجابه بيغن:" هل يمكننا الآن التخلي عن الاقلية المسيحية لمصيرها الذي لا مفر منه؟ السيد رئيس الوزراء لا يمكن ان يطلب من اي امة تؤمن بالإنسانية والقيم الاخلاقية ان تتبنى مثل هذا الموقف ما يمكننا القيام به هو السعي للتأكيد على الرائد حداد للعيش بسلام مع جميع وحدات اليونيفيل واحترامها"(I.F.P.H., 1980). على ما يبدوان مناحيم بيغن كان مرتاحاً لهجمات قوات الرائد سعد حداد على قوات اليونيفيل لاسيما وان القوات الصهيونية كانت قد تركت مواقعها في الجنوب اللبناني بعد انسحابها منه لسيطرة سعد حداد، مما اسهم في تعزيز سيطرة الاحتلال واضعاف ارتباط الجنوب بالحكومة المركزية اللبنانية.

وفي هذا الصدد ذكرت صحيفة السفير اللبنانية ان مناحيم بيغن، عقد لقاء مع المبعوث الأمريكي فيليب حبيب، حاول من خلال اللقاء السعي لإقامة علاقات متينة مع لبنان مع الاحتفاظ لنفسها بأحقية ضرب المنضمات الفلسطينية داخل الجنوب اللبناني وطردها واكد على ضرورة وقف الهجمات على الكيان الصهيوني، وقد تلا بيغن بياناً بين الموقف الصهيوني جاء فيه" **ان حكومة [الكيان الصهيوني]لن تبدأ تحت اية ظروف مفاوضات مباشرة او غير مباشرة مع المنضمات الإرهابية العربية التي يتمثل هدفها المعلن في تدمير [الكيان الصهيوني] وشعبه والتي توجه عمداً أسلحتها التي زودت بها بكميات كبيرة من الاتحاد السوفيتي وسوريا وليبيا ضد السكان اليهود المدنيين، ودعت الحكومة [الصهيونية] الحكومة اللبنانية الى طرد الفدائيين من أراضيها والاحتفاظ بحق [الكيان الصهيوني] في العمل ضد الارهابين**" (جريدة السفير، ١٩٨١)

هاجم سلاح الجو الصهيوني القوات السورية في لبنان في نيسان١٩٨١ لمنعها من الاستيلاء على سلسلة جبال صنين الاستراتيجية، وردت سوريا بنشر صواريخ أرض – جو في وادي البقاع ، مما يهدد قدرة الكيان الصهيوني على مراقبة قوات منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان، ولتجنب الحرب أرسل الرئيس الأمريكي رونالد ريغان (Ronald Wilson Reagan) ، المبعوث فيليب حبيب إلى الشرق الأوسط، لكنه فشل في إقناع السوريين بسحب الصواريخ وعندما تصاعد القتال بين الكيان الصهيوني ومنظمة التحرير الفلسطينية في تموز من ذلك العام، خشيت إدارة ريغان أن يعمد الكيان الصهيوني بغزو لبنان، وفي النهاية تمكن فليب حبيب من التفاوض على وقف إطلاق نار فعلي بين الكيان الصهيوني ومنظمة التحرير الفلسطينية. (Department of State, 1981–1984)

وذكرت الوثائق ان وقف إطلاق النار أدى إلى تأجيل أزمة أكبر، إذ ظل اللبنانيون على خلاف، ورفضت سوريا سحب صواريخها، واستاء الكيان الصهيوني من قيود وقف إطلاق النار، التي سمحت لمنظمة التحرير الفلسطينية بتقوية نفسها ولم تمنع الهجمات الإرهابية من الضفة الغربية وقطاع غزة أو ضد أهداف يهودية (Department of State, 1981–1984)

حاول حبيب فليب التدخل من اجل انهاء حالة الصراع والتدهور الامني وانهاء القتال، وبعد الاجتماع الاسبوعي لمجلس الوزراء القى السيد بيغن بيان في السابع عشر من ايار ١٩٨١ ، قال فيه "**ان [الكيان الصهيوني] وافق على طلب امريكي بإتاحة مزيد من الوقت للسفير حبيب لحل الازمة بطريقة دبلوماسية وانه يجب استنفاذ كل الوسائل الدبلوماسية في لبنان ....لم يكن هناك حد زمني على الاطلاق للتمكين من الاستقرار بالوسائل الدبلوماسية، لأننا لا نريد حرباً، نريد حلاً سلمياً، ومسألة كيفية استعادة الوضع السابق وعلى هذا توافق الولايات المتحدة و[الكيان الصهيوني] بشكل كامل**" (I.F.P.H, 1981)

وأضاف قائلاً: "**تحدثت يوم الجمعة مع السيد حبيب الذي وصل من دمشق وقدم لي تقريراً مفصلاً عن محادثاته مع الرئيس الاسد وقبلهما عن مباحثات مع الرئيس سركيس في بيروت ، ثم اخبرني السيد حبيب انه تلقى تعليمات من وزير الخارجية بالذهاب الى المملكة العربية السعودية، وطلب مني منحه مزيداً من الوقت للتحركات الدبلوماسية من اجل حل المشكلة... حاول منحه مزيداً من الوقت حتى يتمكن من استخدام التحركات الدبلوماسية بالتوجه الى المملكة العربية السعودية وربما يتوجه الى دمشق... وقد يغادر السعودية ويعود الى الولايات المتحدة ثم يزور القدس لرؤيتي... قال السيد بيغن للصحيفين: "انه لا يوجد حد زمني على الاطلاق لتمكيننا الاستمرار في التحركات الدبلوماسية، اننا لا نريد الحرب، نريد حلاً سلمياً، والسؤال هو كيف نعيد الوضع الى ما كان عليه والولايات المتحدة و[الكيان الصهيوني] متفقان بشكل كامل**" (I.F.P.H, 1981)

وفي بيان لمجلس الوزراء الصهيوني في الحادي والعشرون من تموز ١٩٨١ "**وجد الكيان الصهيوني نفسه متورطاً في اعمال عدائية مع ارهابيي منظمة التحرير الفلسطينية العاملين من جنوب لبنان ، وقد تميزت هذه الاعمال العدائية بمواجهات بالمدفعية والغارات الجوية، وقصف الكاتيوشا ونتيجة لذلك اصيبت بلدان ومستوطنات [صهيونية] مما ادى الى وقوع اصابات والحاق اضرار جسيمة**"، امر السفير حبيب من قبل الرئيس الامريكي ريغان بترتيب وقف اطلاق النار، وطلبت الولايات المتحدة الامريكية من الكيان الصهيوني بالسماح للسيد حبيب بالتعامل مع الحكومة اللبنانية، كما تم استخدام المساعي الحميدة للمملكة العربية السعودية وفي الحادي والعشرين من تموز ١٩٨١ قرر مجلس الوزراء في الكيان الصهيوني ما يلي: (I.F.P.H., 1981)

١- وافق مجلس الوزراء على ان يبدأ فليب حبيب اتصالات مع الرئيس اللبناني سيركس ومع الحكومة اللبنانية بهدف اقامة علاقات سلمية بين [الكيان الصهيوني] ولبنان، "**حيث تهاجم المنظمات الارهابية باستمرار اراضي لبنان وتقتل وتشوه مواطنيها**".

٢- لن تجري حكومة [الكيان الصهيوني] باي حال من الاحوال مفاوضات بشكل مباشر او غير مباشر مع "**المنظمات الارهابية العربية التي تمثل هدفها المعلن في تدمير [الكيان الصهيوني]وشعبه والتي تقوم عمداً بتوظيف اسلحتها التي يزودها بها السوفيت بكميات كبيرة، ضد السكان المدنيين اليهود**".

وعليه جاء بيان فليب حبيب :" **على اساس بيان حكومة [الكيان الصهيوني]سأشرع في مهمتي لتوجيهات الرئيس ريغان، للسعي الى ضمان وقف اطلاق النار على طول الحدود الصهيونية اللبنانية لإضفاء الهدوء للمنطقة**" (I.F.P.H., 1981)

وعليه اصدر قرار مجلس الامن رقم ٤٩٠ بشأن وقف اطلاق النار في لبنان في الحادي والعشرون من تموز ١٩٨١، ودعا الى :

١- الوقف الفوري لجميع الهجمات المسلحة.

٢- تأكيد الالتزام بسيادة لبنان وسلامته الاقليمية وضمان حدوده المعترف بها دولياً.

٣- يطلب من الامين العام تقديم تقرير الى المجلس بشأن تنفيذ هذا القرار بأقرب وقت في موعد لا يتجاوز ٤٨ ساعة (I.F.P.H, 1981)

وهكذا تعززت جهود السفير حبيب في المساهمة في وقف اطلاق النار ، وقال:" **اننا في هذه المرحلة بدأنا العمل من اجل الانسحاب [الصهيوني]والاتفاق على وقف اطلاق النار الذي لن يستغله احد ، واشار الى ان عدد الرجال الذين سيكونون في اللواء اللبناني الذين سيتم ارسالهم الى الجنوب حوالي ١٠٠٠ ، واشار الى انه كان هناك حديث في الاصل عن ثلاث كتائب اي حوالي ١٥٠٠** رجل"(F.R.U.S., 1980, p. 571)

وفي صدد انتخاب بشير الجميل رئيساً للبنان في الثالث والعشرين من اب ١٩٨٢ ذكرت الوثائق ان حكومة الكيان الصهيوني كانت سعيدة للغاية بهذا التطور وفعلت الكثير لقوات الجميل وتمنت بان تتوج الاتفاقية بعلاقات جديدة وعقد اتفاقية سلام بين الكيان الصهيوني ولبنان، وارسل مناحيم بيغن الى الجميل برقية تهنئة ونشرها على الملأ، وبينت الوثائق ان الولايات المتحدة حذرت الجميل من ابداء علاقات متفتحة ودافئة مع الكيان الصهيوني في غضون ذلك كانت منظمة التحرير الفلسطينية تغادر بيروت براً وبحراً وبطريقة منظمة، وذكرت الوثيقة مقال نشر على صحيفة نيويورك تايمز بين ان الفلسطينيين مستعدين للتفاوض مع الكيان الصهيوني بشأن الحكم الذاتي، مشكلين تحالف يتضمن

"مثلث سلام جديد –القدس، القاهرة، بيروت" (i.m.f.a.d., 1982, p. 1)

وعلى أثر حادثة اغتيال الرئيس اللبناني بشير الجميل في الرابع عشرمن أيلول ١٩٨٢ نتيجة لانفجار قنبلة في قصر كتائب شرق بيروت ما أثار مكامن الخوف والفزع لدى حكومة الكيان الصهيوني (عبد الحسن، ٢٠٢٥، صفحة ٣٠٥_٣١٢)

بينت وثيقة ان الحكومة الصهيونية نددت بعملية الاغتيال واعتبرتها موجهة ضدها، وعليه تم نقل وحدات تابعة للجيش الصهيوني الى أجزاء عدة من بيروت لمحاصرة المخيمات الفلسطينية بغية السيطرة على الأوضاع، لاسيما وان الجيش الصهيوني كان يدرك أن منظمة التحرير الفلسطينية تركت ورائها تركة ثقيلة من اللاجئين ومخابئ الأسلحة، وعليه عمد مجلس الوزراء الصهيوني على ارسال وحدات صهيونية الى العاصمة اللبنانية بيروت (i.m.f.a.d., 1982, p. 1)

والسؤال هو ما الذي حققه الكيان الصهيوني من الحملة العسكرية التي شنتها على لبنان؟ وكيف تأثرت الولايات المتحدة الامريكية وبقية العالم الحر؟

ذكرت وثيقة مقال لصحيفة نيويورك تايمز نص على "**ان الانجاز الفوري [للكيان الصهيوني] هو الهزيمة الساحقة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ولم تعد صواريخ الكاتيوشا السوفيتية تسقط على القرى الصهيونية من ملاذات الارهابيين في لبنان، عادت الحياة الطبيعية الى الجليل ونتيجة لهذا الانجاز اصبح للبنان الفرصة لاستعادة سيادته وطرد الارهابيين المتبقين واخلاء قوات الاحتلال السوري، تم الترحيب بالجنود [الصهاينة] الذين يدخلون لبنان بوصفهم محررين لطردهم الارهابيين الذين خربوا ونهبوا والذين وضعوا اسلحتهم وذخائرهم وسط المنازل السكنية والمدارس ومخيمات اللاجئين والمستشفيات، وبعد رحيل منظمة التحرير الفلسطينية شعرت بجو جديد وثقة جديدة بان العرب يستطيعون التعبير عن انفسهم وافكارهم بحرية تامة دون خوف من المنظمة**" (i.m.f.a.d., 1982, p. 1). على ما يبدو ان في هذا المقال الذي ذكرته الوثيقة كمية كبيرة من التشويه لمنظمة التحرير الفلسطينية امام العالم الغربي.

ومن الجدير بالذكر عقد مفاوضات صهيونية لبنانية بدأت الاجتماعات في الثامن والعشرون من كانون الأول ١٩٨٣ واستمرت على مدى ٣٥ جلسة بالتناوب في خلدة وكريات شمونة ونتانياو ، ووُقّعت الاتفاقية نهائيًا في السابع عشر من أيار١٩٨٣، بعد تدخل أمريكي رفيع المستوى، تضمن جولة دبلوماسية مكثفة استمرت عشرة أيام بقيادة وزير الخارجية شولتز، وقد وصفت الوثيقة أبرز ملامح الاتفاقية "**يتفق الطرفان ويتعهدان باحترام سيادة كل منهما واستقلاله السياسي وسلامة أراضيه. ويعتبران الحدود الدولية القائمة بين [الكيان الصهيوني] ولبنان غير قابلة للانتهاك. ٢. يؤكد الطرفان**

أن حالة الحرب بين [الكيان الصهيوني] ولبنان قد انتهت ولم تعد قائمة. ٣. مع مراعاة أحكام الفقرتين الأولى والثانية، يتعهد [الكيان الصهيوني] بسحب جميع قواته المسلحة من لبنان وفقًا لملحق الاتفاقية، ٣. مع عدم الإخلال بالحق الأصيل في الدفاع عن النفس وفقًا للقانون الدولي، يمتنع كل طرف عما يلي: أ. تنظيم أو التحريض أو المساعدة أو المشاركة في التهديدات أو أعمال العدوان أو التخريب أو التحريض أو أي عدوان موجه ضد الطرف الآخر أو سكانه أو ممتلكاته، سواء داخل أراضيه أو انطلاقًا منها، أو في أراضي الطرف الآخر. ب. منع استخدام أراضي الطرف الآخر لإجراء أي نشاط عسكري..... عند دخول هذه الاتفاقية حيز النفاذ، يُنشئ الطرفان لجنة اتصال مشتركة، تشارك فيها الولايات المتحدة الأمريكية، وتبدأ مهامها تُعهد إلى هذه اللجنة مهمة الإشراف على تنفيذ جميع المجالات التي تغطيها هذه الاتفاقية" (I.F.P.H, 1983)

ومن الجدير بالذكران وثيقة ذكرت توقف المفاوضات الصهيونية_ اللبنانية لمدة اسبوعين حول موضوع جدول الاعمال الصهيوني _اللبناني بما في ذلك بند "التطبيع" الذي اعترضت عليه لبنان وتم الاتفاق بين الاطراف في المؤتمر على معالجة بنود جدول الاعمال التالية بشكل متزامن في ضوء العلاقات المتبادلة بينهم، وتضمن انهاء حالة الحرب (الترتيبات الامنية) واطار العلاقات المتبادلة بما في ذلك قضايا مثل انهاء الدعايات المعادية، حركة البضائع والمنتجات والاشخاص، وسائل الاتصال، برنامج الانتخابات الكاملة، شروط الانسحاب الصهيوني في سياق اخلاء القوات الاجنبية. (I.F.P.H., 1983)

وفي مناقشات اخرى لمجلس العموم البريطاني ذكر المواجهات التي اندلعت بين القوات المسلحة اللبنانية وحركة امل الشيعية [*] في الثاني من شباط ١٩٨٤وتصاعد القتال خلال يومي الثالث والرابع من شباط واستمر حتى اليوم السادس ، وتسببت هذه المواجهات خسائر فادحه في ارواح اللبنانيين واستقالة الحكومة اللبنانية في ٥ شباط لكنها استمرت في ادارة تصريف الاعمال وقد بدأ الرئيس امين الجميل مشاورات بشان تشكيل حكومة جديده ووجه نداء على جميع الاطراف في لبنان اجراء محادثات المصالحة ،واوضح ممثلي مجلس العموم البريطاني انه لن يكون هناك احتمال للسلام في لبنان الذي مزقته الفتنه مالم تكن هناك مصالحه بين الطوائف داخل لبنان ومن الضروري للغاية ان يجتمع الاطراف لتسويه خلافاتهم وتهيئه الظروف لانسحاب جميع القوات الأجنبية (HC Deb, 1984)

وتناولت الوثائق الامريكية الصراعات القائمة في لبنان وذكرت: " **بين عامي ١٩٨٥ و ١٩٨٩ ، تفاقم الصراع بين الفصائل مع فشل مختلف الجهود المبذولة لتحقيق المصالحة الوطنية، ووقع قتال عنيف في حرب المخيمات بين عامي ١٩٨٥ و ١٩٨٦ عندما قامت حركة أمل بطرد الفلسطينيين من معاقلها اللبنانية ،وعاد القتال إلى بيروت عام ١٩٨٧ ، مع تحالف فلسطينيين واليساريين والدروز**

ضد حركة أمل، مما أدى في النهاية إلى التدخل السوري، واندلعت مواجهة عنيفة مرة أخرى في بيروت عام ١٩٨٨ بين أمل وحزب الله، في غضون ذلك ، على الصعيد السياسي ، اغتيل رئيس الحكومة رشيد كرامي ، رئيس حكومة الوحدة الوطنية التي تم تشكيلها بعد جهود السلام الفاشلة ، في ١ حزيران ١٩٨٧، وانتهت ولاية الرئيس الجميل في أيلول ١٩٨٨ ، قبل تنحيه، عيّن مسيحياً مارونياً آخر ، وهو قائد الجيش العماد ميشال عون ، رئيساً للوزراء بالإنابة ، في انتهاك لـ "الميثاق الوطني" اللبناني غير المكتوب ، الذي اشترط أن يكون رئيس الوزراء سنياً. ورفضت الجماعات الإسلامية الخطوة وتعهدت بدعم سليم الحص وهو سني خلف كرامي، وهكذا انقسم لبنان بين حكومة مسيحية في شرق بيروت وحكومة مسلمة في بيروت الغربية بدون رئيس"

إزاء هذه الأوضاع المتردية في لبنان ذكرت وثيقة بريطانية اوضاع الجالية الأجنبية في المنطقة، **"لم تكن الحالة الامنية في لبنان افضل حالا من الاوضاع السياسية المتدهورة ففي السنوات الاخيرة ،تعرض الكثير من رعايا الدول الاجنبية في لبنان الى حالات خطف واغتيالات ومن بين رعايا الدول الاجنبية كانت بريطانيا التي بذلت جهود كبيرة في سبيل الوصول الى المختطفين واطلاق سراحهم"** (HC Deb, 1988)

وذكرت احدى الوثاق الامريكية **"في شباط ١٩٨٩ أطلق ما أسماه "حرب التحرير" ضد السوريين والميليشيات اللبنانية المتحالفة معهم، و في الأشهر التي تلت ذلك ، رفض عون كلاً من الاتفاقية التي أنهت الحرب الأهلية في نهاية المطاف وانتخاب زعيم مسيحي آخر كرئيس، و أجبرته عملية عسكرية لبنانية – سورية في تشرين الأول ١٩٩٠ على الاختباء في السفارة الفرنسية في بيروت ثم إلى المنفى في باريس"** (U.S.Department of state Lebanon, p. 2l2)،ثم تناولت اتفاقية الطائف واثرها عل الأوضاع في لبنان، **"شكلت اتفاقية الطائف في كانون الثاني عام ١٩٨٩بداية نهاية الحرب، و بدأت لجنة عينتها جامعة الدول العربية برئاسة الكويت وتضم المملكة العربية السعودية والجزائر والمغرب، في صياغة حلول للصراع، مما أدى إلى اجتماع للبرلمانيين اللبنانيين في الطائف بالمملكة العربية السعودية، اذ وافقوا على اتفاق المصالحة الوطنية في تشرن الاول وبالعودة إلى لبنان، صادقوا على الاتفاقية في ٤ تشرين الثاني وانتخبوا رينيه معوض رئيساً في اليوم التالي ،واغتيل معوض في تفجير سيارة مفخخة في بيروت في ٢٢ تشرين الثاني أثناء عودة موكبه من احتفالات عيد الاستقلال اللبناني ، وخلفه إلياس الهراوي الذي ظل في منصبه حتى عام١٩٩٨ "** (U.S.Department of state Lebanon, p. 2l2)

الخاتمة:

ختاماً، كشفت القراءة التحليلية للوثائق البريطانية والأمريكية والصهيونية المتعلقة بالحرب الأهلية اللبنانية أن هذا النزاع تجاوز في بنيته وحدوده كونه صراعاً داخلياً ذا طابع طائفي أو سياسي، ليغدو فضاءً مركّباً لتفاعل الاستراتيجيات الدولية والإقليمية ضمن سياق الحرب الباردة وتحولاتها فقد أظهرت الوثائق أن لبنان شكّل ساحة لإدارة الأزمات بالوكالة، وأن مسارات العنف والتسويات المرحلية كانت إلى حدٍّ بعيد نتاجاً لحسابات أمنية وجيوسياسية عابرة للحدود، تداخلت فيها اعتبارات الردع، وأمن الحدود وإعادة تشكيل موازين القوى في المشرق العربي.

كما تبيّن الدراسة أن تحليل الوثائق الرسمية، رغم ما يعتريها من انتقائية مؤسسية وانحيازات سياسية، تتيح إعادة تفكيك أنماط صنع القرار في العواصم الثلاث، ويكشف الفجوة بين الخطاب العلني والممارسات الفعلية على الأرض، ومن خلال المقارنة بين هذه الأرشيفات، أمكن رصد نقاط الالتقاء والاختلاف في إدراك الفاعلين الدوليين لطبيعة الصراع اللبناني ووظيفته ضمن منظوماتهم الاستراتيجية الأوسع.

وعليه، تسهم هذه الدراسة في إعادة تأطير الحرب الأهلية اللبنانية ضمن حقل دراسات النزاعات الدولية، لا بوصفها حدثاً محلياً معزولاً، بل كنموذج لتحوّل الدولة الهشّة إلى ساحة توازنات خارجية، كما تفتح المجال أمام أبحاث لاحقة تستثمر الأرشيفات التي ما تزال قيد الإتاحة، بما يعمّق فهمنا ديناميكيات التدخل الخارجي وآثاره بعيدة المدى على بنية الدولة والمجتمع في لبنان.

المصادر:

بقرادوني، كريم. (٢٠٠٩). *السلام المعقود عهد الياس سيركس ١٩٧٦ _١٩٨٢*. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

جريدة السفير. (٢٢ تموز, ١٩٨١). (العدد٢٥٩٨).

حسن، زكي. (٢٠٠٥). المقاومة اللبنانية ضد الاحتلال الاسرائيلي ١٩٨٢-٢٠٠٥. *مجلة مركز الدراسات الفلسطينية*(العدد ٢).

حميدات، معتز رضوان. (٢٠٠٣). *مناحيم بيغن ودوره في الحياة السياسية الإسرائيلية في الفترة (١٩١٣ - ١٩٩٣)، رسالة ماجستير*. كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية.

زين العابدين، محمد سرور. (٢٠١٢). *الشيعة في لبنان (حركة امل انموذجا)*. لندن : دار الجابية .

سركيس، الياس. (٢٠١٤). *الياس سركيس ودورة الاقتصادي والسياسي في لبنان ١٩٢٤ -١٩٨٥، رسالة ماجستير غير منشورة*. كلية التربية، جامعة ذي قار.

السهلاني، مرتضى خلف حسين. (٢٠١٨). *فؤاد بطرس ودوره السياسي في لبنان١٩١٧ _١٩٨٢،(رسالة ماجستير غير منشورة)*. كلية التربية، جامعة ذي قار.

شريف، دريد واحد علي. (٢٠١٨). *سايروس فانز ودره السياسي في الولايات المتحدة الامريكية حتى عام ١٩٨٠، رسالة ماجستير (غير منشورة)* . كلية التربية، جامعة تكريت.

شعث، نبيل. (٢٠١٦). *حياتي من النكبة الى الثورة* (المجلد ١). دار الشروق.

الطائي، زياد مهيدي صالح. (٢٠١٣). *السياسة الامريكية تجاه دول الخليج العربي في عهد الرئيس الأمريكي جيمي كارتر ١٩٧٧ - ١٩٨٨، رسالة ماجستير*. كلية الآداب، جامعة الموصل.

عبد الحسن، هيفاء علي. (٢٠٢٥). بشير الجميل ودوره لسياسي والعسكري في لبنان(١٩٤٧_١٩٨٢). *مجلة اور للعلوم الإنسانية*(العدد ٢).

كارتر، جيمي. (٢٠١٢). *مذكرات البيت الأبيض* (المجلد ٢). (سناء شوقي حرب، المترجمون) شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.
الكيالي، عبد الوهاب. (١٩٩٠). *الموسوعة السياسية* (المجلد ٢). بيروت.
محمد، رواء عبدالكريم. (٢٠٢٥). *موقف صحيفة اللوموند من قضايا المشرق العربي صحيفة اللوموند انموذجاً:١٩٥٦_١٩٨٠، أطروحة دكتوراه*. الجامعة المستنصرية/ كلية التربية.
محمود ، معين احمد. (١٩٧٧). *يوميات الإرهابي مناحيم بيجن*. بيروت: دار المسيرة.
مذكرات إسحاق رابين (المجلد ٣). (٢٠١٥). (دار الجليل للنشر والأبحاث الفلسطينية، المترجمون) عمان.
معدي، الحسيني الحسيني. (٢٠١٣). *مذكرات مناحيم بيغن*. مصر: دار الخلود للتراث.
نوفان، جمال سعد. (٢٠١٢). التدخل السوري في لبنان. *مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، ٤* .
هانف، تيودور. (١٩٩٣). *لبنان تعايش في زمن الحرب من انهيار دولته الى انبعاث أمة*. (موريس صلبيا، المترجمون) باريس: مركز الدراسات العربي الأوروبي.

Abdul-Hassan, Haifa Ali. (2025). Bashir Gemayel and His Political and Military Role in Lebanon (1947-1982). Ur Journal of Humanities (Issue 2).
Al-Kayyali, Abdul Wahab. (1990). The Political Encyclopedia (Volume 2). Beirut.
Al-Sahlani, Murtadha Khalaf Hussein. (2018). Fouad Boutros and His Political Role in Lebanon 1917-1982 (Unpublished Master's Thesis). College of Education, University of Dhi Qar.
Al-Ta'i, Ziad Mahdi Saleh. (2013). American Policy Towards the Arab Gulf States During the Presidency of Jimmy Carter 1977-1988 (Master's Thesis). College of Arts, University of Mosul.
As-Safir Newspaper. (July 22, 1981). (Issue 2598).
Baqradouni, Karim. (2009). The Peace Agreement: The Era of Elias Sarkis 1976-1982. Beirut: Publications Distribution and Publishing Company.
Carter, Jimmy. (2012). White House Memoirs (Volume 2). (Translators: Sanaa Shawqi Harb). Publications Distribution and Publishing Company.
Department of State. (1981–1984). Milestones 1981-1988, The Reagan Administration and Lebanon. doi: https://history.state.gov/milestones/1981-1988/lebanon
f. R. U. S. (1978). *1977–1980,, arab-israeli dispute, august 1978–december 1980, revised edition, Telegram From the Department of State to the Embassies in Syria and Israel* (Vol. volume ix). Washington.
F.r. U. S. (1977–1980). *arab-israeli dispute, august 1978–december 1980, , revised edition,77editorial note* (Vol. volume ix).
F.R.U.S. (1976). *Arab-Israeli Dispute, 1974–1976.* (Vol. Volume Xxvi).
F.R.U.S. (1977 , January). *1977 - 1980 Arab - Israeli Dispute, Volume VIII.*
F.R.U.S. (1977). 1977-1980, Volume IX, Arab-Israeli Dispute, August 1978 - December 1980, Doc.2, Special National Intelligence Estimate Prepared in the Central Intelligence Agency.
F.R.U.S. (1977–1980). *Arab-Israeli Dispute, August 1978–December 1980, , Revised Edition, Telegram From the Embassy in Syria to the Department of State* (Vol. Volume Ix).
F.R.U.S. (1978 -1980, December). 1977–1980, Arab-Israeli Dispute, Revised Edition, Document 300, Memorandum From Robert Hunter of the National Security Council Staff to the President’s Assistant for National Security Affairs (Brzezinski). *Volume IX*.

f. R. U.S. (1977, August). Arab -Israeli Dispute, January. *Telegram From The Department Of State To The White House, Volume Viii*.

F.R.U.S. (1979, August 8). Letter from Secretary of State Vance to Representative Zablocki on Israel-s use of us weapons in Lebanon,, 1979-1980. *Volume 6*.

F.R.U.S. (1980, August). 1977-1980, Volume VIII, Arab-Israeli Dispute, January 1977 .

FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES. (1975, October 28). ARAB-ISRAELI DISPUTE, 1974-1976. *6*.

Gale, T. (2007). *Encyclopaedia Judaica* (Vol. Second Edition). New York.

Hanf, Theodore. (1993). Lebanon: Coexistence in Wartime, from State Collapse to Nation Rebirth. (Maurice Saliba, Translators) Paris: Center for Arab-European Studies.

Hassan, Zaki. (2005). The Lebanese Resistance Against the Israeli Occupation 1982-2005. Journal of the Center for Palestinian Studies (Issue 2).

HC Deb. (1984, February 6). Lebanon (United Kingdom Force). *vol 53*. doi: cc603-76033.32 pm.

HC Deb. (1984, January 25). *vol 52*. doi: c595W595W.

HC Deb. (1988 , May 26). *vol 134*. doi: c238W238W

HL Deb . (1984, June 22). *Vol 453 cc597_614597.*

Humaidat, Mu'taz Radwan. (2003). Menachem Begin and His Role in Israeli Political Life (1913-1993). Master's Thesis. College of Graduate Studies, University of Jordan.

I. F. P. . (1978, March 21). Statement to the Special Assembly by Ambassador Herzog. *Volumes 4-5*.

I.F.P. (1980, June 20). Historical Documents, 1979-1980, Excerpts From An interview with Prime Minister Begin on IDF Radio.

I.F.P.H. (1980, April 29). Letter form Prime Minister Begin to Norway-s Prime Minister Nordli on the Situation in Lebanon. *Volume 6*.

I.F.P.H. (1981, Jul 21). Cabinet communique on the Situation in Lebanon. *Volume 7*.

I.F.P.H. (1981, July 21). Security Council Resolution 490-1981 on ceasefire in Lebanon, 1981-1982. *Volume 7*.

I.F.P.H. (1981, May 17). Statement by Prime Minister Begin on Lebanon, , 1981-1982. *Volume 7*.

I.F.P.H. (1983, Jan 12). Agreement on a genda for Israel – Lebanon talks and remarks Defense Minister Sharon. (Volume 8).

I.F.P.H. (1983, May 17). Agreement between Israel and Lebanon. *Volume 8*.

i.m.f.a.d ١٦) .september , 1982 .(cabinet communique on the entry of the idf into west beirut, 1982-1984 .*volume 8*.

Israel's Foreign Policy. (1978, March 15). Historical Documents, 135 Israel Defense Forces Statement on the operation in Lebanon.

Le Monde. (1975, avril 23). (NO 9414).

Le Monde. (1976, avril 15). (9713).

Le Monde. (1976, janvier 30). (NO 9649).

Le Monde. (1978, septembre 19). (NO 10462).

Le monde. (2020, Décembre 2). (NO 23 607).

LEBANON. (1975, October 29). *(UNITED KINGDOM NATIONALS), vol 898*.

Maadi, Al-Husseini Al-Husseini. (2013). The Memoirs of Menachem Begin. Egypt: Dar Al-Khuloud for Heritage.

Mahmoud, Mueen Ahmed. (1977). The Diaries of the Terrorist Menachem Begin. Beirut: Dar Al-Masira.

Muhammad, Rawaa Abdul Karim. (2025). Le Monde's Stance on Issues of the Arab East: Le Monde as a Model: 1956-1980. Doctoral Dissertation. Al-Mustansiriya University/College of Education.

Nofan, Jamal Saad. (2012). Syrian Intervention in Lebanon. Journal of Historical and Civilizational Studies, 4.

Sarkis, Elias. (2014). Elias Sarkis and His Economic and Political Role in Lebanon 1924-1985. Unpublished Master's Thesis. College of Education, University of Dhi Qar.

Shaath, Nabil. (2016). My Life from the Nakba to the Revolution (Volume 1). Dar Al-Shorouk.

Sharif, Duraid Wahid Ali. (2018). Cyrus Vanes and His Political Role in the United States of America until 1980 (Unpublished Master's Thesis). College of Education, University of Tikrit.

The Memoirs of Yitzhak Rabin (Volume 3). (2015). (Translators: Dar Al-Jalil for Palestinian Publishing and Research). Amman.

U.S.Department of state Lebanon. (n.d.). doi: https: 20092017.state.gov/outofdate/bgn/lebanon/26329htm.

U.S.Department of state Lebanon. (n.d.). doi:https//2009-2017

Zain al-Abidin, Muhammad Surur. (2012). The Shi'a in Lebanon (The Amal Movement as a Model). London: Dar al-Jabiyah.

الهوامش

(*) هنري كيسنجر: سياسي امريكي ولد في المانيا عام ١٩٢٣من اسرة يهودية، حصل على الجنسية الامريكية عام١٩٤٣، درس العلوم السياسية في معهد جورج واشنطن العالي، عين مستشاراً للسياسة الخارجية للرؤساء ايزنهاور، كيندي، وجونسون، وغدا منظّر السياسة الخارجية الامريكية، اصبح وزيراً للخارجية الامريكية ١٩٧٣، عمد القيام بجولة طويلة في الشرق الأوسط للتوصل الى عقد مؤتمر للسلام بشأن الشرق الأوسط، لم تفضِ الا الى مؤتمر جنيف، له العديد من المؤلفات، اشتهر بدبلوماسية (الخطوات الصغيرة) التي اثبتت للتاريخ انها ذات رؤية قصيرة. للمزيد ينظر: (الكيالي، ١٩٩٠، الصفحات ١٢١-١٢٢)

(*) إسحاق رابين: هو إسحاق روبتسوف ولد في الأول من اذار١٩٢٢، انضم الى منظمة الهاغانا عام ١٩٤١، عين ضابط عمليات عام ١٩٤٧ ، ترأس حزب العمل، شغل منصب رئيس اركان جيش الاحتلال الصهيوني عام ١٩٦٧، عمل سفيراً لبلاده في الولايات المتحدة مدة خمس سنين(١٩٦٨ _ ١٩٧٣)، كافح فيها للحفاظ على مكاسب حرب ١٩٦٧، تسنم منصب الحكومة لمدة ثلاث سنوات مهد الطريق خلالها للسلام مع مصر، ينظر: (مذكرات إسحاق رابين، ٢٠١٥)

(*) **ايجال ألون:** ولد عام ١٩١٨ في الجليل الأسفل ، انضم الى الهاغاناه، حارب مع الجيش البريطاني في سوريا ولبنان في الأعوام ١٩٤١ .١٩٤٢، وبعد حرب الأيام الستة وضع خطة للتسوية الدائمة للمشكلة الفلسطينية أصبحت تعرف (بخطة الون)، تولى وزارة العمل للمدة (١٩٦١ .١٩٦٨)، تسنم منصب رئيس الوزراء ووزير التعليم والثقافة عام ١٩٦٩، و وزير الخارجية عام ١٩٧٦، ورئيساً لمنظمة العمل الصهيونية العالمية، امتنع عن التصويت على اتفاقيات كامب ديفيد مع مصر عام ١٩٧٨ لأسباب أيديولوجية. توفي عام ١٩٨٠. ينظر: (Gale, 2007, pp. 671-672)

(*) الجدير بالذكر ان ملك الأردن الحسين بن طلال اقنع الولايات المتحدة بالضغط على الصهاينة لترفع يدها عن لبنان في حال تحرك قوات سورية اليه، وقد التقى الأخير في لندن بالسفير الصهيوني سراً وابلغه بنية دخول الجيش السوري الى لبنان وان العملية موجهة ضد منظمة التحرر الفلسطينية، وان الجيش السوري لن ينتشر في الجنوب اللبناني ولا يقترب من حدود الصهاينة، ينظر: (نوفان، ٢٠١٢، صفحة ٤٨)

(*) مناحيم بيغن: ولد في روسيا عام ١٩١٣، سافر الى بولندا عام ١٩٣٨، ودرس القانون، عمل مترجماً في فلسطين عام ١٩٤٢، وأسس منظمة (الارجون) الإرهابية الصهيونية ، اشترك عام ١٩٤٨ بمذبحة دير ياسين ، ترأس حزب الليكود عام ١٩٧٣، تسنم رئاسة الوزراء عام ١٩٧٧، حصل على جائزة نوبل للسلام مناصفة مع السادات اثر توقيع اول معاهدة للسلام بين مصر والصهاينة. توفي في ٩ اذار ١٩٩٢. ينظر: (حميدات، ٢٠٠٣) (معدي، ٢٠١٣) (محمود، ١٩٧٧)

(*) سايروس فانز: ولد في اذارعام ١٩١٧، تخرج من كلية الحقوق ، اصبح نائب وزير الدفاع للمدة (١٩٦٤ .١٩٦٧)، ووزيراً للخارجية للمدة (١٩٧٧ . ١٩٨٠)، توفي عام ٢٠٠٢. ينظر: (شريف، ٢٠١٨)

(*) جيمي كارتر: ولد في ولاية جورجيا ١٩٢٤، هر الرئيس التاسع والثلاثون للولايات المتحدة الامريكية، بدأ حياته السياسية عام ١٩٦٢ عندما كان عضواً لمجلس شيوخ ولاية جورجينيا، اصبح رئيس للولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٧٧ . ١٩٨٠، يذكر في مذكراته انه التقى بكيسنجر وتناقشا بشأن إيجاد اتفاقية سلام في الصراع العربي– الصهيوني . للمزيد من التفاصيل، ينظر: (الطائي، ٢٠١٣) (كارتر، ٢٠١٢)

(*) اتفاقية شتوره: اتفاقية عقدت بين السلطة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية برعاية سوريا، لتطبيق اتفاق القاهرة ووقف اطلاق النار، وتم الاتفاق على ان يتسلم الجيش اللبناني المناطق التي يسيطر عليها جيش لبنان العربي في الجنوب اللبناني ووقف العمليات الفدائية في جنوب لبنان، وان يتم سحب المقاومة الفلسطينية الى ١٠ كم شمالا عن حدود الكيان الصهيوني ، ينظر: (محمد، ٢٠٢٥، صفحة ٢٤٤)

(*) تعرف بعملية الليطاني وادت الى انهيار العلاقات اللبنانية الصهيونية بشكل كبير، ولا سيما بعد النجاح الذي حققه رجال المقاومة الفلسطينية بعدما توغلوا في العمق الاستراتيجي الصهيوني ونفذوا عملية فدائية قامت بها مجموعة من رجال تابعين لحركة فتح اطلق عليها مجموعة دير ياسين بقيادة فتاة فلسطينية تدعى (دلال مغربي) وصلوا الى الطريق الدولي واستطاعوا اطلاق النار بطريقة عشوائية على السيارات الصهيونية، وسميت بعملية كمال عدوان ، للمزيد من التفاصيل ينظر: (شعث، ٢٠١٦، صفحة ١٣٢)

(*) قام جيش الكيان الصهيوني بعملية اجتياح واسعة في ١٥ اذار ١٩٧٨ في الجنوب اللبناني رداً على عملية الشهيد عدوان، وبسط سيطرته على نهر الليطاني الذي يصل شمال مدينة صور على البحر المتوسط وله اهمية استراتيجية لدى الحكومة اللبنانية. للمزيد من التفاصيل ينظر: (شعث، ٢٠١٦، صفحة ١٣٩)

(*) **اليونيفيل:** قوات دولية وصلت الاراضي اللبنانية في ٢٤ اب ١٩٧٨، وتألفت تلك القوات في البداية من فصائل كندية وفرنسية وايرانية ونرويجية وسويدية، وانضمت اليها لاحقاً فصائل نيبالية وهولندية وايرلندية وسنغالية، وادت القوات الفرنسية دوراً نشيطاً في البداية لكنها تراجعت بسبب الخسائر التي لحقت في جنودها جراء الاشتباكات مع الفلسطينيين فأخذت موقفاً اكثر تخوفاً. ينظر: (هانف، ١٩٩٣، صفحة ٢٨٨)

(*) حاييم هيرتزوغ: سفير الكيان الصهيوني لدى الامم المتحدة عام ١٩٧٥، ثم اصبح الرئيس السادس لدولة الكيان الصهيوني، تزوج من سيدة يهودية مولودة في مصر، كانت من بين الناشطات اللاتي كافحن من اجل الحفاظ على البيئة وعليه انشأت جمعية مجلس الكيان الصهيوني . للمزيد، ينظر: الرابط: al-ain.com

(*) فؤاد بطرس: ولد فؤاد جرجي اسعد بطرس في الاشرفية في بيروت عام ١٩١٧، وهومن الطائفة المسيحية، تلقى تعليمه الأول في مدرسة الراهبات العازريات، اكمل دراسته الجامعية في كلية الحقوق، تسنم وزارات عدة منذ عهد الرئيس فؤاد شهاب عام ١٩٥٨، وتسنم منصب وزر الخارجة اللبناني في عهد الرئيس الياس سيركس أي في فترة الاجتياح الصهيوني للبنان، توفي عام ٢٠١٦. ينظر: (السهلاني، ٢٠١٨)

(*) الياس سيركس: ولد في العاشر من تموز ١٩٢٠، تخرج من كلية الحقوق١٩٤٨، عُين مديراً للقضاة في القصر الجمهوري عام ١٩٥٣ ، وفي عام ١٩٦٣ عُين مديراً للبنك المركزي اللبناني، فاز بالانتخابات الرئاسية اللبنانية عام ١٩٧٦ في خضم الحرب الاهلية اللبنانية، تولى رئاسة الجمهورية في بلد هيمنت فيه رياح الحروب والانقسامات بين ابناء الوطن الواحد، بل وحتى انقسامات في جيشه، وقعت احداث غزو لبنان عام ١٩٨٢ قبل انتهاء فترته الرئاسية، توفي عام ١٩٨٥عن عمر ناهز ٦١ عاماً في سويسرا. للمزيد ينظر: (سركيس، ٢٠١٤)

(*) جيسكار ديستان: ولد في ٢ شباط ١٩٢٦ في مدينة كوبلنز (Koblenz) في المانيا، خدم في الجيش الفرنسي عام ١٩٤٤ وشارك في الحروب مع المانيا والنمسا، دخل المجال السياسي وهو في عمر التاسعة والعشرين ،عين وزيراً للمالية في عهد جورج بومبيدو، فاز في انتخابات عام ١٩٧٤ واصبح رئيساً لفرنسا في عمر الثامنة والاربعون، توفي عام ٢٠٢٠ عن عمر ناهز ٩٤ عاماً بعد اصابته بفيروس كورونا. (Le monde, 2020)

(*) كليمنت زايولكي: هو النائب ورئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب الامريكي. ينظر: (F.R.U.S., 1979)

(*) حركة امل حزب لبناني شيعي اسسه موسى الصدر عام ١٩٧٤ تحت اسم حركة المحرومين وانشا جناحها العسكري عام ١٩٧٥ وكان احد ابرز الاطراف في الحرب الاهلية اللبنانية .للمزيد ينظر: (زين العابدين، ٢٠١٢)

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

الدبلوماســـــية القســرية البريطانية فــي مصر
دراسة تحليلية لدور مايلز لامبسون في أزمة ٤ فبراير ١٩٤٢

British Coercive Diplomacy in Egypt: An Analytical Study of Miles Lampson's Role in the February 4th Crisis, 1942

م. م عدي عــامر حسن
✉ auday.a@coart.uobaghdad.edu.iq
Asst. Lect. Auday Amer Hassan
✉ auday.a@coart.uobaghdad.edu.iq
م. م سمر حكيـــم مزهر
Samar.h@coart.uobaghdad.edu.iq
Asst. Lect. Samar Hakim Mizhe
Samar.h@coart.uobaghdad.edu.iq
جامعة بغداد – كلية الآداب
University of Baghdad – College of Arts

الاستلام(Received) : ٠٦ / ٠٥/ ٢٠٢٦	التعديل (Revision) : ٢٧/٠٥ / ٢٠٢٦
القبول(Accepted) : ٠٩ / ٠٦/ ٢٠٢٦	النشر (Published) : ٣٠/٠٩/ ٢٠٢٦

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

ملخص البحث

تهدف الدراسة الى تحقيق فهم اعمق لحدث تاريخي محوري في العلاقات المصرية – البريطانية ، حيث يتم ايضاح كيفية تطبيق بريطانيا لنموذج (الدبلوماسية القسرية) على دولة مستقلة اسمياً وهي مصر من خلال ممارسة الضغط المباشر والتهديد باستخدام السلاح وفرض الاوامر على الملك ، كما تبين الدراسة الدور المحوري للمندوب السامي البريطاني السير مايلز لامبسون وكيف استطاع الهيمنة على القرار السياسي في مصر وتنفيذ الاوامر الصادرة من حكومته بكل حزم وقوة ، ابتعدت الدراسة وبشكل كبير عن السرد التاريخي للأحداث وقدمت تقيماً حقيقياً لشخصية لامبسون وقراراته وطريقة تعامله مع الازمة ، قدمت الدراسة قراءة عميقة للأحداث عن طريق الاعتماد على (مذكرات كيلرن) فضلاً عن الوثائق البريطانية الخاصة بتلك المرحلة من تاريخ مصر وسبب تعامل البريطانيين بهذه الطريقة مع الاحداث والخوف من تقدم دول المحور ، لم تقتصر الدراسة على طرح الحادثة بل حاولت تقديم قراءة

يمكن من خلالها توضيح السبب الحقيقي لحادثة٤ فبراير ١٩٤٢ ولماذا اصبحت حدثاً مفصلياً وبينت ان هذه الحادثة كانت بمثابة (فشلاً استراتيجياً) بعيد المدى قد قوض اسس النفوذ البريطاني الناعم وبالمقابل اضعف شرعية حليفهم (حزب الوفد) مما اثار المؤسسة العسكرية وتحول الجيش المصري الى بؤرة للغضب الثوري وهذا الغضب مهد لثورة ١٩٥٢ وانهاء الوجود البريطاني بشكل نهائي .

اعتبرت حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ انتصاراً للدبلوماسية القسرية لكن هذا الانتصار كان ظاهرياً ومؤقتاً، حيث دفعت بريطانيا ثمنا باهظا بعيد المدى تمثل في تدمير شرعية النظام الملكي الذي كان قائماً في مصر واضعاف دور الاحزاب الفاعلة على الساحة السياسية المصرية لاسيما حزب الوفد المصري الذي سببت له هذه حادثة احراج امام القاعدة الجماهرية الكبيرة التي كانت تؤيد الحزب قبل الحادثة، وتحول الجيش المصري الى قوة معادية للوجود البريطاني واعتبرت حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ من اهم الاسباب التي سارعت بحدوث ثورة ١٩٥٢.

توصلت الدراسة الى ان ازمة ٤ فبراير ١٩٤٢ كانت تمثل نموذجاً صارخاً للدبلوماسية القسرية في مصر، حيث كشفت عن مدى ضعف الاستقلال المصري والذي كان شكلياً ومدى سيطرة المندوب السامي البريطاني على كل مجريات الاحداث الحاصلة بالساحة المصرية واخذ القرارات المصيرية في كل الظروف، اضافة الى هذا فقد بينت الحادثة مدى التناقض في الخطاب السياسي البريطاني الذي يدعي الديمقراطية وحق الشعوب في تقرير مصيرها كما اتضح ان لامبسون لم يكن مجرد دبلوماسي انما مثل اداه لفرض الهيمنة البريطانية على مصر

كلمات مفتاحية للبحث

(لامبسون – مصر – الحرب العالمية الثانية – الوفد – الملك فاروق – التاج البريطاني)\

Abstract

This study aims to achieve a deeper understanding of a pivotal historical event in Egyptian-British relations, elucidating how Britain applied the model of "**Coercive Diplomacy**" against a nominally independent state. This was manifested through the exertion of direct pressure, the threat of military force, and the imposition of mandates upon the King. Furthermore, the study highlights the central role of the British High Commissioner, **Sir Miles Lampson**, and his ability to dominate political decision-making in Egypt, executing his government's directives with absolute firmness and resolve.

Moving beyond a mere chronological narration of events, the study provides a critical assessment of Lampson’s persona, his strategic decisions, and his crisis management approach. It offers a profound reading of the events by relying on the "**Killearn Diaries**," in addition to British documents pertaining to that era,

exploring the underlying motives for the British conduct and their apprehensions regarding the Axis powers' advance.
The study does not merely present the incident but seeks to provide an analytical framework explaining the true catalysts behind the **February 4, 1942 incident** and why it became a watershed moment. It posits that this incident constituted a long-term "**Strategic Failure**" that undermined the foundations of British soft power. Conversely, it eroded the legitimacy of their ally, the **Wafd Party**, which in turn agitated the military establishment. Consequently, the Egyptian Army became a focal point for revolutionary resentment, paving the way for the **1952 Revolution** and the ultimate termination of the British presence.
While the February 4, 1942 incident was considered a victory for coercive diplomacy, this study argues it was a superficial and transient triumph. Britain paid a heavy long-term price, represented by the destruction of the monarchy's legitimacy and the weakening of key political actors, particularly the Wafd Party, which suffered significant embarrassment before its massive popular base. This shift transformed the Egyptian Army into a force hostile to the British presence, making the incident one of the most critical precursors to the 1952 Revolution.
The study concludes that the February 4, 1942 crisis serves as a blatant example of coercive diplomacy in Egypt. It exposed the fragility of Egyptian independence—which was merely formal—and demonstrated the High Commissioner's absolute control over Egyptian domestic affairs and his authority in making fateful decisions. Additionally, the incident highlighted the contradiction in British political discourse, which claimed to champion democracy and the right to self-determination, revealing that Lampson was not merely a diplomat, but rather an instrument for asserting British hegemony over Egypt.
Search Keywords
(Miles Lampson – Egypt - World War II - Wafd Party - King Farouk - The British Crown)

المقدمة

لم تكن حادثة ٤ شباط ١٩٤٢ حادثة عابرة في التاريخ المصري الحديث، بل كانت مواجهة ناعمة اتضح من خلالها ضعف القصر امام الهيمنة البريطانية وعلى كل المستويات في مصر، فقد كسرت هذه الحادثة هيبة العرش وكشفت الوجه الحقيقي للاحتلال البريطانية خاصة وان الحرب العالمية الثانية كانت في ذروتها [١] .

في الوقت الذي كانت الدبابات الالمانية بقيادة ارفين رومل [٢] على ابواب مصر الغربية وكان الشارع المصري مؤيد للألمان وخرجت العديد من المظاهرات تنادي (الى الامام يا رومل) وكان المشهد في القاهرة لا يقل خطورة عن المشهد الخارجي [٣] ، اذ كانت القاهرة تعيش حالة من عدم الاستقرار السياسي والغليان الداخلي [٤] فقد صدرت الاوامر بأقاله حكومة حسين سري وتعين حكومة وفدية قادرة على الحفاظ على المصالح البريطانية وتنفيذ بنود معاهدة ١٩٣٦ التي عقدتها بريطانية مع مصر ، الا ان الملك فاروق حاول أن لا يستجب لهذه الدعوة رغم ان القوى السياسية المصرية الفاعلة على الساحة قد اتفقوا على ضرورة تعين حكومة وفدية خالصة يرأسها مصطفى النحاس الباشا[٥] ، الا ان الملك فاروق كان غير راغب بالحكومة الوفدية وبشكل خاص بشخصية مصطفى النحاس باشا لذلك حاول الامتناع عن اصدار بيان تعينه مما اثار حفيظة السير لامبسون [٦] .

تناول المبحث الأول من المبحث البدايات السياسية للسير مايلز لامبسون وتدرجه بالمناصب الدبلوماسية وتمثيله لبريطانيا بالعديد من الدول الاوربية والأوضاع العامة في مصر قبل تعين السير لامبسون مندوبا ساميا هناك ، كما وتناول المبحث الأول وصوله إلى مصر وعلاقته مع القصر وحزب الوفد المصري الذي كان من اهم الأحزاب السياسية الفاعلة في الساحة السياسية المصرية .

اما المبحث الثاني فتناول بداية ظهور الخلافات بين قصر عابدين والملك فاروق والسير لامبسون في وقت صعب وهو احداث الحرب العالمية الثانية وتقدم دول المحور في افريقيا ، كما تطرق اهم العوامل والمسببات التي دفعت السير لامبسون إلى استخدام القوى العسكرية المفرطة ضد الملك فاروق وهذا ماعرف فيما بعد بحادثة ٤ فبراير .

وفي تلك الاوضاع المتأزمة التي كانت تعصف بالبلاد اتخذ اللورد لامبسون قرار مصيري وصعب وهو المواجهة المباشرة مع القصر حيث ارسل العديد من القوات العسكرية البريطانية بصحبة مجموعة من الدبابات والاليات الحربية الى قصر عابدين واقتحام المكتب الخاص للملك فاروق ، وكان السبب وراء ذلك محاولة اللورد لامبسون السيطرة على الاوضاع بعد ان علم ان الملك فاروق حاول التقرب من الالمان بهدف خلق حالة من التوازن بين القوى العالمية المتصارعة على النفوذ داخل مصر ، استطاع اللورد لامبسون من الدخول الى الغرفة الخاصة بالملك فارق وشهر سلاحه الشخصي مهدد اياه بالاختيار بين تنازله عن العرش او الطلب من مصطفى النحاس باشا تشكيل حكومة وفدية خالصة ، وامام هذا

التهديد المباشر من اعلى سلطة بريطانية في مصر وبضغط من احمد حسنين باشا وافق الملك على استدعاء النحاس باشا وتكليفه بتشكيل الحكومة [٧] .

توثق حادثة ٤ فبراير أشد اللحظات خطورة في تاريخ الاحتلال البريطاني لمصر حيث استطاعت القوة العسكرية البريطانية من تعيين مصطفى النحاس رئيساً للوزراء فقد أستخدم لامبسون أليات الضغط والإكراه ضد دولة مستقلة، كما بينت تحليلاً شاملاً لشخصية مايلز لامبسون حيث شكل هذا الرجل علامة فارقة في العلاقات بين الدولتين.

حاولت الدراسة الجمع بين قيمة التوثيق التاريخي وعمق التحليل السياسي والأهمية القومية مما يجعلها أَضافة حقيقية للمكتبة العربية في مجال الدراسات الدبلوماسية والتاريخية لاسيما وأن الدراسة حاولت الابتعاد عن السرد التاريخي للأحداث واعتمدت على مصادر تاريخية رصينة مثل مذكرات كليرن والتي تعتبر المصدر الأول والأهم وقد تعاملت الدراسة مع هذه المذكرات بشكل حذر وتحليلي متجرد للوصول الى دور المندوب السامي في الأزمة ، والوثائق البريطانية والوثائق الخاصة بدار الكتب والوثائق القومية المصرية ، فضلاً عن اعتماد الدراسة على بعض المصادر البريطانية التي وثقت تلك الفترة كما أخذت الدراسة وجهة نظر الباحثين المصريين والعراقيين في هذا المجال لتقديم رؤيا شاملة ووافية للحادثة من خلال استطلاع كل وجهات النظر من الطرفين.

تتيح دراسة السياسة القسرية اسقاط نموذج السياسة القسرية وفق نظرية (الكسندر جورج) وهو نموذج حديث نسبيا على احداث كلاسيكية مما يختبر مدى صمود هذه النظرية في بيئات استعمارية وفهم ادوات الهيمنة الاستعمارية للقوى العظمى انذاك .

المبحث الاول: السير مايلز لامبسون والمشهد السياسي في مصر

- **السيـر مايلز لامبســون ولادته ونشأته** : ولد لامبسون في ٢٤ اب ١٨٨٠ في كيلـرن (Killearn) ضمن مقاطعة ستيرلنغشاير (Stirlingshire) الاسكتلندية ، نشأ في عائلة ارستقراطية ودخل كلية ايتون (Eton College) ، انظم للعمل في وزارة الخارجية البريطانية في سن الثالثة والعشرين وذلك عام ١٩٠٣ ، وقدر شغل العديد من المناصب الدبلوماسية الرفيعة حيث عمل سكرتيراً لبعثة غارتر والتي أرسلت إلى اليابان ، ثم عين بمنصب سكرتير ثاني للسفارة البريطانية في اليابان ولمدة سنتان (١٩٠٨ – ١٩١٠) ثم عين سكرتيراً ثانياً في السفارة البريطانية في بلغاريا وذلك للمدة (١٩١١ – ١٩١٥) كما تدرج بالمناصب حتى شغل منصب السكرتير الأول للوزير البريطاني المفوض في الصين وذلك بين

عامي (١٩١٦ – ١٩٢٠) ، ثم شغل منصب القائم بأعمال المندوب السامي البريطاني في سيبيريا وذلك عام ١٩٢٠ [٨] .

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى شارك السير لامبسون بمؤتمر نزع السلاح في واشنطن ١٩٢١ – ١٩٢٢ [٩] اذ كان عضواً ضمن الوفد البريطاني المشارك واختير بعدها ضمن الوفد الذي شارك بالمباحثات والتي أدت إلى توقيع اتفاقية لوكارنو ١٩٢٥ [١٠] ، ونتيجة لجهوده الدبلوماسية في مفاوضات المعاهدة تم اختياره ليشغل منصب وزير مفوض في الصين منتصف عام ١٩٢٦ [١١] .

غادر الصين في الثاني عشر من كانون الأول ١٩٣٣ بعد انتهاء عمله ليتم ترشيحه من قبل الحكومة البريطانية للعمل بمنصب المندوب السامي البريطاني في مصر نتيجة الظروف الخارجية الدولية والداخلية في مصر [١٢] ، فعلي الصعيد الدولي تولى في هذه الفترة الزعيم النازي أدولف هتلر [١٣] ، الحكم في المانيا متبعاً سياسة السيطرة على العالم ، وبدأ العمل على الأمر من خلال تجهيز المانيا لتكون صاحبة أقوى قوة عسكرية في العالم [١٤] ، وفي الوقت ذاته الزعيم الإيطالي بنيتو موسوليني [١٥] كان يتجهز لغزو أثيوبيا ذات الموقع الاستراتيجي بين المستعمرات الإيطالية ، فأرتيريا تطل على البحر الأحمر بالقرب من مضيق باب المندب ، والصومال الإيطالي له ساحل طويل على المحيط الهندي ، وكان حلم أيطاليا الربط بين هاتين المستعمرتين الإيطاليتين ، غير أن هذا الربط لا يتحقق الا بالسيطرة على أثيوبيا لدمج وتوحيد تلك المستعمرات كلها في مستعمرة واحدة [١٦].

سياسة التوسع الايطالية تجاه أثيوبيا عارضتها بريطانيا بشكل مباشر وذلك لأن سيطرتها على أثيوبيا يعني سيطرتها على أحد روافد النيل الأزرق الذي يشكل أهمية لكل من مصر والسودان ، وتهديده لطريق المواصلات في البحر الأحمر وتطويق مصر والسودان أذ ستحيط بهما المستعمرات الإيطالية في أثيوبيا وأرتيريا وليبيا [١٧] .

أما الأوضاع الداخلية في مصر فقد كانت تشهد صراع داخلي بين قصر عابدين ووزارة إسماعيل صدقي الثانية (كانون الثاني ١٩٣٣–أيلول ١٩٣٣) [١٨] من جهة وحزب الوفد من جهة أخرى وبعض الأحزاب الأخرى بسبب الحياة النيابية وصلاحيات الملك فؤاد ومحاولته تغيير الدستور بما يحقق له فرض سلطته على الشارع بالأخص الأحزاب والصحافة فضلاً عن أن كل تلك الأوضاع كانت تعيشها البلاد في ظل الأزمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩–١٩٣٣)[١٩] ، وفي ظل ما تشهده البلاد داخلياً وخارجياً على حد سواء ونظراً للخبرة والكفاءة التي أظهرها السير لامبسون في كل المهام التي تولاها ونجاحه الواضح في العمل الدبلوماسي فقد قررت الحكومة البريطانية تعيينه لهذه المهمة التي لا تقل أهمية عن سابقاتها في المناصب التي تولاها مايلز وجرى وفقاً لذلك شغله منصب المندوب السامي البريطاني في مصر [٢٠] .

- **وصول لامبسون الى القاهرة وعلاقته مع القصر وحزب الوفد المصري.**

وصل السير مايلز لامبسون الى ميناء السويس في السابع من كانون الثاني عام ١٩٣٤ ، حضي المندوب السامي البريطاني الجديد باستقبال حافل لأثبات اهمية شخص المندوب السامي الجديد في مصر ، وفي صباح اليوم التالي وصل الى محطة سكك الحديد في القاهرة ليجد في استقباله عشرات المسؤولين وعلى رأسهم رئيس الوزراء اضافة الى وزير الخارجية المصري وممثل عن الملك [٢١] .

احيط لامبسون بالموقف العام في مصر والاوضاع المتداخلة والصراعات الداخلية الناجمة عن المعارضة القوية لسياسة القصر وكَّون نظرة شاملة حول الوضع ، حيث عبر عن ذلك بأن ترك مصر لنزوات الملك وقصر عابدين امر غير مقبول وقد يسبب ذلك الامر مشاكل واضطرابات في مصر ، ولابد للمندوب السامي من التدخل وعدم الوقوف مكتوف الايدي امام تصرفات الملك وقد فوضته الحكومة البريطانية للتحدث مع الملك وتوضيح له عاقبة سوء استخدام السلطات التي يمارسها في ظل الاوضاع التي تمر بها المنطقة ، وبضغط مباشر من السير لامبسون تمت اقالة حكومة عبد الفتاح يحيى باشا والايعاز الى توفيق نسيم بتشكيل الحكومة [٢٢] .

امام هذه التدخلات الواضحة للمندوب السامي البريطاني الجديد اتخذ الملك فؤاد قرار بالتقرب من حزب الوفد، ظناً منه ان التوافق مع الاحزاب الفاعلة على الساحة السياسية المصرية يقوي موقفه امام التدخلات البريطانية ، ولكن بالمقابل أتبع لامبسون سياسة تهدف الى احتواء حزب الوفد أذ كان يرى أن قمع الوفد يؤدي الى ثورات بينما أِشراكهم في العملية السياسية تحت الأشراف البريطاني يضمن الاستقرار ، وعندما بدأت بوادر الحرب العالمية الثانية تلوح في الأفق ولاسيما مع الغزو الإيطالي للحبشة عام ١٩٣٥ ضغط لامبسون على حكومة نسيم لضمان تأمين المواصلات البريطانية والقواعد العسكرية في مصر [٢٣] .

وصل دور لامبسون الى ذروته عندما صرح في لندن بأن دستور ١٩٢٣ غير صالح للعمل أذ أن بريطانيا كانت تتخوف من سيطرة الوفد على الحكم في مصر في ظل هذا الدستور ، وقد أعتبر المصريون ذلك تدخلاً سافراً في شؤونهم ، مما أدى الى اندلاع مظاهرات عارمة في تشرين الثاني ١٩٣٥ طالبت برحيل الإنكليز وعودة الدستور، وأمام ضغط الشارع أضطر لامبسون لتغيير استراتيجيته ، فأمر توفيق نسيم بتقديم التماس للملك لأعاده دستور ١٩٢٣ وهو ما تم بالفعل ، ومع تزايد الضغط الشعبي وفقدان حكومة نسيم لغطائها السياسي استقالت في كانون الثاني ١٩٣٦ مما مهد الطريق لأجراء الانتخابات وعقد معاهدة ١٩٣٦ [٢٤] .

أمام تسارع الأحداث الداخلية في مصر والخارجية شعرت بريطانيا بالقلق حيث لم تكن الظروف الدولية في صالحها حيث برزت أيطاليا كدولة بحرية تؤيدها المانيا واحتلالها للحبشة سنة ١٩٣٥ ، لذلك نقلت بريطانيا اسطولها في البحر المتوسط من مالطا الى الإسكندرية ، وهذه الأوضاع المتسارعة أشعرت المصريين كذلك بالقلق وذلك بسبب مركز مصر الاستراتيجي المتميز فضلا عن أن الجالية البريطانية في مصر لديها تأثير كبير من الناحية السياسية ، وفي ظل تلك الأحداث تصاعدت المطالب الشعبية التي يقودها حزب الوفد وباقي القوى السياسية المطالبة من السير لامبسون مفاتحة حكومته لعقد معاهدة جديدة تكون مستوعبة التحديات الخارجية والداخلية وبالفعل وافقت الحكومة البريطانية بعد عدة مراسلات بينها وبين مندوبها السامي في مصر تم عقد الجلسة الافتتاحية للمفاوضات في قصر الزعفران في القاهرة في الثاني من آذار ١٩٣٦[٢٥] .

أدى السير لامبسون دور بارز في تهيئة المناخ السياسي للتفاوض بين الحكومة المصرية والبريطانية ، حيث أستطاع الضغط بشكل غير مباشر على القصر لتسهيل قبول صيغة المعاهدة بالمقابل أستطاع المندوب السامي تقديم الدعم للوفد وذلك بوصفه الطرف الوحيد الفاعل على الساحة السياسية المصرية وتمريره المعاهدة برلمانياً ،حقق لامبسون أهداف حكومته بشكل كبير حيث أستطاع تحويل الأحتلال العسكري البريطاني الى وجود تعاقدي قانوني وبذلك ضمن استخدام الأراضي المصرية كقاعدة دفاعية للقوات البريطانية في حالة الحرب، بالمقابل استطاعت مصر الاندماج في عصبة الأمم بوصفها دولة ذات سيادة شكلية [٢٦] .

عمل السير لامبسون على توطيد النفوذ البريطاني داخل القصر والحكومة ، خصوصاً في ظل حكم الملك فاروق حيث عمد المندوب السامي البريطاني الى توجيه السياسة المصرية بما يخدم مصالح بلاده ، ومن المشاكل الكبيرة التي واجهها لامبسون هو الحد من النفوذ الإيطالي داخل مصر لاسيما وأن الجالية الإيطالية كان لها حضور فاعل في المجتمع المصري قبيل الحرب العالمية الثانية ، كما تمثل تدخل لامبسون بالضغط في تشكيل الوزارت مفضلاً المتعاونة معه والتي تخدم المصالح البريطانية في مصر ، كما تمكن من تحويل مصر الى قاعدة عمليات عسكرية بريطانية رغم تنامي التيار الوطني المتحفظ على الانخراط في حرب ليس لمصر أي علاقة بها [٢٧] .

المبحث الثاني: بداية الخلاف بين لامبسون والقصر وحادثة ٤ فبراير ١٩٤٢

- **تأثير السير مايلز لامبسون على السياسة المصرية خلال الحرب العالمية الثانية**

لعب المندوب السامي البريطاني دوراً محورياً في توجيه السياسة المصرية في مرحلة حرجة كانت تعصف بالبلاد الا وهي الحرب العالمية الثانية ونتيجة لموقع مصر الاستراتيجي في تلك الحرب حيث تركز اهتمام البريطانيين على تأمين مصر كقاعدة استراتيجية وأحكام السيطرة على قناة السويس مما يتيح لها تضييق الخناق على قوات المحور في شمال أفريقيا ، وبالرغم من أن مصر قد عقدت معاهدة مع

بريطانيا في عام ١٩٣٦ الا أنها كانت معاهدة صورية حيث أستمر التدخل البريطاني قائماً وفي كل المجالات ولاسيما المجالات الأمنية والعسكرية [٢٨] .

أنقسم الرأي السياسي في مصر بين مؤيد لفكرة دخول مصر الحرب وبين من يرى أن دخول الحرب سوف يجرها الى ويلات هي في غنى عنها ، حاول الملك فاروق أبعاد نار الحرب عن بلاده كما عمل لامبسون على عدم زج مصر في هذه المعركة حتى لا تضطر القوات البريطانية الى قصف الجالية الإيطالية المتواجدة في مصر مما ينتج عنه حالة من عدم الاستقرار الداخلي في مصر ، الا أن الحكومة البريطانية في لندن كانت ترى عكس ذلك أذ كانت ترى أن حمل الحكومة المصرية على اعلان الحرب سوف تكون له أصداء طيبة في جهات أخرى كما أن دخول مصر الحرب يجعلها تتحمل مسؤولية أكبر في الدفاع عن نفسها وهذا ما يتيح المجال للقوات البريطانية من العمل في ميادين أخرى عند الضرورة ، وبالعموم على مصر أن تعوم مع بريطانيا أو تغرق معها [٢٩] ، أزاء هذه الخلافات في وجهات النظر وصل وزير الحرب البريطاني أنتوني أيدن الى القاهرة في الرابع عشر من تشرين الأول ١٩٤٠ بزيارة أتسمت بالسرية التامة ، كان الغرض الرئيسي منها هو حمل الملك فاروق على دخول الحرب الا أن الملك أظهر بعض التحفظ أضافة الى موقف السير لامبسون من دخول مصر الحرب أقتنع وزير الحرب البريطاني بعدم دخولها وتجنيبها ويلاتها [٣٠] .

- **<u>دور السير مايلز لامبسون في حادثة قصر عابدين ٤ فبراير ١٩٤٢</u>**

في تلك الاحداث التي كانت تشهدها الساحة المصرية لم يكن السير لامبسون يشعر بالارتياح لحكومة حسين سري وبالرغم من ان هذه الحكومة كانت تحظى بدعم لا متناهي وتعتبر مقربة من البريطانيين اضافة الى دعمها الداخلي من قبل البرلمان وحزبي الاحرار الدستوريين والسعديين وهما يشكلان اكثرية بمجلس النواب ، الا ان ازمة التموين التي كانت تعصف بالبلاد وعدم مقدرة حكومة حسين سري من حل هذه الازمة مما ادى الى تفاقم الوضع الداخلي حتى وصل الى مهاجمة بعض الناس المخابز للحصول على الخبز ، فضلا عن الحملة العنيفة التي شنها حزب الوفد ضد حكومة سري وعدم مقدرتها على حل ازمة الخبز وازمة تصدير محصول القطن ، كل هذه الازمات التي كانت تهدد الوضع الداخلي المصري الذي عمد السير لامبسون الى استقراره بشكل او بأخر لكي يتفرغ لدعم قوات بلاده العسكرية في الحرب العالمية الثانية ، جعل المندوب السامي البريطاني على يقين بأن حكومة سري غير قادرة على حل هذه الازمات واصبح التخلص منها امر ضروري للحفاظ على المصالح البريطانية في مصر [٣١] .

مما زاد الامر سوءاً واضفى على العلاقات توتراً بين السير لامبسون والحكومة المصرية والملك فاروق طلب السير لامبسون من الحكومة المصرية بقطع العلاقات الدبلوماسية مع حكومة فيشي [٣٢] ، والذي عده الملك فاروق تدخلاً سافراً بالشؤون الداخلية المصرية لاسيما وان هناك علاقات تاريخية بين مصر وفرنسا وان الاذعان لمطلب لامبسون قد يؤدي الى حصول قطيعة بين الشعبين المصري والفرنسي والذي كان لديه جالية كبيرة داخل مصر [٣٣] .

قدم حسين سري استقالته للملك في ٢ فبراير ١٩٤٢ ، و دعا الملك فاروق الاحزاب السياسية الى اجتماع لتشكيل حكومة ائتلافية تقود البلاد في هذه المرحلة ، الا ان تشكيل حكومة ائتلافية لم تكن ترضي السير لامبسون الذي كان يشك في أن يتأثر النحاس أو غيره من قادة الوفد بالنفوذ الألماني الذي كان ينتشر بسرعة في المنطقة ، وهذا ما لا يضمنه مع غيره من الشخصيات التي قد ترشحها بقية الأحزاب أو الملك [٣٤] ، كما أن مصطفى النحاس زعيم حزب الوفد رفض بشكل قاطع تشكيل حكومة ائتلافية تكون غير قوية وفاعلة في تلك الاوضاع الحرجة التي تشهدها مصر والمنطقة وكان لامبسون يشاطره هذا الرأي والذي دعا الملك وبشكل مباشر الى تكليف النحاس بتشكيل حكومة وفدية خالصة ، الا ان الملك فاروق كان لا يريد حكومة وفدية خالصة تسيطر على المشهد السياسي المصري وهو يعلم ان حكومة وفدية قوية تحظى بدعم جماهيري كبير ودعم السفارة البريطانية سوف يجد صعوبة بالإطاحة بها اذا ما اقتربت قوات المحور من القاهرة [٣٥] .

امام الاوضاع المتأزمة قرر المندوب السامي البريطاني توجيه انذار رسمي للملك فاروق وارساله عبر رئيس الديوان الملكي احمد حسنين ، تضمن عدة مطالب واصر لامبسون على ان تكون الاجابة بوقت قصير بسبب الاوضاع الداخلية والخارجية المضطربة وحدد الساعة السادسة من مساء يوم ٤ فبراير موعداً نهائياً لتلقي الاجابة من الملك [٣٦] .

احتوت المطالب التي وجهها المندوب السامي البريطاني على تشكيل حكومة مصرية جديدة قادرة على تنفيذ بنود معاهدة ١٩٣٦ نصاً وروحاً ، لاسيما فيما يتعلق بالمادة الخامسة من المعاهدة والخاصة بالاتصالات مع قوى خارجية معادية ، وان تكون تلك الحكومة المزمع تشكيلها قوية غير ائتلافية تتمتع بتايد شعبي كبير يمكنها ضبط الاوضاع الداخلية على ان تكون هذه الوزارة برئاسة مصطفى النحاس بصفته زعيم الاغلبية (حزب الوفد) ، واختتمت المطالب بتحميل الملك فاروق المسؤولية الشخصية عن أي اضطرابات تقع في البلاد خلال هذه الفترة [٣٧] .

حاول الملك فاروق المراوغة وعدم الاستجابة لمطالب المندوب مما اثار غضبه والذي انتقل من مرحلة التهديد الى مرحلة التنفيذ حيث احس ان الملك فاروق لا يفضل تشكيل حكومة وفدية خالصة لذلك اعطى اوامره الى القوات البريطانية المرابطة في القاهرة بالتحرك لتحاصر قصر عابدين بالكامل ، وبالفعل تحركت الدبابات والعربات البريطانية المصفحة وحاصرت القصر من اربع جهات وتوجه

لامبسون برفقة الجنرال روبرت ستون وهو قائد القوات البريطانية في مصر وعدد من الضباط المسلحين ودخلوا الى المكتب الخاص بالملك داخل القصر [٣٨] .

وجه لامبسون اللوم الى الملك وعلى افعاله المعادية للإنكليز بشكل مباشر وبلهجة مهينة و وضع امامه وثيقة التنازل عن العرش ، ومن الجدير بالذكر ان هذه الوثيقة اعدت سلفاً من قبل السير والتر مونكتون المستشار القانوني للسفارة ، مما يبين ان اللورد لامبسون قد وضع خطة بديلة في حال لم يستجب الملك لمطالبه ، امام هذا الضغط الكبير اتخذ الملك قراره بالتوقيع على تنازله على العرش لكن احمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكي قال شيئاً للملك بالغة العربية نصحه بقبول النحاس للحفاظ على العرش ، وبالفعل وافق الملك على طلب لامبسون تشكيل حكومة وفدية خالصة برئاسة مصطفى النحاس باشا [٣٩] واشترط حضور الاخير وتكليفه بشكل مباشر وبذلك نفذ لامبسون الاوامر العليا التي صدرت من بريطانيا [٤٠] .

- **<u>ردود الأفعال الداخلية والخارجية عن حول حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢.</u>**

تعتبر حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ من أكثر الحوادث جدلية في التاريخ المصري الحديث أذ مثلت نقطة تحول في العلاقة بين الشعب والنظام السياسي ، والتي ولدت العديد من ردود الأفعال حولها داخلياً وخارجياً فقد أوضحت الردود الداخلية أذعان الملك للمطالب البريطانية وأن كرامة الملك أصبحت على المحك مما ولَّد رغبة عنده بالانتقام لاحقاً ، وبالرغم من أن حزب الوفد قد حقق النصر صورياً بتشكيله حكومة وفدية خالصة الا أن الحرج لاحقها بصفتها قد تشكلت على أسنة الحراب البريطانية، أما باقي الأحزاب المصرية الفاعلة على الساحة السياسية فقد عبرت عن امتعاضها وغضبها الشديد للأحداث التي رافقت محاصرة قصر عابدين بالدبابات فقد عبر أحمد ماهر باشا وهو زعيم حزب السعديين بمقولته الشهيرة للنحاس ((أنك تأتي لرئاسة الوزارة على حراب الإنكليز)) وأعتبرت الأحزاب أن ما حدث هو بمثابة انقلاب على الشرعية الدستورية وتكريس الهيمنة البريطانية [٤١] .

كانت حادثة ٤ فبراير مدوية لدرجة وصول صداها الى الشارع المصري الذي شعر بالإهانة وحالة من الأحباط لمشاهدة الدبابات الإنكليزية تتحكم بمصير بلدهم ، بالمقابل ازدادت شعبية الملك باعتباره رمزاً وطنياً جريحاً بينما تراجع الوفد جماهيرياً وشعبياً لأنه بدى وكأنه أنتهز الفرصة للوصول الى حكومة وفدية خالصة ، وكما أثرت الحادثة تأثيراً قوياً داخل المؤسسة العسكرية أذ قدم اللواء محمد نجيب استقالته قائلاً ((حيث أني لم أستطع أن أحمي مليكي وقت الخطر فأني لأخجل من ارتداء بدلتي العسكرية)) ، هذا الشعور بالذل شمل كل ضباط الجيش الوطنيين وشكل حافزاً رئيسياً لحركة الضباط الأحرار فيما بعد [٤٢] .

حاول لامبسون الدفاع عن موقفه في ٤ فبراير موضحاً أن هذا التحرك كان ضرورياً وقانونياً لفرض أرادة قوات التحالف وتأمين الخطوط الخلفية في مواجهة تقدم رومل ، أما حكومة لندن فقد انقسمت بين قلق من ردود الفعل العنيفة وبين دعم وزير الخارجية أنتوني أيدن للمندوب السامي البريطاني في مصر، كما استغلت دول المحور هذه الحادثة بأقصى درجة في دعايتها مصورةً أياها ((الدليل القاطع على أن مصر ليست سوى مستعمرة بريطانية وأن كل المعاهدات التي عقدتها بريطانيا معها لا تتعدى كونها حبر على ورق)) ، كما أعتبر الرأي العام العربي ما حدث في مصر في ٤ فبراير ١٩٤٢ عدواناً صارخاً على كرامة الشعب المصري وتعاطفت الشعوب مع الملك فاروق بوصفه رمز أسلامي [٤٣] .

التوصيات والمقترحات البحثية

يمكن أجراء العديد من البحوث والدراسات حول دور السير لامبسون كشخصية سياسية غير مرنة ولا تتمتع بالخيال (كما وصفه هارولد بيلي) وكيف أثرت هذه الشخصية في فرض الإرادة البريطانية على مصر.

كما يمكن طرح سؤال بحثي مهم وهو هل يمكن القول بأن الدبلوماسية القسرية التي مارسها لامبسون حققت نصراً تكتيكياً لحظياً تمثل بتشكيل وزارة مصطفى النحاس، لكنها تسببت بهزيمة استراتيجية طويلة المدى للوجود البريطاني في مصر.

ولأهمية الموضوع ومكانته التاريخية لابد من أجراء بحوث خاصة عن الحركة التي قام بها المندوب السامي البريطاني وتوضيح مدى الصلاحيات الممنوحة له في مصر وهل كان لامبسون مجرد مندوب سامي لبريطانيا العظمى أم أن صلاحياته قد تعدت ذلك بكثير وأخذ بالتصرف في بعض الأحيان دون الرجوع للقيادات العليا في لندن وانتقاداته لبعض السياسات والأوامر التي تصدر اليه من وزارة الخارجية البريطانية، فيمكن التوسع في البحث في هذا الشأن.

المصادر والمراجع العربية.

١- احمد زكريا الشلق، حزب الاحرار الدستوريين ١٩٢٢ – ١٩٥٣، القاهرة، ١٩٨٢.
٢- أزهر رحيم عبد الاسدي، حكومة فيشي الفرنسية والموقف الدولي منها ١٩٤٠ – ١٩٤٤، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ذي قار، كلية الآداب، ٢٠٢٣.
٣- بشير حمود علوان حسين الدراجي، دور السير مايلز لامبسون في الحياة السياسية المصرية ١٩٣٤ – ١٩٤٦، رسالة ماجستير غير منشورة في جامعة بغداد كلية الآداب، ٢٠١٣.
٤- تريفور ايفانز، مذكرات السير كليرن المندوب السامي (السفير البريطاني) في مصر ١٩٣٤-١٩٤٦، ترجمة: سامي أبو النور ، القاهرة ، ١٩٩٣.
٥- تميم البرغوثي، الوطنية الاليفة الوفد وبناء الدولة الوطنية في ظل الاستعمار، دار الكتب والوثائق القومية، ط٢، القاهرة ٢٠١٢ .
٦- ثورية حميدي، دور المانيا وايطاليا في قيام الحرب العالمية الثانية ١٩١٩-١٩٣٩، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد خيضر، الجزائر، ٢٠١٥.
٧- جاكوب لاندو ، الحياة النيابية والأحزاب في مصر من عام ١٨٦٦-١٩٥٢، ترجمة : سامي الليثي ، القاهرة ، د.ت.
٨- جرانت وتمبرلي ، أوروبا في القرن التاسع عشر والعشرين (١٧٨٩-١٩٥٠)، ترجمة : بهاء فهمي ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ٢٠٠١، ص٥٠٥.
٩- حسين حسني ، سنوات مع الملك فاروق شهادة للحقيقة والتاريخ ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠١.
١٠- **دينيس ماك سميث، موسوليني، ترجمة: أسامة إسبر، ط١، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٢.**
١١- رحاب حسن عبد حسن المشهداني ، الحركة الوطنية في مصر ١٩٣٦-١٩٥٢، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب، ٢٠٠٨.
١٢- رفعت السعيد ، مصطفى النحاس السياسي والزعيم والمناضل ، دار القضايا ، بيروت ، د.ت.
١٣- طلعت إسماعيل رمضان، المواقف البريطانية تجاه وزارتي يحيى ونسيم (سبتمبر ١٩٣٣ – يناير ١٩٣٦) ، القاهرة ، ١٩٨٨.
١٤- **عباس حافظ ، مصطفى النحاس ، مؤسسة هنداوي ، المملكة المتحدة ، ٢٠١٧ .**
١٥- عبد العزيز عمر ، دراسات في تاريخ مصر الحديثة والمعاصرة ١٥١٧-١٩٥٢، د.ط ، الأسكندرية ، ١٩٨٩.
١٦- عبد العظيم رمضان ، تاريخ اوربا والعالم في العصر الحديث ، ج٣ ، القاهرة ، ١٩٩٧.

١٧- عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ١٩٣٩ – ١٩٤٥ ، ج٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩.
١٨- قاسم شعيبي عباس السلطاني، موقف بريطانيا من النزاع الايطالي – الأثيوبي (١٩٣٤-١٩٤١) دراسات تاريخية، مجلة فصلية ، قسم الدراسات التاريخية في بيت الحكمة ، العدد الأول ،١٩٩٩.
١٩- كمال عبد الرؤوف ، الدبابات حول القصر (مذكرات لورد كلرن عن ٤ فبراير ١٩٤٢) ، مؤسسة اخبار اليوم ، العدد ٧٥ ، القاهرة ، ١٩٧٤.
٢٠- كمال عبد الرؤوف، الدبابات حول القصر، مؤسسة اخبار اليوم، القاهرة، ١٩٧٤.
٢١- مجدة بو عبد الله ، الحماية البريطانية على مصر (١٨٨٢ – ١٩٥٦) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة محمد خيضر ، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية ، ٢٠١٩.
٢٢- مجموعة من المؤلفين، موسوعة مشاهير العالم، ترجمة: دار الصداقة العربية، ج٣، بيروت،٢٠٠٢.
٢٣- محمد انيس، ٤ فبراير في تاريخ مصر السياسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢.
٢٤- **محمد محمد صالح واخرون ، الدول الكبرى بين الحربين العالمتين (١٩١٤ – ١٩٤٥) ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٤ .**
٢٥- **مشاهير الحرب العالمية الثانية (فون ايروين رومل VON – ROMMEL – ERWIN) ، ط١ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٨٨ .**
٢٦- مصطفى النحاس جبر ، سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية من ١٩١٤ – ١٩٣٦ ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٨٥.
٢٧- ويليام شيرر ، صعود وسقوط الرايخ الثالث تاريخ المانيا النازية ، ترجمة: بدر الرفاعي ، ط١، دار سطور للنشر ،ج١، القاهرة ، ٢٠١٧.
٢٨- يونان لبيب رزق ، ادارة سياسة مصر الخارجية (١٩٣٦ – ١٩٤٢) ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ٥٠ ، ١٩٧٧ .

المصادر والمراجع الاجنبية.

1- **F.R.U.S. 1942, Vol.IV, PP.64-65,Tel. From the M.E(Kirk) to the S.S,Cairo(183),February,1,1942.**
2- F.O.407/224, No.536, Tel.From Lampson to Halifax.June.17,1940.

3- **F.O.407/221. No.209, Tel.From Lampson to Eden, Februory.16,1937.**

4- F.R.U. S,1942, Vol.IV.P.67, Tel.From the M.E.(Kirk) to the S.S,Cairo (198) February,4,1942.

5- Steven Morewood ,the British Defence of Egypt 1935 – 1940. Newyrk, 2005

6- James.S.Olsen and Ropert Shadle , Historisal Dictionary of the British Empire,U.S.A,1996,

قائمة الهوامش :

(١) محمد انيس، ٤ فبراير في تاريخ مصر السياسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢، ص ٧

(٢) ارفين رومل (Erwin Rommel ١٨٩١ – ١٩٤٤) : قائدة عسكري الماني ، من ابرز القادة في الحرب العالمية الثانية لقب بـ ثعلب الصحراء ، اكتسب شهرته العالمية عندما كان قائد لفيلق شمال أفريقيا ، امتازت عقيدته العسكرية بتباع ما يعرف بالقيادة إلى الامام وكان متواجد دائما في الخطوط الامامية للمعارك ، قاد فرقة الاشباح سنة ١٩٤٠ في معاركة السيطرة على فرنسا ، كما استطاع من دفع القوات البريطانية في شمال افريقيا إلى التراجع والتقهقر ، وفي أواخر الحرب العالمية الثانية تم تكليفه بـ (جدار الأطلسي) وهو تحصين سواحل فرنسا لمواجهة الحلفاء المحتمل وهو ما حدث في انزال النورماندي Normandy Landings، حاول التأمر على هلتر وارتبط اسمه بـ (مؤامرة ٢٠ يوليو) ، تم القبض عليه فخيره هتلر اما تناول اسم للحفاظ على سمعته او مواجهة محكمة عسكرية فاختار الانتحار بشرب السم في ١٤ أكتوبر ١٩٤٤ ; للمزيد انظر : مشاهير الحرب العالمية الثانية (فون ايروين رومل – VON ROMMEL – ERWIN) ، ط١ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٨٨ .

(٣) جرانت وتمبرلي ، أوروبا في القرن التاسع عشر والعشرين (١٧٨٩-١٩٥٠)، ترجمة : بهاء فهمي ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ٢٠٠١، ص٥٠٥.

(٤) F.R.U.S. 1942,Vol.IV,PP.64-65,Tel.From the M.E(Kirk) to the S.S,Cairo(183),February,1,1942.

(٥) مصطفى النحاس (١٨٧٩ – ١٩٦٥) : زعيم سياسي مصري ، اكمل دراسة الحقوق في القاهرة ١٩٠٠ ، عين قاضيا بالمحاكم الاهلية المصرية انتمى إلى حزب الوفد المصري ١٩١٨ ، اعتقل مع سعد زغلول ونفي إلى جزيرة سيشيل ، تولى منصب وزير المواصلات في حكومة سعد زغلول ١٩٢٤ ، تولى زعامة حزب الوفد المصري بعد وفاة سعد زغلول باشا ١٩٢٨ ، تمكن من عقد معاهدة ١٩٣٦ مع البريطانيين والتي تعد مقدمة للاستقلال ، بعد ثورة ١٩٥٢ تم سجنه هو وزوجته زينب الوكيل من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٤ ، توفي في منزله بالقاهرة ١٩٦٥ ; للمزيد من المعلومات انظر : عباس حافظ ، مصطفى النحاس ، مؤسسة هنداوي ، المملكة المتحدة ، ٢٠١٧ .

(٦) بشير حمود علوان حسين الدراجي، دور السير مايلز لامبسون في الحياة السياسية المصرية ١٩٣٤ – ١٩٤٦، رسالة ماجستير غير منشورة في جامعة بغداد كلية الآداب، ٢٠١٣، ص٢٣١ – ٢٣٢.

(٧) كمال عبد الرؤوف، الدبابات حول القصر، مؤسسة اخبار اليوم، القاهرة، ١٩٧٤، ص٩٢.

(٨) James.S.Olsen and Ropert Shadle , Historisal Dictionary of the British Empire,U.S.A,1996,P.652.

(٩) مؤتمر نزع السلاح البحري : مؤتمر دولي تم عقده في العاصمة الامريكية واشطن للمدة للفترة ٢٢ تشرين الاول ١٩٢١ الى ٦ شباط ١٩٢٢ ، حضر ممثلي العديد من الدول على رأسهم ممثل الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وايطاليا واليابان والبرتغال والصين وبلجيكا لمناقشة قضية نزع السلاح ، وتم التوصل الى قرار يقضي بتحديد السلاح البحري لدى دول امريكا وبريطانيا واليابان وايطاليا لمزيد من التفاصيل انظر: محمد محمد صالح واخرون ، الدول الكبرى بين الحربين العالمتين (١٩١٤ – ١٩٤٥) ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٤ .

(١٠) اتفاقية لوكارنو ١٩٢٥: اتفاقية دولية وقعتها كل من بريطانيا إيطاليا فرنسا بلجيكا المانية بولندا وتشيكوسلوفاكيا، وذلك لا إقرار السلام في اوربا من خلال الاعتراف المتبادل بالحدود بين فرنسا وبلجيكا والمانية وحل المشاكل بين الدول بالطرق السلمية. لمزيد من التفاصيل ; عبد العظيم رمضان، تاريخ اوربا والعالم في العصر الحديث، ج٣، القاهرة، ١٩٩٧، ص٥٢.

(١١) بشير حمود علوان حسين الدراجي ، المصدر السابق ، ص٤٥ .

(١٢) تريفور ايفانز ، مذكرات السير كليرن المندوب السامي (السفير البريطاني) في مصر ١٩٣٤-١٩٤٦ ، ترجمة: سامي أبو النور ، القاهرة ، ١٩٩٣.

(١٣) أدولف هتلر (١٨٨٩-١٩٤٥) : مستشار المانيا ، ولد في النمسا ولم يحصل على الشهادة الثانوية في دراسته ، عاش في فيينا ثم غادر إلى ميونخ ،أسس حزب العمال الأشتراكي الألماني المعروف بالنازي عام ١٩٢٠ وتولى حكم المانيا مابين عامي (١٩٣٣-١٩٤٥) أنتحر بعد سقوط برلين بأيدي الحلفاء . للمزيد ينظر: مجموعة من المؤلفين، موسوعة مشاهير العالم، ترجمة: دار الصداقة العربية، ج٣، بيروت، ٢٠٠٢، ص ١٢٠-١٢٥.

(١٤) ويليام شيرر ، صعود وسقوط الرايخ الثالث تاريخ المانيا النازية ، ترجمة: بدر الرفاعي ، ط١، دار سطور للنشر ،ج١، القاهرة ، ٢٠١٧.

(١٥) بنيتو موسوليني(١٨٨٣-١٩٤٥): مؤسس الحركة الفاشية عام ١٩١٩ ، رئيس الحكومة الايطالية للفترة (١٩٢٢-١٩٤٣) والتي حولها من نظام برلماني الى دكتاتورية شمولية ،ينتمي الى الطبقة العاملة ، دخل الحرب العالمية الثانية الى جانب هتلر مكونين محور برلين –روما ، ، وعزل عن الحكم عام ١٩٤٣، وأعدم في عام ١٩٤٥ على يد الثوار الايطاليين . للمزيد ينظر: دينيس ماك سميث، موسوليني، ترجمة: أسامة إسبر، ط١، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٢.

(١٦) قاسم شعيبي عباس السلطاني، موقف بريطانيا من النزاع الايطالي – الأثيوبي (١٩٣٤-١٩٤١) دراسات تاريخية، مجلة فصلية ، قسم الدراسات التاريخية في بيت الحكمة ، العدد الأول ،١٩٩٩، ص٨٣-ص٨٥.

(١٧) بشير حمود علوان حسين الدراجي ، المصدر السابق ، ص٨٧ .

(١٨) مصطفى النحاس جبر ، سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية من ١٩١٤ – ١٩٣٦ ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٨٥ ، ص ٣٩٠ – ٣٩١ .

(١٩) جاكوب لاندو ، الحياة النيابية والأحزاب في مصر من عام ١٨٦٦-١٩٥٢، ترجمة : سامي الليثي ، القاهرة ، د.ت ، ص ١٩٢.

(٢٠) بشير حمود علوان حسين الدراجي ، المصدر السابق ، ص ٥٧.

(٢١) Steven Morewood,the British Defence of Egypt 1935 – 1940 . Newyrk,2005, p6 .

(٢٢) طلعت إسماعيل رمضان، المواقف البريطانية تجاه وزارتي يحيى ونسيم (سبتمبر ١٩٣٣ – يناير ١٩٣٦) ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص٢٨ .

(٢٣) ثورية حميدي، دور المانيا وايطاليا في قيام الحرب العالمية الثانية ١٩١٩-١٩٣٩، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد خيضر، الجزائر، ٢٠١٥، ص ٨٣ – ٨٤ .

(٢٤) تميم البرغوثي، الوطنية الاليفة الوفد وبناء الدولة الوطنية في ظل الاستعمار، دار الكتب والوثائق القومية، ط٢، القاهرة ٢٠١٢، ص ١٨٨.

(٢٥) عبد العزيز عمر ، دراسات في تاريخ مصر الحديثة والمعاصرة ١٥١٧-١٩٥٢، د.ط ، الأسكندرية ، ١٩٨٩ ، ص٤٩٢.

(٢٦) بشير حمود الدراجي ، المصدر السابق ، ص١١٤

(٢٧) حسين حسني ، سنوات مع الملك فاروق شهادة للحقيقة والتاريخ ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص١٤٤ .

(٢٨) رحاب حسن عبد حسن المشهداني ، الحركة الوطنية في مصر ١٩٣٦-١٩٥٢، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب، ٢٠٠٨، ص٨٤.

(٢٩) F.O.407/224,No.536,Tel.From Lampson to Halifax.June.17,1940.

(٣٠) يونان لبيب رزق ، ادارة سياسة مصر الخارجية (١٩٣٦ – ١٩٤٢) ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ٥٠ ، ١٩٧٧ ، ص٣٠ .

(٣١) تريفور ايفانز ، المصدر السابق ، ص ٢٣٦ – ٢٣٧ .

(٣٢) حكومة فيشي : حكومة فرنسية شكلها الالمان برئاسة المارشال هنري فيليب بيتان ، بعد سيطرة القوات الالمانية على جنوب فرنسا في يونيو ١٩٤٠ ، والتي ووقعت هدنة مع الالمان والتي قسمت فرنسا الى قسمين والتي كانت فيها القسم الاكبر يخضع للنفوذ الالماني المباشر والثاني تقوم عليه حكومة فيشي ، وقد سميت بهذا الاسم نسبة الى منتجع فيشي والذي يقع في الجنوب الفرنسي ، وقد استمرت هذه الحكومة حتى تحرير فرنسا ١٩٤٤ ، لمزيد من التفاصيل انظر، ازهر رحيم عبد الاسدي ، حكومة فيشي الفرنسية والموقف الدولي منها ١٩٤٠ – ١٩٤٤ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة ذي قار ، كلية الآداب ، ٢٠٢٣ .

(٣٣) مجدة بو عبد الله ، الحماية البريطانية على مصر (١٨٨٢ – ١٩٥٦) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة محمد خيضر ، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية ، ٢٠١٩ ، ص٦٥ .

(٣٤) F.O.407/221.No.209,Tel.From Lampson to Eden, Februory.16,1937.

(٣٥) محمد انيس ، المصدر السابق ، ص ١٢ .

(٣٦) تريفور ايفانز ، المصدر السابق ، ص ٢٣١ .

(٣٧) كمال عبد الرؤوف ، الدبابات حول القصر (مذكرات لورد كلرن عن ٤ فبراير ١٩٤٢) ، مؤسسة اخبار اليوم ، العدد ٧٥ ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ٧٢ .

(٣٨) احمد زكريا الشلق ، حزب الاحرار الدستوريين ١٩٢٢ – ١٩٥٣ ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص٤٣٢ .

(٣٩) F.R.U.S,1942,Vol.IV.P.67,Tel.From the M.E.(Kirk) to the S.S,Cairo (198) February,4,1942.

(٤٠) رفعت السعيد ، مصطفى النحاس السياسي والزعيم والمناضل ، دار القضايا ، بيروت ، د.ت ، ص٨٢ .

(٤١) رحاب حسن عبد حسن المشهداني ، المصدر السابق ص٩٩

(٤٢) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ١٩٣٩ – ١٩٤٥ ، ج٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص٢٠٤

(٤٣) محمد انيس ، المصدر السابق ، ص٩٤ .

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

النزاع الامريكي – الفرنسي ١٧٩٨–١٨٠٠

ا. م. د زيدان حسان حاوي مخيلف الشويلي
zaidan_12@yahoo.com
وزارة التربية– المديرية العامة لتربية بغداد الرصافة الثالثة

الاستلام(Received) : ٠٣ /٠٥ / ٢٠٢٦	التعديل (Revision) : ٢٥/٠٥ / ٢٠٢٦
القبول(Accepted) : ٢١ /٠٦/ ٢٠٢٦	النشر (Published) : ٣٠/٠٩/ ٢٠٢٦

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص

النزاع الامريكي– الفرنسي١٧٩٨–١٨٠٠، صراع مصالح حاد بين الولايات المتحدة كدولة فتية حديثة العهد بالاستقلال عن بريطانيا، وبين فرنسا الجديدة التي خاضت تجربة تغيير نظامها السياسي بصعوبة بالغة. اسفر عن اجبار الطرفين على اعادة تقييم شاملة لعلاقاتهم التعاقدية في ضوء ظروف الواقع السياسي والاقتصادي الجديد. على اية حال، تخلل النزاع الذي أمتد سنتين مناوشات عسكرية ومناكفات سياسية اضرت البلدين، لكنها انتجت رؤية برغماتية جديدة قائمة على المصالح بدل الحماس الزائف؛ وبما أسهم في بناء علاقات ثنائية وثيقة مستقبلاً، بصرف النظر عن العلاقات الفرنسية–البريطانية المتأزمة.

الكلمات المفتاحية : النزاع الأمريكي – الفرنسي ، ١٧٩٨ ، ١٨٠٠ .

Abstract

The American–French conflict of 1798–1800 was an intense struggle of interests between the United States, a young nation newly independent from Britain, and the new France, which had undergone the arduous experience of transforming its political system. The conflict compelled both parties to undertake a comprehensive reassessment of their treaty-based relations in light of the new political and economic realities. .

In any case, the dispute involved military skirmishes and political confrontations that harmed both countries; yet it ultimately produced a new pragmatic vision grounded in interests rather than false enthusiasm. This shift contributed to the development of closer bilateral relations in the future, regardless of the strained relations between France and Britain.

المقدمة

يعد النزاع البحري بين الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا تراكماً لمشكلات عديدة بين البلدين عقب استقلال امريكا وتغيير النظام السياسي في فرنسا؛ وبما الزمنا في تخصيص المبحث الاول من هذه الدراسة كتوطئة لمعرفة بوادر الخلاف واسبابه بالتطرق لمعاهدتي الصداقة والتجارة والتحالف، واثر اندلاع الثورة الفرنسية في تأزم العلاقة، ورد الفعل الامريكي بإعلان الحياد. بالإضافة الى ايراد ايجاز لانتهاكات السفير غينت واثرها في تدهور العلاقة والثقة بين البلدين. اما المبحث الثاني، فقد أُفرد لتناول اضطراب العلاقات بين البلدين من خلال تناول ظروف واسباب عقد معاهدة جاي، وما سببته قضية اكس واي زت XYZ من استياء حكومي وشعبي؛ كان السبب في الاستعداد للحرب وخوض غمار بعض العمليات العسكرية البحرية في البحر الكاريبي. وعلى اثر ذلك، انتجت المناوشات الحربية بين البلدين تبعات كثيرة، خُصصت مادة المبحث الثالث لها. بعد ان اوردنا ايجاز عن قوانين الاستعداد للحرب. وردود افعال ولايتي كنتاكي وفرجينيا ازاء تشريع تلكم القوانين، فضلا عن ايراد خاتمة للنزاع بين البلدين بتوقيع معاهد الصداقة الجديدة؛ وتأثير تلكم الاحداث على خسارة الفيدراليين لانتخابات الرئاسة عام ١٨٠٠ .

كانت نتائج حرب السبع سنوات(١٧٥٦-١٧٦٣) حجر الزاوية في تشكيل أطر العلاقة بين فرنسا والمستوطنين الامريكيين لعقود قادمة حُبلى بالتطورات السياسية والاقتصادين بين البلدين (Scudder, 1897, p. 99). اذ تنازلت فرنسا بموجب معاهدة السلام عن شمال غرب اوهايو وكندا الى بريطانيا، فضلاً عن لويزيانا الى اسبانيا؛ الأمر الذي ساهم في اندفاع الفرنسيين لمساعدة المستعمرات في ثورتها ضد التاج البريطاني في الربع الاخير من القرن الثامن عشر (Scudder, A History of the United States of America with an Introduction Narrating the Discovery and Settlement of North America, 1897, p. 99). انتقاما لخسارتها في العالم الجديد، ورغبة من بعض زعاماتها في تعويض ما فقدوه عن طريق تشجيع المصالح الفرنسية هناك (Sheldon, 1900, p. 2). مع ذلك، لم تكن المساعدة الفرنسية لكفاح المستعمرات دون ثمن على صعيد ظروف الواقع الاقتصادي الفرنسي. اذ اسهمت في اضافة اعباء جديدة للخزينة الفرنسية، بنتيجة الهبات السخية والقروض الميسرة؛ وما استلزم المجهود الحربي من ذخيرة ورجال (Lecky, 1887, pp. 391-392). كان على رأسهم لافاييت Lafayette (١٧٥٧-١٨٣٤) والمتطوعون الاخرون الذين انظموا الى جيش واشنطن Washington(١٧٣٢-١٧٩٩) القاري في الكفاح لنيل الاستقلال (Maloof, 2018, p. 25). اذ يبدو ان نجاح الاخير في معركة ساراتوكاSaratoga في ١٧ تشرين الاول ١٧٧٧، قد اقنع الساسة الفرنسيين بضرورة ترسيخ دعائم العلاقة مع الدولة الجديدة وفق أطر قانونية

تتخطى حدود الانتقام من بريطانيا، وتتجاوز حدود الحماس الشعبي نحو افق العمل المؤسساتي بين الدول الحديثة (Thomson, 1904, p. 182).

المبحث الاول: بوادر الاختلاف

١- معاهدة الصداقة والتجارة والتحالف

اسفرت الجهود الدبلوماسية لمندوب الكونغرس القاري الثاني سيلاس دين Silas Deane (١٧٣٧-١٧٨٩) مع اخرين في باريس عن التوقيع على معاهدة للصداقة والتجارة(treaty of Amity and Commerce)، واخرى للتحالف بين الولايات المتحدة وفرنسا في ٦ شباط ١٧٧٨ (McMaster, 1907, p. 176). وقد ضمت المعاهدة الاولى احدى وثلاثين مادة، كونت الاساس الذي قامت عليه دعائم العلاقات الرسمية بين البلدين، بعد ان اعترفت فرنسا بموجبها باستقلال الولايات المتحدة عن بريطانيا. وفي هذا السياق، اوردت المادة الاولى من المعاهدة ما يشير الى نية الاطراف المتعاقدة في اقامة علاقات ثنائية قوية" وسيكون هناك سلام وصداقة حقيقية ومخلصة بين الملك الفرنسي وورثته، والولايات المتحدة الامريكية" (Fish H. , 1873, p. 244). في حين تضمنت المادة الثانية، ما يشير الى الافضلية التجارية عندما نصت على تعهد الطرفين" بأن لا يمنح اي منهما اي امتياز خاص لأية دولة اخرى فيما يتعلق بالتجارة إلا ويصبح ذلك الامتياز من حق الطرف الاخر فوراً " (Fish H. , 1873, p. 245). فيما اوردت المادة الثالثة ما يتضمن " الاتفاق المتبادل على عدم فرض رسوم تمييزية؛ وان يحظى كل طرف بامتياز الاكثر محاباة ورعاية بين الدول" (Fish H. , 1873, p. 245).

وبغية توفير الحماية من هجمات البحرية البريطانية المحتملة على السفن الامريكية، فقد الزمت المادة السادسة من المعاهدة الملك الفرنسي على العمل ما بوسعه لحماية السفن الامريكية في ممتلكاته، حيث اوردت" ان ملك فرنسا سيحاول بكل الوسائل المتاحة حماية والدفاع عن كل السفن التي تعود لرعايا وسكان الولايات المتحدة، او اي واحدة منهن في موانئه او البحار قرب ممتلكاته " (Fish H. , 1873, p. 245). وبغية تأمين مصالح فرنسا في العالم الجديد من الاخطار المحتملة. فقد الزمت المادة السابعة الولايات المتحدة بتوفير الحماية للسفن الفرنسية في المياه الامريكية. اذ اوردت "وبنفس الاسلوب، فأن الولايات المتحدة وسفنها الحربية سوف تحمي وتدافع عن كل السفن التي تعود لرعايا ملك فرنسا طبقاً لاشتراطات المادة السادسة" (Fish H. , 1873, pp. 245-246). ولم يتأخر الفرنسيون عن تأمين مصالح بلادهم فيما يخص صيد الاسماك في المياه الامريكية. اذ اوردت المادة العاشرة " ... وان لا يزعج مواطني الولايات المتحدة رعايا الملك الفرنسي في تمتعهم بممارسة حق الصيد في ضفاف نيوفاوندلاند " (Fish H. , 1873, p. 246).

كان للمادة السابعة عشرة من المعاهدة اهمية استثنائية، نظراً لما ستشكله لاحقاً من اختلاف في قراءة كل طرف لمضمونها وفق مصالحه الخاصة. اذ تعهدت الاطراف الموقعة على توفير الحماية لسفن الطرف الاخر، بما تحمله من غنائم واسلاب قراصنة الدولة الاخرى، مع تأمين ملجأ للممتلكات الجديدة. اذ اوردت " بجواز عمل السفن الحربية والسفن الاهلية في زمن الحرب بنقل الغنائم بحرية الى موانئ الطرف الاخر؛ على ان لا تصادر هذه الغنائم ولا تكون عرضة للتفتيش بزعم كونها غير قانونية" (Fish H. , 1873, p. 249). وفي ذات السياق، حرّمت المادة الثانية والعشرون من المعاهدة التعامل مع قراصنة الدول الاجنبية. اذ نصت " لا ينبغي لأي من اطراف المعاهدة السماح لقراصنة دولة او امير على صداقة مع الطرف الاخر ان يجهز موانئه او يبيع غنائمهم" (Fish H. , 1873, p. 251).

واذا ما ارست معاهدة الصداقة اسس العلاقات الثنائية بين البلدين؛ فأن معاهدة التحالف عززت علاقتهما التعاقدية فيما له علاقة بالدفاع عن امن البلدين. اذ ضمت اثنتي عشر مادة. اشترطت المادة الاولى فيها قيام تحالف بين البلدين، موردتاً " وفي حال اندلاع الحرب بين فرنسا وبريطانيا اثناء استمرار الحرب الحالية بين الولايات المتحدة وبريطانيا؛ فأن صاحب الجلالة والولايات المتحدة سيجعلونها[الحرب] قضيتهم المشتركة... وان يصبحوا حلفاء مخلصين " (Fish H. , 1873, p. 241) فيما اشارت المادة الحادية عشر فيها الى التحالف بين الدولتين لمواصلة الحرب ضد بريطانيا من اجل انتزاع سيادة الاراضي التي سيتم الاستيلاء عليها بنتيجة الحرب، وضمان الممتلكات الفرنسية في امريكا، وكذلك ممتلكات الولايات المتحدة. كما اوردت كونها" معاهدة تحالف دفاعي للحفاظ على حرية واستقلال الولايات المتحدة، مقابل ضمان حرية وسيادة واستقلال وممتلكات فرنسا في امريكا" (Fish H. , 1873, p. 243). فيما بينت المادة الثانية عشرة بوضوح الضمان المتبادل المنصوص عليه في المادة الحادية عشرة ، والذي يتوجب على الولايات المتحدة القيام به في حال قطع العلاقات واندلاع الحرب بين فرنسا وبريطانيا (Fish H. , 1873, p. 243). وقد ارفق بالمعاهدتين اتفاقية سرية اشترطت اعتراف ملك اسبانيا بالاستقلال الامريكي لتصبح دولته مؤهلة للانضمام الى اشتراطات كلتا المعاهدين (Chadwick, 1909, p. 16).

لم يكن امام بريطانيا ازاء انتصارات جيش واشنطن المتلاحقة سوى الاعتراف بالاستقلال الامريكي بموجب معاهدة باريس الموقعة في ٣ ايلول ١٧٨٣ (Hayes, 1916, p. 336). وبما أسهم في انعاش محاولات ولايات نيوانكلاند New England لإعادة فتح قنوات التواصل التجارية مع البلد الام (French, 1911, p. 269)؛ والتي لم يتأخر الفرنسيون في التعبير عن الاستياء منها. لاسيما بعد اصدار الكونغرس الامريكي بعض قوانين الرسوم والضرائب الجديدة قبل تولي واشنطن فترته الرئاسية الاولى. مما عده الفرنسيون مخالفة واضحة لنص وروح اشتراطات معاهدة الصداقة والتجارة، استلزمت

قيام فرنسا بإصدار بعض المراسيم التي مهدت لاتخاذ بعض الاجراءات الانتقامية السريعة (DeConde, 1971, p. 46).

اسهم سعي فرنسا لفرض(الهيمنة) على الدولة الجديدة، وحاجة الامريكيين الى حليف يمكن الاعتماد عليه، في توقيع الاتفاقية القنصلية Consular Convention بين البلدين في ١٤ تشرين الثاني ١٧٨٨ (J. Franklin Jameson, 1901, p. 263). اذ اوردت اشتراطاتها مزيداً من التكامل في العمل المؤسساتي بينهما. لاسيما ما يتعلق منه بالتجارة ونقل البضائع واستخدام السفن التجارية (Moore, History and Digest of the International Arbitrations to which the United States has been a party, 1898, p. 4400). اذ اوردت المادة الثامنة من هذه الاتفاقية " قيام الموظفين القنصليين بممارسة حفظ النظام في جميع سفن الدول المعنية". كما أنيط بهم ايضاً " القيام بتفتيش شامل للسفن وطواقمها... على ان تقتصر هذه المهام على داخل السفن، وان لا يسمح لهم بالتدخل في عمل شرطة الموانئ " التي تتواجد فيها السفن (Kaplan, 1987, p. 4400).

٢- الثورة الفرنسية والحياد الامريكي

القى اندلاع الثورة الفرنسية ١٧٨٩ بتداعيات خطيرة على اوروبا والعالم الجديد. لاسيما في تشكيل ابرز معالم العلاقة بين الولايات المتحدة وفرنسا (Rines, 1915, p. 211).اذ سارعت النخب الامريكية الطامحة للتحرر من الاستبداد بالإشادة بثورة الفرنسيين وعدوها مكملة لما قاموا به ضد طغيان التاج البريطاني؛ بل ذهب بعضهم الى اطلاق الوعود بالدعم نظير المساعدة الفرنسية في حرب الاستقلال (Haltzel, 2002, p. 42). على اية حال، يظهر ان كلمات الترحيب سرعان ما اقترنت بهواجس النخب التجارية الامريكية. اذ ابدى القائم بالأعمال الامريكي في باريس وليم شورت William Short(١٧٥٩-١٨٤٩) قلقه من تطورات الاحداث، واحتمال تضرر مصالح بلاده بما يحدث؛ لاسيما بعد اقامة المتاريس في شوارع باريس وسيطرة (الغوغاء) على الاماكن المهمة في العاصمة (Beveridge, 1916, pp. 24-25). حتى كتب الى وزير الخارجية جيفرسون Jefferson (١٧٤٣-١٨٢٦) في حزيران١٧٩١ معبراً عن خشيته من ان تصبح فرنسا " جمهورية مثيرة للقلق"، بعد القاء القبض على الملك لويس السادس عشر Louis XVI (١٧٥٤-١٧٩٣) (Polasky, 2015, p. 73).

اجرت الحكومة الامريكية تغييراً بتعيين كوفرنور موريس Gouverneur Morris (١٧٥٢-١٨١٦) سفيرا لها في باريس في ١٢ كانون الثاني ١٧٩٢. بأمل تخفيف حدة التصرفات الفرنسية (غير المسؤولة) فيما يخص التجارة الامريكية، وبغية عقد ميثاق تجاري جديد ينهض بأعباء العلاقة المضطربة مع الفرنسيين في ظل سيادة مشاهد الفوضى والاضطراب في باريس (Bassett, 1907, p.

(211.غير ان السفير الجديد استهل مهمته بتصاعد وتيرة العنف الثوري في باريس. اذ ابلغ موريس وزارة الخارجية الامريكية في ١٦ اب من العام ذاته، بحدوث ثورة دموية اخرى في باريس قبل ستة ايام خلعت الملك. وان نُذر الحرب ضد بريطانيا اخذت بالتزايد؛ مما زاد في ارباك المشهد وعقّد مهمة موريس (Cleves, 2009, p. 75)؛ الذي لم يتأخر في اعلام جيفرسون بأن المفاوضات المقترحة مع الفرنسيين لا يمكن عقدها بنجاح. طالباً تعليمات اضافية فيما له علاقة بالمسار الذي يتوجب عليه اتباعه في هكذا ظروف مضطربة. على اية حال، اجاب جيفرسون طلب موريس بالتأكيد على ضرورة " الاعتراف بأية حكومة تتكون بإرادة الامة" (Moore, History and Digest of the International Arbitrations to which the United States has been a party, 1898, p. 4403).

تسارع خطى الثورة الفرنسية نحو اراقة الدماء. اذ نُفذ حكم الاعدام بالملك لويس السادس عشر في ٢١ كانون الثاني ١٧٩٣؛ تبع ذلك اعلان بريطانيا الحرب على فرنسا في الاول من شباط من العام ذاته (Goodwin, 2019, p. 293). وبما اسهم في احراج الحكومة الامريكية منذ الاسابيع الاولى لانطلاق العمليات الحربية. اذ سارعت قطع البحرية الفرنسية في نيسان من العام ذاته في اقتياد الغنائم البريطانية الى موانئ الولايات المتحدة وفق بنود معاهدة الصداقة والتجارة سالفة الذكر. فضلاً عن مباشرتها تطبيق بنود الاتفاقية القنصلية، التي تسمح لقناصلها بتفتيش السفن في الموانئ الامريكية (Williams, 2009, p. 14).

لم يكن من السهل اتخاذ موقف امريكي حاسم من التطورات الاوربية. اذ كان هناك شعور قديم بالامتنان لفرنسا ازاء خدماتها في حرب الاستقلال؛ ذلك الشعور الذي تحول الى حماس حقيقي، انتصاراً لقضية الديمقراطية وارادة الامة الفرنسية (Beard, 1914, p. 106). ومن الجانب الاخر، كانت هناك المصالح التجارية للبلاد، لاسيما في ولايات نيوانكلاند التي انجذب سكانها الى مؤازرة بريطانيا لأسباب اقتصادية وعرقية؛ الامر الذي اربك المشهد السياسي الداخلي بنتيجة ما قد تحدثه من تداعيات خارجية وداخلية محتملة على صعيد ظروف الواقع السياسي والاقتصادي الامريكي (Ridpath, 1914, p. 3461).

كان هناك توافق بشأن الحكمة من (الحياد) في النزاع الراهن. لكن ثمة اختلاف ايضاً بين الساسة الامريكيين في تفسير بنود معاهدتي ١٧٧٨ مع فرنسا. صحيح ان لفرنسا الحق في تغيير حكومتها؛ لكن كسر السلام في اوروبا، والاضرار بالمصالح الامريكية بالنتيجة قد يفرض على الامريكيين التصرف بحكمة وتعقل (H.W.Hodges, 1919, p. 228).او حتى التنصل من الالتزامات التعاقدية، لاسيما وان القراصنة الفرنسيين اخذوا في تكديس الغنائم البريطانية في الموانئ الامريكية مع اغلاق هذه الموانئ بوجه اعداء فرنسا؛ وبما يهدد في توريط البلاد في دوامة الصراع الحاصل في اوروبا. كل هذا،

والمعاهدات سالفة الذكر كانت قد عقدت مع ملك فرنسا الراحل وليس مع الراديكاليين الذين اصبحوا خلفاً له (Fairburn, 1945, p. 74) .

اسرع الرئيس واشنطن الى عقد اجتماع تشاوري لطاقمه الوزاري في ١٨ نيسان ١٧٩٣. قدم فيه ثلاثة عشر سؤالاً تتعلق بالموقف السليم الذي يتوجب على الحكومة اتباعه حيال التطورات في اوروبا (Avery, 1910, p. 79). تضمنت امكانية اصدار اعلان يمنع انخراط مواطني الولايات المتحدة في الحرب الدائرة بين الفرقاء الأوربيين. ومثله، ضرورة اعادة النظر في تطبيق احكام هذين المعاهدتين، او حتى التخلي عنهما كلياً، او على الاقل تعليق العمل ببنودهما ريثما تتشكل حكومة فرنسية جديدة (B.Evans, 1908, pp. 405-406). وهل يتوجب على الولايات المتحدة تفعيل بنود هذين المعاهدتين بغض النظر عن كون حرب فرنسا دفاعية او هجومية او ذات شخصية مزدوجة (B.Evans, 1908, p. 406).

ان مضمون الاسئلة المطروحة يكشف بوضوح التعاطف مع بريطانيا، ورغبة من طرحها في ايجاد ثغرة لتجنيب الولايات المتحدة التزامات المعاهدتين. ومهما يكن من امر، فقد انقسم اعضاء المجلس الوزاري الى مجموعتين: تلهفت الاولى لإبقاء الولايات المتحدة بعيداً عن الصراع في اوروبا، وقد تزعمها واشنطن وهاملتون Alexander Hamilton (١٧٥٥-١٨٠٤) (Avery, 1910, p. 81). فيما أبدت الثانية تعاطفاً واضحاً مع الفرنسيين بنتيجة تشابه اوجه كفاح الشعبين الامريكي والفرنسي في التطلع للحكم وفق ارادة الامة بعيداً عن استبداد وطغيان الملوك (Avery, 1910, p. 81). وقد تزعم هذه المجموعة جيفرسون وراندولف Randolph (١٧٥٣-١٨١٣)، حتى ابدى الاول امتعاضه من الآراء السائدة. لاسيما وان اعلان السلام والحرب هو من صلب سلطات الكونغرس وليس الرئيس (Twohig, 1987, p. 367).

اصدر الرئيس اعلان الحياد(دون ذكر الاسم) في ٢٢ نيسان ١٧٩٣. حذر فيه مواطني بلاده من مغبة الانخراط في الاعمال العدائية للأطراف المتحاربة في اوروبا؛ الامر الذي جنب الولايات المتحدة الخوض في غمار حرب جديدة مع البريطانيين غير قادرة على الايفاء بمتطلباتها (Avery, 1910, p. 82)؛ غير ان الامر لم يمر بسهولة، اذ تسبب الاعلان في امتعاض النخب الامريكية لاسيما اصدقاء فرنسا المنضوين في الجمعيات الديمقراطية في العاصمة بنسلفانيا. اذ اتهموا الرئيس بالتعاطف مع الانكليز، وبالرغبة في "جعل نفسه ملك متوج على امريكا" (John H.Finley, 1920, p. 319).

٣-تخرصات غينت

حاولت فرنسا التخفيف من وطأة ظروفها الاقتصادية المتأزمة بأثر حروبها الاوربية، لاسيما مع بريطانيا. اذ اوفدت ادموند جارلس غينت Edmund Charles Genet (١٧٦٣-١٨٣٤) سفيراً لها في الولايات المتحدة (Alderson, 2008, p. 22). بغية استجلاء امكانية عقد معاهدة تجارية جديدة اكثر محاباة للمصالح الفرنسية، ومحاولة استخلاص الديون الفرنسية ابان حرب الاستقلال، فضلاً عن خدمة مصالح بلاده في الدولة الامريكية الفتية (Ridpath, 1914, p. 3464).

وصل غينت الى جارلستون Charleston في ١٨ نيسان ١٧٩٣. ثم توجه الى فيلاديلفيا Philadelphia واستقبله حاكم الولاية وعدد من نوابها. (Crandall, 1902, p. 41). في الواقع، لم تكن رحلة السفير الى فيلادلفيا عادية. اذ كانت اشبه بموكب للنصر، عندما اصطف الناس لرؤية غينت، واخذ يلوح له البعض من سطوح المنازل؛ فيما تجاهل السفير أبهة البروتوكول القديم واخذ يقابل الناس اينما حل ويرحل. حتى صعب عليه حمل ما قُدم اليه من هدايا وتجهيزات، وضاق ذرعاً بالولائم التي اقيمت تكريماً له (Ridpath, 1914, p. 3466). معتقداً ان الحماس الشعبي الذي حظيّ به عند الاستقبال هو جواب الامة الامريكية السليم على اعلان واشنطن للحياد؛ والذي يعكس في الحقيقة اراء الشعب الامريكي في اقامة علاقات ودية مع حلفاءهم القدامى (Guyatt, 2007, p. 151).

كان غينت يؤمن بأن التبشير بالديمقراطية هو الطريق السليم لتحطيم عروش الملوك، واقامة بدلها انظمة حرة تتحالف مع فرنسا. ولا غرابة في ذلك، اذ ان وزارة خارجية بلاده قد زودته بتعليمات حصرية لإيصال افكار الثورة الفرنسية للأمريكيين، وان فرنسا تتعاطف معهم بقوة (Ridpath, 1914, p. 3466) . بل" ان انانية وبغض الحكومة الملكية السابقة للديمقراطية هو من حال دون اقامة علاقات حميمة بين البلدين ... وانها منعت الولايات المتحدة من محاولة اكتساب فلوريدا Florida الاسبانية، وكندا، ونوفا سكوتياNova Scotia. وان من صلب سياسة حكومته الجديدة هو تحرير امريكا الاسبانية؛ وبما يفتح المسيسبي امام شعب كنتاكي Kentucky (Fish, 1916, p. 102). وفي ذات السياق، وجه للإيحاء الى الساسة الامريكيين بأن مساعدة فرنسا في ظروفها الراهنة هو الثمن العادل لنيلهم الاستقلال الذي جلبته المساعدة الفرنسية؛ فضلاً عن التركيز عند التباحث بشأن عقد المعاهدة الجديدة فيما له علاقة بالامتيازات الممنوحة للقراصنة والغنائم الفرنسية (Hall, 1917, p. 102). وكذلك القيود التي ستفرض على الدول الاخرى. واخيراً، عليه تجنيد الساسة الامريكيين للمساعدة في تأمين عقد المعاهدة المزمعة. على ان يكون حذراً من فخاخ انصار جورج الثالث George III (١٧٣٨-١٨٢٠)، والموالين له في الولايات المتحدة، ممن سيحاولون حتماً اعاقة مساعيه (Frey, 2018, p. 236).

باشر السفير غينت القيام بأعماله قبل تقديم اوراق اعتماده الرسمية. اذ أمر قناصل بلاده في الاراضي الامريكية بأداء عمل المحاكم البحرية للفصل في قضايا الغنائم التي تجلبها السفن الفرنسية الى الموانئ الامريكية. كما اصدر رسائل تفوض القيام بأعمال القرصنة والانتقام (Latane, 1918, p. 202). وفي ذات السياق، اشترى وجهز اربعة سفن لممارسة القرصنة، بدأت العمل على الفور بأطقم بحرية امريكية بغرض الاستيلاء على السفن البريطانية المعادية. كما خطط لأرسال بعثات من المغامرين الامريكيين من جورجيا والكارولينيتين لمهاجمة فلوريدا ولويزيانا الاسبانية (Avery, 1910, p. 83). اذ اختار جورج روجر كلارك George Roger Clark(١٧٥٢-١٨١٨) للإشراف على تجنيد الانصار وقيادة القوات الشعبية لمهمة فتح المسيسبي امام حركة الملاحة لسكان كنتاكي؛ مستثمراً في هذا تعاطف سكان الغرب الامريكي مع الفرنسيين، ومقتهم للإسبان. حتى توقع جيفرسون في تموز ١٧٩٣ امكانية اندلاع حرب مع اسبانيا (Rines, 1915, p. 206).

وفي ظرف غير مواتٍ، فاتح غينت جيفرسون بموضوع الديون الفرنسية المستحقة على الولايات المتحدة الامريكية. اذ بين ان القرض الفرنسي البالغ (2.300000) دولار لايزال غير مسدد. زاعماً ان ظروف فرنسا الحالية توجب دفعه حتى في غير اوانه. وبأمل اقناع جيفرسون في مساعيه، فأنه اكد ان كل دولار من مبلغ القرض سينفق في السوق الامريكية لشراء الذخيرة (Avery, 1910, p. 85)؛ الامر الذي انكره جيفرسون بحجة عدم توفر الاموال اصلاً لدفع الدين، وخشية بلاده تفسير بريطانيا ذلك كخرق للحياد الامريكي. مؤكداً للسفير الفرنسي ان حديثه السابق بخصوص عقد معاهدة تجارية جديدة مع الفرنسيين لا يمكن البت به دون موافقة مجلس الشيوخ، الذي لن يجتمع الا بحلول نهاية السنة (Avery, 1910, p. 85).

اثارت تحركات غينت سفير بريطانيا في الولايات المتحدة جورج هاموند George Hammond (١٧٦٣-١٨٥٣). ففي الاول من ايار ١٧٩٣ اشتكى لجيفرسون من جهود السفير الفرنسي لشراء البنادق والذخيرة من السوق الامريكية وشحنها الى فرنسا. كما عبر عن استيائه من استيلاء قراصنة الفرقاطة الفرنسية امبوسكيت I,Embuscate على السفينة البريطانية كرانج Grange في المياه الامريكية، مطالباً ان يكون الحياد الامريكي اكثر وضوحاً (Channing, 1920, p. 130). لكن غينت لم يبالِ باحتجاجات نظيره البريطاني؛ زاعماً ان اعماله هذه لا تشكل خرقاً للسيادة الامريكية، مادامت تجيزها المعاهدات المعقودة بين البلدين. خصوصاً ما يتعلق منها بالحق في جلب غنائم العدو الى موانئ الدول الحليفة، وبيعها هناك (Ridpath, 1914, pp. 3468-3469).

لم تحظ تصرفات غينت بموافقة حكومة بلاده اصلاً. اذ ارسلت له في ٣١ تموز ١٧٩٣ ما يفيد سخطها ازاء ما قام به. مذكرتاً بأرساله الى الولايات المتحدة لكي يتعامل مع الحكومة وليس الشعب

الامريكي. مؤكدتاً بوجوب ان يكون ممثلاً عن الجمهورية الفرنسية وليس زعيم حزب امريكي معارض (Ridpath, 1914, p. 3471). مشددتاً بضرورة كسب ثقة السلطات الامريكية، لا ان يثير شكوكها. ومثلها ان يهتدي بالعقل والحكمة وليس بالحماس الزائف في تقرير توجهاته. كما اخُبر بوضوح ان خططه المزمعة ضد نيو أورلينز New Orleans وكندا غير عملية (Ridpath, 1914, p. 3472).

اجتمعت الكابينة الوزارية الامريكية في ١ اب ١٧٩٣ للتداول فيما يمكن عمله ازاء تصرفات السفير الفرنسي. اذ اقترح هاملتون نشر رسائله الرسمية كدعوة عامة للشعب الامريكي للتعريف بتصرفاته. في حين بيّن جيفرسون ان اراء غينت مضرة بمصالح بلاده وامريكا معاً؛ مبيناً ان نشر اراءه للرأي العام سوف يقوض ما تحظى به فرنسا من تعاطف لدى الامريكيين، وربما ستزيد نشاط المتشتطين منهم لمساندة كفاحه في سبيل قضية بلاده (Latane, 1918, p. 203). وفي ذات السياق، لم يختلف الامر كثيراً عند واشنطن، الذي بين في ٥ اب من العام ذاته انزعاجه من تصرفات السفير الفرنسي، مورداً " هل يحدد وزير الجمهورية الفرنسية اعمال هذه الحكومة في تحديه للحصانة، وبعدها يهدد السلطة التنفيذية بالاستعانة بالشعب ؟ وماذا سيظن العالم بهذا سلوك، وبحكومة الولايات المتحدة المستسلمة لطروحاته " (Thomas, American neutrality in 1793,a study in cabinet government ., 1967, p. 233) على اية حال، كان واشنطن على وشك طرد غينت لولا وصول ما يفيد استدعاءه من قبل حكومة بلاده على اثر تولي اليعاقبة شؤون الحكم في باريس. اذ ارسلوا سفيرهم البديل جين فاوجت Jean Fauchet (١٧٦١-١٨٣٤) بمعية تفويض بالقبض على غينت واعادته الى باريس؛ الامر الذي لم يحصل بنتيجة هروب الاخير وذهابه الى نيويورك للعيش فيها بقية العمر بعد زواجه من ابنة حاكم الولاية (Ellis, 1900, p. 614).

المبحث الثاني: اضطراب العلاقات الامريكية- الفرنسية

١-معاهدة جاي

اسهمت تطورات حروب الثورة الفرنسية في اذكاء الخلافات القديمة بين الامريكيين والبريطانيين. اذ عملت فرنسا على الاستيلاء على السفن المحايدة في مستهل ١٧٩٣، حتى انها اصدرت مرسوم في ٩ ايار من العام ذاته يدعم مصادرة بضائع السفن المحايدة بزعم استخدامها المحتمل في دعم المجهود الحربي البريطاني (Duane, 1809, p. 71).ومع ذلك ، لم يتأخر البريطانيون كثيراً، اذ استهلوا سياستهم الانتقامية بتفعيل قانون ١٧٥٦، الذي يحضر على المحايدين التجارة مع المستعمرات البريطانية خلال الحرب؛ الامر الذي اسفر عن اغلاق موانئ جزر الهند الغربية امام التجارة الامريكية في اذار من العام ذاته، كما منعوا الامريكيين من المتاجرة مع جزر الهند الغربية الفرنسية ١٧٩٣ (Ashley, 1907,

(240 .p. غير ان الامر تطور بشكل لافت في نهاية ١٧٩٣، عندما باشرت البحرية البريطانية التعرض للسفن الامريكية في اعالي البحار، وتفتيشها بزعم البحث عن البحارة البريطانيين الهاربين من الخدمة في التاج البريطاني؛ ثم اخذت بالاستيلاء على السفن الامريكية في جزر الانتيل Antilles (Ben-Atar, 1993, p. 138).

حاولت الحكومة الامريكية النأي بالبلاد عن التورط بالحرب مع بريطانيا مرة اخرى. اذ فرض الكونغرس الامريكي في اذار ١٧٩٤ حضراً على حركة الشحن في الموانئ الامريكية لثلاثين يوم، جرى تجديدها لاحقاً لشهر اخر. في حين ناقش مجلس النواب مشروع قانون يشترط عدم اقامة علاقات مع بريطانيا؛ لكنه فشل في استحصال موافقة مجلس الشيوخ بفارق صوات واحد (Ben-Atar, 1993, p. 138).

نشطت الدبلوماسية الامريكية كثيراً في الافادة من تعقيدات الاوضاع في اوروبا باعتبارها فرصة مواتية لترميم علاقاتها المتضررة مع بريطانيا، ومحاولة عقد معاهدة تجارية معها تسمح بتصدير فائض المنتوجات الامريكية (Blanchard, 1884, p. 34). اذ احاط الرئيس واشنطن مجلس الشيوخ في نيسان ١٧٩٤ برؤيته للحل ونيته تسمية جون جاي John Jay (١٧٤٥-١٨٢٩) كمبعوث لبريطانيا لإيصال رسالة للبريطانيين بنهاية عهد المناكفة، والى العالم الجديد مفادها ان الولايات المتحدة الامريكية اخذت تنمي مصالحها حتى مع مستبديها السابقين (Hart, 1905, p. 25).

اجرى جاي مباحثات مستفيضة مع البريطانيين اسفرت عن توقيع معاهدة للصداقة والتجارة في ١٩ تشرين الثاني ١٧٩٤، والتي عرفت تاريخياً بمعاهدة جاي (Hart, 1905, p. 251). اذ ضمنت المعاهدة الجديدة حرية النشاط التجاري بين الامريكيين والبريطانيين في اوروبا وجزر الهند الغربية. وتخلي بريطانيا عن مراكز تجارة الفراء بحلول الاول من حزيران ١٧٩٦، مقابل موافقة الولايات المتحدة على دفع ديون الموالين Loyalists لبريطانيا ابان حرب الاستقلال، كما احتفظت لنفسها بحق البحث والتفتيش عن الهاربين من الخدمة في الجيش (Muzzey, 1911, p. 197).

سبب توقيع المعاهدة خلافات داخلية حادة في الولايات المتحدة. اذ تمكنت المعارضة الجمهورية من اثارة الرأي العام الامريكي حال علمها ببنود المعاهدة في اذار ١٧٩٥. اذ التمسوا زملائهم في مجلس الشيوخ عدم التصديق عليها بزعم خرقها شروط المعاهدات السابقة مع الفرنسيين، وفشل المعاهدة الجديدة في التعامل مع العديد من القضايا التي تمس المصالح الامريكية. يضاف الى ذلك، عدم ضمانها حقوق امريكا في الحياد البحري (Stathis, 2009, p. 47). حتى اخذت تجمعات الناس بالظهور في مدن البلاد الرئيسة تندد بتوقيع المعاهدة وبسياسات الفيدراليين عموما؛ فيما عبر بعض المتظاهرين عن استياءهم بحرق دمى تمثل جاي في العاصمة بنسلفانيا، وتعالت صيحات الاستهجان بحق واشنطن

ايضاً، الذي وصف النعوت بحقه" لم يوصف بها حتى عبد او سارق جيوب" (Scott, 1909, p. 247).

عقد مجلس الشيوخ مداولات سرية استمرت عدة ايام للمصادقة على بنود المعاهدة، انتهت بالمصادقة عليها في ٢٤ حزيران ١٧٩٥ بأغلبية الثلثين؛ بعد استبعاد المادة الثانية عشرة من المعاهدة، التي وضعت قيوداً على مقدار حمولات السفن الامريكية، وحضر تصدير المولاس، والسكر، والقهوة وغيرها لمدة اثنتي عشر سنة (Lamplugh, 1986, p. 127). اما بالنسبة لمجلس النواب، فقد عمد واشنطن تأخير تقديم المعاهدة للمصادقة ريثما تهدأ موجة الاحتجاج التي اجتاحت البلاد. الامر الذي تكلل في النهاية بنيل المعاهدة المصادقة المطلوبة في ٣٠ نيسان ١٧٩٦ بأغلبية ٥١-٤٧. (Lossing, 1892, p. 713).

لم يطرأ وافر من التحسن على العلاقات الامريكية-الفرنسية، بسبب تعقيدات المشهد السياسي الاوربي، واعتقاد الفرنسيين بتغير بندول المصالح الامريكية نحو بريطانيا؛ يضاف الى ذلك عجز السفراء الامريكيين المتعاقبين في باريس عن ايجاد مقاربة تضيق الفجوة بين البلدين، وتفضي الى تهدئة هواجس الفرنسيين من تطورات العلاقة الامريكية مع بريطانيا (Elson, 1904, pp. 359-360). وبرغم ذلك، اقدمت الولايات المتحدة على تعيين جيمس مونرو James Monroe (١٧٥٨-١٨٣١) سفيراً جديداً لدى باريس بأمل ازالة الشكوك الفرنسية فيما له علاقة ببعثة جاي، والاحتجاج ضد عمليات الاستيلاء المتكررة التي تقوم بها البحرية الفرنسية للبضائع الامريكية في اعالي البحار. فضلاً عن حث فرنسا على الطلب الى اسبانيا بالسماح بحرية الملاحة في المسيسبي (McMaster, A History of the People of the United States,from the Revolution to the Civil War,vol.II, 1885, p. 589).

وعلى الرغم من انسجامه والتوجهات الثورية في فرنسا، الا ان مونرو لم يحقق ادنى تقدم في تحسين علاقات بلاده مع فرنسا. اذ استمرت الادارة الفرنسية في التذمر من خرق الولايات المتحدة لبنود معاهدتي ١٧٧٨ والاتفاقية القنصلية، وكذلك ممارسة التمييز ضد فرنسا بموجب احدى بنود معاهدة جاي المتعلقة بالتهريب (Foley, 1900, p. 589). مما أجبر الرئيس واشنطن على استدعاء مونرو" لسلوكه غير الحكيم في الانحياز لقوى التغيير الفاعلة في الساحة الفرنسية". لاسيما عندما القى خطاباً مليئاً بالحماس في المؤتمر الوطني الفرنسي، جاعلاً علم امريكا بوضع عناق مع العلم الفرنسي؛ في مشهد افقده مهمته الرسمية التي انتدب لأجلها (Boller, 1996, pp. 50-51). على اية حال، سبب استدعاء مونرو انزعاج الفرنسيين. اذ اقدموا على سحب سفيرهم بيير ادت Pierre Adet (1763-1834) ؛ رافضين استقبال اية سفير امريكي جديد مالم يتم الالتزام ببنود المعاهدات السابقة، وتعويض فرنسا عن خسائرها بأثر ذلك (Fanelli, 2001, p. 79). فيما اقدمت الادارة الفرنسية على تصعيد

جديد عندما فعّلت مراسيم سابقة اضرت بالتجارة الامريكية في اعالي البحار؛ اذ اعلنت عزمها الاستيلاء على السفن والبضائع الامريكي التي تمتنع عن تقديم التصاريح الخاصة بالحمولة ووجهة السفر. مؤكدتاً الاستيلاء على اكثر من ثلاثمائة سفينة تجارية امريكية منذ ١٧٩٦ (Munsart, 2025, p. 143).

حاول الرئيس واشنطن تلافي أثر المراسيم الفرنسية على سير علاقات بلاده مع فرنسا. اذ قرر تعيين بنكني Pinckney (١٧٤٦-١٨٢٥) في نهاية ١٧٩٦ سفير جديد لدى باريس في مسعى لتطوير العلاقات بين البلدين؛ غير ان فرنسا رفضت استقبال الاخير. بل أمرته في ٨ شباط ١٧٩٧ ان يكون خارج فرنسا بطريقة غير منسجمة والتقاليد الدبلوماسية (Wilson, 1928, p. 79).

٢- قضية الرشوة والصدام البحري

باشر الرئيس آدمز فترته الرئاسية بمحاولة لتحسين علاقات بلاده مع فرنسا. اذ اوفد الى باريس بعثة دبلوماسية جديدة في ٤ تشرين الاول ١٧٩٧ تألفت من جون مارشالJohn Marshall(١٧٥٥-١٨٣٥)، البرج جيري Elbridge Gerry (١٧٤٤-١٨١٤)، فضلاً عن بنكني (E.Rines, 1909, p. 96)؛ غير ان الامر لم يسر وفق ما خطط له آدمز. اذ تملص وزير خارجية فرنسا تاليران Talleyrand (١٧٥٤-١٨٣٨) من لقاء الوفد الامريكي بزعم انتظاره اعداد تقرير عن الاوضاع في امريكا. تلى ذلك ثلاثة أشهر من صمت حكومي وتجاهل لمهمة الدبلوماسيين الامريكيين (Zahniser, 2014, p. 167). غير ان الامر قد تغير مع تواصل ثلاثة وكلاء غير رسميين لوزير الخارجية الفرنسي مع الوفد الامريكي. حيث اقترحوا العمل على تسهيل مهمة الوفد وتحقيق اهدافه، مقابل دفع (رشوة) لتاليران قدرها 250.000 دولار، وتقديم قرض حكومي لفرنسا، فضلاً عن تعويض مالي نظير قيام آدمز بانتقاد فرنسا في خطابه امام الكونغرس في ١٥ ايار١٧٩٧ (Zahniser, 2014, p. 167). الامر الذي رفضه الامريكيون، حيث غادر اثنان منهم في ١٨ اذار ١٧٩٨، بعد ان تيقنا من صعوبة التوصل الى تسوية مع الفرنسيين، ولم يتبقى سوى جيري لتمثيل بلاده هناك (Perkins, 1967, p. 93).

احدثت اخبار فشل بعثة جون مارشال- فيما يعرف تاريخياً بقضية اكس واي زت- انعطافاً حاسماً في مسار العلاقة مع فرنسا. اذ بعث الرئيس آدمز برسالة احاطة الى الكونغرس في ٢١ حزيران ١٧٩٨، اكد فيها " انه سوف لن يرسل وزير اخر الى فرنسا بدون ضمانات بأنه سوف يستقبل ويحترم ويتم التشرف به كممثل لدولة عظيمة، حرة، قوية، ومستقلة" (Parker, 1908, pp. 129-130). وفي ذات السياق، حصل الفيدراليون على الاغلبية في مجلسيّ الكونغرس؛ وبما أهلهم لتولي الاستعدادات اللازمة لاندلاع الحرب مع فرنسا من قبيل الاعلان عن تأسيس البحرية الامريكية في نيسان من العام ذاته، وافراد التخصيصات المالية اللازمة لشراء عدد من السفن وتجهيزها. فضلاً عن انفاق مليوني دولار من

اجل زيادة افراد القوات البرية والبحرية. كما تم الاعلان عن تعيين جورج واشنطن قائداً للجيش وهاملتون نائب له (Howland, 1877, pp. 475-476).

وعلى الرغم من عدم اعلان الحرب بشكل رسمي بين البلدين. الا ان المناوشات البحرية كانت جارية على قدم وساق في اعالي البحار منذ اكثر من عام؛ زاد من حماس الانخراط فيها تعالي شعارات الفيدراليين في الكونغرس وتصميمهم على انفاق" الملايين من اجل الدفاع، لكن ولا سنت واحد من اجل الجزية" (W.H.F.Henry, 1884, p. 188).على اية حال، ابدى النائب الفيدرالي ادوارد لفنكستون Livingstone Edward (1764-1836) استغرابه من انتظار تصويت الكونغرس على اعلان الحرب مادامت البحرية الامريكية منخرطة اصلاً في الاعمال القتالية. فيما بيّن النائب العام الامريكي جارلس لي Charles Lee (١٧٥٨-١٨١٥) بأن الصراع البحري القائم" لم يكن مجرد مناوشات عسكرية عارضة، بل حرب بحرية قائمة باعتراف الدولتين" . (Fisher, 2004, p. 24).

خاضت البحرية الامريكية المكونة من اربع وثلاثين فرقاطة، وعدد من الطرادات والسفن الحربية، فضلاً عن سفن القراصنة نشاطاً مسلحاً لتمشيط المياه البحرية المحيطة بجزر الهند الغربية الفرنسية. بقصد تدمير التجارة الفرنسية هناك، والاستيلاء على السفن الفرنسية في البحر الكاريبي (McMaster, A History of the People of the United States,from the Revolution to the Civil War,vol.II, 1885, p. 213). ولعل افضل ما يذكر في هذا المنحى، استيلاء السفينة الحربية كونستليشن Constelation على نظيرتها الفرنسية انسيرجنت Insurgente في ٩ شباط بعد قتال ضارٍ لأكثر من ساعة (Bradford, 2003, p. 34). فيما سقطت الفرقاطة الفرنسية فجينس Vegeance في الأسر لولا تمكن قبطانها من السير بها وتوجيهها بعيداً عن المواجهة. وذات الشي يمكن قوله عن استيلاء السفينة الامريكية بوسطن Boston على السفينة الحربية الفرنسية بيريو Bereau فضلاً عن تمكن السفينة الامريكية انتربرايس Enterprise من أسر ثمانية قراصنة فرنسيين، وتحرير اربعة بحاره امريكيين كانوا بحوزتهم في اعالي البحار (Bradford, 2003, p. 34).

المبحث الثالث: تبعات النزاع

١-قوانين الاستعداد للحرب

ساهمت احاطة الرئيس آدمز للكونغرس في ١٦ ايار ١٧٩٧ بضرورة اتخاذ التدابير اللازمة للاستعداد للحرب ضد فرنسا، في تصميم الغالبية الفيدرالية في الكونغرس على اقرار بعض القوانين بغرض حشد الجبهة الداخلية، وتقليل ما امكن من تأثير المعارضة الجمهورية في تأجيج الرأي العام المناهض لسياسات الفيدراليين عموماً (M.Trautsch, 2018, p. 159). وفي هذا السياق، نجح

الكونغرس في تمرير قانون التجنيس Naturalization Act في ١٨ حزيران ١٧٩٨، بقصد الحد من منح الجنسية الامريكية لذوي التوجهات المعارضة؛ لاسيما من تأثروا بأفكار الجمعيات الديمقراطية. اذ اشترط القانون الجديد حصول المقيم في الولايات المتحدة على وثيقة الجنسية الامريكية بعد اقامته في البلاد اربع عشر سنة بدل خمس سنوات (Proter, 1918, p. 44).

وفي مسعى اخر للحد من نشاط كُتاب الصحف ومحرريها من ذوي الافكار الراديكالية، فقد مرر الكونغرس قانون الاجانب Alien Act في ٢٥ حزيران من ذات العام. اذ مُنح الرئيس بموجبه التفويض اللازم لطرد الاجانب ممن وصفهم القانون ب" الخطرين على سلام وامن الولايات المتحدة " (Jones, 1901, p. 811). وفي٦ تموز، مرر الكونغرس قانون اخر باسم قانون الاعداء الاجانب Alien Enemies Act، أُريد به التضييق على الاجانب. اذ سمح القانون الجديد باعتقال وسجن وترحيل الاجانب العائدين لحكومة معادية؛ ممن تزيد اعمارهم عن اربعة عشر عاما، والمقيمين في الولايات المتحدة بدون الحصول على الجنسية الامريكية (Cook, 1882, p. 13).

استهدف الكونغرس في قانون آخر ناشطيّ الجمعيات الديمقراطية، ومحرري صحف المعارضة الجمهورية. اذ مرر في ١٤ تموز ١٧٩٨ قانون التحريض Sedition Act، بقصد الحد من " نشر الكتابات الزائفة والخبيثة ". اذ عُد نشاط هؤلاء مخالفة قانونية واضحة " ما داموا يتعاونون ويتأمرون بقصد معارضة أيّ قوانين لحكومة الولايات المتحدة او ايّ من مجلسيّ الكونغريس او الرئيس، بقصد تشويه السمعة والازدراء" (Jones, 1901, p. 811). على اية حال، أسهمت هذه القوانين على الرغم من عدم تنفيذ اشتراطاتها بشكل دقيق، في اثارة الرأي العام ضد الفيدراليين وسياساتهم المناهضة للحقوق والحريات التي اندلعت من اجلها الثورة الامريكية (I.Urofsky, 2000, p. 32).

تكاملت توجهات الكونغرس مع قرارات الرئيس آدمز. اذ وافق في ١٦ تموز١٧٩٨ على طلب الاخير تفويضه لاستدانة قرض حكومي بقيمة خمسة ملايين دولار دعماً للمجهود الحربي (Bayley, 1882, p. 44). وفي ذات المسعى، مرر الكونغرس قانون جديد يستهدف جمع مليوني دولار عن طريق فرض ضريبة مباشرة على الاراضي الزراعية والبيوت والعبيد في٩ تموز١٧٩٨؛ مما تسبب في اثارة استياء قطاع واسع من مواطني الولايات المتحدة ،لاسيما في ولاية بنسلفانيا (Snow, 1882, p. 47).

٢-قرارات كنتاكي وفرجينيا

حاولت المعارضة الجمهورية الافادة من اخطاء الفيدراليين(الفادحة) في ادارة الجهد الحكومي للإيفاء بمتطلبات الحرب المحتملة مع الفرنسيين. اذ عملوا على تقوية تنظيمهم الحزبي لاسيما في الجنوب والغرب الامريكي (Wood, 2009, p. 668). ولعل اهم الوسائل المستخدمة في هذا المنحى،

هي الاحتجاجات التي تولتها الهيئتان التشريعيتان في كنتاكي وفرجينيا بصيغة قرارات نيابية في الربع الاخير من سنة ١٧٩٨(Ashley, 1907, p. 245).

قدم النائب عن ولاية كنتاكي جون بريكنرج John Breckinridge (١٧٦٠-١٨٠٦) مجموعة من القرارات الى الهيئة التشريعية للولاية في ٨ تشرين الثاني ١٧٩٨، كان قد صاغها جيفرسون، بغية تكوين رأي نيابي جامع لرفض قرارات الكونغرس المتعلقة بالأجانب والتحريض (Channing, 1920, p. 225). على اية حال، بينت احدى قرارات كنتاكي رفضها لقوانين الكونغرس الاخيرة بزعم انتهاكها سلطات الولاية، لاسيما " ان الولايات العديدة التي كونت الولايات المتحدة لم تؤلف وفق مبدأ الخضوع غير المحدد للحكومة العامة. بل بموجب ميثاق [الدستور]... وحيثما تتولى الحكومة العامة سلطات غير مفوضة لها، فأن قوانينها غير موثوقة وباطلة، وليس لها قوة القانون... وان لكل ولاية الحق في ان تحكم بما تراه لصالحها" (Macdonald, 1916, p. 268).

لم تختلف قوانين فرجينيا عن قوانين كنتاكي في التعبير عن الاستياء من قوانين الكونغرس الاخيرة؛ الا انها كانت اقل حدة في اسلوبها. على اية حال، قدم النائب جون تايلور John Taylor (١٧٥٣-١٨٢٤) مجموعة من القوانين الى الهيئة التشريعية للولاية في ١٣ كانون الاول من ذات العام؛ اعدها مادسون Madison (١٧٥١-١٨٣٦)، شكلت احتجاجاً على القوانين سالفة الذكر، باعتبارها " انتهاكات للدستور واضحة ومثيرة للقلق ". ومهما يكن من الامر، فقد خضعت هذه القوانين لنقاشات مستفيضة، انتهت بتبنيها في ٢١ كانون الاول ١٧٩٨ (Macdonald, 1916, p. 267).

ان التمعن في سياق هذه القرارات يكشف تمسكها ببنود الدستور الامريكي وتعديلاته. وبما يجعل من مادتها غير ذات اهمية جوهرية بالنسبة للولايات الوسطى والشمالية؛ الامر الذي لم يمنحها قبول تلكم الهيئات التشريعية، بل عدتها خروجاً عن ثوابت الاتحاد الفيدرالي (Clare, 1909, p. 4000). ويظهر ان الردود السلبية لولايات نيوهامشاير New Hamshire، فيرمونت Vermont، رودايلاند Rode Island، كونيكتكت Connecticut، نيويورك New York ، ديلاوير Delaware على قوانين فرجينيا كان مادة لاجتماعات الهيئة التشريعية لفرجينيا، والتي اصدرت قراراً جديداً في ٧ كانون الثاني ١٨٠٠. بينت فيه" ان هذه الولاية تعتبر الاتحاد الفيدرالي وفقاً للميثاق [الدستور] مؤدياً لحرية وسعادة الولايات....ولكونها ذات سيادة ومستقلة؛ فأن لها حق غير منقوص لأن تحكم بما تراه غير منسجم واحكام الدستور" (Macdonald, 1916, p. 278).

ان محاولة بعض الكتاب تفسير قرارات كنتاكي وفرجينيا على انها محاولة مدبرة لفك عرى الاتحاد تعوزها الموضوعية في الطرح، وقد لا تكون صائبة ايضاً. اذ لم يرد في تلكم القرارات ما يشير الى ذلك لا من قريب او بعيد. والرأي السليم في تفسير اصدار القرارات، هو ان جيفرسون ومادسون كانا يريدان

وضع مواد الدستور امام الناس بأسلوب واضح غير مبهم؛ بغية تغيير مزاج الرأي العام وتعديل مواقفهم ازاء سياسات الفيدراليين المناهضة للحقوق الدستورية للمواطنين؛ وبما يستتبع كسر الانقياد للفيدراليين وتغيير اغلبيتهم في الكونغرس لإحداث التغيير المطلوب (Channing, A Students' History of the United States , 1913, p. 255).

٣-معاهدة الصداقة مع فرنسا

اسهمت الحروب النابليونية وتعقد جبهات الحرب مع بريطانيا بعد صعوبات فرنسا اثناء احتلال مصر ١٧٩٨ في حمل نابليون Napoleon (١٧٦٩-١٨٢١) على اعادة النظر في مجمل العلاقات المضطربة مع الولايات المتحدة؛ لعدم حاجة فرنسا لكسب اعداء جدد، ورغبتها في استعادة علاقاتها التجارية في العالم الجديد دون مشاكل مع الولايات المتحدة (Epstein, 1994, p. 16). ومهما يكن من الامر، فقد بعث تاليران في ٢٨ ايلول 1798 رسالة الى الوزير الامريكي موري Vans Murray (١٧٦٠-١٨٠٣) في لاهايHague، تفيد استعداد فرنسا لاستقبال سفير امريكي جديد (Steiner, 1907, p. 371).

اسرع الرئيس آدمز لتوظيف الاشارات الايجابية الفرنسية لجلب السلام والاستقرار لبلده. اذ عين موري في ١٨ شباط ١٧٩٩ كوزير امريكي مفوض لدى باريس (Moran, 1904, p. 326). الامر الذي لم يحظى بموافقة مجلس الشيوخ بزعم عدم وجود مبرر لذلك؛ غير ان الموقف قد تغير بانضمام اوليفر السويرث Oliver Ellsworth (١٧٤٥-١٨٠٧)، وليم دافي William R. Davie (١٧٥٦-١٨٢٠) الى الوزير موري نحو الموافقة (Howland, 1877, p. 476).

اجرى المبعوثون الامريكيون مباحثات طويلة مع الفرنسيين بقيادة جوزيف بونابرت Joseph Bonaparte(١٧٦٨-١٨٤٤). وحظيّ الوفد اثناءها بلقاء القنصل بونابرت في ٨ اذار ١٨٠٠، في اشارة لاهتمام فرنسا بالوفد الدبلوماسي الجديد (Moore, American Diplomacy ,its Spirit and achievements, 1905, p. 68).على اية حال، امتنع الفرنسيون عن تعويض الممتلكات الامريكية التي استولت عليها البحرية والقراصنة الفرنسيين. كما رفضوا التخلي عن معاهدة ١٧٧٨؛ حتى تم الاتفاق على بحث هذين الموضوعين في مفاوضات لاحقة بغية الاسراع في توقيع المعاهدة. اذ يبدو ان الحاجة الماسة قد أملت على البلدين اسراع الخطى لتسوية الملفات العالقة. حتى تكللت المباحثات بتوقيع اتفاقية مورتيفونتين Mortefontaine بالأحرف الاولى في ٣٠ ايلول١٨٠٠ (Kaplan, 1987, p. 107).

لم تحظ المعاهدة الجديدة بمصادقة مجلس الشيوخ الامريكي. مما فتح الباب امام مفاوضات جديدة، اسفرت عن موافقة الولايات المتحدة عن التخلي عن مطالبها بالتعويضات، مقابل موافقة نابليون

على ابطال التزامات معاهدة ١٧٧٨. كما اتفق الطرفان ايضاً على دفع الديون المستحقة لدى كل طرف، واعادة السفن التجارية غير المدانة في المحاكم البحرية لكل بلد الى اصحابها الشرعيين. واخيراً تمتع كل بلد بالأفضلية التجارية لدى البلد الاخر (Channing, A History of the United States ,vol.IV Federlaists and Republicans 1789-1815, 1920, p. 207).

٤-انتخابات ١٨٠٠

اسهمت ظروف الواقع الاقتصادي والسياسي للداخل الامريكي بالتأثير على السباق الانتخابي للرئاسة الامريكية ١٨٠٠. اذ لم يتمكن آدمز خلال فترته الرئاسية من اضافة شيء جديد الى شعبيته المتواضعة على غرار سلفه واشنطن. يضاف الى ذلك، اخطاءه بالاحتفاظ بكابينة الاخير الوزارية. والتي اقصى منها معارضيه في التوجهات السياسية؛ حتى اخذ الخلاف يتوسع مع هاملتون على خلفية تحمل المسؤولية في اصدار قوانين ١٧٩٨، والضرائب الكثيرة وما سببته من تداعيات (Ashley, 1907, pp. 246-247).

خاض الفيدراليون الانتخابات الامريكية وهم على اشد ما يكونوا عليه من الضعف والانقسام وتدني الشعبية بين صفوف الناخبين. صحيح ان آدمز قد أنقذ البلاد من حرب كارثية مع فرنسا، لكنه اساء بشدة لقادة الحزب الفيدرالي من حيث التسبب في خسارتهم للقاعدة الشعبية في التأييد (Gay, 1881, p. 143). على الضد من الجمهوريين، الذين كانوا اكثر تنظيماً ووعياً؛ اذ طلبوا من ناخبيهم التصويت وفقاً للتعليمات الحزبية، وليس طبقاً لآرائهم الشخصية. على اية حال، ترشح آدمز لمنصب الرئيس وبنكني نائب له. فيما طرحت المعارضة جيفرسون كمرشح للرئاسة، وارون بور Aaron Burr(١٧٥٦-١٨٣٦) لمنصب النائب. (Landon, 1900, p. 156).

وعلى الرغم من الادعاءات التي تحدثت عن تفوق المعارضة في الانتخابات وافتقارها الى التنافس الحقيقي. إلا نتائجها المتقاربة لم تعكس الانتصار الساحق الذي روج له الجمهوريون. اذ فاز جيفرسون ونائبة ٧٣ صوت لكل منهما. بينما حصل آدمز على ٦٥ صوت، وبنكني على ٦٤؛ وبما اجبر مجلس النواب على توسل التصويت وفق الولايات لحسم منصب الرئيس، اذ فاز جيفرسون في ١٧ شباط ١٨٠١، بعد ان صوتت له عشر ولايات، فيما حصل منافسه بور على اربع ولايات. لتبدأ صفحة جديدة من السياسات الحكومية المغايرة (Hopkins, 1900, p. 20).

الخلاصة:

- اسهمت معاهدة جاي في ترسيخ السلام مع بريطانيا، لكنها تسببت في اندلاع نزاع بحري مع فرنسا، أضرّ بالبلاد وتسبب في تداعيات اقتصادية وسياسية كثيرة؛ كان يمكن تلافيها بمسك العصا من الوسط دون ترجيح بلد على اخر.
- ساعد النزاع في الالتفات الى حاجة الولايات المتحدة الى انشاء قوة بحرية، تؤمن مصالح البلاد الاقتصادية وتفي بحاجاتها الدفاعية. لاسيما مع ازدهار علاقاتها الاقتصادية مع بلدان اوروبا، وحاجة الشحن الامريكي للحماية من هجمات القراصنة في البحر الكاريبي والبحر المتوسط .
- تسببت الاجراءات الحكومية التي ارتبطت بالنزاع، فيما له علاقة بتشريع قوانين الاجانب، والتحريض، والضرائب في اثارة استياء الرأي العام الامريكي؛ ومنح المعارضة الجمهورية الفرصة السانحة لتغيير نمطية سيطرة الفيدراليين على شؤون الحكم. وافضى في النهاية الى تسلم المعارضة الحكم بزعامة جيفرسون.
- لم يكن حياد الولايات المتحدة المعلن في١٧٩٣ حقيقياً. بل كان مناورة ذكية، وتنصل واضح ومقصود عن بنود التحالف مع فرنسا؛ جاء بصيغة وثيقة سياسية من طرف واحد، أملتها مصالح امريكا الآنية دون الالتفات لمصالح حليفهم القديم.
- اسهم عنف وفوضى الثورة الفرنسية في عصر الارهاب. وقبله سوء تدبير السفير الفرنسي غينت، في اعادة النظر بجدوى استمرار التحالف مع الثوريين الجدد؛ لاسيما بعد ان اخذ يتسبب بمشاكل خطيرة مع بريطانيا.
- لم يكن النزاع الامريكي–الفرنسي ذا دلالة عسكرية حقيقية كما يروج له الكتاب الامريكيون. بل صراع مصالح أشرّ انبثاق قطب جديد في السياسة الدولية. لا يبالي بالأحقاد ضد البريطانيين، ولا بالحماس للفرنسيين بقدر ما تفرضه مصالح البلاد من تبني توجهات سياسية خارجية وبرامج اقتصادية داخلية.

المصادر:

- Albert Bushnell Hart .(١٩٠٥) .*Essentials in American History (from the Discovery to the Present Day)* . New York: American Book company
- Albert J. Beveridge .(١٩١٦) .*The Life of John Marshal,l vol.I and II1755-1801* . Boston: Houghton Mifflin company.
- Alexander DeConde .(١٩٧١) .*A History of American Foreign Policy* .New York: Scribner publications.
- Beckles Wilson .(١٩٢٨) .*America's Ambassadors to France (1777-1927),A narrative of Franco-American Diplomatic Relations* .New York: published by J. Murray.

- Benson J. Lossing .(١٨٩٢) .*Harper's Popular Cyclopedia of United States , History from the Aboriginal period,vol.1* .New York: Harper and Brothers publishers.
- Bernard Christian Steiner .(١٩٠٧) .*The Life and Corresondence of James McHenry* . Cleveland: The Burrows Brothers company.
- Bradford Perkins .(١٩٦٧) .*The First Repprochement ,England and the United States 1795-1805* .Los Angeles: University of California press.
- Carl Russell Fish .(١٩١٦) .*American Diplomacy* . New York: Henry Holt and company.
- Carlton J. Hayes .(١٩١٦) .*A Political and Social History of Modern Europe ,vol.1* .New York: The Macmillan company.
- Charles A. Beard .(١٩١٤) .*American Government and Politics* .New York: The Macmillan Company.
- Charles Marion Thomas .(١٩٦٧) .*American neutrality in 1793, a Study in cabinet government* . New York: Ams press.
- David Saville Muzzey .(١٩١١) .*An American History* . New York: Gim and Company.
- Doron S. Ben-Atar .(١٩٩٣) .*The Origins of Jeffersonian Commercial Policy and Diplomacy* . London : Macmillan press Ltd.
- Dorothy Twohig .(١٩٨٧) .*The Papers of George Washington: 1 June 31August 1793* . New York : University press of Virginia.
- Edward Channing .(١٩١٣) .*A Students' History of the United States* . New York: The Macmillan company.
- Edward Channing .(١٩٢٠) .*A History of the United States ,vol.IV Federlaists and Republicans 1789-1815* .New York : The Macmillan company.
- Edward Howland .(١٨٧٧) .*Annals of North Amewrica ,Being A Concise Account of the Important events in the United States,The British Provines and Mexico,from their Discovery down to the Present time .(١٨٧٧-١٤٩٢)* Hatford: The J.B.Burr publishing company.
- Edward S. Ellis .(١٩٠٠) .*The History of Our Country from Discovery of America to the Present time ,vol.3* .New York: The R.H. Whitten company.
- Edwin Wiley and Irving E. Rines .(١٩١٢) .*The UNited States ,its Beginning ,Progress,and Modern Development ,vol.IV* .New York: American Educational Alliance.
- Edwin Wiley and Irving E. Rines .(١٩١٥) .*Lectures of the Growth and Development of the United States* .Washington D.C.: American Educational Alliance.
- Edwin Wiley and Irving E.Rines .(١٩٠٩) .*The United States ,vol.III* .New York: American Educational Alliance.
- Elroy McKendree Avery .(١٩١٠) .*A History of the United States and its People,from their earliest records to the present time,vol.VII* . Cleveland: The Burrows Brothers company.

- Frank Gaylord Cook .(١٨٨٢) .*Notes on History, The Constitutional History of the United States* .Cambirdge: W.R .Wheeler printing.
- Freeman Snow .(١٨٨٢) .*A Guide to the study of the Constiturtional and Political History of the United States 1789-1860* .Cambirdge : W.H.Wheeler publisher and printer.
- French Ensor Chadwick .(١٩٠٩) .*The Relations of The United States and Spain Diplomacy* . New York: Charles Scribner's sons.
- George French .(١٩١١) .*New England what it is and what it is to be* .Boston: Boston Chamber of Commerce.
- George H. Blakeslee and G.Stanley Hall .(١٩١٧) .*The Journal of Race Development,vol.7* .Baltimore: The Waverly press.
- George R. Lamplugh .(١٩٨٦) .*Politics on the Periphery Factions and Parties in Georgia 1783-1806* .London: Associated University press.
- Gordon S. Wood .(٢٠٠٩) .*A History of the Early Republic 1789-1815* .Oxford : Oxford University press.
- Graig A. Munsart .(٢٠٢٥) .*Military Captives in the United States , A History from the Revolution through the World War II* . Jefferson- North Carolina: McFarland and Company ,Inc. publishers.
- Greg H. Williams .(٢٠٠٩) .*The French Assault on American Shipping 1793-1813, A History and Comrehensive Record of Merchant Marine Losses* . Jefferson-North Carolina: McFarland and Company ,Inc. publishers.
- H.W.Hodges .(١٩١٩) .*A Survey of Modern History* . London: Blackie and Son Limited.
- Hamilton Fish .(١٨٧٣) .*Treaties and Conventions concluded between the United States of America and other Powers since July 4 1776* .Washington: Government printing office.
- Henry William Elson .(١٩٠٤) .*History of the United States of America* . New York: The Macmillan Company.
- Horace E. Scudder .(١٨٩٧) .*A History of the United States of America with an Introduction Narrating the Discovery and Settlement of North America* .New York: Bulter,Sheldon,and company.
- Horace E. Scudder .(١٨٩٧) .*A History of the United States of America with an Introduction Narrating the Discovery and Settlement of Nort h America* .New York: Bulter ,Sheldon ,and company.
- Isreal Smith Clare .(١٩٠٩) .*Illustrated History of All Nations,vol.XIII* . NewYork: The Christian Herald.
- J.W.Buel J. Franklin Jameson .(١٩٠١) .*Encyclopedia Dictionary of American Reference* .New York: American History Society.
- James Brown Scott .(١٩٠٩) .*The Hague Peace Conference of 1899 and 1907,A Series of Lectures Delivered before the Johns Hopkins University in the year 1908,vol.1* . Baltimore: John Hopkins University press.
- James C. Bradford .(٢٠٠٣) .*Atlas of American Military History* .Oxford: Oxford University press.

- James H. Hopkins .(١٩٠٠) .*A History of Political Parties in the United States .* New York: G.P.Putnam's Sons.
- Janet Polasky .(٢٠١٥) .*Revolutions without Borders ,the call to liberty in the Atlantic World* .New Haven: Yale University press.
- Jasper M.Trautsch .(٢٠١٨) .*The Genesis of America.U.S. Foreign Policy and the Formation of National Identity 1793-1815 .* Cambirdge: Cambirdge University press.
- John Bach McMaster .(١٨٨٥) .*A History of the People of the United States,from the Revolution to the Civil War,vol.II* .New York: D. Apploton and Company.
- John Bach McMaster .(١٩٠٧) .*A Brief History of the United States* .California : W.W.Shannon,Supt.State printing.
- John Bassett Moore .(١٨٩٨) .*History and Digest of the International Arbitrations to which the United States has been a party* .Washington: Government printing office.
- John Bassett Moore .(١٩٠٥) .*American Diplomacy ,its Spirit and achievements .* New York: Harper and Brothers publishers.
- John Clark Ridpath .(١٩١٤) .*The New Complete History of the United States of America,vol.VII* .Chicago: The Jones Brothers publishing co.
- John Holladay Latane .(١٩١٨) .*A History of the United States .* New York : Allyn and Bacon.
- John P. Foley .(١٩٠٠) .*The Jefferson Cyclopedia, A Comprehensive Collection of the views of Thomas Jefferson* .New York: Funk and Wagnalls company.
- John Spencer Bassett .(١٩٠٧) .*The Federalist System 1789-1801,vol.II* .New York: Harper and Brothers publishers.
- Joseph Klaits and Michael H. Haltzel .(٢٠٠٢) .*The Global Ramifications of the French Revolution* .Cambirdge : Woodrow Wilson Center press and Cambirdge University press.
- Judson S. Landon .(١٩٠٠) .*The Constiturtional History and Govermen of the United States* .Boston: Houghton ,Mifflin and company.
- Karie Diethorn and Dores Fanelli .(٢٠٠١) .*History of the Portrait Collection ,Independence National Historical Park .* Philadelphia: American Philosophical Society.
- Kirk H. Proter .(١٩١٨) .*A History of Suffrage in the United State .* Chicago: The University of Chicago press.
- Laura Charlotte Sheldon .(١٩٠٠) .*France and the American Revolution 1763-1778* .New York: Andrus and Church Ithaca.
- Lawrence B.Evans .(١٩٠٨) .*Writings of George Washington* .New York: G.P.Putnam's Sons.
- Lawrence S. Kaplan .(١٩٨٧) .*Entangling Alliances with None ,American foreign policy in the age of Jefferson* .Kent: The Kent state University press.
- Linda Frey and Marsha Frey .(٢٠١٨) .*The Culture of French Revolutionary Diplomacy in the face of Europe .* Cham: Palgave macmillan.

- Louis Fisher .(٢٠٠٤) .*Presidential War Power .* Lawrence: University press of Kansas.
- Marvin R. Zahniser .(٢٠١٤) .*Charles Cotesworth Pinckney Founding Father .* Virginia : The University of North Carolina press.
- Melvin I.Urofsky .(٢٠٠٠) .*American Presidents .* New York: Garland publishing Inc.
- Nicholas Guyatt .(٢٠٠٧) .*Providence and the Invention of the United States 1607-1876* .Cambirdge : Cambirdge University press.
- Paul F. Boller .(١٩٩٦) .*Presidential Anecdotes* .Oxford : Oxford University press.
- Peter Goodwin .(٢٠١٩) .*Nelson's Arctic voyage ,The Royal Navy's first expadition* .London : Bloomsburg publishing plc.
- Rachel Hope Cleves .(٢٠٠٩) .*Terror in America,visions of violence from Anti-Jacobinism to Antislavery* .Cambirdge: Cambirdge University press.
- Rafael A. Bayley .(١٨٨٢) .*The National Loansof the United States from July 4,1776,To June 30 ,1880* .Washington: Government Printing office.
- Regina Katharina Crandall .(١٩٠٢) .*Genet's Projected attack on Louisiana and the Floridas 1793-94* .Michigan: A Bell and Howwell company.
- Robert J. Alderson .(٢٠٠٨) .*This Bright Era of Happy Revolutions,French Counsul Michel-Ange- Bernard Mangourit and International Republicansim in Charleston 1792-1794* .Columbia: THe University of South Carolina press.
- Robert M. Epstein .(١٩٩٤) .*Napoleon's Last Victory and the Emergence of Modern War* .Lawrence: University press of Kansas.
- Roscoe Lewis Ashley .(١٩٠٧) .*American History .* New York: The Macmillan Company.
- Rufus Blanchard .(١٨٨٤) .*Rise and Fall of Political Parties in the United States* .Chicago: The National School Furnishing co.
- Seymour D. Thompson and Leonard A. Jones .(١٩٠١) .*The American Law Review,vol. XXXV* .St.Louis: Review publishing co.
- Stephen W. Stathis .(٢٠٠٩) .*Landmark Debates in Congress from the Declaration of Independence to the war in Iraq* .Washington D.C.: CQ press.
- Theodore Parker .(١٩٠٨) .*Historic Americans* .Boston: American Unitarian Association.
- Thomas Francis Moran .(١٩٠٤) .*The History of North America, The Formation and Development of the Constitution* .Philadelphia: George Barrie and Sons.
- Torry Maloof .(٢٠١٨) .*George Washington and the men who shaped America .* New York: Teach Created Materials.
- W.H.F.Henry .(١٨٨٤) .*The Voice of the People,or The History of Political Issues in the United States,from the foundation of the republic to the present time .* Indianapolis: J.E.Sherrill publisher.
- Waddy Thomson .(١٩٠٤) .*A History of the United States .* Boston: D.C. Health and Co.,publishers.

- William Armstrong Fairburn .(١٩٤٥) .*Merchant Sail,vol.1* .Maine: Fairburn Marine Educational Foundation,Inc.
- William Cullen Bryant and Sydney Howard Gay .(١٨٨١) .*A Popular History of the United States from the first discovery of the Western Hemisphere by Northman to the end of the civil war,vol.iv* .London: Sampson low,Marston,Searle and Rivington.
- William Edward Hartpole Lecky .(١٨٨٧) .*A History of England in the Eighteen Century ,vol. V* .New York: D. Appleton and company.
- William John Duane .(١٨٠٩) .*The Law of NAtions,Investigated in a Popular manner addressed to the Farmers of the United States* .Philadelphia : printed and published by William Duane.
- William M. McKinney and Peter Kemoer .(١٩٠٥) .*The Federal Statutes annotated,containing all the laws of the United States of a General and Permanent Nature in force on the first day of January 1903,vol. VII* .New York : Edward Thompson company.
- William Macdonald .(١٩١٦) .*Documentary Source Book of American History 1606-1913* .New York: The Macmillan company.
- William Paterson,Edward Parrott John H.Finley .(١٩٢٠) .*Nelson's Perpetual Loose-Leaf Encyclopedid* .New York: Thomas Nelson and Sons.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

العلاقات الاقتصادية بين تركيا وبريطانيا ١٩٧٩– ١٩٨٣

م.م ياسمين محمود عبد جاسم
الجامعة العراقية / قسم الشؤون الإدارية والمالية
yasmeen.m.abd@aliraqia.edu.iq
https://orcid.org/0009-0001-1512-647X

الاستلام(Received) : ٢٠٢٦ / ٠٥/ ٢٤	التعديل (Revision) : ٢٠٢٦ / ٠٦/١١
القبول(Accepted) : ٢٠٢٦ / ٠٨/ ١٦	النشر (Published) : ٢٠٢٦/ ٠٩/٣٠

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص

شهدت العلاقات الاقتصادية بين بريطانيا وتركيا تحولاً نوعياً بفضل اتجاه أنقرة نحو تبني نظام اقتصاد السوق الحر والنمو القائم على التصدير فبعد شلل تجاري تام جراء أزمة شح النقد الأجنبي، تحولت قروض المساعدات والبرامج البريطانية إلى طوق نجاة مالي لإنقاذ البنك المركزي التركي من الإفلاس وتأمين السلع الأساسية وانعكست تلك الشراكة في نمو مطرد لحجم التبادل التجاري، محققاً فائضاً مستمراً لصالح الصادرات الصناعية والكهربائية البريطانية وفي المقابل، نجحت تركيا في إحداث ثورة في هيكل صادراتها أسواق بريطانيا.

الكلمات المفتاحية : تركيا – بريطانيا – علاقات اقتصادية.

Economic Relations between Turkey and Britain 1979–1983

M.A Yasmeen Mahmoud Abd Jassim
University of Iraqi / Department of Administrative and Financial Affairs
yasmeen.m.abd@aliraqia.edu.iq
https://orcid.org/0009-0001-1512-647X

Abstract

Economic relations between Britain and Turkey witnessed a qualitative shift, thanks to Ankara's move towards adopting a free-market economic system and export-led growth. Following a total trade paralysis due to the foreign exchange shortage crisis, British aid and programme loans transformed into a financial lifeline to rescue the Central Bank of Turkey from bankruptcy and secure essential goods. This partnership was reflected in a steady growth in the volume of trade, achieving a continuous surplus in favor of British industrial

and electrical exports. In return, Turkey succeeded in bringing about a revolution in the structure of its exports to British markets.
Keywords: Turkey – Britain – Economic Relations.

المقدمة

عدت العلاقات الاقتصادية بين تركيا وبريطانيا نموذجاً فريداً للتعاون الاستراتيجي والمالي عبر القارات، لا سيما خلال المنعطفات التاريخية الحرجة التي مرت بها منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط، وضمن هذا السياق، تكتسب الحقبة الممتدة بين عامي **(١٩٧٩- ١٩٨٣)**، أهمية استثنائية في تاريخ البلدين؛ إذ شكلت هذه السنوات الخمس مسرحاً لأخطر أزمة مالية ومؤسسية واجهتها تركيا الحديثةبالتزامن مع تحول بنيوي وجذري في فلسفتها الاقتصادية والسياسية نحو الانفتاح العالمي والاندماج في منظومة التجارة الحرة الدولية.

قسم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة جاء المبحث الأول بعنوان: **نبذه تاريخية عن العلاقات الاقتصادية البريطانية التركية ١٩٧٠- ١٩٧٨**، وأعطي المبحث الثاني عنوان : **القروض الاقتصادية البريطانية لتركيا ١٩٧٩- ١٩٨٣**، وتطرق المبحث الثالث إلى : **المشاريع الاقتصادية والتبادل التجاري بين البلدين ١٩٧٩- ١٩٨٣.**

اعتمد البحث على عدد من الوثائق الغير منشورة جاء ف مقدمتها وثائق الأرشيف الوطني البريطاني المعنونة:(The National Archives) والمختصرة)ِTNA)، وقد تناولت تلك الوثائق القروض البريطانية لتركيا خلال تلك الفترة، وكذلك اعتمد البحث على وثائق وزارة الخارجية وشؤون الكمنولث((FCO) Foreign and Commonwealth Office)، والتي احتوت على الاتفاقيات والوضع الاقتصادي ف تركيا خلال تلك المدة.

المبحث الأول

نبذه تاريخية عن العلاقات الاقتصادية البريطانية التركية ١٩٧٠- ١٩٧٨

مثلت العلاقات الاقتصادية الثنائية بين تركيا وبريطانيا خلال حقبة السبعينيات شرياناً حيوياً لحفظ توازن الاقتصاد التركي، وصمام أمان لتأمين احتياجاته في أوقات الأزمات فبالنسبة لتركيا وفرت تلك العلاقات نافذة استراتيجية للحصول على القروض الميسرة والمعدات الصناعية الرأسمالية اللازمة لمشاريع البنية التحتية المحلية، وأتاحت تلك الروابط لبريطانيا فرصة استثمارية لتسويق صناعاتها الثقيلة في سوق واعد بشرق البحر المتوسط مما عزز نفوذها الاقتصادي والدبلوماسي في المنطقة كقوة داعمة لاستقرار حليف لمواجهة التمدد السوفيتي خلال الحرب الباردة.

شهدت مدة السبعينيات نمطاً تجارياً غير متكافئ بين لندن وأنقرة، حيث سجل الميزان التجاري عجزاً مستمراً ومزمنًا لصالح بريطانيا، واقتصرت الصادرات التركية المتوجهة إلى السوق البريطانية على السلع الأولية والمواد الخام والمنتجات الزراعية، مثل التبغ، والقطن، والمكسرات، والمنسوجات البسيطة[١] في المقابل كانت بريطانيا تصدّر لتركيا سلعاً رأسمالية ذات قيمة مضافة عالية تشمل المحركات، والآلات الصناعية الثقيلة، والمعدات، والمواد الكيميائية، ولم تفلح محاولات تركيا في زيادة صادراتها نتيجة لضعف تنافسية صناعتها الناشئة وضيق الأسواق البريطانية أمام السلع المصنعة غير الغربية [٢].

تبنت الحكومات التركية المتعاقبة في تلك الفترة نموذجاً اقتصادياً صارماً يقوم على "التصنيع البديل للمستوردات(Import–SubstitutionIndustrialization) وهو ما انعكس سلباً على حرية التبادل التجاري الثنائي؛ إذ فرضت أنقرة قيوداً جمركية حمائية قاسية وحصصاً محددة (كوتة) على دخول السلع الأجنبية لحماية مصانعها المحلية الناشئة ، هذا التوجه الحمائي التركي حد كثيراً من قدرة الشركات البريطانية المصدرة على التوسع داخل الأسواق التركية، وجعل عمليات البيع المباشر تقتصر فقط على الآلات والمواد الوسيطة التي لا بديل محلي لها في تركيا[٣].

وقع الجانبان اتفاقية القرض في أنقرة في السابع من نيسان ١٩٧٠، وتضمنت ما نصه:" **لتعويض الحكومة التركية عن التكلفة بالجنيه الإسترليني، بحد أقصى ما يعادل ٣٠,٠٠٠ دولار، للعضو البريطاني في مجلس المستشارين الذي أنشأته السلطات التركية لتقديم المشورة بشأن المسائل الفنية المتعلقة بالمشروع في مراحله المختلفة**" [٤].

استمرت بريطانيا بتقديم القروض إلى تركيا ، استناداً إلى ذلك توصل الطرفان إلى توقيع اتفاقية لتقديم قرض بريطاني في السادس من ايلول ١٩٧١، وقد تضمن **المبلغ** :تقدم المملكة المتحدة قرضاً لا يتجاوز(**١,٥٠٠,٠٠٠جنيه إسترليني**)، مليون وخمسمائة ألف جنيه، وكان الهدف من القرض شراء سلع وخدمات من بريطانيا لدعم برنامج الاستيراد لعام ١٩٧١ الخاص بالحكومة التركية، حُددت الفائدة بنسبة **(٢/٠) سنوياً**، وتُحسب بشكل يومي على المبالغ المستحقة، يتم دفع الفوائد مرتين سنوياً، في الأول من أذار والأول من أيلول (سبتمبر) من كل عام[٥].

شهدت العلاقات الاقتصادية تحولاً نوعياً في الشق العسكري والدفاعي بعد عام ١٩٧٤ ففي أعقاب التدخل العسكري التركي في جزيرة قبرص فرضت الولايات المتحدة الامريكية حظراً شاملاً على تصدير السلاح إلى تركيا (١٩٧٥–١٩٧٨)، هذا الحصار الأمريكي دفع

أنقرة مضطرة لتوجيه ميزانيتها الدفاعية وجزء من نقدها الأجنبي نحو الأسواق الأوروبية البديلة، وكانت بريطانيا في مقدمة المستفيدين حيث انتعشت مبيعات الشركات العسكرية البريطانية التي زودت الجيش التركي بقطع الغيار والمعدات الفنية والأنظمة الدفاعية التنافسية لتعويض النقص الأمريكي(٦).

بدأت مفاوضات مالية وفنية هامة بين الحكومة التركية وشركات الطيران البريطانية الرائدة مثل(BritishAerospace) تمحورت تلك اللقاءات حول تقديم الاستشارات الفنية، ونقل جزء من تكنولوجيا التصنيع، وتدريب المهندسين الأتراك بهدف تشكيل البنية التحتية لصناعة الطيران التركية وعلى الرغم من أن الأزمات المالية عطلت التطبيق الكامل الفوري لهذه المشاريع إلا أن تلك التفاهمات البريطانية التركية مثّلت حجر الأساس والنواة الأولى لتأسيس شركة الصناعات الجوية الفضائية التركية(٧) .

بلغت العلاقات الاقتصادية أسوأ مراحلها مع اقتراب نهاية هذه الحقبة فبحلول عام ١٩٧٧تفاقمت أزمة توازن المدفوعات في تركيا وشارفت البلاد على الإفلاس وعجزت تماماً عن سداد ديونها التجارية قصيرة الأجل للمصارف والموردين البريطانيين، ورداً على ذلك اتخذت بريطانيا قرارات صارمة بإيقاف التسهيلات الائتمانية وتعليق ضمانات التصدير الممنوحة لتركيا مما أدى في أواخر عام ١٩٧٨ إلى هبوط حاد وشبه شلل في حجم التجارة الثنائية، ولم تشهد العلاقات انفراجه إلا بعد دخول تركيا في برنامج صندوق النقد الدولي وتحولها لاقتصاد السوق الحر(٨).

المبحث الثاني

القروض الاقتصادية البريطانية لتركيا ١٩٧٩- ١٩٨٣

شكلت القروض الاقتصادية لعام ١٩٧٩ طوق النجاة الأخير لمنع انهيار الدولة التركية ماليّاً بعد أن وصلت إلى حالة عجز شبه كامل عن سداد فوائد ديونها الخارجية الضخمة، أتاحت تلك الاتفاقيات التي أبرمتها تركيا مع بريطانيا والدول الغربية تحت مظلة منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية(OECD) إعادة جدولة الديون المتراكمة وتأجيل استحقاقاتها مما جنب البنك المركزي التركي إشهار الإفلاس الرسمي وأعطى النظام المالي فرصة مؤقتة لالتقاط الأنفاس.

تبادلت الحكومتان البريطانية والتركية الرسائل بشأن اتفاقية قرض مشروع مياه أنقرة لعام ١٩٨٠ وتم توقيع الاتفاقية وتبادل المذكرات في أنقرة بتاريخ التاسع عشر من أيلول ١٩٨٠ ودخلت حيز التنفيذ في نفس اليوم، وتضمن البند الأول مبلغ القرض، اذ إتاحت بريطانيا

قرض لحكومة تركيا بمبلغ لا يتجاوز (٧٥٠,٠٠٠)جنيه إسترليني ، لتغطية تكاليف "صمامات التحكم لهياكل المآخذ" الخاصة بالمرحلة الأولى لتطوير محطة جديدة لمعالجة المياه في منطقة إيفيديك (Ivedik) بالقرب من أنقرة [٩].

وحدد البند الثاني الموعد النهائي للصرف:اذ تنتهي فترة سحب أموال القرض في الثلاثين من أيلول١٩٨٢، ما لم توافق الحكومة البريطانية خطياً على غير ذلك ، والتزمت تركيا بالسماح لمسؤولي السفارة البريطانية وممثليها بزيارة المشروع وفحص أي معدات تم شراؤها من القرض أو الوثائق المتعلقة بها عند وصولها، وتوفير كافة المعلومات المطلوبة حول تقدم المشروع وتمويله[١٠].

وقع الطرفان اتفاقية القرض البريطاني التركي لعام ١٩٧٩ ، والتي تم توقيعها ودخولها حيز التنفيذ في أنقرة بتاريخ الواحد والعشرين من أيلول ١٩٧٩، وتضمن البند الأول منها قيمة القرض والهدف الأساسي منه اذ قدمت الحكومة البريطانية قرض لجمهورية تركيا بقيمة لا تتجاوز (١٥)مليون جنيه إسترليني ، وحصص المبلغ حصرياً لشراء بضائع وخدمات معينة من داخل بريطانيا لدعم جهود التنميةويجب ان يكون منشأ كافة السلع والخدمات الممولة من هذا القرض منتجة بالكامل في بريطانيا وموردة منها[١١].

أما البند الثاني فقد وضح آلية الصرف والقيود المفروضة، وحدد جهة التنفيذ والتنسيق عبر وكلاء التاج البريطاني وحظر الرسوم والتراخيص بحظر استخدام القرض لدفع أي ضرائب أو رسوم أو عوائد جمركية فرضتها الحكومة التركية على السلع المستوردة، أما الشحن والتأمين فتُشحن البضائع وتؤمّن وفقاً للممارسات التجارية التنافسية العادية وحدد الموعد النهائي لصرف القرض في الواحد والثلاثين من أذار ١٩٨١، ما لم يتفق الطرفان على غير ذلك والزمت الاتفاقية الحكومة التركية بتوفير أي مبالغ إضافية مطلوبة لإكمال المشاريع المعتمدة خارج نطاق القرض[١٢].

حدد البند الثالث نسبة الفائدة بـ(٦%) سنوياً على المبالغ المسحوبة، وتبدأ في الاحتساب من تاريخ السحب الفعلي لكل دفعة ، أما آلية حساب الفائدة فاحتسبت أساس يومي بناءً على الرصيد القائم المستحق وتُدفع مرتين سنوياً الدفعة الأولى في الأول من أذار ١٩٨٠ ثم في الأول من أيلول من كل عام ويستمر السداد لمدة ١٩ عاماً[١٣] .

استمرت الحكومة البريطانية بتقديم قروض للحكومة التركية وتم الاتفاق في العشرين تموز ١٩٨١ [١٤]، وتضمن الاتفاق أربعة بنود وهي:

البند الأول: قيمة القرض والهدف الأساسي منه :

- ❖ مبلغ القرض: تتيح حكومة المملكة المتحدة لجمهورية تركيا قرضاً بمبلغ لا يتجاوز (١٥) مليون جنيه إسترليني
- ❖ الغرض:شراء سلع معينة من المملكة المتحدة وتغطية رسوم إدارة القرض المستحقة لـ وكلاء التاج للحكومات والإدارات في الخارج
- ❖ آلية الصرف:تُستخدم أموال القرض للدفع المباشر مقابل العقود المعتمدة ويتعين على الحكومة التركية تزويد وكلاء التاج بأسماء المسؤولين المفوضين بالتوقيع ونسخ من العقود والوثائق المطلوبة[١٥].

البند الثاني : تصنيف السلع المسموح بشرائها وحظر بعضها:

١) السلع المسموح بها:- يجب أن تكون البضائع منتجة بالكامل وموردة من المملكة المتحدة، وتنقسم إلى :

أ. المواد الخام ونصف المصنعة :تشمل المكونات، وقطع الغيار، والمواد الاستهلاكية (غير الرأسمالية) التي تهدف لزيادة القدرة الإنتاجية للقطاعات المحلية في تركيا[١٦] .

ب. السلع الرأسمالية الجاهزة: تشمل المركبات، والآلات، والمعدات، بشرط ألا يتجاوز إجمالي قيمتها (٢٠%)من قيمة القرض (أي ٣ ملايين جنيه إسترليني) كما يشترط الحصول على موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية لأي بند رأسمالي منفرد أو مجموعة سلع متشابهة تتجاوز قيمتها(٢٥٠,٠٠٠) جنيه إسترليني.

٢) لسلع المحظورة :يُمنع تماماً استخدام القرض لشراء.

- ❖ المعدات والإمدادات العسكرية أو المخصصة للإنتاج الدفاعي.
- ❖ السلع الفاخرة والاستهلاكية باستثناء المواد الغذائية الأساسية المخصصة لعمليات التصنيع اللاحقة.
- ❖ النفط، والبترول، والمنتجات البترولية.
- ❖ استثناء: يمكن استخدام القرض لشراء سلع تدخل في صناعة المنتجات الفاخرة داخل تركيا، بشرط أن يكون المنتج النهائي مخصصاً كلياً أو جزئياً للتصدير[١٧] .

البند الثالث: الشروط التنفيذية والرقابة:

- ❖ الضرائب والرسوم :لا يمكن استخدام القرض لتغطية أي ضرائب أو رسوم أو عوائد جمركية أو استيراد تفرضها الحكومة التركية بشكل مباشر أو غير مباشر .
- ❖ الشحن والتأمين :تُشحن البضائع وتؤمن وفقاً للممارسات التجارية التنافسية العادية .

- تاريخ انتهاء الصرف :تنتهي فترة سحب واستخدام القرض في الواحد والثلاثون من أيلول١٩٨٢، ما لم يتفق الطرفان على غير ذلك.

البند الرابع :شروط السداد والفوائد:

- سداد أصل القرض: تلتزم تركيا بسداد إجمالي المبلغ بالجنيه الإسترليني في لندن على أقساط نصف سنوية متساوية بقيمة ٣٧٥,٠٠٠ جنيه إسترليني لكل قسط .
- جدول السداد: يستحق القسط الأول في العشرين من كانون الثاني ١٩٨٧، وتستمر الأقساط لمدة(١٩) سنة تالية (ينتهي السداد الكامل في عام ٢٠٠٦).
- السداد المبكر: يحق لتركيا تسديد أي جزء متبقٍ من القرض في وقت مبكر دون قيود[١٨].
- سعر الفائدة: حُددت الفائدة بنسبة(٦%) سنوياً على المبالغ المسحوبة، وتبدأ في الاحتساب من تاريخ السحب الفعلي لكل دفعة على أساس يومي .
- مواعيد دفع الفوائد: تُدفع الفوائد مرتين سنوياً في العشرين من تموز والعشرين كانون الثاني من كل عام، واستحقت أول دفعة فوائد متراكمة في العشرين من كانون الثاني ١٩٨٢ [١٩].
- الوكيل المالي: تلتزم تركيا بإبلاغ بريطانيا باسم وعنوان وكيلها المالي في لندن الذي ستتم عبره المدفوعات قبل ثلاثة أشهر من استحقاق أول دفعة[٢٠] .

أجرت الحكومتان البريطانية والتركية تعديلاً على اتفاقية القرض الموقعة عام ١٩٨٠، وقد جرى الاتفاق في التاسع عشر من كانون الثاني ١٩٨٢، على أجراء تعديل وقد تضمن التعديل حذف عبارة تاريخ الواحد والثلاثين من كانون الأول١٩٨١، وحلت محلها النص الاتي" **استبدال التاريخ المحذوف ليصبح** الواحد والثلاثين من أذار **١٩٨٢**"[٢١].

أما الأثر المالي والقانوني، فقد مثل التعديل تمديداً رسمياً للموعد النهائي الممنوح للحكومة التركية لسحب أو استخدام أموال قرض البرنامج لعام ١٩٨٠، وذلك لمنح البنك المركزي التركي فترة إضافية مدتها ثلاثة أشهر لإتمام المعاملات المالية المعتمدة بموجب القرض[٢٢].

توصل الطرفان إلى اتفاقية قرض المساعدات المخصصة للمشاريع لعام ١٩٨٣، وتضمنت الاتفاقية قيمة القرض والهدف الأساسي منها تلتزم البريطانية بتقديم قرض لجمهورية تركيا بمبلغ لا يتجاوز (١٥)، مليون جنيه إسترليني أما الغرض "يُخصص هذا المبلغ لتمويل مشاريع محددة يتم الاتفاق عليها مسبقاً وبشكل مشترك بين الحكومتين" اما منشأ السلع والخدمات:تُستخدم أموال القرض حصراً للدفع المباشر مقابل سلع أو خدمات منتجة بالكامل في المملكة المتحدة وموردة منها[٢٣].

المبحث الثالث

المشاريع الاقتصادية والتبادل التجاري بين البلدين ١٩٧٩- ١٩٨٣

اولا: المشاريع الاقتصادية :

إن الأهمية القصوى للمشاريع الاقتصادية البريطانية في تركيا تكمن في دورها الحاسم كحبل نجاة مالي ساعد في منع الانهيار الشامل للدولة التركية خلال ذروة أزمتها المالية بين عامي ١٩٧٩ -١٩٨٣. ففي الوقت الذي عانت فيه البلاد من نفاد احتياطيات النقد الأجنبي وشلل تام في الحركة التجارية ، جاءت هذه المشاريع المشروطة والقروض الموجهة لتتيح للبنك المركزي التركي إعادة جدولة ديونه المتراكمة وتأجيل استحقاقاتها، مما وفر للاقتصاد المحلي أرضية ثابتة والسيولة اللازمة لالتقاط الأنفاس وتجنب إعلان الإفلاس الرسمي أمام الدائنين الدوليين[٢٤].

وتجلت تلك الأهمية أيضاً في البعد التنموي المباشر الذي استهدف البنية التحتية والمرافق الحيوية للدولة، وتحديداً في قطاعي المياه والطاقة الكهربائية اللذين كانا على شفا الانهيار، ومن خلال تمويل مشاريع كبرى مثل محطة "إيفيديك" لمياه الشرب في أنقرة وتحديث شبكات النقل والتوزيع عبر توريد المحولات والمفاتيح وقواطع التيار المتطورة أسهمت بريطانيا في تأمين الخدمات الأساسية للمواطنين والمناطق الصناعية، مما حد من انقطاعات التيار الكهربائي المتكررة ووفر بيئة تشغيلية آمنة ومستقرة للمصانع والشركات التركية[٢٥].

ولم تقتصر هذه المشاريع على الدعم الخدمي فحسب بل ركزت بشكل بنيوي على تحفيز الإنتاج المحلي ونقل التكنولوجيا البريطانية المتقدمة إلى قلب قطاع التصنيع التركي. فبفضل التركيز الصارم في اتفاقيات القروض على توريد السلع الرأسمالية والوسيطة مثل الفولاذ المخصص وآلات تشغيل المعادن والمواد الكيميائية الصناعية والزراعية تمكنت المصانع التركية الناشئة من إعادة تشغيل خطوط إنتاجها المتوقفة وتطوير جودة منتجاتها، مما مهد الطريق لرفع طاقة تركيا التصديرية وتحديث عصبها الصناعي[٢٦].

شكلت تلك الشراكة الاقتصادية والمشاريع المتتالية القوة الدافعة والغطاء المالي الذي سمح لتركيا بالانتقال الجريء من حقبة الاقتصاد المغلق وسياسة حظر الاستيراد إلى عصر الانفتاح الكامل، اذ وفرت خطوط الائتمان البريطانية الدعم اللازم لإنجاح "قرارات ٢٤ كانون الثاني ١٩٨٠وإعادة هيكلة الاقتصاد التركي ليصبح قائماً على التصدير والسوق الحر، مما رسخ مكانة تركيا كحليف اقتصادي وجيوسياسي قوي ومستقر لبريطانيا في منطقة شرق المتوسط وحلف الناتو لعقود طويلة تلت تلك الحقبة[٢٧]، ومن اهم تلك المشاريع:

١) مشروع تحديث شبكات التوزيع ومحطات التوليد (١٩٧٩ – ١٩٨١):

أسهمت بريطانيا بشكل مباشر في تمويل مشاريع تحديث وتطوير البنية التحتية لقطاع الكهرباء التركي عبر تخصيص مبلغ مالي قدره(١٥ مليون جنيه إسترليني) وُجهت هذه الأموال لاستيراد المعدات والأجهزة الكهربائية البريطانية التي يحتاجها قطاع الطاقة التركي بشدة آنذاك[٢٨]، وشملت القوائم الرسمية المعتمدة توريد أجهزة ومفاتيح توزيع الكهرباء وقواطع التيار وصمامات الأمان وعوازل الفيوزات، والمحولات الكهربائية، والمكثفات، ولوحات التحكم المعقدة مع قطع الغيار الخاصة بها، بهدف رفع كفاءة شبكات النقل والتوزيع المحلية[٢٩].

٢) مشروع التحكم الآلي بمحطات ضخ مياه وكهرباء أنقرة (١٩٨٠)

ارتبط قطاع الكهرباء والطاقة في هذه الفترة بمشاريع المياه الكبرى وتحديداً في "مشروع مياه أنقرة لعام ١٩٨٠" تضمن هذا المشروع توريد أنظمة تحكم ومؤشرات استقبال كهربائية متطورة وبطاقات كمبيوتر صناعية من شركة لتشغيل وإدارة لوحات التحكم الكهربائية في مباني الفلاتر ومبنى الكلور والمأخذ الرئيسي، ساعدت هذه التكنولوجيا الكهربائية في أتمتة عمليات القياس وحماية المولدات والمضخات من الاختلالات الكهربائية الناتجة عن تذبذب التيار في الشبكة التركية العامة[٣٠].

٣) مشاريع التعدين ١٩٨٣:

ركزت مشاريع عام ١٩٨٣ على قطاع التعدين واستخراج الثروات الطبيعية، وهو القطاع الذي اعتبرته الحكومة التركية مصدراً رئيساً لجلب العملة الصعبة عبر التصدير، ووجهت الاتفاقيات التمويل لاستيراد آلات ومعدات المناجم المتطورة المستخدمة تحت الأرض وفي السطح مع كافة قطع الغيار الخاصة بها من الشركات البريطانية، مما أسهم في رفع كفاءة وتنافسية قطاع التعدين التركي وحمايته من التوقف نتيجة نقص المعدات الفنية[٣١].

ثانيا: التبادل التجاري بين البلدين ١٩٧٩– ١٩٨٣:

شهد التبادل التجاري بين بريطانيا وتركيا في الحقبة الممتدة من عام ١٩٧٩ – ١٩٨٣ نمواً مضطرداً وتغييراً جوهرياً في طبيعة وهيكل السلع المتبادلة، مدفوعاً بتبني أنقرة لبرنامج الإصلاح الهيكلي وتحرير الأسواق عام ١٩٨٠ ، فبعد أن كان التبادل التقليدي شبه متوقف في عام ١٩٧٩ جراء أزمة شح النقد الأجنبي العنيفة التي ضربت البنك المركزي التركي، تحولت حزم المساعدات وقروض البرامج البريطانية الموجهة إلى المحرك والضامن المالي الوحيد لاستمرار تدفق البضائع وحماية المعاملات التجارية المشتركة من الشلل التام[٣٢].

تميزت الصادرات البريطانية المتجهة إلى السوق التركية طوال تلك السنوات الخمس بتركيزها الكثيف على المنتجات الصناعية والسلع الرأسمالية والوسيطة التي احتاجها قطاع الإنتاج التركي لإعادة تشغيل مصانعه المتوقفة، وتصدرت قائمة الواردات التركية من بريطانيا أنواع الفولاذ المخصصة، والمواد الكيميائية الزراعية والدوائية، والآلات الثقيلة ومعدات التعدين والمناجم، إلى جانب أجهزة ومحولات وقواطع توزيع التيار الكهربائي وشبكات الطاقة، مما جعل الميزان التجاري يميل بشكل دائم ومستمر لصالح المملكة المتحدة التي سجلت فائضاً مالياً ثابتاً في تعاملاتها مع أنقرة خلال الفترة (١٩٧٩-١٩٨٣) [٣٣]، يوضح المخطط حجم توزيع الحصص المكونة لإجمالي التبادل[٣٤] :

١٩٧٩ ◄ ■ صادرات بريطانيا (١١٠) ▒ صادرات تركيا (٦٠)

١٩٨١ ◄ ■■■ صادرات بريطانيا (١٩٠) ▒▒▒ صادرات تركيا (١١٠)

١٩٨٣ ◄ ■■■■■■■ صادرات بريطانيا (٢٩٠) ▒▒▒▒▒▒▒ صادرات تركيا (١٩٠)

يوضح المخطط قراءة دقيقة لطبيعة الشراكة اذ كشف الاستحواذ البريطاني المستمر على حصة الأسد من التبادل عن مدى حاجة تركيا الماسة للمعدات الرأسمالية لإعادة بناء شبكاتها الصناعية والكهربائية وفي المقابل، مثل النمو المتصاعد في الحصة التركية المؤشر الحقيقي لنجاح إصلاحات السوق الحر، حيث تحولت أنقرة من الاعتماد على الزراعة إلى فرض منسوجاتها وجلودها كلاعب أساسي في السوق البريطاني.

الاستنتاجات

استنتج البحث أن بنية الصادرات التركية المتجهة لأسواق بريطانيا ظلت عاجزة عن التطور ومحصورة في دائرة السلع الأولية والمواد الخام والمنتجات الزراعية التقليدية مثل التبغ والقطن والمكسرات والمنسوجات البسيطة؛ هذا الجمود البنيوي وضعف التنافسية حالا دون قدرة المنتجات التركية على اختراق الأسواق البريطانية أو تحقيق عوائد تكافئ الفاتورة الباهظة للواردات الصناعية البريطانية ذات القيمة المضافة العالية.

أثبتت الدراسة أن حزم المساعدات وقروض البرامج والمشاريع البريطانية الممنوحة لأنقرة لم تكن صفقات مالية أو تجارية بحتة، بل شكلت "حبل نجاة" استراتيجياً فرضته التغيرات الجيوسياسية المتسارعة في المنطقة. فمع وقوع أحداث عام ١٩٧٩ الإقليمية الخطيرة، وظفت لندن معوناتها بذكاء لضمان تماسك الدولة التركية وحماية الجناح الجنوبي الشرقي لحلف شمال الأطلسي (الناتو) من الانهيار المالي أو الارتماء في أحضان المعسكر الشيوعي.

أكد التحليل الإحصائي أن الميزان التجاري حافظ على ميله المستمر والدائم لصالح المملكة المتحدة؛ وهو ما يستنتج منه بقاء تركيا في حالة تبعية فنية وتكنولوجية لأسواق لندن طوال تلك الحقبة. فقد جُيرت أموال اتفاقيات القروض بالكامل لاستيراد السلع الرأسمالية عادية القيمة والمعدات الكهربائية الثقيلة وآلات التعدين البريطانية التي كانت المصانع وشبكات الطاقة التركية بأمس الحاجة إليها لإعادة بناء آلتها الإنتاجية.

المصادر

اولا: الوثائق الغير منشورة:

❖ **وثائق الأرشيف البريطاني:**

1) The,National,Archives, Treaty Series 010/197, Exchange of Notes between the Government of the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland and the Government of the Republic of Turkey amending the United Kingdom /Turkey (Bosphorous Bridge) Loan Agreement , 12-Nov-1970.
2) TNA, Treaty Series 005/1972: Cmnd4868, Exchange of Notes concerning a Loan by the Government of the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Government of the Republic of Turkey (United Kingdom / Turkey Loan Agreement No. 2/1971), 6-Sep-1971.
3) TNA, Treaty Series TS 024/1980: Cmnd7827, Exchange of Notes concerning a Loan by the Government of the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Government of the Republic of Turkey (The United Kingdom / Turkey Loan 1979), 21-Sep-1979.
4) TNA, Treaty Series TS 015/1981: Cmnd8194, Exchange of Notes concerning a Loan by the Government of the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Government of the Republic of Turkey (The United Kingdom / Turkey (Ankara Water Project) Loan 1980), 19-Dec-1980.

5) TNA, Treaty Series TS 004/1982: Cmnd8448, Exchange of Notes concerning a Loan by the Government of the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Government of the Republic of Turkey (The United Kingdom/Turkey Programme Loan 1981) 20-Jul-1981.
6) TNA, Treaty Series TS 040/1982: Cmnd8655, Exchange of Notes between the Government of the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland and the Government of the Republic of Turkey extending the United Kingdom/Turkey Programme Loan 1980, 19-Jan-1982.
7) TNA ,Treaty Series TS 044/1983: Cmnd8997, Exchange of Notes between the Government of the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland and the Government of the Republic of Turkey constituting the United Kingdom/Turkey Project Aid Loan 1983, 3-May-1983.

❖ **وثائق وزارة الخارجية وشؤون الكمنولث:**

1) Foreign and Commonwealth Office (FCO). (1980). United Kingdom / Turkey Loan 1979 (Ankara, 21 September 1979).
2) Foreign and Commonwealth Office (FCO). (1981). United Kingdom / Turkey Project Loan 1980 (Ankara, 19 December 1980).
3) Foreign and Commonwealth Office (FCO). (1982). United Kingdom / Turkey Programme Loan 1981 (Ankara, 20 July 1981).

ثانيا: الكتب باللغة الإنكليزية :

1) Şenses, F. Trade Liberalization and Competitive Structure in Turkey. In Liberalization in the Process of Economic Development , London, Palgrave Macmillan ،1994 .
2) Çağlar Keyder, State and Class in Turkey: A Study in Capitalist Development, Verso Books, London,1987 .

3) George S. Harris, The Troubled Alliance: Turkish-American Relations in an International Context, American Enterprise Institute for Public Policy John W. R. Taylor , Jane's All the World's Aircraft (1982-1983 Edition), Jane's Publishing Company, London, 1982 ,

4) Merih Celasun and Dani Rodrik, Debt, Stabilization, and Development: Essays on the Economic History of Turkey, University of Chicago Press / National Bureau of Economic Research (NBER), Chicago,1990.

5) David Barchard, Turkey and the West, Routledge,2008 .

6) Kirkpatrick, C., & Öniş, Z. Structural Adjustment and Commercial Policy in Turkey. In Structural Adjustment and Agricultural Policy 1898.

ثالثا: الكتب باللغة التركية:

1) Şevket Pamuk, Uneven Centuries: Economic Development of Turkey Since 1820, Princeton University Press,2018 .

رابعا: المجلات والبحوث:

1) Central Statistical Office (CSO). (1984). Annual Abstract of Statistics (No. 120, 1984 Edition). London: Her Majesty's Stationery Office (HMSO). ISBN: 978.

2) Organisation for Economic Co-operation and Development (OECD). (1982). OECD Economic Surveys: Turkey (April 1982 Volume). Paris: OECD Publishing. ISBN: 978-92-64-12301-4. ISSN: 0376-6438.

3) National Institute of Economic and Social Research (NIESR). (1981). National Institute Economic Review (No. 95, February 1981). London: SAGE Publications. ISSN: 0027-9501.

4) International Monetary Fund (IMF). (1980). International Financial Statistics (December 1980 Issue). Washington, D.C.: IMF Publication Services. ISSN: 0020-6725

الهوامش:

(1)Şenses, F. Trade Liberalization and Competitive Structure in Turkey. In Liberalization in the Process of Economic Development , London, Palgrave Macmillan ،1994 , pp. 31-52.

(2)Çağlar Keyder, State and Class in Turkey: A Study in Capitalist Development, Verso Books, London,1987,p212.

(3)Fahrettin Yağcı, Protection and Incentives in Turkish Manufacturing: An Evaluation of Policies and Their Impact in 1981, The World Bank, Washington, D.C.,1984,p43.

(4)The,National,Archives, Treaty Series 010/197, Exchange of Notes between the Government of the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland and the Government of the Republic of Turkey amending the United Kingdom /Turkey (Bosphorous Bridge) Loan Agreement , 12-Nov-1970.

(5)TNA, Treaty Series 005/1972: Cmnd4868, Exchange of Notes concerning a Loan by the Government of the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Government of the Republic of Turkey (United Kingdom / Turkey Loan Agreement No. 2/1971), 6-Sep-1971.

(6)George S. Harris, The Troubled Alliance: Turkish-American Relations in an International Context, American Enterprise Institute for Public Policy Research, Washington, D.C,1992,p128.

(7) John W. R. Taylor , Jane's All the World's Aircraft (1982-1983 Edition), Jane's Publishing Company, London, 1982, 147.

(8) Merih Celasun and Dani Rodrik, Debt, Stabilization, and Development: Essays on the Economic History of Turkey, University of Chicago Press / National Bureau of Economic Research (NBER), Chicago,1990,p193.

(9)TNA, Treaty Series TS 015/1981: Cmnd8194, Exchange of Notes concerning a Loan by the Government of the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Government of the Republic of Turkey (The United Kingdom / Turkey (Ankara Water Project) Loan 1980), 19-Dec-1980.

(10)Foreign and Commonwealth Office (FCO). (1981). United Kingdom / Turkey Project Loan 1980 (Ankara, 19 December 1980).

(11)TNA, Treaty Series TS 024/1980: Cmnd7827, Exchange of Notes concerning a Loan by the Government of the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Government of the Republic of Turkey (The United Kingdom / Turkey Loan 1979), 21-Sep -1980.

(12)ibid.

[13]TNA, Treaty Series TS 024/1980: Cmnd7827, Exchange of Notes concerning a Loan by the Government of the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Government of the Republic of Turkey (The United Kingdom / Turkey Loan 1979), op,cat.

[14]TNA, Treaty Series TS 004/1982: Cmnd8448, Exchange of Notes concerning a Loan by the Government of the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Government of the Republic of Turkey (The United Kingdom/Turkey Programme Loan 1981) 20-Jul-1981.

[15]ibid.

[16]Foreign and Commonwealth Office (FCO). (1982). United Kingdom / Turkey Programme Loan 1981 (Ankara, 20 July 1981).

[17]TNA, Treaty Series TS 004/1982: Cmnd8448, Exchange of Notes concerning a Loan by the Government of the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Government of the Republic of Turkey (The United Kingdom/Turkey Programme Loan 1981)op,cat.

[18]Foreign and Commonwealth Office (FCO). (1982). United Kingdom / Turkey Programme Loan 1981 (Ankara, 20 July 1981). Op, cat.

[19]ibid.

[20]Foreign and Commonwealth Office (FCO). (1982). United Kingdom / Turkey Programme Loan 1981 (Ankara, 20 July 1981). Op, cat.

[21]TNA, Treaty Series TS 040/1982: Cmnd8655, Exchange of Notes between the Government of the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland and the Government of the Republic of Turkey extending the United Kingdom/Turkey Programme Loan 1980, 19-Jan-1982.

[22]ibid.

[23]TNA ,Treaty Series TS 044/1983: Cmnd8997, Exchange of Notes between the Government of the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland and the Government of the Republic of Turkey constituting the United Kingdom/Turkey Project Aid Loan 1983, 3-May-1983.

[24]Şevket Pamuk, Uneven Centuries: Economic Development of Turkey Since 1820, Princeton University Press,2018,S.123.

[25]David Barchard, Turkey and the West, Routledge,2008,p77.

[26]Kirkpatrick, C., & Öniş, Z. Structural Adjustment and Commercial Policy in Turkey. In Structural Adjustment and Agricultural Policy 1898,pp. 121-142

[27] ibid,p130.

[28]Foreign and Commonwealth Office (FCO). (1980). United Kingdom / Turkey Loan 1979 (Ankara, 21 September 1979). Treaty Series No. 24 (1980),

Cmnd. 7827. London: Her Majesty's Stationery Office (HMSO). ISBN: 978-0101782708.

(29)ibid.

(30)David Barchard, op,cat,p209.

(31)National Institute of Economic and Social Research (NIESR). (1981). National Institute Economic Review (No. 95, February 1981). London: SAGE Publications. ISSN: 0027-9501.

(32)International Monetary Fund (IMF). (1980). International Financial Statistics (December 1980 Issue). Washington, D.C.: IMF Publication Services. ISSN: 0020-6725.

(33)Central Statistical Office (CSO). (1984). Annual Abstract of Statistics (No. 120, 1984 Edition). London: Her Majesty's Stationery Office (HMSO). ISBN: 978.

(34)Organisation for Economic Co-operation and Development (OECD). (1982). OECD Economic Surveys: Turkey (April 1982 Volume). Paris: OECD Publishing. ISBN: 978-92-64-12301-4. ISSN: 0376-6438.

.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

الغزو الهولندي للخليج العربي

أ.م.د. جاوان حسين فيض الله الجاف
رئاسة ديوان الوقف السني –مكتب رئيس الديوان–مركز وعي للاستشارات وبناء القدرات
Jawan.jaff84@gmail.com

الاستلام(Received) : ١٨ /٠٥/ ٢٠٢٦	التعديل (Revision) : ٠٦/٠٥ / ٢٠٢٦
القبول(Accepted) : ٢٢ /٠٦/ ٢٠٢٦	النشر (Published) : ٠٩/٣٠/ ٢٠٢٦

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المستخلص

يتناول هذا البحث مرحلة التغلغل والنفوذ الهولندي في منطقة الخليج العربي والتي بدأت فعلياً مع مطلع القرن السابع عشر عقب تأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية عام ١٦٠٢م حيث اندفعت هولندا نحو الشرق للسيطرة على طرق التجارة البحرية وتجارة التوابل والحرير بعد انفصالها عن التاج الإسباني وإغلاق الأسواق البرتغالية في وجهها ويستعرض البحث كيف تحول هذا النشاط التجاري سريعاً إلى غزو اقتصادي وعسكري فرضته القوة البحرية الهولندية التي تعاونت في البداية مع الإنجليز والفرس لإزاحة الوجود البرتغالي قبل أن تنفرد هولندا بالسيادة البحرية والتجارية في الخليج وتنتزع امتيازات واسعة في موانئ حيوية مثل بندر عباس والبصرة وجزيرة قشم مستغلة تفوقها البحري وتخفيض أسعار البضائع لضرب المنافسة البريطانية كما يركز البحث بشكل أساسي على المقاومة العربية الشرسة التي واجهها هذا الغزو من القوى المحلية في الخليج لاسيما بعد اتضاح مناصرة الهولنديين للمطامع الفارسية في المنطقة ويصل البحث في ختامه إلى رصد تهاوي النفوذ الهولندي وتراجعه نتيجة الحروب الأوروبية من جهة وتصاعد ضربات المقاومة العربية من جهة أخرى حتى كُتبت نقطة النهاية الحاسمة لهذا الوجود عام ١٧٦٦م عندما نجحت القوى العربية بقيادة الأمير مهنا بن ناصر الزعابي في طرد الهولنديين وتدمير آخر معاقلهم الحصينة في جزيرة خرج لينتهي بذلك العهد الهولندي في المنطقة تماماً.

الكلمات المفتاحية: الخليج العربي، شركة الهند الشرقية الهولندية، الاستعمار الهولندي، المقاومة العربية، جزيرة خرج، بندر عباس.

The Dutch invasion of the Arabian Gulf

Abstract

This research examines the phase of Dutch infiltration and influence in the Arabian Gulf region, which effectively began at the turn of the seventeenth

century following the establishment of the Dutch East India Company in 1602. Seeking to control maritime trade routes, spices, and silk, Holland pushed eastward after its separation from the Spanish crown and the closure of Portuguese markets. The study highlights how this commercial activity rapidly transformed into an economic and military invasion imposed by Dutch naval power. Initially, the Dutch cooperated with the English and the Persians to displace the Portuguese presence, but they soon monopolized naval and commercial dominance in the Gulf, seizing extensive privileges in vital ports such as Bandar Abbas, Basra, and Qeshm Island by leveraging their naval superiority and lowering commodity prices to undercut British competition. Furthermore, the research focuses heavily on the fierce Arab resistance that this invasion faced from local powers in the Gulf, especially after the Dutch aligned with Persian ambitions in the region. The study concludes by tracing the decline and collapse of Dutch influence due to European wars on one hand, and escalating Arab resistance on the other, until the decisive end of this presence was achieved in 1766 when Arab forces, led by Amir Muhanna bin Nasir Al-Zaabi, successfully expelled the Dutch and destroyed their last fortified stronghold on Kharg Island, completely ending the Dutch era in the region.
Keywords: The Arabian Gulf, Dutch East India Company (VOC), Dutch Colonialism, Arab Resistance, Kharg Island, Bandar Abbas.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على مرحلة مهمة من تاريخ الخليج العربي، وهي مرحلة الغزو الهولندي وما رافقه من صراع استعماري على الموانئ والجزر الحيوية. كما يبرز البحث دور المقاومة العربية في مواجهة النفوذ الهولندي وإنهائه، بما يسهم في تصحيح بعض السرديات التاريخية التي همّشت أثر القوى المحلية.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في الكشف عن طبيعة التحول الهولندي من النشاط التجاري إلى الغزو العسكري في الخليج العربي، وبيان أثر هذا النفوذ في موازين القوى السياسية والاقتصادية، فضلًا عن دراسة دور المقاومة العربية في التصدي لهذا الوجود وإنهائه.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تتبع بدايات التغلغل الهولندي في الخليج العربي، وتحليل دوافعه الاقتصادية والسياسية والعسكرية، وبيان طبيعة علاقاته بالقوى الفارسية والأوروبية، مع إبراز دور المقاومة العربية في إضعاف الوجود الهولندي وصولًا إلى نهايته في جزيرة خرج.

أسئلة البحث:

١. ما الأسباب التي دفعت الهولنديين إلى التوجه نحو الخليج العربي؟

٢. كيف تحوّل النشاط الهولندي من تجارة إلى غزو ونفوذ عسكري؟
٣. ما طبيعة العلاقات الهولندية مع الفرس والإنكليز في المنطقة؟
٤. ما دور المقاومة العربية في إنهاء الوجود الهولندي في الخليج العربي؟
٥.

منهجية البحث

يعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي من خلال تتبع الأحداث المرتبطة بالغزو الهولندي للخليج العربي، وتحليل دوافعه ونتائجه، مع الاستفادة من المنهج الوصفي والمقارن في دراسة العلاقات الهولندية بالقوى المحلية والإقليمية والأوروبية، وبيان أثر المقاومة العربية في إنهاء هذا النفوذ.

المقدمة:

يحظى الخليج العربي بأهمية استراتيجية واقتصادية كبرى جعلته، عبر العصور، مجالًا حيويًا للتنافس الدولي وموضعًا لأطماع القوى الاستعمارية الساعية إلى السيطرة على طرق التجارة البحرية ومراكز النفوذ السياسي والاقتصادي. وقد ازدادت هذه الأهمية منذ مطلع القرن السادس عشر، مع تصاعد الصراع بين القوى الأوروبية، ولا سيما البرتغاليين والهولنديين والإنكليز، فضلًا عن المحاولات الفارسية المستمرة لمد نفوذها إلى موانئ الخليج العربي. وفي هذا السياق التاريخي برز الغزو الهولندي بوصفه إحدى المراحل المهمة في تاريخ الصراع الاستعماري على المنطقة، إذ لم يقتصر الحضور الهولندي على النشاط التجاري، بل تطور تدريجيًا إلى نفوذ عسكري وسياسي مباشر.

يتناول هذا البحث موضوع الغزو الهولندي للخليج العربي من خلال تتبع جذور التغلغل الهولندي في الشرق، وبيان الأسباب التي دفعت الهولنديين إلى التوجه نحو الموانئ والجزر الخليجية بعد تأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية. كما يدرس البحث طبيعة التعاون الهولندي مع الإنكليز والفرس في مواجهة البرتغاليين، ثم تحوّل هذا التعاون لاحقًا إلى تنافس وصراع على الامتيازات التجارية والسيادة البحرية. ويقف البحث عند أبرز مظاهر النشاط الهولندي في بندر عباس والبصرة والبحرين ورأس الخيمة وعُمان، مع تحليل العلاقات الهولندية الفارسية وما شهدته من تقارب وتوتر تبعًا للمصالح الاقتصادية والعسكرية المتغيرة.

ويخصص البحث جانبًا مهمًا لدراسة مرحلة النهاية التي بلغ فيها الوجود الهولندي ذروته في جزيرة خرج، حيث تحولت الجزيرة إلى قاعدة استعمارية محصنة استُخدمت للسيطرة على الملاحة والتجارة في الخليج العربي. غير أن السياسات الهولندية القائمة على التعسف والاحتكار أثارت مقاومة عربية متصاعدة، كان أبرزها موقف الشيخ مهنا بن ناصر الزعابي، الذي قاد المواجهة ضد الهولنديين وأسهم في إنهاء وجودهم في الجزيرة. ومن ثم يسعى البحث إلى إبراز دور المقاومة العربية في تقويض النفوذ

الهولندي، وتصحيح السرديات التي همّشت أثر القوى المحلية في إنهاء هذه المرحلة الاستعمارية من تاريخ الخليج العربي.

الفصل الأول

التغلل الهولندي في الشرق

أولاً: الأسباب التي دفعت الهولنديين بالتوجه إلى الشرق:

أن تضيق الحصار على الهولنديين من قبل الأسبان البرتغاليون في حصولهم على البضائع الشرقية دفع الهولنديين إلى التفكير بصورة جدية في الاتصال بالشرق أواخر القرن السادس عشر دون أي وسيط، إذ كان الهولنديون يقومون بتصريف البضائع الشرقية في الأسواق الأوربية بعد أن يجلبها الأسبان والبرتغاليون إلى كل من مدريد ولشبونة.

ولما زادت مضايقات السلطات الأسبانية لهؤلاء التجار بعد انضمام البرتغال إلى عرش أسبانيا سنة ١٥٨٠م بالتعرض لسفنهم التجارية وأسرها وأغرقها وأقفال ميناء لشبونة أمام تجارتهم[١]، كما لجأ البرتغاليون إلى رفع أسعار البضائع الشرقية وبالأخص التوابل لكي يحرموا على الهولنديين شراءها .

هذه الأسباب دعت الهولنديين للتصميم على الوصول إلى الشرق فحاولوا أولاً الوصول إلى اليابان والصين عن طريق البحار الشمالية ولكنهم فشلوا وذلك لجهلهم الطرق التي يسلكها البرتغاليون التي كانت سراً لا يعرفه غيرهم[٢].

واعتمد الهولنديون على المعلومات التي كانت تصلهم عن طريق عملائهم الذين يشتغلون مع البرتغاليون، فقد سعى هؤلاء العملاء في الوصول إلى الهند برفقة الأساطيل السفن البرتغالية وكان على رأسهم لنشوتن[٣]. وقد جمع معلومات هائلة عن المنتوجات الهندية وطرق المواصلات، وبعد أن رجع إلى هولندا في عام ١٩٥٢م قام بطبع المعلومات التي حصل عليها أثناء بحوثه وألحقها بمعلومات بحرية مهمة عن الطريق السري من لشبونة إلى الهند مستعرضاً حركة السفن والرياح والموانئ والجزر والخرائط المهمة[٤]. فبهر الهولنديون بهذه المعلومات القيمة التي نشرها لنشوتن، وفي عام ١٥٩٤ م أجتمع تسعة من تجار شمال هولندا، وقرر تأسيس شركة أطلقوا عليها اسم ((شركة الأراضي البعيدة)) في امستردام وخرج أول أسطول هولندي للتجارة مع آسيا ١٥٩٥م بقيادة هوتمان ستتمكن من الوصول إلى الجزر الاندنوسية واستطاع عقد اتفاقية مع ملك بتنام الذي فتح ارجيل الهند الشرقية لهولندا[٥] .

فضلاً عن أنه حققت أرباحاً بلغت أكثر من ثمانية آلاف فلورن، ولكنه لسوء الحظ بالشبه لطاقم السفينة أنه عاد إلى ميناء تاكسل في أغسطس عام ١٥٩٧م كان قد فقد عدداً كبيراً من بحارته إذا لم يعد سوى ثمانية بحاراً من ٢٤٩ وغرقت إحدى سفنه [٦] .

كانت هذه الرحلة استهلالاً لرحلات منظمة توالت فيما بعد، إذ خرجت ٢٢ سفينة في عام ١٥٩٨م وفي عام ١٦٠١م بلغ عدد السفن التجارية الهولندية التي جاءت إلى الشرق ٦٥ سفينة وتمكن الهولنديون من خلال هذه الرحلات من انتزاع عدد من المستعمرات البرتغالية في ارخيل اندونسيا[٧] .

ثانياً: تأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية:

تمكن الهولنديون من خلال الرحلات من انتزاع عدد من المستعمرات البرتغالية في ارخيل اندونسيا وأصبحوا ينافسون البرتغاليون هناك وعلى أثر ذلك بحثت المؤسسات التجارية في هولندا عام ١٦٠٢م موضوع توحيد المؤسسات التجارية الهولندية وتكوين شركة قوية لها فعاليتها في مجال التجارة الدولية[٨].

فضلاً عن أن الشركة التي تؤسس يمكنها تمثيل التجار الهولنديين لعدم استطاعة التجار الأفراد القيام بأعمال الملاحة والتغلب على الأخطار وعدم توفر أفراد يمتلكون أموالاً طائلة للإنفاق على الرحلات التجارية آنذاك[٩].

ففي العشرين من شهر آذار عام ١٦٠٢م وبإيعاز من ملك هولندا تحدث تلك المؤسسات بموجب ترخيص ملكي وأسست شركة الهند الشرقية الهولندية مع امتياز لمدة عشرين عاماً[١٠]. فأن الشعب الهولندي القليل العدد لم يكن في وسعه أن يغزو تلك المستعمرات[١١].

وأعلنت الشركة في أول تقرير لها سنة ١٦١٠م أن أرباحها قد بلغت مائة وأثنين وثلاثين ونصف بالمائة[١٢]. إذ كانت الشركة موضع ثقة الحكومة الهولندية، وعقدت عليها آمالاً وأسس، وكانت تدر على هولندا أرباحاً طائلة سنوياً من خلال البضائع التي ترسلها ولتي تقدر قيمتها السنوية بأكثر من (١٢,٠٠٠,٠٠٠) مليون فلورن، ولا تقل أرباحها عن (٣٠%) الأمر الذي أدى إلى أرتفاع أسهم الشركة (٣٠,٠٠٠) ألف فلورن إلى (١٨٠,٠٠٠) ألف فلورن في منتصف القرن السابع عشر[١٣]. وخلال وقت تمكنت الشركة من أن تصبح منافسة رئيسة للبرتغاليين في تجارة التوابل[١٤] .

ثالثاً: التعاون الهولندي الإنكليزي ضد البرتغاليين:

بعد ان ركز الهولنديون مواقعهم بالشرق الأقصى أثر استيلائهم على اندونيسيا في الثلاثين من شهر آيار سنة ١٦١٦م ز شرعوا ينازعون البرتغاليون والإنكليز الذين أخذوا بالظهور في ذلك الوقت على سواحل الهند والخليج العربي بصفة عام، ولقد وجد الهولنديون في حكام فارس مطمعاً كبيراً في كسر شوكة البرتغاليون من جهة وضرب أي مقاومة عربية تظهر من جهة أخرى.

كانت العلاقات بين الهولنديين والإنكليز حسنة منذ ان هزم الإنكليز والإيرانيون البرتغاليون في معركة هرمز سنة ١٦٢٢م فقد كان البرتغال في ذلك الوقت تمثل العدو المشترك للطرفين الإنكليزي والهولندي، لذلك سمح الإنكليز في بادئ الأمر للسفن الهولندية بالوصول إلى المياه الإيرانية[١٥].

وتمكن المسيو (هربرت فنشن) ممثل شركة الهند الشرقية الهولندية من أن يقابل الشاه عباس وأن يحصل على فرمان تضمن أمتيازات واسعة كان ضمنها للهولنديين بأن ينشئوا مصنع للحرير في بندر عباس[١٦] إلى جانب المصنع الإنكليزي الذي كان موجوداً وزاء ذلك كله فقد وقف الأسطول الهولندي إلى جانب الإنكليز في الحرب ضد البرتغاليين ووقف الفرس إلى جانب الطرفين برياً.

لقد أقتصر النفوذ البرتغالي في الخليج العربي بعد الهزيمة التي منوا بها في هرمز على مسقط، لذا فأنهم أخذوا بإعداد العدة للهجوم على هرمز واستعادتها[١٧]، وفي هذه المدة كان الفرس قد تمكنوا من احتلال صحار وخور فكان إلا أن الاحتلال لم يدم لمدة طويلة،إذ قام القائد البرتغالي بمهاجمة الأسطول الهولندي في عام ١٦٢٥م . إلا أن تعاون الهولندي مع الإنكليز أدى إلى إحباط الهجوم الذي شنه البرتغاليون ضد السفن الإنكليزية والقوات الفارسية، وحدث اشتباك أمام بندر عباس في ١١ شباط عام ١٦٢٥م وكانت هذه المعركة كبيرة وصعبة على طرفيها ولحقت بالطرفين خسائر فادحة إلا أن خسائر البرتغاليين كانت أكثر فقد أصيبت جميع سفنهم بأضرار بالغة بحيث لم تعد تصلح للقتال، ولهذا فقد أرسلوها إلى كوا . كما أن البرتغاليون أصيبوا بخسائر مادية كبيرة جداً إذ بلغ عدد قتلاهم ١٣٠ قتيلاً ونيف[١٨] .

وأدى الهولنديون دوراً كبيراً في أضعاف الوجود البرتغالي في الشرق، ففي سنة ١٦٤١ م انتزعوا منهم حلقا وشرع الهولنديون في مساعدة ملوك النسالين في حروبهم ضد البرتغاليين عام ١٦٥٤ م تمكن الهولنديون، بعد حصار طويل احتلال ميناء كولمبو وطرد البرتغاليين من سيلان عام ١٦٥٨م وبعد هذا توالت المواقع البرتغالية بالانهيار سريعاً. وما لبث كوشين قاعدتهم الأولى أن سقطت عام ١٦٦٠م ولم يبق بعد كوا سوى جزيرتي دامان وديو الصغيرتين، وبومباي التي قدمت للعاهل الإنكليزي عام ١٦٦٥م، أي أثر لذلك الصرح الكبير الذي شيده الفونسو البوكيرك[١٩] .

أما بصدد التعاون الإنكليزي الهولندي لمواجهة البرتغاليين فلم يستمر طويلاً، فحالما وضح انهيار البرتغاليين في منطقة الخليج، حتى نشبت الخلافات بينهما حول الاحتكار البحري في الخليج[٢٠].

الفصل الثاني

النشاط الهولندي في الخليج العربي

أولاً: العلاقات الهولندية الفارسية:

تركز النشاط الهولندي أولاً في فارس فسعى الهولنديون إلى التقرب من حكام (شاهات) فارس، فأرسلوا العديد من البعثات الدبلوماسية محملة بالهدايا الثمينة إلى الشاه وحاشيته تمهيداً للبدء المباحثات تجارية والحصول على امتيازات تجارية لاسيما في فارس[٢١].

ففي عام ١٦٢٣م بعث الهولنديون هاربرث فنش إلى أصفهان ومن حسن الحظ المبعوث الهولندي أن صادف وصوله هناك أنتصار الشاه عباس على العثمانيين، ولذلك فأنه كان يرحب بأية قوة أوربية

لعله يحصل على مساعدات عسكرية لطرد البرتغاليين من الخليج ولهذا فأن الشاه استقبل هاربرت بحفاوة بالغة[٢٢] .

ونجح الهولنديون بالاتفاق مع شاه فارس على حصولهم على امتيازات سخية على رغم معارضة الكثير من المسؤولين الإيرانيين والإنكليز[٢٣].

ويتكون الفرمان الذي حصلوا بموجبه على الامتيازات من ثلاثة عشر بنداً منها أعطاء تسهيلات تجارية للهولنديين في البيع والشراء في جميع أنحاء فارس دون أن يلتزموا بشراء نوع معين من المنتوجات الفارسية، كما أنهم لا يلزمون بدفع الفوائد الكمركية نقداً. ويحق لهم في حالة البيع والشراء استخدام الأوزان الخاصة بهم . وللهولنديين الحرية المطلقة في وكالاتهم التجارية ولا يجوز لأحد من الإيرانيين الذهاب إلى إحدى هذه الوكالات إلا بأذن سابق من رئيسها ولهم الحق في استخدام القوة إذا دعت الضرورة . كما أن الشاه عباس تعهد في كل الخسائر التي قد تلحق بالهولنديين نتيجة السرقة أو السطو على وكالاتهم في بندر عباس ثم سمح لهم في إقامة شعائرهم الدينية وبناء الكنائس والأديرة، وحيازة الأسلحة وشراء العبيد وعدم ارتباطهم بالمحاكم المحلية، وامر الشاه رعاياه أن يقدموا كل التسهيلات الممكنة للهولنديين من توفير القوافل والمآكل والشرب إذا دعت الضرورة كذلك ورد فرمان في حالة اعتناق أحد الهولنديين الإسلام فللهولنديين الحق في نفيه خارج فارس ومصادرة أمواله ثم اعفي الهولنديين من الضرائب المتبقية من أول عام ١٦٠٣م[٢٤] .

لقد كان الهدف الأساسي من موافقة الشاه على جميع المطالب الهولندية التي فاقت كل التوقعات رغم معارضة الإيرانيين المقربين منه هو الحصول على عون عسكري هولندي ضد العثمانيين من جهة والبرتغاليين الذين تمركزوا على الساحل من جهة أخرى بعد أن رفض الإنكليز مهاجمة الساحل إلا أن الهولنديون خيبوا آمال الشاه، إذا لم يكن في نيتهم الدخول في معارك العسكرية بجانب الشاه عباس ضد أية قوة أوربية كانت أم عثمانية، وكان همهم الوحيد هو احتكار تجارة الحرير وضرب المصالح الإنكليزية في فارس[٢٥].

وقد واصل الهولنديون العمل على تركيز وجودهم في الخليج العربي وبلاد فارس فأدركوا وهم المتمرسون في التجارة بسبب طبيعة بلادهم الأهمية الحيوية للمنطقة، لذا فقد عملوا منذ البداية على اشعال نار المنافسة مع الإنكليز وسعوا للإساءة إلى سمعة شركة الهند الشرقية الإنكليزية لدى المسؤولين الصفويين بمختلف الوسائل، إذ قاموا برفع أسعار الحرير الذي ادى بالنتيجة إلى كساد تجارة الإنكليز وقد لوحظ بشكل واضح النقص في عائدتها التجارية في بندر عباس نتيجة لتقليص الاستثمارات الإنكليزية[٢٦].

وقد خاف الإنكليز غدر الهولنديين وتآمرهم مع الفرس لاسيما أن الهولنديون قد ساعدوا الفرس، كما ساعدهم الإنكليز في تثبيت الأسطول البرتغالي الذي قام بمغامرة بائسة لاسترداد هرمز عام ١٦٣٠م، واستعمل الهولنديون مختلف الأساليب للأبقاء على قوتهم التجارية وتطويرها حتى أنهم أضحوا يدفعون أسعار أعلى للسلع الفارسية يشترونها ويبعونهم السلع الأوربية دون التكلفة(٢٧). واستعمل الهولنديون الرشوة ودفعوا أسعاراً عالية من أجل أضعاف مركز الإنكليز ولم يتقدم رجال شركة الهند الشرقية في عام ١٦٣٣م بأي طلب لأجل عقد اتفاق جديد مع الشاه حول احتكارات تجارة الحرير خوفاً من أن يقوم الهولنديين بمطالب مماثلة .

امتازت وكالة شركة الهند الشرقية الإنكليزية في فارس خلال هذه المدة بوجود شخصيات إنكليزية تهمل مصلحة الشركة وتأكد على جيوبها الخاصة، وكان الوكيل البريطاني في أصفهان، بعد وفاة كبسون لا يتردد في استعمال أموال الشركة لتقديم القروض إلى التجار الهولنديون، وبذلك ساعدهم على شراء الحرير وعلى مصلحة التجار الإنكليزية وتمكن الهولنديون من الحصول على فرمان يعفيهم من ضريبة الاستيراد(٢٨).

ثانياً: الازدهار التجاري الهولندي:

بلغ الهولندي في الخليج العربي قمته في عام ١٦٤٩م، فقد كان احتمال حصولهم على صفقات أكثر من الحكومة الصفوية وارداً في الحسبان لأنها أصبحت ترهبهم أكثر من تحترمهم(٢٩) .

لقد برز الازدهار التجاري الهولندي واضحاً من خلال زيادة التجارة والسفن الواصلة إلى الخليج العربي وبلاد فارس عام ١٦٥٠م إذ وصلت ميناء بندر عباس أسطول تجاري هولندي مكون من ١١ سفينة محملة بمختلف البضائع ونجحوا في تصريفها في الأسواق(٣٠).

وذكر الرحالة الشهير تافيزنيه الذي زار بندر عباس في تلك المدة ان الهولنديين استوردوا كميات من الفلفل والبهارات تقدر (١,٢٠٠) مليون باون إلى فارس وأعطوها ثمناً ككميات كبيرة من الحرير . وفي عام ١٦٥١م بلغت كميات البضائع التي نقلتها السفينة تجارية هولندية إلى بندر عباس ما يقارب (١٠٠,٠٠٠) باون إنكليزي واستقروا على هذا المعدل حتى عام ١٦٥٣م وزاد عدد السفن الهولندية إلى ١٥ سفينة سنة ١٦٥٣م وبلغت قيمة حمولتها (١٢٠,٠٠٠) جنية أستيرليني(٣١).

واصل الهولنديين نشاطهم التجاري حتى فاقوا بالقوة الإنكليز والأرمن فأصبحوا سادة التجار وأصحاب القوة يخشاهم الجميع خوفاً منهم ومن قوتهم ومن خلال الوصف الذي قدمه بروس لحادثة حصلت في أحد الأيام للهولنديين في بلاد فار ما يقول: ((وصلت أحدى السفن الهولندية كانت محملة بالفلفل فطلب الهولنديين أسعاراً عالية جداً لم يقدر أحد من التجار المحليين بالشراء فأضطر الهولنديين إلى انزال بضائعهم قرب الميناء وحرقها أمام أعين الناس لعدم حصولهم على السعر المطلوب))(٣٢).

ومع هذا التفوق التجاري والنجاح الذي أحرزه الهولنديين في فارس والقيام بصفقات تجارية ضخمة ألا أنه الشاه والمسؤولين الإيرانيين كانوا ميالين إلى شركة الهند الشرقية الإنكليزية، ولذلك فأن الفرصة كانت سانحة للإنكليز بأن يواجهوا الهولنديين وذلك لأن الامتيازات التي منحتها السلطات الفارسية للإنكليز كانت تفوق امتيازات شركة الهند الشرقية الهولندية مع أن الهولنديين حاولوا بسط سيطرتهم على الفرس بالقوة العسكرية(٣٣).

وتصاعد الصراع الهولندي الإنكليزي إلى حد إعلان الحرب على بعضها البعض عام ١٦٥٢م، واندلعت نيران الحروب واشتعلت أوربا ما بين إنكلترا وهولندا بصراع مرير دام عامين كاملين وانتهت الحرب سجالاً بين الطرفين ولكن هولندا عمدت في أثنائها إلى توسيع رقعة القتال ونقل ساحات القتال إلى ما وراء البحار وهنا أظهر أسطول هولندي في ميناء سورات الهندي قاصداً مياه الخليج واشتبك مع الأطول الإنكليزي وتمكنت من أسر ثلاثة سفن منه ولم يمض عامان على هذا الحادث حتى جدد الهولنديون الاشتباك مع الإنكليز واغرقوا لهم سفينتين في مياه بندر عباس مما عطل تجارة الإنكليز، وقد وصل الأمر إلى استحالة استلام أية بضاعة عن طريق الهند لأن الأسطول الهولندي قد سد منفذ الملاحة في الخليج العربي وفي حين استمرت في الوقت عينه السفن الهولندية تتولى على الخليج العربي، فقد وصلت ١٥ سفينة هولندية إلى بندر عباس الهولندية بشراء بضائع من بندر عباس بكميات هائلة لا تدل على أن هذه الدولة تخوض حرباً في الخليج.

صعد الهولنديون من نشاطهم السياسي والتجاري في الخليج العربي وقد ساعد ذلك التصاعد فتور العلاقة بين شركة الهند الشرقية الإنكليزية والصفويين، فضلاً عن الشائعات التي انتشرت عن احتمال غلق كل المؤسسات التجارية الإنكليزية على أن الهولنديين أصبحوا قوة عظيمة لا تضاهيها قوة حتى أن الشاه الصفوي سكت عن الأسطول الهولندي الذي سد ميناء بندر عباس الشريان الرئيس لتجارة بلاد فارس . هذا وقد استمر الهولنديون يستخدمون القوة في كل تصرف أو صراع مع الأطراف الأخرى المحلية والأجنبية كلما وجدوها مجدية(٣٤).

أما الإنكليز فقد حذو حذو الهولنديون في استخدام القوة بين عامي ١٦٦٠-١٦٦١م عساها ان تساهم في إعادتهم إلى المكانة التي وصلت عليها شركة الهند الشرقية الهولندية فأمرت رئاسة الشركة الإنكليزية في سورات بفرض حصار على بندر عباس لكن وكيلها في الميناء لم يقر أمر رؤسائه، لذا تراجعت رئاسة الشركة الإنكليزية خطتها مما أدى إلى تركز موقع الهولنديين وتصاعد قوتهم فأصبحت تمخر عباب الخليج سنوياً محملة بالبضائع النفيسة كالتوابل والفضة والذهب والأقشمة(٣٥).

وفي عام ١٦٦٣م أوصى مجلس إدارة الشركة الإنكليزية في لندن وكالة سورات بأن تسحب كل الموظفين من بندر عباس على أن يظل أثنان أو ثلاثة من المسؤولين لمتابعة التجار هو تحصيل العوائد

الكمركية هناك ثم خول مجلس الإدارة في لندن وكالة سورات بإغلاق وكالة بندر عباس إذا كان ذلك ضرورياً . بيد ان الوكالة رأت عكس ما يشير به مجلس الإدارة، وتمكنت بأمتيازاتها في الميناء لاسيما تحصيل نصيبها من الكمارك وهو ما يعادل (٥٠%) .

وأخيراً وجدت الشركة ١٦١٤ أنه قد آن الأوان لتجميد نشاطها في فارس وتوقف أعمالها وتسحب استثماراتها إلى أجل غير مسمى[٣٦] . ويظهر ذلك ضعف النفوذ الإنكليزي في الساحل الشرقي الشرقي من الخليج العربي حتى أن فرع الشركة الإنكليزية في سورات لم يحبذ فكرة إرسال مبعوث إلى أصفهان للشكوى لدى الشاه لأن امره عديم الجدوى في رأيها[٣٧]، ولقد ازداد النفوذ الهولندي حتى أصبحوا يملكون ثلاثة أو أربعة سفن كبيرة الحجم تغمر مياه الخليج العربي سنوياً حاملة العلم الهولندي[٣٨] . وقام الهولنديون بإرسال بعثة دبلوماسية إلى أصفهان في عام ١٦٦٢م للتباحث مع الشاه بشأن عقد اتفاقيات تجارية أفضل من سابقاتها[٣٩].

واستمر التفوق الهولندي في عهد الشاه سليمان، إذ ظلت الامتيازات الهولندية السابقة كما هي دون تغيره وقد أهتم الشاه بالتجار كثيراً حتى أصبح ميناء بندر عباس يستقبل معظم السفن الهولندية الذاهبة إلى البصرة والقادمة منها ومن مناطق أخرى ويجد التجيار هناك كل ما يحتاجونه من السلع التي كانت أهما المنتوجات والتوابل والسكر والنحاس والذهب والفضة[٤٠].

ولقد لجأ الهولنديين في العقد السابع عشر الأساليب الدعائية فأطلقوا إشاعة في بلاد فارس مفادها أن الإنكليز قد فقدوا جميع سفنهم في الحرب التي اندلعت في أوربا واسهمت تلك الإشاعات في تدهور النفوذ التجاري والسياسي الإنكليزي في الساحل الشرقي من الخليج العربي بسبب تصديق الفرس لها فما كان من الشاه ورعاياه أهملوا الإنكليز والتجارة الإنكليزية[٤١]، وعظمت التجارة الهولنديين حتى قدر بـ (١٢٠,٠٠٠) جنية أسترليني بينما أخذت التجارة الإنكليزية في التراجع لذلك قرر الإنكليز في نهاية عام ١٦٦٩م اللجوء السياسية العنف والقوة لإجبار الشاه لمطالبهم ألا انهم سرعان ما تراجعوا عن تنفيذ هذه الفكرة مما أدى إلى استعمار تدهور التجارة الإنكليزية[٤٢].

ثالثاً: التنافس الهولندي الإنكليزي في البصرة:

ظهرت أول سفينة هولندية في البصرة عام ١٦٣٩م غير أنها كانت سفينة مستأجرة من قبل شاه إيران كما أنها لم تقم ببعثة تجارية لشركة الهند الشرقية الهولندية وظلت الحالة عدة سنوات إلى أن بعث في نهاية الأمر مدير المؤسسات التجارية الهولندية في الخليج العربي ووليراند جيلفسن دي يونغ عدداً من السفن إلى البصرة لاستقصاء الإمكانيات التجارية وسببت هذه البعثة الكبيرة نسبياً المؤلفة من ثلاثة سفن نوع من القلق أو الهلع لدى البريطانيين الذين كانوا حتى ذلك الوقت الوحيدين الذين يتاجرون في البصرة على مقياس محدود جداً. وكان الأمر سعيد بالنسبة لهم، إذ أن الحملة الهولندية لم تكن ناجحة وقد انتهت

بكارثة عندما دمرت النيران أحدى السفن الهولندية ففقدت أثر ذلك جميع حمولتها وبذلك فقد تردد الهولنديون في تكرار التجربة[٤٣].

وعندما فكرت شركة الهند الشرقية الإنكليزية تكون دائمة في البصرة وبالفعل قامت بنقل أملاكها من بندر عباس مؤقت إلى البصرة خلال الأزمة التي حصلت بين الفرس والهولنديين وزدات حجم التجارة الإنكليزية في البصرة بنسبة كبيرة.

إذ حقق الإنكليز مكاسب جيدة فضلاً عن سيطرتهم الفعلية والتامة على تجارة البصرة دون أي منافس وقد أدرك الهولنديون هذه الحقيقة لهذا فقد توجهوا نحو البصرة عام ١٦٤٥، لبدء تجارتهم مع هذا الميناء، إذ أرسلوا سفينتين صغيرتين مسلحتين بصورة جيدة مع شحنة غنية من البضائع وأرد الهولنديين من وراء ذلك أظهار قوتهم العسكرية لوالي البصرة . كما فعلوا في بلاد فارس وهذا يؤكد أسلوب الهولنديين وأحد وان اختلف الزمان والمكان[٤٤] . واستقبل والي البصرة علي باشا الهولنديين بحفاوة بالغة فشجعهم ذلك على إرسال أسطول تجاري إلى البصرة مؤلف من ٨ سفن محملة بالبضائع وأنزلوا حمولتهم في منطقة المناوي وهي منطقة تقع على شط العرب في رأس العشار، فأثرت تلك الكمية من البضائع على أسعار السلع الإنكليزية في البصرة فأصابها الكساد عندما أرسل الإنكليز شحنة من البضائع فوجئوا بامتلاء السوق بالبضائع الهولندية[٤٥].

الفصل الثالث

نهاية الغزو الهولندي للخليج العربي

أولاً: الاحتلال الهولندي لجزيرة خرج[٤٦]:

لقد كان الهولنديون حتى عام ١٧٥٢ مقيمة في البصرة تمارس نشاطها التجاري من خلال ممثلها البارون كيفنهاوزن[٤٧] الذي امتاز بروح المغامرة والاندفاع والمشاكسة والفساد فتخاصم مع عدد من تجار البصرة والسلطات العثمانية فيها. مما أدى طرده من الميناء وإغلاق المقيمة من بعده وخرج كينفهاوزن مطروداً من البصرة على ظهر إحدى السفن بصحبة زورقين متجهاً إلى يتافيا حيث المقر الرئيس للشركة في الشرق وخلال مروره في الخليج العربي جلبت خرج انتباهه[٤٨] .

وقد اختلف الآراء حول سبب طرد البارون كيفنهاوزن من البصرة فيذكر البعض ان سبب طرده يعود إلى روح الحقد والكراهية من قبل الآخرين ولاسيما المقيم الإنكليزي في البصرة وذلك لأن البارون نجح في كسب أعتبار وتقدير الجميع، لذلك لجأ المقيم إلى تحريض بعض مسلمي البصرة لتقديم الشكاوي ضد البارون والفعل تم رفع عدد منها ونقلها إلى الباشا في بغداد .

مما أدى إلى امتعاض والي البصرة (سليمان باشا) فما كان منه ا لاان أصدر أومره إلى والي البصرة (أحمد باشا) لتضيق الخناق على البارون بحيث أدى ذلك إلى خلق حالة العداء ضد البارون

كيفنهاوزن اسفرت في النهاية إلى طرده من البصرة[٤٩]، وكما اسلفنا سابقاً بان جزيرة خرج من كانت قد لفتت أنتباه كيفنهاوزن فتوقف قليلاً فيها، وفكر في الاستقرار فيها، بعد ان استغل إقامته فيها في إجراء مسح للجزيرة وأكد له أهمية الموقع ومناسبة أحواله في إقامة مركز تجاري للهولنديين فيها، لهذا عمد إلى توطيد علاقته بالشيخ ناصر ال صعب، وأصبح من أصدقائه المقربين، وكان بين آونة وأخرى يقدم له المساعدة، مما أكسبه ثقته شيخ الجزيرة[٥٠].

استغل كيفنهاوزن تلك العلاقة فدخل في مفاوضات مع الشيخ بشأن استئجار جزيرة خرج مقابل إيجار سنوي[٥١]، وقد اعتبرت السلطات الهولندية ذلك فرصة لاحتلال الجزيرة ينبغي لا تضيع فهي مناسبة مؤمنة للأغراض الحربية والسياسية والتجارية بعد تدهور أوضاعهم في منطقة الخليج العربي، وقد عملوا بعد احتلالها مباشرة إلى وضع الخطط لجلب المستنوطنين وطرد سكانها العرب، كمرحلة أولى تقرر جلب ثمانين عائلة آسيوية كما أقيمت التحصينات في الجزيرة، إذ تم بناء قلعة محكمة في شمال شرقي من الجزيرة وارتفعت المتاريس في اركانها الأربعة التي وضعت في كل منها ستة مدافع[٥٢].

وقد وصف وود الوكيل الإنكليزي في بندر ريق[٥٣] آنذاك التحصينات الهولندية عندما زار جزيرة خرج سنة ١٧٥٦فذكر ان الحامية العسكرية الموجودة هناك تتكون من ستين جندياً إلى جانب مائة عبد أفريقي مسلحين بالسيوف والدروع كما تركوا أمام الجزيرة سفينة حربية عليها عشرة مدافع ثابتة على عربات وستة مدافع تتحرك دائرياً ثم زورق آخر يحمل ستة مدافع ثابتة وأربعة تترك وقد بعث إلى وكالة بندر عباس ودراسة وافية عن الجزيرة واستحكامات الهولنديين فيها[٥٤].

وذكر المستر وود عن تجارة الهولنديين في الجزيرة فقال: ((ان مخزن الهولنديون هناك يحتوي على السكر، وقصب السكر والفلفل والتوابل والجلود والحديد والقصدير والمنتوجات وان الهولنديون كانوا يستعملون ثمانية سفن صغيرة لصيد اللؤلؤ ويقومون برحلات الصيد هذه بسرية تامة خوفاً من غارات العرب عليهم وكان الهولنديون يفكرون بترحيل العائدات العربية من الجزيرة وجلب عوائل من المستمرات الهولندية في الصين، كما كانوا يطمعون في السيطرة على بندر ريق أيضاً))[٥٥]. وحاولت السلطات الهولندية أغراء المسيحيين في البصرة وغيرها من موانئ الخليج العربي للإقامة في جزيرة خرج وقد أتخذ الهولنديون من الجزيرة مركزاً للتحكم في الخليج العربي وتضيق الخناق على البصرة وذلك حينما أغلق الهولنديون ميناءً حراً مفتوحاً للملاحة مع جميع البلدان ليحل محل البصرة[٥٦] .

لم يمر سوى وقت قصير على استيلاء الهولنديين على جزيرة خرج حتى نفذوا تهديدهم ضد العثمانيين ومتسلم البصرة . فاستلوا على سفينتين تجاريتين لمستلم البصرة وطالبوا مقابل الإفراج عنهما بمبلغ كبير يزيد كثيراً عن المبلغ الذي أخذ المتسلم من كيفينهاوزن[٥٧] .

وفي عام ١٧٥٤ وصل إلى كيفنهاوزن خطاب من حكومة بتفافيا موجه إلى سليمان باشا والي بغداد يطلب منه رد الأموال التي أخذها من الوكيل، وإذا لم يفعل ذلك فأن حكومة يتافيا سوف تصل إلى

بغداد من يجبره على رد الأموال وإعادة فتح الوكالة الهولندية في البصرة وأنهم سوف يعملون اصلاحات في مقرهم السابق[٥٨].

ويبدو أن سكان البصرة كانوا يرفضون بالأجماع عودة كيفنهاوزن إلى بلدهم مرة ثانية ولذلك التمسوا من باشا لا يسمح بعودة المقيم الهولندي السابق إلى البصرة ولا فأنهم سيهجرون المدينة . ولقد بلغ من كره الأهالي لكيفنهاوزن أنهم أعلنوا استعدادهم لتسديد المبلغ الذي يطلبه الهولنديون والذي سبق وأن أخذته السلطات العثمانية منهم.

رفض الباشا التهديدات الهولندية ورد على خطاب حكومة بتافيا بانه لا يوافق على عودة كيفنهاوزن ولا عن رد ما يطلبه الهولنديين من أموال، ولكن لا مانع لديه من إعادة فتح الوكالة في البصرة، وكان كيفنهاوزن مصراً على تنفيذ تهيديده فرد على الباشا بانه لا يرغب في العودة مرة ثانية وإنما يرغب فقط في مزيد من الأموال وفي مقابل ذلك وافق متسلم البصرة على دفع (٣٠) ألف روبية للهولنديين وسمح لهم بإنشاء وكالة ثم تسديد الديون المتبقية وبذلك انتهت الخلافات القائمة بين كيفنهاوزن والعثمانيين[٥٩] .

انصب اهتمام الهولنديون على جزيرة خرج بعد هذه التسوية فقاموا بتشييد كثير من التحصينات الدفاعية في الجزيرة، إذ قاموا ببناء قلعة هولندية محصنة خلافاً لاتفاق كيفهناوزن مع الشيخ ناصر الذي تضمن إقامة مركز تجاري هولندي وليس مستوطنة هولندية[٦٠]، مما أثار حفيظة الشيخ ناصر الانه سرعان ما رضخ الهولنديين لعدم تمكنه من الوقوف بوجههم إذ لم يكن لديه قوة تكافؤ قوة الهولنديين آنذاك[٦١].

ثانياً: التنافس الإنكليزي الهولندي في جزيرة خرج:

كان احتلال الهولنديين للجزيرة قد أثار حفيظة الإنكليز أيضاً وأطماعهم الوقت نفسه، إذ حقق الهولنديون نتائج كبيرة في المجال التجاري والسياسي على حد سواء بحيث أنهم تمكنوا من استعادة هيبتهم التجارية التي فقدوها في الخليج العربي[٦٢] .

واتبع الإنكليز سياسة عدم المواجهة مع الهولنديين حسب أوامر وجهت من قبل حكومة بومباي في الهند إلى المقيم الإنكليزي في بندر ريق حفاظاً على مصالحهم التجارية[٦٣].

الخاتمة

يتضح من خلال هذا البحث أن الوجود الهولندي في الخليج العربي لم يكن مجرد نشاط تجاري عابر، بل كان مشروعًا استعماريًا اتخذ من التجارة مدخلًا للنفوذ السياسي والعسكري. فقد استغلت شركة الهند الشرقية الهولندية أهمية الخليج العربي وموقعه الحيوي في طرق الملاحة الدولية، وسعت إلى

السيطرة على الموانئ والجزر الاستراتيجية، ولا سيما بندر عباس والبصرة وجزيرة خرج، مستفيدة من التنافس الأوروبي والصراعات الإقليمية والتحالفات المؤقتة مع القوى الفارسية.

ومع ذلك، فإن هذا النفوذ لم يستمر طويلًا أمام تصاعد المقاومة العربية المحلية التي أدركت خطورة الوجود الهولندي على السيادة والتجارة والأمن في الخليج العربي. وقد مثّلت مقاومة الشيخ مهنا بن ناصر الزعابي محطة حاسمة في إنهاء هذا الوجود، إذ أسهمت في تقويض القوة الهولندية وطردها من جزيرة خرج، لتؤكد أن القوى العربية المحلية لم تكن هامشية في أحداث المنطقة، بل كانت فاعلًا رئيسًا في مواجهة المشاريع الاستعمارية.

النتائج

١. أثبت البحث أن التغلغل الهولندي في الخليج العربي بدأ بدوافع تجارية، لكنه تحول تدريجيًا إلى نفوذ عسكري وسياسي مباشر.
٢. كان تأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية عاملًا مهمًا في تنظيم النشاط الهولندي وتوسيع نفوذه في الشرق والخليج العربي.
٣. استفاد الهولنديون من تحالفاتهم المؤقتة مع الفرس والإنكليز في البداية لإضعاف البرتغاليين، ثم دخلوا لاحقًا في صراع مع القوى الأوروبية والمحلية.
٤. كشفت الدراسة أن جزيرة خرج كانت آخر وأهم مركز للوجود الهولندي في الخليج العربي، وقد تحولت إلى قاعدة استعمارية محصنة.
٥. بيّن البحث أن المقاومة العربية، ولا سيما بقيادة الشيخ مهنا بن ناصر الزعابي، كان لها الدور الحاسم في إنهاء الوجود الهولندي في الخليج العربي.

التوصيات

١. ضرورة إعادة دراسة تاريخ الخليج العربي من منظور عربي يبرز دور القوى المحلية في مقاومة الاستعمار الأوروبي.
٢. الاهتمام بالوثائق الهولندية والبريطانية والفارسية وترجمتها وتحليلها بما يخدم كتابة تاريخ أكثر توازنًا للمنطقة.
٣. تشجيع الدراسات الأكاديمية التي تتناول تاريخ الجزر والموانئ الخليجية بوصفها مراكز استراتيجية في الصراع الدولي.
٤. توسيع البحث في شخصية الشيخ مهنا بن ناصر الزعابي ودوره في مقاومة النفوذ الأجنبي في الخليج العربي.
٥. الإفادة من هذه المرحلة التاريخية في فهم جذور التنافس الدولي الحديث على الخليج العربي وأثره في تشكيل موازين القوى الإقليمية.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: الكتب

١. إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني .*بريطانيا وإمارات الساحل العماني* .بغداد: دار الإرشاد، ١٩٧٨م.
٢. البراوي، فتحية، ومحمد نصر مهنا .*الخليج العربي: دراسة في تاريخ العلاقات الدولية والإقليمية* . الإسكندرية، د.ت.
٣. التكريتي، سليم طه .*المقاومة العربية في الخليج العربي* .بغداد: دار الحرية، ١٩٨٢م.
٤. الخطيب، مصطفى عقيل .*التنافس الدولي في الخليج العربي ١٦٢٢-١٧٦٣م* .بيروت، د.ت.
٥. الربيعي، هيفاء عبد العزيز .*غزاة في الخليج* .الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٩م.
٦. الصيرفي، نوال حمزة .*النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر/السادس عشر الميلادي* .الرياض، ١٩٨٣م.
٧. العابد، صالح محمد .*دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧-١٨٢٠م* .بغداد، ١٩٧٦م.
٨. عبد الله، أمين مصطفى عفيفي، وأحمد عزت عبد الكريم .*تاريخ أوربا الاقتصادي* .ط٣. مصر، ١٩٥٤م.
٩. القلعجي، قدري .*الخليج العربي* .بغداد: دار الكاتب العربي، ١٩٦٥م.
١٠. اللهيتي، صبري فارس .*الخليج العربي: دراسة في الجغرافية السياسية* .بغداد، ١٩٨١م.
١١. النجار، مصطفى، وآخرون .*تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر* .البصرة: جامعة البصرة، ١٩٨٤م.
١٢. نورس، علاء الدين .*السياسة الإيرانية في الخليج العربي إبان عهد كريم خان الزند ١٧٥٧-١٧٧٩م* .الكويت: الفليج، ١٩٨٢م.

ثانيًا: الرسائل والأطاريح الجامعية

١٣. الخزاعي، سمر رحيم نعمة .*التنافس الإنكليزي الهولندي في الخليج العربي ١٦٦٥-١٧٦٦م وموقف القبائل العربية منه* .رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية/ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٩م.
١٤. القرالة، عمر محمد جعفر .*المشيخات العربية في الساحل الشرقي للخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر* .أطروحة دكتوراه غير منشورة.
١٥. النعيمي، نغم طالب عبد .*العلاقات الخارجية لدولة اليعاربة في عُمان ١٦٢٤-١٧٤٧م* .رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٥م.

ثالثًا: البحوث والدراسات المنشورة

١٦. التدمري، أحمد جلال. "الصراع الدولي حول الخليج العربي: قراءة في الوثائق الهولندية المكتشفة حديثًا ."*مجلة الوثيقة*، البحرين، العدد ١٢.

١٧. الداود، محمود علي. "تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي ١٦٣٠-١٧٦٠م ."*مجلة كلية الآداب*، العدد ٣.

١٨. سلوت، بي. جي. "دراسة حول نشاطات شركة الهند الشرقية الهولندية في البصرة بين عامي ١٦٤٥-١٦٥٤م". ترجمة عبد الجبار ناجي .*مجلة الخليج العربي*، جامعة البصرة، العدد ١، ١٩٨٥م.

١٩. غنام، علي. "احتلال النفوذ الأجنبي في الخليج العربي ."*مجلة الخليج العربي*، جامعة البصرة، العدد ١، ١٩٨٨م.

الهوامش:

[١] مصطفى عقيل الخطيب، التنافس الدولي في الخليج العربي ١٦٢٢– ١٧٦٣م، الناشر، بيروت ص١٤٤ .

[٢] هيفاء عبد العزيز الربيعي، غزاة في الخليج، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل،١٩٨٩، ص٢١ .

[٣] لنشوتن : ينتمي إلى أسرة كبيرة في مقاطعة هارلم أحدى مقاطعات أقاليم اتحاد الأراضي المنخفضة، إذ انتظم في سلك الرهينة ورحل إلى الهند عام ١٥٨٣م برفقة أسقف جوا وعمل أميناً لأسرار كبير الأساقفة ومن خلال منصبه استطاع الحصول على معلومات قيمة عن الهند فيما يخص التجارة وطرق المواصلات و المنتوجات الشرقية . ينظر : مصطفى عقيل، المصدر السابق، ص١٤٥ .

[٤] محمود علي الداود، " تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي١٦٣٠–١٧٦٠ "، مجلة كلية الآداب، العدد ٣، ص٢٦٣ .

[٥] نغم طالب عبد النعيمي، العلاقات الخارجية لدولة البعارية في عمان (١٦٢٤–١٧٤٧)م، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٥، ص٩٠ .

[٦] أحمد جلال التدمري، " الصراع الدولي حول الخليج العربي "، قراءة في الوثائق الهولندية المكتشفة حديثاً، مجلة الوثيقة، البحرين، العدد ١٢، ص٦٧ .

[٧] مصطفى عقيل الخطيب، المصدر السابق، ص١٤٦ .

[٨] فتحية البراوي، محمد نصر مهنا، الخليج العربي دراسة في تاريخ العلاقات الدولية والإقليمية، الإسكندرية، د.ت، ص١٤٢ .

[٩] أمين مصطفى عفيفي عبد الله، أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ أوربا الاقتصادي، ط٣، مصر، ١٩٥٤ ص١٥٢.

[١٠] أحمد جلال التدمري، المصدر السابق، ص٦٨ .

[١١] أمين مصطفى عفيفي، أحمد عزت عبد الكريم، المصدر السابق، ص١٥٤ .

[١٢] سليم طه التكريتي، المقاومة العربية في الخليج العربي، دار الحرية، بغداد ، ١٩٨٢،ص٦٢ .

[١٣] هيفاء عبد العزيز الربعي، المصدر السابق، ص٢٥ .

[١٤] صالح محمد العابد، دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧ – ١٨٢٠ م، بغداد، ١٩٧٦، ص٢٨ .

[١٥] سليم طه التكريتي، المصدر السابق، ص٦٢ .

[١٦] أسس هذا الميناء من قبل البرتغاليين في مطلع القرن السادس عشر تحت اسم كمبرون وبعد طرد البرتغاليين من هرمز . غير اسمه الشاه عباس الأول إلى بندر عباس . ينظر : صالح العابد، المصدر السابق، ص٢٧ .

[١٧] سمر رحيم نعمة الخزاعي، التنافس الإنكليزي الهولندي في الخليج العربي ١٦٦٥–١٧٦٦ م وموقف القبائل العربية منه، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية / ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٩، ص١٩ .

[١٨] عقيل مصطفى الخطيب، المصدر السابق، ص٥٣ .

[١٩] القائد البرتغالي الذي أرسل إلى الهند في عام ١٥٠٣م والذي ادى دوراً كبيراً في الغزو البرتغالي للخليج العربي، وفي عام ١٥٠٩م عين نائب للملك البرتغالي في الهند وتوفي في ١٦ تشرين الأول عام ١٥١٥م . ينظر : نوال حمزة الصيرفي، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر / السادس عشر الميلادي، الرياض، ١٩٨٣، ص١١٧ .

[٢٠] صالح محمد العابد، المصدر السابق، ص٢٨ .

[٢١] سمر رحيم الخزاعي، المصدر السابق، ص٣٨ .

[٢٢] مصطفى عقيل الخطيب، المصدر السابق، ص١٤٨ –١٤٩ .

[٢٣] أحمد جلال التدمري، المصدر السابق، ص٦٨ .

[٢٤] مصطفى عقيل الخطيب، المصدر السابق، ص١٤٩ ؛ هيفاء عبد العزيز الربيعي، المصدر السابق، ص٤١ –٤٢.

[٢٥] عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، بريطانيا وإمارات الساحل العماني، الإرشاد، بغداد، ١٩٧٨، ص٥٨ .

[٢٦] هيفاء عبد العزيز الربيعي، المصدر السابق، ص٤٦ .

[٢٧] عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، المصدر السابق، ص٥٨ .

[٢٨] محمود علي الداود، المصدر السابق، ص٦٤ .

[٢٩] صبري فارس اللهيتي، الخليج العربي، دراسة في الجغرافية السياسية، بغداد، ١٩٨١، ص٣٥ .

[٣٠] مصطفى عقيل الخطيب، المصدر السابق، ص١٦٢ .

[٣١] محمود علي الداود، المصدر السابق، ص٢٦١ .

[٣٢] هيفاء عبد العزيز الربيعي، المصدر السابق، ص٣٨ .

[٣٣] مصطفى عقيل الخطيب، المصدر السابق، ص١٦٣ .

[٣٤] قدري القلعجي، الخليج العربي، دار الكاتب العربي، بغداد، ١٩٦٥، ص٣٨٧ .

[٣٥] هيفاء عبد العزيز الربيعي، المصدر السابق، ص٨٠ .

[٣٦] مصطفى عقيل الخطيب، المصدر السابق، ص١٦٧ .

[٣٧] هيفاء عبد العزيز الربيعي، المصدر السابق، ص٨١ .

[٣٨] سمر رحيم نعمة الخزاعي، المصدر السابق، ص٤٠ .

[٣٩] علي غنام، " احتلال النفوذ الأجنبي في الخليج العربي، مجلة الخليج العربي"، جامعة البصرة، العدد ١، ١٩٨٨، ص٢٦ .

[٤٠] هيفاء عبد العزيز الربيعي، المصدر السابق، ص٩٢ .

[٤١] سمر رحيم نعمة الخراي، المصدر السابق، ص١٧١ .

[٤٢] مصطفى عقيل الخطيب، المصدر السابق، ص٨٠ .

[٤٣]بي جي سلوت، " دراسة حول نشاطات شركة الهند الشرقية الهولندية في البصرة بين عامي ١٦٤٥– ١٦٥٤"، ترجمة عبد الجبار، ترجمة عبد الجبار ناجي، مجلة الخليج العربي، جماعة البصرة العدد ١، ١٩٨٥، ص٩٨ .

[٤٤]سمر رحيم نعمة الخزاعي، المصدر السابق ن ص٤٦– ٤٧ .

[٤٥]مصطفى عقيل الخطيب، المصدر السابق، ص١٦١ .

[٤٦]جزيرة ذات أهمية في الخليج العربي يقع حدها الجنوبي الشرقي عند مكان يبعد عن مدينة بوشهر ٢٤ ميلاً في اتجاه غرب الشمال العربي . وتذكر الكتب البلدانية بأن مغاصات اللؤلؤ الرئيس في الخليج العربي هي خرج وقطر وعمان سرنديب، وتمتاز هذه الجزيرة بجوها الصحي وتوافر المياه الصالحة وجوده التربة في بعض أجزائها . وتشتهر بإنتاج الحنطة والشلب والتمور وأنواع جيدة من العنب، وتعد جزيرة خرج اليوم ميناء خاصاً لشحن النفط وربطت بحقول نفط كاجسران بواسطة خط أنابيب بري وبحري . ينظر : علاء الدين نورس، السياسة الإيرانية في الخليج العربي أبان عهد كريم خان ١٧٥٧– ١٧٧٩، الفليج، الكويت، ١٩٨٢، ص٣٦.

[٤٧]يعد مهندس السياسة الهولندية في الخليج العربي، عمل مطلع حياته في الجيش الروسي إذ ينحدر من اسرة روسية خدم في الجيش الفرنسي، ثم حط الرحال في شركة الهند الشرقية الهولندية حباً في المغامرة ثم اصبح معتمداً عاماً للشركة في الخليج العربي، وأتخذ من البصرة مقراً لها، وظل فيها يشرف على المصالح الهولندية في العراق وجنوب فارس عام ١٧٣٠ – ١٧٥٢ عندما أبعده العثمانيين منها إلى البحرين . ينظر : عمر محمد جعفر الغزالة، المصدر السابق، ص١٧٢ .

[٤٨]هيفاء عبد العزيز الربيعي، المصدر السابق، ص١١٩ .

[٤٩]سمر رحيم نعمة الخزاعي، المصدر السابق، ص٧٣ .

[٥٠]عمر محمد جعفر الغزالة، المصدر السابق، ص١٧٣ .

[٥١]سمر رحيم نعمة الخزاعي، المصدر السابق، ص٧٣ .

[٥٢]مصطفى التجار، وآخرون، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، جامعة البصرة، ١٩٨٤، ص٤٤– ٤٥ .

[٥٣]تقع بندر ريق في الجزء الشمالي من الخليج العربي وتتميز بكونها ميناء مهماً للتجارة المواصلات في المنطقة . ومما يزيد من أهميتها موقع جزيرة خرج الستراتيجي الذي يقابلها في وسط البحر ويبعد عنها حوالي (٢٣) ميلاً، للتفاصيل ينظر : علاء الدين نورس، المصدر السابق، ص٣٦– ٣٧ .

[٥٤]مصطفى عقيل الخطيب، المصدر السابق، ص٢٤٠ .

[٥٥]سليم طه التكريتي، المصدر السابق، ص٦٧ .

[٥٦]عمر محمد جعفر الفرالة، المصدر السابق، ص١٧٤ .

[٥٧]مصطفى عقيل الخطيب، المصدر السابق، ص٢٤٠ .

[٥٨]هيفاء عبد العزيز الربيعي، المصدر السابق، ص١٢٦ .

[٥٩]مصطفى عقيل الخطيب، المصدر السابق، ص٢٤١ .

[٦٠]سحر رحيم نعمة الخزاعي، المصدر السابق، ص٧٦ .
[٦١]مصطفى النجار، وآخرون، المصدر السابق، ص٤٥ .
[٦٢]سحر رحيم نعمة الخزاعي، المصدر السابق، ص٧٦ .
[٦٣]هيفاء عبد العزيز الربيعي، المصدر السابق، ص١٢٨ .

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

الفكر القومي العربي وتحولاته السياسية في إمارات الساحل العماني ١٩٤٨- ١٩٦٧

Arab Nationalist Thought and Its Impact on the Emirates of the Omani Coast 1948-1967

م.د حسين فالح جياد
Teacher Dr: Hussein Faleh Jiyad
جامعة ذي قار / كلية التربية الاساسية
تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر
History of the modern Arabian Gulf
hussin.f.j@utq.edu.iq
٠٧٨٠٣٠١٣٦٨٦

الاستلام(Received) : ١٣ /٠٥/ ٢٠٢٦	التعديل (Revision) : ٠٦/٠٧ / ٢٠٢٦
القبول(Accepted) : ٠٨ /٠٩/ ٢٠٢٦	النشر (Published) : ٠٩/٣٠/ ٢٠٢٦

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

ملخص البحث بالغة العربية

تعد حركة (القوميين العرب) إحدى أبرز التنظيمات السياسية والفكرية التي نشطت في منتصف القرن العشرين وتحديداً بعد هزيمة العرب أمام الكيان الصهيوني في حرب عام ١٩٤٨ متأثرة بصعود التيار القومي العربي بقيادة الرئيس المصري جمال عبدالناصر ١٩٥٤-١٩٧٠ , وقد تأسست تلك الحركة على يد مجموعة من المثقفين العرب أمثال جورج حبش ووديع حداد واحمد الخطيب ,وقد انتقلت افكارها الى منطقة الخليج العربي وتحديداً الساحل العماني أو الساحل المتصالح عبر الطلبة الدارسين في الخارج والعمالة العربية الوافدة الى الساحل العماني , كما أن أفكار الحركة انتشرت عن طريق الإحتكاك السياسي والتنظيمات السياسية التي نشطت في في تلك المنطقة في المرحلة التأريخية مدار البحث .

الكلمات المفتاحية: حركة القوميين العرب – التيار الناصري – امارات الساحل العماني

Abstract

The Arab Nationalist Movement is one of the most prominent political and intellectual organizations that were active in the middle of the twentieth century, specifically after the defeat of the Arabs by the Zionist entity in the

1948 war, influenced by the rise of the Arab nationalist movement led by Egyptian President Gamal Abdel Nasser (1954-1970). This movement was founded by a group of Arab intellectuals such as George Habash, Wadi Haddad, and Ahmed Al-Khatib. Its ideas were transferred to the Arabian Gulf region, specifically the Omani coast or the Trucial Coast, through students studying abroad and Arab workers coming to the Omani coast. The movement's ideas also spread through political contact and political organizations that were active in that region during the historical period under study.

المقدمة

بلغت حركة القومين العرب اوج تطورها بعد هزيمة العرب في حرب عام ١٩٤٨ ونشاط التيارات القومية لاسيما التيار الناصري في معظم الدول العربية , وقد إمتد نشاط هذه الحركة الى منطقة الخليج العربي والساحل العماني تحديداً ووجدت حاضنات لها عبر الخلايا التنظيمية الطلابية , فضلاً عن العمال العرب الوافدين الى منطقة الساحل العماني , وقد ركزت نشاطها في البداية على نشر الافكار القومية وتعزيز الهوية العربية عبر أنشطة ثقافية وسياسية , وقد كانت هذه الحركة في إمارات الساحل العماني جزءاً من شبكة إقليمية أوسع للحركة القومية العربية وارتبطت بمنظمات قوية في دول أخرى مثل لبنان وسوريا والعراق مماشكل قلقاً لدى السلطات الإستعمارية البريطانية في منطقة الساحل العماني التي حاولت بشتى الطرق إنهاء نشاط تلك الحركة والقضاء عليها وهي في المهد .إلا أنها استمرت في نشاطها السياسي والثقافي حتى مطلع السبعينات القرن العشرين عندما تأثر نشاط الحركة في إمارات الساحل العماني بهزيمة العرب عام ١٩٦٧ فيما سمي بنكسة حزيران كما هو حال الحركة في معظم الدول العربية.

ويُعد هذا الموضوع من الموضوعات المهمة في تاريخ الخليج العربي. وقد قسم البحث لمقتضيات الدراسة إلى ثلاث مباحث رئيسة: تناول الأول منها (حركة القوميين العرب وبدايات نمو الوعي القومي في منطقة الساحل العماني ١٩٤٨- ١٩٦٧)، وتطرق الثاني إلى (النشاط السياسي لحركة القومين العرب في الساحل العماني ١٩٤٨ - ١٩٦٧)، في حين ناقش المبحث الثالث (مطالب حركة القومين العرب في الساحل العماني حتى عام ١٩٦٧) .

المبحث الاول: حركة القوميين العرب وبدايات نمو الوعي القومي في منطقة الساحل العماني ١٩٤٨- ١٩٦٧

رغم أن وثائق حركة القوميين العرب لا تشير الى صلت حركة القوميين العرب بكتائب الفداء العربي, فأنه يمكن أن تعد الكتائب بمثابة الظهور الفعلي الأول لحركة القوميين العرب , وقد أكد جورج حبش[١] أحد أبرز قيادي الحركة" أن حركة القوميين العرب كانت نوع من الإمتداد لنشاط القيادة المؤسسة لكتائب الفداء العربي"[٢].

تأثرت نشأة حركة القوميين العرب بنكبة فلسطين عام ١٩٤٨ ,إذ أن تلك النكبة حركت بقوة دافعية عدد من طلاب الجامعة الأمريكية في بيروت(جورج حبش، هاني الهندي، وديع حداد، أحمد الخطيب) والذين أصبحوا فيما بعد القيادة المؤسسة للحركة للعمل على تأسيس تنظيم قومي عربي بهدف تحرير فلسطين[٣].

تأثرت ولادة حركة القومين العرب إيجابياً بإنطلاق التيار الناصري[٤] , اذ إنتقلت الحركة من الطور القومي العربي الى الطور العربي الإشتراكي , ومن ثم الى طور الفكر الماركسي , فقد وُلدت في جو سياسي شعبي ونخبوي في وقت كانت فيه محنة فلسطين في وجدان كل إنسان عربي[٥], وقد أصدرت الحركة عدة صحف ومجلات ناطقة بإسمها في مراحل مختلفة أبرزها مجلة الحرية التي صدرت في بيروت عام ١٩٥٥ وجريدة الوحدة في بغداد عام ١٩٥٧ ومجلة الرأي في الأردن وسوريا عام ١٩٥٨ , وإرتبطت تلك الصحف والمجلات بالخط النضالي والجناح العسكري للحركة وعبرت عن آراءها وأفكارها إذ شكلت حركة القومين العرب جزءاً أساسياً من الفكر السياسي العربي الذي عرف رواجاً كبيراً منذ بداية الخمسينات حتى حرب حزيران عام ١٩٦٧[٦].

لقد مثل تاريخ الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ تاريخاً مفصلياً لحركة قوميين العرب ومستقبلها إذ شكل هذا التأريخ نقطة تحول حقيقية في صفوف الحركة بعد إندماجها مع الأفكار الشيوعية الماركسية وتشضت معظم فروع الحركة بعد هزيمة العرب في حرب حزيران عام ١٩٦٧ الى منظمات ماركسية دينية محلية البلدان التي كانت تنشط فيها الحركة وانفصلت عن الحركة الأم و عاشت بدورها سلسلة من الانشقاقات ؛ ويعود السبب المباشر لذلك التحول الى نتاج تلك الهزيمة, فضلاً عن علاقة الحركة بنظام الرئيس المصري جمال عبد الناصر ١٩٥٤ ١٩٧٠[٧]. فالحركة سارت مع نظام عبد الناصر منذ عام ١٩٥٥ على أساس أن ثورته قادرة على توحيد العرب وتحرير فلسطين فوجدت الحركة في الهزيمة مبرراً للتحول من هذا المسار بعد أن فقدت الثقة به وبنظامه , فعقدت سلسلة من المؤتمرات في أعقاب الحرب كانت حصيلتها الانفصال عن التيار الناصري والتحول لإعتناق الأفكار الماركسية[٨].

إثر تلك التطورات تراجع الفكر القومي العربي وفشل المشروع العربي النهضوي فدخلت الأفكار القومية مرحلة إعادة صياغة شكلاً ومضموناً ونضالاً[٩], الا أن أفكار حركة القوميين العرب لم تتأثر بتلك التطورات , إذ واصلت نشاطها وإنتشرت في معظم الدول والامارات العربية ومن بين المناطق التي وصل اليها تأثير حركة القوميين العرب منطقة الخليج العربي وبالتحديد إمارات الساحل العماني التي كانت تخضع للسيطرة الاستعمارية البريطانية وكان إنتشار الأفكار القومية يمثل تهديداً صريحاً لتلك السيطرة[١٠].

المبحث الثاني: النشاط السياسي لحركة القوميين العرب في إمارات الساحل العماني ١٩٤٨ - ١٩٦٧

تزايد النشاط القومي العربي لمنطقة الخليج العربي بعد الحرب العالمية الثانية(١٩٣٩-١٩٤٥) وإتسعت القاعدة الشعبية من خلال تأسيس الأندية والجمعيات ذات الافكار القومية والتي تمثل إمتداد للحركة الأم(حركة القوميين العرب)[١١] .

وقفت مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية في تبلور تلك التنظيمات وإنتشارها في منطقة الخليج العربي ومن تلك العوامل كان عامل ظهور التعليم الحديث الأهم في ذلك, إذ أسهم إنتشار التعليم في دول الخليج العربي في عودة الطلبة الذين أكملوا دراستهم في البلدان العربية الى بلادهم بعد أن تأثروا بالأفكار والإتجاهات القومية والسياسية التي ظهرت في تلك المرحلة التاريخية[١٢].

لقد شكل هؤلاء الطلبة طبقة تتميز بالثقافة والعلم وأسهمت في بث روح العمل القومي في المنطقة ,كما أصبحت تمثل مركزاً للدعاية القومية في البلدان العربية ومنها مشيخات الخليج العربي وتحديداً مشيخات الساحل العماني السبع[١٣], فضلاً عن ذلك تأثر السكان في المنطقة الخليجية بما لحق بالعرب من نكبة عام ١٩٤٨ إثر هزيمتهم أمام الكيان الصهيوني لا سيما بعد أن شهدت مرحلة ما بعد النكبة توافد الهجرات الفلسطينية الى منطقة الخليج العربي هرباً من الإضطهاد الصهيوني لهم[١٤], إذ أخذ هؤلاء الفلسطينيون يعملون في شتى مجالات الحياة في منطقة الخليج العربي لكسب لقمة العيش , فضلاً عن ذلك إنخرطت مجموعات كبيرة من أبناء الجالية الفلسطينية في العمل السياسي متأثرين بالأفكار القومية[١٥].

أدى إكتشاف النفط في منطقة الخليج العربي مطلع الخمسينات الى تحسن الأوضاع الإقتصادية والاجتماعية وظهور النخب السياسية الجديدة المتأثرة بأفكار الوافدين القومية ومن أبرز تلك النخب فئة التجار التي أسهمت في وضع أسس الحركة القومية في البحرين والكويت وتحولت مع مرور الزمن الى حركة معارضة ضد الأنظمة السياسية مطلع الخمسينات من القرن العشرين[١٦]. إذ تهيأت

الظروف المناسبة لعمل تلك النخب خاصة بعد عودة الطلبة الدارسين في الخارج كما في الكويت إذ برز من بين هؤلاء الطلبة أحد مؤسسي حركة القومين العرب وهو أحمد الخطيب[١٧] بعد أن تخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت عام١٩٥٢[١٨].

وفي منطقة ساحل العماني بدأت التنظيمات الثورية تتبلور وعززها مجيء الوافدين العرب للعمل في تلك الإمارات وبدأ المنتمين لتلك الحركة المشاركة في الأحداث السياسية في منطقة الساحل العماني عن طريق المظاهرات والإضرابات العمالية التي شهدتها إمارات الساحل العماني ضد الوجود البريطاني وتأييد الرئيس المصري جمال عبد الناصر في مواجهة الغرب الاستعماري في عام ١٩٥٦ بعد الإعتداء البريطاني الفرنسي الاسرائيلي ضد مصر إذا أقدم جمال عبد الناصر على تأمين قناة السويس في الحرب التي عرفت في العدوان الثلاثي[١٩] كما وقف مناصرو حركة القوميين العرب مؤيدين للقضية الفلسطينية وتطوراتها المستمرة في تلك المرحلة التاريخية[٢٠].

بعد العدوان الثلاثي على مصر بدأت حركة القومية العرب تنشط بشكل كبير في إمارات الساحل العماني فعندما زارت بعثة جامعة الدول العربية لتطوير امارات الساحل العماني والتي سميت بلجنة الخليج العربي[٢١] إمارات الساحل العماني في ١٧ كانون الأول عام ١٩٦٤ تستقبل وفد الجامعة إستقبالاً رسمياً وشعبياً أقام الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم[٢٢] حفلة إستقبال بمشاركة جماهيرية واسعة وهي تهتف ضد الإستعمار البريطاني وبحياة الرئيس المصري جمال عبد الناصر[٢٣].

أزعج هذا الموقف الجانب البريطاني الذي وجد تفاعلاً كبيراً مع الأفكار القومية في الساحل العماني ودفع القوات البريطانية المتواجدة هناك الى إستخدام السلاح لتفريق المتظاهرين(الجماهير) وحدثت على إثرها إشتباكات مسلحة بين الطرفين أسفرت عن إصابة الوكيل السياسي البريطاني في منطقة الخليج العربي جيمس بلفور(James Balfour) وإصابة شخص آخر[٢٤].

لقد أدى هذا الأمر الى إستياء الجانب البريطاني من نشاط الحركة القومية العربية في منطقة الساحل العماني وإجتمع بلفور بالشيخ راشد بن سعيد حاكم دبي وأمره بإصدار تعليماته الى الشرطة لتفريق الجماهير وإنهاء مظاهر التجمعات التي وصلت الى مطار دبي[٢٥].

وبعد وذلك إتجه وفد الجامعة الدول العربية الى الشارقة وقد زينت المشيخة بأعلام الجمهورية العربية المتحدة وصور جمال عبد الناصر بأمر حاكمها الشيخ صقر بن سلطان القاسمي[٢٦] الذي عد رائد الفكر القومي في مشيخات الساحل العماني وممثل حركة القومين العرب في تلك المنطقة[٢٧].

لقد تكرر مشهد إستقبال بعثة الجامعة العربية في مشيخات عجمان والفجيرة ورئيس الخيمة وأم القيوين وقد أشار السيد نوفل الذي كان أحد أعضاء الوفد الى ذلك بقوله " **أذكر ذلك الفتى العربي من أهل رأس الخيمة الذي إقتحم طائرتنا قبل أن نهبط منها على الأرض وسر في أذني بتحية أعتز بها وحدثني**

حديث الأخوة الوثقى والأعمال المشتركة , ثم ألقى بيدي كراسة مدرسية بسيطة المظهر كتبت على عجل ولصقت بظاهر غلافها الايمن صورة جمال عبد الناصر ويكتفى الشاب بتعريف نفسه بعبارة "شاب ثائر من رأس الخيمة"[٢٨].

إتهمت السلطات البريطانية الشيخ صقر بن سلطان القاسمي بتحريض شيوخ الساحل العماني على دعم الحركة القومية العربية في مشيختاهم فباتت السلطات البريطانية أكثر قناعة في التضحية بحاكم الشارقة وتنحيته عن الحكم من أجل تحقيق هدفين أولهما: أن يكون عبرة للحكام الآخرين وثانيهما: قطع الطريق على حركة القومين العرب والرئيس المصري جمال عبد الناصر[٢٩] وهكذا تم التنحية حاكم الشارقة في ٢٥ اذار عام ١٩٦٥ الذي كان أكثر حكام الساحة للعماني إلتصاقاً بالمد القومي الناصري[٣٠].

وبعد يومين من تنحية الشيخ صقر بن سلطان القاسمي عن السلطة أرسل حكام الساحل العماني برقيات الى جامعة الدول العربية يعلنون فيها سحب موافقتهم على مشاريع بعثة الخليج العربي وأعربوا عن أملهم في أن تتم المساعدات العربية عن طريق مكتب تطوير مشيخات الساحل العماني[٣١]. ويبدو أن شيوخ الساحل العماني قد شعروا بحجم الخطر الذي يهدد كيانهم السياسي في البقاء على رأس السلطة في تلك المشيخات فيما إذا أقدموا على القيام بأعمال تضر المصالح البريطانية وتهدد الوجود البريطاني في مشيخاتهم .

لقد أسفرت تنحية الشيخ صقر بن سلطان القاسمي عن الحكم في رأس الخيمة وتضييق الخناق على المنتمين لحركة القوميين العرب من قبل القوات البريطانية والحكومات المحلية في إمارات الساحل العماني عن إنشقاق مجموعة منهم وإرتبطت بفرع الحركة في ظفار تحت قيادة محمد أحمد الغساني , وبعد إنضمام فرع الحركة في الساحل العماني الى فرع الحركة في ظفار أسسوا الجمعية الخيرية الظفارية وضمت في قيادتها يوسف بن علوي وهو مثقف قومي ذو إتجاه ناصري , ومسلم بن نفل وهو زعيم قبلي ذو إتجاه وطني , وأعلنت تلك الجمعية سعيها لإقامة حكم وطني في ظفار وتبنت فكرة الإنفصال عن عمان وإجراء إتصالات مع الجمعية الخيرية الظفارية ومنظمة الجنود الظفاريين وفي عام ١٩٦٤ , وتم التوصل فيها الى تشكيل جبهة تحرير ظفار لتقود الكفاح المسلح بدعم وتأييد من حركة القوميين العرب[٣٢].

وبعد قرار إنسحاب بريطانيا من الخليج العربي عام ١٩٦٧ بدأت حركة القوميين العرب تستعيد نشاطها السياسي في إمارات الساحل العماني , إذ نشأ فرع للحركة في رأس الخيمة وبدأت تنتشر في أوساط المدرسين والطلاب الذين تلقوا تعليمهم في الجامعات العربية الى جانب العمال في شركات النقل ومن أبرز قياداتها علي الشيراوي أبو عبد الرحمن الزامل اللذان نقلا نشاطاتهم القومية بعد العودة من لبنان ونشطاء في تنظيم صفوف المدرسين والطلاب وقد أسهمت الحركة في الأحداث المحلية والقومية[٣٣].

أيد فرع الحركة في الساحل العماني الرئيس المصري جمال عبد الناصر في صراعه مع الغرب والحركة الصهيونية كما إنتشرت مجلة الحرية الناطقة بإسم الحركة الأم في صفوف المثقفين والمتعلمين الذين إتخذوا من طروحاتها القومية شعاراً لهم لكن نكسة حزيران عام ١٩٦٧ [٣٤]قد أثرت على نشاط الحركة وأضعفتها تدريجياً بعدما أصاب الحركة الأم من إنشقاق وتحول أيدلوجي , فضلاً عن تلك الانشقاقات التي حدثت في الحركة الوطنية والقومية العربية تجاه القضية الفلسطينية وتوتر الأوضاع بين منظمة تحرير الفلسطينية وحكومة الأردن بدءً من عام ١٩٦٧ الامر الذي مثل تراجعاً كبيراً في نشاط الحركة , خاصة أن أمارات الساحل العماني بدأت تشيد طريق الوحدة فيما بينها الامر الذي شكل تناسياً لحركة القوميين العرب[٣٥].

المبحث الثالث

مطالب حركة القوميين العرب في إمارات الساحل العماني حتى عام ١٩٦٧

إهتمت القوى القومية في منطقة الخليج العربي بشكل عام لقضايا مختلفة في صلب أوليات العمل القومي في تلك المرحلة كقضايا العروبة والوحدة والتحرر ومحاربة الاستعمار والحركة الصهيونية والتأكيد على عروبة منطقة الخليج العربي بكاملها[٣٦].

تصاعدت حدة الأفكار القومية في منطقة الساحل العماني , خاصة في صفوف العمال في الشارقة ورأس الخيمة نتيجة لوجود الاجانب في تلك الامارات ,لاسيما التواجد البريطاني وإستغلال شركات النفط البريطانية للثروة النفطية في منطقة الساحل العماني وإجراءآت تعسف في معاملة العمال العرب , وطالبوا بزيادة إعداد العمال من سكان الامارات وتحسين أوضاعهم المعيشية , ووقف سياسة الإشراف المباشر من قبل الاجانب والشركات الاستعمارية على شؤون النفط [٣٧].

ونتيجة لتنام الوعي القومي ظهرت الدعوات بين صفوف الشباب الوطنيين في إمارات الساحل العماني السبعة والتي تطالب بمواجهة الإستعمار البريطاني , وكان أشدها لهجة بيان وزع بإسم شباب الساحل المتصالح وجه فيه هجوماً شديد اللهجة على السياسة البريطانية بمناسبة الاحتفال بتتويج الملكة اليزابيث الثانية على العرش عام ١٩٥٣ وقد جاء في نص هذا البيان" أنه عبد للحكم الاجنبي الذي ينهب ثروتنا وحريتنا عبد للذين باعوا فلسطين عبد للذين قصفوا الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية قبل أسابيع أيها الناس إستيقظوا ويفيقوا وقابلوا أعدائكم برصاص الدماء" [٣٨].

كما عبر تنظيم أحرار الخليج أحد التنظيمات التابعة لحركة القومين العرب في الساحل العماني عن موقفه تجاه الاستعمار البريطاني في رسالة حملت توقيع أحرار الخليج وجاء فيها " إننا دويلات صغيرة ولكننا حررنا بسيوفنا وضحايانا وحمينا إستقلالنا بجهادنا وليس الانجليز عندنا الا موظفون ننتفع بخبرتهم ونستبدل بهم غيرهم كلما أردنا ذلك" [٣٩].

تجسدت القضية القومية العربية في أفكار ومشاعر الشباب القوميين في الخليج العربي وعدوها جزءاً من مطالبهم , وعبروا عنها في المناسبات الوطنية والقضايا العربية, فكتب أحد الشباب في مجلة أحرار الخليج التي تصدر في إمارة الشارقة بإسم(أبو الحسن) يحث الشباب الاماراتي على الايمان بالقومية العربية ودعاهم للنضال العربي ومواجهة التحديات الأجنبية(٤٠).

كذلك إستأثرت القضايا العربية التي شهدها الوطن العربي من أجل الاستقلال وإنهاء السيطرة الاستعمارية الأجنبية وتحقيق الوحدة العربية بإهتمام أبناء الخليج العربي , وفي مقدمتها القضية الفلسطينية, فقد وقف هؤلاء في مختلف المناسبات الاجانب أشقائهم أبناء الشعب الفلسطيني وإستنكروا سياسة بريطانيا في إقامة ما يسمى بالوطن القومي لليهود ودعم الاستيطان الصهيوني في الاراضي العربية. فأقام جمع كبير من أبناء الشارقة تجمعا خطب فيه بعض الشباب تأييدا للشعب الفلسطيني , وجمعت الاموال لصالح الفلسطينيين . في أعقاب ذلك زار وفد من الهيئة العربية العليا برئاسة الحاج محمد أمين الحسيني وبصحبته محمد علي علوبة باشا عدداً من الامارات الخليجية ومنها امارات الساحل العماني, وإستقبل الوفد بحفاوة من الناس واعضاء الأندية والجمعيات(٤١). وقد أعلنت الجبهة الشعبية لأحرار الساحل العماني في حزيران عام ١٩٥٧ دعمها وتكاتفها مع حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة التي تواجه الآله العسكرية الصهيونية والمدعومة من قبل القوات الإمبريالية(٤٢).

طالب أعضاء حركة القوميين العرب في إمارات الساحل العماني بحرية الصحافة, لأنها ضمان لحق الفرد في التعبير عن رأيه, التي كانت غائبه الى حد كبير عن المجتمع الخليجي , لأن الحريات كانت محدد وفق ارادإ شيوخ الامارات الذين هم في الأساس يمثلون الإرادة الإستعمارية , وإتبعوا سياسة إغلاق الصحف أو تعطيلها لمجرد أن يصدر أمر بذلك من قبل الوكلاء السياسيين البريطانيين(٤٣) , كما أن شيوخ الساحل العماني كانوا يرون فيه إنتشار الصحافة والمجلات السياسية والثقافية والأدبية تشجيعاً لتسرب أفكار غريبة ومنافية لمبادئ المجتمع الإسلامي(٤٤).

ولمواجهة ذلك فقد خاض أصحاب الفكر القومي تجارب طويلة وصعبة مع السلطات لكي تسمح بحرية الصحافة لقبول أراء الاخرين(٤٥).

كما إحتلت قضية عروبة الخليج العربي جزءاً كبيراً من إهتمام التيار القومي ؛ نظراً للإدعاءآت الإيرانية في البحرين وإحتلالها للجزر الثلاث في إمارات الساحل العماني ومخاطر الهجرة الأجنبية على الهوية الوطنية العربية , والانتماء القومي لمنطقة الخليج العربي , وقد شكلت مسألة الإدعاءات الإيرانية في البحرين تهديداً مباشراً لعروبة الخليج ووحدة أراضيه في ظل وجود الجالية الإيرانية الكبيرة وتصاعد التوتر بين إيران وجاراتها العربية مع نمو الافكار القومية العربية في منطقة الخليج العربي بعد الحرب العالمية الثانية(٤٦).

كان رد فعل الشعب العربي في إمارات ساحل العماني قوياً ضد الإدعاءآت الإيرانية ومخاطرها على عروبة الخليج العربي, وأكد ذلك المشاعر القومية التي صدرت عن أبناء المنطقة عن طريق المظاهرات والاحتجاجات والبيانات المنددة بسياسة إيران(٤٧).

لم تقتصر مواقف الشباب القوميين عند حد رفض الادعاءآت الإيرانية فحسب بل طالبوا أبناء المنطقة بمواجهة الايرانيين المقيمين في مدنهم , وحدث ذلك بالفعل أثناء الاحتفال الذي أقيم في ٢٤ نيسان عام ١٩٥٨ في دبي بمناسبة ذكرى قيام الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق , فتجمع الناس في مدرسة متوسطة الشعب للتعبير عن فرحتهم بهذه المناسبة القومية ثم إنطلقوا في مظاهرات عفوية وسط المدينة وإصطدموا فيها بالإيرانيين الذين إنزعجوا من الشعارات التي رفعها المتظاهرون والتي تحيي العروبة والوحدة القومية وتطور المشهد الى صدامات بين الطرفين ذهب ضحيتها عدد من الطلاب في دبي(٤٨).

كما أثار الشيخ صقر بن سلطان القاسمي حاكم رأس الخيمة الذي عرف بمواقفه القومية مسألة الهجرة الأجنبية وتأثيرها على الخليج العربي وتهديد عروبته , وقد أشار الى دور بريطانيا في ذلك وعدم شرعية المعاهدات التي عقدتها مع حكام الخليج ودعا الى ضرورة التعاون العربي المشترك ومناهضة الوجود الاستعماري في المنطقة(٤٩).

إستمرت مواقف الشيخ صقر الوطنية والقومية حتى بعد إقصائه من الأمارة عام ١٩٦٤ وإستمر تعاونه مع جامعة الدول العربية ثم رفع مذكرة الى مؤتمر القمة العربية في الدار البيضاء عام ١٩٦٥ (٥٠)شرح فيها ما يجري في منطقة الساحل العماني ضد عروبة الخليج ووحدته(٥١).

بعد ذلك أدركت القوى والتنظيمات القومية ضرورة سعيها نحو الوحدة العربية الأكبر والاشمل والتي تمتد من المحيط الى الخليج , وتعود فكرة الوحدة بين إمارات الخليج العربي الى مرحلة الثلاثينات عندما حاولت بريطانيا إقامة وحدة سياسية لتحقيق الاستقرار في المنطقة , الا أن قيام الحرب العالمية الثانية أدى الى تأجيل تلك الخطوة(٥٢) , ثم عادت بريطانيا في الخمسينات لإحياءها في محاولة لتكوين الاتحاد بين إمارات الخليج , الا أن الفكرة أُجهضت نتيجة لرفض المملكة العربية السعودية لها لحين حسم قضايا الخلافات الحدودية بينها وبين امارات الخليج العربي(٥٣).

لم تتهيأ الظروف الملائمة لإقامة اتحاد بين الامارات الا في نهاية الستينات ومطلع السبعينات , عندما أعلنت بريطانيا عزمها على الانسحاب من الخليج العربي ودعوتها لإنشاء إتحاد بين الامارات من أجل الحفاظ على الامن والإستقرار في المنطقة وبعد محاولات تم بالفعل الوصول الى إتحاد بين سبع إمارات هي (أبو ظبي , دبي, الشارقة, راس الخيمة, ام القيوين, الفجيرة, عجمان) عرفت بدولة الامارات العربية المتحدة في ١٨ تموز عام ١٩٧١(٥٤).

لم يلق قيام اتحاد الامارات أي ترحيب من قبل القوى القومية ؛ لأن طريقة تشكيل هذا الاتحاد لم تكن وفقاً المطالب الشعبية والرؤية الوطنية والقومية, بل بقرار سياسي تم تبنيه من قبل قوى الاستعمار .وشنت التنظيمات القومية في الساحل العماني هجوماً على الاتحاد ووصفته بالمشبوه , وأن أهدافه تتمثل في القضاء على النظم الثورية في المنطقة لاسيما ثورة الظفار ,فضلاً عن ذلك إسكات الصوت القومي للشعب الخليجي(٥٥).

وفي ختام البحث لابد من إعطاء تقييم تاريخي لتنظيمات القومية في منطقة الخليج العربي فتلك التنظيمات لم تكن ذات تأثير كبير على المجتمع الخليجي نظراً لارتباطها وتأثرها المباشر بالتنظيمات في بعض المشرق العربي والتي تختلف سياسياً وفكرياً عن المجتمع الخليجي , مما أضعف مستواها التنظيمي والسياسي وأدى الى تشتتها وعدم نجاحها في إقامت الصلات بالقاعدة الشعبية وتحولت عن أهدافها العامة الى مصالح شخصية فقد شكل عام ١٩٦٧ تراجعاً في مسير العمل القومي في الوطن العربي والذي إنعكس بدوره على منطقة الخليج العربي نتيجة لغياب الدعم والمساندة العربية والانقسام بين صفوف القوميين العرب وتحول بعض التنظيمات الى الماركسية اللينينية نتيجة لإخفاق المشروع الناصري القومي ونمو التيار الاسلامي وطغيانه على الافكار القومية.

الخاتمة

إتضح لنا من خلال دراسة موضوع "الفكر القومي العربي وتأثيره على إمارات الساحل العماني ١٩٤٨-١٩٦٧"مجموعة من النتائج المهمة .

١- أن منطقة الساحل العماني إرتبطت إرتباطاً وثيقاً بالحركة القومية العربية التي إنتشرت في مختلف الدول العربية وإن الأفكار القومية تسللت الى الأسر الحاكمة في إمارات الساحل العماني.

٢- أن سلطات الإحتلال البريطاني التي كانت مسيطرة على شؤون منطقة الساحل العماني عدت إنتشار الأفكار القومية بمثابة أولى رصاصات المقاومة لإنهاء الوجود البريطاني هناك لذا حاولت بشتى الطرق وبالترغيب تارة والترهيب تارة أخرى للقضاء على الحركة وهي في المهد ومحاولة الحد من انتشارها وتوسعها .

٣-بعد فشل سلطات الاحتلال البريطاني في التأثير على الحركة القومية العربية في منطقة الساحل العماني أصبحت تلك السلطات أمام خيارات صعبة ومنها التضحية بحكام إمارات الساحل العماني المسايرين للخط القومي.

٤- أن الأفكار القومية أحيت الوعي التأريخي والثقافي ومنحت سكان إمارات الساحل العماني شعوراً بالإنتماء الى الأمة العربية بعد ما حاولت سلطات الاحتلال عزل هذه المنطقة عن تلك الأمة وهذا ما إتضح عند زيارة الوفود العربية الى الإمارات .

٥- حركة القومية العربية شعوب الساحل العماني لمقاومة الإحتلال والمشاريع الرامية لتقسيم المنطقة وجعلها مجزئة وهو ما أسهم إسهاماً فعالاً في تحقيق الوحدة الاماراتية عام ١٩٧١ وظهور دولة الامارات الموحدة .

٦-من النتائج السلبية لإنتشار الأفكار القومية في إمارات الساحل العماني إنها أدت الى ظهور فئات متعصبة للقومية العربية وهو ما ولد إضطراباً داخلياً في المجتمع الإماراتي .

٧- تأثرت الحركة القومية العربية في إمارات الساحل العماني بالحركة الأم في مصر ولبنان لذلك إندثرت الحركة مع هزيمة العرب في حرب حزيران عام ١٩٦٧ ضد الكيان الصهيوني .

قائمة المصادر

أولاً: الوثائق

١- محمد مرسي عبد الله(تحقيق) , تاريخ الامارات العربية المتحدة, مختارات من أهم الوثائق البريطانية ١٧٩٧- ١٩٦٥, مج٣, بريطانيا والقيادات الرائدة ١٩٤٥- ١٩٦٥.

٢- الوثائق العربية لعام ١٩٦٦، بيان اللجنة التنفيذية لحركه القومين العرب حول اوضاع الحركة في ظل الفروع، كانون الثاني ١٩٦٦، وثيقه رقم ٥٥.

٣- الوثائق العربية لعام ١٩٦٥ بيان أحرار صاحب العماني في دمشق حول الاستعمار البريطاني, وثيقة رقم ١٨٤, ١٩٦٦.

٤- الوثائق العربية لعام ١٩٦٨, بيان تنظيم أحرار الخليج في دمشق الى جماهير الشعب العربي عما يجري في امارات الساحل العماني, وثيقة رقم ٨٨, ١٩٦٦.

ثانياً: الدراسات الاكاديمية

١- أزهار حبيب مهدي التميمي , جورج حبش ودوره في النضال الوطني الفلسطيني حتى عام ١٩٧٣, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الآداب- جامعة ذي قار , ٢٠١٦.

٢-: وفاء مجاني , العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ , رسالة ماجستير غير منشورة ,كلية العلوم الانسانية والاجتماعية – جامعة محمد خيضر,٢٠١٤.

٣- حسين عبدالحسين عباس الزهيري , موقف مصر من قضايا إمارات الخليج العربية ١٩٥٢-١٩٧١ , رسالة ماجستير غير منشورة ,كلية التربية , جامعة ذي قار ,٢٠١٠.

٤- حسين فالح جياد , الوجود الفلسطيني في الكويت ١٩٦١-١٩٩١, رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب – جامعة ذي قار , ٢٠١٦ .
٥- حسين فالح جياد ,سياسة المملكة العربية السعودية تجاه مشيخات الساحل العماني ١٩٣٢-١٩٧١, أطروحة دكتوراة غير منشورة ,كلية الآداب – جامعة ذي قار ,٢٠٢٢.
٦- المعتصم بالله داوود علوي, الاصلاح السياسي في دول الخليج العربي ١٩٧٠- ٢٠٠٩, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الآداب- جامعة الشرق الاوسط, ٢٠٠٩.

ثالثاً: الكتب العربية والمعربة

١- محمد جمال بارود, حركة القوميين العرب النشأة- التطور- المصائر, دمشق ,١٩٩٧.
٢- سهير سلطي التل, حركة القوميين العرب وانعطافاتها الفكرية، د .م ،د.ت.
٣- بثينة عبد الرحمن التكريتي، جمال عبد الناصر نشأة وتطور الفكر الناصري ، بيروت.
٤- باسل الكبيسي، حركة القوميين العرب، بيروت، ١٩٨٥، ط٤.
٥- ساطع الحصري، الأعمال القومية لساطع الحصري, بيروت, ١٩٨٥.
٦- محمد عابد الجابري, الخطاب العربي المعاصر، بيروت، ١٩٨٢.
٧-معن زيادة ، تقييم حركة التموين العرب في مرحلتها الاولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، د.ت.
٨- مفيد كاصد ياسر الزيدي, التيارات الفكرية في الخليج العربي ١٩٣٨- ١٩٧١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٠.
٩- فلاح عبد الله المديرس, التيارات السياسية في الكويت, الكويت ,٢٠١٨.
١٠- غسان داود الناصير , تاريخ وحكام الإمارات العربية المتحدة ,بيروت , د.م.
١١- نور الدين بن حبيب الحجلاوي، تأثير الفكر الناصري على الخليج العربي ١٩٥٢- ١٩٧١، بيروت، ٢٠٠٣.
١٢- عماد البحراني , نكسة حزيران أسبابها ونتائجها , بيروت , ١٩٨٩.
١٣- عبد الله فهد النفيسي، تثمين الصراع في ظفار ١٩٦٥ -١٩٧٥ د.م ,د.ت.
١٤- فرد هاليدي ، المجتمع والسياسة في الجزيرة العربية، ترجمه محمد الرميحي، الكويت، ١٩٧٦.
١٥- واصف باقي, القضية الفلسطينية في الشعر الاماراتي, ابو ظبي, ١٩٨٦.
١٦- صلاح العقاد, تجربة اتحاد الامارات العربية نحو استراتيجية للعمل الخليج المشترك, الكويت , ١٩٧٦.

رابعاً: الدراسات والبحوث المنشورة

١- أحمد البغدادي وفلاح المديرس, دراسة تحليلية لإتجاهات الرأي العام في الكويت حول مختلف القضايا السياسية المحلية, مجلة المستقبل العربي, العدد ١٦٩, ١آذار ١٩٩٣.

٢- أحمد شوقي عبد المجيد وأحمد زكريا الشلق , التطورات العامة في منطقة الخليج العربي قبل عام ١٩٧١, مجلة الخليج العربي, مج ٤٧ ,العددان ٣-٤ , كانون الاول ٢٠١٩.

٣-صلاح العقاد, الاستعمار والبترول في الخليج العربي, مجلة السياسة الدولية, العدد ٨, السنه الثالثة,١٩٦٧.

٤- سيد نوفل، جامعة الدول العربية وقضايا الخليج العربي، المجلة المصرية للعلوم والسياسة، القاهرة، العدد ٦٧، تموز ,١٩٧٠.

خامساً: الصحف

١- جريدة أحرار الخليج, العدد ١١, كانون الثاني ١٩٦٧ .

سادساً : المواقع الالكترونية

1- https://ar.wikipedia.org/wiki

الهوامش:

[١]) جورج حبش: سياسي فلسطيني ولد عام ١٩٢٦ في اللد لعائلة مسيحية أرثوذوكسية تلقى تعليمه في مدارس المدينة ثم رحل الى القدس لدراسة الطب وتخرج من جامعة القدس بصفة طبيب تعرف على قسطنطين رزيق في بيروت عام ١٩٤٨ وفي عام ١٩٤٩ إنضم الى كتائب الفداء العربي التي أسسها الشباب العربي في سوريا ولبنان بهدف تصفية القادة العرب الذين وقفوا موقفاً سلبياً من القضية الفلسطينية وحرب عام ١٩٤٨ ثم أسس مع مجموعة من الناشطين العرب حركة سياسية مستقلة سميت بحركة القوميين العرب توفي عام ٢٠٠٨ في عمان , للمزيد من التفاصيل ينظر: أزهار حبيب مهدي التميمي , جورج حبش ودوره في النضال الوطني الفلسطيني حتى عام ١٩٧٣, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الآداب- جامعة ذي قار , ٢٠١٦.

[٢]) محمد جمال بارود, حركة القوميين العرب النشأة- التطور- المصائر, دمشق ,١٩٩٧, ص ٢٩.

[٣]) سهير سلطي التل, حركة القوميين العرب وانعطافاتها الفكرية، د .م ،د.ت ، ص ٤.

[٤]) التيار الناصري: أيدلوجية سياسية إشتراكية قومية تستند الى فكر جمال عبد الناصر أحد القادة المنفذين لثورة مصر عام ١٩٥٢ والرئيس الثاني لجمهورية مصر منذ عام ١٩٥٤ وحتى عام ١٩٧٠، للمزيد من التفاصيل ينظر: بثينة عبد الرحمن التكريتي، جمال عبد الناصر نشأة وتطور الفكر الناصري ، بيروت، ٢٠٠٠.

[٥]) سهير السلطي التل، المصدر السابق، ص٤.

[٦]) قسطنطين رزيق ، الوعي القومي، بيروت، ١٩٥٧، ص ٤٠.

[٧])باسل الكبيسي، حركة القوميين العرب، بيروت، ١٩٨٥، ط٤, ص ٤٦.

[٨]) ساطع الحصري، الأعمال القومية لساطع الحصري, بيروت, ١٩٨٥، ص ١٩٧٥.

[٩])سهير السلطي التل، مصدر السابق، ص١١.

[١٠]) محمد عابد الجابري, الخطاب العربي المعاصر، بيروت، ١٩٨٢، ص ١١٧.

[١١])معن زيادة ، تقييم حركة التموين العرب في مرحلتها الاولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، د.ت, ص ٢٣٨.

[١٢]) مفيد قاصد ياسر الزيدي, التيارات الفكرية في الخليج العربي ١٩٣٨- ١٩٧١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٠ ، ص ١٧٦.

[١٣])مفيد قاصد ياسر الزيدي ، المصدر السابق ,ص١٦٧.

[١٤]) سهير السلط التل، المصدر السابق، ص٥.

[١٥]) حسين فالح جياد ، الوجود الفلسطيني في الكويت ، ص ٧٠.

[١٦]) أحمد البغدادي وفلاح المديرس, دراسة تحليلية لإتجاهات الرأي العام في الكويت حول مختلف القضايا السياسية المحلية, مجلة المستقبل العربي, العدد ١٦٩, ١آذار ١٩٩٣ , ص ٩٠.

[١٧])أحمد الخطيب: سياسي قومي عربي وطبيب كويتي ولد عام ١٩٢٧ في الكويت، وهو نائب سابق في مجلس الأمة الكويتي ونائب رئيس المجلس التأسيسي الكويتي، وأحد كتبة الدستور الكويتي، وأول كويتي حاصل على شهادة الطب البشري في تاريخ الكويت الحديث، وقد شغل رئاسة لجنة أطباء أمير دولة الكويت الراحل الشيخ عبد الله السالم الصباح .أسس الخطيب في عام ١٩٥٢، أثناء دراسته في لبنان حركة القوميين العرب مع مجموعة من زملائه القوميين في الجامعة الأمريكية في بيروت. توفي عام ٢٠٢٢. للمزيد من التفاصيل ينظر :

[١٨]) فلاح عبد الله المديرس, التيارات السياسية في الكويت, الكويت ,٢٠١٨, ص ٤٧.

[١٩]) العدوان الثلاثي: أزمة السويس أو حرب السويس كما تعرف في الدول الغربية أو حرب سيناء أو حملة سيناء أو العملية قادش كما تعرف في إسرائيل، هي حرب شنتها كل من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر عام ١٩٥٦، وهي ثاني الحروب العربية الإسرائيلية بعد حرب ١٩٤٨، وتعد واحدة من أهم الأحداث العالمية التي ساهمت في تحديد مستقبل التوازن الدولي بعد الحرب العالمية الثانية، وكانت حاسمة في أفول نجم القوى الاستعمارية التقليدية، وتألق نجوم جديدة على الساحة الدولية. للمزيد من التفاصيل ينظر: وفاء مجاني , العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ , رسالة ماجستير غير منشورة ,كلية العلوم الانسانية والاجتماعية – جامعة محمد خيضر,٢٠١٤.

[٢٠]) مفيد الزيدي ,المصدر السابق , ص ٣٧.

[٢١]) لجنة الخليج:نشطت أعمال جامعة الدول العربية كثيراً عام ١٩٦٤ , إذ أصدرت قراراً بتوجيه لجنة برئاسة الأمين العام للجامعة تضم ممثلين شخصيين لملوك ورؤساء الدول العربية لزيارة إمارات الساحل العماني وقد سميت تلك اللجنة بلجنة الخليج العربي , وضمت ممثلين عن المملكة العربية السعودية والكويت والجمهورية العراقية والجمهورية العربية المتحدة ,وقد رفضت بريطانيا دخولها الى إمارات الساحل العماني ؛ لأنها كانت ترى فيها لجنة منحازة وواقعة تحت نفوذ الجمهورية العربية المتحدة وتعمل على إضعاف النفوذ البريطاني : للمزيد من التفاصيل ينظر : حسين

عبدالحسين عباس الزهيري , موقف مصر من قضايا إمارات الخليج العربية ١٩٥٢-١٩٧١ , رسالة ماجستير غير منشورة ,كلية التربية , جامعة ذي قار ,٢٠١٠, ص٢٠٦.

[٢٢])راشد بن سعيد ال مكتوم: الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم. ١٩١٢- ١٩٩٠ نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة الأسبق من ٢ كانون الأول ١٩٧١ وحتى وفاته في ٧ تشرين الاول ١٩٩٠ وكما كان رئيساً لمجلس الوزراء من ٣٠ نيسان ١٩٧٩ وحتى وحكم إمارة دبي من ١٠ سبتمبر ١٩٥٨ وحتى وفاته. للمزيد من التفاصيل ينظر: غسان داود الناصير , تاريخ وحكام الإمارات العربية المتحدة ,بيروت , د.م, ص١١٦.

[٢٣])أحمد شوقي عبد المجيد وأحمد زكريا الشلق , التطورات العامة في منطقة الخليج العربي قبل عام ١٩٧١, مجلة الخليج العربي, مج ٤٧ ,العددان ٣-٤ , كانون الاول ٢٠١٩, ص ٨٣.

[٢٤])حسين فالح جياد , سياسه المملكة العربية السعودية تجاه مشيخات الساحل العماني ١٩٣٢ -١٩٧١, أطروحة دكتوراه غير منشورة, كلية الآداب- جامعة ذي قار, ٢٠٢٢, ص ١٠٢.

[٢٥])صلاح العقاد, الاستعمار والبترول في الخليج العربي, مجلة السياسة الدولية, العدد ٨, السنه الثالثة, ١٩٦٧, ص ٤٩.

[٢٦])صقر بن سلطان القاسمي: **صقر بن سلطان بن صقر بن خالد بن سلطان القاسمي** ١٩٢٥ - ١٩٩٣، حاكم إمارة الشارقة من ٢١ آيار ١٩٥١ إلى ٢٤ حزيران ١٩٦٥ وأحد رواد الشعر بدولة الإمارات. عرف بتوجهاته القومية وتأييده لسياسة القوميين العرب وجمال عبد الناصر التي كانت سبباً لتنحيته فيما بعد.للمزيد من التفاصيل ينظر: https://ar.wikipedia.org/wiki

[٢٧]) محمد مرسي عبد الله(تحقيق) , تاريخ الامارات العربية المتحدة, مختارات من أهم الوثائق البريطانية ١٧٩٧- ١٩٦٥, مج٣, بريطانيا والقيادات الرائدة ١٩٤٥- ١٩٦٥, ص ٤٨٧- ٤٨٨.

[٢٨])حسين فالح جياد , سياسة المملكة العربية السعودية , ص١٠٣.

[٢٩])نور الدين بن حبيب الحجلاوي، تأثير الفكر الناصري على الخليج العربي ١٩٥٢- ١٩٧١، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٢٥٤.

[٣٠]) حسين فالح جياد ، سياسة المملكة العربية السعودية، ص ١٠٢.

[٣١]) سيد نوفل، جامعة الدول العربية وقضايا الخليج العربي، المجلة المصرية للعلوم والسياسة، القاهرة، العدد ٦٧، تموز ١٩٧٠، ص ٢٢٠.

[٣٢]) عبد الله فهد النفيسي، تثمين الصراع في ظفار ١٩٦٥ -١٩٧٥ د.م ,د.ت, ص٥٢ ؛ وفي القاصد الزيدي، المصدر السابق، ص١٨٣.

[٣٣]) الوثائق العربية لعام ١٩٦٦، بيان اللجنة التنفيذية لحركه القومين العرب حول اوضاع الحركة في ظل الفروع، كانون الثاني ١٩٦٦، وثيقه رقم ٥٥، ص ٣٨٧.

[٣٤])نكست حزيران عام ١٩٦٧: في حزيران/ يونيو ١٩٦٧، اندلعت الحرب العربية الإسرائيلية الثالثة، التي تمكّنت القوات الإسرائيلية في نهايتها من احتلال سيناء ومرتفعات الجولان السورية وقطاع غزة والضفة الغربية . أطلق الإسرائيليون على الحرب اسم "حرب الأيام الستة"، لأنهم حقّقوا في ستة أيام نصراً عسكرياً ساحقاً على جيوش مصر وسوريا والأردن. للمزيد من التفاصيل ينظر:عماد البحراني , نكسة حزيران أسبابها ونتائجها , بيروت , ١٩٨٩.

[٣٥])فرد هاليدي ، المجتمع والسياسة في الجزيرة العربية، ترجمه محمد الرميحي، الكويت، ١٩٧٦، ص٣١.

[٣٦]) مفيد كاصد الزيدي، المصدر السابق، ص ٢١٥.

[٣٧]) الوثائق العربية لعام ١٩٦٥ بيان أحرار صاحب العماني في دمشق حول الاستعمار البريطاني, وثيقة رقم ١٨٤, ١٩٦٦, ص٣٦١.

[٣٨]) سيد نوفل, المصدر السابق , ص٢٢٢.

الوثائق العربية لعام ١٩٦٥, المصدر السابق, ص ٣٦٢ .

[٣٩]) نقلاً عن: مفيد قاصد الزيدي, المصدر السابق، ص ٢١٧.

[٤٠])جريدة أحرار الخليج, العدد ١١, كانون الثاني ١٩٦٧ .

[٤١])مفيد كاصد الزيدي, المصدر السابق, ص ٢٢١.

[٤٢]) واصف باقي, القضية الفلسطينية في الشعر الاماراتي, ابو ظبي, ١٩٨٦, ص ٥٥.

[٤٣]) المعتصم بالله داوود علوي, الاصلاح السياسي في دول الخليج العربي ١٩٧٠- ٢٠٠٩, رساله ماجستير غير منشورة, كلية الآداب- جامعة الشرق الاوسط, ٢٠٠٩, ص٦٦.

[٤٤]) صم بالله داوود علوي , المصدر السابق ,ص٦٦.

[٤٥]) فرد هاليدي, المصدر السابق, ص ٣٨.

[٤٦])مفيد كاصد الزيدي, المصدر السابق , ص ٢٢٨.

[٤٧]) المصدر نفسه.

[٤٨]) الوثائق العربية لعام ١٩٦٨, بيان تنظيم أحرار الخليج في دمشق الى جماهير الشعب العربي عما يجري في امارات الساحل العماني, وثيقة رقم ٨٨, ١٩٦٦, ص ١٧٧.

[٤٩]) حسين فالح جياد, سياسه المملكة العربية السعودية , ص١٠٣.

[٥٠]) قمه الدار البيضاء: **مؤتمر القمة العربي الثالث** عقدت في ١٣ أيلول ١٩٦٥في الدار البيضاء، بدعوة من الملك الحسن الثاني .وشارك فيه ١٢ دولة عربية بالإضافة إلى منظمة التحرير الفلسطينية، وقاطعتها تونس التي كانت على خلاف مع مصر. للمزيد من التفاصيل ينظر :https://ar.wikipedia.org/wiki

[٥١])مفيد كاصد الزيدي, المصدر السابق, ص ١٣١.

[٥٢])المصدر نفسه , ص ٢٣٥- ٢٣٦.

[٥٣])حسين فالح جياد , سياسه المملكة العربية السعودية, ص ١٤٥.

[٥٤])صلاح العقاد, تجربة اتحاد الامارات العربية نحو استراتيجية للعمل الخليج المشترك, الكويت , ١٩٧٦ , ص٣٠ .

[٥٥]) مفيد كاصد الزيدي , المصدر السابق, ص ٢٣٧ .

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

المقومات الجغرافية والاتجاهات الخدمية لصناعة الورق في محافظة بابل

Geographical Factors and Service Trends of the Paper Industry In Babil Governorate

م.م. ضمياء حسن غريب
Assistant Lecturer Dhamia Hassan Ghareeb
جامعة بابل –مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية
University of Babylon– Babil Center for Historical and Cultural Studies
Mobile: 07700778028
dahamiahassan25@ gmail.com

الاستلام(Received) : ٠٦ /٠٥/ ٢٠٢٦	التعديل (Revision) : ١٩/٠٥/ ٢٠٢٦
القبول(Accepted) : ١٧/٠٦/ ٢٠٢٦	النشر (Published) : ٣٠/٠٩/ ٢٠٢٦

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص

تعد عملية تدوير الكارتون من التطبيقات المهمة للصناعات الورقية، لما لها من أثر بيئي واقتصادي واجتماعي ايجابي. في معمل الجوهرة الرصينة تستخدم مخلفات الكارتون كمواد خام بديلة لتقليل الاعتماد على الالياف الخشبية الاولية، مما يساهم في تقليل إزالة الغابات والحفاظ على الموارد الطبيعية. كما أن التدوير يقلل من حجم النفايات الصلبة ويسهم في خفض التلوث البيئي المرتبط بمكبات القمامة. من الناحية الاقتصادية، يحقق التدوير خفضاً في تكاليف الانتاج، إذ يعتبر الكارتون المستعاد أرخص المواد الخام التقليدية، مما يعزز القدرة التنافسية للمنتج الورقي في الأسواق المحلية، أضافة الى ذلك يخلق هذا النشاط فرص عمل في مراحل الجمع والفرز والمعالجة، ويسهم في تنمية المجتمع المحلي من خلال دعم المشاريع الصغيرة المرتبطة بسلسلة التدوير.

الكلمات المفتاحية: الصناعات الورقية، مخلفات الكارتون، معمل الجوهرة ، الاسواق المحلية ، المواد الاولية

Abstract

The recycling of Cardboard represents an important practice in the paper industry, with significant environmental, economic, and social impacts. At Al Jawhara Al Rasina Factory, cardboard waste is used as an alternative raw

material to reduce reliance on primary wood fibers, thus contributing to deforestation and the conservation of natural resources. Recycling also reduces the volume of solid waste and helps lower environmental pollution associated with landfills.

From an economic standpoint, recycling reduces production costs, as reclaimed cardboard is the cheapest traditional raw material, thus enhancing the competitiveness of paper products in local markets. Furthermore, this activity creates job opportunities in collection, sorting, and processing, and contributes to local community development by supporting small businesses linked to the recycling chain.

Keyword: Paper Industries , Cardboard Waste , Al Jawhara Factory, Local Markets, Raw Materials

١-المقدمة

تتناول هذه الدراسة تحليل المقومات الجغرافية والاتجاهات الخدمية التي تؤثر على صناعة الورق في محافظة بابل، تهدف الى تقييم الموارد الطبيعية والبشرية أضافة الى البنية التحتية الخدمية وتوزيعها المكاني وتشخيص أمكانيات المحافظة لاستقطاب وتطوير هذه الصناعة باعتبارها من الصناعات التحويلية الحيوية ذات الطلب المتزايد في السوق المحلية العراقية.

وتحتل الصناعات التحويلية مكانة بارزة في تعزيز النمو الاقتصادي وتحقيق التنمية المستدامة في مختلف دول العالم، وتعد صناعة الورق من الصناعات ذات الأهمية الكبيرة نظراً لارتباطها المباشر بالقطاع التعليمي والتجاري والصناعي ومع اتساع الطلب المحلي في العراق على الورق بمختلف أنواع برزت الحاجة الى دراسة المقومات الجغرافية والخدمات المتاحة في المحافظات العراقية التي يمكن أن تستوعب مثل هذه الصناعات.

تمتلك محافظة بابل موقعاً متوسطاً بين المحافظات العراقية أضافة الى موارد بشرية ومقومات خدمية قد تجعلها موقعاً مشتملاً لتوطين صناعة الورق ومن هنا تنبع أهمية هذه الدراسة التي تسعى الى تحليل تلك المقومات وتشخيص تحديات وفرص تطوير هذا القطاع.

أولاً: مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في التساؤل الرئيس الآتي:

ما مدى إسهام المقومات الجغرافية الطبيعية والبشرية في قيام وتطور صناعة الورق في محافظة بابل؟ وما طبيعة الاتجاهات الخدمية التي تؤديها هذه الصناعة داخل المحافظة وخارجها؟ ويتفرع عن ذلك عدد من التساؤلات الفرعية:

١- ما أبرز المقومات الجغرافية المؤثرة في توطن صناعة الورق في محافظة بابل؟

٢- هل تتباين أهمية هذه المقومات في دعم استمرارية الصناعة وتوسعها؟
٣- ما حجم ونطاق الخدمات التي تقدمها صناعة الورق للسكان والأنشطة الاقتصادية؟
٤- ما الاتجاهات المكانية لتوزيع وتسويق منتجات صناعة الورق داخل المحافظة وخارجها؟

ثانياً: فرضية البحث

يفترض البحث أن صناعة الورق في محافظة بابل نشأت وتطورت نتيجة توافر مجموعة من المقومات الجغرافية المتمثلة بالمواد الأولية والمياه والطاقة والأيدي العاملة وشبكات النقل والأسواق الاستهلاكية، وأن هذه المقومات أسهمت في تعزيز كفاءة الصناعة واتساع اتجاهاتها الخدمية، مما جعل منتجاتها تخدم أسواق محافظة بابل ومحافظات أخرى بدرجات متفاوتة.

ثالثاً: أهداف البحث

١- تحديد وتحليل المقومات الجغرافية الطبيعية والبشرية المؤثرة في صناعة الورق في محافظة بابل.
٢- بيان دور كل مقوم جغرافي في توطن الصناعة واستمرارها.
٣- دراسة الاتجاهات الخدمية لصناعة الورق وتحديد نطاق نفوذها المكاني.
٤- تحليل حركة توزيع وتسويق منتجات صناعة الورق داخل المحافظة وخارجها.
٥- الكشف عن أبرز المشكلات التي تواجه الصناعة ووضع مقترحات لتطويرها وتعزيز دورها الخدمي.

رابعاً: النتائج المتوقعة:

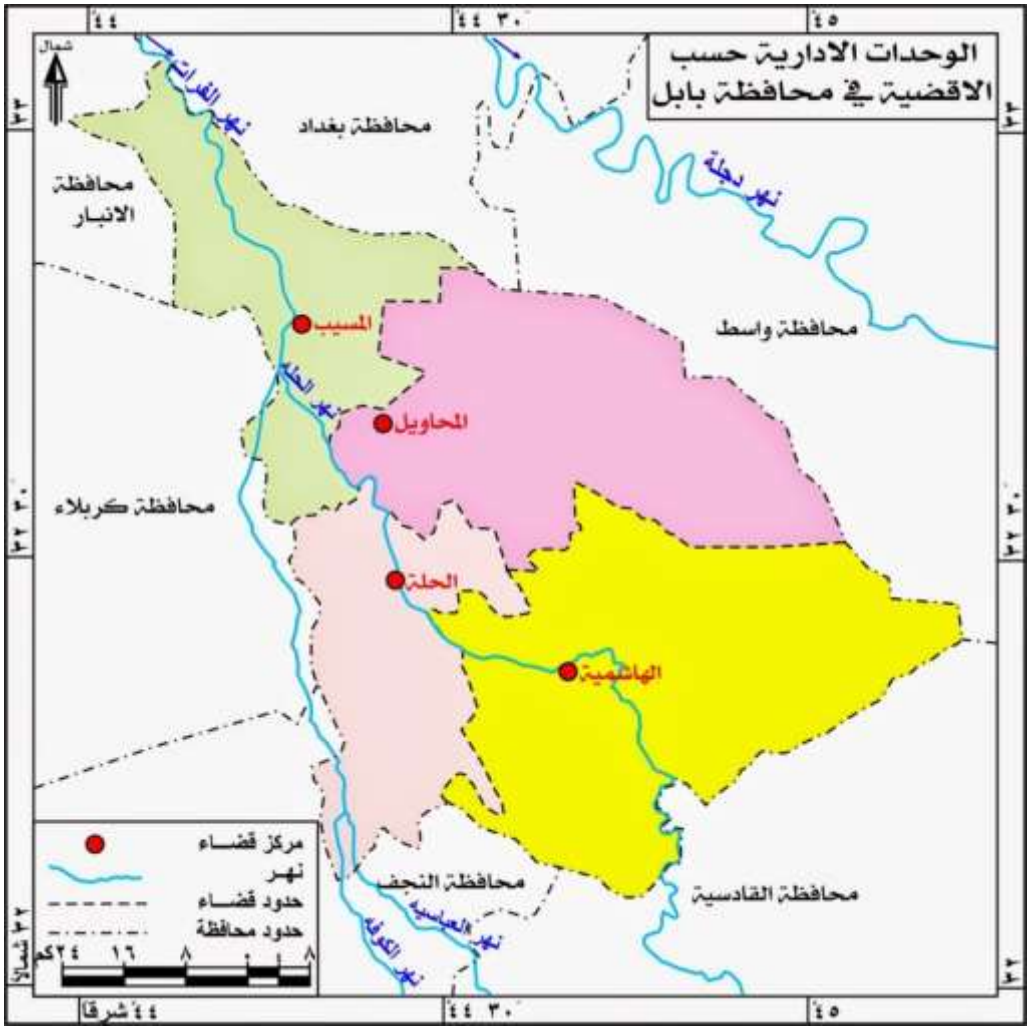
١- وجود علاقة وثيقة بين توافر المقومات الجغرافية وبين استقرار صناعة الورق وتطورها في محافظة بابل.
٢- يعد توفر المياه والطاقة وشبكات النقل والأسواق الاستهلاكية من أهم المقومات المؤثرة في الصناعة.
٣- تتجاوز الخدمات التي تقدمها صناعة الورق حدود محافظة بابل لتشمل محافظات أخرى.
٤- تتباين الاتجاهات الخدمية للصناعة تبعاً لاختلاف حجم الطلب والأسواق المستهدفة.

خامساً: حدود الدراسة :

المكانية : محافظة بابل

تتمثل الحدود المكانية للدراسة بمحافظة بابل الواقعة في الجزء الاوسط من العراق بين دائرتي عرض (٣٢ ْ ٧ ¯ - ٣٣ ْ ٨ ¯) شمالاً وخطي طول(٤٣ ْ ٤٣ ¯ - ٤٢ ْ ٥٠ ¯) شرقاً تحدها من الشمال محافظة بغداد ومن الجنوب محافظتي القادسية والنجف أما من الشرق فتحدها محافظة واسط ومن الغرب محافظتي الانبار وكربلاء خريطة(١).

خريطة (١)
منطقة الدراسة



المصدر: جمهورية العراق، وزارة الموارد المائية، الهيئة العامة للمساحة، خريطة محافظة بابل الادارية لعام ٢٠٠٧، بمقياس ١ : ٥٠٠٠٠٠.

الحدود الزمانية: يغطي الوضع الراهن والمتغيرات خلال الاعوام(٢٠١٨-٢٠٢٦) حسب توافر البيانات الموضوعية يركز على المقومات والخدمات والاتجاهات المكانية.بدأ العمل في معمل كارتون الجوهرة ٢٠١٠٨ وبدأ الانتاج في ٢٠٢٣.

سادساً: **منهجية البحث**

١- **المنهج الوصفي التحليلي:** لتحليل واقع المقومات الجغرافية والخدمية

٢- **المنهج المكاني(الجغرافي): لدراسة التوزيع الجغرافي للمقومات.**

٣- **العمل الميداني : مقابلات واستبانات**

سابعا- الدراسات السابقة :

١- دراسة اريج كريم رحمان جبار العزاوي بعنوان الانتاج الاخضر والمصنع الالكتروني والاستدامة. دراسة تطبيقية في معمل الورق في محافظة البصرة .

٢- دراسة هند فوزي وفيق بعنوان الصناعات الورقية في العراق : دراسة تطبيقية عن الشركة العامة للصناعات الورقية في البصرة.

٣- دراسة ليث جبار علي – كلية الادارة والاقتصاد- جامعة بابل(٢٠١٨) بعنوان: مقترح انشاء معمل تدوير المخلفات الصلبة (الورق- الكارتون) في محافظة بابل.

المبحث الاول

المقومات الجغرافية لصناعة الورق في محافظة بابل

تمهيد:

يقوم النشاط الصناعي حيث يرغب الانسان في توقيعه، إلا أنه لا يتوطن إلا عندما تقام الصناعات في مواقعها المناسبة التي تتيسر لها كل أو أغلب مقومات توطنها، ورغبة الانسان في اختيار مواقع صناعاته تبني على عدة اعتبارات يأتي في مقدمتها تحقيق قدر معقول من الربحية الاقتصادية، وفي الغالب فأن من الصعب حصول ذلك مالم تتهيأ للصناعة متطلبات موقعية عديدة في الموقع ومتطلبات قيام وتوطن الصناعة قابلة للاستبدال ***Substitution*** فيعوض انخفاض كلفة احدهما عن ارتفاع كلفة آخر، وهي أيضاً ليست في حالة ثبات، فتتغير مع التطور الحضاري والعلمي الذي يبنيه الانسان وبتغيير أحوال السكان والصناعات تتباين مع بعضها في أنواع ومقدار متطلباتها منها، كما تتباين الاقاليم والبلدان في قدرتها على أمداد الصناعة أو بعض فروعها بمتطلباتها، ولذلك فلابد من اختيار نوع وحجم وموقع مناسب للصناعة مما يتطلب تهيئة خلفية نظرية لتعريف كل مقوم من مقومات قيام الصناعة ودوره في قيامها وتوطنها وفي تحديد مواقعها وفيما يلي عرض لهذه المقومات وتفصيل لأثرها المشار اليه[i].

أولاً: المقومات الطبيعية

١- الموقع الجغرافي

أن للموقع الجغرافي أثراً هاماً في حياة السكان وبوجوه متعددة فله دور في توجيههم نحو أنشطة اقتصادية وخدمية معينة وقد يقف معوقاً أمام قيام أنشطة أخرى. وإذا كان تأثيره مباشراً على النشاط الزراعي مثلاً فأن اثره على الصناعة وأنماطها ومواقعها غير مباشر في أكثر الاحيان[ii].وتتميز بعض المواقع بأهمية كافية لتشجيع إقامة الصناعة فيها وتأتي هذه الأهمية لما يوفره هذا الموقع من امتيازات بجعل هذه الصناعة تتطور وزيادة الانتاج وتقليل من التلوث، ويقصد بموقع الصناعة موقعها الاقليمي

Regional Location داخل حدود دولة معينة أو قارة أما مكانها ***Site Location*** فيقصد بها محلها أو موقعها في داخل الاقليم.

ومحافظة بابل تتمتع بموقع جغرافي متميز في المنطقة الوسطى من العراق، إذ تقع بين عدد من محافظات المهمة اقتصادياً وسكانياً فهي تحد محافظة بغداد من الشمال ومحافظة واسط من الشرق ومحافظتي النجف والقادسية من الجنوب ومحافظتي كربلاء والانبار من الغرب. وقد اسهم هذا الموقع في تعزيز النشاط الصناعي بالمحافظة من خلال سهولة الاتصال بالمحافظات المجاورة من خلال شبكة من الطرق البرية.

ويقع معمل صناعة الورق في محافظة بابل على الطريق الدولي السريع الذي يربط العاصمة بغداد بالمحافظات الجنوبية وذلك من الجهة الجنوبية للمحافظة، ويجاور المعمل عدداً من المنشآت الصناعية المهمة مثل معمل السكر في بابل ويقع بالقرب من جسر رقم(١٤) مما يجعله في موقع استراتيجي واضح المعالم ويعد هذا الموقع من المناطق الصناعية التي تتميز بسهولة الوصول اليها وارتباطها المباشر بشبكة الطرق الرئيسة في المحافظة ويسهل عملية نقل المواد الاولية والمنتجات النهائية الى داخل المحافظة وخارجها وبعد اختيار موقع معمل صناعة الورق في هذا المكان مناسباً من الناحية الاقتصادية والجغرافية لوقوعه على الطريق الدولي السريع الذي يسهل حركة الذي يسهل حركة النقل والتوزيع كما أن قربه من منشآت صناعية أخرى يساه في تكامل النشاط الصناعي وتقليل تكاليف النقل أضافة الى ذلك فأن موقعه خارج المناطق السكنية يقلل من الآثار البيئية السلبية ويوفر مساحة مناسبة للتوسع الصناعي مستقبلاً مما يعزز من دور المعمل في دعم التنمية الصناعية في محافظة بابل[iii].

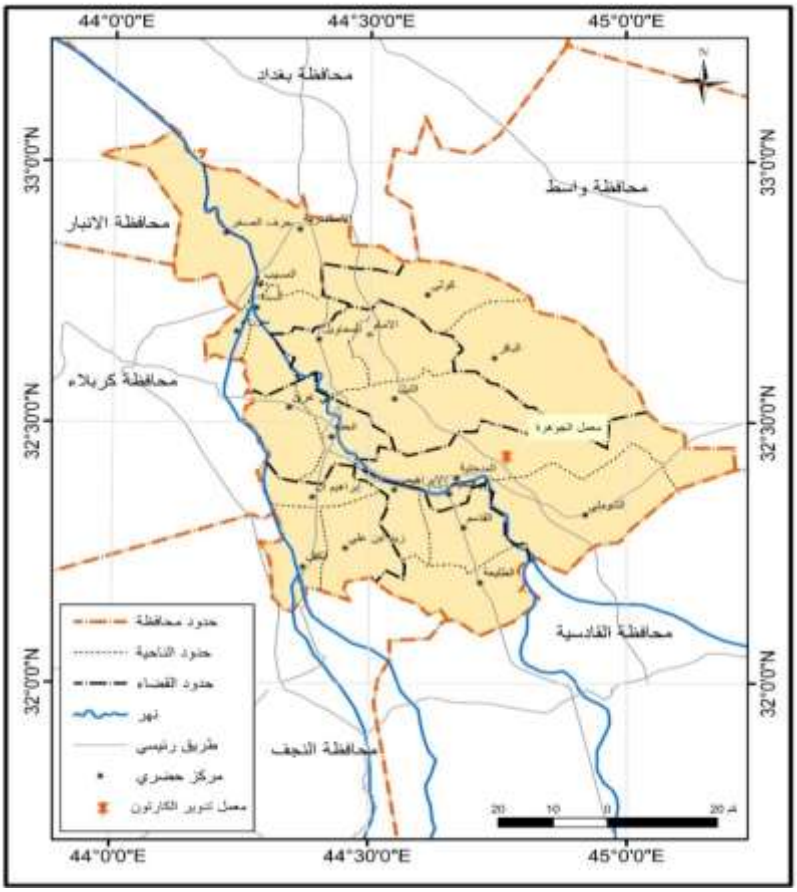
يُعد الموقع الجغرافي من المقومات الطبيعية المهمة والمؤثرة في حياة المنطقة أو الإقليم لاتصاله المباشر بنظم حياة الإنسان الاقتصادية[iv]. وله دور مؤثر في جذب سكانه للعمل في أنشطة اقتصادية وخدمية أكثر من غيرها تتوفر مقوماتها في الإقليم, أو قد يقف حائلاً أمام قيام أنشطة أخرى فيؤثر بصورة مباشرة في بعض الأنشطة الاقتصادية كالزراعة, بينما يكون تأثيره غير مباشر في الصناعة وأنواعها ومواقع توطنها. وتتوسط منطقة الدراسة عدداً من محافظات العراق تكوّن حدود مشتركة معها, فتقع إلى الشمال منها محافظة بغداد والى الجنوب محافظة القادسية ومحافظة النجف. أما من الشرق فتحدها محافظة ديالى ومحافظة واسط, ومن الغرب محافظة الانبار ومحافظة كربلاء ان الموقع المميز للمحافظة جعل إمكانية الحصول على المدخلات التي تحتاجها الصناعة بشكل عام يتم بسهولة وكذا الحال بالنسبة لتسويق منتجاتها الصناعية, ولاسيما وإنها ترتبط مع بقية المحافظات بشبكة نقل برية جيدة وكفوءة.

ويعد هذا الموقع من المقومات الجغرافية المهمة لصناعة تدوير الكارتون وانتاج الورق في معمل الجوهرة. إذ يسهل عملية استقطاب مخلفات الكارتون من الورق من المؤسسات التجارية والمؤسسات الحكومية والقطاع الخاص داخل محافظة بابل والمحافظات المجاورة مما يوفر مورداً مستمراً للمواد الاولية اللازمة للإنتاج.

كما يساعد الموقع المركزي للمحافظة على تقليل تكاليف النقل وزمن وصول المواد الاولية الى المعمل فضلاً عن سهولة توزيع المنتجات الورقية الى الاسواق المحلية والاقليمية ويعزز قرب المحافظة من العاصمة بغداد اتساع نطاق الخدمة التسويقية نظراً لارتفاع حجم الطلب على المنتجات الكارتونية والورقية في الاسواق التجارية والصناعية. وأن المناطق المناسبة لتوطين صناعة الورق هو خارج المدينة وذلك بسبب تقليل من أثر التلوث وتكون قريبة من مصدر المياه وسهولة توزيع المنتجات وتسويقها الى بقية المحافظات المجاورة.

خريطة(٢)

موقع المعمل تدوير الكارتون(الجوهرة) بالنسبة محافظة بابل



المصدر: محافظة بابل، دائرة التصاميم ، قسم المعلومات الجغرافية، مقياس ١: ٥٠، ٠٠٠.

٢- الأرض:

تعد الأرض من العوامل المكانية الضرورية لقيام الصناعات في كل موقع تختار ان تقوم فيه, فكل صناعة تحتاج إلى مساحة من ارض جافة ومستوية لتقيم عليها تأسيسات مصنعها, وتحتاج إلى مساحة أخرى لعمليات التفريغ والتحميل, وقد تراعي أيضا أن تكون هناك مساحات إضافية لاحتمالات التوسع في المستقبل, وخاصة بالنسبة للمنشآت الصناعية الكبيرة [v]. وان ثمن الأرض أو ظروف إيجارها قد يؤثر ايضا في اختيار موقع الصناعة[vi] من جانب آخر فأن لطبيعة الصناعة تأثير في اختيار مواقعها في او بالقرب من مراكز المدن او مناطق الضواحي والمناطق الزراعية, فبعض الصناعات يصدر منها ضجيجاً وضوضاء مزعجاً أو قد تطلق غباراً, أو قد تنفث غازات ملوثة, الأمر الذي يستدعي إقامة هذه الصناعات في مناطق الضواحي بعيداً عن مراكز المدن.

وفيما يخص منطقة الدراسة(معمل الجوهر لإعادة تدوير الكارتون فقط) , فعلى الرغم من صغر مساحة المحافظة إلا أنها لم تشكل عائقاً أمام قيام صناعة تدوير الكارتون والذي اقيم على ارض مساحتها ٨ دونم وقد بدأ بتحضير البنى التحتية وتركيب الماكنات في عام ٢٠٢١ وبدأ التشغيل والانتاج في عام ٢٠٢٤ [vii].

٣- السطح:

إن لمظاهر سطح الأرض من حيث استوائها او درجة انحدارها وصلابتها تأثيراً في تحديد المساحات اللازمة أو الموقع المناسب لإقامة الأنشطة الصناعية[viii], وللتضاريس أيضا تأثير على حالة المناخ والتربة وطرق المواصلات مما له تأثير على طبيعة النشاط السائد في الإقليم, وفي مقومات نجاحه, وهذا يعد تأثيرا غير مباشر على النشاط الصناعي في الإقليم, فتنوع التضاريس يؤدي إلى تنوع المناخ وهذا يؤدي إلى تنوع النشاط الصناعي [ix].

إن الأراضي المنبسطة(السهلية) تساعد على تسهيل عملية مد شبكات طرق النقل اللازمة والخدمات الأخرى مما يساهم ذلك في انخفاض تكاليف الإنشاء, وبالتالي انخفاض تكاليف الإنتاج فضلاً عن أهميتها في تركز السكان واستقرارهم ولاسيما ان استقرار السكان يعد عامل مهم في توفير القوى العاملة اللازمة التي تحتاج إليها الأنشطة الاقتصادية ومنها النشاط الصناعي[x]. ان منطقة الدراسة وكما بينا سابقاً جزءاً من منطقة السهل الرسوبي, وتمتاز باستوائها وقلة درجة انحدارها العام من الشمال إلى الجنوب.

١- التربة:

تكمن أهمية التربة كعامل من عوامل التوطن الصناعي من خلال معرفة مدى قدرتها على تحمل الأثقال والإنشاءات فوقها ومستوى المياه الجوفية فيها ثم دراسة تأثير ذلك على ثبات الأسس, والذي يحدد بدوره نوع الإنشاءات التي تقام عليها وكلفها .

٢- الموارد المائية:

يعتبر الماء عنصراً رئيساً في جميع العمليات الصناعية فهو يستخدم في توليد البخار وفي التبريد وفي الغسيل وفي ترطيب الجو، وأن الانهار تمثل أرخص وسائط النقل سواء بالنسبة للخامات وبالنسبة للمصنوعات. وتظهر أهمية الانهار كوسيلة رخيصة من وسائل النقل بالنسبة للخامات الكبيرة الحجم والزهيدة القيمة وللمسافات الطويلة. ومن المعروف أن الصناعات تختلف فيما بينها في مدى حاجتها الى المياه فهناك صناعات تستهلك مقادير كبيرة من المياه كصناعة الورق موضوع الدراسة، فإنتاج الطن الواحد من الورق من لب الخشب يتطلب (٣٨,٠٠٠) غالون من الماء. وأن نوعية المياه المستخدمة في الصناعة تتوقف على مجالات استعمالاتها للمياه المستخدمة في صناعة الاقلام وفي صناعة الورق تكون مياه نقيه جداً.

ففي صناعة الورق مثلاً تؤثر المياه غير النقية على لون وبريق الورق المنتج بل وحتى على الآلات المستخدمة في انتاجه[xi].وأن كمية المياه المستهلكة في صناعة الورق في المعمل موضوع الدراسة كبيرة حيث تملئ الأحواض بالمياه عن طريق النهر القريب من المعمل[xii]. وأن دور المياه في صناعة الورق هو المزج والتخفيف في صناعة الورق.

يتم استخدام المياه لخلط الالياف (مثل الالياف المستخلصة من الكارتون المعاد تدويره) لتكوين معجون مائي يعرف بـ "اللب" هذا المعجون هو المادة الأساسية التي يتم تشكيلها لاحقاً الى أوراق ورقية المياه تساعد في تسهيل عملية المزج وجعل الالياف أكثر قابلية للتشكيل.

والمياه تستخدم ايضاً في تنظيف المواد الخام قبل اعادة تدويرها لإزالة الاوساخ أكبر والمواد التي قد تكون موجودة على الكارتون القديم هذا يساعد في تحسين جودة الورق المعاد تدويره.

وفي المراحل المتقدمة من التصنيع مثل عملية التجفيف والضغط، تلعب المياه دوراً في عملية أزاله الرطوبة الزائدة من الورق مما يضمن أن الورق النهائي سيكون ذو خصائص جيدة من حيث القوة والمرونة[xiii].

وفي عملية اعادة تدوير الكارتون يتم أولاً تحطيم الكارتون القديم الى قطع صغيرة وخلطه مع المياه لتكوين اللب هذا اللب يحتوي على الياف الكارتون المكسرة مما يسهل اعادة تشكيلها لتصنيع ورق جديد.

وان مياه المصنع تستخدم ايضاً في معالجة المخلفات الناتجة من عملية التدوير مثل المواد الكيميائية التي قد تكون موجودة في الجسر أو المواد اللاصقة فبعض تتبع تقنيات مثل التصفية والترشيح لتنظيف المياه المستعملة قبل اعادة استخدامها أو التخلص منها بطريقة أمينة.

وان مصانع اعادة التدوير الكارتون مثل مصنع الجوهرة قد تستخدم أنظمة تدوير المياه الداخلة للحد من استهلاك المياه العذبة حيث يمكن استخدام المياه المعالجة من عملية الانتاج مرة أخرى في مراحل مختلفة من التصنيع مما يقلل من الاستهلاك العام.

وا ن صناعة الورق تتطلب كميات كبيرة من المياه وهو ما يمثل تحدياً في المناطق التي تعاني من نقص المياه. لذلك من المهم أن تتبنى المصانع تقنيات توفير المياه مثل اعادة تدوير المياه المستخدمة.

وفي حالة عدم معالجة المياه الملوثة بشكل جيد قبل التخلص منها قد يحدث تلوث بيئي في الانهار أو البحيرات هذا يشمل تلوث المياه بالمواد الكيميائية المستخدمة في عمليات التبيض أو الحبر لذلك لابد من وجود أنظمة مقاله لتنقية المياه .

أن المياه تعتبر من المكونات الاساسية في صناعة الورق وخاصة في مصانع تدوير الكارتون حيث تستخدم في عمليات التحضير" التشكيل: والتصفية وفي نفس الوقت هناك تحديات تتعلق باستخدام المياه في هذه الصناعة وهو ما يستدعي تبني تقنيات أكثر استدامة لتقليل الاستهلاك والحفاظ على البيئة.

المقومات البشرية :

١- المواد الاولية

تقوم الصناعة بشكل عام وصناعة الورق بشكل خاص بوصفها نشاطاً اقتصادياً بتغير شكل أو حالة المادة لخلق زيادة منفعتها للإنسان عن طريق عمليات الانتاج في مختلف أنواعها، وهذه المواد هي عبارة عن نفايات يقومون بإعادة تدويرها مرة ثانية للاستفادة منها وصناعة الورق لذلك تعتبر المواد الاولية من المرتكزات التي يرتكز عليها النشاط الصناعي لأنه يمثل الركيزة الاساسية في عملية التصنيع، وبما أن محافظة بابل تمتلك أمكانيات جغرافية واضحة على مستوى توافر المواد الاولية ، إذ بإمكانها استثمارها بالشكل الصحيح حيث تساهم في خلق قاعدة صناعية متطورة ونظراً لتوطن صناعة الورق في محافظة بابل لذا اصبحت المواد الاولية لهذه الصناعة والذي هو تدوير النفايات ضرورة اقتصادية[xiv].

وأن المواد الاولية المعتمدة في هذا المعمل موضوع الدراسة يتم شراء الكارتون التالف المكبوس ونقله بواسطة شاحنات وتفريغه داخل المعمل واجراء عليه كافة العمليات الانتاجية لعادة تدوير نفايات الكارتون وصناعة الورق وينتج في اليوم (١٥٠-٢٠٠ طن) يومياً.

لذلك تعد المواد الاولية من أهم العوامل المؤثرة في التوطن الصناعي ولاسيما في الصناعات التي تعتد على اعادة تدوير مثل الورق والكارتون إذ تمثل المادة الخام الاساس الذي تقوم عليه العملية الانتاجية ويؤدي توفرها وقربها من موقع المصنع تقليل تكاليف النقل وزيادة الكفاءة الاقتصادية.

وتعمد صناعة تدوير الكارتون في محافظة بابل على الورق والكارتون المستعمل الناتج عن الانشطة التجارية والخدمية والسكنية، الاسواق المحلية المخازن التجارية، المؤسسات الحكومية المطابع ومحال التغليف. وتتميز محافظة بابل بكثافة سكانية ونشاط تجاري ملحوظ مما يوفر كميات مستمرة من نفايات الورق والكارتون الامر الذي يشجع على توطن معمل تدوير الكارتون فيها.

وأن نوعية المواد الاولية له اثر في الإنتاج حيث تختلف جودة الورق والكارتون المستخدم في التدوير بحسب مصدره حيث يؤثر مستوى النظافة ونسبة الشوائب على:

١- جودة الورق المنتج.

٢- كمية المواد الكيميائية المستخدمة.

٣- كلفة المعالجة الصناعية.

وكلما كانت المواد الاولية أكثر نقاء ازدادت كفاءة الإنتاج وانخفضت تكاليف الانتاج التشغيلية [xv].

١- رأس المال:

يعد رأس المال من العوامل الاساسية المؤثرة في التوطن الصناعي إذ يمثل العنصر المالي الذي يمكن من انشاء المشروع الصناعي واستمراريته ويشمل ذلك تكاليف شراء الارض وبناء المعمل واقتناء الآلات والمكائن أضافة الى رأس المال التشغيلي اللازم لتأمين المواد الاولية ودفع الاجور وتكاليف الطاقة والصيانة وتتطلب صناعة تدوير الورق والكارتون توفر رأس مال متوسط الى كبير.

حيث بدأ المعمل برأس مال يتراوح ٣٠ مليار وينتج المعمل ١٥٠-٢٠٠ طن يومياً وسعر الطن من ٥٨٠ -٦٢٥ الف دينار عراقي .

١- ارتفاع كلفة خطوط الانتاج والمكائن الخاصة يفرم الورق وغسله وتجفيفه.

٢- الحاجة الى أنظمة معالجة المياه والمخلفات الصناعية.

٣- توفير مستودعات لخزن المواد الاولية والمنتج النهائي. وتؤثر هذه المتطلبات بشكل مباشر في اختيار موقع المعمل حيث يفصل التوطن في ال مناطق التي تقل فيها اسعار الاراضي وتكاليف الانشاء.

وتتنوع مصادر راس المال المستثمر في صناعة الورق في محافظة بابل ومن أبرزها راس المال المحلي(القطاع الخاص). ومنها:

- القروض المصرفية الحكومية أو الاهلية .
- التسهيلات الاستثمارية المعتمدة من الجهات الرسمية .

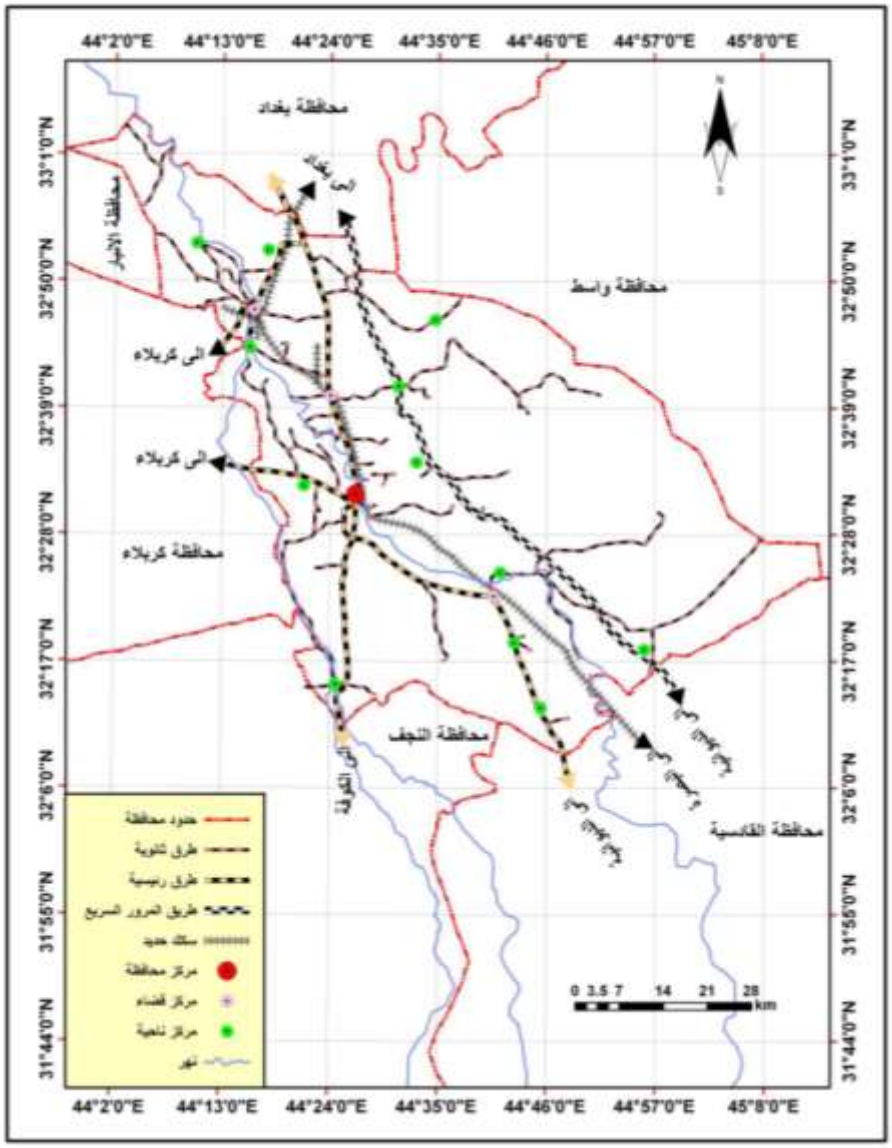
وقد ساهم توفر هذه المصادر في تشجيع إقامة معمل تدوير الكارتون داخل المحافظة ولاسيما في المناطق الصناعية أو أطراف المدن، ويؤثر رأس المال في التوطن الصناعي من خلال اختيار مواقع ذات كلفة أرض منخفضة والقرب من مصادر المواد الاولية لتقليل كلفة النقل وإمكانية التوسع المستقبلي للمعمل, ان توفر رأس المال الكافي يسمح بإنشاء بنية تحتية ملائمة تضمن استمرارية الانتاج وتقليل المخاطر الاقتصادية يتضح مما سبق أن راس المال يمثل عاملاً حاسماً في توطن صناعة الورق في محافظة بابل إذ يحدد قدرة المشروع على اختيار الموقع المناسب وتأمين المتطلبات الانتاجية وتحقيق الاستدامة الاقتصادية مما يعزز فرص نجاح معمل تدوير الكارتون داخل المحافظة.

٢- **النقل والكلفة**:

يعد عامل النقل من العوامل الرئيسية المؤثرة في التوطن الصناعي لمل له من دور كبير في تقليل تكاليف الانتاج وتسريع حركة المواد الاولية والمنتجات النهائية وتزداد أهمية هذا العامل في الصناعات التي تعتمد على مواد أولية كبيرة الحجم أو الوزن مثل صناعة الورق وتدوير الكارتون حث تؤثر كلفة النقل بشكل مباشر في الجدوى الاقتصادية للمشروع الصناعي وتعتد صناعة تدوير الكارتون في محافظة بابل على نقل كميات كبيرة من الكارتون المستعمل من مصادر متعددة ويتطلب ذلك توفر شبكة طرق مناسبة تسهل عملية الجمع والنقل وقد اسهمت الطرق الرئيسية والفرعية في محافظة بابل كما موضح في الخريطة(٢) في دعم توطن معامل تدوير الكارتون بالقرب من مصادر المواد الاولية، وتتمتع محافظة بابل بشبكة نقل برية تربطها بالمحافظات المجاورة أضافة الى الطرق الداخلية التي تصل بين مراكز الاقضية والنواحي مما يسهل وصول المواد الاولية الى المعمل ونقل المنتج النهائي الى الاسواق وخارج المحافظة. وقد شجع هذا الترابط المكاني على اختيار مواقع صناعية قريبة من الطرق الرئيسية لتقليل الزمن والكلفة ويسهم عامل النقل في تحديد مدى انتشار وتسويق معمل تدوير الكارتون حيث ينقل الورق الى المصانع المحلية والاسواق التجارية وشركة التعبئة والتغليف خريطة(٣)

خريطة(٣)

طرق النقل البري في محافظة بابل



المصدر: مديرية الطرق والجسور لمحافظة بابل، الشعبة الفنية،خريطة شبكة الطرق في محافظة بابل بمقياس ١: ٧٠٠٠٠٠ لعام ٢٠٠٧.

٣- الطاقة

تعد مصادر الطاقة من العوامل الاساسية المؤثرة في التوطن الصناعي ولاسيما في الصناعات التحويلية التي تعتمد على تشغيل المكائن والآلات بشكل ستمر مثل صناعة الورق وتدوير الكارتون إذ تؤثر وفرة الطاقة واستقرارها بشكل مباشر في كفاءة العملية الانتاجية واستمراريتها وتعتمد صناعة الورق في محافظة بابل بصورة رئيسة على الطاقة الكهربائية وتشغيل خطوط الانتاج والتي تشمل عمليات فروم الورق وعجن الالياف والتجفيف والضغط أضافة الى تشغيل المضخات وأنظمة المعالجة كما

يستخدم الوقود السائل أو الغازي في بعض المراحل ولاسيما في تشغيل المولدات الاحتياطية أو وحدات التسخين.

وقد اسهم ارتباط محافظة بابل بالشبكة الوطنية للكهرباء في دعم توطن هذه الصناعة إلا أن عدم استقرار التيار الكهربائي في بعض الفترات دفع اصحاب المعمل الى الاعتماد على المولدات الخاصة، الامر الذي ينعكس على كلفة الانتاج ويؤثر في اختيار موقع المعمل حيث يفضل التوطن في المناطق الصناعية القريبة من مصادر الطاقة والبنى التحتية الجاهزة. كما يؤثر توفر الوقود وسهولة نقله الى موقع المعمل في تقليل تكاليف التشغيل ويعد القرب من الطرق الرئيسة ومحطات الوقود عاملاً مساعداً في ضمان استمرارية الطاقة اللازمة للعملية الانتاجية وأن توفر مصادر الطاقة سواء الكهربائية أو الوقودية وبكلفة مناسبة يعد عاملاً حاسماً في توطن صناعة الورق في محافظة بابل إذ يسهم في تقليل التكاليف التشغيلية وتحقيق الاستقرار الانتاجي وتعزيز القدرة التنافسية لمعامل تدوير الكارتون داخل المحافظة.

٤- السوق:

يعد عامل السوق من العوامل المهمة والمؤثرة في التوطن الصناعي إذ ترتبط الصناعات التحويلية ارتباطاً وثيقاً بقربها من مناطق الاستهلاك لما لذلك من دور في تقليل تكاليف النقل والتوزيع وضمان سرعة تصريف الانتاج وتزداد أهمية هذا العامل في صناعة الورق وتدوير الكارتون ونظراً لاتساع استخداماته في مجالات التغليف والتعبئة والخدمات التجارية تمثل الاسواق الرئيسة لصناعة الورق في محافظة بابل في الاسواق المحلية داخل المحافظة أضافة الى الاسواق في المحافظات المجاورة حي يستخدم الكارتون في تغليف المنتجات الزراعية والصناعية وفي الأنشطة التجارية والخدمية والمؤسسات الحكومية.

وقد ساهمت الكثافة السكانية والنشاط الاقتصادي في محافظة بابل في توفير سوق استهلاكي واسع ومستقر لمنتجات معامل تدوير الكارتون، كما يؤثر قرب المعمل من السوق الاستهلاكية في تقليل كلفة خزن المنتجات النهائية وتسريع عملية التسويق مما يشجع على توطن صناعة الورق بالقرب من مراكز المدن أو المناطق الصناعية القريبة من التجمعات السكانية والاسواق التجارية. وأن الطلب المتزايد على منتجات الورق والكارتون نتيجة التوسع في الانشطة التجارية واستخدام مواد التغليف الحديثة قد أسهم في دعم استمرارية هذه الصناعة وتشجيع الاستثمار فيها داخل محافظة بابل[xvi]:.

٥- الايدي العاملة:

تعد اليد العاملة من العوامل الاساسية المؤثرة في التوطن الصناعي لما لها من دور مباشر في تشغيل العملية الانتاجية ورفع كفاءتها وتختلف أهمية هذا العامل باختلاف نوع الصناعة إذ يتطلب صناعة وتدوير الكارتون ايدي عاملة تجمع بين الخبرة الفنية والمهارات التشغيلية أضافة الى العمالة

الغير ماهرة ,ان معمل صناعة الورق يعمل فيه ٢٥٠ عامل ذكور ومؤهلاتهم مختلفة (مهندسين– فنيين) ويخضع العمال الى دورات تدريبية باستمرار على ايدي خبراء اجانب من أجل تحسين نوعية الانتاج وأن العاملين من جنسيات مختلفة(مصريين + ايرانيين + صينين) وأن عدد ساعات العمل هو ٢٤ ساعة بنظام الشفتات، ثلاث شفتات في اليوم الواحد ٣٥ عامل. وتتطلب معامل تدوير الكارتون في محافظة بابل عمالة متنوعة تشمل[xvii]:

١- عمال تشغيل مكائن وخطوط الانتاج .
٢- عمال فرز وجمع الورق والكارتون.
٣- فنيين مختصين بالصيانة.
٤- كوادر ادارية واستراحة.

صورة(١)



المصدر: مقابلة شخصية مع مدير أدارة معمل تدوير الكارتون حيدر مزهر جواد بتاريخ ٢٠٢٥/١٢/١٧

المبحث الثاني

إعادة تدوير الكرتون والمخلفات الورقية

تمهيد

اعادة تدوير الكرتون ومخلّفات الورق تُعد من أهم العمليات الصناعية الصديقة للبيئة، لما لها من دور كبير في تقليل استنزاف الموارد الطبيعية والحد من التلوث. فالورق والكرتون يُصنّعان أساسًا من الأخشاب، وبالتالي فإن إعادة تدويرهما تسهم في تقليل قطع الأشجار والحفاظ على التوازن البيئي.

تمر عملية إعادة التدوير بعدة مراحل متسلسلة، تبدأ بجمع المخلفات الورقية من مصادر مختلفة مثل المنازل، المؤسسات، والمطابع، ثم يتم فرزها حسب النوع والجودة، لأن لكل نوع طريقة معالجة تختلف قليلًا عن الآخر. بعد ذلك تأتي مرحلة التقطيع والخلط بالماء لتكوين عجينة ليفية تُعرف باسم "لبّ الورق".

في المراحل اللاحقة، تُنقّى هذه العجينة من الشوائب مثل الأحبار والمواد اللاصقة باستخدام تقنيات ميكانيكية وكيميائية، ثم تُعالج وتُضغط لإعادة تشكيلها على هيئة صفائح جديدة من الورق أو الكرتون. وأخيرًا، تُجفف هذه الصفائح وتُقصّ حسب الاستخدام المطلوب.

بشكل عام، تسهم هذه العملية في تقليل النفايات، وتوفير الطاقة، وخفض الانبعاثات، مما يجعلها عنصرًا أساسيًا في تحقيق التنمية المستدامة والصناعة النظيفة.

تحدث عملية إعادة تدوير الكرتون مخلفات الورق بالعديد من المراحل كالتالي: –

أولا :مرحله التجميع والتخزين

ثانيا :مرحلة التحضير للتصنيع

ثالثا :مرحلة التكوين

رابعا :مرحله التجفيف

خامسا: الفحص والتجهيز

سادسا :مرحله تخزين المنتج التام

أولا : مرحلة التجميع والتخزين:

في البداية يقوم المعمل بشراء وتجميع المادة الخام للتصنيع وهي الكرتون المستخدم والمخلفات الورقية من الأسواق وبهذه المرحلة يتم فحص الكرتون والتأكد من توفر الشروط والمواصفات العالمية التي توضح مقدار جودة المادة الخام قبل عملية التحضير كما موضح في الصورة (٢).

صورة(٢)

تجميع المادة الخام



المصدر: الدراسة الميدانية للمعمل تدوير الكارتون بتاريخ ٢٠٢٥/١٢/١٧.

ثانيا : مرحلة تحضير المادة الخام :

يتم خلال هذه المرحلة تحويل الكرتون المستخدم والمخلفات الي عجين ورق (تحرير الالياف واسترجاعها الى مزيج من الالياف والمياه) كما موضح في الصورة (٣). يتم نقل الكرتون الى سير ناقل لنقل الكرتون الى عجان ضخم لتحرير الالياف يقوم العجان بخلط الكرتون بالمياه وعمل عمليه طحن للكرتون مما يساعد علي تحويل الكرتون والورق المستخدم الى الياف مرة اخرى بعد ذلك نذهب الى مرحلة التنقية الأولية لأزاله الحصى والبلاستيك(النايلون) كبير الحجم. يقوم منقي عالي الكثافة بإزاله كل ما هو كثافته اعلي من الورق والرمال، ويقوم معدة تنظيف العجان بتنظيف البلاستيك من العجان بعد ذلك يأتي دور المعدات الخاصة بتنقية العجين وإزالة المخلفات الصغيرة منها وطحن الالياف الى المستوي المطلوب للتحول الى مرحلة التكوين إزالة المتبقي من البلاستيك من العجينة وكذلك ازالة الرمال المتبقية وتقوم معدات التحضيرات بعمل طحن للألياف وفصلها من حيث النوع الى الاحواض الخاصة بها تمهيدا لعملية التكوين بعد ذلك تقوم المنقيات المنخفضة الكثافة بإزالة الشوائب العالقة بالألياف وتنقيتها وأخيرا تقوم بعمل تصفية للمياه الزائدة في مرحلة التحضير وتخزين العجينة بالأحواض للاستخدام على خط الإنتاج.

صور(٣)

مرحلة تحضير المادة الخام



المصدر: الدراسة الميدانية للمعمل تدوير الكارتون بتاريخ ٢٠٢٥/١٢/١٧..

ثالثا : مرحلة التكوين

بعد الانتهاء من المرحلة السابقة وتخزين العجينة في الاحواض نقوم بالبدء في مرحلة إعادة تكوين الورق مره اخرى. في البداية نقوم بسحب العجينة وتمر علي منظم كثافة يقوم بضبط نسبه الالياف والمياه المتجهة الى خط الإنتاج للحفاظ علي ثبات الكمية الواردة للماكينة. كما موضح في الصورة تعرف في مجال تصنيع الورق بـ (الوير) وهو عبارة عن مصفاة كبيرة تحتوي علي صناديق لشفط المياه وتصفيتها من العجينة مكونة الورقة في شكلها الأساسي قبل التجفيف، تبدا مرحلة التجفيف بالعصارات وهي بداية لتجفيف الورقة عن طريق الضغط او العصر بدون استخدام الحرارة، ثم تبدأ المرحلة بعملية خلط وتنقية مرة أخيرة قبل الوصول الى معدة التكوين الخاصة بالماكينة كما موضح في الصورة(٤) عملية توزيع وتكوين العجينة على الوير الخاص بالماكينة وتسمي المعدة.

HEAD BOX : وتعتبر هي راس تشغيل الماكينة ومن اهم عناصرها .

الصورة(٤)

مرحلة التكوين



المصدر: الدراسة الميدانية للمعمل تدوير الكارتون بتاريخ ٢٠٢٥/١٢/١٧

رابعا: مرحله التجفيف:

تبدا مرحلة التجفيف بالعصارات وهي بداية لتجفيف الورقة عن طريق الضغط او العصر بدون استخدام للحرارة ، نقوم بعد ذلك بالانتقال الي مرحلة التجفيف باستخدام الحرارة حيث تمر الورقة على درافيل اسطوانية الشغل نقوم برفع درجة حرارتها باستخدام البخار يحتوي المعمل علي ثلاث مجموعات للتجفيف بالحرارة صورة (٥) في منتصف هذه المرحلة يوجد جزء لا يجب ان نغفل عنه وهي مرحلة

تحسين واضافة الكيماويات لرفع كفاءة المنتج وجعله قادر علي المنافسة في الأسواق ويسمي هذ الجزء بمرحلة SIZEPRESS في هذه المعدة نقوم بإضافات الكيماويات الأساسية المستخدمة في صناعه الورق لرفع كفاءة المنتج (النشا الغذائي – ومواد الاكسدة – ومانع تشرب للمياه – وغيرها من متطلبات العملاء حسب الطلب المتفق عليه مع العميل) بعد ذلك نكون قد وصلنا الي اخر مجموعه تجفيف.

قبل الانتقال الي مرحلة الفحص والتجهيز هناك مرحلة بسيطة في غايه الأهمية وهي مرحلة ضبط سمك الورقة وتنعيمها وتجهيزها الي روال ورقي يمكن نقله من الماكينة الي المرحلة التالية قبل الانتقال الي مرحلة الفحص والتجهيز هناك مرحلة بسيطة في غايه الأهمية وهي مرحلة ضبط سمك الورقة وتنعيمها وتجهيزها الي رول ورقي يمكن نقله من الماكينة الي المرحلة التالية .

صورة (٥)

مرحلة التجفيف



المصدر: الدراسة الميدانية للمعمل تدوير الكارتون بتاريخ ٢٠٢٥/١٢/١٧.

خامسا الفحص والتجهيز

هنا يتم إعادة لف المنتج وتجهيزه حسب احتياجات العملاء و تسمي بـ(المقص) REWINDER في مرحلة القص يتم قص الورق حسب احتياجات معمل الكرتون او العملاء صورة(٦) يتم فحص جودة الورق بناء علي مواصفات عالمية تنص عليها المنظمات العالمية ISO / SCAN / TAAPPI ويتم فحص مواصفات الورقة داخل مختبر علمي لتأكد من جودة المنتج وهناك الكثير من الاختبارات التي تتم مثل (RST – SCT –CCT – BURST –TENSILE – COBB –G.S.M

صورة(٦)
مرحلة الفحص والتجهيز



المصدر: الدراسة الميدانية للمعمل تدوير الكارتون بتاريخ ٢٠٢٥/١٢/١٧

سادسا :مرحله تخزين المنتج التام

تتم عملية التخزين والتغليف للحفاظ علي المنتج التام بعد انتهاء عملية الإنتاج ويتم وضع المنتج داخل مخازن للحفاظ علي من العوامل الجوية لحين ارسله الي العملاء وفي النهاية كمثل جميع المنشآت الصناعية الكبرى لابد من التأكد من إدارة هذه المنظومة بشكل علمي وأحدث أنواع التكنولوجيا الحديثة في البرمجة والكهرباء ويتم ذلك عن طريق غرف كاملة للمتابعة التحكم بالمعدات صورة(٧) وكما ذكرنا ان مرحلة التجفيف تتم عن طريق الحرارة المتولدة من البخار فهنالك بالمعمل BOILER.

صورة(٧)

مرحلة تخزين المنتج



المصدر: الدراسة الميدانية للمعمل تدوير الكارتون بتاريخ ٢٠٢٥/١٢/١٧

وهنالك قسم لتحضير المواد الكيمائية الخاصة بالإضافة الي تحسين الورقة كما ذكرنا من قبل في مرحلة التجفيف وفي النهاية نتوضح لنا صناعة الورق او اعادة تدوير الورق من الصناعات الثقيلة في العالم الصناعي حيث تصنف من الصناعات في العالم وتعتبر هي ميزان للاقتصاد لأي دولة ما يتم انتاجه من منتجات يحتاج الي التغليف والتعبئة والمادة الخامة هي الورق والكرتون وارتفاع سعره او استيراده من الخارج يؤثر تأثير غير مباشر علي ارتفاع واستقرار أسعار المنتجات بوجه عام وفي النهاية نختم الكلمات القلية التي تحدثنا بها عن تلك الصناعة بشعار معملنا .

صورة (٨)



الدراسة الميدانية لمعمل تدوير الكارتون بتاريخ ٢٠٢٥/١٢/١٧.

الخاتمة

النتائج:

١-موقع بابل الجغرافي مركزي ويسهل النقل والتسوق .

٢- هناك قاعدة عمالية يمكن تأهيلها للصناعات التحويلية مثل الورق.

٣- السوق العراقية بحاجة لمنتجات ورقية وتغليفية ما يخلق فرصة لنمو الصناعة.

٤- غياب مصنع ورق متكامل تقنياً في المحافظة حالياً.

٥- خدمات بنى تحتية صناعية تحتاج لتعزيز (كهرباء- مياه- خدمات- لوجستية).

٦- من الممكن تعميم التجربة على محافظات العراق كافة لأنها تشكل مدخولاً أضافياً للمحافظة.

المقترحات

١- تخصيص مواقع صناعية قريبة من مراكز التجميع التجارية والاسواق الرئيسة في مدينة الحلة والاقضية ذات الكثافة السكانية المرتفعة لتسهيل الحصول على مخلفات الكارتون والورق القابلة للتدوير.

٢- تطوير البنى التحتية الصناعية و تحسين الخدمات الاساسية في المناطقة الصناعية(الطاقة، الماء، النقل) لجذب المستثمرين.

٣- دعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة المرتبطة بالورق مثل اعادة التدوير والتعبئة والتغليف، الورق المقوى ما يكسر حاجز الدخول في الصناعة.

٤- تدرب وتأهيل العمالة : دورات تدريبية، في الصناعات الورقية، الصيانة، الجودة الانتاجية لتحسين الكفاءة.

٥- تشجيع الشركات الاستثمارية: بين القطاع العام والخاص لإنشاء أول مصانع ورقية في المحافظة وربطها بالشركات الوطنية.

٦- دراسة الجدوى التفصيلية: أعادة دراسات جدوى اقتصادية وجغرافية حول انشاء مصنع ورق في بابل استناداً الى الطلب والخدمات المتاحة.

٧- شهدت محافظة بابل تنفيذ عدد من المشاريع الاستثمارية الصناعية التي تساهم في توفير فرص عمل وتقليل نسبة البطالة وتحسين الانتاج المحلي ومن أبرزها معمل الجوهرة لإعادة تدوير الكارتون ومعمل تصنيع الورق البلاستيكي. وتسعى محافظة بابل أن تكون عامة العراق الصناعية من خلال دعم المزيد من المشاريع الاستثمارية وتنويع الصناعات بما يحقق تنمية اقتصادية وتوفير فرص العمل لأبناء المحافظة.

٨- الاستغلال الامثل لإمكانيات بلدية الحلة للمساهمة في تقليل النفايات وآثارها السلبية.

٩- توسيع البنى التحتية لتجنب هدر الموارد.

هوامش البحث:

[i] عبد الزهرة علي الجنابي، جغرافية الصناعة، جامعة بابل– كلية التربية، مؤسسة دار الصادق الثقافية، ٢٠١٣ ،ص ٧٥.

[ii] عبد الزهرة الجنابي، المصدر السابق، ص٨٤.

[iii] الدراسة الميدانية لمعمل صناعة الورق مصنع الجوهرة بتاريخ ٢٠٢٥/١٢/١٧

[iv]فؤاد محمد الصقار، التخطيط الاقليمي ، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٦٩، ص٧٣.

[v] ابراهيم شريف واحمد حبيب رسول ونعمان دهش،جغرافية الصناعة، مديرية دار الكتب ، الموصل ،١٩٨١،ص٩٣.

[vi] احمد حبيب رسول، جغرافية الصناعة، دار النهضة العربية ، بيروت، د.ت ، ص٩٣.

[vii] مقابلة شخصية مع مدير ادارة المعمل السيد حيدر مزهر جواد بتاريخ ٢٠٢٥/١٢/١٧.

[viii] ياسين حميد بدع المحمدي، التنمية الصناعية واتجاهاتها المكانية في محافظة اربيل ، اطروحة دكتوراه(غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الاداب، ٢٠٠٢، ص٤٥.

[ix] عبد الزهرة الجنابي، واقع واتجاهات التوطن الصناعي لمحافظات اقليم الفرات الاوسط، اطروحة دكتوراه(غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٩٦، ص٥٦.

[x] مقابلة شخصية مع مدير ادارة المعمل السيد حيدر مزهر جواد بتاريخ ٢٠٢٥/١٢/١٧.

[xi] محمد ممتاز الجندي، الصناعات الزراعية، الجزء الثاني، القاهرة ، ١٩٦٥، ص٣٢٣.

[xii] مقابله مع مدير الادارة لمعمل صناعة الورق بتاريخ ٢٠٢٥/١٢/١٧.

[xiii] الدراسة الميدانية للباحثة / ٢٠٢٥/١٢/١٧

[xiv] محمد أزهر السماك، أسس جغرافية الصناعة وتطبيقاتها، الموصل ،١٩٨٧، ص١٠٣.

[xv] الدراسة الميدانية للباحثة لمعمل تدوير الكارتون بتاريخ ٢٠٢٥/١٢/١٧

(١٦) مقابلة شخصية مع السيد مهيمن شاكر، فني في معمل، بتاريخ٢٠٢٥/١٢/١٧.

(١٧) الدراسة الميدانية لمعمل تدوير الكارتون بتاريخ ٢٠٢٥/١٢/١٧.

قائمة المصادر

أولاً: الكتب العربية والمعربة

١- شريف ، ابراهيم واحمد حبيب رسول ونعمان دهش،جغرافية الصناعة، مديرية دار الكتب ، الموصل ،١٩٨١.

٢- احمد حبيب رسول، جغرافية الصناعة، دار النهضة العربية ، بيروت، د.ت.

٣- عبد الزهرة علي الجنابي، جغرافية الصناعة، جامعة بابل– كلية التربية، مؤسسة دار الصادق الثقافية، ٢٠١٣.

٤- الداهري ،عبد الوهاب مطر ، تنمية وتحسين الغابات في العراق، مطبعة الرشاد، بغداد ، ١٩٧٨.

٥- الصقار ، فؤاد محمد ، التخطيط الاقليمي ، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٦٩.

٦- ماكلوهان ، مارشال ، مجرة غوتنبرغ ، مطبعة جامعة تورنتو، ١٩٦٢.

٧- السماك ،محمد أزهر ، أسس جغرافية الصناعة وتطبيقاتها، الموصل ،١٩٨٧ محمد أزهر السماك، أسس جغرافية الصناعة وتطبيقاتها، الموصل ،١٩٨٧.

٨- الجندي ،محمد ممتاز ، الصناعات الزراعية، الجزء الثاني، القاهرة ، ١٩٦٥.

ثانياً : الكتب الأجنبية:

1- Renner. G. T , Geography of Industrial localization , Economic Geography 23,1947, PP.189-197.

2- Renner. . G, J. L. Durand , V.L White & W.B. Gibson , Economic geography , New York ,1951.

3- Richard topical Encyclopedia , New York, The Richard company Inc, 1969, Vol.9-10 , 1962.

4- Riey, C-M; Our mineral resources , New York Wiley , 1959.

ثالثاً: الاطاريح

١- يوسف ،فاضل محسن ، التباين المكاني لصناعة المواد الانشائية في العراق، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٧.

٢- المحمدي ياسين حميد بدع، التنمية الصناعية واتجاهاتها المكانية في محافظة اربيل ، اطروحة دكتوراه(غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٢.

٣- الجنابي عبد الزهرة ، واقع واتجاهات التوطن الصناعي لمحافظات اقليم الفرات الاوسط، اطروحة دكتوراه(غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٩٦.

رابعاً: المقابلات الشخصية

١- مقابلة شخصية حيدر مزهر جواد، مدير الادارة في معمل

٢- مقابلة شخصية مع السيد مهمين حامد شاكر، فني في معمل .

٣- مقابلة شخصية مع المهندس ابراهيم نجاح.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

الموانئ العراقية المحيطة بخور عبد الله وأهميتها في تكامل النشاط البحري

لنا وليد تركي خابور
Lana.Torki2305m@ircoedu.uobaghdad.edu.iq
أ.د علياء محمد حسين الزبيدي
aliaa@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

الاستلام(Received) : ١١ /٠١/ ٢٠٢٦	التعديل (Revision) : ٠٢/٠٥ / ٢٠٢٦
القبول(Accepted) : ٢٣ /٠٢/ ٢٠٢٦	النشر (Published) : ٠٩/٣٠ /٢٠٢٦

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص

تكتسب الموانئ العراقية المحيطة بخور عبد الله أهميتها من كونها المنفذ البحري الرئيس للعراق على الخليج العربي، في ظل محدودية سواحله البحرية. وقد أدّت هذه الموانئ دوراً محورياً في تنشيط حركة التجارة الخارجية، إذ تمرّ عبرها الصادرات النفطية والسلع التجارية والمواد الأساسية اللازمة لدعم الاقتصاد الوطني. كما أسهم موقعها الجغرافي ضمن ممر مائي ضيق وحساس في تعزيز أهميتها الاستراتيجية، وجعلها ركناً أساسياً في رسم السياسات البحرية والأمنية العراقية. ويُعدّ خور عبد الله ممراً مشتركاً بين العراق والكويت، الأمر الذي أضفى عليه بعداً سيادياً يرتبط بترسيم الحدود وتنظيم الملاحة. وقد انعكس ذلك على طبيعة العلاقات الثنائية بين البلدين، إذ أسهمت خصوصية الموقع في تعقيد بعض الخلافات الحدودية ذات الطابع البحري. وبذلك تتجاوز أهمية هذه الموانئ بعدها الاقتصادي لتشمل أبعاداً سياسية وأمنية مؤثرة في التوازنات الإقليمية.

Abstract

The Iraqi ports located along Khor Abdullah acquire their strategic importance from their position as Iraq’s primary maritime gateway to the Arabian Gulf. Given Iraq’s limited coastline, these ports constitute the country’s only effective access to international waters, thereby forming the backbone of its foreign trade system. Historically, they have functioned as vital arteries for the movement of oil exports, commercial goods, and strategic imports, directly

influencing the stability of the national economy and Iraq's integration into global trade networks

Beyond their economic dimension, the geographical location of these ports within the narrow and sensitive waterway of Khor Abdullah has endowed them with significant geopolitical and security implications. The waterway represents not merely a commercial passage but a strategically contested maritime corridor shared with Kuwait. As a result, port development, navigation rights, and maritime demarcation have become intertwined with broader issues of sovereignty, regional balance of power, and national security.

This strategic reality has rendered the Iraqi ports in Khor Abdullah central to the formulation of Iraq's maritime doctrine and defense planning. At the same time, their location has contributed to the complexity of Iraqi–Kuwaiti relations, particularly in the aftermath of regional conflicts and the subsequent boundary agreements. Thus, the importance of these ports transcends their economic function, extending into the realms of political strategy, diplomatic negotiation, and regional security dynamics.

المقدمة

الرئيس الذي يربط الموانئ العراقية بمياه الخليج العربي. وقد ارتبطت به مجموعة من الموانئ العراقية الحيوية، ولا سيما ميناء أم قصر بشقيه القديم والجديد، وميناء يُعدّ خور عبد الله من أهم الممرات المائية الاستراتيجية في جنوب العراق، لكونه المنفذ البحري خور الزبير، التي شكّلت مجتمعةً العمود الفقري للنشاط التجاري والبحري العراقي[١]. وأسهم الموقع الجغرافي لهذه الموانئ على خور عبد الله في تعزيز الدور الاقتصادي للعراق، كما جعلها في الوقت ذاته محوراً للتنافس الإقليمي والنزاعات الحدودية، خصوصاً في العلاقات العراقية–الكويتية خلال العقود المتأخرة من القرن العشرين[٢].

أهمية الموانئ التجارية والنفطية:

يمتلك العراق خمسة من الموانئ التجارية يضاف إلى ذلك منصتين لتصدير النفط ، يكون اعداد الأرصفة التجارية (٤٨) رصيفاً بطاقة (١٧,٥) مليون طن سنوياً ، منها (٤٣) رصيفاً مستمرة بالعمل بطاقة إنتاجية (١٥٬٩٠) مليون طن سنوياً ، لقد تضررت الموانئ العراقية نتيجة الحروب التي خاضها

العراق , فضلا عن الحصار الاقتصادي للفترة من ١٩٩٠ – ٢٠٠٣ ، فقد توقفت كثير من الموانئ وتعطل الكثير منها كما سببت الحروب إلى زيادة الغوارق من السفن والبواخر (الحربية والتجارية في الممرات والمسالك البحرية وأن أعمال الكري والحفر هي أيضاً توقفت بسبب تلك الحروب، وبعد حرب الخليج الثانية تم تأهيل الحفارات القديمة وشراء حفارات جديدة دهوك، وكربلاء، والبصرة، وبرومارك)، ولقد قامت الشركة العامة لموانئ العراق بعد ٢٠٠٣ من بذل جهوداً كبيرة واعتماداً على تأهيل الحفارات الزبير وتحرير) وشراء الحفارة (طيبة)[٣]، أما في مجال انتشال الغوارق إذ تمكنت الشركة من انتشال الباخرة (الوليد) والباخرة (حنان) , والعراق يمتلك اسطولاً بحرياً تجارياً يعمل على نقل البضائع من وإلى العراق سواء في الاستيراد أو التصدير إذ بلغت حمولته في العام ٢٠٠٥ (١٤٠) الف طن سنوياً ساكناً في حين بلغت الحمولة الإجمالية (٩٢) الف طن ، إذ عملت الحكومات العراقية على تطوير الوسائل المرتبطة بالنقل البحري في توفير طرق النقل ووسائله المختلفة تعتبر مساهمة دول الخليج العربي في الإنتاج العالمي من النفط بلغت (٢٣) وهي نسبة تكاد تكون ضئيلة إذا ما قورنت بالاحتياطي العالمي البالغ (٥٦,٤%)، ويمثل العراق مرتبة متقدمة في الإنتاج النفطي[٤].

أولاً: ميناء أم قصر

يقع ميناء أم قصر في أقصى جنوب العراق عند نهاية خور الزبير والتقائه مع خور عبد الله، وعلى بعد مايقارب (٦٦–٧٥) كم من المدخل الغربي لمدينة البصرة، بالقرب من الخليج العربي[٣]. ويعد اليوم الميناء الأكبر والأهم بين الموانئ العراقية نظراً لموقعه الأستراتيجي على طول الضفة الغربية لخور عبد الله، ولقدرته على أستقبال السفن ذات الغاطس الكبير التي يصعب دخولها إلى ميناء المعقل عبر شط العرب[٤].

بدأ التفكير بانشاء الميناء عام ١٩٦٠ نتيجة لعدة عوامل ؛ ابرزها زيادة حركة التجارة الخارجية للعراق، والأكتظاظ الذي شهده ميناء المعقل، إلى جانب ذلك عمق المنطقة البحرية في أم قصر[٥] مما يتيح استقبال بواخر ذات غاطس كبير دون الحاجة إلى المرور بالقنوات الملاحية الضيقة في شط العرب[٦]. وفي عام ١٩٦١ وضع الزعيم الركن عبد الكريم قاسم حجر الأساس لأنشاء الميناء، لينجز هذا العمل عام ١٩٦٥، ويدخل حيز التنفيذ عام ١٩٦٧ بثلاثة أرصفة كونكريتية حديثة[٧]. جرى لاحقاً تطوير أحد الأرصفة ليكون مخصصاً لتصدير مادة الكبريت القادمة من حقول المشراق، وقد زود آنذاك بحزام ناقل أوتوماتيكي بطول كيلومتر مع حمالة أوتوماتيكية، الا أن هذا النظام الغي لاحقاً بسب أضراره البيئية الكبيرة[٨].

شهد الميناء توسعاً إبان السبعينات والثمانينات، حيث أنشى رصيف خاص للأوعية النمطية (الحاويات) مجهز برافعتين جسريتين بطاقة (٤٠) طناً لكل منهما. كما توسعت طاقته التشغيلية لتصل

إلى نحو (٧,٥) مليون طن سنوياً، وأصبح قادراً على أستقبال مختلف أنواع البواخر، منها بواخر الحبوب والأسمنت والحاويات والبضائع العامة، وفي عام ١٩٨٠ جرى تحوير أحد الأرصفة ليكون رصيفاً متخصصاً بتصدير الكبريت(٩).

غير أن الحرب العراقية – الإيرانية (١٩٨٠–١٩٨٨) أدت إلى تدمير الميناء وتوقف نشاطه تماماً حتى عام ١٩٩٣، حين أعيد اعماره من جديد. وفي ظل ظروف الحصار الدولي على العراق، استخدم الميناء عام ١٩٩٦ لأستقبال البضائع الموردة ضمن مذكرة التفاهم النفط مقابل الغذاء(١٠).

يتألف الميناء من مرفأين رئيسيين هما:

المرفا الجنوبي (الأرصفة القديمة): ويشمل (٩) أرصفة مخصصة للبضائع العامة، أضافة إلى رصيف للحبوب السايلو(١١).

المرفا الشمالي (الأرصفة الجديدة): ويشمل (٩) أرصفة للبضائع الأعتيادية، فضلاً عن رصيفين للحاويات، ورصيف للدحرجة (Ro–Ro)، ورصيف اخر لبواخر المسافرين(١٢).

وبذلك بلغ مجموع أرصفة الميناء نحو (٢١–٢٢) رصيفاً، بطول أجمالي يصل إلى (٢، ٤) كم، ومجهز بأكثر من (٦٠) رافعة كهربائية وجسور ناقلة.كما يضم الميناء شبكة سكك حديدية مرتبطة بالشبكة العامة، إلى جانب اتصاله المباشر بشبكة الطرق السريعة، مما عزز دوره بوصفه المنفذ البحري الأساسي للعراق (١٣).

اما من الناحية المحلية والجيوساسية، فقد كان ارتباط الميناء بخور عبد الله ذا أهمية أستراتيجية كبرى، إذ أن الخور يشكل الممر الطبيعي المؤدي إلى أم قصر قبل الوصول إلى الخليج العربي، وقد مكن هذا الموقع العراق من السيطرة على حركة التجارة في جنوبه وتأمين صادراته وارداته البحرية. كما أن موقع الميناءعلى مقربة من الموانئ الكويتية مثل الشعيبة والشويخ جعله جزءاً من شبكة إقليمية متكاملة للتبادل التجاري عبر الخليج العربي(١٤).

إذن فإن ميناء أم قصر لم يكن مجرد مشروع تجاري، بل مثل منذ تأسيسه في ستينات القرن العشرين ركيزة أقتصادية وملاحية استراتيجية للعراق، أرتبط وجوده أرتباطاً وثيقاً بخور عبد الله الذي شكل بوابته البحرية الطبيعية نحو الخليج العربي والعالم(١٥). تأريخياً، أعتمدت حركة التجارة العراقية على خور عبد الله كممر بحري طبيعي لتسهيل وصول البضائع إلى ميناء أم قصر، خاصة قبل تطوير البنية التحتية للميناء في القرن العشرين(١٦)، كمل لعب الخور دوراً أستراتيجياً إبان النزاعات الإقليمية، إذ كان التحكيم به يتيح مراقبة الحركة البحرية في الجزء الجنوبي من العراق وتأمين طرق التصدير والأستيراد عبر ميناء أم قصر(١٧).

بالأضافة إلى ذلك، يرتبط ميناء أم قصر بخور عبد الله أقتصادياً، إذ تستخدم بعض المنشآت الصناعية والتجارية في المنطقة الجنوبية المياه العذبة والموارد البحرية للخور لدعم عمليات التحميل والتفريغ داخل الميناء. كما أن موقعه بالقرب من الخور يسهم في الربط بين الموانئ العراقية والخليجية، مثل ميناء الشعيبة وميناء الشيوخ الكويتي، مما يعزز التكامل التجاري الإقليمي[١٨].

علاقة الميناء بخور عبد الله

ملاحياً: خور عبد الله يعتبر ممراً طبيعياً قبل الوصول إلى ميناء أم قصر، ويسهم في حركة السفن الداخلية.

استراتيجياً: السيطرة على الخور تتيح مراقبة طرق التجارة وتأمين الموانئ العراقية الجنوبية.

اقتصادياً: يساهم في دعم التبادل التجاري بين العراق والدول المجاورة عبر الخليج العربي[١٩].

القاعدة الأمنية في أم قصر

كلتا أحدى نتائج سلخ جزيرتي بوبيان وورية من العراق، أن تستهل القوة البحرية العراقية بولادة متواضعة وذلك في الثاني عشر من آب ١٩٣٧ على شكل قوة نهرية صغيرة مقرها في البصرة وحيث الميناء التجاري الرئيسي يقع على نهر شط العرب قرب مركز المدينة وهو ميناء المعقل وعموماً، بقي الحال على ماهو عليه حتى قيام الجمهورية في عام ١٩٥٨[٢٠]، بدأ بعدها تطويرها بإدخال أنواع حديثة من الزوارق الحربية ومنها زوارق الطوربيد ومقاومة الغواصات والعديد من الزوارق المجهزة بالمدفعية والصواريخ وذلك خلال عقد الستينات [٢١]، وهي القاعدة البحرية الوحيدة للعراق وحتى وقتنا الحالي، وتقع على الساحل العربي لخور عبد الله جنوب ميناء أم قصر التجاري وكانت تعرف بقاعدة الخليج العربي البحرية[٢٢].

ثانياً: ميناء خور الزبير

يقع في جنوب العراق، على بعد نحو (٦٠) كم غرب مركز مدينة البصرة، وما يقارب (١٠٥) كم عن النهاية الشمالية للخليج العربي، وبمسافة (٢٢) كم عن ميناء أم قصر[٢٣]. ويعد الميناء من الموانئ الصناعية المهمة، إذ أنشى بالأساس لخدمة المجمع الصناعي الكبير في المنطقة، والذي ضم معمل الحديد والصلب والأسمدة والبتروكيمياويات، وذلك من أجل تصدير المنتجات النفطية والبتروكيمياوية والأسمدة (النيتروجين والفوسفات) واستيراد الحديد الخام[٢٤].

قد صمم ليستوعب سفناً لاتتجاوز حمولتها (٥٥) الف طن، بطاقة مناولة اجمالية تتراوح مابين (٧-٧، ٥) ملايين طن سنوياً[٢٥]، الا أن نشاط الميناء لم يستمر طويلاً، إذ توقف عملياً عن العمل في أعقاب حرب الخليج الثانية ١٩٩١ نتيجة الدمار الذي لحق بمرافقه، ومع ذلك استمر الميناء في الحفاظ

على أهميته الاستراتيجية نتيجة موقعه الجغرافي المتصل مباشرة بخور عبد الله، الذي يشكل المسار الملاحي الطبيعي لربط القناة الداخلية للميناء بالخليج العربي[٢٦].

تبلغ قناة خور عبد الله الملاحية طولاً مايقارب بنحو (٢٤) كم، وهي القناة التي تم ربطها بخور عبد الله في أعقاب الحرب، لتكون المنفذ البحري الذي يتيح حركة السفن من وإلى الميناء، وبذلك أصبح خور عبد الله مكملاً حيوياً لعمل الميناء، لكونه يسهل دخول السفن الصغيرة والمتوسطة الحجم، فضلاً عن كونه ممراً أستراتيجياً لضمان أمن الطرق البحرية في المنطقة الجنوبية للعراق[٢٧].

من الناحية التشغيلية، يضم الميناء ١٢ رصيفاً، منها (٨) أرصفة تجارية مخصصة للمنتجات النفطية، ورصيف خدمي واحد لارساء الزوارق والساحبات. ويشمل الميناء كذلك رصيفين أختصاصيين لمعمل الحديد والصلب، ورصيفين من الخرسانة المسلحة والركائز الحديدية الاسطوانية لأستيراد خام الحديد وتصدير الحديد الأسفنجي. كما يحتوي على خمسة أرصفة مخصصة للأسمدة الكيمياوية (اليوريا والفوسفات)، مجهزة بمعدات للتحميل والتفريغ، أضافة إلى ثلاثة أرصفة حديدية للبضائع العامة بطول (١٨٠) متراً، مع (١٢) رافعة كهربائية وساحات مبطنة للخزن وشبكة طرق وخطوط سكك حديدية[٢٨]. ومن ملحقات الميناء المهمة وجود معمل تعبئة بطاقة أنتاجية (٤٥٠) طن/ ساعة، يضم (١٢) خطاً أنتاجياً بطاقة ٧٥٠) حزمة/ ساعة لكل خط. كما يرتبط الميناء بشبكة سكك الحديد الوطنية عبر خط مفرد (Single Track) يصل إلى خط الشعيبة – الناصرية، مما عزز من مكانته الصناعية والتجارية[٢٩].

علاقة الميناء بخور عبد الله

لقد أرتبط ميناء خور عبد الله جغرافياً وملاحياً بخور عبد الله الذي يمثل شرياناً بحرياً طبيعياً يربط الميناء بالعالم الخارجي عبر الخليج العربي. ويمكن أبراز أهمية هذا الأرتباط في ثلاثة محاور أساسية[٣٠].

ملاحياً: شكل خور عبد الله الممر الطبيعي للسفن الداخلة إلى ميناء خور الزبير، وساهم في تسهيل الحركة البحرية بين الموانئ العراقية والخليجية.

أستراتيجياً: منح موقع الميناء القريب من الخور العراق قدرة أكبر على مراقبة وتأمين طرق التجارة البحرية، لاسيماً إبان النزاعات الأقليمية.

أقتصادياً: دعم الميناء من خلال قربه من الخور عمليات النقل البحري وتدفق البضائع الصناعية والنفطية، وعزز التكامل التجاري مع دول الخليج المجاورة لاسيما الكويت والأمارات[٣١].

وهكذا فإن ميناء خور الزبير، على الرغم من تعرضه لتحديات الحرب وتوقفه لفترات زمنية، ظل يمثل ركيزة صناعية وتجارية مهمة للعراق منذ سبعينات القرن العشرين، وكان اعتماده على خور عبد الله عاملاً حاسماً في استمرارية دوره الملاحي والأقتصادي(٣٢).

مما يتبين أن العلاقة بين ميناءي أم قصر وخور الزبير بالممر الملاحي خور عبد الله هي علاقة تكمل وجودي لايمكن فصلها بين التاريخ والجغرافية والأقتصاد. فخور عبد الله شكل المنفذ البحري الوحيد للعراق، ومن خلاله تأسس ميناء أم قصر ليكون واجهة تجارية عامة، ثم أنشئ ميناء خور الزبير ليخدم الصناعات النفطية، هذا الأرتباط جعل من الخور الركيزة الأساسية التي تمنح الميناءين حيويتهما وتحدد وظائفهما، بحيث يغدو التكامل بينهما أنعكاساً لجدلية المكان والزمان والوظيفة الأقتصادية. غير أن هذا التكامل ظل هشاً أمام التنافسات السياسية والحدودية، مايجعل حاضر ومستقبل الملاحة العراقية مرتبطاً دوماً بمدى السيطرة على خور عبد الله.(٣٣)

دور الموانئ المحيطة بخور عبد الله في النفط ووظائفها الاقتصادية في التجارة الخارجية:

تمثل الموانئ المطلة على خور عبد الله حلقة مركزية في المنظومة الاقتصادية لكلٍ من العراق والكويت، إذ يرتبط موقعها الجغرافي مباشرة بوظائف تصدير النفط واستيراد السلع، فضلاً عن دورها في تنظيم حركة التجارة الخارجية عبر شمال الخليج العربي فعلى الجانب العراقي، يشكّل ميناء أم قصر قاعدة لوجستية مهمة داعمة لقطاع النفط، وإن لم يكن ميناءً نفطياً تخصصياً بالمعنى الفني كمرافئ التحميل العائمة في البصرة. إذ يؤدي الميناء وظيفة مساندة لعمليات تصدير النفط من خلال استقبال المعدات الثقيلة، والأنابيب، والآليات، ومواد الإنشاء الخاصة بالبنى التحتية النفطية، إضافة إلى استيراد المواد الضرورية للصناعات الاستخراجية(٣٤). كما يُعد منفذاً رئيساً لدخول المشتقات النفطية المكررة عند الحاجة، مما يجعله جزءاً من الدورة الاقتصادية للطاقة في العراق أما في الكويت، فإن ميناء الشويخ يؤدي دوراً محورياً في دعم القطاع النفطي الكويتي عبر استيراد المعدات الصناعية ومواد الصيانة المرتبطة بمنشآت التكرير والتصدير، فضلاً عن مساهمته في إعادة تصدير بعض المنتجات النفطية والبتروكيمياوية. في حين يُعد ميناء مبارك الكبير مشروعاً استراتيجياً يهدف إلى تعزيز القدرة اللوجستية للكويت في نقل البضائع والطاقة ضمن شبكة إقليمية أوسع، بما يتكامل مع موقعها كمصدّر رئيس للنفط في الخليج العربي(٣٥).

الوظائف الاقتصادية في التجارة الخارجية

تؤدي هذه الموانئ جملة من الوظائف الاقتصادية الحيوية، يمكن إجمالها بما يأتي:

أ.وظيفة التصدير:

تسهيل خروج النفط الخام ومشتقاته (بصورة مباشرة أو غير مباشرة)، إضافة إلى تصدير السلع الوطنية كالمنتجات البتروكيمياوية والمواد الأولية.

ب.وظيفة الاستيراد:

استقبال السلع الاستهلاكية، والمواد الغذائية، والآلات، والمركبات، والمعدات الصناعية، بما يرفد الأسواق المحلية ويغذي القطاعات الإنتاجية.

ج.وظيفة العبور (الترانزيت):

ولا سيما في ظل التوجهات الإقليمية نحو ربط الموانئ بشبكات النقل البري والسككي، بما يسمح بتحويل بعض الموانئ إلى مراكز توزيع إقليمية.

د.وظيفة التخزين واعادة التوزيع :

إذ تحتوي على ساحات خزن ومستودعات ومناطق حرة تسهم في إعادة تنظيم تدفق السلع قبل توزيعها داخلياً أو إعادة تصديرها .

و.التنسيق في توزيع السلع والحاويات :

تتطلب طبيعة خور عبد الله — بوصفه ممراً ملاحيّاً ضيقاً نسبياً — درجة عالية من التنسيق الفني في إدارة حركة السفن والحاويات، سواء من حيث جدولة الدخول والخروج أو من حيث المحافظة على الأعماق الملاحية المناسبة[٣٦]. ويبرز هذا التنسيق في:

١.تنظيم حركة الحاويات : عبر انظمة الكترونية لتتبع الشحنات وتقليل زمن بقاء السفن في الارصفة .

٢. توزيع السلع داخليا: من خلال ربط الموانئ بشبكات الطرق البرية المؤدية الى المراكز التجارية والصناعية .

٣. تسهيل عمليات التصدير والاستيراد: عبر الاجراءات الجمركية الموحدة والتنسيق الملاحي والالتزام بالقواعد الدولية المنظمة للمرور البحري بعد ترسيم الحدود البحرية بموجب قرار مجلس الامن رقم ٨٣٣لعام ١٩٩٣[٣٧] .

الخاتمة

يتضح أن الموانئ العراقية المرتبطة بخور عبد الله لم تكن مجرد مرافق اقتصادية، بل مثلت ركائز استراتيجية ذات أبعاد سياسية وأمنية. وقد أسهمت طبيعة موقعها الحساس في جعلها محوراً دائماً للنقاش والنزاع، الأمر الذي يؤكد أهمية إدارتها وحمايتها ضمن إطار سيادي وقانوني يضمن المصالح الوطنية العراقية ويعزز الاستقرار الإقليمي.

خارطة توضح مواقع الموانئ التجارية والنفطية الرئيسة في العراق



الهوامش:

(١)نصيف الجبوري، البركان المؤجل: أزمة الحدود العراقية–الكويتية جذور المشكلة وآفاق المستقبل، ط١، الرافد للنشر والإعلام، بغداد، ١٩٩٩، ص ١١٢–١١٥

(2)J. E. Peterson, The Politics of the Gulf: Historical Background, Routledge, London, 1988, p. 156–158.

(٣) مقابلة شخصية مع الدكتور والقاضي وائل عبد اللطيف، بتاريخ التاسع والعشرين من آب ٢٠٢٥، بغداد.

(٤) نبيل جعفر المرسومي وحسين حيدر الجزائري، الأهمية الأقتصادية والدولية لميناء الفاو الكبير، ط١، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٩، ص٤٧.

(٥) هشام صلاح حسن، الموانئ العراقية ودورها في حركة النقل البحري (ميناء أم قصر الواقع والأفاق المستقبلية) دراسة حالة، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، العدد ٧٣، ٢٠١٢، ص٣٤٧.

(٦) فوز معن عبد علي الموصلي، الأثر المكاني للميناء في نمو مدينة أم قصر، رسالة ماجستير (غير منشورة)، مركز التخطيط الحضري، جامعة بغداد، ٢٠١٩، ص١٥.

(٧) وزارة النقل، جمهورية العراق، الشركة العامة للنقل والموانئ العراق، البصرة، التقرير الأداري السنوي، ٢٠١٩، ص١٢.

(٨) مكالمة هاتفية , اللواء الركن الدكتور جمال ابراهيم الحلبوسي , خبير الحدود والمياه الدولية , بغداد , بتاريخ ٢٠٢٤/١٢/٢٨

(٩) عباس قاسم حميد الساعدي، جيوبوليتكية خورعبدالله وأثارها على العراق , رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية التربية ابن رشد , جامعة بغداد , ٢٠٢١، ص١٠٤.

(١٠) هشام صلاح حسن، المصدر السابق، ص٣٥٧.

(١١) نبيل جعفر المرسومي وحسين حيدر الجزائري، المصدر السابق، ص٥٠.

(١٢) قاسم عبد علي عذيب البهادلي، الموانئ العراقية واثرها في قوة الدولة دراسة في الجغرافية السياسية , رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية التربية ابن رشد , جامعة بغداد , ٢٠١٠، ص٥٧.

(13) A group of Itali Componies (CIIII):pre-feasibility Study of the New Al fawport, Volume1, 1taly, 2008, p.68.

(١٤) جعفر عبد الأمير عزيز الحسيني، متطلبات تعزيز القدرة التنامية لموانئ لعراق، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الأدارة والاقتصاد، جامعة كربلاء، ٢٠١١، ص٦٧–٦٨.

(١٥) جمهورية العراق، الشركة العامة لموانئ العراقية، دراسة الخطة الرئيسية لقطاع الموانئ في جمهورية العراق، التقرير البريطاني، الوكالة اليابانية للتعاون الدولي، كانون الأول ٢٠١٥، ص٩.

(١٦) علي عباس فاضل وسرمد عباس جواد، الأستثمار في منطقة العراق (الفرص والتحديات) بحث مقدم إلى وزارة المالية الدائرة الأقتصادية، ٢٠١١، ص١٥.

(١٧) وزارة النقل، الشركة العامة لموانئ العراق، التقرير السنوي لعام ٢٠٠٨، ص٢٣.

(١٨) سري محمود المدرس، دور منافذ العراق المائية في خدمة التجارة العراقية (غير النفطية) للمدة ١٩٦٦-١٩٧٦، مجلة كلية التربية، جامعة البصرة، العدد ٨، ١٩٨٢، ص٢٣٤.

(١٩) مكالمة هاتفية، اللواء الركن الدكتور جمال إبراهيم الحلبوسي، خبير الحدود والمياه الدولية، بغداد، بتاريخ الثلاثين من كانون الثاني ٢٠٢٥.

(٢٠) عبد الرزاق الهلالي، الموانئ العراقية وتطورها التاريخي، بغداد، وزارة النقل والمواصلات، ١٩٧٥، ص١٤٥.

(٢١) وزارة النقل، ميناء أم قصر، تقرير رسمي لعام ١٩٦٥، دراسة تخطيطية وانشائية، بغداد، ص٤٧.

(٢٢) مقابلة شخصية مع الدكتور والقاضي وائل عبد اللطيف بتاريخ التاسع والعشرين من آب ٢٠٢٥، بغداد.

(٢٣) جعفر عبد الأمير عزيز الحسني، المصدر السابق، ص٧٠-٧١.

(٢٤) وزارة التخطيط، جمهورية العراق، هيئة التخطيط الأقليمي، التطور الأقتصادي والهجرة لمنطقة الزبير، ١٩٧٧، ص٥٠.

(٢٥) بان علي حسين المشهداني، واقع صناعة النقل البحري في دولة مجلس التعاون الخليجي والعراق، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الأدارة والاقتصاد، جامعة البصرة

(٢٦) عباس قاسم حميد الساعدي، المصدر السابق، ص١٠١.

(٢٧) سهيل صبيح ناصر المياحي، دور الموانئ التجارية في تجارة العراق الخارجية للمدة (١٩٩٧-٢٠١٠)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠١٣، ص١١٠.

(٢٨) نبيل جعفر المرسومي وحسين حيدر الجزائري، المصدر السابق، ص٥٩.

(٢٩) حسين أحمد سعيد وفوز معن عبد علي، الأهمية المكانية لمدن الموانئ وتأثيراته، مجلة الخليج العربي، ع ١-٢، مج ٤٧، جامعة البصرة، ٢٠١٩، ص٣٨٨.

(٣٠) حميد غالب عجيل السكيني وصفاء عبد الأمير رستم، تقيم منافذ العراق المائية للنقل دراسة جغرافية، الشركة العامة للنقل البحري العراقية، المؤتمر العلمي الثالث، بغداد، ٢٠٠٢، ص١٤.

(٣١) محمود غازي غانم الشحماني، ميناء خور الزبير دراسة في جغرافية النقل، رسالة ماجستير (منشورة)، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠١٩، ص٨٥.

(٣٢) خالد عبد الله الدليمي، جغرافية النقل في العراق، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٣، ص٦٧.

(٣٣) فيان احمد محمد , الممرات المائية وامن الطاقة العالمي مضيق هرمز انموذجا , مجلة الاداب , العدد١٨ , بغداد , ٢٠١٤ , ص٥٣٩ .

(٣٤) صالح العقروقة , التطور الاقتصادي في دولة الكويت المعاصرة , ذات السلاسل , الكويت , ٢٠٠٥ , ص٢٢٥-٢٥٢ .

(٣٥) محمد عبدالوهاب علي , اقتصاديات النقل البحري والموانئ , دار الفكر العربي , القاهرة , ٢٠٠١, ص٩٤-١١٠ .

(٣٦) عبدالعزيزالدوري , دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر , جامعة بغداد , بغداد , ١٩٨٥ , ص١١٢-١١٥ .

(٣٧) وزارة الاشغال العامة الكويتية , مشروع ميناء مبارك الكبير : التقرير الفني الاولي , الكويت, ٢٠١١ , ص٢٠٣-٢١٠ .

(٣٨) خالده رشيد السعدون , التباين التضاريسي لخط الساحال في منطقة الخليج العربي واثره في تحديد طر ق الملاحة , مجلة كلية التربية , العدد (٢) , المجلد (١) , ٢٠١٠ , ص٤٦٢ .

قائمة المصادر :

(١) نصيف الجبوري، البركان المؤجل : أزمة الحدود العراقية الكويتية جذور المشكلة وأفاق المستقبل، ط١، الرافد للنشر والإعلام، بغداد، ١٩٩٩.

(٢) J. E. Peterson, The Politics of the Gulf: Historical Background, Routledge, London, 1988.

(٣) مقابلة شخصية مع الدكتور والقاضي وائل عبد اللطيف، بتاريخ التاسع والعشرين من أب ٢٠٢٥، بغداد.

(٤) نبيل جعفر المرسومي وحسين حيدر الجزائري، الأهمية الاقتصادية والدولية لميناء الفاو الكبير، ط١، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٩.

(٥) هشام صلاح حسن الموانئ العراقية ودورها في حركة النقل البحري (ميناء أم قصر الواقع والأفاق المستقبلية دراسة حالة مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، العدد ٧٣، ٢٠١٢.

(٦) فوز معن عبد علي الموصلي، الأثر المكاني للميناء في نمو مدينة أم قصر، رسالة ماجستير (غير منشورة، مركز التخطيط الحضري، جامعة بغداد، ٢٠١٩.

(٧) وزارة النقل، جمهورية العراق، الشركة العامة للنقل والموانئ العراق، البصرة، التقرير الأداري السنوي، ٢٠١٩.

(٨) مكالمة هاتفية ، اللواء الركن الدكتور جمال ابراهيم الحلبوسي ، خبير الحدود والمياه الدولية ، بغداد ، بتاريخ ٢٨/١٢/٢٠٢٤

(٩) عباس قاسم حميد الساعدي، جيوبوليتكية خور عبد الله وأثارها على العراق ، رسالة ماجستير (غير منشورة كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ، ٢٠٢١.

(١٠) قاسم عبد علي عذيب البهادلي، الموانئ العراقية واثرها في قوة الدولة دراسة في الجغرافية السياسية ، رسالة ماجستير (غير منشورة كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ، ٢٠١٠.

(١١) A group of Itali Componies (CIIII):pre-feasibility Study of the New Al fawport, Volumel, Italy, 2008.

(١٢) جعفر عبد الأمير عزيز الحسيني، متطلبات تعزيز القدرة التنامية لموانئ العراق، رسالة ماجستير (غير منشورة ، كلية الأدارة والاقتصاد جامعة كربلاء، ٢٠١١.

(١٣) جمهورية العراق الشركة العامة الموانئ العراقية، دراسة الخطة الرئيسية لقطاع الموانئ في جمهورية العراق، التقرير البريطاني، الوكالة اليابانية للتعاون الدولي، كانون الأول ٢٠١٥.

(١٤) علي عباس فاضل وسرمد عباس جواد الأستثمار في منطقة العراق (الفرص والتحديات) بحث مقدم إلى وزارة المالية الدائرة الاقتصادية، ٢٠١١.

(١٥) وزارة النقل، الشركة العامة لموانئ العراق، التقرير السنوي لعام ٢٠٠٨

(١٦) سري محمود المدرس دور منافذ العراق المائية في خدمة التجارة العراقية (غير النفطية) للمدة ١٩٦٦ – ١٩٧٦ ، مجلة كلية التربية، جامعة البصرة، العدد ٨، ١٩٨٢.

(١٧) عبد الرزاق الهلالي الموانئ العراقية وتطورها التاريخي، بغداد، وزارة النقل والمواصلات ١٩٧٥ .

(١٨) وزارة النقل، ميناء أم قصر ، تقرير رسمي لعام ١٩٦٥، دراسة تخطيطية وانشائية، بغداد.

(١٩) وزارة التخطيط، جمهورية العراق، هيئة التخطيط الأقليمي، التطور الاقتصادي والهجرة المنطقة الزبير، ١٩٧٧ .

(٢٠) بان علي حسين المشهداني، واقع صناعة النقل البحري في دولة مجلس التعاون الخليجي والعراق، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الأدارة والاقتصاد، جامعة البصرة

(٢١) سهيل صبيح ناصر المياحي دور الموانئ التجارية في تجارة العراق الخارجية للمدة (٢٠١٠-١٩٩٧)، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية جامعة البصرة، ٢٠١٣ .

(٢٢) حسين أحمد سعيد وفوز معن عبد علي الأهمية المكانية لمدن الموانئ وتأثيراته، مجلة الخليج العربي، ع ١-٢ ، مج ٤٧ ، جامعة البصرة، ٢٠١٩.

(٢٣) حميد غالب عجيل السكيني وصفاء عبد الأمير رستم، تقيم منافذ العراق المائية للنقل دراسة جغرافية، الشركة العامة للنقل البحري العراقية، المؤتمر العلمي الثالث، بغداد، ٢٠٠٢.

(٢٤) محمود غازي غانم الشحماني، ميناء خور الزبير دراسة في جغرافية النقل، رسالة ماجستير (منشورة)، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠١٩.

(٢٥) خالد عبد الله الدليمي، جغرافية النقل في العراق، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٣.

(٢٦) فيان احمد محمد ، الممرات المائية وأمن الطاقة العالمي مضيق هرمز انموذجا ، مجلة الآداب ، العدد ١٨ ، بغداد ، ٢٠١٤ .

(٢٧) صالح العفروقة ، التطور الاقتصادي في دولة الكويت المعاصرة ، ذات السلاسل ،الكويت ، ٢٠٠٥ .

(٢٨) محمد عبد الوهاب على ، اقتصاديات النقل البحري والموانئ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،٢٠٠١.

(٢٩) عبد العزيز الدوري ، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٨٥ .

(٣٠) وزارة الاشغال العامة الكويتية ، مشروع ميناء مبارك الكبير : التقرير الفني الأولي ،الكويت، ٢٠١١ .

(٣١) خالده رشيد السعدون ، التباين التضاريسي لخط الساحال في منطقة الخليج العربي واثره في تحديد طرق الملاحة ، مجلة كلية التربية ، العدد (٢) ، المجلد (١) ، ٢٠١٠ .

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

النشأة الأسرية وتكوين الهوية الاجتماعية والبناء العلمي والمعرفي لخلف الميري (١٩٥٥-١٩٩٧)

رحاب خضير عبيد فليح
أ.م.د. نور سعدي عيسى
جامعة بغداد
كلية التربية للبنات/ قسم تاريخ حديث ومعاصر

الاستلام(Received) : ١٨ /٠٣/ ٢٠٢٦	التعديل (Revision) : ٠٤/٠٣ / ٢٠٢٦
القبول(Accepted) : ٠٦ /٠٤/ ٢٠٢٦	النشر (Published) : ٠٩/٣٠ /٢٠٢٦

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص:

يستعرض هذا البحث نشأة الدكتور خلف الميري وتكوين هويته الاجتماعية وبنيته العلمية والمعرفية، من خلال دراسة حياته ونشأته، ويركز البحث على مراحل التعليم الأولي والثانوي ومرحلة البكالوريوس، كما يركز على تعليمه خلال مرحلتي الماجستير والدكتوراه، مع تسليط الضوء على تطوير البنية المعرفية لخلف الميري.

الكلمات المفتاحية: خلف الميري، النشأة، البناء العلمي، الهوية الاجتماعية، البناء المعرفي.

Abstract

This paper examines the early development of Dr. Khalaf Al-Miri and the formation of his social identity and educational and cognitive framework through an analysis of his life and upbringing. The research focuses on his primary and secondary education, the bachelor's stage, and his education during the master's and doctoral stages, with particular attention to the development of his cognitive structure.

Keywords: Khalaf Al-mirimi, Upbringing, Academic Foundation, Social Identity, Cognitive Structure.

المقدمة:

تنبع أهمية هذا البحث من الدور البارز الذي يلعبه الدكتور (خلف الميري) في كتابة التاريخ الحديث والمعاصر، إذ يُعد من أبرز المؤرخين المصريين في مجال البحث التاريخي في مصر والدول العربية، كما يمثل نموذجًا متكاملًا للأستاذ الجامعي الذي يجمع بين الدقة العلمية في البحث والحس الإنساني العميق، وقد أسهم في إثراء المكتبة العربية بعدد من الأبحاث والمؤلفات القيمة التي تقدم رؤية علمية واضحة للعديد من القضايا التاريخية، مما يجعله مرجعًا أساسيًا لفهم الحاضر واستشراف المستقبل.

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز العوامل الاجتماعية والثقافية والتعليمية التي أسهمت في تكوين شخصيته العلمية، وتحليل أثر البيئة التي نشأ فيها في توجيه اهتماماته البحثية، فضلًا عن الوقوف على أبرز محطاته العلمية والعملية، بما يسهم في تقديم صورة متكاملة عن أحد النماذج المتميزة في حقل الدراسات التاريخية، وتسعى الدراسة كذلك إلى تأكيد أهمية دراسة التراجم والسير العلمية بوصفها مصدرًا مهمًا من مصادر المعرفة التاريخية، لما تحمله من دلالات عميقة تسهم في فهم تطور الفكر التاريخي، وتكشف عن طبيعة التحولات التي شهدها المجتمع العربي في مراحله المختلفة.

تتناول هذه الدراسة ثلاثة محاور رئيسية، يتمثل المحور الأول في الجذور والأسرة والنشأة، إذ يُعنى باستعراض أصول الدكتور خلف الميري ونسبه، والتعريف بأسرته، والبيئة الاجتماعية التي نشأ فيها وأثرها في تكوين شخصيته، أما المحور الثاني فيتعلق بالتعليم الأولي والثانوي وشهادة البكالوريوس، حيث يستعرض مراحل تعليمه الابتدائي والثانوي، والصعوبات التي واجهها خلال مسيرته الدراسية، وصولًا إلى حصوله على شهادة البكالوريوس، في حين يتناول المحور الثالث الدراسات العليا، من خلال عرض مسيرته العلمية في مرحلتي الماجستير والدكتوراه في جامعة عين شمس، وأبرز ما حققه من إنجازات علمية خلال هذه المرحلة.

اولاً- جذوره ونسبه:

هو خلف عبد العظيم سيد علي سالم عطية أحمد عمار الميري [١]، ترجع جذوره الاولى الى جده السادس الشيخ عطية احمد عمار، عرف بتقواه وورعه، يعود نسبه الى قرية مير، في محافظة أسيوط ضمن محافظات الوجه القبلي بجمهورية مصر العربية (صعيد مصر)، ويوجد لهذا الجد ضريحاً ملحقاً بأحد المساجد الكبيرة في قريتهم ويسمى مسجد الشيخ عطية أبو حطب نسبة الى الجد نفسه، دليلاً على مكانته الرفيعة ونسبه الطيب[٢]، أما مير هي من القرى التاريخية القديمة التي تميزت بخصوبة أراضيها الزراعية وذلك لوقوعها على بحر يوسف وهو فرع طبيعي من نهر النيل ويمتد من اسيوط وينتهي عند الفيوم[٣].

عمل بعض أبناء العائلة في الزراعة في قريتهم، والبعض الآخر أشتغل في التجارة والملاحة في بحر يوسف الذي يقع في الجهة الغربية من نهر النيل، وتميزوا بدورهم الريادي في هذه المجالات، مما يعكس

دورهم الاقتصادي والاجتماعي في المنطقة، اذ ارتبطوا بعلاقات طيبة مع أغلب عائلات القرى في بقية المحافظات التي يمر بها بحر يوسف، وقاموا بشراء أراضي زراعية على طول الطريق مما أدى الى استقرارهم في عدة قرى وتوسيع نفوذهم[٤]، وبعد تهجيرهم من قرية مير بسبب الضرائب الفادحة التي فرضت عليهم في عهد محمد علي باشا[٥]، انتشروا في عدة محافظات مصرية متمركزة في (أسيوط وسوهاج والجيزة والمنيا والقاهرة وغيرها)، بينما أستقر الفرع الذي ينتمي اليه خلف الميري الذي يعود الى الحاج سالم ابن الشيخ عطية في محافظة المنيا بقرية البركه[٦].

مثلما تملكوا الاراضي فقد تملكوا كذلك السفن التي كانت تستخدم لنقل الناس والتجارات عبر بحر يوسف، وامتد نفوذهم الى عدة مناطق وشكلوا شبكة علاقات واسعة النطاق، ومثلت عائلة الميري كيانا اجتماعيا كبيرا لا يقوم على أساس العصبية القبلية، بل على أساس الترابط العائلي، وتتميز بكونها مترامية الاطراف ولها افرع متعددة هذا النوع من العصبية يعكس طبيعة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية داخل العائلة مما يعزز تماسكها وصلابتها في المجتمع[٧].

وهنا نجد من الضروري تسليط الضوء على أسرة خلف الميري ليتسنى لنا معرفة أولى تلك القيم التي نشأ عليها شاركت في رسم ملامح شخصيته، لأن الأسرة لها دور أساسي في غرس المبادئ الأخلاقية والدينية، وهي الخلية الاولى في المجتمع والمكان الذي يبدأ فيه الفرد في تكوين ذاته، فهي البوتقة التي تحيط بالفرد لتزوده بالمبادئ والقيم منذ ولادته ليتمكن من التكيف مع المجتمع المحيط به[٨]، تربى خلف الميري على يد والده الشيخ عبد العظيم سيد الذي ولد في ٣ اذار ١٩١٧[٩]، ونشأ في بيئة عائلية متدينة ومحافظة تميزت بالالتزام بالقيم الدينية والاجتماعية وادت هذه البيئة دوراً هاماً في توجههُ نحو الطريق الروحي حيث حفظ القرآن كاملاً، ورغم انخراطه في إحدى الطرق الصوفية (الرفاعية)، فقد كان تدينهُ ذاتياً روحياً تعبدياً خالصاً في جوهر سلوكياته ومعاملاته، وكان تقيا ورعاً الأمر الذي أكسبه احتراما كبيراً ليس على مستوى العائلة فحسب وإنما كل من تعامل معه، وقد كان هو أكبر إخوته الستة، تلقى تعليمه الاساسي على يد الكتاتيب فتعلم اساسيات القراءة والكتابة وقراءة القران، الا أنه لم يكمل تعليمهُ لكنه كان مثقفا ومحباً للغة العربية[١٠]، وكان لديه حس ابداعي وفكري، تميز بتأملاته الروحية العميقة، ويتميز بجودة الخط ومتذوقاً للشعر وكثيرا ما كان يترنم بالشعر الصوفي، وكان ملتزما بتعاليم الاسلام كالورع والتقوى ويتصف باحترامه بين الناس لما عرف به من سمعة طيبة وخلقً كريم[١١]، كان والد خلف الميري يعمل في مصلحة الطرق والكباري (الجسور) رئيساً للعمال المسؤولين عن فتح وتشغيل وصيانة "كوبري السواهجة" الذي كان موجوداً علي بحر يوسف[١٢]، ويعتبر ممراً للسفن النهرية مثلما كان معبراً للطريق إلى قرية ومنطقة تونا الجبل الأثرية[١٣]، أضافة الى ذلك كان يمتلك ارضاً زراعية يقوم بزراعتها

أذ عدت الزراعة جزءاً اساسياً من اقتصاديات الأسرة، وقد ساهمت هذه الانشطة الزراعية في تعزيز استقرارهم الاقتصادي[١٤].

تزوج والد خلف الميري من السيدة حكمه عبد العزيز محمد مواليد ١٦ ايلول ١٩٢٨[١٥]، وهي تنتمي لأسرة ريفية بسيطة عرف عنها شخصية مؤثرة في تعاملاتها الاسرية بفضل حكمتها وروحها الطيبة، وساهمت في بناء أسرة مترابطة ومستقرة[١٦]، لدى خلف الميري ثلاثة من الاخوة عبد الفتاح عبد العظيم مواليد ١٩٤٦، والسيدة نادية مواليد ١٩٥٩، والسيد خالد عبد العظيم مواليد١٩٦٦[١٧].

ولد خلف الميري في ٢٠ تشرين الاول ١٩٥٥[١٨]، في قرية البركة التابعة لمركز ملوي في محافظة المنيا اي بعد ثلاثة سنوات من قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢[١٩]، لذا يعد ابناً من ابنائها مما جعله من جيل الثورة، وينتمي الى الطبقى الوسطى حيث وجد نفسه متجانس مع الثورة اذ كان جمال عبد الناصر[٢٠]، يعود اصله الى محافظة اسيوط وعائلة خلف الميري ترجع الى نفس المحافظة مما عزز لديه الاحساس بالانتماء الوطني والاتساق مع المد القومي والمد العروبي، تربى خلف الميري على التقاليد التربوية والدينية في البيئة الصعيدية، والدهُ كان له تأثير مباشر في حياته وتكوين شخصيته وكان له أثر كبير في تربيته على القيم والمبادئ تعلم من والده مسألة الحلال والحرام وصلة الرحم لأنه نشأ في اسرة سليمه اجتماعياً ودينياً، وكان يتذكر وهو في طفولته انهُ يستمع الى والده وهو يردد الشعر مما اسهم في تنمية ذائقته اللغوية والثقافية منذ الصغر ووجوده في جو القرية حيث يسودها الترابط الاجتماعي والتعاون والتكاتف بين جميع اهل القرية الذين يعيشون أسرة واحدة يتقاسم افرادها فيما بينهم متاعب الحياة بحلوها ومرها، ويذكر خلف الميري انه ينظر الى جميع الموجودين في القرية هم اهله واحبته ويشعر بانتماء عميق الى البيئة التي نشأ فيها[٢١]،

ثانياً: تعليمه الاولي والثانوي وشهادة البكالوريوس.

التحق خلف الميري في دراسته الابتدائية عام ١٩٦٢ في مدرسة البُركه الابتدائية[٢٢]، وقبل ذلك تلقى تعليمة الاولي في أحد الكتاتيب[٢٣] التي كانت تشكل جزءاً مهماً في مصر في ذلك الوقت، وكانت العائلات ترسل ابنائها الى الكتاب في المساجد لحفظ القرآن الكريم لتعلم مبادئ الدين الاسلامي مما يعكس الاهمية الكبيرة التي يوليها الاهل المصريون للتعليم الديني كمرحلة تمهيدية تؤهلهم للدخول في المدارس الابتدائية، عكست حياة خلف الميري تأثيرات ثورة يوليو، حيث عاش طفولته قبل ان توجد الكهرباء في قرى مصر وشهد الفيضانات المدمرة التي كانت تحدث قبل ان يكتمل مشرع السد العالي[٢٤]، حيث لم تكن الكهرباء متوفرة في قرى مصر وكان يعتمد على ادوات الانارة التقليدية والمصابيح الزيتية وكان يتسابق مع الوقت من اجل اتمام واجباته المدرسية قبل ظلام الليل وكان يدرس خارج المنزل في النهار في احضان البيئة الريفية ويعتمد على نفسه في تحصيل العلم، وفي عام ١٩٦٦، اكمل تعلمه الابتدائي وحصل على شهادة الابتدائية بمعدل ٨٦,٦٧ بالمئة[٢٥].

اكمل تعليمه الابتدائي عام ١٩٦٦، انتقل الى مرحلة المتوسطة في مدرسة ديروط أم نخلة قريبة من قريته وهنا بدأ اهتمامه في مادة الأدب والرياضيات وانه كان يحصل على أعلى الدرجات حصل على الشهادة المتوسطة بتفوق عام ١٩٧٠[٢٦]، التحق بمعهد الدبلوم قسم التجارة من اجل الحصول على فرصة التوظيف الحكومي المباشر حيث كان التعليم الفني والاهتمام به في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين في ظل حكم جمال الرئيس جمال عبد الناصر واوائل فترة السادات[٢٧] منتشرة بصورة كبيرة في الريف فقد مثل هذا النوع من التعليم آنذاك أحد الركائز الاساسية في سياسة الدولة الرامية الى تأهيل الكوادر الفنية التي تسهم في تنفيذ الخطط الزراعية والصناعية، كان ابناء الريف يفضلون الالتحاق بالثانويات الفنية سواء الزراعية او الصناعية او التجارية باعتبارها مساراً علميا يتيح لهم الحصول على وظيفة سريعة ومضمونة بعد التخرج، حصل خلف الميري على شهادة دبلوم الثانوية التجارية في معهد التجارة عام ١٩٧٣[٢٨]، وقد تخرج من السادس الادبي في عام ١٩٧٧ وحصل على معدل ٧١,٥% مما أهله للقبول في عدد من الكليات الادبية[٢٩]، فقرر ان يلتحق بكلية الآداب قسم التاريخ جامعة المنيا وتتلمذ في هذه المؤسسة الاكاديمية على يد مجموعة من كبار الاساتذة المصريين الذين اتسموا بغزارة علمهم فضلاً عما حملوه من خلق رفيع ونتاج معرفي وفكري[٣٠]، وفي اثناء دراسته للتاريخ اصبحت ميوله واهتماماته باتجاه التاريخ القديم اذ قام بإجراء بحوث لم تطلب منه في المرحلة الاولى ويذكر خلف الميري انه كان يذهب كل يوم جمعة الى تونا الجبل[٣١]، انهى خلف الميري دراسته الجامعية بكلية الآداب قسم التاريخ وحصل على شهادة البكالوريوس بتقدير (جيد) عام ١٩٨١[٣٢].

ثالثاً: الدراسات العليا في جامعة القاهرة وعين شمس.

قرر خلف الميري بعد حصوله على شهادة البكالوريوس ان يكمل تعليمه إذ قدم اوراقه الى معهد البحوث والدراسات الافريقية لحصوله على درجة الماجستير عام ١٩٨٢، وفي نفس العام عين باحثاً في مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر[٣٣]، وقد ضم هذا المركز نخبة من الباحثين المتفرغين للبحث والتأليف، الى جانب عدد من الأساتذة والمشرفين البارزين من مختلف الجامعات المصرية، ويعد من مؤسسي هذا المركز الدكتور محمد انيس[٣٤]، وعند تعيين خلف الميري في مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر التقى بالدكتور يونان لبيب رزق[٣٥]، الذي كان له أثر بالغ في مسيرته العلمية، اذ عده بمثابة الأب الروحي والمرشد الاكاديمي له، تميز الدكتور يونان بأخلاقه الرفيعة وتواضعه العلمي وكان يتعامل مع الباحثين وطلبته بروح أبوية قائمة على التوجيه والتدريب والمشاركة الفاعلة في الابحاث والمشاريع العلمية، وكان له تأثير كبير في حياة خلف الميري أذ اعتبره مرشداً روحياً له[٣٦]، وخلال مدة دراسته للماجستير في معهد البحوث للدراسات الافريقية، تزوج السيد خلف الميري في ٢٧ كانون الثاني ١٩٨٣، من ابنة خاله السيدة عزة اسماعيل نعمان المولودة ٤ تموز ١٩٦٩، في القاهرة وكانت من اختياره، وهي

حاصلة على شهادة البكالوريوس كلية التجارة من أسرة ميسورة الحال، اذ كان والدها يعمل في التجارة وتميزت بطبعها الهادئ وطيبة قلبها وتدينها فكانت مصدراً للود والاهتمام لأبن عمتها وكذلك احس خلف الميري بطيبتها وجمال روحها وقد لعبت دوراً كبيراً في حياته ويشيد بها دائماً وبموافقها النبيلة، كما اشاد بدورها داخل الاسرة، إذ أسهمت زوجته بشكل فعال في دعمه أثناء إعداده لرسالة الماجستير نظراً لكون تخصصها في مجال التجارة وهو موضوع قريب من رسالته في البحرية التجارية اذ كانت تشير عليه في بعض الملاحظات العلمية لدعم مسيرته البحثية(٣٧).

وبعد اجتياز المرحلة التحضيرية في ٣٠ حزيران ١٩٨٣، وخلال عاميين دراسيين قضاهما في معهد البحوث وللدراسات الافريقية، قرر خلف الميري الى توسيع أفقه العلمي ليشمل تاريخ مصر وأروبا والتاريخ العربي، ولا سيما أن معهد البحوث والدراسات الأفريقية يقتصر نظامهُ على الدراسات الافريقية فقط، وانطلاقاً من رغبته في تنويع مجالات تخصصه، ألتحق بكلية البنات للآداب بجامعة عين شمس، وهي الكلية التي تتيح القبول لكلا الجنسين في مرحلة الدراسات العليا، وتسجيل خلف الميري الماجستير تحت إشراف الاستاذ الدكتور يونان لبيب رزق، اذ طلب منه تقدير المقررات التي انجزها خلال العامين الدراسيين في معهد الدراسات الافريقية، وذلك من أجل اعداد له مذكرة بمقاصة علمية، وقد تبين من خلال المقاصة العلمية إقرار اللجنة بأن الطالب خلف الميري قد استوفى جميع المقررات الدراسية المعتمدة في كلية البنات للآداب، فضلاً عن مواد إضافية كان قد اجتازها في معهد البحوث وللدراسات الافريقية خلال المرحلة التمهيدية للماجستير(٣٨).

سجل خلف الميري مباشرةً بعد استكمال متطلبات التأهيل العلمي، رسالته في كلية البنات للآداب، جامعة عين شمس، تحت أشراف الدكتور يونان لبيب رزق الذي كان له دور بارز في توجيهه العلمي ومساعدته على اختيار موضوع الرسالة، وقد جاء موضوع الرسالة بعنوان "تاريخ البحرية التجارية المصرية (١٨٥٤-١٨٧٩)"(٣٩)، واستغرقت مدة إعداد الرسالة نحو سبع سنوات، توزعت بين جمع المادة العلمية البحث والكتابة، وذلك لكون الموضوع جديداً في مجاله، اذ يعد من أوائل الموضوعات التي طُرحت للدراسة الاكاديمية في الجامعات المصرية في اطار التاريخ الحديث، ويعود ذلك الى ان الدراسات التاريخية السابقة كانت تركز دائماً على التاريخ البحري العسكري ضمن سياق التاريخ القديم أو الاسلامي، في حين لم يحظَ تاريخ البحرية التجارية باهتمام علمي مستقل من قبل، وقد اعتمد الباحث في دراسته على عدد كبير من الوثائق غير المنشورة سابقاً ولا سيما تلك التي اضيفت حديثاً الى دار الوثائق القومية والمتعلقة بالبحرية التجارية والنشاط البحري مما اضفى على الرسالة قيمة علمية وتوثيقية متميزة(٤٠)، بعد اكمال الاجراءات العلمية والإدارية تكونت اللجنة العلمية لمناقشة الرسالة، وتألفت اللجنة من الدكتور نائب رئيس اكاديمية النقل البحري الدكتور احمد عبد المنصف محمود، عضواً والدكتور محمد عبد الرؤوف سليم، عضواً والدكتور يونان لبيب رزق عضواً ومشرفاً(٤١)،ومن ثم تمت المناقشة في

الاول من شباط ١٩٩٢ في كلية الآداب بنات جامعة عين شمس، وقد نالت الرسالة على تقدير (امتياز)[٤٢]، وعند حصوله على درجة الماجستير توجه خلف الميري نحو استمرار دراسته للحصول على شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر.

قرر ان يستمر في مسيرته في تخصص تاريخ البحرية التجارية، ولا سيما بتشجيع من الدكتور يونان لبيب رزق، اختار عنوان اطروحته للدكتوراه " النشاط البحري التجاري البريطاني في مصر"١٨٣٨-١٨٨٢"، وهذه الدراسة ستكون للدراسات الدولية والاقتصاد السياسي، وهو بذلك يسلط الضوء على مرحلة حاسمة في تاريخ مصر، وهي المدة التي شهدت توقيع اتفاقية بلطة ليمان[٤٣]، التي انتهت باحتلال البريطاني لمصر[٤٤]، واوضح خلف الميري بشأن اختيار موضوعه للدكتوراه، حيث أشار إلى أن هذه الدراسة ستكون مهمه لفهم التاريخ الاقتصادي السياسي لمصر في تلك المدة، كما تمثل أضافة قيمة للدراسات التاريخية في هذا المجال اذ تسهم في ابراز أثر النشاط التجاري البريطاني على الاقتصاد المصري، واسهمت في إثراء الدراسات التاريخية المتعلقة بهذه الفترة[٤٥] تمت المناقشة في أيلول من عام ١٩٩٧، وقد تألفت لجنة المناقشة من الدكتور يونان لبيب رزق والدكتور رؤوف عباس والدكتورة فاطمه علم الدين[٤٦]، وبعد مناقشة علمية حصل خلف الميري على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى[٤٧].

الخاتمة:

تظهر مسيرة الدكتور خلف الميري التعليمية أنه أتم مراحله الدراسية كافة، بدءاً من المرحلة الابتدائية مروراً بالمتوسطة ثم حصل على شهادة الدبلوم في التجارة، وبعدها اكمل تعليمه وحصل على الشهادة الاعدادية، ثم المرحلة الجامعية، وصولاً الى مرحلتي الماجستير والدكتوراه، دون تلكؤ أو رسوب، على الرغم من الظروف الصعبة التي عاشها في مصر خلال ستينيات وسبعينيات القرن العشرين.

نشأ في قرية ريفية عانى فيها من نقص الخدمات التعليمية وصعوبة المواصلات وقلة المدارس وهي تحديات كانت من شأنها أن تعيق مسيرته العلمية، ومع ذلك تمكن من تجاوز هذه الصعوبات ليصبح واحداً من أبرز المؤرخين المصريين المعاصرين، اذ لم تقتصر إسهاماته على مجال تاريخ العرب فحسب، بل امتدت لتشمل تاريخ أوربا الحديث، والتاريخ السياسي المصري، فضلاً عن دراساته في العلاقات المصرية الافريقية والخليجية، وهو ما يعكس تنوعاً علمياً ومعرفياً واسعاً، وبذلك أصبحت أعماله تمثل مرجعاً مهماً في فهم الحاضر واستشراف المستقبل.

الهوامش.

(١)- السيرة الذاتية والعلمية للدكتور خلف عبد العظيم الميري، على موقع جمعية اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، متاح على الرابط التالي: https://share.google/uh8yPEfk7i5cgqhnc تاريخ زيارة الرابط ٣١ اذار ٢٠٢٦.

(٢)- قناة النيل الثقافية، برنامج رموز الإبداع، لقاء مع الدكتور خلف الميري، بتاريخ (٢٥ أب ٢٠٢٢)، البرنامج متاح على الرابط التالي https://youtu.be/ldxGG3CVycY?si=oXsIWNLKWzy9eQGm تاريخ زيارة الرابط ١نيسان ٢٠٢٦.

(٣) - جمال مشعل، موسوعة البلدان المصرية، محافظات الوجه القبلي(اسيوط وسوهاج)، ج٢، ط١، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٣،ص٢٢٥.

(٤)- المصدر نفسه، ص٢٢٦.

(٥)- هو محمد علي باشا المسعود بن أبراهيم أغا القوللي ولد في مدينة قولة جنوب مقدونيا عام١٧٦٩، التابعة الان لليونان عاش يتيم الأبوين فكفله عمه طوسون ثم توفى بعد مدة قصيرة وكفله حاكم المدينة (الشوربجي) الذي كان صديقاً لوالدة وفي شبابة انخرط في سلك الجندية ثم اصبح ضابط في الجيش العثماني وسرعان ما تجلت شجاعته في الميدان، تزوج من امرأه ذات ثروة انجبت له ابراهيم وطوسون إسماعيل، اشتغل في تجارة الدخان وكسب منها ثروة كبيرة، وعندما أغار نابليون على مصر شرع الباب في تعبئة جيوشه لمحاربة الفرنسيين، فأرسلت محمد علي في آذار عام ١٨٠١ معاوناً لرئيس كتيبة قولة، فأظهر كفائتة فتدرج في الترقية فأصبح من المقربين للوالي محمد خسرو باشا، في أيار عام ١٨٠٥ تولى

محمد علي حكم مصر بناء على اختيار الشعب المصري لهُ وفي عام ١٨٤٨ مرض محمد علي وتم تعيين ابنه أبراهيم باشا بفرمان من الباب العالي، وتوفي محمد علي عام ١٨٤٩ في الاسكندرية ودفن بمسجده بالقلعة ويعتبر مؤسس الدولة المصرية الحديثة. للمزيد ينظر: سهير نبيل كمال، سياسة محمد علي باشا والي مصر تجاه العراق والخليج العربي وموقف بريطانيا والدولة العثمانية منها (١٨١٦-١٨٤٠)، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة الموصل،٢٠٠٣.

[٦]- البُركه: هي من القرى القديمة، كانت تسمى البركورات وتقع في مركز ملوي في محافظة المنيا، كانت تابعة لمحافظة اسيوط لكنها فصلت عنها ولحقت بمحافظة المنيا، بقرار جمهوري رقم ١٧٥٥ لسنة ١٩٦٠، =تبلغ مساحتها٥٩٤ فداناً، وفي تعداد ١٩٩٦ بلغ عدد سكانها٣٢٨٢ نسمة، للمزيد ينظر: جمال مشعل، المصدر السابق، ص٧٠١ ؛ محمد رمزي، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد القدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥، القسم الثاني، ج٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤، ص٦٢.

[٧]- مكالمة هاتفية، اجرتها الباحثة مع الدكتور خلف الميري، بتاريخ ١٦ أيلول ٢٠٢٥.

[٨]- براء احمد علي المشهداني، جابر عمر ودوره الوظيفي والسياسي في العراق ١٩١٣-١٩٩٣، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة العراقية، كلية التربية، ٢٠٢١، ص٦.

[٩]- مكالمة هاتفية اجرتها الباحثة مع الدكتور خلف الميري، بتاريخ ١٢ أيلول ٢٠٢٥، وذكر تاريخ وفاة والده في ٤ شباط ١٩٨٨.

[١٠]- نفس الم مكالمة هاتفية اجرتها الباحثة عبر برنامج الواتساب مع الدكتور خلف عبد العظيم الميري، بتاريخ ١١ تشرين الثاني ٢٠٢٥.صدر والتاريخ.

[١١]- قناة مصر المستقبل، برنامج بودكاست المستقبل، ج١، لقاء مع الدكتور خلف الميري، بتاريخ ١١ آب ٢٠٢٥، متاح على الرابط https://youtu.be/ecdA9rtuLWU?si=hkYCqFfcnMx1mtdL ، تاريخ زيارة الرابط ٢٦(تشرين الثاني ٢٠٢٥).

[١٢]- نفس المصدر السابق.

[١٣]- نفس المصدر السابق.

[١٤]- وسناء حسون يونس، النشاط الزراعي في مصر القديمة، كلية الاثار، جامعة الموصل، مجلة التربية للعلوم الانسانية، مج١، العدد٢، ٢٠٢١، ص ٣١٢.

[١٥]- مكالمة هاتفية اجرتها الباحثة مع الدكتور خلف الميري، بتاريخ، ٢٦ تشرين الثاني ٢٠٢٥، وذكر تاريخ وفاة والدته في ٢٠١٧/٢/٢٦.

[١٦]- مكالمة هاتفية اجرتها الباحثة مع الدكتور خلف الميري، بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني ٢٠٢٥.

[١٧]- مكالمة هاتفية اجرتها الباحثة مع الدكتور خلف الميري، بتاريخ ٢٣ تشرين الثاني ٢٠٢٥.

[١٨]- مصطفى عبد الغني: معجم مؤرخي التاريخ العربي الحديث والمعاصر، ج١، ط١، دار الجوهرة، القاهرة، ٢٠١٤، ص٣٥٨.

(١٩)- ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢: هي ثورة قادها تنظيم الضباط الاحرار بقيادة جمال عبد الناصر، أطاحت بالملك فاروق ونفيه الى ايطاليا وانهت الحكم الملكي في مصر، وأعلنت النظام الجمهوري، وسعت إلى القضاء على الاستعمار والفساد والإقطاع، وإقامة العدالة الاجتماعية وحياة ديمقراطية، وتمثل تلك المدة نقطة تحول مهمة في تاريخ مصر. للمزيد ينظر: عبد الرحمن الرافعي، ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧، ص١٥؛ جمال حمدان، شخصية مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج٢، ط٥، القاهرة، ١٩٩٠، ص٤٨١؛ رشيدة العبادي ورحمة سقيري، ثورة يوليو في مصر وانجازاتها (١٩٥٢-١٩٧٠)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، جامعة أحمد دراية أدرار، الجمهورية الجزائرية، ٢٠١٨، ص٣٢.

(٢٠)- جمال عبد الناصر: (١٩١٨-١٩٧٠) هو جمال الدين عبد الناصر حسين ولد في ١٥ كانون الثاني ١٩١٨، ينحدر من أسرة بسيطة كانت تقيم في صعيد مصر وكان والده معاوناً في مكتب البريد، قضى جمال فترة طفولته متنقلاً بين عدة مدن الى ان استقرت في الدلتا، التحق في سن السادسة بمدرسة الخطاطبة وتخرج منها ثم اكمل تعليمه في القاهرة، وفي عام ١٩٣٦ التحق بمدرسة الحقوق وفي عام ١٩٣٧ التحق بالكلية الحربية وفي عام ١٩٣٨ عُين برتبة ملازم ثان، وفي عام ١٩٤٠ نُقل الى السودان برتبة ملازم أول، ثم عاد الى القاهرة عام ١٩٤٢ ومنح رتبة يوزباش (نقيب)، وفي عام ١٩٤٥ التحق بكلية اركان الحرب وتخرج منها برتبة(رائد)، وفي عام ١٩٥١ منح رتبة البكباشي (مقدم)، وقاد عبد الناصر مع مجموعة من الضباط الاحرار الثورة ضد النظام الملكي في ٢٣تموز ١٩٥٢، وفي ٢٤ شباط ١٩٥٤ تولى رئاسة مجلس الوزراء، وفي ٢٣حزيران ١٩٥٦ انتخب رئيساً لجمهورية مصر، توفي في القاهرة في الثامن والعشرين من أيلول ١٩٧٠. للمزيد بنظر: بثينة عبد الرحمن التكريتي، جمال عبد الناصر نشأة وتطور الفكر الناصري، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، ، بيروت، ٢٠٠٠، ص ص ٣٥-٣٦؛ رنا حمدان سيف الضويانية، جمال عبد الناصر والحركات السياسية في عمان(١٩٥٤-١٩٦٨)، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، ، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، ٢٠١٤، ص ٢٤- ٢٦؛ حنان طلال جاسم السارة، سياسة جمال عبد الناصر تجاه العراق١٩٥٦- ١٩٧٠، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية التربية، جامعة ديالى، ٢٠٠٦،ص١-٣٥.

(٢١)- مكالمة هاتفية اجرتها الباحثة مع الدكتور خلف الميري، بتاريخ ١٢ تشرين الثاني ٢٠٢٥.

(٢٢)- مكالمة هاتفية اجرتها الباحثة عبر برنامج الواتساب مع الدكتور خلف عبد العظيم الميري، بتاريخ ١٥ تشرين الثاني ٢٠٢٥.

(٢٣)- الكتاتيب: وهي المراكز التي تهتم بتعليم الصبيان مبادئ الدين وقراءة القرآن وحفظه، كما يتعلم الصبيان أوليات الحساب والنحو وتعليمهم الكتابة والخط وتلقى عليهم ايضاً دروس في التاريخ والسيرة النبوية وقصص الانبياء، وهي تبدأ قبل مرحلة الابتدائية، وكانت منتشرة في القرى والمدن. للمزيد ينظر: مبروك بهي الدين رمضان الدعدر، الكتاتيب نشأتها وأنماطها وأثرها في تعلُم القرآن الكريم، الكتاتيب في مصر

أنموذجا، مركز تفسير للدراسات القرانية ، مجلة الواقع وافاق التطوير، جامعة الملك سعود، مج٣، ٢٠١٥، ص١_٩٨؛ شوكت عارف محمد الأتروشي، الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي، ط١،المنهل، الامارات العربية المتحدة، ٢٠٠٧،ص٣١٥.

(٢٤)- مشروع السد العالي: تعود فكرة انشاء السد العالي الى عصور قديمة، منذ عهد الفراعنة المصريين، ثم عرضت على الحكومات المصرية قبل ثورة ١٩٥٢ لكنه لم يجد قبولاً منها، وبعد قيام الثورة، اصبح مشروع السد العالي من اهم المشاريع الاقتصادية التي اولتها الحكومة المصرية اهتماماً كبيراً، لما للمشروع من فوائد وعوائد تنموية واسعة، فقد مثل السد العالي ركيزةً اساسية لتحقيق زيادة كبيرة في الانتاج الزراعي والصناعي، ويعتبر السد العالي من اضخم سدود العالم وقد قدرت تكلفته بنحو (٤٠٠) مليون جنيه مصري، لإنشاء المشروع وبسبب ضخامة التمويل اللازم لجأت مصر الى البنك الدولي للأنشاء والتعمير، لكنه لم يكن في استطاعته ان يقوم وحده بتمويل مثل ذلك المشروع الضخم فكان عليه ان يلجأ الى الدول الكبرى اي الدول المساهمة فيه، وبعد دراسة المشروع قدمت بريطانيا وفرنسا وامريكا والبنك الدولي عرضاً مشتركاً لبناء السد، وهي محاولة من تلك الدول من اجل الضغط على مصر في تغيير سياستها الخارجية، فضلاً عن خشيتها من توجه مصر نحو الاتحاد السوفيتي، وفي ١٩ تموز ١٩٥٦ أعلنت الولايات المتحدة سحب عرضها وتلتها بريطانيا وفرنسا والبنك الدولي. للمزيد ينظر: حسين طاهر تسكام الخاقاني، السد العالي في مصر دراسة في آثاره السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية(١٩٥٢-١٩٧٠)، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة ذي قار، ٢٠١٢، ص ص١-٧٣ ؛ عبد العظيم ابو العطا، مصر والنيل بعد السد العالي، جمهورية مصر العربية، وزارة الري واستصلاح الاراضي، ١٩٧٨،ص ٥٩-٦٠.

(٢٥)- مكالمة هاتفية اجرتها الباحثة مع الدكتور خلف الميري ، بتاريخ ١٥ أيلول ٢٠٢٥.

(٢٦)- مكالمة هاتفية اجرتها الباحثة مع الدكتور خلف الميري ، بتاريخ ١٦ أيلول ٢٠٢٥.

(٢٧)- محمد حمد انور السادات (١٩١٨-١٩٨١) ولد في ٢٥ كانون الاول ١٩١٨ في محافظة المنوفية لأب مصري وأم سودانية هو ثالث رئيس للجمهورية المصرية العربية، وهو احد الذين تصدوا للاحتلال الانكليزي لمصر والذي شاركوا في صنع ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وكان نائباً للرئيس جمال عبد الناصر حتى ٢٨ أيلول ١٩٧٠ وفي نفس العام تولى رئاسة مصر خلفاً للرئيس جمال عبد الناصر وخلال قيادته لمصر حدثت حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ مع اسرائيل ثم وقع اتفاقية السلام مع اسرائيل في كامب ديفيد في ٢٦ اذار ١٩٧٩، والتي استعادت مصر السيطرة على شبه جزيرة سيناء في ٢٥ نيسان ١٩٨٢، وتم اغتياله عام ١٩٨١. للمزيد: شاكر ضيدان جاير السويدي، الرئيس المصري محمد انور السادات، دراسه في سياسته الداخلية ١٩٧٠- ١٩٨١، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠٠٩.

(٢٨)- شبل بدران، الثورة والتعليم، دراسة في العلاقة بين السياسة التعليمية والتنمية، الاسكندرية، دار المعارف،١٩٨٥، ص ص١٩٥-١٩٩.

[٢٩]- مكالمة هاتفية اجرتها الباحثة مع الدكتور خلف الميري، بتاريخ ٢٢ تشرين الاول ٢٠٢٥.

[٣٠]- السيرة الذاتية والعلمية للدكتور خلف الميري، على موقع جمعية اتحاد المؤرخين العرب، ص١، متاح على الرابط التالي https://share.google/uh8yPEfk7i5cgqhnc تاريخ زيارة الرابط ١ شباط ٢٠٢٦.

[٣١]- قناة النيل الثقافية، برنامج أجيال مع أجيال، لقاء مع الدكتور خلف الميري، بتاريخ ٢٥ حزيران، ٢٠١٩، البرنامج متاح على الرابط التالي https://youtu.be/iL0FPwRhkrQ?si=WefXH1AtVzrZq-JH تاريخ زيارة الرابط ٢٧ تشرين الثاني ٢٠٢٥.

[٣٢]- خلف عبد العظيم سيد الميري، مؤتمر الحلفاء في القاهرة تشرين الثاني-كانون الاول ١٩٤٣ واثرهما في الحرب العالمية الثانية، مركز البحوث والدراسات الافريقية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٨ ، ص٧.

[٣٣]- المصدر السابق، ص٧.

[٣٤]- محمد انيس: (١٩٢٢-١٩٨٦) مؤرخ مصري بارز وأحد رواد دراسات التاريخ الاجتماعي، ولد في ٢١ اب ١٩٢١ في القاهرة حصل على ليسانس الآداب من جامعة القاهرة عام ١٩٤٢، وكان الاول على الجامعة اوفدته الجامعة الى بعثة دراسية الى لندن لدراسة التاريخ الحديث، وتمكن من الحصول على الماجستير والدكتوراه من جامعة برمنجهام في عام ١٩٥٠، وبعد عودته عمل مدرساً في جامعة القاهرة حتى صار رئيساً لقسم التاريخ، وهو من مدرسة التفسير الاجتماعي للتاريخ، واصدر العديد من الكتب والمؤلفات، وقام بتأسيس مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، توفي بلندن في ٢٨ اب ١٩٨٦ . للمزيد يُنظر: عاصم الدسوقي: محمد انيس ودورهُ في تعقيل دراسة التاريخ بالجامعة المصرية، المجلة التاريخية المصرية ١٩٧٤، العدد ٣٤، تاريخ الاصدار ١ ايار ١٩٨٧، ص١١.

[٣٥]- يونان لبيب رزق: مؤرخ واستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة عين شمس في مصر، ولد في ٢٧ تشرين الاول ١٩٣٣ في القاهرة، حصل على الشهادة الابتدائية عام ١٩٤٦، والتحق بالثانوية العامة وتخرج منها وفي عام ١٩٥١ التحق بكلية العلوم جامعة ابراهيم باشا الكبير (جامعة عين شمس)، الا انه تركها والتحق بكلية الآداب قسم التاريخ، اكمل البكالوريوس عام ١٩٥٥ والتحق بدراسته للماجستير عام ١٩٦٣ بنفس الجامعة، ثم حصل على الدكتوراه عام ١٩٦٧ بدرجة الشرف الاولى، شغل منصب رئيس مركز الدراسات التاريخية في جريدة الأهرام وكان عضواً في المجلس الأعلى للثقافة واتحاد المؤرخين العرب وهو متخصص في تاريخ مصر المعاصر اطلقت علية الصحافة المصرية والمؤرخين اسم (ذاكرة مصر)، لهُ العديد من المؤلفات وتوفي في ١٥ كانون الثاني ٢٠٠٨. للمزيد يُنظر: غازي كريم سلمان، يونان لبيب رزق ومنهجيتهُ في كتابة التاريخ الحديث (١٩٣٣- ٢٠٠٨)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة العراقية، كلية التربية، قسم التاريخ، ٢٠٢١.

[٣٦]- خلف عبد العظيم الميري، أستاذي الذي رحل، جريدة الأهرام، العدد١٠، ٢١ كانون الثاني، ٢٠٠٨، ص٥.

[٣٧]- مكالمة هاتفية اجرتها الباحثة مع السيدة عزة اسماعيل نعمان من منزلها في القاهرة، بتاريخ ٩ تشرين الثاني ٢٠٢٥.

[٣٨]- السيرة الذاتية والعلمية للدكتور خلف الميري، على موقع جمعية اتحاد المؤرخين العرب، https://share.google/uh8yPEfk7i5cgqhnc ، تاريخ زيارة الرابط ٢٠ اذار ٢٠٢٦.

[٣٩]- خلف عبد العظيم سيد الميري، تاريخ البحرية التجارية المصرية ١٨٥٤-١٨٧٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧، ص١١.

[٤٠]- مكالمة هاتفية اجرتها الباحثة مع الدكتور محمود احمد محمد متولي، بتاريخ ٢١ تشرين الثاني ٢٠٢٥.

[٤١]- مكالمة هاتفية اجرتها الباحثة مع الدكتور خلف الميري، بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني ٢٠٢٥.

[٤٢]- السيرة الذاتية والعلمية للدكتور خلف الميري، على موقع جمعية اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ص١، متاح على الرابط التالي: https://share.google/uh8yPEfk7i5cgqhnc تاريخ زيارة الرابط ١ شباط ٢٠٢٦.

[٤٣]- بلطة ليمان: معاهدة تجارية وقعت بين الدولة العثمانية والمملكة المتحدة لبريطانيا العظمى، لتنظيم التجارة الدولية والتي نصت على الغاء كل انواع الاحتكارات التي كانت تمنع التجار البريطانيين من إقامة علاقات مباشرة مع التجار المحليين في الدولة العثمانية، وفرضت الاتفاقية رسوماً عليهم رسوماً كمركية منخفضة على الواردات والصادرات(٥% على الواردات و١٢% على الصادرات و٣% على تجارة الترانزيت) كانت الاتفاقية في صالح بريطانيا تماماً، مما ادى الى تسهيل تغلغل الرأسمال البريطاني في سائر انحاء الدولة العثمانية، وتم التوقيع عليها في ١٦ اب ١٨٣٨، وقد وقع على المعاهدة كلاً من ووزير الخارجية العثماني مصطفى رشيد باشا ووزير الخارجية البريطاني بونسنبي ، وتم توقيعها في بلطة ليمان الواقعة بالبسفور بالقرب من اسطنبول. للمزيد ينظر: محمد حبيب صالح، السياسة البريطانية في بلاد الشام (١٧٩٩-١٨٧٨)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الانسانية، ٢٠١١، ص ١٠٦-١٠٧.

[٤٤]- حميدي حمزة ، معاهدة بلطة ليمان " ١٦ اب ١٨٣٨ " وانعكاساتها على الدولة العثمانية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الدكتور يحيى فارس-المدية-، الجزائر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، ٢٠٢١، ص ٢٩- ٤٥.

[٤٥]- مقابلة الكترونية مع الدكتور خلف الميري، بتاريخ ١٥ تشرين الثاني ٢٠٢٥.

[٤٦]- فاطمة علم الدين عبد الواحد محمد: استاذة التاريخ الحديث والمعاصر في كلية البنات جامعة عين شمس، ولدت في ١٢ كانون الاول ١٩٣٩، حاصله على شهادة البكالوريوس كلية الآداب في جامعة عين شمس عام ١٩٧١ بتقدير جيد، ثم حصلت على درجة الماجستير بتقدير ممتاز في ٦ كانون الاول ١٩٧٦ من ذات الجامعة، وحاصلة على درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز في ٦ كانون الاول ١٩٨٢، وتم تعيينها في الهيئة المصرية العامة للكتاب في عام ١٩٧٣، ومعيده بقسم التاريخ عام ١٩٧٧ في كلية البنات جامعة عين شمس، ومدرس بقسم التاريخ عام ١٨٨٢، ثم استاذ مساعد عام ١٩٨٩، واستاذ بقسم التاريخ عام ١٩٩٩، ولها العديد من المؤلفات منها سياسة الولايات المتحدة الامريكية ازاء مصر، كما اشرفت على

العديد من الرسائل العلمية، توفيت في ٢٥ كانون الثاني ٢٠١٢. رسالة نصية ارسلتها ابنتها الدكتورة سهير سعد قراعة، استاذة البيولوجية الجزيئية الاشعاعية بهيئة الطاقة الذرية، بتاريخ ١٣ اذار ٢٠٢٦.

(٤٧)- السيرة الذاتية والعلمية للدكتور خلف الميري، جمعية اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ص١، متاح على الرابط التالي: https://share.google/uh8yPEfk7i5cgqhnc تاريخ زيارة الرابط ١ نيسان ٢٠٢٦.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

اثر التفاعل بين النظرية التوسعية وانموذجي سيلفرمان وبيجزفي تحصيل وتفكير طلاب المتوسطة لمادة التاريخ في مدارس الكرخ_بغداد

حيدر رحيم حسين فرطوسي
كلية اللغات – جامعة بغداد
hayder.r.954@colang.uobaghdad.edu.iq
أ.د. فياض علوي
جامعة المصطفى العالمية – ايران
Dfyad13@gmail.com
أ.م.د. هاشم أبو خمسين
جامعة المصطفى العالمية – ايران
Hashem_bukhamsin@yahoo.com

الاستلام(Received) :	٢٠٢٦ / ٠٣/ ٢٤	التعديل (Revision) :	٢٠٢٦ / ٠٤/١٢
القبول(Accepted) :	٢٠٢٦ / ٠٤/١٦	النشر (Published) :	٢٠٢٦/ ٠٩/٣٠

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص:

يهدف هذا البحث من دراسته الموسومة اثر التفاعل بين النظرية التوسعية وانموذجي سيلفرمان في تحصيل وتفكير طلاب المتوسطة لمادة التاريخ الى معرفة أثر هذا التفاعل وفقا لمفاهيم ومبادئ النظرية التوسعية في إعادة هيكلية وتنظيم وتحديد دروس مادة التاريخ التي يفترض تدريسها لطلاب المرحلة المتوسطة وباعتماد انموذج سيلفرمان وبيجز في تدريس المادة ويهدف الى معرفة نتيجة هذا التفاعل في التحصيل الدراسي وتنمية التفكير المستقبلي لدى طلاب تلك المرحلة، كما أنّ أهمية البحث تتمثل في فائدة استخدام الطريقة التوسعية وانموذجي بيجز وسيلفرمان كطرائق تدريس حديثة لزيادة مستوى التحصيل وتنمية أنواع التفكير لدى الطلاب والصعوبات التي يواجهها التدريسيون وكيفية الحد منها، واعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي المعتمد في الدراسات التربوية، وقام لتحقيق الأهداف ببناء استبانة رأي من ٥٦ فقرة في اربعة محاور موجهة الى تدريسيي مادة التاريخ في المرحلة المتوسطة، وانتقى عينة عشوائية مكونة من ٤٥ تدريسيا وتدريسية من أصل مجتمع الدراسة المكوّن من ١٤٥ طالباً من مدارس الكرخ المتوسطة الحكومية والأهلية الصباحية في بغداد، أما مجتمع الدراسة بالنسبة الى

الطلاب فقد تكوّن من ٤٩٣٩ طالبا وطالبة ينتمون الى ٨٤ مدارس حكومية واهلية متوسطة، والعينة المنتقاة عشوائيا مكوّنة من ٤٢٤ طالبا وطالبة، ووضع لهم اختبار تحصيلي من ١٦ سؤال واختبار في التفكير المستقبلي من ١٢ سؤال، واستمرت مدة التدريس ٤ أسابيع من الفصل الدراسي الثاني من العام ٢٠٢٥، توصل الباحث الى استنتاجات منها وجود فروقات في مستوى التحصيل والتفكير المستقبلي لطلاب المرحلة المتوسطة الذين درسوا وفق الانموذجين بعد إعادة هيكلة الدروس وفق النظرية التوسعية اكبر من مستوى الطلاب الذين درسوا وفق الطريقة التقليدية وفق نتائج الاختبار التحصيلي واختبار تنمية التفكير المستقبلي، وحاجة التدريسيين لدورات تدريبية في الاستراتيجيات والنماذج التدريسية الحديثة، ورفع الباحث توصية الى وزارة التربية العراقية ومديريات التربية لاستخدام الاستراتيجيات الحديثة في التدريس، وتوصية الى كليات التربية لافتتاح دورات تدريبية وتأهيلية في كيفية استخدامها.

المفردات المفتاحية :اثر، تفاعل، النظرية التوسعية، انموذجي سيلفرمان وبيجز، جودة التحصيل، تنمية التفكير المستقبلي، التاريخ، المرحلة المتوسطة.

Abstract :

The researcher aims, through his thesis entitled “The Impact of the Interaction between the Expansion Theory and the Silverman and Biggs Models on the Quality of Achievement and the Development of Future Thinking in History among Intermediate School Students in Karkh Schools, Baghdad”, to know the commonalities and differences in the impact of this interaction through restructuring history lessons for the intermediate stage according to the expansion theory and adopting the Silverman and Biggs model in teaching history on the quality of academic achievement and the development of future thinking among intermediate school students. The researcher adopted the descriptive analytical method for the opinion questionnaire directed to history teachers in the intermediate stage, and the experimental method for the concepts and principles of the expansion theory in reorganizing the content of the subject and determining the lessons that are supposed to be presented to the students and taught to them, and the Biggs and Silverman teaching models to conduct the experiment on intermediate school students. The study community consisted of 145 male and female history teachers in Karkh schools in the morning government and private intermediate stage in Baghdad. The randomly selected sample consisted of 45 male and female teachers, and the study community for students consisted of 4939 male and female students. They belonged to 84 public and private intermediate schools, and the randomly selected sample consisted of 242 male and female students. The teacher opinion questionnaire consisted of 56 items in four sections, and the achievement test consisted of 16 questions and the future thinking test consisted of 12 questions. The experiment

lasted four weeks during the second semester of 2025. The researcher reached a number of conclusions, including the existence of differences in the level of achievement and future thinking of intermediate school students who studied according to the two models after restructuring the lessons according to the expansion theory, greater than the level of students who studied according to the traditional method, according to the results of the achievement test and the future thinking development test. In addition, the teaching staff needs training courses on modern teaching strategies and models. The researcher submitted a recommendation to the Iraqi Ministry of Education and the education directorates to use modern strategies, models, and methods in teaching, and a recommendation to colleges of education to open training and qualification courses on how to use and apply them at various educational levels .

Keywords: Effect, Interaction, Extension theory, Silverman and Biggs Models, Quality of Achievement, Development of Future Thinking.

المقدمة:

تدفع السيطرة العالمية للمعلومات والمعارف الى البحث في كافة الطرائق والوسائل والاساليب التي تسهم في تحصيل العلوم وتنمية التفكير نحو المستقبل، كما ان استخدام الاستراتيجيات والنماذج الحديثة يؤدي الى تنمية مهارات التفكير العلمي السليم في التعليم والتمكين من صياغة القرارات والقدرة الى مواجهة الصعوبات وحل المشكلات لدى الطلاب، وما يلاحظه القائم على هذه الدراسة بحكم خبراته المحدودة هو شيوع التدريس وفقا للطريقة التقليدية في معظم المدارس لمختلف المراحل الدراسية ومنها المرحلة المتوسطة، اما لزهد التدريسيين في البحث والتقصي والاطلاع على الطرائق والنماذج التدريسية الحديثة، أو الاكتفاء بسهولة التلقين والتوجيه نحو الحفظ واما لعوائق إدارية من المشرفين التربويين الاختصاصيين واما عدم تسهيل ذلك من قبل الإدارة المدرسية وبالتالي الإهمال– المتعمد والمقصود – لعمليات التفكير وتنمية المهارات التفكيرية الآنية والمستقبلية وربط الماضي ووقائعه التاريخية بالحاضر المجتمعي والوطني والعالمي، واضعاف قدرات اكتساب المفاهيم والحقائق التاريخية والاكتفاء بايصال كم كبير وحشو لمعرفة قد تكون في كثير من الأحيان مغالطات مؤثرة في الفكر والأيديولوجيات المشوهة، وما ينتج من ذلك من تشوهات فكرية وثقل ذهني إضافة الى الملل والضجر والنفور من المادة بالرغم من أهمية التاريخ في الانتماء والعقيدة.

ان أهمية الدراسة من كونها تكشف واقع التدريسيين في عجزهم عن البحث في نظريات واستراتيجيات حديثة تتوافق مع المنهج العلمي لمادة التاريخ، وعدم مراعاتهم التقدم العلمي وتفاعلهم مع

تراكم الكم المعلوماتي، والقصور في التمييز بين طريقة تدريسية او انموذج وآخر، وعجز عن معرفة ابعاد وماهية الطريقة التوسعية مثلا وكيفية ربطها بانموذجي سيلفرمان وبيجز مما يوجب البحث في الأسباب ومكامن الضعف والخلل لمعالجتها وازالتها تمهيدا للانتقال من رتابة التقليد في التعليم الى الحداثوية الناضجة وفقا للدراسات والأبحاث بما يحقق تنمية فعلية لقدرات التفكير المستقبلي للطالب في مادة التاريخ والارتقاء بالمستوى العلمي له، وفي ذلك يريد الباحث طرح اشكلة استخدام الطريقة التوسعية أو أنموذجي سيلفرمان وبيجز والفائدة من ذلك في فرضياتها حول نتاجها وتوفيرها الشروط المناسبة للطالب ليحلل ويستنتج ويفسر ويلاحظ ويوازن ويستنبط ولاكتساب وتنمية مهارات التفكير المستقبلي لمفاهيم مادة التاريخ في المرحلة المتوسطة.

وهدف الباحث في اعتماد النظرية التوسعية من كونها اهتمت بمعالجة دور التدريسي المهم في العملية التعليمية وتجاه المسؤولية المناط بها في نشاطه وفاعليته وسلوكه وادائه الصفي ومستوى خبراته ومعرفته بالمادة والمحتوى، وأنّ أنموذجي سيلفرمان وبيجز يؤكدان القيمة الفعلية لاساليب التدريس والطرائق المنتجة للفكر والمساعدة في التحليل والتفسير والاستنتاج، وإعادة انتاج الأفكار بصورة جديدة والتوجه نحو زيادة في التحصيل، ويشتركان في تحقيق الرغبة بالحصول على المعرفة والوصول الى النتيجة في المستوى الجيد وتنمية القدرات والملكات الفكرية التاريخية والتمكين من المعرفة في الحقائق والقدرة على التحليل والتفكير المستقبلي لها والأداء الجيد والتفسير والاستنباط وانّ مثل هذين الانموذجين والطريقة التوسعية يبين مدى الاهتمام بطرائق التدريس لمادة التاريخ في المرحلة المتوسطة في تعليم الطلاب المفاهيم التاريخية، واكسابهم قدرة التفكير المستقبلي ووضع المقترحات والحلول لكيفية إيصال المعرفة للطلاب، وفهم المواقف وتوجيه سلوك الطالب، وغرس الاتجاهات الإيجابية والسليمة في عقله وسلوكه وتفكيره المستقبلي، والاطلاع على حقيقة التراث وحضارة الأجداد والقادة والعلماء وتوجهاتهم النهضوية وتطوير مستوى الأداء وتحسين تعلم المفردات والمفاهيم

وبذلك يجد الباحث أن تعليم التاريخ واكتساب مفاهيمه ضرورة تعليمية مساعدة للطالب في التفكير المستقبلي والاستنتاج وزيادة في التحصيل، كما انه يقوم بنقل الطالب من مكانة الحفظ والتلقين إلى موقعية التفكير والتحليل والتفسير وصولا الى الاستنتاج والتقويم ، وهذا يتحقق بفعل الإفادة من الاستراتيجيات والنماذج التعليمية الحديثة، وتكتسب مادة التاريخ أهميتها من مادة محفزة للتفكير المستقبلي لدى الطلاب في المرحلة المتوسطة من حيث تنشيط وتنمية عامل الملاحظة والتنوير في الحقائق التاريخية والتعرف الى الظواهر التاريخية وتساعد في تنمية قدرات التحليل والتفسير لها وتوعية الطلاب في البحث والتقصي وجمع المعلومات والتدقيق بها لا سيما في الأنشطة اللاصفية للمعالم التاريخية.

وقد اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسته، وقسم الدراسة الى خمسة فصول بعد مقدمة، وفي الفصل الأول عنون بالاطار المنهجي من كليات ومفاهيم والدراسات السابقة وفي الفصل الثاني الاطار النظري وفي الفصل الثالث المنهجية وعينة البحث وفي الفصل الرابع إجراءات البحث وفي الفصل الخامس عرض وتفسير النتائج.

اولا : بيان المسألة

تعاني عملية تدريس مادة التاريخ– وفقا للدراسات والابحاث –من مجموعة أشكلات منها طرائق التدريس المعتمدة وعناصر المنهج والانشطة التعليمية والتقويم، وهي عوامل تسهم في عدم زيادة المعرفة والرغبة في تلقي هذه المعرفة وحتى اكتشافها أو تطبيقها في مجالات معينة، والافتقار الى المحفزات والدافعيات والاستنتاج والبحث في المعلومات ومخاطبة الحواس، ومن ثم حكما انخفاض مستوى التحصيل العلمي وعدم اكتساب المفاهيم التاريخية وعدم تحقيق الرسالة التربوية لاهدافها.

وقد يعاني تدريس مادة التاريخ– في سياق مقرر الاجتماعيات للمرحلة المتوسطة –من قصور مرده اما لان المادة بعيدة من مدارك الطلاب أو لانها فوق مستوى تفكيرهم أو لانها تقدم بطريقة تقليدية في فلك الحفظ والتلقين فتفقد قيمتها الفكرية والعلمية وهذا يسبب أشكلة في مستوى التحصيل لدى الطلاب وعدم تنمية قدراتهم الفكرية للمستقبل انطلاقا من تاريخ وطنهم والبيئة التي يعيشونها وتاريخ الامم.

تظهر الحاجة للتعرف الى اهمية الطرائق الحديثة والاستراتيجيات التدريسية الموضوعة وفقا للنظرية البنائية، ومنها البحث في قيمة التفاعل بين النظرية التوسعية التي تقوم على ترتيب الافكار بطريقة تتابعية ومن ثم الاختيار والتلخيص لتطوير المعلومات وزيادة الدافعية تجاه مادة التاريخ للمرحلة المتوسطة وبين استخدام انموذجي سيلفرمان وبيجز كخطة تستخدم في تنظيم عمل التدريسي وتوافر شروط التعلم الجيد والتدريب على التحليل والاستنتاج والملاحظة والموازنة والاستنباط بما يجعل المادة الدراسية اكثر تشويقا واكثر اثارة للتفكير المستقبلي .

يعد انموذج بيجز مفسرا لاساليب تعليم الطلاب جامعا بين الدافعية والاستراتيجية

ثانيا : اسئلة البحث

أ – السؤال المركزي

ما آثر التفاعل بين النتظرية التوسعية و انموذجي سيلفرمان و بيجر في جودة التحصيل و تنمية التفكير المستقبلي لمادة التاريخ لدى طلاب المرحلة المتوسطة في مدارس الكرخ بغداد ؟

ب – الاسئلة الفرعية

- ما أثر النظرية التوسعية في جودة التحصيل و تنمية التفكير المستقبلي لمادة التاريخ لدى طلاب المرحلة المتوسطة ؟

- ما أثر انموذج وسيلفرمان في جودة التحصيل وتنمية التفكير المستقبلي لدى طلاب المرحلة المتوسطة ؟
- ما ما اثر انموذج بيجز في جودة التحصيل وتنمية التفكير المستقبلي لدى طلاب المرحلة المتوسطة ؟

ثالثا : فرضيات البحث

الفرضية الرئيسية

يوجد تفاعل ايجابي متفاوت في التباين والتشارك بين النظرية التوسعية القائمة على برنامج تنظيم محتوى مادة التاريخ واستخدام انموذج بيجز وانموذج سيلفرمان بما يحقق جودة التحصيل وتنمية التفكير المستقبلي .

الفرضيات الفرعية

-1الفرضية الفرعية الاولى :

يوجد اثر في اعتماد النظرية التوسعية في تدريس مادة التاريخ لتحقيق جودة التحصيل العلمي وتنمية التفكير المستقبلي.

-2الفرضية الفرعية الثانية :

يوجد اثر في اعتماد انموذج سيلفرمان يؤدي الى رفع مستوى التحصيل الدراسي وتنمية التفكير المستقبلي لدى طلاب المرحلة المتوسطة.

-3الفرضية الفرعية الثالثة :

يوجد اثر إيجابي متفاوت في التفاعل بين النظرية التوسعية وانموذجي بيجز في تنمية التفكير المستقبلي ورفع مستوى التحصيل الدراسي لدى طلاب المرحلة المتوسطة في مدارس الكرخ بغداد.

-4الفرضية الفرعية الرابعة : النتائج المحققة لاثر التفاعل بين النظرية التوسعية وانموذجي سيلفرمان وبيجز.

أ-الفرضية الصفرية الأولى : لا يوجد فروقات دالة احصائيا في التفاعل بين النظرية التوسعية وانموذجي بيجز وسيلفرمان في تحقيق جودة التحصيل.

ب -الفرضية الصفرية الثانية : لا يوجد فروقات دالة احصائيا في التفاعل بين النظرية التوسعية وانموذجي بيجز وسيلفرمان في تنمية مهارات التفكير المستقبلي.

ج-الفرضية الصفرية الثالثة :يوجد فروقات مشتركات ومتفارقات دالة احصائيا في التفاعل بين النظرية التوسعية وانموذجي بيجز وسيلفرمان من خلال استخدامها لتدريس مادة التاريخ لطلاب المرحلة المتوسطة في مدارس الكرخ بغداد.

رابعا : أهمية البحث

تكتسب الدراسة أهميتها

أولا على المستوى العلمي:

1-من كون المستوى العام للطلاب في مرحلة تحتاج الى اجراء دراسات وابحاث حول كيفية تطوير مستوى التفكير المستقبلي لديهم وتنمية القدرات العقلية لهم.

2-من كون الطلاب لديهم فروقات فردية على مستوى الميول والقدرات والاستعدادات وبالتالي معرفة كيفية تنميتها لتحقيق جودة التحصيل الدراسي في مادة التاريخ.

3-ان الطرائق التقليدية لتدريس مادة التاريخ تقوم على التلقين الاسهل للتدريسي دون الاعتبار لواقع الطالب وتمايزه وقدراته الفكرية والعقلية، فلا بد من البحث في الاستراتيجيات الحديثة للتدريس لمعرفة اثرها في تنمية قدرات الطالب ونقله من موقع المتلقي الى المنتج الفكري والعقلي.

4-اسباب تدني وضعف مستوى التحصيل والمرونة العقلية والتفكير لدى الطلاب في المرحلة المتوسطة في ظل تطور ونهوض المجتمنعات الاخرى العالمية على المستوى العلمي والتطبيق العملي والتطور التقاني والتكنولوجي.

5-اسباب ضعف التحصيل وضعف القدرات العقلية والفكرية لدى الطالب بحيث لا يوجد لديه الدافعية والحماسة ووجود الرتابة والملل اما لان طرائق التدريس التقليدية عقيمة أو لعدم اعتماد التدريسي طرائق اكثر اثارة لمادة التاريخ.

6-أهمية استخدام الطرائق والنماذج التدريسية الحديثة التي تعتمد مشاركة طالب المرحلة المتوسطة في تدريس التاريخ.

7-أهمية دراسة أثر الطرائق والنماذج التدريسية في تنمية وتنشيط التفكير المستقبلي من كونها يكشف جوانب تنظير وتطبيق جديدة للطالب.

خامسا : الابداع و التنظير

يبين الجانب الابداعي والتنظيري في أن هذه الدراسة من خلال جمعها بين المتغيرات المستقلة و التابعة الواردة في العنوان تعد سابقة علمية و ذات اثر في تحديد طرائق التدريس الفاعلة في الرفع من مستوى التحصيل و كذا على مستوى التنمية المستقبلية و ندرجها في النقاط التالية:

أ-دور التفكير المستقبلي للطالب في تنية قدراته العقلية والمعرفية لمواجهة المشكلات والتحديات.

ب-تعليم الطالب ان يكون مفكرا منتجا ومبدعا وليس متلقيا لتطوير مكانته في الحياة.

ج-القيمة الفعلية لمادة التاريخ وانعكاسها على الطالب والمجتمع اذا تم تفسيرها وتحليلها بدقة.

د-معرفة اثر التفاعل بين النظريات والاستراتيجيات التدريسية الحديثة في صقل عقل الطالب وتطوير قدراته المعرفية.

هـ-كيفية تطوير التعليم وتعليم التفكير والبحث والتقصي حول الحقائق التاريخية.

و-امتلاك الطالب ادوات التعلم الذاتي والدافعية لاكتساب العلوم والمعارف التاريخية.

ز-اثر طرائق واستراتيجيات التدريس والنماذج التعليمية في تكوين شخصية الطالب وتنمية قدراته في التفكير والابتكار وسعة الافق والاعتماد على الذات والامكانية العلمية.

ح-كيفية تحقيق جودة التحصيل من خلال استخدام النظرية التوسعية وانموذجي بيجز وسيلفرمان التدريسية.

سادسا : أهداف البحث

1-أثر النظرية التوسعية في جعل مادة التاريخ اكثر تشويقا واثارة للتفكير المستقبلي وتنمية القدرات المعرفية للطلاب وفي تحقيق جودة التحصيل.

2-أثر انموذجي بيجز وسيلفرمان في جعل مادة التاريخ اكثر تشويقا واثارة للتفكير المستقبلي وتنمية القدرات المعرفية للطلاب وفي تحقيق جودة التحصيل.

3-الحاجة الى استخدام استراتيجيات ونماذج تدريس حديثة تزيد من مستوى المرونة العقلية لدى الطلاب وتطوير خبراتهم الذاتية ورفع جودة التحصيل لتحقيق الاهداف التعليمية.

4-اهمية اتباع الاساليب الحديثة لتطوير اداء التدريسيين بما يؤدي الى زيادة تحصيل الطالب واستخدام الانشطة والمهام اللوجستية لاثارة التشويق نحو مادة التاريخ.

5-قيمة التفاعل بين النظرية التوسعية وبين استخدام انموذجي سيلفرمان وبيجز في تنظيم عمل التدريسي وتوفير شروط التعلم الجيد واثارة للتفكير المستقبلي.

سابعا : حدود البحث

1-الحدود الموضوعية :

أ-استبانة راي موجهة الى التدريسيين افراد العينة.

ب-تطبيق دروس محددة من كتاب التاريخ المقرر الصادر من وزارة التربية العراقية الطبعة الحديثة للعام الدراسي 2024 لعينة من طلاب صفوف المرحلة المتوسطة.

2-الحدود البشرية :عينة من طلاب المرحلة المتوسطة النهارية في مدارس الكرخ بغداد وعددهم 242طالبا وطالبة، وتدريسي مادة التاريخ في مدارس الكرخ بغداد وعددهم 45 تدريسيا وتدريسية.

3-الحدود المكانية :مدراس المديرية العامة لتربية الكرخ الأولى الحكومية والاهلية في بغداد 8) مدارس متوسطة.(

4-**الحدود الزمنية** :الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي.2025-2024

ثامنا : منهج البحث

اعتمد الباحث في أطروحته المنهج الوصفي التحليلي في تفسير استبانة الرأي الموجهة الى التدريسيين والتدريسيات في مادة التاريخ من المرحلة المتوسطة من مدارس مديرية تربية الكرخ في بغداد لملاءمته الأهداف المحددة من الدراسة وفي تطبيق مفاهيم ومبادئ النظرية التوسعية في اعادة تنظيم المحتوى لمادة التاريخ وانموذجي بيجز وسيلفرمان التدريسيين لتقديم الدروس لعينة من صفوف المرحلة المتوسطة في مدارس الكرخ بغداد في مادة التاريخ.

تاسعا : هيكلية البحث

اعتمد الباحث في تقسيم الفصول وتوزيع المباحث على اتباع نمطية البحوث الميدانية وما تفرضه من التقسيمات والمباحث فجاءت الدراسة على الشكل المبين في فهرس المحتوى وإجمالا ضمن خمسة فصول تتخللها مباحث ومطالب وفروع متعددة وتنتهي الدراسة بعرض مفصل لمجموع المصادر والمراجع مع الملاحق وفقا للآتي:

المبحث الأول: مُدخل الى أساليب وطرائق التعليم

١-فاعلية التجديد في أساليب التدريس

لم تعد الحاجة الى استخدام النماذج والاستراتيجيات التدريسية الحديثة مجرد دراسات عابرة أو محطات تجريبية لهذا الصف أو تلك المدرسة بقدر ما أصبحت ضرورة تسهم في تحسين جودة التعليم وبالتحديد في المرحلة المتوسطة وبما يساعد الطالب ليكون عنصرا فعالا في المواقف الصفية فيتوافر لديه ملكة التمكين النفسي والسلوكي لاكتساب المعارف والمفاهيم التاريخية والمبادئ والحقائق الموروثة والمؤثرة في نظرته الى مستقبله، وهذا ما يتناغم مع التوصيات والمقترحات لمعظم الدراسات والمؤتمرات العلمية في التربية والتعليم ليس في العراق وحسب وانما في الكثير من الدول التي ارادت مواكبة التطور في العلوم والمعارف ومعالجة الخلل في المناهج على مستوى الأهداف والمحتوى والطرائق والاستراتيجيات التدريسية والأساليب والنماذج المستخدمة في ذلك.

ثم ان منظومة التربية قد تاثرت من أواخر القرن الماضي بالتطورات التقانية والتكنولوجية المتسارعة واصابتها في فلسفتها واساليبها ومناهجها وعلومها، وهو ما بين الحاجة الى التجديد لمواكبة ذلك التقدم والاستثمار فيه والتفاعل الإيجابي معه، لاجل تمكين الطالب من معايشة الحداثوية المعرفية والفكرية وتنمية قدراته التكيفية والاستيعابية والادراكية للمفاهيم المستجدة وربطها بالماضي لاجل المستقبل الذي يريده في مجتمعه[١].

فأهمية التربية والتعليم تنعكس في تنمية العنصر البشري واعداده وتهيئته لنقل التراث الفكري والعقائدي وللاستمرار والبقاء وذلك في الاستثمار الأمثل والتوجيه والإرشاد تجاه مختلف الثقافات المجتمعية، وهذا التجديد في التربية على مستوى الأهداف والمحتوى والأساليب والطرائق ومواكبة التطور العلمي العالمي والانسجام معه يسهم في نقل العلوم والمعارف ويحافظ على المكتسبات التي تخدم الافراد ومكونات المجتمع على السواء، وهو المتوجب على المؤسسات التربوية للتمكين من مواجهة التطورات الحالية والمستقبلية، وبما يجعل الطالب مرنا في سلوكه وافكاره وتوجهاته[٢].

وان نجاح أو فشل العلمية التربوية الإصلاحية أو التطويرية يرتبط وثيقا بالمنهج والمقررات الدراسية بما تشتمل عليه من مفاهيم وحقائق وأنظمة وقوانين ومبادئ، وباعتبارها الأداة الفاعلة والمؤثرة لتحقيق الأهداف التنموية واكساب الطلاب المعارف والخبرات الضرورية ومعرفة الحق والصواب والواجبات التي تغير سلوكهم [٣]، لا بل تقومه وتوجد الشخصية التكاملية المنتجة وتلبي الحاجات المجتمعية والإنسانية وممارسة الحياة القويمة واعتباره المواطن الصالح في خدمة وطنه، اذ تقوم التربية الحديثة بتهيئة المجال للطالب في اكتساب الخبرات والتفاعل البيئي وتوثيق العلاقات المجتمعية ومساعدته في التمكين والتكوين الشخصي والنفسي والسلوكي والإفادة من الخبرات لاستخدامها العلمي القويم[٤].

فالتعليم لم يعد علما مجردا انما اقرب ما يكون الى فن تعليمي يتطلب المعرفة في اصوله واساليبه واستراتيجياته وخططه ومنهجياته ليتم

تحقيق أهدافه في مستوى عال من الاتقان والتكلفة الأقل في الوقت والمال، مع الحفاظ على عامل النشاط والحيوية التفاعلية لدى الطالب[٥]، وتقييمه وقياس تقدمه والإفادة من خبراته وتحسين مهاراته وممارساته المستقبلية وطرحه للأفكار.

لقد تجاوزت فكرة وجود الاستراتيجيات الحديثة والنماذج التدريسية مسالة التخفيف من قيود الطريقة التقليدية في التعليم انما هي الحاجة الملحة للتخفيف من أعباء المشكلات المتتالية في صعوبات التعليم والتحصيل[٦]، ثم ان الكم من الأساليب والاستراتيجيات لم تكن لتجد مكانتها في المجتمع التربوي الا بعد تجارب ودراسات اعطتها الصفة الحسنة لتكون مدادا علميا للطالب ورافدا لنيل المعرفة وعاملا لتنمية

وجوده الفكري تجاه المستقبل، وهي تميزت في خصائصها واساليبها المتنوعة كما هو الحال في الطريقة التوسعية أو أنموذجي سيلفرمان وبيجز حيث يريد الباحث طرح اشكلة استخدامها والفائدة من ذلك في فرضياتها حول نتاجها وتوفيرها الشروط المناسبة للطالب ليحلل ويستنتج ويفسر ويلاحظ ويوازن ويستنبط ولاكتساب وتنمية مهارات التفكير المستقبلي لمفاهيم مادة التاريخ في المرحلة المتوسطة.

ان اكتساب المادة التاريخية يشكل عاملا فاعلا ومؤثرا للطالب لدى قراءته النص التاريخي او أي موضوع تاريخي بشكل كلي وليس جزئي ويبني له المعرفة ويرفع من مستواه وقدراته في التفكير ويجعله متفاعلا ومنسجما في العملية التعلمية وينمي العلاقة الايجابية التبادلية التي تعطيه فرصة التعبير عن المشاعر والأفكار [٧].

إن الاهتمام بالمواد الاجتماعية –ومنها مادة التاريخ– في المرحلة المتوسطة له أهمية تتناغم مع التحولات العالمية السريعة التي تقتضي تغيرا في الأفكار لدى الافراد ليكونوا صالحين في مجتمعهم الخاضع للمتغيرات المستمرة، اذ أن التحول الاجتماعي يخطو في الغالب خطوات أوسع من الخطوات التي تخطوها الاتجاهات التربوية الحديثة[٨] في موادها الاجتماعية والتاريخية التي تعنى بدراسة العلاقات الإنسانية والجوانب والمشكلات الحياتية والتحديات المجتمعية وتعمل على تمتين العاقات بين الفرد وبيئته الطبيعية والإنسانية وتزويد الطالب بالمعلومات عن طبيعة الحياة التي يعيشها ليكون قادرا على المشاركة البنائية الفاعلة[٩]، يكون تركيز التاريخ على دراسة هذه العلاقات ومحورها الإنسان وبيئته الاجتماعية والطبيعية عبر العصور التاريخية[١٠].

يحتاج التعلم إلى بناء مخططات عقلية للطالب، وإن العلم يحدث نتيجة تولد شخصي للمعنى من خلال الخبرات التي يكتسبها[١١]، وهي تمر بمرحلة التفكير الحس حركي ومنها الى ..... مرحلة ما قبل العمليات..... ثم الى مرحلة العمليات العيانية.... ومنها أخيرا الى مرحلة العمليات الشكلية، ثم يقوم الطالب ببناء المعرفة التفاعلية النشطة مع بيئته والتي اكتسبها خلال التلقين والحفظ[١٢].

كما ان تصميم التعلم يتحدد في احداث التوافق والانسجام بين الأهداف والأنشطة والتقييم ولك ما يحتاجه الطالب ليكون التدريس فعالا ومؤثرا ومحفزا فيحدث التشجيع للطلاب بصرف النظر عن الفروقات الفردية بينهم وخصائص كل منهم ومستوياتهم الادراكية والعقلية والفكرية، لذلك يخضع بناء معرفة هذا الطالب الى تجاذبات بنائية منها :

أ–البنائية البسيطة وفيها يبني الطالب معرفته بإيجابية نشطة[١٣] .

ب–البنائية الجذرية وفيها يتكيف الطالب ديناميكيا متمسكا بخبراته المعرفية العقلية القابلة للتطبيق [١٤].

ج–البنائية الاجتماعية وفيها يتفاعل الطالب مع بيئته الاجتماعية المؤثرة في عملية التعلم وتتضمن الإدارة والمشرفين والمرشدين والتدريسيين وزملائه الطلاب[١٥] .

د-البنائية الثقافية وفيها يتأثر الطالب بالموروثات الثقافية والفكرية التي تشمل التقاليد والأعراف والعادات والايديولوجيا العقائدية والنظم المجتمعية الثقافية [١٦].

هـ-البنائية النقدية وفيها يبني الطالب معرفته وفقا لتوجهات إصلاحية للنظم والثقافات المجتمعية والبيئية الموروثة مما ينمي قدراته العقلية ويتقصى الحقائق ويعتمد المناقشة والحوار أسلوبا لذلك[١٧] .

و-البنائية التفاعلية وفيها يتفاعل الطالب معرفيا حين توافر قدرة التعامل مع العالم المادي المحيط به، والقدرة على التامل في الأفكار المادية المطروحة أمامه فيختار الأفضل والانسب للمستقبل بما يتحلى به من فكر نقدي اقناعي تفاوضي استقصائي مهاري[١٨].

ز-البنائية الإنسانية وفيها يبني الطالب معرفته وفقا للمعارف السابقة اذ يوظفها في الابتكار والإنتاج وتكوين العلاقات بين الأفكار والمفاهيم[١٩] .

ح-البنائية النفسية السلوكية وفيها يقوم الطالب بإيجاد المعاني الجديدة المؤثرة في تفكيره المستقبلي[٢٠] .

٢-الأسس المعرفية للتدريس

تعدّ طرائق التدريس حلقة الوصل بين الطالب والمقرر الدراسي لتحقيق اهداف المنهج الذي لا يمكن ان يخرج الى واقع التنفيذ الفعلي من دون الأسلوب والطريقة التعليمية الفاعلة والمجدية والمناسبة وتحقيق المبتغى المنشود في تزويد الطلاب بالمعارف والخبرات لمواجهة المواقف الفكرية والتعليمية ولرفع المستوى في الأداء والتحصيل وتأكيد المشاركة الطلابية الإيجابية في تقديم الدروس داخل الغرفة الصفية[٢١]، وبالتالي فانّ العلاقة الارتباطية الوثيقة بين المنهج والطريقة تأخذ فائض الأهمية في عمليتي التعليم والتعلم لايصال المحتوى والمعلومات والمعارف وتحقيق الهدف بأقل جهد وأقصر وقت وأقل كلفة فضلا عن تنمية الشخصية لدى الطلاب في الادراك والاستيعاب وصولا الى تنمية المقدرة في التحليل والتفسير والاستنتاج.

وكما ان اعتبار النظرية البنائية من أكثر النظريات التربوية الحديثة أهمية من وجهة نظر عالم النفس بياجيه[٢٢] كونها عملية توازنية تضبط العلاقة بين الاستيعاب والتناسب في كم المعارف والمعلومات التي تلقفها الطالب خلال مسيرته التعلمية، اذ يحاول دراستها وتفسيرها وتفكيكها وتحليلها وتجميعها وتقسيمها وترتيبها تبعا لقدراته وخبراته[٢٣]، فان المنهج والمقررات الدراسية هي الطريق الذي يكسب الفرد الكفاية المجتمعية والصفات السلوكية المؤهلة، باعتبار ان الواقع العلمي والتربوي للطالب يجسد الفلسفة المجتمعية وطبيعتها البنائية، ويبين من خلال ذلك أهمية وجود طرائق وأساليب تعليمية واستراتيجيات ونماذج لتدريس المناهج والمقررات بصرف النظر عن جودة وفاعلية وخصائص ومميزات كل أسلوب وكل تجربة وكل تطبيق وأثرها في التطوير والنهوض التعليمي وزيادة المستوى والتحصيل الدراسي والادراك المفاهيمي[٢٤]، مع أخذها بالاعتبار مراعاة الفروقات الفردية بين الطلاب لتحقيق الأداء العالي،

وبالتالي يعد المنهج الوسيلة التربوية التي يحقق من خلالها الأهداف التنموية والشاملة للطالب وبناء سلوكه وتعديل الانحرافات وتقويمها بفعل المكتسبات الوافدة والمشبوهة، وهو –أي المنهج– يشمل الأنشطة التربوية الدقيقة والمتنوعة المساعدة لفهم المحتوى والمناسبة للمرحلة الدراسية بما يجعل المعرفة وسيلة لا غاية في ذاتها[٢٥] .

ثم ان الأسس المعرفية تستوجب وجود الخبرات السابقة لبناء معرفة جديدة او تطويرها بنفسه من خلال استخدام القدرات العقلية ليتفاعل إيجابا مع البيئة الخارجية المحيطة به، فوظيفة المعرفة هو حسن التكيف مع المتطلبات الخارجية التي يتفاعل بها ومعها الطالب، وبالتالي يعتبر بناء التراكيب والمخططات المعرفية عملية موائمة ومناسبة بين الواقع والمعرفة المكتسبة بصرف النظر عن مستوى التطابق بينهما[٢٦]، ويمكن وضع الافتراضات البنائية للمعرفة لدى الطالب من خلال النظم التعليمية التي تقوم على:

أ– النشاط والاستمرارية وتحقيق الأهداف : باعتبار ان عملية التعلم تتصف بالاستمرارية والنشاط الموجه، والطالب يبني معرفته الجديدة انطلاقا من الخبرات والمعارف السابقة بما يساعده على إيجاد الحلول لمشكلاته وتقديم التفسير لمواقفه المستجد، وان الغرض من التعلم يدفعه الى تحقيق أهدافه التي يريدها[٢٧]، ثم ان الطالب يبني معرفته من خلال الأنشطة الذاتية والمناقشة فيها وفي الأفكار الأخرى مع اقرانه من الطلاب داخل البيئة المدرسية، فيتم تبادل المعلومات ووضع الفروض لحين الوصول الى النتائج وتعميمها في حقيقة ما بإشراف التدريسي .

ب–التحليل الشامل للأهداف السلوكية: فيقوم الطالب بتتبع البيئة المحيطة به وتحديد مشكلاته وخصائصها ومدى قدرته ودافعيته وحاجاته واستعداده لتحديد الأهداف السلوكية العامة التي يريد تحقيقها، وتحليل المحتوى العلمي وفقا لخبراته ووضع أدوات التقويم وترتيبها لمساعدته في انجاز الغرض من التعلم[٢٨].

ج–المهام الحقيقية تجاه المشكلات المستعصية: ومن حيث ان الطالب يواجه مشكلات متزايدة فان المهمات تكون اكثر صعوبة لذلك يلجأ الى التعلم لحلها من خلال بناء المعرفة وتنفيذ الأنشطة الفاعلة، بينما الاكتفاء بالتلقين والحفظ لن يكون عاملا مساعد له ولا يشكل أي رابط فعلي في بنائه المعرفي، لا بل يزيده من تعقيد المهام المستقبلية. [٢٩]

د–التفاعل بين المعارف الأولية والمكتسبة: تعتبر المعارف السابقة بالنسبة الى الطالب ممرا تلج منه الأفكار الجديدة التي يحتاجها في عملية البناء المعرفي والنمو العقلي والانفتاح الذهني، فيتكون لديه جملة متجددة من الأفكار والمفاهيم تؤهله ليكون قادرا على مواجهة مشكلات التعلم وكيفية معالجتها[٣٠] .

هـ-التقويم بين التكيف والمواءمة: تخضع عملية التعلم الى تقويم دقيق تباعا لمعرفة الصلاحية لطرائق استقبال الأفكار الجديدة ومدى فاعليتها وافادتها في تنمية ما يحتاجه الطالب من مساعدات عقلية، ويمكن تجديد مدى ملاءمة الضغوط المعرفية مع الخبرات المكتسبة والمهام التي يراد للطالب تنفيذها خلال التعلم، ولعدم الوقوع في خلل الاتزان المعرفي ولعدم الوقوع في اشكلة عدم تحصيل المعرفة لا بد من حصول تقويم مستمر للمكتسبات وفقا لقدرة الطالب على التكيف والمواءمة مع الضغوطات المعرفية [٣١].

ويراعى الطالب مجموعة من المبادئ والمعايير التي يجب توافرها لتحقيق التعلم المعرفي للعقل والتفكير ومن ذلك[٣٢]:

-بناء الطالب معرفته الخاصة في حال استخدام القدرات العقلية، فتبنى المعرفة من خلال الخبرات والمعلومات والمكتسبات الادراكية في المسائل التي يحتاجها في سلوكه وحياته اليومية، ويتحقق ذلك من خلال التفاعل مع خبراته السابقة المعرفية التي أقرب ما تكون نقطة انتقالية للعبور نحو المستجد من المعارف.

- ان الحصول على المكتسبات المعرفية أمر متباين بين الطلاب نتيجة الفروقات الفردية بينهم، وان كل واحد يفسر الحقائق وفقا لمكتسباته المعرفية وقدراته العقلية وطريقة التفكير لديه، وقد لا يشارك الواحد منهم الاخر معرفته انما يستخدم تفسيراته من خلال ما يمتلكه من الحواس ليوائم بين الواقع الذي يعيشه والمعارف المكتسبة من التعلم.

-ان ادراك الطالب أهمية الحصول على المعرفة تجعله يهيء افضل الظروف للتعلم، وهذا يجعله قادرا في حدود معينة من الاعتماد على الذات وتنمية الثقة في قدراته الفكرية واتخاذ القرار حول مسالة يواجهها دون ان يكون بحاجة الى مساعدة خارجية لحلها.

-قد يتعرض الطالب الى مزيد من الضغوط نتيجة الكم الكبير من التلقي المعرفي، وهذا يجعله قريبا من الاضطراب المعرفي كنتيجة لاكتسابه الخبرات الجيدة الجديدة، وفي هذه الحالة يتجه الطالب الى إعادة التوازن لذاته المعرفية والتغلب على القلق من تراكم المعارف غير الضرورية وانتقاء ما يحتاجه فعلا في واقع حياته.

-يحدث من خلال التراكم المعرفي نمو في المفاهيم العلمية المختلفة، ويقارن بينها من خلال العرض والطلب على الفائدة منها وحجم ومستوى مشاركة الاخرين بمناقشتها والبحث في قيمتها ودلالاتها، ومن ثم يستعرض الطالب في مراحل معينة وجهات النظر الأخرى، ويجري تقييمها وفقا للمرعفة المكتسبة ولما يمكن ان ينمي تحصيله منها.

-تقوم أسس التعلم على مجموعة من العناصر تتعلق بحجم التراكيب المعرفية السابقة المتوافرة في عقل الطالب والمقاربة مع حجم المعرفة الجديدة التي يحصل عليها خلال عملية التعلم، ويكون البيئة التعلمية هي الشاهد على هذه المتغيرات، فاذا كانت هذه البيئة اجتماعية تفاعلية يكون التفاعل بين التراكيب المعرفية السابقة والجديدة اكثر انسجاما ونشاطا يؤدي حكما الى بناء معرفي صحيح للطالب[٣٣] .

٣-فاعلية أساليب التدريس في تطوير التعليم

أ-أساليب التعلم كشرط لتحقيق النجاح التعليمي

مع بدايات القرن العشرين وضع أساليب التعلم عالم النفس السويسري كارل غوستاف يونغ الذي اعتبر ان الفروق الفردية بين الطلاب وان اختلاف وتفاوت المستويات العلمية بينهم يعود بالدرجة الأولى للطريقة التي يتلقون فيها العلوم المعرفية والأسلوب الذي يعالجون فيه الحقائق والمعلومات[٣٤]، ومن ثم وجد الغالب من علماء النفس ان أساليب التعلم هي تعبير عن العمليات والإجراءات التي يستعين بها الطالب للإفادة من خبراته المكتسبة في التحصيل المعرفي وزيادة المخزون المعرفي لديه، وتمّ توصيف أسلوب التعلم بانه العمليات التكيفية الملائمة والمحفزة للطالب للاستجابة الى المثيرات المعرفية وفقا لقدراته الجسدية والانفعالية والعقلية والاجتماعية، آخذا بالاعتبار السلوكيات الوجدانية والنفسية والمخزون العلمي، وتتمحور في مجملها حول تفاعل الطالب واستجابته للعلوم التي يتلقفها خلال العملية التعليمية[٣٥].

ويستخدم علماء التربية مفهوم أسلوب التعلم للإشارة الى الاستراتيجيات التدريسية المختلفة والمتنوعة ووصف عمليات استقبال المعلومات والمعارف الدراسية لدى الطالب[٣٦]، وهي تحوي متعلقات الادراك والمفاهيم والوجدانيات والسلوك والانفعالات والمرتكزات الفكرية والعقلية لاستخدامها في معالجة المعلومات وتطوير الذات الدراسية، ويقوم الطالب بالافادة منها في حل المشكلات التي يواجهها في المواقف التعليمية وفقا لدوافعهم، فيحدد ويختار بالتنسيق مع التدريسي الاستراتيجية المناسبة له ويتبنى الأسلوب التعلمي الأفضل بما يجعله متميزا عن الاخرين ومتجاوزا الفروق الفردية والمثيرات النفسية والبيئية والحاجات الجسدية والانفعالية السلوكية الى حالة تنافسية إيجابية في استثمار المعرفة في الحياة اليومية[٣٧] .

وينعكس ذلك حكما في التنوع العقلي لدى الطلاب، اذ يتجه البعض الى الخوارزميات والأخر الى النماذج والبيانات والأخر الى الاشكال والرسومات ومنهم الى الحقائق والرموز، واخرين الى الخرائط والصور والمخطوطات والبصريات، والبعض يميل الى الشروحات والتفصيلات المكتوبة، ومنهم الى الاستقراء والتقصي والبحث الذاتي المنفرد [٣٨]، كما انه داخل البيئة الصفية لا يمكن للتدريسي مراعاة كل طالب بمفرده الا انه يتجه الى الأسلوب التعلمي الأكثر ملاءمة وانسجاما مع المجموع الكلي من

الطلاب، فيتجه الى اعتماد الأسلوب النشط التفاعلي او انه يتج الى استخدام اكثر من استراتيجية في الدرس الواحد تبعا لحجم ومستوى التفاعل من الطلاب وقدراتهم العقلية والذهنية.

وتقع على التدريسي مسؤولية تشخيص أساليب التعلم والتخطيطي للدروس التي يمكن ان يتقبلها الطالب ويفضلها، ويساعدهم بحثّهم على التعليم، كما ان التنوع في أساليب التعلم يمهد لاستخدام أساليب أخرى وتطوير استراتيجيات أخرى ونماذج تولد الدافعية نحو اكتساب المعارف والمعلومات[٣٩]، كما ان الانشطة لها أهميتها في توليد الدافعية الإيجابية التفاعلية بعيدا من السلبية، فلا يمكن ان يكون التدريسي في كفاءته محققا لنتائج فاعلة الا في حال تحقيقه تغييرا في سلوك الطالب وتفكيره ومعرفته ومهاراته، وتأتي فرضية المزاوجة بين أسلوب التدريسي في الدرس وأسلوب تعلم الطالب[٤٠]، ولاسيما ان أساليب التعلم تعتمد على التحضير والتخطيط وفقا لقدرات الطالب التعلمية والتعرف الى الأساليب الحديثة والنماذج والطرائق التدريسية الحديثة[٤١].

وان اكثر ما تميزت به اساليب التعلم هو ثباتها النسبي وملاءمتها لما يحبذه الطالب وتوصيفها بالتعدد والتشعب لفائدتها في تطوير وتحسين الممارسات التعليمية في البيئات التدريسية– الداخلية والخارجية–، كما ان التخطيط فيها يؤدي الى تعلم الأشياء وتحصيل المعرفة وادراك المعلومات والحقائق، ويمكن هذا في عملية التوجيه والاختيار لأفضل النماذج والاستراتيجيات المتاحة والطرائق الأكثر سهولة في تنمية وتنشيط ذهنية وفكر وعقل الطالب، وبذلك يمكن تحقيق افضل النتائج واقى المستويات التحصيلية المعرفية، والاقتصاد في الوقت والكلفة المادية والمجهودات المادية والمعنوية المختلفة، والاخذ بالاعتبار الوسائل الادراكية الفرعية المساعدة كصيغ معالجة المعلومات التي يجدها التدريسي مهمة اثناء الدرس، ولعل أهميتها تكمن من كونها نتاج التفاعل المجتمعي البيئي للطالب مع الواقع التعليمي في المؤسسة التعليمية التي ينتمي اليها ويتعلم وفقا لنظمها وقوانينها[٤٢].

وتراعي أساليب التدريس الحديثة الخصائص المعرفية والسلوكية والنفسية للطالب والقوانين والأعراف والمبادئ التي تتحكم في العملية التعليمية، كما انها تستوعب الخبرات والاراء والأفكار والتجارب، لذلك تكم أهميتها من كونها عامل مساعد للطالب في اكتساب المفاهيم والتعامل معها كمعلومات معرفية[٤٣]، وهي تعطيه أهمية في الاستقلال الذاتي أو في بناء الذات والثقة بالنفس خلال مرحلة التواصل مع التدريسي، وتحقق نوعا من التكامل لناحية الإدارة المدرسية أو الهيئة التعليمية كما ان النماذج العلمية الحديثة تنظم عمل التدريسي وتجعله يستثمر في الخبرات، وتهيء له البيئة المناسبة والترابط المتكامل بين المحتوى والمهارات والدور والعلاقات والأنشطة والإمكانات والسلوكيات الهادفة الى الوصول بالطالب لمرحلة التوازن المعرفي والتكيف البيئي والتفاعل المجتمعي وتجسيد الخبرات المكتسبة وتنمية القدرات الذاتية واستيعاب المضامين والمحتوى المنهجي[٤٤].

ب-إطلالة الى نماذج من أساليب التعلم الحديثة

يبين الجدول المندرج ادناه مجموعة من النماذج في أساليب التعلم ولكل منها منظريه وفلاسفته وتصوراته،

جدول رقم ١ يبين نماذج أساليب التعلم الحديثة[٤٥]

اسم الأنموذج	أساليب الانموذج	دلالات وتميز الأسلوب في الانموذج
أنموذج Kolb [٤٦]	-أساليب التعلم وفقا للانموذج ترتكز على الخبرة الحسية والملاحظة المتأملة والتصور .	-يميل الى تفضيل اكثر من أسلوب في التعليم ليستخدمها الطالب . -يحدد اسلوب التعلم وفقا لقدرات الطالب.
	الأسلوب التقاربي	-القدرة على حل المواقف والمشكلات . -الطلاب يفضلون التعامل مع الأشياء مباشرة . -الطلاب يميلون إلى التخصص في العلوم الطبيعية والهندسية .
	الأسلوب التباعدي	-إستخدام الخبرات الحسية والملاحظة التأملية والمشاركة الوجدانية. -اهتمامات الطلاب العقلية واسعة وينظرون الى المواقف من عدة زوايا. -تأدية أفضل المواقف التعليمية التفكرية التي تتطلب إنتاج أفكار متنوعة.
	الأسلوب الاستيعابي	-إستخدام المفاهيم المجردة والملاحظة التأملية. - قابلية الطالب في صياغة نماذج نظرية -يتجه الطالب الى الاستدلال الاستقرائي وليس التطبيق العملي لافكاره.
	الأسلوب التكيفي	-إستخدام الخبرات الحسية والتجريب الفعال . -يوجد ميل الى دراسة المجالات العملية والفنية.
أنموذج Entwistle [٤٧]	-مبني على أساس العلاقة بين الناتج التعلمي وأسلوب تعلم الطالب. -يفترض وجوداساليب متعددة	-ترتبط توجهات النموذج بالدوافع التي يستخدمها الطالب في المواقف التعلمية بصرف النظر عن المستويات المعرفية والادراكية والفهم . - التوجه نحو المعنى الشخصي وإعادة الإنتاجية

	للتعلم.	ومن ثم التحصيل.
	الأسلوب العميق	–القدرة والرغبة والقابلية في البحثعن المعنى. – استخدام التماثل والتشابه في وصف الأفكار بصورة متكاملة . –ربط الطالب افكاره الجديدة بالخبرات السابقة واستخدام الأدلة والبراهين.
	الأسلوب السطحي	–يتميز بالقدرة على تذكر الحقائق والأسئلة في موضوع ما. –يركز الطالب في دراسته على التعليمات والمناهج المحددة والحفظ. –يعتمد أسلوب منطقي في الوصول إلى الحقائق بتفصيل.

وبالمقاربة بين الانموذجين المثالين يجد الباحث ان انموذج انتويستل مبني على أساس العلاقة بين الناتج التعلمي وأسلوب تعلم الطالب ويفترض وجود اساليب متعددة للتعلم، أما انموذج كلوب فيجد ان أساليب التعلم ترتكز بالدرجة الأولى على الخبرات لما لها من دور مؤثر وفعال في الملاحظة والتامل والتفكير وتنمية القدرات العقلية والتفكير المستقبلي،

الأنموذج يقدم للطالب فرصة التعلّم داخل الصف بطريقته وقدرته الخاصة على أساس أنّ التعلم للجميع والكل يستطيع ذلك لكن بقدرات متفاوتة"[٤٨].

وبذلك يجد الباحث أنّ الأنموذج له أهميته في حثّ الطلاب وتشجيعهم وتدريبهم وتنميتهم في البحث وجمع المعلومات والتقصي عن الحقائق التاريخية وكشف الخفايا عنها وصولا الى مرحلة اتخاذ القرار والوصول الى استنتاجات

ان النماذج المستحدثة ترتبط بانتاجية الطالب وتنمي لديه روح التعاون مع افراد المجموعة الصفية لا سيما في البحث والتقصي والتحليل وتبادل الأفكار وفي ذلك تنشيط للمخزون الفكري والمعرفي وبالتالي تتبلور أهميتها في الأطر التالية[٤٩]:

الهوامش:

[١] كاتوت سحر، طرق تدريس الجغرافيا، ص ١٣٧.

[٢] أبو الضبعات زكريا إسماعيل، إعداد وتأهيل المعلمين ألاسس التربوية والنفسية ، ص ١٨٨.

[٣] عبد الصاحب إقبال مطشر، بناء مناهج الجغرافية وفق المفاهيم التعليمية، ص ٤١.

[٤] السامرائي نبيهة صالح، الاستراتيجيات الحديثة في طرق تدريس العلوم، ص ٦٠.

[٥] قطامي يوسف وآخرون، تصميم التدريس، ص١٥٥.

[٦] الزند وليد خضر، التصاميم التعليمية، ص ١٧٨.

[٧] المسعودي ،سنابل ثعبان سلمان الهداوي، أستراتيجيات التدريس في البنائية والمعرفية وماوراء المعرفة ،ص ٤٧.

[٨] القرة غولي نصيف جاسم علي شلال، اثر استخدام الملخصات العامة في تحصيل طلاب الصف الخامس الأدبي في مادة الجغرافية الطبيعية، ص١٠.

[٩] قطاوي محمد إبراهيم، طرق تدرس الدراسات الاجتماعية، ص ١٢٠.

[١٠] الأمين شاكر محمود وآخرون، أصول تدريس المواد الاجتماعية، ص٢٨.

[١١] النجدي أحمد عبد الرحمن وآخرون، المدخل في تدريس العلوم، ص ٣٥٧.

[١٢] مكسيموس داوؤد وديع، البنائية في عمليتي تعليم وتعلم الرياضيات، ص٥٢.

[13] Dougiamas; M. AJourney into constructivisM, p: 8 –10

[14] Beissner , k. Reigeluth, C. A Case Study on Course Sequencing with Multiple Strands Elaboration theory .,pp: 27- 41

[15] Philips D.C.coming to Grips with Readical social Constru ctivisM .p 104.

[١٦] زيتون حسن حسين، استراتيجيات التدريس رؤية معاصرة لطرق التدريس، ص ٢١٦.

[17] Taylor ،Mythmaking and Myth breaking in the Math ematie Educational stadies in Mathematics .p:151

[١٨] عفانة إسماعيل عزو، التدريس الاستراتيجي الحديث ، ص٨٧.

[١٩] قطامي يوسف وأميمه عمور، عادات العقل والتفكير، النظرية والتطبيق، ص ١٤٤ .

[٢٠] زيتون كمال عبد الحميد، التدريس من منظور البنائية ، ص ٢١٨.

[٢١] التميمي عواد جاسم، المنهج وتحليل الكتاب، ص ٢٩.

[٢٢] ويعد (Piaget) أشهر عالم في النظرية البنائية وواضع اللبنات الأولى لها، فالمراحل المعرفية لبياجيه لها تأثير كبير في النظرية البنائية،ويعتقد (Piaget) أن الكائنات البشرية تطور مستويات تفكيرية أكثر تعقيداً من الحيوانات عبر مراحل محددة بحيث تتسم كل مرحلة بمفاهيم، أو بنى معرفية معينة يدعوها مخططات(Schemas)، وهي عبارة عن استراتيجيات أو برامج يستخدمها الفرد في تفاعله مع بيئته لتنظيم العالم من حوله بطريقة معينة.
مرعي، توفيق احمد والحيلة، محمد محمود، المناهج التربوية الحديثة مفاهيمها وعناصرها وأسسها ، ص١٦٦.

[٢٣] فخري رشيد خضر، طرائق تدريس الدراسات الاجتماعية، ص٩٠.

[٢٤] مدكور علي احمد ، مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، ص ٣٠.

[٢٥] الشبلي إبراهيم مهدي، التعليم الفعال والتعلم الفعال، ص٥٠.

[26] Appleton Ken ,Analoysis and Dessription of students Learning During science classes A constructirist – Based Model p:303

[٢٧] سليمان عبد الحميد فخري، جودة التعليم، ص ١٤٧.

[٢٨] سلامة عادل ابو العز واخرون، طرائق التدريس العامة المعاصرة ، ص ١٧

[٢٩] عبد السلام مصطفى، اتجاهات حديثة في تدريس العلوم، ص ١٨٠.

[٣٠] الطناوي عفت مصطفى، أساليب التعليم والتعلم وتطبيقاتها التربوية، ص ٣٤.

[٣١] السيد محمد بخيت، فاعيله برنامج مقترح قائم على ادوات الجيل الثاني للتعليم الالكتروني في تدريس الدراسات الاجتماعيه على التحصيل المعرفي وتنميه الوعي بمواجه الكوارث البشريه والتفكير المستقبلي لدى تلاميذ المرحله الاعداديه، ٩٨

[32] Got Frdson, Comparing Exemplar and Rule-Based Theories of Categorization. p15

[٣٣] ابراهيم مجدي عزيز، رؤى مستقبلية في تحديث منظومة التعليم ص ٢٢.

[٣٤] عطا الله، ميشيل كامل، طرق وأساليب التدريس، ص ١٠١.

[35] Silverman "Learning and Teaching Styles in Engineering , p p: 674-681.

[٣٦] قطامي يوسف، سيكولوجية التدريس ، ص ١٠١

[٣٧] جعفور ربيعة وحورية ترزوات، أساليب التعلم : مفهومها وابعادها والعوامل المشكلة لها حسب نموذج كولب للتعلم الخبراتي ، ص١٩٩.

[٣٨] بدوي رمضان سعيد، استراتيجيات في تعلم وتقويم تعلم الرياضيات، ص٥٤.

[٣٩] جابر ليانا و مها قرعان، انماط التعليم النظرية والتطبيق ، ص١٣.

[٤٠] جعفور ربيعة وحورية ترزوات، أساليب التعلم : مفهومها وابعادها والعوامل المشكلة لها حسب نموذج كولب للتعلم الخبراتي ، ص ٢١٣.

[٤١] فوزي رمضان المنتصر، وحدة مطورة لتنمية الحس التاريخي والتفكير المستقبلي لدى طلاب الصف الثاني الازهري، ص٥٦

[٤٢] جابر عبد الامير، مهارات التدريس، ص٢٠١ .

[٤٣] الحيلة، محمد محمود، مهارات التدريس الصفي، ص ٢٠٦.

[٤٤] يونس فتحي وآخرون، مناهج الأسس والمكونات للتنظيمات، ص١٤٣.

[٤٥] جدول من تنظيم واعداد الباحث رقم ١ يبين نماذج أساليب التعلم الحديثة

[٤٦] أبو هاشم، محمد، كمال وصافيناز احمد، أساليب التفكير والتعلم المميزة لطلاب الجامعة في ضوء مستوياتهم التحصيلية وتخصصاتهم الأكاديمية المختلفة، ص ص ١٠-١٢.

بدوي، رمضان سعيد،(٢٠١٠)، استراتيجيات في تعلم وتقويم تعلم الرياضيات، ص٥٩.

[47] Entwistle ، In Search of a Better Way to organize Instruction :The Elaboration Theory ,PP.8-15.

[٤٨] هيلان مصطفى والزغبي احمد وشديفان ، نور، اثر انماط التعلم المفضلة على فعالية الذات لدى طالبات قسم العلوم التربوية في كلية الاميرة عالية ، ص٧٨.

[٤٩] عقل أنور، نحو تقويم أفضل، ص٢١١.

المصادر والمراجع:

- ابراهيم، مجدي عزيز :(2001) رؤى مستقبلية في تحديث منظومة التعليم، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ص٢٢
- أبو هاشم، محمد، كمال، صافيناز احمد "(2007)أساليب التفكير والتعلم المميزة لطلاب الجامعة في ضوء مستوياتهم التحصيلية
- وتخصصاتهم الأكاديمية المختلفة" ، مجلة دراسات العلوم التربوية، مجموعة(29) ،العدد(1)، القاهرة.
- الأمين، شاكر محمود وآخرون :(1992) .أصول تدريس المواد الاجتماعية، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد..
- التميمي، عواد جاسم، :(2009) المنهج وتحليل الكتاب، مطبعه دار الحوراء، بغداد .
- جابر عبد الامير، واخرون(2005) ، مهارات التدريس، دار النهضة العربية، القاهرة.
- جابر، ليانا ، مها قرعان(2004) ، انماط التعليم النظرية والتطبيق، مؤسسة عبد المحسن القطان للطباعة والنشر، ط1، فلسطين.
- جعفور ، ربيعة وحورية ترزوات (2013) أساليب التعلم : مفهومها وابعادها والعوامل المشكلة لها حسب نموذج كولب للتعلم الخبراتي ، مجلة العلوم التربوية والنفسية، جامعة قصدي العدد (11) الجزائر.
- عطا الله ،ميشيل كامل ،طراق وأساليب التدريس
- قطامي يوسف ،سيكولوجية التدريس
- عقل أنور ،نحو تقويم افضل
- يونس فتحي واخرون،مناهج الأسس والمكونات للتنظميات
- جدول من تنظيم واعداد الباحث رقم ١ يبين أساليب التعليم الحديثة
- بدوي ،رمضان سعيد (١٠١٠)،استراتيجيات في التعلم وتقويم تعلم الرياضيات
- عفانة إسماعيل عزو ،التدريس الاستراتيجي الحديث

المصادر الأجنبية:

- Appleton Ken(1997) "Analoysis and Dessription of students Learning During science classes A constructirist –Model" soumal of Research in Science Teaching
- Beissner , k. Reigeluth, C.(1994): A Case Study on Course Sequencing with Multiple Strands Elaboration theory . performance Improvement Quarterly .Vol
- Dougiamas; M. (1998) "AJourney into construcivisM" Http : Dougianas
- Entwistle ،1981,: In Search of a Better Way to organize Instruction :The Elaboration Theory . Journal of Instructional Development
- Dougianmas M.AJurney into contrucivis M
- Got Frdson, (2008), "Comparing Exemplar and Rule-Based Theories

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

تأهيل وترميم المتحف البغدادي للحفاظ على تاريخ العراق المعاصر

م.د إيمان محمد عبد علوان
ا.م.د انس إبراهيم خلف
جامعة بغداد–كلية الاداب–قسم التاريخ
رقم الهاتف: ٠٧٨٢٢٥٢٥٨٧٢
الايميل: eman87mohmmd@gmail.com

الاستلام(Received) : ٠٤ /٠٥ / ٢٠٢٦	التعديل (Revision) : ٢٦/٠٥ / ٢٠٢٦
القبول(Accepted) : ٠٧ /٠٦ / ٢٠٢٦	النشر (Published) : ٣٠/٠٩/ ٢٠٢٦

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المستخلص:

يعدُ المتحف البغدادي من أبرز المعالم التاريخية والأثرية المهمة في وسط العاصمة بغداد، جاءت فكرة تأسيس المتحف بعد زيارة امين بغداد مدحت الحاج سري الى إيران ومشاهدته لمتحف الشمع الذي أعجب فيه ورغب ان يكون مثل هكذا متاحف اثريه في العراق ولما عاد الى العراق نفذ الفكرة التي أصبحت على ارض الواقع في عام ١٩٧٠.

والمتحف البغدادي هو عبارة عن دمى حكواتيه تروي لنا قصص حياة أهالي بغداد وتفاصيل فعاليات مهنهم وحرفهم بكل دقة.

أهمية البحث: تكمن في تسليط الضوء أهمية الحفاظ على تراث العراق المعاصر.

أهداف البحث:

١. حماية الاثار تأتي من اهم الأمور التي تحفظ كيان وهوية البلاد.
٢. البحث عن الية وطرق تأهيل المتحف بصورة حضارية وتحافظ على اثريه المكان.

الإشكالية: هذه الإشكاليات نحاول الإجابة عليها في ثنايا البحث والتي هي مايلي:

١. تتبع دور المؤسسات الحكومية المسؤولة عن المتاحف وطرق حمايتها لإثريه المكان.
٢. الترميم المستمر للمواقع الأثرية يحمي التراث من الاندثار.

قسمت الدراسة الى ثلاث مباحث: تناولت في المبحث الأول الخلفية التاريخية لانشاء المتحف البغدادي في عام ١٩٦٨، وعالجت في المبحث الثاني محتويات المتحف البغدادي

مستشهده بعدد من الصور التي تروي لنا تفاصيل المتحف وتتبعت في المبحث الثالث الطرق والوسائل لترميم وتأهيل المتحف البغدادي، وفي الخاتمة توصلت لاهم الاستنتاجات التي عالجتها في الدراسة، استخدمت العديد من المصادر التي تناولت الموضوع.

الكلمات المفتاحية (المتحف، التماثيل، دمى حكواتيه، النحت، الفولكلورية، الاثار).

Abstract:

Rehabilitation and restoration of the Baghdad Museum to preserve the history of contemporary Iraq.

The Baghdad Museum is one of the most prominent historical and archaeological landmarks in the heart of Baghdad. The idea for its establishment arose after Baghdad Mayor Midhat al-Hajj Sari visited Iran and saw a wax museum there، which impressed him greatly. He desired to establish similar archaeological museums in Iraq، and upon his return، he implemented the idea، which became a reality in 1970.

The Baghdad Museum features storytelling puppets that meticulously recount the lives of Baghdad's inhabitants and detail their professions and crafts.

The importance of this research lies in highlighting the importance of preserving Iraq's contemporary heritage.

Research objectives:

1. Protecting antiquities is paramount in preserving the nation's identity and heritage.
2. Exploring mechanisms and methods for rehabilitating the museum in a modern and aesthetically pleasing manner that preserves its historical significance.

The research problem: This research attempts to address the following issues:

1. Examining the role of government institutions responsible for museums and their methods of protecting the site's antiquities.
2. The ongoing restoration of archaeological sites protects heritage from deterioration.

The research was divided into three sections: The first section dealt with the historical background of the establishment of the Baghdad Museum in 1968، the second section dealt with the contents of the Baghdad Museum، citing a number of pictures that tell us about the details of the museum، and the third section traced the methods and means of restoring and rehabilitating the Baghdad Museum. In the

conclusion، I reached the most important conclusions that I dealt with in the research. I used many sources that dealt with the topic.
Keywords (Museum, statues, storyteller puppets, sculpture, folklore, antiquities)

المقدمة:

يعـدُ المتحـف البغـدادي مـن أشـهر وأبـرز المعـالم التاريخيـة والأثريـة المهمـة فـي وسـط العاصـمة بغـداد، جـاءت فكـرة تأسـيس المتحـف بعـد زيـارة امـين بغـداد مـدحت الحـاج سـري الـى إيـران ومشـاهدته لمتحـف الشـمع الـذي أعجـب بـه ورغـب ان تكـون هكـذا متـاحف اثريـه فـي العـراق ولما عاد الى العراق نفذ الفكرة التي أصبحت على ارض الواقع في عام ١٩٧٠.

والمتحـف البغـدادي هـو عبـارة عـن دمـى حكواتيـه تـروي لنـا قصـص حيـاة أهـالي بغـداد وتفاصيل فعاليات مهنهم وحرفهم بكل دقة.

أهمية البحث: تكمن في تسليط الضوء أهمية الحفاظ على تراث العراق المعاصر.

أهداف البحث:

١. حماية الاثار تأتي من اهم الأمور التي تحفظ كيان وهوية البلاد.
٢. البحث عن الية وطرق تأهيل المتحف بصورة حضارية وتحافظ على اثريه المكان.

الإشكالية: هذه الإشكاليات نحاول الإجابة عليها في ثنايا البحث والتي هي مايلي:

١. تتبع دور المؤسسات الحكومية المسؤولة عن المتاحف وطرق حمايتها لإثريه المكان.
٢. الترميم المستمر للمواقع الأثرية يحمي التراث من الاندثار.

قسـمت الدراسـة الـى ثـلاث مباحـث: تناولـت فـي المبحـث الأول الخلفيـة التاريخيـة لانشـاء المتحـف البغـدادي فـي عـام ١٩٦٨، وعالجـت فـي المبحـث الثـاني محتويـات المتحـف البغـدادي مستشـهده بعـدد مـن الصـور التـي تـروي لنـا تفاصـيل المتحـف وتتبعـت فـي المبحـث الثالـث الطـرق والوسـائل لتـرميم وتأهيـل المتحـف البغـدادي، وفـي الخاتمـة توصـلت لاهـم الاسـتنتاجات التـي عالجتها في البحث، استخدمت العديد من المصادر التي تناولت الموضوع.

المبحث الأول: نبذه تاريخية عن تأسيس المتحف البغدادي.

تعـودُ فكـرة تأسـيس وأنشـاء المتحـف البغـدادي الـى امـين بغـداد مـدحت الحـاج سـري، وذلـك بعـد عودتـه مـن إيـران، إذ اطلـع خـلال زيارتـه لإيـران علـى العديـد مـن المتـاحف وأعجـب بـالفكرة لاسـيما بعـد اطلاعـه علـى متحـف الشـمع والـذي كـان يحكـي قصـص عـن تـاريخ إيـران بكـل التفاصـيل، فـرأى امـين بغـداد ان ينقـل التجربـة والفكـرة الـى العـراق، فـاعوز الـى أمانـة بغـداد بإعـداد الدراسـات والمشـاريع لتنفيـذ فكـرة تأسـيس وأنشـاء المتحـف البغـدادي فـي عـام ١٩٦٨. وكـذلك تعـاون مـع مـدير العلاقـات والإعـلام فخـري الزبيـدي[١] وبمشـاركة عـدداً مـن الشخصـيات التـي سـاهمت

بتحويل بناية مطبعة ولاية بغداد التي إنشاها الوالي العثماني مدحت باشا لتكون مقرا وموقعاً للمتحف البغدادي[٢].

امر الحاج سري بتشكيل لجنة علياً لوضع خطة متكاملة لتصميم المتحف وأوعز الى الفنانين والنحاتين بإعداد التماثيل التي سوف تكون ضمن محتويات المتحف وكذلك كلف الفنان عبد الحسين محروس الذي كان شاغلاً لمنصب إدارة متحف التاريخ الطبيعي التابع لجامعة بغداد وأمره بإنجاز تماثيل لشخوص بغدادية موزعين بين حوالي خمسة وأربعون مشهداً ويمثلون أصحاب المهن والحرف البغدادية، فقد كان لعبد الحسين محروس دوراً مميزا وكبيراً في إنتاج المشاهد النحيتة[٣].

اختار مدحت الحاج سري مبنى المطبعة العثمانية مطبعة الولاية[٤] التي تقع على ضفاف نهر دجلة بالقرب من المدرسة المستنصرية وبالتحديد في محلة الدنكجية[٥] بعد استشارته لفريق العمل في دائرة أمانة بغداد، وقصد الحاج سري من فكرة تأسيس المتحف البغدادي هو لتوثيق فترة زمنية من تاريخ أهالي بغداد بكل التفاصيل المهمة والطقوس والتقاليد والمهن[٦].

حرصت أمانة بغداد على ان يكون المتحف البغدادي صورة واقعية تعكس الفولكلور الشعبي العراقي الذي ضم غالبية المعالم الحياتية لسكان بغداد الأوائل.

أوعزت أمانة بغداد بتشكيل عدد من اللجان المتخصصة لإعداد وإنشاء المتحف، إذ كلف عدداً من النحاتين لإعداد التماثيل وكذلك الرسامين لرسم اللوحات الفنية التي تجسد الواقع العراقي وكذلك المقتنيات الأثرية المهمة التي جسدت التاريخ الشعبي العراقي.

وبعد إكمال بناءه وتأهيله تم افتتاح المتحف رسمياً في الأول من كانون الثاني ١٩٧٠ من قبل الرئيس العراقي السابق أحمد حسن البكر وأمين العاصمة[٧] إبراهيم محمد إسماعيل الذي خلف اللواء مدحت الحاج سري في منصب امين عاصمة بغداد[٨].، وحرص المسؤولون في المتحف البغدادي بأن يكون تمثال الشاعر الملا عبود الكرخي مرتدياً زيه الشعبي وممسكاً بإحدى قصائده لاستقبال الداخلين من زوار المتحف، ويقف خلف باب خشبية جلبت من منزله في جانب الكرخ غرب دجلة [٩]، ومثلت مشاهد الخمس والأربعين جوانبًا مختلفة من البيئة البغدادية مثل أم الباقلاء، الملا والصبيان، خياط الفرفوري، القهوة البغدادية، المولد النبوي، الزور خانة، وغيرها الكثير من معالم الحياة البغدادية بتماثيل بالحجم الطبيعي، كما ضمَّ المتحف مكتبة بغدادية اعتبرت من اكبر المكتبات الخاصة بالكتب والمخطوطات التي كتبت عن مدينة بغداد في عصورها المختلفة وبلغات عدة[١٠].

تعرض المتحف البغدادي الى أضرار كبيرة بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ مما أدى الى أغلاقه أمام الزائرين، ولكن بعد تحسن الأوضاع الأمنية وتكوين النظام السياسي الجديد في العراق، أعيد تأهيل وترميم المتحف ليعود افتتاحه من جديد في عام٢٠٠٨[١١].

المبحث الثاني: محتويات المتحف البغدادي.

ضم المتحف البغدادي حوالي (٣٨٥) تمثالاً توزعت على (٧٧ مشهداً ثميلي) فضلاً عن كافة المستلزمات والإكسسوارات التي تحتاجها المشاهد التمثيلية. كذلك ضم عددً كبيراً من اللوحات القنينة لعدد من الفنانين الرواد مثل حافظ الدروبي وفرج عبود وغيرهم من الرواد[١٢].

حرص الحاج سري على ان تكون محتويات تجسد واقع الحياة البغدادية بكافة تفاصيلها الدقيقة فبعد التجول داخل أروقة المتحف البغدادي نجد المشاهد التي تروي كل واحدة منها واقعاً حياتياً لأهالي بغداد في تلك الحقبة لاسيما مشهد مجلد الكتب ومشهد عازف الربابة ومشهد المقهى البغدادي ومشهد الزورخانة ومشهد جراح السكاكين ومشهد الحفافة ومشهد بياع التتن ومشهد بياع الأقمشة والمصور وبياع الفرارات ومحل الحلويات ومشهد زفة العروس ومشهد الجالقي البغدادي والنداف والملا ومشهد ام المهافيف ومشهد المدلكجي ومشهد الاوتجي ام البلاقاء والحداد والسقاء[١٣].

المتحف البغدادي هو عبارة عن دمى حكواتيه تروي قصص حياة أهالي بغداد وكذلك ضم المتحف عدد كبير من القطع التراثية القيمة التي تمثل تاريخ العراق[١٤].

كما ضم المتحف البغدادي الأزياء التقليدية البغدادية الشعبية التي كان يرتديها الرجال والنساء في بغداد بما في ذلك الملابس المطرزة والملابس المخصصة للمناسبات المختلفة، فضلاً عن ضمه للأدوات المنزلية التي كان البغداديون يستخدمونها في حياتهم اليومية مثل الأواني الفخارية واداوت الطبخ والآلات الموسيقية، كما احتوى المتحف على قطعاً فنية وحرفية مثل المنسوجات البغدادية والأشغال الخشبية، بالإضافة الى احتوائها على الصور التاريخية القديمة لمدينة بغداد والتي توثق تطور المدينة[١٥].

ولأهمية الموضوع سوف أخصص المبحث الثاني للصور التي تجسد محتويات المتحف البغدادي لإعطاء الموضوع أهمية بالغة على ضرورة حماية التراث الشعبي البغدادي من الانهيار والاندثار.

(صور المشاهد التي يضمها المتحف البغدادي)




















المصدر: سرور العلي، جريدة الصباح، ٢٠٢٥/٢/٢٤.

المبحث الثالث: الطرق والوسائل لترميم وتأهيل المتحف البغدادي.

لصيانة وترميم المتحف البغدادي لابد من الاعتماد على العديد من الطرق والوسائل المتعبة في صيانة المباني التراثية والاطلاع على أحدث تجارب الدول المتقدمة في هذا المجال، لان حماية المتحف البغدادي يؤدي الى حماية تاريخ حقبة زمنية مرت على البلاد، لذلك لابد من تحديث مقتنيات المتحف البغدادي من حيث التماثيل الفولكلورية والصور واللوحات وتشكيل لجان متخصصة في هذا الشأن تضم ابرز النحاتين والرسامين والفنانين والتعاون مع كليات الفنون الجميلة لرفدهم بالمشاريع التي تحافظ على المتحف البغدادي ومن ابرز الوسائل والطرق التي تؤدي الى صيانة وترميم المتحف هي مايلي:

١. الحفاظ على اثريه المبنى الأصلي الذي كان في الأصل مبنى المطبعة العثمانية، فلذلك لابد من إعادة ترميم جدران المبنى والسقوف وفقاً لمواصفات تراثية.
٢. التطوير البئي للمبنى وذلك بإعادة تطوير الإضاءة الداخلية وتكيف قاعات العرض لمقاومة تأثير الحرارة والرطوبة على المعروضات.
٣. استبدال مادة الجبس للتماثيل المصنوعة قديماً من الجبس استبدالها بمادة المودمكس(ModMax) وهي مادة لينيه ومرنة كجسم الإنسان ومقاومة للرطوبة.
٤. تأسيس عدد من الورش التي تتولى مهمة صيانة المتحف وتكون داخل المتحف وتضم أشخاص مختصين كـ النحاتين والرسامين لإصلاح التالف منهم.

٥. الصيانة الدورية من خلال الاهتمام الدوري بنظافة مقتنيات المتحف من خلال التعاون ما بين الورشة المتخصصة ولجنة المتابعة في داخل المتحف.
٦. الاهتمام بالإضاءة لإضافة جمالية للمكان وتعطي صوراً واقعية وجمالية للمكان، وكذلك تعطي رسالة تحقيق وتعبير عن الحالة او الظرف في الفضاءات الداخلية لاسيما في فضاءات العرض للمتحف، وقد ارتبطت الإضاءة بالزمن بشكل مباشر[١٦].
٧. إعداد موازنة للمتحف وتكون ممولة من قبل الحكومة وكذلك التعاون مع المنظمات الدولية التي تعني بمهام حماية التراث والإثار مثل اليونسكو لإعادة تأهيل المتحف بصورة كاملة.
٨. التدريب وتبادل الخبرات من خلال أرسال الكوادر العراقية للتدريب في خارج العراق ولاسيما الى الدول التي تهتم بهذا الشأن لاسيما فرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية.
٩. التعاون مع الجامعات التي توجد فيها أقسام تدرس الاثار والفنون الجميلة للاستفادة من خبراتهم من خلال اطلاعهم على أحداث الدراسات التي تساهم في تطوير المباني الإثارية.
١٠. دعوة الخبراء الأجانب للاستفادة من خبراتهم في التقييم والترميم.
١١. توفير قاعات جديدة تكون أماكن استراحة للوفود والزوار وتكون بمثابة ملتقى ثقافي داخل المتحف.
١٢. التركيز على ترميم وتأهيل المتحف بشكل يمزج الماضي والحاضر للحفاظ على تراثية المتحف.
١٣. توفير مرشدين متخصصين في المتحف البغدادي لإرشاد الوفود.
١٤. إضافة لوحات جديدة تحاكي تاريخ العراقي كون التاريخ يستمر ولا يتوقف على حقبة واحدة.
١٥. ترميم البوابة الخارجية للمتحف وكذلك ترميم الشارع المؤدي للمتحف وعمل ديكورات لتعطي جمالية للمتحف كون المتحف أثرى ومكان مهم للسياحة.
١٦. منع السيارات من الوقوف جانب أبواب المتحف وجعل جدران المتحف ملائمة لأثرية الموقع.
١٧. التعاون مع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي لحث طلبة الدراسات العليا بطرح مواضيع تخص جوانب مهمة حول الية تأهيل وترميم المتاحف والحفاظ على أثريتها.

١٨. إعداد كراسات مختصرة عن المتحف البغدادي توزع على السواح للتعريف بأهمية المتحف البغدادي.
١٩. تسمية الشارع المؤدي للمتحف بشارع المتحف البغدادي لزيادة تراثية المكان.
٢٠. ضرورة إزالة التجاوزات الموجودة أمام المتحف كونه يعطي صورة غير جميلة لتراث وأهمية المكان.
٢١. ضرورة حدث جميع مؤسسات المجتمع المدني وبلديات المحافظات والمبدعين والمهتمين بإحياء وحماية التراث والإثار على تأسيس فروع للمتحف البغدادي يجسد فيه عادات وتقاليد المحافظة خلال الفترات التاريخية[١٧].
٢٢. استخدام التقنيات الحديثة لاسيما تقنية الهولوجرام والتي تستخدم أشعة الليزر في العرض المتحفي لتعمل على انبهار وشد الزائر حول المقتنيات داخل المتحف وذلك من خلال انبعاث سلسلة من الخطوط الليزرية التي تنقل الزائر وكأنه يذهب عبر الفضاء[١٨].
٢٣. يمكن توظيف الذكاء الاصطناعي في تطوير مقتنيات المتحف البغدادي.

الخاتمة:

تبين لنا من خلال دراستنا حول تأهيل وترميم المتحف البغدادي العديد من النتائج والتي أبرزها مايلي:

١. ان حماية وصيانة المتاحف مسؤولية وطنية وأخلاقية تتطلب التعاون والتنسيق بين المؤسسات الحكومية والمجتمعية.
٢. ترسيخ الوعي بأهمية التاريخ باعتبارها دليل الأمم ومتطلعها نحو الأزهار والتقدم الحضاري.
٣. يشكل المتحف البغدادي ذاكرة مجسدة دائمة تذكر الأجيال بالماضي الذي عاشته بلادهم.
٤. يجب ان يكون موضوع الاهتمام بالمتاحف من اهم المواضيع التي على الجهات المسؤولة السعي المستمر لحماية تراث العراق ولاسيما تراث المتحف البغدادي.
٥. ضرورة إضافة لوحات وتماثيل جديدة توثق الفترات التاريخية للعراق.
٦. إعداد الدراسات والبحوث الأكاديمية التي تخص مواضيع ترميم وتأهيل وحماية المتاحف والأماكن الأثرية.

قائمة الهوامش:

[١] الفنان فخري الزبيدي، ١٩٢٥-١٩٩٩، ولد في محلة الحيدر خانة في بغداد وتخرج من معهد الفنون الجميلة العام ١٩٤٧-١٩٤٨ فرع المسرح، وهو مؤسس فرقة الزبانية، عمل في أمانة بغداد وأصبح أول ضابط إطفاء في مركز إطفاء الكاظمية كما عمل في وظائف عدة. للمزيد ينظر: أحمد النقشبندي، ذكريات مع الفنان فخري الزبيدي، ملاحق المدى، ٣/١٠/ ٢٠١٨.
https// www.almada supplements .com// view. php?cat=20345.

[٢] . محمد الملحم، المتحف البغدادي بوابة لعبور الزمن العراقي، مجلة العربي الجديد، العدد ١٦١٠، السنة الخامسة، ٢٠١٩.

[٣] . حيدر عزيز جوده الطالبي، الخطاب التعبيري لمنحوتات المتحف البغدادي، جامعة بابل، كلية الفنون الجميلة، ص٨.

[٤] مطبعة الولاية: هي أول مطبعة ميكانيكية تدار بالبخار، وكانت تنتج (٣٥٠٠) ورقة في الساعة، جلبها الوالي العثماني مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢)، وأطلق عليها مطبعة الولاية أدت دورًا كبيرًا في خلق الوعي الفكري والاجتماعي في العراق، للمزيد ينظر: خالد حبيب الراوي تاريخ الصحافة والإعلام في العراق منذ العهد العثماني وحتى حرب الخليج الثانية، دمشق، دار صفحات للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٠، ص ١٤٩-١٥٠. ورفائيل بطي، الصحافة في العراق، مؤسسة هنداوي، دستور المملكة المتحدة، ٢٠١٧، ص ١٤.

[٣] محلة الدنكجية: أنّ تسمية محلة الدنكجية بهذا الاسم يرجع إلى وجود الدنك، وهو جهاز كان منصوبًا في دكان في عكد الصخر بالقرب من سوق الصفافير، يستعمل لفصل السحالة عن حبات التمن(الرز)، وكان يستعمل لتهبيش الرز بكميات كبيرة حتى أنّ صوت الدنك كان يصل إلى مسافات بعيدة فيوقظ مضاجع السكان، ولم يبقَ من الدنك اليوم أي أثر، حتى أبنية المحلة قد تغيرت بفعل تغير العمران وتطوره. للمزيد ينظر: أمين المميز، بغداد كما عرفتها، بغداد، دار آفاق عربية للصحافة والنشر، ١٩٨٣، ص ٩٠.

[٦] . عقيل مكي كاظم، واقع المتاحف العراقية ودورها الثقافي والاقتصادي للمدة من عام ١٩٨٠ ولغاية ٢٠٠٣، مجلة كلية الإسراء الجامعة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد ٧، العدد ١٣، السنة ٢٠٢٥، ص١١٠.

[٧] عبد الحميد العلوجي ، المصدر السابق، ص١ .

[٨] . بشير زوهدي، المتاحف، وزارة الثقافة، العراق، ١٩٨٨، ص٥١.

(٤) خليل جليل، المتحف البغدادي، ينتظر: انتهاء الترميم وأسباب الأمن، صحيفة الوسط، الأربعاء، ٢٥ أكتوبر، ٢٠٠٦، العد ١٥١١.

(١٠) دليل جمهورية العراق السياحي، وزارة الثقافة، دائرة العلاقات الثقافية العامة، ٢٠١٢ .

(١١) . محرر فضاءات، المتحف البغدادي يفتح أبوابه مجدداً بعد أغلاق دام خمسة أعوام، العدد ٢١٩٧، ١١/ أيلول/٢٠٠٨.

(١٢) . كمال طارق، المتحف البغدادي جولة رائعة بين عادات وتقاليد ومهن بغداد القديمة، مجلة كل الأسرة، ٦/ تشرين الثاني/ ٢٠٢٣.

(١٣) . رامي فارس الهركي، المتاحف العراقية تاريخ يقاوم التدمير، مجلة العرب، العدد ١٣٤٩٩٣، السنة ٤٧، ٢٠٢٥/٥/٢١.

(١٤) . احمد علي موسى، أبحاث في التراث الشعبي، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ١٩٨٦، ص٢٣.

(١٥) . امل معري، علم المتاحف، جامعة ميتشغان، ١٩٩٩، ص٦٣.

(١٦) . زينب فهد عبد السادة، إثر الإضاءة على كفاءة العرض في المتحف البغدادي بين الإيهام والحقيقة، مجلة العلوم التربوية والإنسانية، العدد ٤٠، تشرين الأول ٢٠٢٤، ص١٧٨.

(١٧) . متحف انثوغرافي لكل مدينة، جريدة المدى، العدد ٢٢٠، ٦ تشرين الأول/ ٢٠٠٤، ص١١.

(١٨) . شيماء حميد رشيد، أنثروبولوجيا الرقمية ودورها في تطوير العروض المتحفية دراسة تحليلية للمتحف العراقي، مجلة الجامعة العراقية، المجلد ٢٢، السنة ٢٠٢٥، ص٤٨.

قائمة المصادر:

اولاً: المواقع الإلكترونية:

- ✓ https// www.almada supplements .com// view. php?cat=20345.

ثانياً: المصادر العربية:

- ✓ أحمد النقشبندي، ذكريات مع الفنان فخري الزبيدي، ملاحق المدى، ٣/١٠/ ٢٠١٨.
- ✓ احمد علي موسى، أبحاث في التراث الشعبي، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ١٩٨٦.
- ✓ امل معري، علم المتاحف، جامعة ميتشغان، ١٩٩٩.

- ✓ أمين المميز، بغداد كما عرفتها، بغداد، دار آفاق عربية للصحافة والنشر، ١٩٨٣.
- ✓ بشير زوهدي، المتاحف، وزارة الثقافة، العراق، ١٩٨٨.
- ✓ حيدر عزيز جوده الطالبي، الخطاب التعبيري لمنحوتات المتحف البغدادي، جامعة بابل، كلية الفنون الجميلة.
- ✓ خالد حبيب الراوي تاريخ الصحافة والإعلام في العراق منذ العهد العثماني وحتى حرب الخليج الثانية، دمشق، دار صفحات للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٠.
- ✓ خليل جليل، المتحف البغدادي، ينتظر: انتهاء الترميم وأسباب الأمن، صحيفة الوسط، الأربعاء، ٢٥ أكتوبر، ٢٠٠٦، العد ١٥١١.
- ✓ دليل جمهورية العراق السياحي، وزارة الثقافة، دائرة العلاقات الثقافية العامة، ٢٠١٢ .
- ✓ رامي فارس الهركي، المتاحف العراقية تاريخ يقاوم التدمير، مجلة العرب، العدد ١٣٤٩٩٣، السنة ٤٧، ٢٠٢٥/٥/٢١.
- ✓ زينب فهد عبد السادة، إثر الإضاءة على كفاءة العرض في المتحف البغدادي بين الإيهام والحقيقة، مجلة العلوم التربوية والإنسانية، العدد ٤٠، تشرين الأول ٢٠٢٤.
- ✓ شيماء حميد رشيد، أنثروبولوجيا الرقمية ودورها في تطوير العروض المتحفية دراسة تحليلية للمتحف العراقي، مجلة الجامعة العراقية، المجلد ٢٢، السنة ٢٠٢٥.
- ✓ عقيل مكي كاظم، واقع المتاحف العراقية ودورها الثقافي والاقتصادي للمدة من عام ١٩٨٠ ولغاية ٢٠٠٣، مجلة كلية الإسراء الجامعة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد ٧، العدد ١٣، السنة ٢٠٢٥.
- ✓ كمال طارق، المتحف البغدادي جولة رائعة بين عادات وتقاليد ومهن بغداد القديمة، مجلة كل الأسرة، ٦/ تشرين الثاني/ ٢٠٢٣.
- ✓ متحف انثوغرافي لكل مدينة، جريدة المدى، العدد ٢٢٠، ٦ تشرين الأول/ ٢٠٠٤.
- ✓ محرر فضاءات، المتحف البغدادي يفتح أبوابه مجدداً بعد أغلاق دام خمسة أعوام، العدد ٢١٩٧، ١١/ أيلول/٢٠٠٨.
- ✓ محمد الملحم، المتحف البغدادي بوابة لعبور الزمن العراقي، مجلة العربي الجديد، العدد ١٦١٠، السنة الخامسة، ٢٠١٩.
- ✓ ورفائيل بطي، الصحافة في العراق، مؤسسة هنداوي، دستور المملكة المتحدة، ٢٠١٧.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

تداعيات مشكلة الأسلحة النووية السوفيتية الموروثة في أوكرانيا (ازمة القرم ٢٠١٤ انموذجاً)

أحمد خماط صابر

أ.د فرقد عباس قاسم

جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

الاستلام(Received) : ١٦ /١١/ ٢٠٢٥	التعديل (Revision) : ٢٠٢٥ / ١١/٢٩
القبول(Accepted) : ١٦ /١٢/ ٢٠٢٥	النشر (Published) : ٢٠٢٦/ ٠٩/٣٠

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

ملخص البحث :

لم تكُن الأزمة التي انفجرت في أواخر عام ٢٠١٣ حدثًا مُنفصِلًا ، بل امتداد لحالة عدم الاستقرارّ والتداعيات السياسيّة والعسكريّة التي شهدتها أُوكرانيا منذ تفكُّك الاتِّحاد السوفيتيّ ، وسحب أسلحتها النوويَّة آنذاك ، إذْ عَدَّت أُوكرانيا ((**المحفظة**)) للترسانة النوويَّة في الاتِّحاد السوفيتيّ السابق، وسَعَت روسيا الاتحادية والدول الغربيَّة إلى نزع سلاح أُوكرانيا النوويّ ، وفعلاً هذا ما حدث ، ولاسِيَّما بعدَ سلسلةٍ من الاتِّفاقيَّات والمُفاوضات ، نتجتْ عن إعادةُ الرؤوس النوويَّة ، مُقابل ضماناتٍ دوليَّة لحماية أمنِها القوميّ التي عُرفت بمذكَّرة بودابيست عام ١٩٩٤.

الكلمات المفتاحية : الأسلحة النووية الاوكرانية , مذكرة بودابيست , ازمة القرم .

The Repercussions of the Problem of Soviet Nuclear Weapons Inherited in Ukraine(The 2014 Crimean Crisis as a Model)

Researcher:Ahmed Khamat Saber

Prof.dr. Farqad Abbas Qasim

Dept. of History, College of Education for Human Sciences, University of Basrah

Abstract:

The crisis that erupted in late 2013 was not an isolated event, but rather an extension of the instability and political and military repercussions that Ukraine has witnessed since the disintegration of the Soviet Union and the withdrawal

of its nuclear weapons at the time. Ukraine was considered the "custodian" of the nuclear arsenal of the former Soviet Union, and both the Russian Federation and Western countries sought to denuclearize Ukraine. Indeed, this is what happened, especially after a series of agreements and negotiations resulted in the return of nuclear warheads in exchange for international guarantees to protect its national security, which became known as the Budapest Memorandum of 1994.

Keywords: Ukrainian nuclear weapons, Budapest Memorandum, Crimean crisis.

المقدمة :

تُعدُّ الأسلحة النوويَّة الصاروخيَّة الموجودة في الأراضي الأُوكرانيَّة بحلول عام ١٩٩١، جزءً من القُوَّات المُسلَّحة لاتِّحاد الجمهوريات السوفياتيَّة ، وتابعةً لمَهَام التخطيط والسيطرة العسكريَّة السوفيتيَّة ، وكانت تمتلكُ أقوى تشكيلات قُوَّات الصواريخ الاستراتيجيَّة ، المُتمثِّلَ بجيش الصواريخ الثالث والأربعين ، فَقَدْ صمَّمت أنظمتها في الثمانينات مُوجَّهةً نحو الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة ، إذْ بلغ مَداها ١٠ آلاف كيلومتر ، وشملت الترسانة النوويَّةَ في الأراضي الأُوكرانيَّة أسلحةً نوويَّةً تكتيكيَّة، وقاذفاتِ صواريخ باليستيَّة عابرةٍ للقارات ،وقاذفاتٍ استراتيجيةٍ ،ومُستودعاتٍ تحتوي على مئات الرؤوس النوويَّة ، إذ بلغ إجماليُّ القُوَّةِ الاستراتيجيَّة نحو ١٧٦ صاروخ باليستيٍّ [١]، منها ١٢٠ صاروخًا من نوع SS-19 ، كلّ واحد منها يحمل ستَّة رؤوس حربيَّة نوويَّة، و٥٦ صاروخًا من نوع SS-24 ، كلّ واحد منها يحمل ١٠ رؤوس حربيَّة نوويَّة، فضلًا عن أنَّ تلك الرؤوس الحربيَّة النوويَّة كانت بعيدة المدى، وكانت هناك ترسانةٌ كبيرة من الأسلحة التكتيكيَّةً ، تشمل القنابل والصواريخ وقذائف المدفعيَّة والألغام الأرضيَّة ورؤوسًا حربية للدفاع الجوي والأسلحة البحريَّة[٢]. وأعلنت أُوكرانيا مَلَكيتَها لتلك الأسلحة ، وإخضاع جميع الوحدات العسكريَّة المُنتشرة على أراضيها[٣]، لمنحها قيمةً ردعيَّةً ضِدّ بقية الدول المُنافِسة لها، ولاسِيَّما أنَّ الأصول العسكريَّة – كما أشرنا– شملتْ١٧٦صاروخا باليستيًّا عابرا للقارات ، وكانت مُسَلَّحةً ب ١٢٤٠ راساً نووياً، فضلا عن ٤٤ قاذفة استراتيجيَّة، وحوالي ٢٦٠٠ سلاح نوويٍّ تكتيكيٍّ ، بما في ذلك قذائف المدفعيَّة ، ومصانع للصواريخ الباليستية ،مثل مصنع بيفدينماشBefdenmash في دنيبروبتروفسك ، الذي أنتج وحده ٤٦ صاروخًا من أصل ١٧٦ صاروخ منتشر في أُوكرانيا [٤].

وبعد سلسلة من المفاوضات واللقاءات المستمرة والجدالات حول ملكية تلك الأسلحة ، استمرت قرابة ثلاث سنوات بعد الاستقلال ، انتهت بتوقيع مذكرة بوادبيست التي انهت نقل الأسلحة الى روسيا الاتحادية ، وتكوَّنت المذكَّرة التي وُقِّعَتْ مِنْ رؤساء الولايات المتَّحدة الامريكية وروسيا الاتِّحاديَّة وأُوكرانيا وبريطانيا مِنْ مُقَدَّمَةٍ و٦ بنود ، نَصَّتْ على تأكيد جميع الدول المُوقَّعة على المذكَّرة لالتزاماتها بمبادئ الوثيقة الختاميَّة لمُؤتمر الأمن و التعاوُن في أُوربا ، واحترام الاستقلال والسيادة والحدود آنذاك لأُوكرانيا ، وأكَّدتِ الدول على التزامها بالامتناع عن التهديد باستعمال القُوَّةِ ضدّ السلامة الإقليميَّة والاستقلال السياسيّ لأُوكرانيا ، وأنَّها لن تستخدم أيًّا من أسلحتِها ضدّ كييف ، غيرَ أنَّه في حالة الدفاع عن النفس ، أو أيّ استخدام آخر لا يُوافِقُ عليه ميثاق الأُمَمِ المتَّحدة ، وأكَّدتِ الولاياتُ المتَّحدة وبريطانيا وايرلندا وروسيا الاتِّحادية مِن جديدٍ على التزاماتها تِجاهَ أُوكرانيا ، على وفق المبادئ الختاميَّة لِمؤتمر الأمن والتعاوُن في أُوربا ، وبالامتناع عن أيّ عملٍ اقتصاديّ يهدف إلى إخضاع أُوكرانيا لمصالح تلك الدول ، وتتعهَّد الدولُ المُوقِّعة على المذكَّرة بالتأكيد على التزامها بطلب إجراءٍ فوريٍّ من مجلس الأمن الدوليّ لتقديم المُساعدة لأُوكرانيا ، كدولةٍ غيرِ حائزةٍ للأسلحةِ النوويَّة ، وطرف في مُعاهدة عدم انتشار الأسلحة النوويَّة ، إذا وقَعت أُوكرانيا ((**ضحيَّةً لعملٍ عُدوانيّ**)) ، أو هَدفًا لعُدوان اُستخدِمت فيه الأسلحةُ النوويَّةُ ، وتأكيد الجميع التزامه بعدم استخدام الأسلحة النوويَّة ضدّ أيَّةِ دولة غيرِ حائزة للاسلحة النوويَّة ، وطرف في مُعاهدة الحدِّ من انتشار الأسلحة النوويَّة ، إلَّا في حالاتٍ ، أبرزُها الهجوم على أراضيها أوأقاليمها أوالتابعةِ لها، أوقُوَّاتها المُسلَّحة أوحُلفائها ، مِنْ جانب تلك الدولِ بالاشتراكِ أو التحالُف مع دولةٍ حائزةٍ على أسلحةٍ نوويَّةٍ ، وأخيرًا تتشاور الدولُ المُوقِّعة عند ظهور أيَّةِ مُشكلة تضعُ هذه الالتزاماتِ موضعَ تساؤُل وشَكٍّ [٥].

ثانيا : أسباب الازمة :

حظيت الازمة الأُوكرانيَّة – الروسيَّة باهتمام كبير لأسبابٍ عِدَّة ، أبرزُها أهميَّة أُوكرانيا للغرب بصورة عامَّة، ولروسيا الاتحادية بشكلٍ خاصّ ، فضلًا عن الأهميَّة الاقتصاديَّة والاستراتيجيَّة . فَمِنَ الناحية الاستراتيجيَّة والعسكريَّة تُطِلُّ شبه جزيرة القرم على شريطٍ طويلٍ من سواحل البحر الأسود الشماليَّة ؛ لذا تتحكَّم بمرور السفن الواصلة إلى عديدٍ من المَوانئ الروسيَّة والأُوكرانيَّة على حَدٍّ سواء . أمَّا مِنَ الناحية العسكريَّة فإنَّهُ على الرَغْمَ من التواجُد العسكريّ الروسيّ الكبير في قاعدة سيفاستوبول ، التي ضمَّت الآلاف من قُوَّاته البحريَّة ، فَقَدْ تواجدت قُوَّات عسكريَّة صغيرة أُوكرانيَّة ، ضمَّت أكثر من ١٥ قاعدةً عسكريَّة أُوكرانيَّة بحرية ، جعل الروسُ والأُوكرانيّون يدخلون في تنافسٍ عسكريٍّ بُغية الحصول على مواقع استراتيجيَّة عسكريَّة هناك [٦].

شهدت أُوكرانيا تطوّراتٍ سياسيَّةً خطيرةً تمثَّلت في عزل الرئيس فيكتور يانوكوفيتش Viktor Yanukovych الموالي الى روسيا الاتحادية عام ٢٠١٤ ، وعُيِّن محلة الكسندر تورتشينوف Alexander Turchinov ذو التوجهات الغربية رئيسًا مُؤقَّتًا للبلاد مَكانَهُ لحين إجراء انتخاباتٍ رئاسيَّةٍ جديدةٍ ، حُدِّدت في ٢٥ حزيران ٢٠١٤ ، و كَانَ أوَّلُ عمل قام به الرئيس المُؤَقَّت استعادةَ دُستور عام ٢٠٠٤ ، و تغيير الحكومة ، إذ أقالَ رئيسَ الوزراء ميكولا ازاروف Mykola Azarov ، وعَيَّن ارسيني ياتسينيوك Arseniy Yatsenyuk بَدَلًا عنه [٧]، مع إلغاء قانون الأقليَّات في ٢٣ شباط من العام نفسه ، الذي شمل اللغةَ الروسيَّةَ ، وأعلن اللغةَ الأُوكرانيَّة اللغةَ الرسميَّةَ والوحيدةَ في البلاد، بعد أنْ سمح سابقا أنْ تكونَ اللغةُ الروسيَّةُ لغةً رسميَّة في المناطق التي يُشكِّل فيها الناطقون أغلبيَّة ، مَمَّا أثار الغضب في مناطق عِدَّة ، أبرزها دونباس والقرم ، فضلًا عن منح عفو شامل للمُتظاهرين والمحتجِّين الذين شاركوا في الاحتجاجات [٨].

عَدَّتْ موسكو هذا الأمر بمثابة (**إهانةٍ لها**)، ورأتْ أنَّ الغرب أخلف في وعوده السابقة لها، وهيَ أنَّ حلف الناتو لن يتوسَّع إلى ما بعد حُدود ألمانيا ، حيثُ وجدت روسيا الاتِّحاديَّةُ أنَّ حُدودها ستكونُ مُلاصِقةً لدول ذلك الحلف ، ومِنْ ثَمَّ تهديد واضح لمصالحها وأمنِها ، وهذا الأمر أتى بسببِ الضعف التي عانته روسيا الاتِّحاديَّة بعد تفكُّك الاتِّحاد السوفيتيّ ، مِمَّا فسح المجالَ للدول الغربيَّة والولايات المتَّحدة الامريكية لاستقطاب حُلفائها الجُدُد وشركائها من دول الاتِّحاد السوفيتيّ السابق ، وتفاقمت مَخاوف روسيا الاتِّحاديَّة من تهديد الحلف الأطلسيّ ، عندما تدخلُ عسكريًّا في أزمة كوسوفو سابقاً[٩] .

أثار استياءُ السكَّان هذا التغييرُ ، لاسِيَّما سكَّان المناطق الواقعة في شرق البلاد وجنوبها ، إذْ جاء هذا القرار لِيَصُبَّ الزيتَ على النار في تلك المناطق ، واستاءت كثيرًا من تلك التغييرات، ولاسِيَّما في عاصمتهم ، فانطلقوا بتظاهُرات ، وكان معظمهم ينتمون للقوميَّة الروسيَّة ، وقَد ندَّدوا بالأحداث الجارية في العاصمة كييف ، وطالبوا اتِّحادهم مع روسيا الاتِّحاديَّة ، وإعطاءهم حكمًا ذاتيًّا مُوسَّعًا ، أوِالاستقلال عن الجمهورية الأُوكرانيَّة . وبالمقابل كانت هناك مظاهرات في أُوكرانيا تدعو للانضمام إلى الاتِّحاد الأُوربيّ والمعسكر الغربيّ [١٠].

وَتَوافَّرت مجموعةٌ من الأسبابِ غيرِ المُباشرة التي أدَّت إلى حُدوث تلك المشكلة ، وقفت خلفها الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة ؛ بُغية عَدِّ أُوكرانيا الحصنَ الحصينَ غربيًّا على الحدود مع روسيا الاتحادية ، وتمَّت هذه من خلال أربع مُنطلقات ، هِيَ :

الأَول: تحويل أُوكرانيا إلى ديمقراطيَّة ليبراليَّة مُوالية للغرب .

الثاني : ترسيخ مبدأ دمج أُوكرانيا في الاتِّحاد الأوربيّ .

الثالث : السعي لإفشال مشروع خطِّ نقل الطاقة الروسيّ نورد ستريم ٢من جانب الولايات المتَّحدة

الرابع : دمج أُوكرانيا في الناتو [١١].

أمَّا الأسباب المُباشرة التي أَدَّت لتُدخِلَ روسيا الاتِّحاديَّة في إقليم القرم ، فهي :

١ : الأسباب المعلنة : تمثَّلت هذه الأسبابُ بحِماية المُواطنين من الأصل الروسيّ ،ولاسِيَّما الذين يسكنون في جزيرة القرم ، إذْ شكَّلوا حوالي ٦٠ % من إجماليّ سكَّان الجزيرة ، ومُطالبة حاكم مدينة القرم الأُوكرانيَّة سيرجي اكسيونوف Sergei Aksyonov ، بمساعدتهم ((**لاستعادة الأمن و الهدوء**)) في المنطقة ،وحماية القاعدة العسكريَّة في شبه جزيرة القرم (ميناء سيفاستوبول) الذي مثَّل أهميَّةً قُصوى للأمن القوميّ الروسيّ ، ولاسيما أنَّهُ يضمُّ أكبر أُسطولٍ بحريٍّ آنذاك ، يُشكِّل قاعدةً نحو التوجُّه إلى المياه الدافئة في البحر المتوسِّط ، وأهميَّتها أنَّها تُؤمِّن التواصُل مع القاعدة الروسيَّة المُتواجِدة في ميناء طرطوس السوريّ [١٢]

٢ : الأسباب غير المعلنة : فالموقع الاستراتيجي لأُوكرانيا وتمتُّعها بالثروات ، فضلًا عن إشرافها على البحر الأسود ، واعتماد أُوكرانيا على الطاقة الروسيَّة ، فهي تُعَدُّ أكبرَ مُستهلِكٍ للطاقة بأُوربا ،ومُستورِدةٍ للغاز والنفط من روسيا الاتِّحاديَّة ، وتُعَدُّ أُوكرانيا مَعبَرًا لمُرور الغاز الروسيّ الرئيسيّ إلى الدول الأُوربيَّةِ ؛ لِأَنَّ هذا الأمرَ يُقَصِّر المسافات ، ويُقلِّل التكاليفَ ، وهو مَورد مُهمٌّ للاقتصاد الروسيّ ، لهذا أرادتِ الأخيرةَ المُحافَظة على هذا الطريق وتأمينِهِ بصورةٍ كاملةٍ [١٣] .

ثانيا : التدخل الروسي في شبه جزيرة القرم :

إنَّ السيطرةَ الروسيَّة على شبه جزيرة القرم في عام ٢٠١٤، جاء مَدروسًا ومحسوبًا ، فمِنْ ناحيةٍ هو بابٌ للحفاظ على الأمن القوميّ الروسيّ ، إذ أفادت مِنْهُ روسيا الاتِّحاديَّة وأُسطولها في الوصول والتقدُّم في المياه الدافئة ، ومِنْ ناحيةٍ أُخرى دمج أُوكرانيا في مُعاملاتِ روسيا الاتحادية وسيطرتها عليها مع الموارِدِ في البحر الأسود يُفسِح لروسيا المجال بأنْ تُصبِح امبراطوريَّة قويَّة في أُوربا وآسيا فتُعَدُّ أُوكرانيا جوهرةَ التاج لروسيا الاتحادية[١٤].

حاول فلاديمير بوتين Vladimir Putin منذ حدوث الأزمة في عام ٢٠١٤ ، التأثيرَ بصورةٍ مُباشرةٍ على أيَّةِ اتِّفاقاتٍ بين المُعارضين وحكومة يانكوفيتش المُوالية لروسيا الاتِّحاديَّة ، إذْ عَدَّ انهيار الحكومة الأُوكرانيَّة تهديدًا للأمن في روسيا ، وبِنَاءً على ذلك قامَ بمجموعةٍ من الإجراءات ، أبرزُها : حماية القواعد الروسيَّة في شبه جزيرة القرم ،وتأمين وحماية الأقليَّات الروسية الموجودة في أُوكرانيا ، وتشجيعهم على ((**التمرُّد**)) على السلطة هناك ، وبعد ضمّ شبه جزيرة القرم ، انطلقت روسيا الاتِّحاديَّة من خلال تفاوضها من منطق القُوَّة ، فبَعْدَ الاحتلال تَمَّ تحديثُ الأُسطول الروسيّ المُتواجِد في تلك المنطقة ، لكونِ التَّحديثِ في السابق كان مقيَّدًا ، وهذا الأمر أدَّى إلى تحدٍّ جديد يُضَاف للولايات المتَّحدة الأمريكيَّة وحلف الناتو ؛ لِأَنَّ هذا التحديث في الأُسطول قَدْ يُؤدِّي إلى مَدِّ نفوذه على الممرَّات المائيَّة الدوليَّة [١٥].

وفي تلك الأثناء عَقَدَ البرلمان الأُوكرانيّ عديد من الجلسات لمُناقشة التدخُّل في الشأن الأُوكرانيّ ، وفي الجلسة السابعة في٢٧ شباط ، صرَّح النائب تيانيبوك أوياTianyibok Oya" **أنَّه على وفق مذكَّرة بودابست ، لدينا دولٌ ضامنةٌ : الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة ، وبريطانيا العُظمى ، وروسيا الاتحاديَّة. وقَد انتهكت روسيا الاتحاديَّة هذه المذكَّرة ، علينا أنْ نُناشِد تلك الدولَ رسميًا للحفاظ على وحدة أراضي أُوكرانيا وسلامتها الاقتصاديَّة والسياسيَّة**"[١٦]

ولا شَكَّ أنَّ تلك التطوّرات أثارتْ قلقَ روسيا الاتِّحاديَّة ،وفكَّرتْ في اتِّخاذ عملٍ عاجلٍ ، لهذا طَلب الرئيسُ الروسيّ بوتين من مجلسِ الاتِّحاد الروسيّ المُوافقة على استعمال قُوَّاته المُسلَّحة في أُوكرانيا ، وَحَقًّا تمَّتِ الموافقة على طلبه في ١ آذار ٢٠١٤ ، من أجل التدخُّل في مناطق شرق أُوكرانيا ، وإقليم القرم [١٧] . وعلى ضوء ذلك ، وصلت قُوَّات عسكريَّة محدودة إلى شبه جزيرة القرم ، وسيطرت عليها دونَ إراقةِ أيَّةِ دماء تُذكرُ ، بسبب استخدامها قُوَّاتها المتمركزة ، ودعمٍ من المليشيات الموجودة في مناطق شبه الجزيرة ، إذْ تمَّت مُحاصرةَ القُوَّاتِ الأُوكرانيَّة آنذاك ، وهدفت العمليةُ إلى فصل شبه جزيرة القرم عن بقيَّة مناطق أُوكرانيا بأقلِّ عنف، وبأسرع وقتٍ تمهيدًا لضمِّها إلى روسيا الاتِّحاديَّة[١٨] [١٩]، وأغرقَ الأُسطولُ الروسيُّ سفينتين أُوكرانيتين بالقرب من ميناء نوفوزيرنNovozeren [٢٠] .

ثالثا : الموقف الدولي والمحلي من الازمة :

لعبت عواملُ اقتصاديَّة وأمنيَّة دورًا كبيرًا في تحديد مواقف الدول الأُوربيَّة الغربيَّة من أزمة القرم ، فقد شكَّلت أُوكرانيا للدول الأُوربيَّة حافزًا اقتصاديًّا مُهِمًّا ، إذْ أنَّ الغاز الروسيّ يمرُّ إليها عبرَ أُوكرانيا ، وكان الاتِّحادُ الأُوربيّ يأملُ في تحقيق عوائد مالية ، مِنْ خلال ازدياد التبادُّل التجاريّ وايجاد فُرصٍ استثمارية في أُوكرانيا ، وفتح أسواقها أمام المُنتجاتِ الأُوربيَّة ، فضلًا عن اعتماد أغلب الدولِ الأُوربيَّة على قطاع الزراعة والمُنتجاتِ الغذائيَّة الأُوكرانيَّة ، وصناعة السيَّارات [٢١].

دعتْ مسؤولةُ السياسة الخارجيَّة بالاتِّحاد الأُوروبيّ كاثرين أشتونCatherine Ashton إلى عَقد اجتماع "**استثنائيٍّ**" لمجلس الشؤون الخارجيَّة بالاتِّحاد الأُوروبيّ في بروكسل في مطلع آذار ٢٠١٤، هذا من جانبٍ ، ومِنْ جانبٍ آخر أشارَ وزيرُ الخارجيَّة البريطانيّ وليام هيغ William Hague إلى إنَّهُ استدعى السفير الروسيَّ في لندن لعقد اجتماع ، وقَدْ تشاورَ هاتفيًّا مع نظيرِهِ الألمانيّ ، وجدَّد دعوته للحكومةِ المُؤقَّتة في أُوكرانيا إلى تنفيذ اتِّفاقيَّة الأمن التي وقَّعتها عام ١٩٩٤ مع الولايات المتَّحدة الامريكية وبريطانيا وروسيا الاتِّحاديَّة ، إذ قال : "**إنَّ بريطانيا تدعمُ المُشاورات بموجب شروطِ تلك الاتِّفاقيَّة ، وهي "مذكَّرة بودابيست"، التي نقلتْ أُوكرانيا بموجبها أسلحتَها النوويَّةَ التي تعود إلى الحقبة السوفييتيَّة إلى روسيا الاتِّحاديَّة للتخلُّص منها، التي تعهَّد الموقِّعون فيها على المذكَّرة بالحفاظ على وحدة أراضي أُوكرانيا ،وإخضاع أيّ نزاعٍ للتشاوُر فيما بينهم**" [٢٢]

وبعد يومين أعرب وزيرُ الخارجيَّة الأمريكيّ جون كيري John Kerry عن غضبه الشديد من التدخُّل الروسيّ ، قائلاً : "**إنَّ روسيا الاتِّحاديَّة تنتهكُ التزاماتِها بموجب ميثاق الأُمَمِ المتَّحدة ، وبموجب وثيقة هلسنكي الختاميَّة ، وإنَّها تنتهكُ التزاماتِها بموجب اتِّفاقية بودابيست لعام ١٩٩٤**" (٢٣)

أمَّا الولاياتُ المتَّحدة الأمريكيَّة فكانت دوافعُها استراتيجيَّة وأمنيَّة ، وتبَّنت في بدايةِ الأزمة الوسائلَ الدبلوماسيَّة ، واقترحتْ أنْ تكونَ الأُمَمُ المتَّحدة كوسيط بينَ المُعارضة الأُوكرانيَّة والرئيس يانوكوفيتش، لكنَّ الاقتراحَ لم يُنَفَّذْ ؛ بسبب عدم مُوافقة الاتِّحاد الأُوربيّ آنذاك ، ولكنْ بعد التدخُّل العسكريّ الروسيّ في شبه جزيرة القرم ، ((**وخرقها لالتزاماتها**)) التي وردتْ بمذكَّرة بودابيست عام ١٩٩٤، طالبتِ الولاياتُ المتَّحدة روسيا الاتِّحاديَّةَ بسحب القُوَّات العسكريَّة المُتمركِزَةِ هناك ، أو أنَّها ستفرض عُقُوباتٍ اقتصاديَّةٍ ضدّها ، وبالفعل فُرِضَتْ عليها عُقُوباتٌ فيما بعد (٢٤).

عَدَّ وزيرُ الدفاع الأمريكيّ تشاك هيغلChuck Hagel دخول القوات الروسية الى القرم بمثابة ((**فشل ذريع**)) في سياسة الولايات المتَّحدة ورئيسها باراك أُوباما ، مِمَّا اضطرَّه إلى تقديمِ استقالته لاحقاً في تشرين الثاني ٢٠١٤(٢٥). ولم يكن الموقف الأمريكيّ في الأزمة يهدف إلى ((**تحقيق الديمقراطية**))في أُوكرانيا ، بل لأجلِ الحُصول على حكوماتٍ مُواليةٍ لها ، إذْ أدركت الولاياتُ المتَّحدةُ أنَّ تدخُّلَها في الأزمة بين أُوكرانيا وروسيا الاتِّحاديَّة سيُمكِّنُها مِنْ تواجُد حلفِ الناتو في منطقة وسط أُوربا وشرقها ، ابتغاءَ احتواءِ روسيا الاتحادية هناك ، وهذا ما تبيَّن من تحذير الرئيس الأمريكيّ باراك أُوباما Barack Obama لروسيا الاتِّحاديَّة في آذار قائلًا " **إذا ما استمرَّت روسيا الاتحادية في التصعيد في أُوكرانيا ، فإنَّهُ ليس أمامَنا من خيار سوى الاستمرارّ في ضمّ أُوكرانيا إلينا، وعزل روسيا الاتِّحاديَّة عن العالم دُبلوماسيًّا واقتصاديًّا ، وإنَّ ما تقوم بِهِ روسيا الاتحادية يُشكِّل انتهاكًا للقانون الدوليّ** "(٢٦).

علاوة على ذلك تبنت بعضُ الدولِ الأُوربيَّة عقوبات أقتصادية ودبلوماسية ضد روسيا الاتحادية ، على الرغم من عدم إجماعُها عليها، وابرز تلك العقوبات الدبلوماسيَّة هي منع تأشيرات الدخولِ لدى دولِ الاتِّحاد الأوربيّ ، ويرجع التفاوُتُ في المواقف بين دولِ الاتِّحاد الأُوربيّ حولَ العقوباتِ الاقتصادية إلى الأهميَّة الاقتصاديَّة لروسيا الاتِّحاديَّة عند كُلِّ دولةٍ أُوربيَّة آنذاك . فعلى سبيل المثالِ ، أعلنت فرنسا وبريطانيا إيقافَ التعاوُن العسكريّ مع روسيا الاتِّحاديَّة ، إذْ ألغت المناوراتِ البحريَّة المشترَكة ، فضلًا عن إلغاء بريطانيا عَقْد مشروعِ زيادةِ السفنِ الحربيَّة إلى روسيا الاتِّحاديَّة . أمَّا ألمانيا فرأتْ ألَّا جَدوى من العقوبات الاقتصاديَّة ، بسبب مصالحها الاقتصاديَّة بين البلدين ، إذ خشيت من إغلاق خَطِّ أُنبوب الغاز الذي يَربطها مع روسيا الاتِّحاديَّة ، لكنِ أكَّدتْ بعضُ الدول، وَأبرزُها السويد وبولندا ، على أهميَّة فرضِ العقوبات الاقتصاديَّة على روسيا الاتحادية (٢٧).

وشملت إجراءاتِ الاتِّحاد الأُوربيّ أيضًا فَرض عُقوبات على ٣٣ فَرداً من مَسؤولي روسيا الاتِّحاديَّة ، مِنْ بينهم رجالُ أعمال ، والسعي إلى طرد روسيا الاتِّحاديَّة من مجموعةِ دول الثماني الكُبرى التي تضمُّ إلى جانبها الدولَ الصناعيَّة كُلَّ من بريطانيا ، وفرنسا، الولايات المتَّحدة الامريكية، وكندا ، وإيطاليا وألمانيا إلى جانب اليابان [٢٨].

أمَّا محليًّا فَقَدْ أعلن رئيسُ البرلمانِ الأُوكرانيّ ياتسينيوك Yatsenyuk في ١١ أذار لنوَّاب البرلمان عن نيَّتِهِ التوجُّه للولايات المتَّحدة لمُناقشةِ تَداعي ((العدوانِ الروسيّ))، وقال : " **أغادرُ اليوم إلى الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، و–سأعقدُ نيابةً عن الحكومة الأُوكرانيَّة –اجتماعاتٍ على أعلى مستوًى ، بما في ذلك مع رئيس الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة باراك أُوباما. هذه دولةٌ ضامنةٌ ، وهي دولةٌ وقَّعت على مذكَّرة بودابيست ، وهي كسائر دول العالم الغربيّ أكَّدت بوضوحٍ وحزمٍ على سلامة أراضي الدولة الأُوكرانيَّة وحرمتها . وطالبت روسيا الاتِّحاديَّة بصفتها دولةً مُشاركةً في مذكَّرة بودابيست بالتطبيق الفوريّ للمُعاهدات والاتِّفاقيَّات الدوليَّة ، ووقف العُدوان العسكريّ ، والجلوس على طاولة المُفاوضات** "، بينما قال النائب كينا Kina في الجلسة نفسها "**يجبُ على العالم أجمع أنّ يتذكَّر هذا ،أنَّه في عام ١٩٩٤ تخلَّت أُوكرانيا التي كانت في ذلك الوقت تمتلكُ ثالث أقوى قُدرة نوويَّة على هذا الكوكب طَواعيةً عن الأسلحة النوويَّة الاستراتيجيَّة والتكتيكيَّة . إنَّني على يقين تامٍ أنَّ البرلمان اليومَ في هذه القاعة ، وبغضّ النظر عن الانتماءات أو الميول السياسيَّة،يجب أنّ يدعم بأغلبية دُستورية نداءَ البرلمان الأُوكرانيّ إلى الدول الضامنة، بما في ذلك روسيا الاتحاديَّة ، والمجتمع الدوليّ ، بشأن اتِّخاذ تدابير واضحة لمواجهة التهديد المُوَجَّه إلى سلامة أراضي أُوكرانيا** "[٢٩] .

وحثَّ النوَّابُ على المُوافَقة على خِطابِ البرلمان الأُوكرانيّ المُوجَّه إلى الدول الضامنة لأمن أُوكرانيا ، الذي جاء فيه " **في الآونة الأخيرة ، استمرَّ الوضع على أراضي جمهورية القرم ذات الحكم الذاتي في التدهورِ بشكلٍ حادٍّ ، نتيجة دخول القُوَّات المُسلَّحة لروسيا الاتِّحاديَّة. ونظرًا للضمانات الأمنيَّة الواردة في مذكَّرة الضمانات الأمنيَّة المُتَعَلِّقة بانضمام أُوكرانيا إلى مُعاهدةِ عدمِ انتشارِ الأسلحة النوويَّة ، مذكَّرة بودابيست ، يُناشِد البرلمانُ الأُوكرانيّ الدولَ الأطرافَ في مذكَّرة بودابيست ، و المُنَظَّمات الدوليَّة اتِّخاذ تدابير عمليَّةٍ تهدف إلى ضمان سلامة أراضي أُوكرانيا و أمنها** ". وناشد البرلمانُ الأُوكرانيّ بريطانيا والولاياتِ المتَّحدة الأمريكيَّة ، بصفتهما دولتان مُشاركتانِ في مذكَّرة الضمانات الأمنيَّة المتعلِّقة بانضمام أُوكرانيا إلى مُعاهدةِ عدم انتشار الأسلحة النوويَّة ، مطالبًا إيَّاهما بالوفاء بالتزاماتهما . وعلى وفق أحكامها وتطبيق جميع التدابير الدبلوماسيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة والعسكريَّة المُمْكِنَةِ لوقفِ ((**العُدوان فَورًا**)) والحفاظ على استقلال أُوكرانيا وسيادتها وحُدودها القائمة ، مع مُناشدةِ البرلمان الأُوكرانيّ روسيا الاتِّحاديَّةَ ، وعلى وفق أحكام مُذكَّرة الضمانات الأمنيَّة المُتعلِّقة بانضمام

أُوكرانيا إلى مُعاهدةِ عدم انتشار الأسلحة النوويَّة ، مطالِبًا إيَّاها بسحبِ قُوَّاته فَورًا من أراضي أُوكرانيا،((**ووقف العُدوان**)) على الدولة الأُوكرانيَّة ،وضمان سلامةِ أراضيها واستقلالها(٣٠).

وفي ١٣ آذار ٢٠١٤، أشارت المستشارةُ الألمانيَّةُ أنجيلا ميركل Angela Merkel، أنَّهُ في حال التصعيد العسكريّ لموسكو ستُفرضُ عقوبات عليها في مجلس الأمن ، ولكنْ في اليوم التالي استخدمتْ روسيا الاتِّحاديَّة حقَّ الفيتو أثناء التصويت في مجلس الأمن حولَ مشروع قرار يدعو إلى عدم الاعتراف بالاستفتاء الذي جرى في شبه جزيرة القرم (٣١) .

استشهد المسؤولون الأُوكرانيون بمذكَّرة بودابيست لعام ١٩٩٤، التي أكَّدت فيها الولايات المتحدةُ و بريطانيا وروسيا الاتِّحاديَّة التزامَها بالسيادة الإقليميَّة لأُوكرانيا– بعد تفكُّك الاتِّحاد السوفييتيّ – التي وافقت فيها كييف على تسليم مخزونها النوويّ ، إذ قالوا إنَّ روسيا الاتِّحاديَّة أخلّت بالتزاماتها في الاتِّفاق ، وأنَّ الحكومةَ الأُوكرانيَّةَ المُؤقَّتةَ سعت إلى استخدام المذكَّرة لطلب المساعدة الغربيَّة ، إلَّا أنَّ المسؤولين في الغرب أوضحوا أنَّ الوثيقةَ ليستْ مُعاهدة مُلْزِمَةً للدفاع المُشترك ، بل هي التزامٌ عامٌّ بدعم غير محدَّد(٣٢) .

عُقِدتْ جلسةٌ جديدةٌ للبرلمان في ٢٠ آذار ، وصرَّح فيها النائب أناتولي كيريلوفيتش كيناخAnatoly KirillovichKinakh أيضًا أنَّهُ ((**تجري أحداث غير مسبوقة لا تمسُّ وحدةَ أراضي أُوكرانيا فحسب ، بل تنتهكُ بشكل صارخٍ القواعدَ الأساسيَّة للقانونِ الدوليّ ، وتُقَوِّضُ جهود المجتمعِ الدوليّ بأسره لتعزيزِ الأمن الجَماعيّ**))، وأضاف "**لقد ضمنت اتِّفاقيَّة بودابيست لعام ١٩٩٤ بوضوح وحزم لأُوكرانيا ، بصفتها أوَّلَ دولة في العالم تتخلَّى طواعيةً عن ثالث أكبر قُدرة نوويَّة ، ومِنْ مبدأ وحدة أراضيها ، لقد انْتُهِكت اتِّفاقيَّة بودابيست انتهاكًا صارخًا ، و الواقع أنَّ الحضارة العالميَّة اليومَ على أعتاب ازديادٍ غيرِ مسبوقٍ في عدد الدول التي تمتلك القُدُرات التقنيَّة اللَّازمة لامتلاكِ الأسلحةِ النوويَّة**" . وفي الجلسة نفسِها اقترحَ النائب أوليغ لياشكوOleg Lyashko ، من الحزب الراديكاليّ ، بالانضمام إلى حلف الناتو، إذ قال : "**أقترح أن يتَّخذَ البرلمانُ فورًا قرارًا بالتقدم بطلبٍ إلى حلف شمال الأطلسيّ (الناتو) للانضمام إلى تلك المُنَظَّمة الأمنيَّة الدوليَّة ، وأقترحُ أن يتَّخذَ البرلمان قرارًا باستعادة وضع أُوكرانيا النوويّ ، وأن نتقدَّم بطلبٍ إلى الأُمَمِ المتَّحدة لطرد روسيا الاتِّحاديَّة من مجلس الأمن التابع للأُمَمِ المتَّحدة**" (٣٣) ، وأضاف أيضًا "**وفي تَحَدٍّ صريح للعالم أجمع ، انتهكت روسيا الاتِّحاديَّة بوقاحةٍ ليس فقط التشريعات الحاليَّة لأُوكرانيا ذات السيادة ، بل أيضًا المعاييرَ الأساسيَّةَ للقانونِ الدوليّ المنصوصِ عليها في مِيثاق الأُمَمِ المتَّحدة ، وميثاق مجلس أُوروبا ، والوثيقة الختاميَّة لِمؤتمر الأمن و التعاون في أُوروبا لعام ١٩٧٥ ، وغيرها من الوثائق الختاميَّة لمؤتمر الأمن والتعاوُن في أُوروبا ، منَظَّمة الأمن و التعاوُن في أُوروبا ، واتِّفاقيَّة إنشاء رابطة الدول المستقلَّة لعام ١٩٩١،**

ومذكَّرة الضمانات الأمنيَّة المتعلِّقة بانضمام أُوكرانيا إلى مُعاهدة عدم انتشار الأسلحة النوويَّة المُؤرَّخة في ٥ كانون الأوَّل ١٩٩٤ بين أُوكرانيا والولايات المتَّحدة وروسيا الاتِّحاديَّة وبريطانيا بشأن الوضع غير النوويّ لأُوكرانيا ، ومُعاهدة الصداقة و التعاون والشراكة بين أُوكرانيا وروسيا الاتِّحاديَّة لعام ١٩٩٧"[٣٤] .

زار وفدٌ برلمانيٌّ أمريكيٌّ كييف في٢٢ آذار ٢٠١٤، وأكَّدوا في أثناء الزيارة إنَّ المسؤولين الأُوكرانيين ((**يشعرون بقلق عميق**)) إزاءَ الحشود العسكريَّة الروسيَّة ، وقالت السيناتور كيلي أيوت Kelly Ayotte من الحزب الجمهوريّ "**إنَّ الولاياتِ المتَّحدة تَنوي تحذير بوتين بتقديم المزيد من الدعم لأُوكرانيا ، وتُوعِد روسيا الاتِّحاديَّة بالمزيد من المُعاناة الماليَّة ، إذا رفضت التراجع عن موقفها التهديديّ**". وأضافت في مؤتمر صحفي : "**بإمكاننا تقديمُ المساعدة العسكريَّة ، والأسلحة الصغيرة ، ومُعدَّات الاتِّصالات والوقود**"، **وأنَّ الجيش الأُوكرانيّ في حالة يُرثَى لها بعد سنواتٍ مِنَ الإهمالِ مِنْ جانب الرئيس المخلوع فيكتور يانوكوفيتش**". وتابعتْ : "**سنُساعِد في إعادة بنائه**". وقال النائب الأمريكيّ الديمقراطي ستيفن لينشStephen Lynch، "**إنَّ الولاياتِ المتَّحدة بحاجة إلى "التفكير مليًّا فيما حدث هُنا"**، في إشارة إلى التزامات الولايات المتحدة بموجب مذكَّرة بودابيست لعام ١٩٩٤، التي تخلَّت فيها أُوكرانيا عن أسلحتها النوويَّة ، مُقابل ضمان الأمن من الولاياتِ المتَّحدة الامريكية وبريطانيا وروسيا الاتِّحاديَّة ، وقال : "**إنَّهُ إذا لم نُعاقِبْ روسيا الاتِّحاديَّة بسبب ضمها لشبه جزيرة القرم ، فسيُرسِلُ العالم رسالةً إلى الدول الأُخرى مَفادُها أنَّ التخلِّيَ عن الأسلحةِ النوويَّةِ فكرةٌ سيئةٌ**". وأضاف أيضاً : "**هذه رسالة خاطئة**" [٣٥] .

أدان الزعماءُ الغربيون في٢٤ آذار٢٠١٤ التوغُّلَ العسكريَّ ، كونه ((**انتهاكًا للقانون الدوليّ والاتِّفاقيَّات الروسية المُحدَّدة مع أُوكرانيا والعالم الخارجيّ**))، ورفضوا ادِّعاءات رُوسيا الاتِّحاديَّة أنَّ الأقليَّات الروسيَّة في أُوكرانيا ((**يُواجِهُون تَهديداتٍ**)) ، فقد أشارت ميركل ،،في حديثها للصحفيين الألمان ، إلى أنَّ أُوكرانيا تخلَّتْ عن أسلحتها النوويَّة التي تعودُ إلى الحقبة السوفيتيَّة عام ١٩٩٤ بإبرام مذكَّرة بودابيست، وهي اتِّفاقيَّةٌ عُقِدَتْ مع الولايات المتَّحدة الامريكية وبريطانيا وروسيا الاتِّحاديَّة لضمان سلامةِ أراضيها ، إلَّا أنَّ ذلك الاتِّفاق "**انتُهِكَ بشكل صارخ**"، و ذكرت صحيفةُ نيويورك تايمز أنَّ ((**مأساةَ**)) الحرب الروسيَّة دفعت البعضَ إلى التساؤل عَمَّا إذا كانت أُوكرانيا قَدْ ارتكبت خَطأً فادحًا بتخلِّيها عن أسلحتها النوويَّة عقب استقلالها ، وبيَّنت أنَّ من الصعب تخيّلَ أنَّ روسيا الاتِّحاديَّة كانت ((**ستغزو**)) أُوكرانيا لو كانت الأخيرةُ تمتلكُ أسلحةً نوويَّةً ، ناهيك عن أن بعضَ الأسلحة التي تستعملها روسيا الاتِّحاديَّة ضدَ أُوكرانيا في ((**غزوها الشامل**)) هي على الأرجح الأسلحةُ نفسُها التي تنازلت عنها أوكرانيا لروسيا الاتِّحاديَّة في تسعينيّات القرن العشرين كجزء من مذكَّرة بودابيست[٣٦].

وأكَّد النائب كيناخ Kenach في اليوم التالي ، في أثناء عَقْد الجلسة الرابعة عشرة للبرلمان الأُوكرانيّ ، وبالتحديد في ٢٥ آذار، على أنَّ بلاده تُؤكِّد للعالم أجمع قُدرتها على حماية مصالحها الوطنيَّة ((**بالوسائل القانونيَّة السلميَّة**))، وأضاف "**إنَّ من الضروري للغاية أنَّ العالم أجمع بدأ يُدركُ بشكلٍ أعمقَ أنَّ احتلال روسيا الاتِّحاديَّة لجمهورية القرم المتَمتِّعة بالحكم الذاتي يُشكِّل تهديدًا للمجتمع الدوليّ بأسره ، وللحضارة العالميَّة بأسرها. وعندما لا تفي إحدى الدول الضامنة ، وهي روسيا الاتِّحاديَّة ، بالتزاماتها على وفق ما جاء في مذكَّرة بودابيست، فإنَّ هذا يخلق تهديدًا بانتشار غير منضبطٍ للأسلحة النوويَّة على الأرض**" [٣٧] .

رابعاً : تداعيات الازمة :

تحوَّلتِ الأزمة من أزمةٍ داخليَّةٍ إلى أزمةٍ دوليَّةٍ ، ولاسِيَّما بعد أنْ عَقَدَ مجلس الأمن الدوليّ اجتماعًا طارئًا في ٢٧ آذار ٢٠١٤، وأعلن أنَّ روسيا الاتِّحاديَّة قَد ((**انتهكتِ القوانينَ والأعرافَ الدوليَّة**)) ،واعتمدتِ الجمعيَّةُ العامَّة قرارًا يدعو الدول إلى عدم الاعتراف ((**بالتغييرات**)) في وضع منطقة القرم ، إذ أكَّدت الجمعيةُ العامَّةُ التزامَها بسيادةِ أُوكرانيا واستقلالها السياسيّ ،ووحدتها وسلامة أراضيها داخل حُدودها المُعترف بها دوليًّا ،مُؤكِّدة على ((بُطلان الاستفتاء)) السابق الذي عُقِد في ٦ آذار في شبه جزيرة القرم المستقلَّة . وبتصويت مُسجَّل بأغلبيَّة ١٠٠ صوت لصالح القرار ، مقابل ١١ صوتًا ضدّه ، وامتناع ٥٨ عضوًا عن التصويت ، اعتمدتِ الجمعيَّةُ قرارًا بعنوانِ "**السلامة الإقليميَّة لأُوكرانيا**"، يدعو الدول والمنظَّمات الدولية والوكالات المتخصِّصة إلى عدم الاعتراف بأيِّ تغيير في وضع شبه جزيرة القرم، أو في مدينة سيفاستوبول الساحليَّة على البحر الأسود ، والامتناع عن الأعمال أو المُعاملات التي قَد تُفسَّر على هذا النحوِ، ودعا القرارُ الدولَ إلى "**الكفّ والامتناع**" عن أيَّةِ إجراءاتٍ تهدف إلى المَساس بالوحدة الوطنيَّة لأُوكرانيا وسلامة أراضيها ، بما في ذلك تعديلُ حُدودِها عبر التهديد بالقُوَّة أو استخدامِها . وحثَّ جميعَ الأطرافِ على السعي فورًا إلى حلٍّ سلميٍّ للوضع عبر الحوار السياسيّ المباشرِ ، ومُمارسة ضبط النفس ، والامتناع عن الإجراءات أُحاديَّة الجانب ((**والخطابات التحريضيَّة**)) التي قَد تُفاقم التوترات[٣٨]. ·

عَدَّتِ الجمعيَّةُ البرلمانيَّة لمجلس أُوروبا في ١٠ نيسان ٢٠١٤ ضمّ روسيا الاتِّحاديَّة شبه جزيرة القرم ((**غيرَ قانونيٍّ**))، وحثَّتها على سحب قُوَّاتها منها ،وقال رئيس الجمعيَّة بافلو بيترينكو Pavlo Petrenko : "**نظرًا لخطر زعزعة الاستقرارّ ، وتدهور النظام الأمنيّ في المنطقة ، بسبب تزايُد العُدوان العسكريّ الروسيّ ضدّ أُوكرانيا ،تُوصِي الجمعيَّةُ الولاياتِ المتَّحدةَ وبريطانيا– بصفتهما من المُوقِّعين على مذكَّرة بودابيست – والدول الأُوروبيَّة ذات الصلة الأُخرى على إمكانيَّة إبرام اتِّفاقيات أمنيَّة حقيقيَّة ، لضمان استقلال أُوكرانيا و سيادتها و سلامة أراضيها** [٣٩] .

وصرَّح رئيس الوزراء الأُوكرانيّ في ٢٣ نيسان قائلًا : "**أودُ أنْ أؤكِّدَ أنَّ صراعنا ليس صراعًا ثُنائيًا بين أُوكرانيا وروسيا الاتِّحاديَّة ، بل هو صراعٌ عالميٌّ ، ما فعلتْه روسيا الاتِّحاديَّة انتهكَ القانونَ الدوليَّ بضمِّها أراضيَ دولةٍ مستقلَّةٍ . في عام ١٩٩٤ عندما وقّعنا مذكَّرة بودابيست ، تخلّينا عن ترسانتنا النوويَّة و لم نحصل على شيء سوى الدبَّابَّات الروسيَّة في شبه جزيرة القرم**"[٤٠] . وفي اليوم التالي صرَّح المُرشَّح الرئاسيُّ الأُوكرانيّ بيترو بوروشينكوPetro Poroshenko، "**يجبُ أنّ يفهمَ الناس أنَّ هذه ليست مشكلةَ أُوكرانيا فحسب ، بل إنَّها زعزعت استقرارَ الوضع الأمنيّ العالميّ بعد الحربِ العالميَّة الثانيَّة . لدينا مذكَّرة بودابيست لعام ١٩٩٤، التي ضمنتْ سلامة أراضي بلدنا ، وسيادته عندما تخلَّينا طواعيةً عن ثالث أكبر ترسانة نوويَّة في العالم . لَقَد حصلنا على ضمان أمنيٍّ ، لكنَّه ببساطة لا يُجدي نفعًا ، فلا الولايات المتِّحدة الامريكية ولا بريطانيا قادرتين على الوفاء بالتزاماتهما تِجاهَ أمننا**"[٤١] .

وعَقد الوفد الأُوكرانيّ برئاسة النائبةِ الأُوْلى لوزير الخارجية الأُوكرانيّ ، ناتاليا هاليبارينكو Natalia Halibarenko ، في العاشر من حزيران مُشاوراتٍ ثُنائيَّة في بروكسل مع مُمَثِّلي هيأة العمل الخارجي الأُوروبيَّة و المُفوضيَّة الأُوروبيَّة ، وضمَّ الوفدُ الأُوكرانيّ أيضًا مُمَثِّلين عن الوزارات المَعنية ، بما في ذلك وزارة العدل ، ووزارة التنمية الاقتصاديَّة والتجارة في أُوكرانيا ، بهدف بلورة مناهج مُشتركةٍ لمعالجة القضايا المُتعلِّقة بضمّ روسيا الاتِّحاديَّة ((**غيرِ الشرعيّ**)) لشبه جزيرة القرم ، واتَّفق الجانبان على اتِّخاذ خُطوات مشتركةٍ تهدف إلى حلّ مشاكلِ شبهِ جزيرةِ القرمِ على وفق القانون الدوليّ ، وعلى مبادئ سلامة الأراضي و حُرمة الحدود [٤٢] .

وهكذا يُمْكِنُ القولَ أنَّ الأزمةَ أثَّرت في العلاقات الأُوكرانيَّة – الروسيَّة من خلال نقاط عِدَّةٍ ، أبرزُها :

أولا : عَدَّت أُوكرانيا وصولَ قُوَّات روسيا الاتِّحاديَّة وسيطرتها على جزيرة القرم ، ((غزوًا))شجبته و استنكرته ؛ لإنَّه اضطرَّها إلى سحب قُوَّاتها الرسميَّة منها ،عقب استيلاء القُوَّات العسكريَّة الروسيَّة على المَواقع العسكريَّة في الجزيرة ، بينما عَدَّت روسيا الاتِّحاديَّة أنَّ الحكومةَ الأُوكرانيَّة المُشكَّلة –بعد إقالة الرئيس يانكوفيتش –((**حكومة فاقدة الشرعيَّة**)).

ثانيا : تراجعُ وضع أُوكرانيا الاقتصاديّ ، وازدادتْ مُعاناة الأُوكرانيين ؛ بسبب الزيادة في الإنفاق على التسلُّح ، لمواجهة حالاتِ ((**التمرد والانفصاليين**)) المدعومينَ من روسيا الاتِّحاديَّة ، وبالفعل ارتفع إنفاق أُوكرانيا على عُقود التسليح مع الدول الأُوربيَّة والولايات المتَّحدة الامريكية[٤٣].

على الرغم من تأزُّم الوضع العسكريّ و الاقتصاديّ ، أُجريتِ انتخاباتُ في أُوكرانيا في ٢ آيار ٢٠١٤ ، وأسفرعنها انتصار بيترو المُوالي للغرب ، بنسبة ٥٦ % من الأصوات ، وأعلن في ٢٠ حزيران

، عن وقف إطلاق النار في إقليم الدونباس [٤٤]. وفي ١٩ من شهر أيلول ٢٠١٤، تمَّ التوقيعُ على اتِّفاقية مينسك ، وهي عبارة عن مُبادرة من بوتين تكوَّنت من شِقَّين : الأوَّل عسكريٌّ يتضمن إيقاف العمليات العسكريَّة في المناطق المُتنازع عليها ، والثاني إنسانيٌّ ، يضمنُ تبادلَ الأسرى ، وإرسال مُعدَّات لإعادةِ أعمار البُنى التحتيَّة ، وتكوَّنت من ١٣ بندًا ، أبرزُها إرسال مُراقبين من منظَّمة الأمن والتعاون الأُوربيَّة ، وإنشاء منطقةٍ منزوعةِ السلاح تبعدُ أكثرَ من ٣٠ كيلو متر من مدينة دونباس [٤٥].

وَعلى الرغمَ من توقيع ذلك الاتِّفاق ، الا ان الاشتباكاتُ أستمرت بين ((المتمردين)) وقوات الحكومة الاوكرانية؛ مِمَّا أدَّى إلى التوجُّه لمفاوضاتٍ جديدةٍ ، وأثمرتْ عن عقد اتِّفاقيَّة مينسك الثانية ، تضمَّنت ١٣ بندًا أيضًا ، ووقِّعت في ١٥ شباط ٢٠١٥ ، وأنهتِ الأزمة ، بوقف إطلاق النار بصورة فوريةٍ وصارمةٍ [٤٦].

الخاتمة :

– أظهرت أزمة القرم ٢٠١٤ التداعياتِ الخطيرةَ لقرار نزع السلاح النوويّ عام ١٩٩٤ ، إذ وجدت أُوكرانيا نفسَها دُون أيَّةِ ورقةِ ضغطٍ استراتيجيّة لردع العُدوان الروسيّ ، فقد كشفت الأزمةُ عن أنَّ الضمانات الأمنيّة التي قدَّمتها اتِّفاقية بودابست كانت حبراً على ورق ، ولاسيما مع عدم وجود آلية تنفيذ فعَّالة أو التزام دوليٍّ جادٍّ بحمايةِ الحُدود الأُوكرانيّة ، هذا الواقع ترك أُوكرانيا في موقف ضعيف أمامَ القُوّات الروسيّة التي استغلَّت غِياب أيّ تهديد نوويّ محتمل .

– أثبتت أزمة القرم أنَّ الاعتماد على الضمانات الأمنيّة الدوليّة دُون امتلاك أدواتِ ردعٍ ذاتيّة يُشكِّل خطأً استراتيجياً فادحاً ، فقد أصبح قرار نزع السلاح النوويّ عام ١٩٩٤ أنموذجاً تحذيرياً للدول الصغيرة التي تُواجِهُ تهديداتٍ من قُوَى كُبرى ، إذ بيَّنت الأزمةُ أنَّ المواثيق الدوليّة قد تفشل في لحظة الحقيقة ، بينما يبقى امتلاك القُوَّة الذاتيّة الضمانةَ الأكثر مصداقيةً للسيادة الوطنيّة .

الهوامش:

[1] НикуличевЮ.В. «Прощай, оружие»: МожетлиУкраинасоздатьсвойядерныйарсенал?,2020, vol 146, https://upe-journal.ru/article.php?id=311.

[2] The New York ,21 Dec, 1991.

[٣] بول دانييري ، أُوكرانيا وروسيا من طلاق متحضر إلى حرب همجيَّة ، ترجمة : يزن الحاج ، ط١، قطر ، ٢٠٢٢. ، ص ٦٠.

(4) Mariana Budjeryn, Was Ukraine,s Nuclear Disarmament A Blunder?, World Affairs,Research Article, Volume 179, Issue 2, Summer Septembe,2016, https://doi.org/10.1177/0043820016673777 ,p.12.

(٥) منتهى صبري مولى المنصوري ، البرنامج النوويّ الأُوكرانيّ في العلاقات الأمريكيّة – الروسيّة ١٩٩١-١٩٩٤، مجلّة الباحث ، العدد الثالث ، ١٨نيسان ٢٠٢٤، ص٢٦١-٢٦٢.

(٦) ادريس هند، وغمدي هند، الأزمة الأُوكرانيَّة ٢٠١٣، رسالة ماجستير غير منشورة ، كليَّة الحقوق و العلوم السياسيَّة ، جامعة الحاج لخضر – باتنه ، ٢٠١٥ ، ص ٨.

(٧) صباح جابر كاظم ، الأزمة الأُوكرانيَّة الروسيَّة وأثرها على الأمن القومي الأوربيّ ، ٢٠١٤-٢٠٢٣، مجلة ، الجامعة المستنصريَّة ، مجلَّة السياسة الدوليَّة ، العدد،٥٧، ٢٠٢٤، ص ٣٢٤.

(٨) قاسم محمد عبيد ، الاستراتيجيَّة الشاملة للولايات المتَّحدة الأمريكيَّة ومستقبل التوازنات الجيواستراتيجيَّة العالميَّة ، أُطروحة دكتوراه غير منشورة ، كليَّة العلوم السياسيَّة ، جامعة الموصل ،٢٠١٥ ، ص ٨٨ .

(٩) آمنة محمد علي ، أزمة القرم وتداعياتها على العلاقات الروسيَّة – الأُوكرانيَّة ، دراسات دوليَّة ، العدد الثامن والستون ، الجامعة المستنصريَّة ، ٢٠١٧، ص ١٦٩.

(١٠) ايثار أنور محمد البياتيّ ، الأساس الجيوستراتيجيّ للأزمة الأُوكرانيَّة و تداعياتها الداخليَّة ، مجلَّة المستنصريَّة للدراسات العربيَّة و الدوليَّة ، العدد ٧١ ، ٢٠٢٠ ، ص ١١٦.

(11)John J. Mearsheimer , The Causes and Consequences of the Ukraine War , Russia Matters , Harvard Kennedy School : Belfer School , 23 June, 2022 , SEE ON : https://www.russiamatters.org/analysis/causes-and-consequences-ukraine-war

(١٢) أرشد مزاحم مجبل ، الأزمةُ الأُوكرانيَّة و سمات التغيير في التوازن الدوليّ ، مجلّة حمورابي للدراسات ، مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجيّ ، بغداد، العدد ١١، ٢٠١٤، ص ٧٥.

(١٣)باسم راشد ، تهديد جيواستراتيجيّ : حسابات القطب الروسيّ بالأزمة الأُوكرانيَّة ، مجلَّة السياسة الدوليَّة ، مركز الأهرام للدراسات السياسيَّة و الاستراتيجيَّة ، القاهرة ، العدد ١٩٦، ٢٠١٤، ص ١٢٣.

(١٤)محمد ماجد محمد، المصدر السابق ، ص ٧٧.

(١٥)محمد صادق جميل الحمداني ، الأزمة الأُوكرانية وأثرها على مستقبلها الجيبولتيكيّ ، مجلَّة كليَّة التربية الأساسيَّة ، الجامعة المستنصريَّة ، المجلَّد ٢٤، العدد ١٠١، ٢٠١٨، ص١٢٣.

(16)Verkhovna Rada of Ukraine, "Official Transcript of Session No. 7," February 27, 2014.

(١٧) فيلالي مصطفى ، تداعيات الأزمة الأُوكرانيَّة على العلاقات الروسيَّة – الأُوربيَّة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كليَّة الحقوق و العلوم السياسيَّة ، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم ،٢٠٢٢، ص ٤٧.

١٨) صوَّت برلمانُ جمهوريةِ القرم في ٦ آذار ٢٠١٤ ، لصالح الانضمام إلى روسيا الاتِّحاديَّة ، وبعد عشرةِ أيَّام من الشهر نفسِهِ حدَّد موعدًا لإجراء استفتاءٍ شعبيٍّ عامٍّ حول بقاء شبه جزيرة القرم ضِمْنَ أُوكرانيا أو روسيا الاتِّحاديَّة ، وتَمَّ إجراء الاستفتاء ، وصوَّت حوالي ٩٥% لصالحِ انضمام شبه جزيرة القرم إلى روسيا الاتِّحاديَّة . عبد الأمير

سليم عباس ، السياسة الخارجية الامريكية تجاه الحرب الروسية الأوكرانية ، مجلة العراقية للعلوم الإنسانية ، السنة الرابعة ، العدد ٩ كانون الأول ٢٠٢٣، ص ٣٤٥.

(١٩)جورج فيشان ، أُوكرانيا ، القرم في السياسة الروسيَّة ، ترجمة : محمود الحوثاني ، مركز دراسات الجزيرة ، ٢٠١٤ ، ص ٤.

(٢٠)خلود محمد خميس ، الدور الروسيّ في الأزمة الأُوكرانيَّ والتداعيات الإقليميَّة ، نشرة الدراسات السياسيَّة والإقليميَّة والدوليَّة ، العدد الأول ، تمُوز ، ٢٠١٤، مركز الدراسات الاستراتيجيَّة والدوليَّة ، جامعة بغداد ، ص ٣٤٣.

(٢١) مريم الباسوسي ، أبعاد الموقف الغربيّ من أزمة أُوكرانيا ، مجلَّة السياسة الدوليَّة ، العدد ١٩٦، مج ٤٩ ، نيسان ٢٠١٤، ص ١٢٨.

(22)The Washington Post,1March, 2014.

(23)The Washington Post,3 March, 2014.

(٢٤)المصدر نفسه ، ص ١٢٩.

(٢٥) آمنة محمد علي ، المصدر السابق ، ص١٧٩.

(٢٦) نقلًا عن : سليم كاطع علي ، الأزمة الأُوكرانيَّة ودلالات الموقف الأمريكيّ ، نشرة الدراسات السياسيَّة والإقليميَّة والدوليَّة ، العدد ١ ، مركز الدراسات الاستراتيجيَّة والدوليَّة ، جامعة بغداد ، ٢٠١٤، ص ٣٤.

(٢٧) مازن حسان ، بعد أن رفضتْ روسيا أمرًا واقعًا في القرم ، ألمانيا تتراجع وتسعى للتهدئة ، جريدة الأهرام ، ٥آذار ، ٢٠١٤.

(٢٨)ميادة علي حيدر ، أُوكرانيا في الإدراك الروسيّ – الأمريكيّ –الأُوربيّ ، مجلَّة قضايا سياسيَّة ، كليَّة العلوم السياسيَّة ، جامعة النهرين ، العدد ٦٠ ، السنة الثانية عشرة ، ٢٠٢٠ ، ص ١٢٣.

(29)Verkhovna Rada of Ukraine, "Official Transcript of Session No. 8,"11 March, 2014.

(30) Ibid.

(٣١)بومنجل خالد ، فاروق مجيب ، إدارة النزاع في أُوكرانيا بين المُقاربة الأمنيَّة الروسيَّة و الأمريكيَّة ، المركز الديمقراطيّ العربيّ للدراسات الاستراتيجيَّة و السياسيَّة و الاقتصاديَّة ، ألمانيا ، ٢٠١٨ ، ص ١٠٦.

(32)The Washington Post,16 March, 2014

(33)Verkhovna Rada of Ukraine, "Official Transcript of Session No. 13," 20 March, 2014.

(34)Ibid.

(35)The Washington Post,23March, 2014.

(36)The New York Times,24 March, 2014.

(37)Verkhovna Rada of Ukraine, "Official Transcript of Session No. 14," 25 March, 2014.

(٣٨وثيقة تابعة للأُمَمِ المتّحدة .(A/68/L.39)

(39)https://www.kmu.gov.ua/en/searchresult?key=Crimea+2014

(40)The Washington Post,24 April, 2014.

(41)The Washington Post,25April, 2014.

(42) الحكومة الأوكرانية :موقعhttps://www.kmu.gov.ua/en/searchresult?key=Crimea+2014

(٤٣) آمنه محمد علي ، المصدر السابق ، ص ١٧٨.

(٤٤) بومنجل خالد ، وفاروق مجيب ، المصدر السابق ، ص ١٠٦.

(٤٥) فيلالي مصطفى ، المصدر السابق ، ص ٤٩.

(٤٦) المصدر نفسه ، ص ٥١.

قائمة المصادر

أولا : الوثائق المنشورة :

- محاضر مجلس النواب الاوكراني :

1- Verkhovna Rada of Ukraine, "Official Transcript of Session No. 7," February 27, 2014.

2- Verkhovna Rada of Ukraine, "Official Transcript of Session No. 8,"11 March, 2014.

3- Verkhovna Rada of Ukraine, "Official Transcript of Session No. 13," 20 March, 2014.

4- Verkhovna Rada of Ukraine, "Official Transcript of Session No. 14," 25 March, 2014.

- وثائق الأمم المتحدة

١- وثيقة تابعة للأُمَمِ المتّحدة .(A/68/L.39)

ثانيا : الكتب العربية والمعربة :

١- بول دانييري ، أُوكرانيا وروسيا من طلاق متحضر إلى حرب همجيَّة ، ترجمة : يزن الحاج ، ط١، قطر ، ٢٠٢٢.

٢- جورج فيشان ، أُوكرانيا ، القرم في السياسة الروسيَّة ، ترجمة : محمود الحوثاني ، مركز دراسات الجزيرة ، ٢٠١٤ .

ثالثا :الرسائل والاطاريح العربية :

١- ادريس هند، وغمدي هند، الأزمة الأُوكرانيَّة ٢٠١٣، رسالة ماجستير غير منشورة ، كليَّة الحقوق و العلوم السياسيَّة ، جامعة الحاج لخضر – باتنه ، ٢٠١٥ .

٢- فيلالي مصطفى ، تداعيات الأزمة الأُوكرانيَّة على العلاقات الروسيَّة – الأُوربيَّة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كليَّة الحقوق و العلوم السياسيَّة ، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم ،٢٠٢٢.

٣- قاسم محمد عبيد ، الاستراتيجيَّة الشاملة للولايات المتَّحدة الأمريكيَّة ومستقبل التوازنات الجيواستراتيجيَّة العالميَّة ، أُطروحة دكتوراه غير منشورة ، كليَّة العلوم السياسيَّة ، جامعة الموصل ،٢٠١٥ .

رابعا : المقالات والأبحاث الأجنبية :

1- Mariana Budjeryn, Was Ukraine,s Nuclear Disarmament A Blunder?, World Affairs,Research Article, Volume 179, Issue 2, Summer Septembe,2016, https://doi.org/10.1177/0043820016673777 .

2- John J. Mearsheimer , The Causes and Consequences of the Ukraine War , Russia Matters , Harvard Kennedy School : Belfer School , 23 June, 2022 , SEE ON : https://www.russiamatters.org/analysis/causes-and-consequences-ukraine-war

3- НикуличевЮ.В. «Прощай, оружие»: МожетлиУкраинасоздатьсвойядерныйарсенал?,2020, vol 146, https://upe-journal.ru/article.php?id=311.

خامسا : المقالات والأبحاث العربية :

١- آمنة محمد علي ، أزمة القرم وتداعياتها على العلاقات الروسيَّة – الأُوكرانيَّة ، دراسات دوليَّة ، العدد الثامن والستون ، الجامعة المستنصريَّة ، ٢٠١٧.

٢- ايثار أنور محمد البياتيّ ، الأساس الجيوستراتيجيّ للأزمة الأُوكرانيَّة و تداعياتها الداخليَّة ، مجلَّة المستنصريَّة للدراسات العربيَّة و الدوليَّة ، العدد ٧١ ، ٢٠٢٠ .

٣- أرشد مزاحم مجبل ، الأزمةُ الأُوكرانيَّة و سمات التغيير في التوازن الدوليّ ، مجلّة حمورابي للدراسات ، مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجيّ ، بغداد، العدد ١١، ٢٠١٤.

٤- باسم راشد ، تهديد جيواستراتيجيّ : حسابات القطب الروسيّ بالأزمة الأُوكرانيَّة ، مجلَّة السياسة الدوليَّة ، مركز الأهرام للدراسات السياسيَّة و الاستراتيجيَّة ، القاهرة ، العدد ١٩٦، ٢٠١٤.

٥- بومنجل خالد ، فاروق مجيب ، إدارة النزاع في أُوكرانيا بين المُقاربة الأمنيَّة الروسيَّة و الأمريكيَّة ، المركز الديمقراطيّ العربيّ للدراسات الاستراتيجيَّة و السياسيَّة و الاقتصاديَّة ، ألمانيا ، ٢٠١٨ .

٦- خلود محمد خميس ، الدور الروسيّ في الأزمة الأُوكرانيَّ والتداعيات الإقليميَّة ، نشرة الدراسات السياسيَّة والإقليميَّة والدوليَّة ، العدد الأول ، تمُوز ، مركز الدراسات الاستراتيجيَّة والدوليَّة ، جامعة بغداد، ٢٠١٤.

٧- سليم كاطع علي ، الأزمة الأُوكرانيَّة ودلالات الموقف الأمريكيّ ، نشرة الدراسات السياسيَّة والإقليميَّة والدوليَّة ، العدد ١ ، مركز الدراسات الاستراتيجيَّة والدوليَّة ، جامعة بغداد ، ٢٠١٤، ص ٣٤.

٨- صباح جابر كاظم ، الأزمة الأُوكرانيَّة الروسيَّة وأثرها على الأمن القومي الأوربيّ ، ٢٠١٤-٢٠٢٣، مجلة ، الجامعة المستنصريَّة ، مجلَّة السياسة الدوليَّة ، العدد،٥٧، ٢٠٢٤.

٩- محمد صادق جميل الحمداني ، الأزمة الأُوكرانية وأثرها على مستقبلها الجيبولتيكيّ ، مجلَّة كليَّة التربية الأساسيَّة ، الجامعة المستنصريَّة ، المجلَّد ٢٤، العدد ١٠١، ٢٠١٨.

١٠-منتهى صبري مولى المنصوري ، البرنامج النوويّ الأُوكرانيّ في العلاقات الأمريكيّة – الروسيّة ١٩٩١-١٩٩٤، مجلّة الباحث ، العدد الثالث ، ١٨نيسان ٢٠٢٤.

١١-مازن حسان ، بعد أن رفضتْ روسيا أمرًا واقعًا في القرم ، ألمانيا تتراجع وتسعى للتهدئة ، جريدة الأهرام ، ٥آذار ، ٢٠١٤.

١٢-مريم الباسوسي ، أبعاد الموقف الغربيّ من أزمة أُوكرانيا ، مجلَّة السياسة الدوليَّة ، العدد ١٩٦، مج ٤٩ ، نيسان ٢٠١٤، ص ١٢٨.

١٣-ميادة علي حيدر ، أُوكرانيا في الإدراك الروسيّ – الأمريكيّ -الأُوربيّ ، مجلَّة قضايا سياسيَّة ، كليَّة العلوم السياسيَّة ، جامعة النهرين ، العدد ٦٠ ، السنة الثانية عشرة ، ٢٠٢٠ ، ص ١٢٣.

١٣-عبد الأمير سليم عباس ، السياسة الخارجية الامريكية تجاه الحرب الروسية الأوكرانية ، مجلة العراقية للعلوم الإنسانية ، السنة الرابعة ، العدد ٩ كانون الأول ٢٠٢٣.

سادسا : الصحف الأجنبية :

1- The Washington Post,1March, 2014.
2- The Washington Post,3 March, 2014.
3- The Washington Post,16 March, 2014
4- The Washington Post,23March, 2014.
5- The Washington Post,24 April, 2014.
6- The New York Times,24 March, 2014.
7- The Washington Post,25April, 2014.

سابعا :المواقع الالكترونية :

1- الحكومة الأوكرانية :موقع2014+Crimea?key=searchresult/en/ua.gov.kmu.www://https
2- https://www.kmu.gov.ua/en/searchresult?key=Crimea+2014

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

حروب النوع العاقل: مراجعة أنثروبولوجية في الأصول التطورية وانعكاساتها على ازدواجية المعايير الدولية

Warfare in Homo sapiens: An Anthropological Reassessment of Its Origins and Their Implications for International Double Standards

م. د. سعدون محسن ضمد

Asst. Prof. Dr. **Saadoon M. Damad**

saadoun.m@coart.uobaghdad.edu.iq

(جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم علم الاجتماع)

م. د.كاظم عبد الزهرة رسن

Asst. Prof. Dr: Kadhem Abdulzahra Resan

resan.kadhem@gmail.com

الاستلام(Received) :	١٨ /٠٨/ ٢٠٢٦	التعديل (Revision) :	٠٣/٠٩/ ٢٠٢٦
القبول(Accepted) :	٠٦ /٠٩/ ٢٠٢٦	النشر (Published) :	٣٠/٠٩/ ٢٠٢٦

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

الملخص:

تمثّل الأنثروبولوجيا التطورية تحدّياً صريحاً للمركزية البشرية، إذ تشكّك في حقيقة ابتعادنا عن أصلنا الحيواني، وفي مدى مغادرتنا منطق "الصراع من أجل البقاء" نحو أخلاق عالمية قوامها الشراكة والعدالة والإيثار. وتنطلق هذه الدراسة من مفهوم "الإيثار الضيق" بوصفه تلازماً بين "حب الداخل" و"كره الخارج"، وتُقارب من خلاله كيف أفضى هذا التلازم، عبر تاريخنا التطوري، إلى أخلاق فئوية تُحرّم العنف داخل الجماعة وتُبيحه خارجها، وكيف كان ذلك من الأسباب الجذرية لنشوء الحروب.

وتستعين الدراسة بخمسة فروض تفسيرية متدرجة، تبدأ من الدافع البيولوجي الجذري وتصل إلى السقف الأخلاقي، وهي: التنافس على الموارد، والاختيار الجنسي والاستثمار الأبوي، والإيثار الضيق، وجهاز المناعة السلوكي، وأخيراً الأخلاق الفئوية والانتقاء متعدد المستويات.

وتسير الدراسة على مسارين متوازيين: الأول تطبيق الفرضيات التطورية المفسِّرة للحرب، والثاني فحص انحياز القانون الدولي المعاصر عبر معيار الداخل والخارج. وتُوظِّف في المسار الثاني المقارنةَ بين الحالتين الأوكرانية والفلسطينية دليلاً على أن ازدواجية المعايير في تطبيق القانون الدولي تسير وفق منطق الاصطفاف الجغرافي والتاريخي لا وفق منطق القانون ذاته.

وتخلص الدراسة إلى أن الأخلاق في أصلها التطوري ليست كونية بل فئوية، وأنها تُديم الحروب ولا تُقيّدها، وأن البشرية تواجه ويلات الحروب بالأخلاق ذاتها التي أنتجتها. وأن منطق الداخل والخارج لم يُغادر الحضارة البشرية بل ارتدى لبوس القانون الدولي والمعايير الإنسانية، فكان الفارق بين منطق القبيلة ومنطق النظام الدولي الراهن في الحجم لا في الجوهر.

الكلمات المفتاحية: (الإيثار الضيق، الأخلاق الفئوية، الأنثروبولوجيا التطورية، الحروب، ازدواجية المعايير الدولية، الانتقاء متعدد المستويات، القانون الدولي)

Abstract:

Evolutionary anthropology poses an explicit challenge to human-centrism, casting doubt on the extent to which we have truly distanced ourselves from our animal origins, and on whether we have genuinely moved beyond the logic of "the struggle for survival" toward a universal ethics grounded in partnership, justice, and altruism. This study departs from the concept of "parochial altruism," understood as the co-evolution of in-group love and out-group hostility, and examines how this pairing produced, across our evolutionary history, a parochial moral system that prohibits violence within the group while permitting it without — and how this dynamic constitutes one of the root causes of warfare.

The study draws on five graduated explanatory hypotheses, moving from the most fundamental biological drives to the ethical ceiling: resource competition, sexual selection and parental investment, parochial altruism, the behavioral immune system, and finally coalitional morality and multilevel selection.

The study proceeds along two parallel tracks: the first applies evolutionary frameworks to explain warfare, while the second examines the bias embedded in contemporary international law through the lens of the in-group/out-group distinction. In the second track, the study employs a comparative analysis of the Ukrainian and Palestinian cases as evidence that the double standards observable in the application of international law follow the logic of geographic and historical alignment rather than the logic of law itself.

The study concludes that morality, in its evolutionary origins, is not universal but parochial — that it perpetuates war rather than constraining it, and that humanity confronts the ravages of war with the very same moral system that produced them. It further concludes that the logic of the in-group and the out-group has never left human civilization; it has merely assumed the guise of international law and humanitarian norms. The difference between the logic of the tribe and the logic of the contemporary international order is one of scale, not of substance.

Keywords: (Parochial Altruism, Coalitional Morality, Evolutionary Anthropology, Warfare, International Double Standards, Multilevel Selection, International Law)

المقدمة:

تمثّل الأنثروبولوجيا التطورية تحدّيا "مزعجا" للمركزية البشرية في حضارتنا، فهي من جهة تذكّرنا، بشكل مستمر، بأصلنا الحيواني، بل هي تُشكّك غالبا بالمسافة التي بلغناها في مسيرة ابتعادنا عن هذا الأصل ثم انفصالنا عنه. إذ أنها، في بعض أبحاثها، توقفنا في خطوة التطور، وتجعلنا منساقين لمنطقه ومحدّداته، حين تُفسّر كامل منجزنا الحضاري بعين صراعية بقائية. الأمر الذي يهدم صرحنا "الأخلاقي" الذي بنيناه ونحاول أن نجعله سمة لحضارتنا "العالمية/ الإنسانية". حضارة العدالة والمساواة، التي نؤكد عبرها أننا، كبشر، غادرنا منطق "الصراع من أجل البقاء" إلى رحابة الشراكة والعدالة والإيثار والتضحية...

كما أن الأنثروبولوجيا التطورية، من جهة أخرى، تتحدّى "مركزيتنا" التي تضع نوعنا في مركز الوجود وغايته.

إن هذه التحديات الثلاث تمثّل جوهر ما ننوي مراجعته من مسيرة البشر التطورية، منطلقين من سؤال أساسي يقول: هل ما يزال "عقل السفانا" يتحكم بنا ويجعلنا نُعامل الآخر باعتباره تهديدا وجوديا في بيئة شحيحة الموارد؟ وهذا السؤال ينحلُّ إلى أسئلة فرعية:

١. هل نحن كائنات إيثارية أم أنانية صراعية؟
٢. هل أن محددات السلوك، من أخلاق وقوانين وأعراف وتقاليد، التي تقود الحضارة الإنسانية في الوقت الراهن، عالمية أم "محليّة/ قبلية"؟

٣. هل الحروب، في أول نشؤها، تكيّف تطوري أم ثقافي؟ وهل ماتزال الحروب سمة حضارتنا الراهنة؟

إن أهمية هذه الدراسة تنبع من كونها قراءة شرق أوسطية عربية لبعض فروض الانثروبولوجيا التطورية التي فسَّرت نزعة الحرب لدى البشر، حيث لا يخفى أن منطقة الشرق الأوسط ومنذ بداية العصر الحديث وقعت ضحية حروب الصراع على الموارد، التي مثّلها الاستعمار المباشر ثم تحولت، بعد ثورات التحرر، إلى الاستعمار غير المباشر عبر آليات الهيمنة الحديثة. ومن ثمَّ فهذه المنطقة تمثل المكان الأمثل لفحص الفرضيات "التطورية" وقدرتها على تفسير نزعة الحرب لدى البشر. بل إن نموذج "الايثار الفئوي" الذي سنستعمله في تفسير "الأخلاق الفئوية" والمعايير التي تحكم الحروب، يجد ميدانه الفعلي في المنطقة عموما، وفي العراق على وجه الخصوص. ففي هذا البلد دخلت الهويات الفرعية في صراع طائفي استُعملت فيه أخلاق ومعايير الدين الإسلامي نفسه في تبرير قتل المسلمين ممن ينتمون إلى قوميات أو مذاهب مختلفة. مما يضع عمومية الدين الإسلامي، وبقية الأديان، أمام محك مهم.

سنعمل في هذه الدراسة على مسارين:

المسار الأول:

وهو مسار تطبيق الفرضيات التطورية المُفسّرة للحرب، وهو تفسير يؤدي إلى نتيجة تقول بأن الأخلاق في أصلها عبارة عن ضوابط للسلوك تؤدي أهدافا متعدّدة يأتي بمقدمتها جعل الجماعات أكثر تماسكا بما يمكّنها من خوض صراع التنافس بكفاءة أكثر، أي أن عملية تطبيق الأخلاق تكون محكومة بمنطق الداخل والخارج. فهي تستحسن ما يصب بمصلحة الفرد ثمَّ جماعته. ولذلك فهي تمييزية لصالح الـ(نحن) ضد الـ(هم)، هذا ما لاحظه المختصون في الأعم الأغلب من الثقافات إذا لم يكن كلّها (Gat, 2006, p. 51)، (McDonald, Navarrete, & Van Vugt, 2012).. الأمر الذي جعلها غير صالحة لتكون عابرة للجماعات، وهي تقع في مفارقات كبيرة عند محاولات تعميمها. فالأفعال التي تشكّل جريمة داخل الجماعة لا تكون كذلك عند ممارستها خارجها (Jilowa، Nisha، Pinki، Valecha، و Behmani، ٢٠٢٥)، كما هو الحال في فعل السرقة، فقد تعاملت الكثير من الجماعات مع عمليات سرقة الجماعات المجاورة التي يقوم بها أفرادها باعتبارها اليات مشروعة لتعزيز الموارد (علي، ١٩٩٣، صفحة ٣٣٣).

وفي هذا المسار سنستعمل الترابط بين الحروب وبين الأخلاق الفئوية لنؤكد بأن هذا الصنف من الأخلاق لا يصلح للحد من الحروب وتقليل ويلاتها، وفي حال كانت الأخلاق التي تسود العالم اليوم واقعة في ضائقة الفئوية فهذا يعني بأن البشرية تستعمل الاخلاق التي تديم الحروب لمواجهة ويلاتها. ثم لا بد من الإشارة إلى أن استعمالنا الفرضيات التطورية لا يعني أننا نبرر الحروب، بل نفسرها فقط، للكشف عن الآثار المترتبة على جذرها التطوري.

المسار الثاني:

في هذا المسار سنناقش مدى انحياز، أو عدم انحياز، القوانين والمعايير الدولية المعاصرة، وذلك عبر تطبيق معيار "الداخل والخارج" عليها. وهنا علينا أن نبيّن بأن الدول وباعتبارها التنظيمات السياسية الأحدث، ليست منفصلة عن التنظيمات السياسية "الأولية"، أو ما قبل التكنولوجية. ونحن هنا لا نزعم أن الدولة المعاصرة تمثل شكلا من أشكال القبيلة، بل نتبنّى ما يعتبره غات "Azar Gat" استمرارا وانتقالا للسلوكيات التي شكّلها التطور في سياق الجماعات الصغيرة إلى الأمم التي يعدّها امتدادٌ لتلك الجماعة الإقليمية الجينية–الثقافية الأصلية (Gat, 2006, p. 135). كما نتّفق مع ما أشارت إليه "مكدونالد" "Melissa M. McDonald" وزملاؤها من أن النزوع إلى التحالف "ظاهرٌ في كل الثقافات، الحديثة والتقليدية" ما يضع "الحروب بين الدول" في السياق ذاته مع نزاعات الجماعات الصغرى (McDonald, Navarrete, & Van Vugt, 2012). وعلى هذا الأساس نفترض أن مؤسسات الدولة والنظام الدولي تعيد إنتاج منطق الداخل/الخارج الموروث، لأن الفاعلين فيها يحملون الاستعدادات النفسية نفسها لكن بمستوى أوسع وأكثر شمولية، وهذا الذي نتبناه ليس مسلمة نبني عليها بل فرضية نختبرها في المسار الثاني.

وبالعودة إلى عملية تطبيق معيار الداخل والخارج، فإننا سنتتبّع تطبيقات القوانين والمعايير داخل الدول أو المجاميع الدولية وخارجها لنعرف إن كان هناك تمييز في التطبيق، الأمر الذي سيؤدي بنا إلى معرفة إن كانت أخلاق البشر قد تجاوزت منطق القبيلة الذي كان يحكم بداية مسيرتهم التطورية، أم أنها لا تزال تدور بفلكها.

مفهوم الحرب

كحال أي مفهوم آخر، تتعدد تعريفات مفهوم الحرب، حتى لا نكاد نستطيع تحديد المساحة التي يمكن ان يشتغل داخلها، فإذا قلنا أن المفهوم يشمل كل نزاع مسلح يهدف إلى قتل الخصوم أو إلحاق الأذى بهم فستدخل فيه حتى عمليات القتال التي تجري بين عصابات الحي الواحد. وإذا قلنا بأنه يشمل فقط عمليات القتل المنظمة التي تجري بين الدول أو ما يقوم مقامها، خرجت من مساحة الشمول الحروب بالفهم الانثروبولوجي، أي تلك التي تحدث بين القبائل والعشائر. فمثلا يعرف المفهوم بأنه: «نشاط جماعي يقوم به أعضاء جماعة ضدّ أعضاء جماعة أخرى، ويكون الهدف الأساسي منه إلحاق إصابة بالغة أو الموت بأعضاء متعدّدين غير محدّدين بالاسم من تلك الجماعة الأخرى، أو يكون هدفه الأساسي يجعل من المرجَّح للغاية أن تقع هذه الإصابة أو الموت بأعضاء متعدّدين غير محدّدين أثناء تنفيذ الهدف» (Fry, 2007). وكما نلاحظ فهذه مساحة تشمل القتال المسلح بين العصابات. ولذلك

اتَّخذ بعض المختصين عدد القتلى مائزا يفصل بين الحروب وبين غيرها، مشترطين ان يبلغ عدد القتلى ١٠٠٠ قتيل في كل الحرب او في كل سنة من سنواتها (Vassilev, 2008, p. 17)..

من جهة أخرى، ضيَّق بعض المتخصصين في العلوم العسكرية المفهوم ليقتصر فقط على الحروب بالمعنى الحديث، كما فعل "كارل فون كلاوزفيتز" C. von", Clausewitz" 1831. حيث يعتبر ان الحرب «عمل عسكري مُنسق يضع في اعتباره هدفاً استراتيجياً محدداً؛ ألا وهو نزع سلاح الخصوم إلى الحد الذي يعجزون معه عن مقاومة مطالب الطرف الآخر» ومن ثمَّ فهي «عمل من أعمال القوة لإجبار العدو على تنفيذ مشيئتنا» (Vassilev, 2008, p. 17). فكما نلاحظ أن التعريف يُدخل صفة "العسكرية" في المفهوم وكذلك أن يشتمل على هدف استراتيجي هو نزع سلاح الخصوم وليس مجرد قتلهم. وقريبا من طرحه تأتي العتبة الإجرائية التي وضعها "كوينسي رايت" –1890) Quincy Wright 1970)، الذي اعتبر أن الحرب تقع حين يعلن عنها رسميا أو حين يشارك بها ما لا يقل عن ٥٠ ألف جندي (Vassilev, 2008, p. 17)، حيث يدخل مفهوم "التجنيد" في التعريف.

لكن إذا أردنا أن نبحث عن تعريف يقترب من المساحة التي تشتغل عليها العلوم الاجتماعية فيمكننا أن نبدأ من تعريف ثورب "I. J.N Thorpe" الذي يؤكد بأن الحرب «عدوانٌ منظَّم بين وحدات سياسية مستقلّة» (Thorpe، ٢٠٠٣) حيث تدخل بهذا التعريف النزاعات المسلحة التي تحدث بين القبائل، لأنها بالفهم الانثروبولوجي تعد وحدات سياسية مستقلة. ثم يمكننا ان نمضي مع التعريف الذي يطرحه "أوتربين"، «الحرب قتالٌ بالأسلحة بين محاربين أو جنود من جماعتين سياسيتين مختلفتين» (Birx، ٢٠٠٦) فهنا نجد بأن دخول مفهوم المحاربين في التعريف يجعله محددا أكثر، فهو يحتفظ بالهوية الانثروبولوجية ويفصل بوضوح بين القتال الذي يحدث بين العصابات وعموم النزاعات المسلّحة من جهة وبين القتال الذي يخوضه الجنود أو المحاربين المدربين على استعمال الأسلحة، من جهة أخرى، فالمحاربون يجعلون القتال حربا.

ثم هناك محدّدات أخرى يطرحها "برايان س. تورنر"، «الحرب نوعٌ من النزاع الاجتماعي العنيف بين منظَّمتين مسلَّحتين قويتين أو أكثر، يهدف كل منهما إلى التغلّب بتدمير قوة الآخر، بشكلٍ رئيسٍ عبر الاستخدام المتعمَّد للقوّة المسلحة. وكشكلٍ من العنف الاجتماعي، تتميّز الحرب أولاً بطابعها كمنازلةٍ منظَّمة. [...] كما تتميّز الحرب بمشروعية عنفها العامّة. فهي السياق الوحيد الذي صار فيه القتل واسع النطاق — المُحرَّم بشدّة في سياقات أخرى — مشروعاً في المجتمع الإنساني» (Albrecht & Sherry, 2006, p. 658).

وكما نلاحظ فأهم المحددات التي يطرحها تعريف "برايان" المشروعية العامة، حيث أن عمليات القتل التي تحدث بين العصابات وحتى بين القبائل عندما لا تكون في سياق الحرب، فإنها لا تكون مشروعة بشكل

كامل. وفعلا تكون الحرب هي السياق الوحيد الذي تكتسب فيه عمليات القتل الجماعي مشروعية كاملة. وأيضا لدينا محدد آخر هو التنظيم.

أما التعريف الذي يتوفر على الرؤية التطورية فيرى أن الحرب: «تفاعل تنازعي بين جماعتين، يتعاون فيه جزء من الأفراد في كل من الجماعتين ويتنسّقون لانتزاع فرص تكاثرية من الجماعة الأخرى» (Micheletti، Ruxton، و Gardner، ٢٠١٨). وبالمحصلة نستطيع أن نضع المحددات التالية للحالة التي يكون فيها النزاع المسلح حربا:

١. أن يكون نشاطا جماعيا يقوم به أعضاء جماعة ضدّ أعضاء جماعة أخرى.
٢. أن يقوم بالنشاط محاربون مسلحون ومدربون على استعمال السلاح.
٣. أن يهدف النشاط إلى: نزع سلاح الخصوم أو إلحاق إصابة بالغة بهم أو قتلهم وكذلك انتزاع جزء من فرصهم التكاثرية.
٤. أن يكون العنف في النزاع مشروعا، بما في ذلك القتل واسع النطاق.

إن ميزة هذه المحددات أنها تجعل مفهوم "الحرب" أكثر قابلية على شمول الحروب التي حدثت عبر تاريخ التطور البشري، أي قبل ظهور التنظيمات السياسية الحديثة، وكذلك تلك التي تحدث بين الجماعات الاثنية أو العرقية المعاصرة، وهي من جهة ثانية تعزل عمليات القتل التي تحدث بين مختلف الجماعات، كأعمال العنف التي تحدث لأسباب طائفية أو عرقية أو أيديولوجية وكذلك التي تحدث بين العصابات وما شابهها.

مفهوم الأخلاق الفئويَّة

سنستعمل مفهوم "الأخلاق الفئوية" بما يساوي مفهوم "الإيثار الضيّق" والذي يعني، وبشكل أولي، أن تقوم الجماعات كل على حدة، بعملية "احتكار" للأخلاق، فتجعل نتائجها مقتصرة على أفرادها. وقد تم اقتراح مفهوم "الإيثار الضيّق" من قبل "تشوي وبولس" "Jung-Kyoo Choi" "Samuel Bowles"، في دراستهما التي بعنوان "coevolution of parochial altruism and war The" لكن قبل مناقشة ما قصداه، يجب علينا العودة إلى الاستعمال المؤسس لمفهوم "الأخلاق الفئوية" كما استعمله "دارون" في كتابه التأسيسي، "نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي"، حيث اعتبر أن الأخلاق التي كان يمارسها البشر الأوائل مشابهة للتي يمارسها البشر المعاصرون ولكنها «لا تمتد بأي حال من الأحوال إلى جميع الأفراد التابعين لنفس النوع، ولكنها مقصورة على هؤلاء التابعين لنفس الرابطة» (داروين، ٢٠٠٥، صفحة ٢٦٥). وهذا كما يتّضح تأسيس لمفهوم الإيثار الضيّق، ثم يؤكد داروين أن هذا النوع من عمليات احتكار الأخلاق داخل الجماعة يعزز فرص بقاءها «لأن تلك المجتمعات التي تتضمن أكبر عدد من الأعضاء تعاطفا، من شأنها أن تزدهر بشكل أفضل، وأن تقوم بتربية أكبر عدد من الذرية» (داروين،

٢٠٠٥، صفحة ٢٧٨). وبالعودة إلى "تشوي وبولس" فالإيثار عندهما يعني «إفادةُ أعضاء الجماعة بكُلفةٍ على الذات» أما الفئوية فهي «العداءُ تجاه من ليسوا من جماعة المرء الإثنية أو العرقية» وهما سلوكان بشريان شائعان، وأن تقاطُع هذين السلوكين ينتج ما يسميانه "الإيثار الضيق" ويعتبران السلوكين محيِّران من منظور تطوري، لأن السلوك الإيثاري أو الفئوي يقلّل من عوائد الفرد مقارنةً بما كان سيجنيه لو تجنّبهما. لكن بعملهما معا فإنهما يصبحان ميزة في الجماعة، فيساعدانها على أن تكون أقدر على خوض الصراع على الموارد، ثم إن الجماعات المتكافئة لا تتقاتل فيما بينها، بل يكون القتال بين الأقوى والأضعف، ما يخلق ميزة انتقائية تعمل بالضد من الجماعات التي تفتقر للإيثاريين الفئويين. (Choi & Bowles, 2007, p. 636).

وتأسيسا على ذلك اعتبر كل من "رش وبوم وهيرمان" أن التعقيد الاجتماعي العالي وكذلك الصراع العنيف بين الجماعات، ربما نتجا عن تطور مشتركٍ للسمات السلوكية التي تنتج التعاون والإيثار بين أعضاء الجماعة الواحدة أي "حبّ الداخل" وعن الحقد والعدوان بين الجماعات المنافسة أي "كره الخارج" (Rusch، Bohm، و Herrmann، ٢٠١٦).

ومع أن الاتساق المنطقي باد على الفرضية، غير أن اتّساقها يبقى مرتبطا بصحّةِ عددٍ من الافتراضات كتواتر الصراعات الأجدادية بين الجماعات وكذلك وحشيتها وبنيتها الاستراتيجية. غير أن الأدلة على صحّة كل هذه الافتراضات تبقى متضاربة كما أشار إلى ذلك كل من فراي وسودربرغ. (Rusch، Bohm، و Herrmann، ٢٠١٦).

وعلى أساس ما تقدّم فإننا نقصد بـ"الإيثار الضيق" «تقاطُعَ نزعتين هما: الإيثار، أي إفادةُ أعضاء الجماعة بكلفةٍ على الذات، والفئوية، أي العداءُ تجاه من ليسوا من الجماعة؛ ويتجلّى هذا التقاطع في اقتران "حبّ الداخل" بـ"كره الخارج"، فيُنتج أخلاقاً فئويةً تقصِر نطاق الالتزام الأخلاقي على دائرة "نحن" وتعطّله تجاه "هم"» وكما أشار كل من "تشوي وبولز" لم تكن أيٌّ من النزعتين قابلةً للبقاء منفردةً، إذ يعمل الانتقاء الداخلي ضدّهما، لكنهما تطوّرتا معاً لأن التنافس على الموارد الشحيحة فضّل الجماعاتِ الغنيةَ بالأفراد الإيثاريين الضيّقين في الصراع بين الجماعات».

الفروض المفسّرة للحروب

سنستعمل خمسة من الفروض المفسرة للحرب وعلى مستويات متدرّجة، بدءا من الدافع البيولوجي الجذريّ وصولا إلى السقف الأخلاقي، مع التأكيد بأنها كفروض لا تترتب على بعضها زمنيا ولا سببيا، وأننا نستعمل هذا الترتيب لبناء إطارنا النظري المفسر.

في البداية سنشرح التأثير الذي مارسه "التنافس على الموارد" (Resource Competition) حيث تتنافس الجماعات على موارد محدودة في بيئةٍ شحيحة، فتصير الحرب استراتيجية بقاء. ثم يأتي الاختيار الجنسي والاستثمار الأبوي (Sexual Selection & Parental Investment) حيث نشأ عن الفارق

بين لياقة الذكور التكاثرية ولياقة الإناث ميلٌ ذكوري أعلى للعنف والمخاطرة، سيتم شرحه لاحقا، وهو ما أدى لأن تكون الحرب سلوكاً ذكورياً غالباً. أما الفرض الثالث فهو "الإيثار الضيق" (Parochial Altruism) حيث تتطور نزعتا "الإيثار الداخليّ تجاه أفراد الجماعة" و"العدوان الخارجيّ تجاه منافسيها" معاً، لأن العدوان على الجماعات المنافسة يستدعي التعاون بين أفراد الجماعة الواحدة. ثم سنستعمل الفرض الذي يطرحه جهاز المناعة السلوكي (Behavioral Immune System) لشرح النفور النفسي تجاه الغرباء والذي يوظف باستمرار لإدامة الحروب وتمويلها بالمقاتلين. وأخيرا نستعمل "الأخلاق الفئوية والانتقاء متعدد المستويات (Coalitional Morality / Multilevel Selection) لشرح كيف أن بقاءُ الجماعات الغنية بالإيثاريين رسّخ منظومةً أخلاقية تُحرّم العدوان داخل الجماعة وتبيحه خارجها، فيصير الفعل نفسه بطولةً داخلياً وإجراماً خارجياً.

١. التنافس على الموارد

تؤكد الكثير من الدلائل بأن البشر لم يكونوا مسالمين يوما. بل كانوا في حالة صراع مستمرّة، وان السبب الرئيسي لذلك هو تعزيز فرص البقاء التي تواجه تحديين، الأول يتمثّل بشح الموارد أو عدم كفايتها والثاني يتمثّل بالحاجة إلى تمرير عدد أكثر من الجينات. أما الأسباب الأخرى للنزاعات فتأتي ملحقة بهذه الأسباب ومشتقة عنها (Gat, 2006, p. 87). فمنذ الحياة البدائية كان القتال ينشب بسبب النزاع على اماكن الصيد او المراعي او الأراضي الزراعية. وعندما تقل المراعي أو تفقد الغابات والبوادي مواردها، يزحف جامعوا الطعام والصيادون أو الرعاة باتّجاه الأماكن التي تخص الجماعات الأخرى فيحدث القتال وتنشب الحروب، وقد ربط جواد علي في كتابه "المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام" بين الأعراب – حيث انهم شكل من اشكال الجماعات ما قبل التكنولوجية – وبين الغزو معتبرا أنه السبيل الوحيد المتاح أمامهم لتأمين رزقهم، بسبب خشونة عيشهم وفقر بيئتهم (علي، ١٩٩٣، صفحة ٣٣٤). كما أن ابن خلدون يؤكد من جهته ميل الاعراب أو البدو إلى الشدَّة والحذر وملازمة السلاح والميل إلى القتال والسبب هو شح بيئتهم وحاجتهم للقتال في سبيل الاستحواذ على موارد غيرهم. (ابن خلدون، ٢٠٠١، صفحة ١٥٦) بل إن الحرب للأسباب السالفة ولغيرها هي سبب قيام الممالك والدول فهي من تخلق الرؤساء والملوك ثم إن هؤلاء يعودون فيخلقونها (ديورانت و.، ١٩٨٨، صفحة ٤١).

٢. الاختيار الجنسي والاستثمار الأبوي:

في سياق هذا الصراع لا بد أن يتطور لدينا تفضيل جيني لصالح الذكور الميالين إلى العنف واستعمال آلية قتل الخصوم في إطار التنافس على الطعام والنساء لتعزيز فرص البقاء على حساب الذكور غير الميالين إلى العنف. وهذه الفرضية تعززها البنية التأسيسية للأنتقاء الطبيعي حيث أن التنافس بين مجموعتين احداهما معززة بذكور ميالون لقتل الخصوم والإستيلاء على مواردهم وأخرى ليست كذلك، فإن

الانتقاء سيعمل لصالح المجموعة الأولى، فهي من جهة تعزز فرص تنافسها البيولوجي عبر المزيد من الطعام، وتنافسها الجنسي عبر المزيد من النساء. بل هناك من يقارن بين ستراتيجية البقاء عبر تنافس الذكور على النساء داخل المجموعة فقط وستراتيجية البقاء عبر تنافسهم على نساء مجموعتهم ونساء المجاميع الأخرى، وذلك عبر خطف نساءها. فهذه الاستراتيجية الأخيرة ترفع النجاح الإنجابي بمقدار عشرة أضعافها لدى الذكور المحاربين (Fry، ٢٠٠٧).

من جهة أخرى فإن المجاميع التي تعتمد في تنافسها مع المجاميع الأخرى على ستراتيجية الحرب تكون أقل خسائرا حتى عندما تفقد الكثير من الذكور المحاربين لأن فرص الذكور الناجين ستعوض على المجموعة المحاربة بسبب عملية إعادة توزيع الموارد التناسلية، الموجودة في المجموعة نفسها والمكتسبة من المجاميع الأخرى، بين الذكور الناجين (Tooby & Cosmides, 2025)، وعندها قد تكون الفوائد التي يحصل عليها الذكور المنتصرين هائلة (Lopez، ٢٠١٢) (McDonald، Navarrete، و Vugt، ٢٠١٢).

وما يدعم هذه التفسيرات للحروب، هو الاختلافات بين الذكور والإناث في السلوك الاجتماعي، فالميل إلى القتال ومن ثم شن الحروب مقتصر على الرجال عموما دونا عن النساء، ووفقًا لنظريتي "الاختيار الجنسي" و"الاستثمار الأبوي" يُفسر هذا الاختلاف بسبب ضغوط الانتقاء الجنسي المختلفة بينهما، والتي تُنتج استراتيجيات تكاثرية متمايزة بين الذكور والإناث. فلياقة الذكور التكاثرية مقيدة بمدى قدرتهم على الوصول إلى المزيد من الإناث الخصبات، حيث أنهم يستطيعون تمرير جيناتهم عبر معاشرة أكثر من أنثى في نفس الوقت. بينما لياقة الإناث مقيدة بمحددات فسيولوجية، فمهما كثرت مرات المعاشرة عندهن فإنهن سيحضين بفرصة واحدة لتمرير جيناتهن وهذه الفرصة لن تتكرر إلا بعد ٩ أشهر على الأقل. وعلى هذا الأساس لجأ الذكور إلى تجاوز ما يقيّد لياقتهم عن طريق احتكار عدد كبير من الشريكات. ينتج عن هذا التباين اختلافات ملحوظة في السلوك الجنسي، حيث هناك منافسة قوية نسبياً بين الرجال على النساء لأن هذه المنافسة تمكنهم من تجاوز عقبة التكاثر المفروضة عليهم في حال قل عدد النسوة لكل منهم. بينما لا تتنافس النساء، بشكل ملحوظ، على الرجال لان هذا التنافس لا يساعدهن في تجاوز عقبة التكاثر لديهن (Tooby & Cosmides, 2025) (McDonald، Navarrete، و Vugt، ٢٠١٢).

٣. الإيثار الضيق

يشير مفهوم الإيثار الضيّق (Parochial Altruism) إلى التقاء نزعة الإيثار (Altruism) والتضحية بالذات ومصالحها من أجل الآخرين، مع نزعة الأنانيّة أو الضيق الفئوي (Parochialism)، التي تؤدي إلى حصر الاهتمام والتعاطف بأفراد الجماعة التي ينتمي إليها الفرد (In-group) مع استبعاد الآخرين (Out-group). ونتيجة لذلك يضحي الفرد بمصالحه أو بنفسه لصالح بقاء جماعته لكن بما يعرض

بقاء أفراد الجماعات المنافسة إلى الخطر. وتبلغ هذه التضحية مداها في التفجيرات الانتحارية التي تهدف إلى التضحية بالنفس بغرض قتل أفراد الجماعة المنافسة، حماية لحياة ومصالح جماعة المُنتحر.

طُرح هذا المفهوم لتفسير الاستجابة التكيفية للتنافس بين الجماعة على الموارد وأيضا لتفسير قيام التحالفات بين الجماعات لأغراض شن الحروب، وهو التفسير الذي قدمه الباحثان "جونغ كيو تشوي" (Jung-Kyoo Choi) و"صموئيل بولز" (Samuel Bowles)، اللذان اعتبرا أن "الإيثار الضيق" و"الحرب" قد تطورا معاً، باعتبار أن العدوان الخارجي يستدعي التعاون الداخلي بين أفراد الجماعة (Choi & Bowles, 2007). فوفقا لأدبيات الأنثروبولوجيا التطورية وكذلك علم النفس التطوري، فأن البشر كائنات ضعيفة عاشت وسط بيئة معادية شحيحة الموارد، مما الجأها إلى التنافس وتشكيل ائتلافات تهدف إلى ضمان البقاء، ما يؤدي لتحول الحرب إلى إستراتيجية ضرورية للبقاء (Gat, 2006). كما أن الائتلافات تحقق فوائد كثيرة كتجميع الموارد، وتقسيم العمل، وتربية الأطفال وكذلك دفع خطر الحيوانات المفترسة أو خطر أفراد الجماعات المنافسة. وهذه الفوائد خَلقت ظروفا انتقائية ساعدت على نشوء تفضيلات نفسية كالرغبة في التعاون والميل إلى الانتماء (McDonald, Navarrete, & Van Vugt, 2012). لأن الانضمام إلى الجماعة يقتضي عقد تحالف بين أفرادها يلزمهم بالتضحية ببعض مصالحهم – أو كلها إن اقتضت الضرورة – لصالح بقية أفراد الجماعة لضمان قدرة الجماعة ككل على مواجهة التحديات. وهنا يلتقي مفهوم الإيثار الضيق مع مفهوم "العصبية" الذي قدَّمه ابن خلدون قبل قرون عديدة، حيث اعتبر أن علاقة "النسب أو ما في معناها" التي تربط بين جماعات البدو هي التي تلجئهم إلى نصرة بعضهم بعضا، وهو ما يؤكد أن الإيثار الداخلي يشتد كلّما كانت العلاقة أقرب في النسب (ابن خلدون، ٢٠٠١، صفحة ١٦٠). ونلاحظ، أيضا، أن مفهوم العصبية عند ابن خلدون يلتقي مع نظرية "اللياقة المتضمنة" أو "اللياقة الشاملة" لـ" البيولوجي البريطاني وليام د. هاميلتون " "W. D. Hamilton" التي اعتبر فيها أن الانتقاء الطبيعي يمكن له أن يدعم انتشار السلوك الإيثاري إذا كان المستفيدين منه أقرباء يحملون نسخاً مشتركة من الجين لأن الايثار هنا وإن كان يأتي بالضد من بقاء الفرد لكنه يدعم استمرار جيناته عبر انتشار جينات أقاربه (Hamilton، ١٩٦٤).

لكن في حالات معينة، كحالة شحة الموارد، تضطر الجماعات إلى الصراع فيما بينها الأمر الذي يحفز الأنانية خارجيا، وكأن الجماعات تستدعي الإيثار داخليا والأنانية خارجيا، فتقاتل الجماعات الأخرى بدوافع أنانية للاستحواذ على الموارد، ثم توزع هذه الموارد بدوافع إيثارية على أفراد الجماعة.

وبحسب (تشوي وبولز) فإن الإيثار الضيق لم يكن ليستمر ويتجاوز آليات الانتقاء لولا وجود الحروب والنزاعات، حيث أن الجماعة التي تخوض حربا أو تقع ضحية نزاع "قتالي" لا يمكن لها أن تضمن البقاء إلا في حال كانت معززة بالكثير من الأفراد الذين يميلون إلى السلوك وفقا لـ"الإيثار الضيق" (Choi &

(Bowles, 2007. وهكذا وعن طريق الانتقاء ازداد عدد الجماعات التي تحتوي عدداً أكبر ممن يعملون وفق منطق "الإيثار الضيق" نسبة إلى الجماعات التي يكونون فيها أقل. وهكذا زاد عدد الايثاريين الفئويين بين البشر، وهذا التفضيل الذي يقوم به الانتقاء تؤكده فرضية "الانتقاء متعدد المستويات" وهي الفكرة الداروينية التي طورها "ولسون وباولز" "D. S. Wilson وBowles"، حيث ذهبا إلى أن الانتقاء البايولوجي لا يجري على المستوى الفردي فقط، بل وعلى المستوى الجماعي أيضا، وأن الجماعات التي تتوافر على إيثاريون تكون أقدر على البقاء من غيرها (Gat, 2006, p. 41).

ومن الجدير ذكره أن التفسيران السابقان محدودان، لأنهما يفسّران أسباب نشوب النزاع أو القتال بين الجماعات المتنافسة على الموارد، وكذلك يفسران محابات التطور للايثاريين داخل هذه الجماعات، لكنهما لا يفسّران كل أنواع الحروب، كالحروب التي تقوم بها الدول التي تسعى إلى التوسع من أجل بناء الامبراطوريات الكبيرة. فالكثير من الامبراطوريات نشأت بسبب ميول الحكّام من أجل السيطرة على البلدان المجاورة تحقيقا لمجد خاص. وفي هذا السياق، ومن أجل تفسير الحروب الكبيرة، قُدّمت فرضيات أخرى نحتاج إلى استعراضها بشكل مختصر:

٤. جهاز المناعة السلوكي

قدّم هذا الفرض "مارك شالر" (Mark Schaller)، الذي يفسر أسباب كراهيتنا للغرباء وشعورنا بالاشمئزاز منهم. وهذا "الجهاز" في الأصل قُدّم بغرض تجاوز العقبة التي يمثلها "جهاز المناعة البيولوجي" أمام فرضيات التطور (Murray و Schaller، ٢٠١٦). فالوظيفة التي يقوم بها الجهاز البيولوجي، لحماية الكائن الحي من الآثار المترتبة على الأمراض، مُكلفة، حيث أنها تستهلك كميات هائلة من الطاقة التي يمكن توظيفها لإنجاز وظائف حيوية أخرى، فتفعيل الاغشية المخاطية وبعض الافرازات الحامية من الميكروبات وافرازات المعدة القاتلة للبكتريا وحتى الدموع واللّعاب كل ههذ الآليات تستهلك طاقة كبيرة. فضلا عن الدفاعات الأخرى لهذا الجهاز، مثل الحمى قد تأتي بمردودات صحية عكسية. وهنا يأتي التفسير الذي يقدمه "شالر" ، وهو تفسير يقول بأن عملية الانتقاء ساعدت على تطوير آليات نفسية تعمل بمثابة جهاز إنذار يعمل عندما يرصد أي إشارات على وجود طفيليات تحمل المرض، سواء أكانت في الأطعمة أو في الكائنات المصابة، تجنبا للعدوى. وهكذا يساعد جهاز المناعة السلوكي على تجنب التكاليف التي تنشأ عن تفعيل جهاز المناعة البيولوجي، عندما يقلل من عدد مرات تفعيله (Murray و Schaller، ٢٠١٦).

ومن ضمن الاليات النفسية التي يستعملها جهاز المناعة السلوكي، هي اليات الشعور بالاشمئزاز او الخوف من الغرباء، وهو شعور تطور لحماية البشر من مختلف المخاطر مثل المخاطر الجرثومية التي يحملونها. مما يوفر حماية مهمة من الأمراض (باس، ٢٠٠٩). فمع أن مشاعر الاشمئزاز تتركز على الحيوانات والأماكن المثير التي ترتبط بالخوف من الامراض أو الشك بوجودها. لكنها تطورت لتشمل

حتى الغرباء من البشر وقاية من الامراض المعدية التي يمكن أن يجلبوها، ومن هنا صاروا مثيرين للاشمئزاز والتوتر وباعثين، وإن بصورة غير مباشرة، على الميول العدوانية (Gat, 2006, p. 135). وما يعزز هذا الطرح أن أساليب النظافة والوقاية من الأمراض تختلف بين الجماعات، مما يعرض كل جماعة لمجموعة مختلفة من الامراض، كما أن اختلاف البيئات وطرق التعامل معها يكرس الاختلاف في التعرض للأمراض، وهكذا يكون الغريب مصدرًا محتملًا للعدوى (Schaller & Duncan, 2007).

٥. الاخلاق الفئوية

هذا المفهوم، يتأسس على أساسين الأول؛ أن النزاع على الموارد أنتج الحاجة إلى الأفراد الإيثاريين، الذين يمكن لهم تعزيز فرص جماعتهم في النزاع. الثاني؛ أن هذه الحاجة أدت، واستندت، إلى عملية صقل ثقافية لتبرير الإيثار، داخليا فقط لأنه لو امتد لصالح الجماعات الأخرى لما حقق غرضه. وهكذا فالانتقاء الطبيعي كان عاملاً دافعا لتعزيز الجماعات التي يكثر فيها العمل بمنطق الإيثار الضيق. ما جعل الأخلاق فئوية/ جماعاتية، أي أنها تحرم الجرائم والمخالفات داخل الجماعة وبحق أفرادها، وتبيحها وربما توجبها خارجها وبحق أفراد الجماعات المنافسة.

إن تعزيز الايثار معنويا وأخلاقيا وقانونيا، يكاد أن يكون شائعا بين جميع الثقافات حيث يكتسب المحاربون فيها مكانة عالية وخاصة الثقافات التي تتعرض الى تهديدات امنية أو تكون قائمة على الحروب ومن الواضح أن هذه المكانة المميزة تعزز النجاح التكاثري خارجها للمحاربين بشكل كبير (Gat, 2006, p. 90).

كما وتسعى الجماعات في الأعم الأغلب من الثقافات إلى إدامة وجود الإيثاريين/ المحاربين عبر مكافأتهم (Lishner & Stocks, 2008) (Choi & Bowles, 2007)، وحتى في حال موتهم نجد بأن هناك حرص على ضمان حصول اطفالهم على الرعاية بما يضمن تمرير جيناتهم ومن ثم جينات الأب المضحي. وهكذا تعمل الجماعات وعبر الأخلاق على تعزيز "الإيثار الضيق" (Sesardic, 2006).

من جهة أخرى فإن الأخلاق التي تعزز الإيثار، والتي تهدف إلى تعزيز فرص الجماعة في البقاء، ستفشل في تحقيق هذا الهدف في حال أنها شملت بالإيثار أفراد الجماعات المنافسة. وهكذا واجهت الجماعات حاجة ماسَّة إلى جعل الأخلاق التي تدعم الإيثار داخلية، فالإيثار الداخلي يكون ممدوحا، أما الإيثار الخارجي فيكون مذموما، لأنه يهدد أمن الجماعة ويعرض بقاءها للخطر. وخير مصداق لهذه الفئوية نجده في الأعمال الانتحارية التي استهدفت العراقيين منذ عام ٢٠٠٦ واستمرت لأكثر من ١٠ أعوام، فالانتحاريون الذين فجروا انفسهم بين المواطنين الأبرياء إيثاريون بالنسبة للجماعات التي ينتمون

إليها، لأنهم يضحون بأرواحهم فهم ابطالا، بالأحرى شهداء. لكنهم مجرمون وإرهابيون بالنسبة إلى العراقيين من ضحاياهم. والمفارقة تكمن بكون الطرفين ينتمون إلى الدين الإسلامي الذي يفترض بانه دين عالمي قادر على صهر الهويات والمصالح المختلفة. لكن اليات الصهر فيه تعجز عن مواجهة حاجة الجماعات الى التضامن داخليا بالضد من التهديدات التي تعتبر خارجية، وتزداد المفارقة شدّة عندما يُستعمل مفهوم الشهيد – وهو مفهوم إسلامي يرفع القتلى لمرتبة مقدّسة – لمكافأة المُنتحر وضحاياه، على حدٍ سواء، فالمنتحر شهيد وفقا لجماعته، والضحايا شهداء من وجهة نظر جماعتهم. وبالمثل عندما تقدم الكثير من الدول الاوربية والغربية الدعم والاسناد لإسرائيل، حتى عندما يكون هذا الدعم مخالفا لقرارات الأمم المتحدة (Albanese، ٢٠٢٥)، فعملهم يعد إيثارا لأنه داخلي بالنسبة للمجتمع الغربي ولذلك تتم شرعنته (Albanese، ٢٠٢٥). وبالمقابل نجد بأن هذه الدول تتصدى لأي دعم يمكن أن تقدمه الدول العربية أو الإسلامية إلى الفلسطينيين بدافع من الإيثار الداخلي. وهذا ما اشتكت منه الدول الإسلامية والعربية لدى الأمم المتحدة (Lewis, 2025, p. 32).

إذا يبدأ التمييز من الأخلاق، التي تبيح القتل، أو السلب، الخارجي وتعتبره دليل على النبل والشجاعة وتحرّم القتل أو السلب الداخلي وتعتبره دليل على الوحشية والإجرام. وغني عن القول بأن هذه النتيجة متأسسة على شيوع أخلاق "الإيثار الضيق" لدى الجماعات البدائية (Ferguson, 2013).

كيف نشأ التمييز مرتبطا بالتنافس والحروب

البشر كائنات "تحالفية/ تحزبية/ جماعاتية" وهم يحددون سلوكهم مع الأفراد الآخرين استنادا إلى التمييز بين كونهم داخل الجماعة أو خارجها، (Lopez A. C., 2016)، (Gat, 2006, p. 153). ما يعني أن التحالفات في أساسها – والجماعات كذلك – موضوعة من أجل إقصاء الآخرين، أو منعهم من الحصول على امتيازات أفراد الجماعة ومزاحمتهم على الموارد التي تتيحها لهم جماعة. وهذا الإقصاء لا بد أن يتأسس على قواعد أخلاقية تضبط عمليتي تقريب شريحة واقصاء أخرى. وهذا يعني أن جزأ من الأخلاق في أصله نشأ لأغراض تمييزية.

إن الحرب شأن إنساني (باس، ٢٠٠٩، صفحة ٥٧٠)، ولا يمكن لها أن تُشن من دون وجود تحالفات تنتظم داخلها جماعات مهاجمة بالضد من أخرى مدافعة (Lopez A.، ٢٠١٦) (باس، ٢٠٠٩، صفحة ٥٧١)، وهذا يُنتج بدوره أخلاقا انتقائية تمييزية. ومن اللافت أن الدراسات اثبتت بأن استجابتنا للعدوان يتم تثبيطها في حال كان هذا العدوان صادرا من داخل الجماعة لا من خارجها (Lopez A. C., 2016)، وهذا التثبيط يسعى إلى تعزيز الجدوى التحالفية للجماعة والحفاظ على تماسكها عبر تحريم الاعتداء على أفرادها، لكن هذا التحريم يتوقف عند حدود الجماعة ولا يكاد يتعداها. لقد ارتبط تطور الثقافة البشرية وتعقّد أنظمتها الإدارية والاقتصادية بتطور أنظمة الحرب وقدرة هذه الثقافات على البقاء والاستمرار عبر تطوير تقنياتها الدفاعية والهجومية (Fry, 2007).

وقد اشارت دراسات كثيرة إلى أن التعقيد الثقافي بمستوياته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية يترافق مع الحرب. وأن هناك علاقة بين "البدائية" وغياب الحرب أو بين البدائية وبين "الحرب منخفضة المستوى"، وبالمقابل فمستوى الحرب وتقعيدها وطول مدتها وتأثيرها يزداد مع ازدياد تعقيد الثقافة وتطور أنظمتها القانونية والأخلاقية (Fry, 2007). وفي هذا السياق يؤكد باحثون أن القتال أو الحرب ظهرت مع ظهور التعقيد في مجتمعات الجمع والصيد، بمعنى أن وفرة الموارد التي ساعدت على الاستقرار وتنظيم المجتمع وظهور التراتبية أدت إلى نشوب القتال (Ferguson, 2013, p. 119). وهذا ما يعزز الفرض، الذي ناقشناه آنفا، والذي يذهب إلى أن وفرة الموارد تستلزم تعزيز القدرة على حمايتها عبر تنظيمات القتال والحروب.

كما أن زراعة المحاصيل ووفرتها وتوقّع وقت هذه الوفرة يغري بمحاولات الإستيلاء عليها من قبل الجماعات التي تعاني فقرا في الموارد أو تعاني من عدم قدرتها على توفير ما يكفي منها. ومن الواضح أن عملية الإغارة على موارد الآخرين تحتاج إلى نظام أخلاقي يتعامل مع الإغارة باعتبارها عملا حسنا، إذا لم يكن مطلوبا وواجبا. الأمر الذي يؤدي إلى انتشار النزاعات ومن ثم انتظام الجماعات وازدياد حجمها، سواء أكانت جماعات دفاعية للحفاظ على الموارد، أو هجومية لسلبها. وقد أكد باحثون أن الفترة الممتدة من ٧٥٠٠ إلى ٥٠٠٠ عام مضت لم تترك لنا شواهد على وجود الجماعات الدفاعية ومن ثم حصول العنف فقط، بل تركت أيضا شواهد على أخذ التذكارات من المهزمين، كفروات الرؤوس والأيدي وما إلى ذلك (University of Connecticut, 2020).

وحتى عندما نأخذ بنظر الاعتبار الاعتراضات على مدى مصداقية الأدلة المتوفرة على حدوث الحروب ومدى كفاية الأدلة التي تربط بين العنف وبين الحروب (Ferguson, 2013)، فإن الموت بسبب العنف لا بد أن يكون ناشئا بسبب نحو من أنحاء النزاع والنزاع لا بد أن يكون على شكل من أشكال الموارد، وهذا يعني أن تنشأ فكرتان أخلاقيتان متعارضتان كل منهما يسعى إلى إضفاء الشرعية على طرف من أطراف النزاع وسلبها من الآخر.

وهكذا يتضح أن التمييز الأخلاقي بين الداخل والخارج نما وتعقّد بالتوازي مع تعقّد الثقافة، وخاصة مع دخول الزراعة على الخط، فكلما ازدادت الموارد زادت الحاجة إلى تعقيد النظم التي تديرها، وتعقيد النظام الأخلاقي الذي يحميها ويشرّع الدفاع عنها أو يشرع عمليات سلبها.

التمييز في القانون والمعايير الدولية

لا يقع في وارد اشتغالنا في هذه الدراسة أن نفحص الأخلاق الإنسانية بصورة عامّة، بل يمكن لنا الاكتفاء بالأخلاق أو المعايير الناظمة للنزاعات والحروب، وخاصة تلك التي تضبط إيقاع المجتمع الدولي، لنرى إن كانت عملية تطبيق هذه الأخلاق عابرة للإيثار الفئوي أم أنها ليست كذلك. بمعنى هل

تطبّق داخل فضاء الـ(نحن) على حساب الـ(هم) أم لا. فإذا طُبقت بشكل تمييز فهذا يعني أن منطق القبيلة لم يزل يؤثر في مسار الحضارة البشرية. أما إذا كانت تستعمل خارج الفئوية، فهذا يعني أن مسار الحضارة البشرية قد تجاوز منطق القبيلة أو الجماعة أو العصبة. وعلى هذا الأساس سنستعمل المعطيات التي تؤكد وجود التمييز في عمليات انفاذ القوانين والقرارات الدولية، وكذلك وجوده في عمليات التفاعل، سلبا أو إيجابا، مع الاحداث التي تقتضي تفاعلا دوليا.

ما نقصده من مفهومي "التمييز" و"ازدواجية المعايير" في حدود دراستنا هذه هو "المعاملة غير المتكافئة لحالتين متماثلتين جوهرياً دون مسوّغ قانوني معلن". (Lewis، ٢٠٢٥)، (Labuda, 2024). وسنستعمل المفهوم للإشارة إلى تعامل الدول مع بعضها أو المؤسسات الدولية مع الدول التي تقع تحت ولايتها بشكل غير عادل ولا متكافئ، مع توفر مسوغات العدالة والتكافؤ. وسواء أكان هذا التعامل عن طريق تشريع القوانين واتّخاذ القرارات أو عبر تطبيقها، وبما يؤدي إلى تقويض مبدأ الالتزام بالمساواة، أو الحياد، أو الكونية (Lewis، ٢٠٢٥)، (Labuda, 2024).

وعلينا أن نتذكّر في البداية الظروف التي نشأت بسببها هيئة الأمم المتحدة والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها. حيث أن الويلات التي تسببت بها الحربين العالميتين جعلت الدول بحاجة إلى تلافي تكرارهما من جديد. وبحسب ديباجة الميثاق الخاص بالجمعية العامة فإن الدول اجتمعت لكي تنقذ «الأجيال المقبلة من ويلات الحرب التي في خلال جيل واحد جلبت على الإنسانية مرتين أحزاناً يعجز عنها الوصف» (الأمم المتحدة، ١٩٤٥)، ولهذا السبب أكد الميثاق إيمانه «بالحقوق الأساسية للإنسان وبكرامة الفرد وقدره، وبما للرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية»، (الأمم المتحدة، ١٩٤٥).

كما نص الميثاق في فصله الأول المادَّة (١) على أن الأمم المتّحدة تسعى إلى «حفظ السلم والأمن الدولي» وتحقيقاً لذلك تتخذ التدابير المشتركة الفعّالة لمنع التهديدات وإزالتها وتقمع أعمال العدوان «وفقاً لمبادئ العدل والقانون الدولي» كما نصَّت المادة (٢). على أن الهيئة تقوم «على مبدأ المساواة في السيادة بين جميع أعضائها» (الأمم المتحدة، ١٩٤٥). كما أن الفصل الرابع عشر، المادة (٩٤): يُلزم «كل عضو من أعضاء "الأمم المتحدة" أن ينزل على حكم محكمة العدل الدولية في أية قضية يكون طرفاً فيها» (الأمم المتحدة، ١٩٤٥).

ووفقا لما ورد في الميثاق نستطيع أن نستخلص المعايير التالية، التي يمكن لنا عبر استعمالها أن نحكم على وجود أو عدم وجود التمييز في تطبيق القانون الدولي:

١. معيار المساواة في السيادة.
٢. معيار المساواة في الحقوق.
٣. معيار المساهمة بحفظ السلم والأمن الدوليين.

٤. معيار العدالة والتزام القانون الدولي في منع التهديدات وإزالتها.

٥. معيار النزول على حكم محكمة العدل الدولية.

أولا: التمييز في المواقف وعمليات الاستجابة للأحداث

سنعمل في هذا المبحث على قياس مواقف الدول عبر استعمال المعايير، وبالاستفادة من البيانات المتوفرة عبر الدراسات المشابهة والبيانات الرسمية الصادرة من الجهات المعنية. وأول ما يلفت النظر في هذا السياق هو ازدواج مواقف بعض المنظمات الدولية بين ما حدث في أوكرانيا وما حدث في غزَّة. ففي الفترة بين تشرين الأول ٢٠٢٣ وتموز ٢٠٢٥، بلغ عدد القتلى من الأطفال الفلسطينيين نحو ١٧,١٢١، بينما في أوكرانيا بلغ عددهم ما يقارب ٥٢١ طفلا بين شباط ٢٠٢٢ وكانون الأول ٢٠٢٤. كما أن نسبة القتلى المدنيين إلى العسكريين في أوكرانيا كانت ١٠% مدنيين إلى ٩٠% عسكريين. وفي المقابل كانت النسبة معكوسة في غزة، حيث بلغت نسبة المدنيين من القتلى ٨٣% ونسبة المقاتلين ١٧%. ومع ذلك، واجهت روسيا أكثر من ١٦,٠٠٠ عقوبة، بينما لم تواجه إسرائيل أيّ عقوبةٍ على الإطلاق (De Vogli، Montomoli، Wilkinson، و Pickett، ٢٠٢٦). وهنا نلاحظ عملية انتهاك للمعيارين (٢،٣،٤).

وفي مقال نُشر في مجلة لانسيت (The Lancet)، اعُتبر صمت الجمعيات الطبية والأكاديمية عن الإبادة الجماعية في غزة انتقائيا. ومن الجمعيات التي نالها الانتقاد الجمعية الطبية العالمية (World Medical Association) حيث اتهمت بالفشل في إدانة الجرائم الإسرائيلية أو إدانة انتهاكات اطبائها للأخلاقيات الطبية (De Vogli، Montomoli، Wilkinson، و Pickett، ٢٠٢٦). ما يؤشر انتهاك للمعيار (٢، ٣، ٤).

وفي عملية مقارنة أخرى نكتشف المزيد من عمليات الانتقاء والتمييز فمثلا وُصفت الجمعية الأمريكية للصحة العامة، في بيانها الصادر في تشرين الثاني ٢٠٢٣، الوضعَ في غزة بالأزمةٌ الإنسانية، ودعت إلى وقفٍ لإطلاق النار، متجنبة إسناد المسؤولية لإسرائيل، وفي المقابل، أدانت في شباط ٢٠٢٢ روسيا صراحةً لغزوها أوكرانيا (De Vogli، Montomoli، Wilkinson، و Pickett، ٢٠٢٦). انتهاك المعيار (٢).

ثانيا: التمييز الذي وقعت فيها المؤسسات القضائية الدولية

الاتهامات بالازدواجية لا تقتصر على قضايا أو مواضيع محددة بل هي ترقى إلى مستوى الخلل البنيوي داخل بعض المؤسسات الدولية كمجلس الأمن، وأنها لا تقتصر على القضايا المُتوقع التمييز فيها مثل القضية الفلسطينية، وأن دولا بعينها نجحت بتحويل مجلس حقوق الإنسان (HRC)، من مسؤولية رفع التقييمات الحقيقيةً عن انتهاكات حقوق الإنسان والاستجابة لها إلى مجرد تقديم التعاون التقني للدول (Ratner, 2025).

بعد أيام من نشوب الحرب الروسية الأوكرانية بلغ عدد الدول التي قدمت طلبات لإحالة روسيا إلى المدّعي العام ٣٩ دولة. وبالتوازي تم إرسال ٤٢ محققا للتحقيق في جرائم الجيش الروسي في مايو ٢٠٢٢، وهو ما اعتُبر أكبر عملية نشر ميدانية للمحققين. كما وتعهدت أكثر من ٢٠ حكومة بتقديم دعم مالي للتحقيق (Labuda، ٢٠٢٤). لكن بالمقابل وعلى الرغم من انضمام فلسطين إلى النظام الأساسي منذ عام ٢٠١٥ فإن قليلا من المانحين التقليديين للمحكمة تعهدوا بتقديم أموال في أعقاب حرب غزة عام (٢٠٢٣)، على الرغم من مناشدات المدعي العام للتمويل واستجابت دول غربية قليلة فقط بشكل إيجابي، كبلجيكا وإسبانيا. (Labuda، ٢٠٢٤). انتهاك للمعايير (١، ٤، ٥).

كما وأطلِقت تحقيقاتٌ موازيةٌ في الجرائم ضد الإنسانية في الحرب الأوكرانية الروسية، وجرائم الحرب، وجريمة العدوان، والإبادة الجماعية، من دول من بينها بولندا، وليتوانيا، ولاتفيا، وسلوفاكيا، وإستونيا، وألمانيا، وفرنسا، وغيرها. كما وظفت جهود كثيرة للإسراع بالتحقيقات مثل "فريق التحقيق المشترك" (Joint Investigation Team) و"الفريق الاستشاري المعني بجرائم الفظائع" (Atrocity Crimes Advisory Group)، وعملت هذه الجهود على تبسيط جمع الأدلة وتبادلها، وتفادي ازدواجية الإجراءات، والحيلولة دون أوجه عدم الكفاءة في استخدام الموارد (Labuda، ٢٠٢٤). انتهاك للمعايير (٣،٤).

وفي مقابل ذلك بقيت عمليات التحقيق في ادعاءات الجرائم المرتكبة في غزّة تواجه بالعراقيل وبمبررات مختلفة مثل مبرر أن البلدان الديمقراطية، مثل إسرائيل، ينبغي أن تخضع لمعايير خاصَّة، من دون تقديم المسوّغات القانونية التي تبرر هذا التميز لصالح إسرائيل. وكالمبرر الذي قدّمته فرنسا في أن رئيس الوزراء الإسرائيلي يتمتّع بالحصانة — في حين لا يتمتّع بها الرئيس الروسي — من الاعتقال الصادرٍ عن المحكمة الجنائية الدولية، (Labuda، ٢٠٢٤) فمثل هذه العراقيل تكرّس عمليات التمييز. في انتهاك واضح للمعايير (١،٤،٥) ولهذه الأسباب زادت الاتهامات بالازدواجية الموجّهة إلى المؤسسات الدولية المسؤولة عن إنفاذ القوانين، وأنها تعاني من التطبيق غير المتكافئ، وتمارس نفاقا يتدثّر بالشرعية (Lewis، ٢٠٢٥).

آليات التمييز وإدامته في ضوء تقرير مقرر الأمم المتحدة الخاص بالأراضي الفلسطينية

اللافت في إطار التمييز أنه لا يبقى خطابيا، بل يتحول إلى إجراءات ملموسة على الأرض تتمتع، في كثير من الأحيان، بالاستمرارية والنماء.

وقد تضمن تقرير مقرر الأمم المتحدة الخاص المعني بالأراضي الفلسطينية الكثير من المعلومات التي تؤكد وجود التمييز والعمل على إدامته فعلى الرغم من أن قرارات الأمم المتحدة ومنذ عام ١٩٧٦ دعت إلى حظر توريد الأسلحة إلى إسرائيل، غير أن العديد من الدول استمرت في تزويدها بالأسلحة. إلى درجة تتجاوز معها نسبة واردات الأسلحة من إجمالي تجارتها ضعف متوسط دول منظمة التعاون

الاقتصادي والتنمية. وأكثر من أربعة أضعاف نسبة الولايات المتحدة. وحتى مع تزايد الأدلة على الإبادة الجماعية في غزة لم يتوقف التوريد. خاصة من قبل الولايات المتحدة وألمانيا وبريطانيا وإيطاليا. ولم تلتزم بحضر التوريد سوى بضع دول غربية، كإسبانيا وسلوفينيا. في تجاوز واضح للمعيار (٤) (Albanese، ٢٠٢٥)..

ويكشف تقرير المقرر، أثناء عرضه للدعم الذي قدّمته بعض الدول لعلميات القصف الإسرائيلية على غزَّة أبعاد كثيرة من عمليات الاصطفاف والتمييز، مؤكدا أن استعمال الدول لحجة أن الأسلحة الموردة لإسرائيل "دفاعية" أو "غير فتاكة". مردودة باعتبار أن معاهدة تجارة الأسلحة تشترط تقييماً شاملاً لكيفية استخدامها واستخدام أجزائها ومكوناتها. ثم أن احتلال الأراضي الفلسطينية يُعد استخداماً غير مشروع للقوة بشكل مستمر، وعليه لا يمكن اعتبار أي إجراء إسرائيلي "دفاعياً". (Albanese، ٢٠٢٥).

وعلى أساس ما تقدم يمكننا، وفقا للتقرير الأممي أن نكتشف أن الولايات المتحدة وألمانيا والمملكة المتحدة قدّمتا الدعم الأهم لإسرائيل خلال حربها في غزّة، وذلك وفقا للتالي:

أولا: الولايات المتحدة الأمريكية:

١. بعد حرب ١٩٦٧، أصبحت إسرائيل المتلقي الرئيسي للتمويل العسكري الأمريكي. حيث تستند الشراكة الاستراتيجية بين الطرفين على التزام تشريعي أمريكي بضمان "التفوق العسكري النوعي" الإسرائيلي» وبـ«حق تفضيلي في مبيعات الأسلحة الأمريكية» (Albanese، ٢٠٢٥).

٢. تضمن مذكرة التفاهم الثالثة السارية بين الطرفين حتى عام ٢٠٢٨، مبلغ ٣,٣ مليار دولار سنويًا من التمويل العسكري بالإضافة إلى ٥٠٠ مليون دولار سنويًا للصواريخ.

٣. منذ أكتوبر ٢٠٢٣ تزايد هذا الدعم الأمريكي بما يشمل:

أ. نقل ٧٤٢ شحنة من "الأسلحة والذخائر".

ب. قيام إدارتي بايدن وترامب بتقليص الشفافية الخاصة بعمليات الدعم وتسريع النقل عبر موافقات طارئة متكررة.

ج. تسهيل وصول إسرائيل إلى مخزون الأسلحة الأمريكية الموجود في الخارج.

د. الاذن بمئات المبيعات التي تقل قيمتها قليلاً عن الحد الذي يتطلب موافقة الكونغرس.

ذ. نشر طائرات عسكرية وقوات خاصة وطائرات مسيرة للمراقبة في إسرائيل، بعذر استخدام المراقبة لاستهداف حماس، بما في ذلك في الغارة الأولى على مستشفى الشفاء. (Albanese، ٢٠٢٥).

٤. بحلول سبتمبر ٢٠٢٤، زودت إسرائيل بـ ٥٧ ألف قذيفة مدفعية، و٣٦ ألف طلقة ذخيرة مدفعية، و٢٠ ألف بندقية من طراز M4A1، و١٣٩٨١ صاروخًا مضادًا للدبابات، و٨٧٠٠ قنبلة من طراز MK-82 زنة ٥٠٠ رطل.

٥. بحلول أبريل ٢٠٢٥، بلغ عدد صفقات بيع الأسلحة لإسرائيل ٧٥١ صفقة بقيمة ٣٩٠٢ مليار دولار. (Albanese، ٢٠٢٥)..

٦. في نيسان ٢٠٢٤، أقرّ الكونغرس حزمة مساعدات بقيمة ٢٦,٤ مليار دولار للدفاع الإسرائيلي، وذلك بالتزامن مع تهديد إسرائيل بغزو رفح، الذي كان يُعتبر سابقًا (ثم نُفي لاحقًا) "خطًا أحمر" للرئيس بايدن. وهنا نؤشر انتهاكا للمعيارين (١، ٤).

ثانيا: ألمانيا

جاءت ألمانيا بالمرتبة الثانية في مستوى الدعم المقدم إلى إسرائيل خلال ما وصفه تقرير الأمم المتحدة بـ"الإبادة الجماعية" وفقا للتالي:

١. إمدادات متنوعة من السفن الحربية والطوربيدات. مبررة ذلك بالتزام ألمانيا تجاه المحرقة الإسرائيلية.

٢. تعليق التقييمات الأخلاقية والقانونية لإسرائيل.

٣. إصدار تراخيص تصدير فردية، للفترة من تشرين الأول ٢٠٢٣ إلى تموز ٢٠٢٥ بقيمة ٤٨٩ مليون يورو، أي ما يعادل ١٥% من إجمالي التراخيص الممنوحة لإسرائيل خلال ٢٢ عامًا.

٤. رغم أن المستشار الألماني علّق مؤقتًا الموافقات على الصادرات المستقبلية في آب ٢٠٢٥، فقد تمت الموافقة على صادرات بقيمة ٢,٤٦ مليون يورو بعد شهر. وهنا أيضا نؤشر انتهاكا للمعيارين (١، ٤).

ثالثا: المملكة المتحدة

١. ساعدت وعبر قواعدها في قبرص على توفير خط الإمداد الأمريكي بالغ الأهمية إلى إسرائيل.

٢. نفّذت أكثر من ٦٠٠ طلعة استطلاعية فوق غزة طوال فترة الإبادة الجماعية.

٣. تبادلت المعلومات الاستخباراتية مع إسرائيل.

٤. تزامن الطلعات الاستطلاعية مع عمليات إسرائيلية كبرى، ما اعتبره التقرير الأممي معرفة وتعاونا معمقين في تدمير غزة، يتجاوز مجرد عمليات "إنقاذ الرهائن". وهذا انتهاك واضح المعيارين (١، ٤).

بالإضافة إلى ما تقدّم استمرت بعض الدول بمنح تراخيص تصدير الأسلحة إلى إسرائيل، رغم قرار الأمم المتحدة والمطالبات المتزايدة بوقف التوريد ورغم إقرار هذه الدول بالمخاوف مثل المملكة المتحدة وكندا وأستراليا، أو السماح بنقل الأسلحة عبر موانئها ومطاراتها مثل إيطاليا وهولندا وأيرلندا وفرنسا والمغرب. وقد زعمت إيطاليا، ثالث أكبر مُصدِّر للأسلحة إلى إسرائيل في الفترة ٢٠٢٠-٢٠٢٤، أنها ملتزمة بواجباتها القانونية لوقف هذه الصادرات، مع اتباعها نهج عدم التدخل في عمليات النقل. ويعتبر تقرير المقرر الخاص للأمم المتحدة في الأراضي المحتلة أن هذه الإجراءات، تؤكد "نية تسهيل الجرائم الإسرائيلية" (Albanese، ٢٠٢٥). انتهاك المعيارين (١، ٤).

وبالمحصلة وصل عدد الدول التي استمرت بتوريد الأسلحة، أو قطع غيارها، لإسرائيل – وخاصة سلاح المقاتلة الشبح الهجومية إف-٣٥، التي شكّلت عنصرا أساسيا في الهجوم على غزة – إلى ١٩ دولة

وهي: (أستراليا، بلجيكا، كندا، جمهورية التشيك، الدنمارك، فنلندا، ألمانيا، اليونان، إيطاليا، اليابان، هولندا، النرويج، بولندا، كوريا الجنوبية، رومانيا، سنغافورة، سويسرا، المملكة المتحدة، والولايات المتحدة) مع أن سبع عشرة دولة منها مصادقة على معاهدة تجارة الأسلحة. ورغم الكثير منها تواجه دعاوى قضائية كـ(هولندا، كندا، أستراليا، الدنمارك، والمملكة المتحدة). (Albanese، ٢٠٢٥). وهذا انتهاك واضح للمعيارين (١، ٤). واللافت للنظر أن هذه الدول الشريكة في برنامج مقاتلات الـ"F35". تخضع لقوانين داخلية ودولية تلزمها بإيقاف أو منع تزويد إسرائيل بهذا السلاح أو بقطع غياره، (Global Centre for the Responsibility to Protect، ٢٠٢٥). وكما موضح في أدناه.

١. أستراليا: لديها قانون نافذ لضوابط التصدير الدفاعي لعام ٢٠١٢ يلزمها بالنظر في خطورة أن تستخدم السلع المرخَّصة لارتكاب، أو تيسير، انتهاكاتٍ خطيرة لحقوق الإنسان أو قد تذهب إلى بلدٍ يمكن أن تُستخدَم فيه على نحوٍ يخالف التزامات أستراليا أو تعهّداتها الدولية، أو تصبح متاحةً فيه.

٢. كندا: يؤكد قانونها الخاص بتصاريح التصدير والاستيراد على إلزام وزير الخارجية بمراجعة جميع التصاريح وتحديد ما إذا كان يمكن استخدام المعدّات في ارتكاب أو تيسير انتهاكٍ خطير للقانون الدولي الإنساني، وإذا كان ثمّة خطرٌ جوهري بأن تفضي أيّ عمليات نقلٍ إلى هذه العواقب السلبية، ولم يكن بالإمكان تخفيف هذه المخاطر، وجب رفض التصدير.

٣. الدانمرك وإيطاليا وهولندا: هذه الدول الثلاث تخضع للموقف الموحّد للاتحاد الأوروبي الذي ينص على رفض منح رخص التصديرٍ إذا كان ثمّة خطرٌ واضح بأنّ التكنولوجيا أو المعدّات العسكرية قد تُستخدَم في ارتكاب انتهاكاتٍ خطيرة للقانون الدولي الإنساني.

٤. النرويج يمنع قانونها بيع الأسلحة إلى بلدانٍ في حروبٍ تنتهك قواعد اللجوء إلى الحرب.

٥. المملكة المتحدة تخضع لمعايير الترخيص الاستراتيجي للتصدير الذي يلتزم برفض منح رخص التوريد إذا كان ثمّة خطراً واضحاً بأنّ المواد قد تُستخدَم لارتكاب أو تيسير انتهاكٍ خطير للقانون الدولي الإنساني.

٦. الولايات المتحدة: يحظر قانونها نقل المساعدات العسكرية إلى حكوماتٍ تقيّد إيصال المساعدات الإنسانية الأمريكية. (Global Centre for the Responsibility to Protect، ٢٠٢٥).

وفضلا عن مخالفة هذه الدول "الشريكة في برنامج مقاتلات الـ"F35" للقوانين النافذة التي تمنع عليها استمرارها بتوريد الأسلحة فإن المنظمات غير الربحية، التابعة لها والعالمية، طالبتها بوقف التوريد. وقد بلغ عدد هذه المنظمات ما يقارب ٢٣٣ منظمة اتّهمتها صراحة بإلحاق "الضرر البالغ الذي لا يُمكن إصلاحه بالفلسطينيين في غزة". وأنها "إما عاجزة أو غير راغبة في تطبيق أنظمة مراقبة صادرات الأسلحة التي تدّعيها" "أو أنها اختارت تطبيق القانون بشكل انتقائي، مستثنيةً الفلسطينيين من حمايته".

(Global Centre for the Responsibility to Protect، ٢٠٢٥). وذكّرتها بقرار محكمة العدل الدولية باتخاذ تدابير مؤقتة ضد إسرائيل لمنع الإبادة الجماعية ضد الشعب الفلسطيني في غزة في كانون الثاني ٢٠٢٤. كانون الأول ٢٠٢٤. كما ذكّرتها بتحقيق منظمة "العفو الدولية" الذي خلص إلى أن إسرائيل ارتكبت وتواصل ارتكاب إبادة جماعية ضد الفلسطينيين في غزة. كما وذكرتها بإفادة منظمة "هيومن رايتس ووتش" بأن السلطات الإسرائيلية مسؤولة عن جريمة الإبادة ضد الإنسانية وعن أعمال الإبادة الجماعية. (Global Centre for the Responsibility to Protect، ٢٠٢٥).

جدول يوضح انتهاك ميثاق الأمم المتحدة بسبب عمليات التمييز في إنفاذ قوانينها وقراراتها أو الالتزام بها من قبل الدول الأعضاء

المعيار	الحالة	السبب
١. المساواة في السيادة.	انتهاك	إيجاد العراقيل امام التحقيقات في غزَّة حصانة الرئيس الإسرائيلي دونا عن الرئيس الروسي
٢. المساواة في الحقوق.	انتهاك	معاقبة روسيا بأكثر من ١٦,٠٠٠ عقوبة، ولا عقوبة لإسرائيل على الرغم من أن عدد الأطفال المقتولين في غزة ونسبة المدنيين إلى العسكريين فيها أكثر بكثير مما حدث في أوكرانيا.
٣. المساهمة بحفظ السلم والأمن الدوليين.	انتهاك	تجاوز قرار الأمم المتحدة بمنع توريد الأسلحة
٤. العدالة والتزام القانون الدولي في منع التهديدات وإزالتها.	انتهاك	معاقبة قضاة المحكمة الدولية والتهديد بتفكيكها
٥. النزول على حكم محكمة العدل الدولية.	انتهاك	رفض ولاية المحكمة على أمريكا وعدم امتثالها ولا إسرائيل بقراراتها

النتائج:

أولا: إن عمليات التمييز التي اوردنا بعض الأمثلة عليها وفي مقدمتها استمرار توريد الأسلحة لإسرائيل رغم قرارات الأمم المتحدة، والقوانين الوطنية والدولية الصريحة ورغم تزايد الأدلة على الإبادة الجماعية. تكشف أن التمييز ليس ثغرة في المنظومة الدولية ولا هو عجز لدى الدول بل هو خيار سياسي واعٍ.

ثانيا: لم تقتصر عمليات التمييز على الدعم بل امتد إلى التبرير وتوفير غطاء الشرعية، وهو ما لاحظناه في دفاع الدول الغربية عن إسرائيل وفي عمليات تقليص الشفافية لتبرير عمليات نقل الأسلحة. وهو ما وصفه تقرير المقرر الأممي بـ"تسهيل الجرائم الإسرائيلية".

ثالثا: من بين تسعة عشر دولة شريكة في برنامج "F-35 " صادقت سبعة عشر منها على معاهدة تجارة الأسلحة، وهي تخضع لقوانين وطنية أو أوروبية أو أممية تُلزمها بوقف التصدير عندما يشكّل خطرا واضحا وينتهك القانون الدولي الإنساني. واستمرارها يعني اختيارها تطبيق اللوائح والقوانين بشكل انتقائي يُقصي من يصنفون بأنهم جماعة الـ"خارج".

رابعا: إن عدم اكتفاء النظام الدولي بالتمييز في تطبيق معاييره، وتجاوزه إلى معاقبة الجهات التي تسعى إلى تطبيقها، كمعاقبة قضاة المحكمة الجنائية الدولية ومدعيها العام والمقرر الخاص للأمم المتحدة، ثم التهديد بتفكيك المحكمة يؤكد أن التمييز وصل حد معاقبة قوانين "الخارج" عندما تهدد جماعة "الداخل".

خامسا: رصدنا لعمليات انتهاك جميع المعايير – التي اختصرنا عبرها ميثاق الأمم المتحدة – يؤكد أن بنود الميثاق الذي تعاهدت الدول على تطبيقها لم يسلم منها ولا بند واحد. فمعيار المساواة في السيادة انتُهك بالتمييز في الحصانة القضائية. ومعيار المساواة في الحقوق انتُهك بالتناسب العقابي. ومعيار حفظ السلم انتُهك بتجاوز قرارات الحظر. ومعيار العدالة القانونية انتُهك بمعاقبة المحاكم. ومعيار النزول على حكم القضاء الدولي انتُهك برفض ولايته.

الاصطفاف

إن عمليات التمييز في إنفاذ القانون الدولي لا تبرر لوحدها القول بأن عقل السفانا لا يزال يتحكّم ببعض سلوكنا، وأن منطق القبيلة، أو منطق الداخل والخارج لا يزال يتحكّم بكيفية تصرفنا أزاء بعضنا البعض. فمعيار التمييز لوحده، لا يثبت القبائلية، إلا إذا كان واقعا في سياق يكشف عنها، أي عندما يقع في سياق اصطفاف جغرافي أو ديني أو عرقي. أي بما يتوسع دائرة الـ"نحن" لتكون في بعض الأحيان على مستوى قارة، كما لاحظنا آنفاً في اصطفاف الكثير من الدول الغربية مع أوكرانيا، بالضد من روسيا التي تحسب على القارة الآسيوية.

وربما لهذا السبب لم تكن التعبئة من أجل المساءلة في أوكرانيا شاملةً عالمياً. فقد تردّدت بعض دول التي تحسب على الجنوب العالمي وناقشت بأسباب الاجتياح وعواقبه. وهو نقاش انعكس على قرارات الأمم المتحدة غير الملزِمة التي أدانت الاجتياح الروسي. وفي هذا السياق نجد قلّةٌ من الدول غير الغربية قدّمت دعماً مالياً أو عينياً إلى تحقيقات المحكمة الجنائية الدولية المرتبطة بملف الحرب الأوكرانية وبعض التحقيقات الأخرى. (Labuda، ٢٠٢٤)..

ومن أمثلة الاصطفافات الواضحة ما حدث بقضية (إثيوبيا تيغراي) فقد اصطفّت الدول الأفريقية في مجلس حقوق الإنسان مع أثيوبيا. ففي عام ٢٠٢١، لم تصوّت أيّ دولة من الدول الأفريقية الثلاث عشرة في مجلس حقوق الإنسان لصالح القرار الذي أنشأ "اللجنة الدولية لخبراء حقوق الإنسان بشأن إثيوبيا"، والذي أُقِرّ بنتيجة ٢١-١٥-١١ (أي بأكثرية نسبية لا بأغلبية من الدول). ومع ذلك، انقسمت تلك الدول أيضاً بين سبعٍ معارِضة للّجنة (بوركينا فاسو، والكاميرون، وكوت ديفوار، وإريتريا، والغابون، وناميبيا، والصومال) وستٍّ ممتنعة عن التصويت (ليبيا، ومالاوي، وموريتانيا، والسنغال، والسودان، وتوغو). وفي خريف عام ٢٠٢٢، أي بعد أقلّ من عام – وقبل أن تبدأ محادثات وقف إطلاق النار أصلاً – صوّتت ١٢ دولة من الدول الأفريقية الثلاث عشرة ضدّ التجديد للّجنة، وامتنعت واحدة فقط (مالاوي)، وأُقِرّ التجديد بفارق صوتين لا غير، أي بنتيجة ٢١-١٩-٧، (Ratner, 2025).

وفي المقابل، وعلى هامش حرب غزّة، دافعت دول غربية كثيرة عن "حق إسرائيل في الدفاع عن النفس". وفي المقابل دافعت دول غير غربية كثيرة عن حق أهالي غزّة في الحياة معتبرة القصف الإسرائيلي "إبادة جماعية" ومشجّعة المحكمة الجنائية الدولية على التحقيق في أفعالها. ثم أحالت جنوب أفريقيا وبنغلاديش وبوليفيا وجزر القمر وجيبوتي الأحداث في غزّة إلى المحكمة الجنائية الدولية. وأخيرا اتّهمت جنوب أفريقيا إسرائيل أمام محكمة العدل الدولية بالإبادة الجماعية في غزة (Labuda، ٢٠٢٤). ونلاحظ هنا وضوح الاصطفاف، "فدول الشمال" تعتبر أن القصف على غزَّة دفاع عن النفس، وبالمقابل تعتبر "دول الجنوب" أن هذا القصف جريمة إبادة جماعية.

ونحن نرجح أن هذه الأمثلة تعبر عن الاصطفاف وترجيحنا ناشيء من أن الدول الخمس تشترك بمعاناتها من الاستعمار الغربي المباشر، وهو ما يجعلها تتعامل مع الأحداث في فلسطين، التي تشاركها ذات المعاناة، من منطق الـ"داخل". بينما يأتي اصطفاف الدول الغربية خلف الرواية الإسرائيلية من كونها دول استعمارية ومن المبرر أن تتعامل مع ذات الأحداث من منطق الـ"داخل" هي الأخرى.

وفي هذا السياق كثيرا ما عارضت بعض الدول الافريقية، ومن بينها ذات التاريخ الحافل بالمدافعة عن حقوق الإنسان مثل جنوب أفريقيا وغامبيا وكينيا، عارضت التدقيق الدولي في انتهاكات بعض الدول الأفريقية الأخرى لحقوق الإنسان. بحجّة احترام الحلول الأفريقية للمشكلات الأفريقية. (Ratner, 2025). وفي عام ٢٠٢٤، لم تصوّت أي دولة أفريقية لتمديد ولاية المقرّر الخاص المعني بإريتريا. وفي سلوك مشابه لم تصوّت أي دولة آسيوية، باستثناء اليابان، لتجديد ولاية المقرّر الخاص المعني بإيران. (Ratner, 2025). (انتهاك للمعيار ٣) ونحن هنا لا نقول بأن التصويت بصورة عامة يجري وفقا لهذا الشكل من الاصطفافات، لكننا نأخذها باعتبارها عينة دالة.

وبالعودة إلى الأحداث في غزّة، فإن الأمر تجاوز عمليات العرقلة، التي قامت بها بعض الدول الغربية، للحيلولة دون مساءلة إسرائيل. وتجاوز التدخّل في إجراءات محكمة العدل الدولية والمحكمة الجنائية

الدولية الموجهة بالضد من إسرائيل، مرة بالطعن في ادعاءات الإبادة الجماعية وأخرى للحيلولة دون إصدار مذكرات اعتقالٍ بحق القيادة الإسرائيلية. (Labuda، ٢٠٢٤). وذلك عندما وصل الأمر بالولايات المتحدة إلى فرض عقوبات على المدّعي العام للمحكمة الجنائية الدولية (ICC)، وستّة من قضاتها، ونائبَين للمدّعي العام، والمقرّر الخاص للأمم المتحدة المعني بالأرض الفلسطينية المحتلة (Al-Haq، ٢٠٢٥). ثم ذهبت اتجاه التهديد بتفكيك المحكمة الجنائية الدولية باعتبارها تهديد للسيادة الامريكية (U.S. Department of State، ٢٠٢٦). وهنا يتجلى بوضوح كيف أن الأخلاق اخذت طابعا نسبيا صرفا، فالمحكمة المسؤولة عن إنفاذ القانون تحولت إلى تهديد. وجاء في بيان وزارة الخارجية الأمريكية الذي هدد بتفكيك المحكمة «تشكل المحكمة الجنائية الدولية تهديداً لا يمكن التسامح معه للسيادة الأمريكية؛ إذ تدعي سلطة مقاضاة وحتى سجن العسكريين والمسؤولين الأمريكيين الذين يعملون نيابةً عن المصلحة الوطنية لأمريكا» وهنا نلاحظ رفضا صريحا لمقاضاة أي مسؤول أو عسكري امريكي، وهو تعبير صريح عن القانون يسرى على "الخارج" لا على "الداخل". ثم يؤكد البيان «أن المحكمة لا تملك ولاية قضائية على الأمريكيين». ومن هنا جاء أعلنت الخارجية عن حملة «تشمل الحكومة بأكملها لتعطيل قدرة المحكمة الجنائية الدولية بشكل منهجي على العمل، أو استهداف العسكريين أو المسؤولين الأمريكيين، أو تهديد السيادة الأمريكية بأي شكل آخر» (U.S. Department of State، ٢٠٢٦)

وثم أعلن البيان حملة من الإجراءات "قيد الدراسة" تشمل في مجملها: (١) حث الدول على الانسحاب من المحكمة الجنائية الدولية (٢) دعوة الدول التي تتمتع بفوائد مظلة الأمن الأمريكية، إلى رفض سلطة المحكمة الجنائية الدولية في مقاضاة المسؤولين والعسكريين الأمريكيين (٣) زيادة التدقيق والرقابة على الدول التي لا تشارك بعملية رفض سلطة المحكمة الجنائية (٤) إلغاء تأشيرات الدخول وحظر السفر لموظفي المحكمة الجنائية الدولية (٥) زيادة العقوبات المفروضة على المحكمة الجنائية الدولية والمنظمات التابعة لها (U.S. Department of State، ٢٠٢٦).

هل غير تطور الثقافة البشرية من سلوك الإيثار الضيق

إن ما ورد في المبحث الأخير تحديدا والمباحث السابقة عليه والنتائج التي سنوردها في أدنا يرجّح ما نذهب إليه من أن تطور الثقافة البشرية عبر عشرات الآلاف من السنين لم يغيّر من سلوك الآثار الضيّق وما يترتب عليه وأن منطق الداخل والخارج وعقل السفانا يؤثران في سلوك الدول وفي سلوك المنظمات الدولية، ويؤديان إلى التمييز ويؤثران في تصرّف الدول والمنظمات. وأن "القبلية" لا تزال تتحكّم بنا وتجعلنا نُعامل الآخر باعتباره تهديدا وجوديا في بيئة شحيحة الموارد.

سنعمل على اختصار مباحث الدراسة عبر مجموعة النتائج التالية والتي تقودنا إلى الإجابة على أسئلتها وبما يثبت الفرض الرئيسي فيها:

١. الحرب عبارة عن نشاط جماعي منظم يخوضه محاربون مدرّبون، تكتسب فيه عمليات القتل الجماعي مشروعية عامة، ويهدف إلى انتزاع الموارد والفرص التكاثرية من الجماعة المنافسة.
٢. الأخلاق في أصلها ليست كونية بل فئوية، تحتكر نتائجها على "داخل" الجماعة وتُقصي من هم "خارجها". ومن ثم فالجماعات التي تجمع "حب الداخل" و"كره الخارج" معاً تكون أقدر على البقاء في بيئة تنافسية.
٣. الحرب استراتيجية بقاء لا شذوذ سلوكي. وشح الموارد يدفع الجماعات إلى الصراع، ووفرتها تدفعها إلى حمايتها بالقوة. كلا الحالتين تُنتج الحرب. والحرب سلوك ذكوري لأسباب تطورية الذكر يستطيع مضاعفة نجاحه التكاثري بمضاعفة شريكاته، بينما الأنثى مقيّدة بيولوجياً بحمل واحد كل تسعة أشهر. وهذا التباين خلق ضغطاً انتقائياً يفضّل الذكور الميالين للعنف والمخاطرة، لأن المحارب المنتصر يكسب الطعام والنساء معاً. والمجموعات المحاربة لا تخسر حتى حين تفقد كثيراً من ذكورها، لأن الذكور الناجين يعوّضون الخسارة بإعادة توزيع الموارد التناسلية.
٤. الإيثار والعدوان ليسا متناقضين بل متلازمان، فالفرد يضحي بنفسه لصالح جماعته بالضد من الجماعات المنافسة، هذا التلازم فضّله الانتقاء الطبيعي على المستويين الفردي والجماعي، لأن الجماعات الغنية بالإيثاريين الفئويين تتفوق في البقاء. والنتيجة: ازداد الإيثاريون الفئويون بين البشر جيلاً بعد جيل.
٥. الاشمئزاز والنفور من الغرباء ليسا فقط تعصباً اجتماعياً، بل هما آلية نفسية تطورت أصلاً للوقاية من الأمراض التي يحملها الغرباء فصار الغريب مصدراً محتملاً للعدوى، فأنتج نفوراً وتوتراً ثم ميلاً عدوانياً. وهذا ما يُفسّر لماذا يُوظَّف الاشمئزاز من الآخر بسهولة في تمويل الحروب بالمقاتلين.
٦. الأخلاق لا تُحرّم القتل والسلب بشكل عام، بل تحرّمهما داخل الجماعة وتبيحهما أو توجبهما خارجها. وهذه النسبية لا تعبّر عن الوحشيّة بل عن ضرورة تطورية. فالإيثار الخارجي يُضعف الجماعة، ولا بد أن يكون مذموماً. والجماعات عزّزت هذه النسبية عبر منح المحاربين مكانة عالية وتكريم أبنائهم بعد موتهم.
٧. التمييز الأخلاقي نما مع نمو الثقافة البشرية وتعقّدها. فكلما ازدادت الموارد تعقّد التنظيم الاجتماعي، وازداد النظام الأخلاقي قدرة على حماية الموارد وتشريع الدفاع عنها والإغارة للحصول عليها. الشواهد الأثرية تؤكد أن الفترة الممتدة من ٧٥٠٠ إلى ٥٠٠٠ سنة مضت

شهدت ليس فقط العنف الدفاعي بل أيضاً الإغارة الهجومية، وهو ما يعني أن أخلاق الإغارة كانت راسخة وقائمة.

٨. تجلّى التمييز في المواقف والاستجابة للأحداث في غزّة وفي أوكرانيا، وفي الصمت الانتقائي للجمعيات الطبية والأكاديمية ما أكد أن التمييز لا يقتصر على الدول بل يمتد إلى المؤسسات العلمية.

٩. شمل التمييز في المؤسسات القضائية من أنهاإحالة ٣٩ دولة ملف روسيا إلى القضاء خلال أيام، وتوفير ٤٢ محققاً، وتبرع ٢٠ حكومة بتمويل التحقيقات. وفي المقابل لم يحصل ملف إلا قليلا من التمويل مع عراقيل متعددة للحيلولة دون مساءلة إسرائيل، وادعاء بحصانة رئيس حكومتها.

١٠. التمييز ليس عشوائياً بل يسير وفق خطوط جغرافية وتاريخية ودينية واضحة فدول الشمال خلف إسرائيل، ودول الجنوب ذات التاريخ الاستعماري إلى جانب الفلسطينيين. والاصطفاف الأفريقي في قضية إثيوبيا وإريتريا يُثبت أن المنطق ذاته يعمل في اتجاهات متعددة.

١١. التمييز تجسّد مادياً في ٧٥١ صفقة أسلحة أمريكية، و٤٨٩ مليون يورو ألمانية، و٦٠٠ طلعة استطلاعية بريطانية. و١٩ دولة شريكة في برنامج F-35 تواصل التوريد رغم أن ١٧ منها وقّعت على معاهدة تجارة الأسلحة التي تُلزمها بالوقف. وبلغ التمييز ذروته بمعاقبة قضاة المحكمة الجنائية الدولية، ثم التهديد بتفكيكها كلياً بوصفها "تهديداً للسيادة الأمريكية" ما يؤكد أن القانون يسري على الخارج لا على الداخل.

إن مجموع هذه النتائج تؤكد بإن عقل السفانا لم يغادر الثقافة البشرية على الرغم من التطور الذي تعتقد أنها وصلت إليه، وعلى الرغم من اعتقادها بأنها ثقافة عالمية ذات قيم أخلاقية عابرة للجغرافيا والتاريخ والعقائد والحدود والقوميات. وتؤكد أيضا بأن الأخلاق الفئوية لم تبقَ محصورة في الجماعات البدائية بل ارتدت القانون الدولي والمعايير الإنسانية لباسا لها، وصارت تُطبَّق بالمعيار ذاته الذي طبّقته القبيلة، حيث أنها تحمي الداخل وتبيح الخارج. والفارق الوحيد بين منطق القبيلة ومنطق النظام الدولي الراهن هو في الحجم لا في الجوهر.

وهكذ وبالعودة إلى أسئلة الدراسة تكون الإجابة هي نعم، ما يزال "عقل السفانا" يتحكم بنا ويجعلنا نُعامل الآخر باعتباره تهديدا وجوديا وأن الإيثار ليس عالميا بل محليا جماعاتيا، وكذلك الأخلاق والقوانين والأعراف والتقاليد، التي تقود الحضارة الإنسانية في الوقت الراهن. وأن الحروب تكيّف تطوري وحاجة ثقافية ماتزال سمة لحضارتنا الراهنة.

قائمة المصادر والمراجع :

1. Mark Van Vugt ، Carlos David Navarrete و Melissa M McDonald . (٢٠١٢)Evolution and the psychology of intergroup conflict: the male warrior hypothesis .Philosophical Transactions of the Royal Society B: Biological Sciences.(٦٧٠-٦٧٩)
2. Steven Pinker .(٢٠١١) .The Better Angels of Our Nature .New York: Viking.
3. Douglas P Fry .(٢٠٠٧) .Beyond war: The human potential for peace . New York: Oxford University Press.
4. Fry P Douglas.(بلا تاريخ) .
5. University of Connecticut. (2020, March 30). As farming developed, so did both cooperation and violence. Retrieved March 4, 2026, from UConn Today: https://today.uconn.edu/2020/03/farming-developed-cooperation-violence/
6. Fry, D. P. (2007). Beyond war: The human potential for peace. Oxford University Press.
7. Mark Van Vugt ، Carlos David Navarrete و Melissa M McDonald . (٢٠١٢)Evolution and the psychology of intergroup conflict: the male warrior hypothesis .Philosophical Transactions of the Royal Society B: Biological Sciences .٦٧٠-٦٧٩ الصفحات ،doi:10.1098/rstb.2011.0301
8. Anthony C Lopez .(٢٠١٢) .The evolutionary psychology of war: Offense and defense in the adapted .Evolutionary Psychology .٦٧٠-٦٧٩ الصفحات ، doi:10.1098/rstb.2011.0301
9. Tooby, J., & Cosmides, L. (2025). The evolution of war and its cognitive foundations. Evolution and Human Behavior. doi:10.1016/j.evolhumbehav.2025.106687
10. Al Jazeera ٢٣) .إبراهيم هلال و ،January, 2024 .(Itamar Ben-Gvir: The face of Israel that cosmetics cannot beautify .Itamar Ben-Gvir: The face of Israel that cosmetics cannot beautify من ،٢٠٢٦ تاريخ الاسترداد .Al

Jazeera:
https://www.aljazeera.net/politics/2024/1/23/%D8%A5%D9%8A%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B1-%D8%A8%D9%86-%D8%BA%D9%81%D9%8A%D8%B1-%D9%88%D8%AC%D9%87-%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%8A-%D9%84%D8%A7

11. Nations, United ٢٥) .October, 2023 .(Report of the Special Committee to Investigate Israeli Practices Affecting the Human Rights of the Palestinian People and Other Arabs of the Occupied Territories تاريخ . الاسترداد ٥March, 2026 من ،https://docs.un.org/en/A/78/553
12. Associated Press ١٠) .November, 2022 .(leader of far-right Jewish Power party pays tribute to late racist rabbi ٦ تاريخ الاسترداد .March, 2026 من ،The Guardian:
https://www.theguardian.com/world/2022/nov/10/israel-leader-of-far-right-jewish-power-party-pays-tribute-to-late-racist-rabbi

١٣. اشرف عثمان بدر. (نيسان, ٢٠٢٣). قراءة تحليلية في خطة الحسم لحزب الصهيونية الدينية. تاريخ الاسترداد ٦ آذار, ٢٠٢٦، من مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت:
https://www.alzaytouna.net/arabic/data/attachments/AcademicArticles/PA-AshrafBader_ReligiousZionistParty-DP_3-23.pdf

14. C Shalita ٦) .October, 2023 .(Lots of Torah, less dialogue: Bezalel Smotrich's plan to radically change Israel's character ٦ تاريخ الاسترداد . March, 2026 من ،https://forward.com/news/563251/bezalel-smotrich-israel/
15. J Magid ٣) .June, 2019 .(Smotrich says he wants Justice Ministry so Israel can ٦ تاريخ الاسترداد .March, 2026 من ،The Times of Israel:
https://www.timesofisrael.com/smotrich-says-he-wants-justice-ministry-so-israel-can-follow-torah-law/

16. M Bachner (١ March, 2023). (Israel should 'wipe out' Palestinian town of Huwara, says senior minister Smotrich ٦ تاريخ الاسترداد March, 2026، من The Times of Israel: https://www.timesofisrael.com/israel-should-wipe-out-palestinian-town-of-huwara-says-senior-minister-smotrich/

١٧.الجزيرة. (٦ August, 2019). وزير إسرائيلي يدعو لتطبيق أحكام الشريعة اليهودية. تاريخ الاسترداد ٦ March, 2026، من الجزيرة:
https://www.aljazeera.net/politics/2019/8/6/%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84-%D8%AA%D9%88%D8%B1%D8%A7%D8%A9-%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%B9%D8%A9-%D9%8A%D9%87%D9%88%D8%AF-%D8%A8%D8%AA%D8%B3%D9%84%D8%A6%D9%8A%D9%84

18. Chen Shalita و Shomrim (٦ October, 2023). (Lots of Torah, less dialogue: Bezalel Smotrich's plan to radically change Israel's character . The Forward: تاريخ الاسترداد ٦ March, 2026، من https://forward.com/news/563251/bezalel-smotrich-israel/

19. Associated Press (٧ August, 2024). (Israel's Western allies slam Israeli minister's remark that Gaza starvation may be justified ٧ تاريخ الاسترداد . March, 2026، من AP News: https://gemini.google.com/app/0b11bf9f0f7bf3a0?hl=ar

20. John Tooby و Leda Cosmides، (٢٠٢٥). The evolution of war and its cognitive foundations. Journal Name: Evolution and Human Behavior . Evolution and Human Behavior . doi:10.1016/j.evolhumbehav.2025.106687.

٢١.جواد علي. (١٩٩٣). المفصّل في تأريخ العرب قبل الإسلام ج٥ (المجلد ٢). بغداد: جامعة بغداد.

٢٢.ول وايريل ديورانت. (١٩٨٨). قصة الحضارة، الشرق الأدنى ج١. (محمد بدران، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الجيل.

٢٣.ويل ديورانت. (١٩٨٨). قصة الحضارة حياة اليونان ج٧. بيروت: دار الجيل.

٢٤.ويل ديورانت. (١٩٨٨). قصة الحضارة، نشأة الحضارة ج١. بيروت، لبنان: دار الجيل.

25. Anthony Lopez .(٢٠١٦) .The evolution of war: theory andcontroversy . International Theory .١٣٩-٩٧ الصفحات ، doi:10.1017/S1752971915000184

26. توفيق برو. (١٩٩٦). تأريخ العرب القديم (المجلد ٢). دمشق، سوريا: دار الفكر بدمشق.

27. Jung-Kyoo Choi و ،Samuel Jung-Kyoo ٢٦) .October, 2007 .(The Coevolution of Parochial Altruism and War .Science .٦٤٠-٦٣٦ الصفحات ، doi:10.1126/science.1144237

28. Mark Schaller و ،Lesley Duncan .(٢٠٠٧) .The Behavioral Immune System: Its Evolution and Social Psychological Implications تأليف .J P Forgas ،M G Haselton و ،W von Hippel ،Evolution and the social mind: Evolutionary psychology and social cognition .(٣٠٧-٢٩٣ الصفحات) New York: Psychology Press.

29. Choi, J.-K., & Bowles, S. (2007, October 26). The Coevolution of Parochial Altruism and War. Science, pp. 636-640. doi:10.1126/science.1144237

30. Damian R Murray و ،Mark Schaller .(٢٠١٦) .The Behavioral Immune System: Implications for Social تأليف .James M. Olson و ،Mark P. Zanna (المحررون)،Advances in Experimental Social Psychology-٧٥ الصفحات) .(١٢٩Academic Press.

٣١. دافيد باس. (٢٠٠٩). علم النفس التطوري (المجلد ١). (مصطفى حجازي، المترجمون) ابو ضبي: كلمة.

٣٢. عبد الرحمن ابن خلدون. (٢٠٠١). تاريخ ابن خلدون ج١ المقدمة. (خليل شحادة، و سهيل زكار، المحررون) بيروت، لبنان: دار الفكر.

33. W D Hamilton .(١٩٦٤) .The Genetical Evolution of Social Behaviour. I . Journal of Theoretical Biology.١٦-١ الصفحات ،

34. Douglas P Fry .(٢٠٠٧) .Beyond War: The Human Potential for Peace . New York: Oxford University Press.
35. I J. N Thorpe .(٢٠٠٣) .Anthropology, Archaeology, and the Origin of Warfare .World Archaeology, 35 (1)، الصفحات ١٤٥-١٦٥. doi:10.1080/0043824032000079198
36. H James Birx .(٢٠٠٦) .Encyclopedia of Anthropology) .H James Birx ، (المحررCalifornia : SAGE Publications.
37. Gary L Albrecht و ،Mark Sherry .(٢٠٠٦) .WAR تأليف .Bryan S Turner (المحرر)، The Cambridge Dictionary of Sociology .Cambridge: Cambridge University Press.
38. Alberto .J. C Micheletti ،Graeme D Ruxton و ،Andy Gardner .(٢٠١٨) . Why war is a man's game .Proceedings of the Royal Society B تاريخ . الاسترداد ٨ June, 2026 من ،http://dx.doi.org/10.1098/rspb.2018.0975
39. Neven Sesardic .(٢٠٠٦) .Altruism تأليف .H James Birx ،(المحرر) Encyclopedia of Anthropology Vol 1 .(الصفحات ٥٣-٥٦) Thousand Oaks: SAGE Publications.
40. Rossen Vassilev .(٢٠٠٨) .International Encyclopedia of the Social Sciences, Vol. 9 تأليف .William A Darity و ،William A Darity .(المحرر) Detroit: Macmillan Reference USA.
41. David A Lishner و ،E L Stocks .(٢٠٠٨) .Altruism تأليف .William A Darity ، وWilliam A Darity ،(المحرر) International Encyclopedia of the Social Sciences, Vol. 1٢ (المجلد nd ed .(٨٧-٩٠ الصفحات ،Detroit: Macmillan Reference USA.
42. Dustin A Lewis .(٢٠٢٥) .International Law and State Allegations of Double Standards A Conceptual Analysis .Cambridge, Massachusetts: Harvard Law School Program on International Law and Armed Conflict (HLS PILAC.(
43. Anthony C Lopez .(٢٠١٦) .The evolution of war: theory and controversy . International Theory.١٣٩-٩٧ ، الصفحات

44. Dustin A Lewis .(٢٠٢٥) .International Law and State Allegations of Double Standards: A Conceptual Analysis .Program on International Law and Armed Conflict, Harvard Law School (HLS PILAC.(
45. Patryk I Labuda .(٢٠٢٤) .Double standards in international criminal law after the 'Ukraine Moment': Is the glass half full or half empty تأليف ? International Law After the Ukraine War .(الصفحات ١٦١-١٨٦) Routledge . doi:10.4324/9781032684635-9
46. Steven R Ratner ٢٤) .February, 2025 .(Double Standards in UN Political Bodies: Is Impartiality Possible ?AfronomicsLaw تم الاسترداد من . https://repository.law.umich.edu/other/277
47. Roberto De Vogli ،Jonathan Montomoli ،Richard Wilkinson و ،Kate Pickett .(٢٠٢٦) .Selective empathy and the genocide in Gaza: the silence of health and academic associations .Globalization and Health . doi:10.1186/s12992-025-01168-7
48. Patryk I Labuda .(٢٠٢٤) .Double standards in international criminal law after the 'Ukraine Moment': Is the glass half full or half empty تأليف ? International Law After the Ukraine War .(الصفحات ١٦١-١٨٦) Routledge . doi:10.4324/9781032684635-9
49. Steven R Ratner ٢٤) .February, 2025 .(Double Standards in UN Political Bodies: Is Impartiality Possible ?AfronomicsLaw.
50. Francesca Albanese .(٢٠٢٥) .Situation of human rights in the Palestinian territories occupied since 1967: Note by the Secretary-General .United Nations General Assembly.
51. Al-Haq .(٢٠٢٥) .Beyond the Orders: An Analysis of the ICJ's Decisions, Opinions, and Declarations in South Africa v. Israel. Gaza's Urgent Need for Implementation .Ramallah: Al-Haq.
52. Sahil Jilowa ،Nisha ،Pinki ،Anjali Valecha و ،Rakesh Kumar Behmani . .(٢٠٢٥)Dehumanization: Forms, consequences, and pathways to

rehumanization .International Journal of Psychology Research الصفحات ،
.٨٥-٨١doi:https://www.doi.org/10.33545/26648903.2025.v7.i2b.97

53. Gat, A. (2006). War in Human Civilization. Oxford: Oxford University Press.
54. Ferguson, ,. B. (2013). Pinker's List: Exaggerating Prehistoric War Mortality. In D. P. Fry, & D. P. Fry (Ed.), War, Peace, and Human Nature: The Convergence of Evolutionary and Cultural Views. New York: Oxford University Press.
55. الأمم المتحدة. (٢٦ ٦, ١٩٤٥). ديباجة ميثاق الأمم المتحدة. تم الاسترداد من الأمم المتحدة: https://www.un.org/ar/about-us/un-charter/preamble
56. McDonald, M. M., Navarrete, C. D., & Van Vugt, M. (2012, March 5). Evolution and the psychology of intergroup conflict: the male warrior hypothesis. Philosophical Transactions of the Royal Society B: Biological Sciences, pp. 670-679. doi:10.1098/rstb.2011.0301
57. Gat, A. (2006). War in Human Civilization. Oxford: Oxford University Press.

٥٨. تشارلس داروين. (٢٠٠٥). نشأة الإنسان والإنتقاء الجنسي١. (مجدي محمود المليجي، المترجمون) القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

59. U.S. Department of State ١٣) .July, 2026 .(State Department Launches Campaign to Dismantle International Criminal Court's Threat to American Sovereignty تاريخ الاسترداد ١٦ July, 2026. من ،U.S. Department of State: [https://www.state.gov/releases/office-of-the-spokesperson/2026/07/state-department-launches-campaign-to-dismantle-international-criminal-courts-threat-to-american-sovereignty](https://www.state.gov/releases/office-of-the-spokesperson/2026/07/state-depart
60. Hannes Rusch ،Robert Bohm و ،Benedikt Herrmann .(٢٠١٦) .Editorial: Parochial Altruism: Pitfalls and Prospects .Frontiers in Psychology.
61. Global Centre for the Responsibility to Protect) .February, 2025 .(Legal Cases and F-35 Jet Programme تاريخ الاسترداد ١٧ July, 2026. من ،Global Centre for the Responsibility to Protect: https://www.globalr2p.org/wp-content/uploads/2025/02/2025-February-F35-Fact-Sheet.pdf

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

دور البرامج الحوارية الاقتصادية التلفزيونية في معرفة الجمهور بقضايا الإصلاح الاقتصادي الحكومي

عمر عايد عبد حسن الحمداني
Omar Ayyed Abed Hassan Al-Hamdani
Omar.Aed1202a@comc.uobaghdad.edu.iq
أ.د. وسام فاضل راضي
Prof. Dr. Wissam Fadhil Radi
Prof.wisam@comc.uobaghdad.ed
قسم الإذاعة والتلفزيون / كلية الاعلام/ جامعة بغداد / ٢٠٢٦م
Department of Radio and Television / College of Media / University of Baghdad / 2026

الاستلام(Received) : ١٨ /٠٥ / ٢٠٢٦	التعديل (Revision) : ٠٢/٠٦ / ٢٠٢٦
القبول(Accepted) : ١٨/٠٦ / ٢٠٢٦	النشر (Published) : ٣٠/٠٩/ ٢٠٢٦

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المستخلص

تنطلق هذه الدراسة من إشكالية مفادها أن ثمة هناك فجوة محتملة بين كم ونوع التناول الاعلامي لقضايا الاصلاح الاقتصادي الحكومي المعروضة في البرامج الحوارية الاقتصادية وبين المستوى الفعلي لمعرفة الجمهور بتلك القضايا، وتهدف هذه الدراسة إلى فهم طبيعة التناول الاعلامي لقضايا الاصلاح الاقتصادي المقدم في البرامج الحوارية عبر الفضائيات العراقية وعلاقتها بمعارف الجمهور الاقتصادية، واعتمد الباحث المنهج المسحي الوصفي، إذ اعتمد الباحث على أداة الاستبانة إلى جانب المقياس في مسح جمهور مركز مدينة بغداد المتمثل بالأقضية الآتية:((قضاء الرصافة – قضاء الكرخ – قضاء الأعظمية – قضاء الكاظمية)، واستخدم الباحث طريقة العينة المساحية (العنقودية) كمرحلة أولى والعينة العمدية كمرحلة أخيرة، وبلغ حجم العينة الخاضعة للبحث (٤٠٠) مفردة، وخلصت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها:

أ- أظهرت نتائج الدراسة الميدانية تصدر قناة العراقية الاخبارية / برنامج دينار القنوات الفضائية العراقية التي يفضلها الجمهور في متابعة البرامج الحوارية الاقتصادية، حيث جاءت بالمرتبة الأولى، بعدد

تكرارات (٣٩٢) مفردة، وبنسبة مئوية بلغت (٩٨%) وهي النسبة الأكبر، أما قناة ٢٤ عراق / برنامج كشف حساب فقد جاءت بالمرتبة الثانية بعدد تكرارات (٣٨٤) مفردة، وبنسبة مئوية بلغت (٩٦%).

ب- تحقيق البرنامجان لأعلى إشباع معرفي يتمثل "زيادة المعرفة بالموضوعات والقضايا والاحداث الاقتصادية اليومية"، إذ أوضحت النتائج تصدر هذه الفئة لإجابات المبحوثين في كلا البرنامجين، حيث جاءت بعدد تكرارات (٣٦٩) مفردة، وبنسبة مئوية بلغت (٩٢,٣%) في برنامج (دينار) وبعدد تكرارات (٣٦٩) مفردة، وبنسبة مئوية بلغت (٩٢,٣%) في برنامج (كشف حساب)، مما يؤكد أن الجمهور يعتمد على هذين البرنامجين بشكل أساسي كمصدر للأخبار والمعلومات الاقتصادية اليومية.

الكلمات المفتاحية: الإصلاح الاقتصادي، البرامج الحوارية الاقتصادية، معارف الجمهور.

Abstract

This study is premised on the assumption that a potential gap exists between the quantity and nature of media coverage devoted to government economic reform issues in economic talk shows and the actual level of audience knowledge regarding these issues. The study aims to understand the nature of media coverage of economic reform issues presented in Iraqi satellite television talk shows and to examine its relationship with the economic knowledge of audiences.

The researcher adopted the descriptive survey method. Data were collected using a questionnaire in conjunction with a measurement scale to survey audiences in the center of Baghdad, encompassing the following districts: Al-Rusafa, Al-Karkh, Al-Adhamiyah, and Al-Kadhimiyah. A multistage sampling procedure was employed, consisting of cluster sampling in the initial stage and purposive sampling in the final stage. The study sample comprised 400 respondents.

The study yielded several significant findings, most notably the following:

A. The field study results revealed that the Iraqi News Channel's Dinar program ranked first among Iraqi satellite channels preferred by audiences for following economic talk shows. It recorded 392 responses, representing 98% of the sample, the highest percentage among all channels. Meanwhile, Kashf Hisab, broadcast on Iraq 24 Channel, ranked second with 384 responses, accounting for 96% of the sample.

B. Both programs achieved the highest level of cognitive gratification through “enhancing knowledge of daily economic issues, topics, and events.” This category ranked first among respondents’ answers for both programs, recording 369 responses (92.3%) in Dinar and 369 responses (92.3%) in Kashf Hisab.

These findings confirm that audiences rely heavily on these programs as primary sources of daily economic news and information.
Keywords: Economic Reform, Television Economic Talk Shows, Audience Knowledge.

المقدمة:

نتيجةً للتحولات الجوهرية في البنية السياسية والاقتصادية للعراق برزت قضايا الاصلاح الاقتصادي الحكومي بوصفها واحدة من الملفات الأكثر إلحاحاً وتشابكاً على الساحة الوطنية، فباتت محوراً رئيسياً للخطاب الحكومي وموضوعاً يومياً في أجندة وسائل الاعلام وعلى رأسها الفضائيات العراقية التي وجدت في هذه الملفات أرضية خصبة للتحليل والنقاش والاستقصاء عبر برامجها الحوارية الاقتصادية، حيث أصبحت هذه البرامج منصة مركزية لنقل السياسات الحكومية ومناقشة انعكاساتها، بل وتوجيه الرأي العام إزاءها، غير أن السؤال الأكثر إلحاحاً لا يتعلق بمحتوى الخطاب الاعلامي الاقتصادي فحسب، بل بقدرة هذا الخطاب على إنتاج معرفة اقتصادية متماسكة لدى الجمهور حول واحدة من أهم القضايا الاقتصادية الجدلية والمعقدة ألا وهي قضايا الاصلاح الاقتصادي الحكومي.

مشكلة البحث: تكمن مشكلة البحث بوجود غموض وضبابية في طبيعة تناول محتوى قضايا الاصلاح الاقتصادي الحكومي المعروض عبر البرامج الحوارية الاقتصادية كمتغير تابع وبين علاقتها بمعارف الجمهور الاقتصادية كمتغير تابع ثاني، وتتجسد مشكلة البحث بالسؤال الرئيس الآتي: **(ما طبيعة التناول الإعلامي لقضايا الإصلاح الاقتصادي الحكومي في البرامج الحوارية الاقتصادية المعروضة عبر الفضائيات العراقية وما علاقتها بمعارف الجمهور الاقتصادية؟)**، وينبثق من هذا التساؤل الرئيس تساؤلات فرعية تدور جميعها في فلك تلك العلاقة، وهي كالآتي:

أ- ما القنوات الفضائية العراقية التي يفضل الجمهور التعرض لمحتوى قضايا الاصلاح الاقتصادي الحكومي المقدم عبر برامجها الحوارية الاقتصادية؟

ب- ما عادات وأنماط تعرض الجمهور عينة البحث لمحتوى قضايا الاصلاح الاقتصادي الحكومي المقدمة عبر البرامج الحوارية الاقتصادية عينة البحث؟

ج- ما الاشباعات المعرفية والاجتماعية واشباعات فهم الوقع المتحققة لدى الجمهور عينة البحث عبر متابعته لمحتوى البرامج الحوارية الاقتصادية عينة البحث؟

أهداف البحث:

أ- تشخيص الفضائيات العراقية التي يفضل الجمهور التعرض لمحتوى قضايا الاصلاح الاقتصادي الحكومي المقدم عبر برامجها الحوارية الاقتصادية؟

ب- الكشف عن عادات وأنماط تعرض الجمهور عينة البحث لمحتوى قضايا الاصلاح الاقتصادي الحكومي المقدمة عبر البرامج الحوارية الاقتصادية عينة البحث؟

ج- تشخيص الاشباعات المعرفية والاجتماعية واشباعات فهم الوقع المتحققة لدى الجمهور عبر متابعته لمحتوى البرامج الحوارية الاقتصادية؟

فروض البحث: استنبط الباحث فروض البحث عن طريق الاستعانة بفروض نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام، إذ تمثل هذه الفروض توقعات الباحث لنتائج بحثه، وتعد كحلول مؤقتة لمشكلة البحث، وهي وفق الآتي:

- كلما زاد اعتماد الجمهور على البرامج الحوارية الاقتصادية زادت معارفهم واهتمامهم بالموضوعات والاحداث وقضايا الاصلاح الاقتصادي الحكومي.
- توجد علاقة ارتباطية بين اعتماد الجمهور على قضايا الاصلاح الاقتصادي الحكومي التي تقدمها البرامج الحوارية الاقتصادية لزيادة معارفهم الاقتصادية وبين طبيعة الموضوعات والقضايا الاقتصادية التي تتناولها تلك البرامج.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في أهمية الموضوع الذي يتناوله وهو محتوى قضايا الاصلاح الاقتصادي الحكومي في البرامج الحوارية الاقتصادية التلفزيونية وعلاقتها بمعارف الجمهور الاقتصادية، لأن هذه البرامج تُعد من البرامج الثابتة في منهاج العديد من القنوات التلفزيونية وتحتل مساحات زمنية محددة، مما يساعدها ذلك بأن تحقق الكثير من الوظائف الاتصالية منها وظيفة الإعلام والاخبار والشرح والتفسير والتوعية والتثقيف الاقتصادي وكذلك خدمة المجتمع والتنمية والمسائلة والرقابة فضلاً عن دورها في التوجيه الاقتصادي.

منهج البحث: تستند الدراسة الحالية على منهج المسح بشقيه الوصفي والتحليلي، بهدف الوصول إلى نتائج تفسيرية، حيث يقوم البحث باستقصاء المشكلة الحالية المتمثلة بمحتوى قضايا الاصلاح الاقتصادي الحكومي في البرامج الحوارية الاقتصادية المُقدم عبر الفضائيات العراقية وعلاقته بالمعرفة الاقتصادية المتحققة لدى الجمهور العراقي، وذلك بقصد تشخيصها وكشف جوانبها وتحديد العلاقات بين عناصرها ومتغيراتها وجمع البيانات وتبويبها فضلاً عن تفسيرها باستعمال أساليب القياس والتصنيف والتفسير.

حدود ومجالات البحث:

المجال الزماني: يتمثل المجال الزماني للدراسة الميدانية بالمدة التي تبدأ من (٢٠٢٦/١/٥) إلى (٢٠٢٦/٢/٧) وهي المدة التي تزامنت مع توزيع الاستمارة النهائية للعينة المختارة من جمهور مدينة بغداد – المركز على وفق الأقضية والنواحي والمناطق المختارة.

ب. المجال المكاني: اقتصر البحث الميداني على محافظة واحدة من محافظات العراق، ووقع الاختيار على مركز محافظة بغداد والأقضية التابعة لهُ والمتمثلة بـ(قضاء الرصافة – قضاء الكرخ – قضاء الأعظمية – قضاء الكاظمية)، ويرجع اختيار الباحث لمركز محافظة بغداد باعتباره يمثل العاصمة المركزية للعراق ويضم أكبر تجمع سكاني ومركز لجميع النشاطات الإعلامية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، إضافة إلى ذلك فإنهُ يضم مختلف الطبقات الاجتماعية، والفئات العمرية، والمستويات التعليمية، والاقتصادية.

أدوات البحث: استخدم الباحث في الدراسة الميدانية ثلاثة أدوات لجمع البيانات والمعلومات اللازمة لتحقيق أهداف البحث، تمثلت بالآتي:

١. **الملاحظة العلمية البسيطة:** استعان الباحث بهذه الأداة بشكل تمهيدي لإجراء البحث، حيث قادت الباحث إلى اختيار نوع الجمهور الذي يجب أن يختاره ليحقق أهداف البحث.

٢. **استمارة الاستبانة:** استعمل الباحث استمارة الاستبانة أداة لجمع البيانات الخاصة بالدراسة الميدانية، عن طريق جمع إجابات المبحوثين عن أسئلة الاستبيان، وتم إعداد الاستمارة بطريقة الأسئلة المغلقة، والأسئلة المغلقة المفتوحة.

٣. **المقياس:** قام الباحث بالاطلاع على المقاييس الخاصة بالدراسات السابقة لتصميم المقياس، لغرض معرفة مدى اسهام محتوى قضايا الإصلاح الاقتصادي الحكومي المعروضة في البرامج الحوارية الاقتصادية عينة البحث بمعارف الجمهور الاقتصادية، ومعرفة آثار الاعتماد المتحققة لأفراد الجمهور نتيجة متابعتهم للبرامج الحوارية الاقتصادية، وفقاً لمقياس ليكرت الثلاثي.

التعريفات الاجرائية للمفاهيم:

١. **قضايا الاصلاح الاقتصادي:** هي القضايا التي تقدمها البرامج الحوارية الاقتصادية لأفراد الجمهور المشاهد حول مختلف مجالات الاقتصاد وموضوعاته بغية تعديل أو تغيير تصورات وآراء أو مواقف أو اتجاهات أو سلوكيات الجمهور نحوها.

٢. **الفضائيات العراقية:** يقصد بها القنوات التلفزيونية العراقية التي تبث باللغة العربية ويتضمن منهاج برامجها تقديم برامج حوارية اقتصادية تكون دورية البث فيها ثابتة، ومنها برنامج (دينار) الذي يعرض على قناة العراقية الاخبارية وبرنامج (كشف حساب) الذي يعرض على قناة ٢٤ عراق.

٣. **معارف الجمهور الاقتصادية:** يُقصد بها الإدراك المعلوماتي للفرد والذي يتمثل بكل ما يملكه من معارف، ومعلومات، وبيانات، واتجاهات متكونة لديه عن مختلف المجالات الاقتصادية وموضوعاتها.

الاطار النظري:

أولاً: الجمهور وقضايا الإصلاح الاقتصادي الحكومي.

تعد وسائل الإعلام ولا سيما القنوات الفضائية والبرامج التلفزيونية مرتكزاً أساسياً في تكوين ثقافة الجمهور ومعارفه، إذ أصبحت هذه الوسائل تشكل وسيلة إقناعية ذات مصداقية نتج عنها تشكيل اتجاهات الجمهور نحو موضوع أو قضية أو فكرة أو هدف معين، عن طريق نوع الرسالة الاتصالية ومضمونها والفكرة المؤثرة التي تتناولها (رشيد، ٢٠٢١، صفحة ٢١٧)، حيث تتشكل معارف واتجاهات الجمهور وخاصةً المعنية بالقضايا الاقتصادية منها على وفق المعلومات التي يحصلون عليها من وسائل الإعلام عبر النشرات الإخبارية والبرامج الاقتصادية المتخصصة، إذ أصبحت هذه البرامج مصدراً للمعرفة وإطلاع الجمهور لما تقدمهُ من معلومات مختلفة ومنها القضايا الاقتصادية التي تعنى بجانب الإصلاح الاقتصادي الحكومي (الذهب، ٢٠٠٢، صفحة ١٥٦)، إذ إن العلاقة بين الأفراد وعملية تشكيل الاتجاهات الاقتصادية نحو قضايا الإصلاح الاقتصادي الحكومي لا تكتمل الأهداف المرسومة لها من غير تحقيق الاستجابة المطلوبة منها والتي تتم عن طريق وسائل الإعلام، فالتغذية الراجعة يقصد بها عملية تدفق المعلومات من الأفراد إلى الجهات الحكومية تعبيراً لنتائج قراراتها، إذ تتخذ التغذية الراجعة عدة صور، قد تكون إيجابية أو سلبية أو تغذية راجعة تتبع تغيير الهدف (المنوفي، ١٩٩٦، الصفحات ١٢٠-١٢١).

وبذلك تبرز علاقة الجمهور بقضايا الإصلاح الاقتصادي الحكومي عندما يكون هناك إجراءات اقتصادية تقوم بها الحكومة، فعلاقة الجمهور بقضايا الإصلاح الاقتصادي علاقة مباشرة كونها تتعلق بالسياسات الاقتصادية التي تؤثر على قوت الفرد ومعيشته (عبدالفتاح، ٢٠١٩، صفحة ٤٧٥)، فعادةً ما ينتج عن هذه السياسات حدوث أزمات اقتصادية وخروج حشد كبير من الجمهور بمظاهرات واعتصامات ووقوع انقلابات جراء هذه الإجراءات الاقتصادية والمطالبة بالعدول عنها (لوبون، ٢٠١٥، صفحة ٧٠) .

نتائج الدراسة الميدانية:

١- الاشباعات المعرفية المتحققة لدى المبحوثين عبر متابعتهم لمحتوى البرامج الحوارية الاقتصادية:

جدول (١) يبين التكرارات والنسب المئوية وقيم مربع كاي لتوزيع عينة البحث تبعاً للاشباعات المعرفية المتحققة لدى المبحوثين عبر متابعتهم لمحتوى البرامج الحوارية الاقتصادية.

ت	الفئة	البدائل	برنامج دينار			برنامج كشف حساب			الاجمالي			قيمة كاي المحسوبة	درجة الحرية	قيمة كاي الجدولية	الدلالة
			التكرار	النسبة	الرتبة	التكرار	النسبة	الرتبة	التكرار	النسبة	الرتبة				
١.	زيادة المعرفة بالموضوعات والقضايا والاحداث الاقتصادية اليومية.	نعم	369	92.3	١	369	92.3	١	٧٣٨	%١٧,٠٠	١	0	1	3.84	غير دال
		لا	31	7.8	٩	31	7.8	٩	٦٢	%٢,١٧	٩				
٢.	اتساع الإدراك العقلي بتقديمه نصائح اقتصادية عملية مفيدة.	نعم	255	63.8	٤	243	60.8	٤	٤٩٨	%١١,٤٧	٤	0.77	1	3.84	غير دال
		لا	145	36.3	٦	157	39.3	٦	٣٠٢	%١٠,٥٧	٦				
٣.	الاستفادة من آراء ضيوف البرنامج المختصين في مختلف مجالات الاقتصاد.	نعم	228	57	٥	221	55.3	٥	٤٤٩	%١٠,٣٤	٥	0.25	1	3.84	غير دال
		لا	172	43	٥	179	44.8	٥	٣٥١	%١٢,٢٨	٥				

٤.	التعرف على أبرز السياسات الاقتصادية التي تنفذها الحكومة في جانب الاصلاح الاقتصادي.	نعم	341	85.3	٢	308	77	٢	٦٤٩	%١٤,٩٥	٢	8.89	1	3.84	دال لصالح برنامج دينار
		لا	59	14.8	٨	92	23	٨	١٥١	%٥,٢٨	٨				
٥.	أغنى معرفتي بالجوانب الاقتصادية التي أشعر فيها بنقص فكري أو معلوماتي.	نعم	326	81.5	٣	299	74.8	٣	٦٢٥	%١٤,٣٩	٣	5.33	1	3.84	دال لصالح برنامج دينار
		لا	74	18.5	٧	101	25.3	٧	١٧٥	%٦,١٢	٧				
٦.	أكسبني معرفة علمية في مجال تخصصي.	نعم	212	53	٦	212	53	٦	٤٢٤	%٩,٧٧	٦	0	1	3.84	غير دال
		لا	188	47	٤	188	47	٤	٣٧٦	%١٣,١٦	٤				
٧.	كون لدي آراء وقناعات عن قضايا اقتصادية لم تكن لدي قناعات سابقة بها.	نعم	170	42.5	٨	144	36	٨	٣١٤	%٧,٢٣	٨	3.54	1	3.84	غير دال
		لا	230	57.5	٢	256	64	٢	٤٨٦	%١٧,٠٠	٢				
٨.	حصلت من خلاله على إجابات عن تساؤلات بشأن قضايا اقتصادية لم تكن واضحة بالنسبة لي.	نعم	188	47	٧	163	40.8	٧	٣٥١	%٨,٠٨	٧	3.17	1	3.84	غير دال
		لا	212	53	٣	237	59.3	٣	٤٤٩	%١٥,٧١	٣				
٩.	جعلني مواكباً لآخر	نعم	153	38.3	٩	141	35.3	٩	٢٩٤	%٦,٧٧	٩	0.77	1	3.84	غير دال
		لا	247	61.8	١	259	64.8	١	٥٠٦	%١٧,٧٠	١				

	الأخبـــــار والتطـــورات الحاصلة في الشـــــأن الاقتصادي.															

تُشير نتائج جدول (١) لتوزيع عينة البحث تبعاً للاشباعات المعرفية المتحققة لدى المبحوثين عبر متابعتهم لمحتوى البرامج الحوارية الاقتصادية إلى تصدر عبارة " **زيادة المعرفة بالموضوعات والقضايا والاحداث الاقتصادية اليومية** " التي حلت بالمرتبة الاولى لكلا البرنامجين، إذ تشير إجابات المبحوثين وبنسبة (٩٢,٣%) على هذه الفئة إلى أن البرنامجين حققا أعلى إشباع معرفي يتمثل في زيادة المعرفة عبر متابعة الجمهور للقضايا والاحداث الاقتصادية الجارية، مما يدل على أن الوظيفة الاخبارية هي الوظيفة المشتركة والاساسية للبرامج الحوارية الاقتصادية، ويؤكد بأن الجمهور يعتمد على هذين البرنامجين بشكل أساسي كمصدر للأخبار والمعلومات الاقتصادية اليومية، وبالرغم من تطابق النتائج في حصول هذه الفئة على المرتبة الاولى لكلا البرنامجين إلا أن عدم دلالة النتيجة إحصائياً (قيمة كاي المحسوبة) يؤكد مجدداً بأن هذا الاشباع يعد ضرورة أساسية لأي برنامج اقتصادي ناجح لكنه لا يشكل عامل تمييز أو تنافس قوي بين البرامج الحوارية الاقتصادية.

الاستنتاجات:

١- الاهتمام الواضح من المبحوثون بمتابعة قناة العراقية الاخبارية / برنامج دينار كونها قناة حكومية رسمية، إذ أن تصدر برنامج (دينار) لإجابات المبحوثين يعكس ثقتهم في الخطاب الاقتصادي الرسمي(الحكومي)، وفي الوقت نفسه يعكس المحاولات الوضحة من القائمين على البرنامج في التنويع والاهتمام بالعديد من القضايا الاساسية بمجال الاقتصاد، خاصةً تلك القضايا التي تسهم في تشكيل صورة شاملة عن سياسات الاصلاح الاقتصادي.

٢- إن تحقيق البرنامجين لأعلى إشباع معرفي لدى المبحوثين يتمثل بـ "زيادة المعرفة بالموضوعات والقضايا والاحداث الاقتصادية اليومية" يدل على أن الوظيفة الاخبارية هي الوظيفة المشتركة والاساسية للبرامج الحوارية الاقتصادية، ويؤكد بأن الجمهور يعتمد على هذين البرنامجين كمصدر للأخبار والمعلومات الاقتصادية اليومية.

المصادر:

١. السيد مصطفى المنوفي. (١٩٩٦). *حقيقة التعددية السياسية في مصر _ دراسات في الرأسمالية والمشاركة السياسية*. القاهرة: مكتبة مدبولي.

٢. سلام نصر الدين محمد. (كانون الثاني – شباط – آذار, ٢٠١٥). أتجاهات طلبة الإعلام نحو القنوات الفضائية المتخصصة ودورها في تنمية القدرات المعرفية لديهم. *مجلة الباحث الإعلامي، العدد (٢٧)، المجلد (٧)*، ١٩٢. تم الاسترداد من https://abaa.uobaghdad.edu.iq/index.php/abaa/issue/view/16/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AF%D8%AF%2027

٣. سمير محمد حسين. (٢٠٠٠). *تحليل المضمون: دراسة في مناهج البحث في الاعلام*. القاهرة: عالم الكتب.

٤. سهام الشجيري. (٢٠١٨). *البناء الإعلامي للأزمات : أشكال العرض والتناول*. العين: دار الكتاب الجامعي.

٥. غوستاف لوبون. (٢٠١٥). *روح السياسة*. القاهرة: مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة.

٦. محمد عبد العزيز الذهب. (٢٠٠٢). *التربية والمتغيرات الأجتماعية في الوطن العربي*. بغداد: بيت الحكمة.

٧. محمد قيراط. (٢٠١٠). البيئة الأقتصادية في معادلة الإعلام التنموي. *مجلة الإذاعات العربية*، ٤٨-٤٩.

٨. منهل فايق رشيد. (٢٠٢١). أعتماد الجمهور على القنوات الفضائية. *مجلة الباحث الاعلامي، العدد (٥٢)*، ٢١٧. تم الاسترداد من https://abaa.uobaghdad.edu.iq/index.php/abaa/article/view/775/364

٩. ميرال مصطفى عبدالفتاح. (٢٠١٩). معالجة القضايا الأقتصادية في برامج الرأي التلفزيونية المصرية وعلاقتها بتقييم الجمهور للآداء الأقتصادي الحكومي. *مجلة البحوث الاعلامية*، ٤٧٥.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

زيارة ثيودور روزفلت الى القاهرة عام ١٩١٠ وموقف الحركة الوطنية المصرية منها

م.د. عمار مزهر ريسان
وزارة التربية/ المُديرية العامة لتربية بغداد/ الكرخ الأولى.
البريد الالكتروني : ammarmuzhir2@gmail.com
رقم الهاتف: ٠٧٨٠٢٥٤٣٣٢٤

الاستلام(Received) :	١٩ /٠٥ / ٢٠٢٦	التعديل (Revision) :	٢٠٢٦ / ٠٦/١١
القبول(Accepted) :	٢٣ /٠٦ / ٢٠٢٦	النشر (Published) :	٢٠٢٦/ ٠٩/٣٠

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المستخلص:

كشفت زيارة الرئيس الاسبق للولايات المتحدة الامريكية ثيودور روزفلت إلى القاهرة ، وخطابة في الجامعة المصرية يقظة الحركة الوطنية المصرية، التي ضمت طيفاً واسع من المجتمع المصري، إذ عبر كلٌ منهم بطريقته وأسلوبه الخاص، لاسيما أن اليقظة والمواقف الواضحة جاءت مطابقة لرغبات ومطالب الشعب المصري، الذي عبر عن رفضه الواضح والصريح للاحتلال البريطاني وادارته ، ومن بعده الحكومات المصرية الموالية لهم، والتي لا يخفى أنها جاءت بوحي من الاحتلال، سواء في برنامجها الحكومي، أو بطريقة تعاملها اليومية مع المجتمع المصري، لاسيما مع تطلعاته الوطنية، التي تنكرت لها الادارة البريطانية وضيفها الامريكي، والذي اوجدت كلمته أثراً سلبياً حتى على بريطانيا، وكسرت حالة الصمت إزاء مواضيع غاية في الاهمية في مقدمتها الوحدة الوطنية والاستقلال الوطني، بصفتها السبيل الوحيد لتحقيق الحرية والديمقراطية في مصر.

الكلمات المفتاحية: ثيودور روزفلت – الحركة الوطنية –الجامعة المصرية .

Abstract:

The visit of former US President Theodore Roosevelt to Cairo and his speech at the Egyptian University revealed the awakening of the Egyptian national movement, which encompassed a wide spectrum of Egyptian society, each expressing themselves in their own way and style. This awakening and these clear stances were in line with the desires and demands of the Egyptian people.

He expressed his clear and explicit rejection of the British occupation and its administration, and subsequently the Egyptian governments loyal to them, which were undeniably inspired by the occupation, whether in their

governmental program or in their daily dealings with Egyptian society, especially with its national aspirations, which the British administration and its American guest disregarded. His words had a negative impact even on Britain, breaking the silence on extremely important issues, foremost among them national unity and national independence. As the only way to achieve freedom and democracy in Egypt.
Keyword:

أولاً: الزيارة واهميتها:

كان قد أعلن الرئيس ثيودور رزوفلت(*Theodore Roosvelt*)[١] أنه سيعتزل السياسة عام ١٩٠٩ ، في اعقاب فوزه في الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٠٤، ونال خلالها عام ١٩٠٦ ، جائزة نوبل للسلام[٢]، على أثر الجهود التي بذلها لإيقاف الحرب الروسية – اليابانية عام ١٩٠٥[٣]، ليكسر بذلك عزلة الولايات المتحدة الامريكية، والتي سارت لسنوات عديدة طبقاً لمبدأ مونرو[٤] ،الذي انتقده ثيودر روزفلت، وفضل انتهاج سياسة استعمارية توسعية، بقوله" **إني اشعر لأول مرة في حياتي أن الارض وما يحيط بها ملك لنا** "[٥]، لاسيما ما عرف عنه من دهاء سياسي ورغبة جادة في تفعيل ما أسماه " الروح الأمريكية في الداخل والخارج[٦].

ومع انتهاء المدة الرئاسية للرئيس ثيودر روزفلت في كانون الثاني ١٩٠٩ ، أعلن عن نيته للقيام برحلة صيد الى شرق أفريقيا، لصالح مؤسسة سميثونيان العلمية (Smithsonian Institution)، والتي تبنت تلك الرحلة الاستكشافية، التي انطلقت من نيويورك وبأتجاه شرق افريقيا في ٢٣ آذار ١٩٠٩، وتابعت مجلة سكريبنر (Scibner's Magazine) تغطية مجريات تلك الرحلة، والتي اختتمها ثيودر روزفلت بزيارة للسودان عبر نهر النيل في ١٤ آذار ١٩١٠[٧]، ثم زار القاهرة في ٢٢ آذار ١٩١٠[٨] ، بعد أن القى خطاب في الخرطوم أشاد فيها بالإدارة البريطانية للسودان، وابدى نصيحته للضباط المصريين في السودان ، بضرورة الابتعاد عن الشؤون السياسية والمحافظة على ولائهم المهني[٩]، فأوجد ذلك الخطاب خيبة أمل كبيرة في الاوساط السودانية[١٠].

وبحسب ما اعلنته جريدة (New York Time) بعددها الصادر في ٢٢ آذار ١٩١٠، عن تفاصيل زيارة ثيودور روزفلت الى القاهرة، وبرنامج الزيارة بمقال خاص كان عنوانه (*Basy days Ahead Ciro*) ، وتضمن البرنامج لقاء مع الخديوي عباس حلمي الثاني، ولقاء مع عدد من الشخصيات الدبلوماسية الامريكية وزيارة الاهرامات المصرية[١١] ،وتضمنت الزيارة أيضا تلبية دعوة الجامعة المصرية[١٢]، والقاء كلمته فيها في ٢٨ آذار ١٩١٠[١٣].

تابعت الصحافة العالمية رحلة ثيودر روزفلت الى شرق افريقيا خطوة بخطوة لأهميته تلك الرحلة من الناحية العلمية والسياسية [١٤]، كما حرص ثيودور روزفلت بشكل شخصي على توثيق أحداث تلك الرحلة بدءاً من انطلاقه من نيويورك ، وصولاً الى غابات شرق افريقيا، مروراً بالسودان ثم بعدها نحو مصر، واللتان خصهما بتقارير شاملة، بينت " **الحقيقة كما رأها**" ، وفيما يخص القاهرة ،فذكر أن وصوله لها كان في اجواء سياسية وشعبية متوترة، من جراء تداعيات حادثة اغتيال بطرس غالي، إذ استشعر موجة الغضب حال وصوله الى القاهرة، بعد أن تناقلت الصحافة المصرية مقتطفات من كلمته في السودان، إلا إنه عد ذلك الى بوصفه "**تحريض أحمق**" ، رأى فيه انه من صنيعة " **كتلة المسلمين المتعصبين**" ، مشيراً الى أن تلك الأجواء غير المريحة ستجعل عملية الاطاحة بالحكم البريطاني لمصر، كارثة لا يمكن تصورها، وانتقد في الوقت نفسه سوء تصرف الادارة البريطانية وأصحاب المناصب العليا من المصريين، ووصف تلك الادارة بأنها " **تتخبط**" بشكل ينذر بالخطر، بسبب فقدان تلك السلطة للحسم، وفي معرض تقييمه لأداء ضباط الجيش البريطاني، أشار ثيودر روزفلت إلى أن القاهرة هي المكان الوحيد، الذي شعر فيه بخيبة الامل من بعضهم، وارجع سبب ذلك الى انغماسهم بالألعاب أكثر من واجباتهم، لاسيما تعاملهم مع كارثة اغتيال بطرس غالي[١٥].

ومما يبدو أن ثيودر روزفلت كان مستاء جدا و بشكل واضح من المصريين والادارة البريطانية في القاهرة، التي عدها سبباً في عدم الجدية والتهاون.

ثانياً: الاوضاع العامة لمصر عشية زيارة ثيودر روزفلت:

شهدت مصر عام ١٩٠٠، على المستوى السياسي خطوات واسعة للحركة الوطنية على يد مصطفى كامل [١٦]، ونشاطه السياسي[١٧]، بعد أن ضيقت عليها الادارة البريطانية ، بدءاً من احتلال مصر عام ١٨٨٢ ، لاسيما دور الحاكم البريطاني اللورد كرومر (Lord Cromer) الذي أسس نظام بأسم " **الحماية المقنعة**" [١٨]، سيطر فيه على كل المجالات تطور مصر ونهضتها، ففي مجال التعليم منعت الادارة البريطانية انبعاث الطلبة المصريين لأكثر من اثنين فقط عام ١٩٠٥ ، إذ وصف التعليم في مصر بـ" **الفاكهة المحرمة**" إذ لم يصل عدد المدارس الثانوية أكثر من (٢٥) مدرسة، خلال مدة الاحتلال البريطاني لمصر[١٩]، الذي رفع من نسبتهم الى ٢٧٠% ، في حين لم تبلغ الزيادة للموظفين المصريين أكثر من ٥٠% ، الذي كانت اغلب وظائفهم ساعي بريد، وعمال للسكك، ومنظفين، وذلك يندرج سياسة بريطانية ممنهجة تقف حاجزاً بوجه الفرد المصري وتطوره ادارياً، لاسيما أن كرومر الغى التعليم المجاني في مصر، لأنه لا يرى به يضر مصلحة مصر[٢٠].

لذلك أخذ مصطفى كامل على عاتقه مهمة ايقاظ الوعي الوطني وتنمية المشاعر الوطنية، والتنبيه من خطورة سياسة ادارة الاحتلال البريطاني على مستقبل مصر، والدعوة الى كتابة دستور

مصر[٢١]، مما أوجد ذلك تيار سياسي هدفه تحرير مصر سياسياً، بالاعتماد على الدولة العثمانية صاحبة " **السيادة الشرعية الشكلية**" على مصر ، لإظهار عدم شرعية الاحتلال البريطاني[٢٢].

تزامن مع تصاعد نشاط الحركة الوطنية المصرية، أمرين غاية في الأهمية، الأول هو تأسيس عدد من الاحزاب السياسية، والتي دفعت باتجاه الضغط السياسي والشعبي لتحقيق المطالب الوطنية[٢٣]، أم الأمر الثاني هو ما جرى في مركز السلطنة العثمانية من انقلاب عسكري، تبنى إعلان دستوري[٢٤]، واجبارهم السلطان عبد الحميد الثاني، على اعادة العمل بالدستور لسنة ١٨٧٠، في ٢٣ تموز ١٩٠٨، في ما يعرف بـ المشروطية[٢٥]، فانتقلت آثارها الى مصر، التي تشجع قادة الحركة الوطنية فيها، وطالبوا الخديوي عباس حلمي الثاني، والحاكم البريطاني اللورد كرومر، الذي اعقب الدون غورست (Eldon Gorst)[٢٦] ، بالعمل على وضع دستور لمصر، التي كانت بريطانيا تسعى لفصلها بشكل نهائي عن الدولة العثمانية، مما أوجد حالة من التطابق الجزئي بين الحركة الوطنية المصرية والادارة البريطانية، في مسألة الانفصال عن الدولة العثمانية، واتاح ذلك حيز حرية للصحافة المصرية، تزامن مع أجواء الوفاق الذي تحقق بين بريطانيا وفرنسا عام ١٩٠٤ [٢٧]، طبقاً لمعاهدة الوفاق الودي [٢٨].

تصاعد صوت الحركة الوطنية المصرية، حتى بعد وفاة مصطفى كامل عام ١٩٠٨، وتذكر التقارير البريطانية أن الوعي السياسي المصري بحالة تقدم، وانتقلت تلك التطورات الى الجمعية التشريعية المصرية، حيث شهد عام ١٩٠٨، تقديم طلبات متكررة هدفها قيام حكومة دستورية، وتحجيم لدور ادارة الاحتلال، التي استشعرت ذلك التصعيد الوطني، بعد تسلم محمد فريد رئاسة الحزب الوطني، والذي عدته بريطانيا من دعاة إنهاء الاحتلال البريطاني على ارض مصر[٢٩]، لاسيما ان اثارة الادارة البريطانية تعدت الأثر السياسي، وانسحب الى الجانب الاقتصادي، إذ اغلقت ابواب التطور الاقتصادي أمام المصريين من كبار الملاك والتجار[٣٠]، في حين فتحت ابواب الاستثمار على مصراعيها أمام المستثمرين الاجانب، الذين بلغت استثماراتهم عام ١٩٠٧،(٨٨,١٧٦,٠٠٠) مليون جنيه استرليني، مما دفع ذلك كبار الملاك الى زيادة ثرواتهم عبر بوابة شراء الاراضي الزراعية بشكل واسع، حتى وصل عددهم داخل الجمعية التشريعية المصرية ما نسبته ٤٩% ، في حين لم يبلغ المحامون أكثر من٨% ، أما التجار فكانت نسبتهم ٤% ، ثم المهندسون٣%، ثم رجال الدين الذين بلغت نسبة وجودهم في الجمعية ١%، وذلك يعن أن كبار الملاك سيطروا على ٧٥% من المقاعد[٣١]، في وقت بلغت فيه نسبة الاراضي الصالحة للزراعة ١٠% من مجموع المساحة المصرية البالغة مليون متر مربع[٣٢]. في دلالة واضحة لهيمنة طبقة كبار الملاك على الجانب السياسي ، ليتضح ذلك الخلل ومستواه والذي احدثته السياسة الادارة البريطانية لمصر، لاسيما بعد سلسلة من الاحداث[٣٣]، كان آخرها اغتيال رئيس الوزراء المصري بطرس غالي[٣٤]، في ٢٠ شباط ١٩١٠[٣٥]، على يد الشاب المصري ابراهيم الورداني، لأنه رأى فيه محاباة كثيرة لإدارة الاحتلال البريطاني[٣٦]، الذي وجه اصابع الاتهام في حادثة الاغتيال الى

الحركة الوطنية وتحديداً الى محمد فريد[٣٧]،وأخذت الصحافة المصرية تنشر عدد من المقالات الصحفية التي عدت أسباب الاغتيال الى الدوافع عنصرية والتعصب الديني، تراجعت على اثرها القضية الوطنية الى المرتبة الثانية على حد وصف أحد المصادر [٣٨]، على الرغم من اعتراف ابراهيم الورداني بدوافعه السياسية من وراء اغتياله لرئيس الوزراء بطرس غالي ،إلا أن ذلك الاعتراف لم يمنع انشغال الرأي العام المصري ، وفتحها باباً للخلاف بين عنصري الامة[٣٩]، في وقت تعالت فيه الدعوات المصرية داخل المجلس التشريعي المصري بضرورة طرح مشروع قانون لانتخاب مجلس وطني ، يأخذ على عاتقه اقتراح وإقرار القوانين بشكل حر ومستقل، ليحل محل المجلس التشريعي[٤٠]، الذي ارادت له بريطانيا زيادة صلاحياته ضمن رؤية الحاكم البريطاني الدون غورست، كحيلة المقصود بها صرف أنظار واهتمام الرأي العام عن هدفه، بنظام برلماني وطني، يمكن ممثلي الشعب من سحب السلطة، التي تخضع لسيطرة الاحتلال البريطاني وادارته[٤١]،

هكذا تراكمت الأحداث السياسية المصرية مع المطالب الوطنية ، لتدور في دائرة الاستقلال الوطني والحريات الدستورية، عشية زيارة رئيس الولايات المتحدة الامريكية الاسبق ثيودر روزفلت في٢٢ آذار ١٩١٠.

ثالثاً: خطاب ثيودور روزفلت في الجامعة المصرية ٢٨ آذار ١٩١٠.

تلقى ثيودور روزفلت دعوة الحضور الى الجامعة المصرية والقاء كلمته فيها، وذلك قبل وصوله الى القاهرة ، عندما كان في مدينة غوندكرو، الواقعة جنوب السودان، وهي مقر الحامية البريطانية، ونالت الدعوة موافقة ثيودور روزفلت[٤٢]، ضمن برنامج زيارته الى القاهرة، وعلل ذلك بأن الجامعة المصرية " اسسها نخبة من المسلمين الأكثر تقدماً وتحرراً، لأجل أن يستوعب العالم الاسلامي كل ما هو أفضل من الحضارة الغربية" إلا أن ما جرى، بعد ذلك هو اغتيال رئيس الوزراء بطرس غالي في ٢١ شباط ١٩١٠[٤٣].

طبقاً لذلك نصح الدون غورست ضيفهم ثيودر روزفلت، عدم التطرق لحادثة الاغتيال نظراً لحساسية الموقف، فكان الرد الاولي لثيودر روزفلت أنه لن يُضمن خطابه شيئاً لا تضريه السلطات البريطانية في القاهرة، على الرغم من قناعته بأن تنفيذ ذلك الطلب البريطاني منه، سيفسره المصريون بأنه " خوف، إلا أن الادارة البريطانية عدلت على طلبها، وقررت أطلاق العنان للضيف في أن يمضي لتحقيق رغبته، بعد أن قدم كل من السير فرنسيس ريجنالد ونجيت(Sir Francis Wingate Reginald)[٤٤]، الحاكم العام في السودان، والدون غروست مقترحها ضمن تلك الكلمة دون الافصاح عنها، إلا أن الاثنان وافقا على كل كلمة وردت في الخطاب، وذلك شجع ثيودور روزفلت على إدراج آراءه بعد أن اعد كلمته بعناية فائقة[٤٥].

ثم جاء موعد زيارة ثيودر روزفلت الى مصر قادماً من السودان وموعدهُ مع الجامعة المصرية، والتي كانت صباح يوم ٢٨ آذار ١٩١٠، وكانت كلمته بعنوان النظام والقانون في مصر " Law and Order in Egypt "[٤٦]، ذكر فيها " **ان الصفة الجوهرية ليست الاسراع في الحصول على قوة يساء استعمالها ، بل تربية الصفات الجوهرية تربية بطيئة ثابتة** "[٤٧]، وعند ذلك الحد كان ثيودور روزفلت يمهد الحاضرين لما يرغب الاشارة اليه حول أمرين غاية في الاهمية ، الاول يخص المصريين ومطالبهم بالدستور والاستقلال، أما الامر الثاني هو حادثة اغتيال بطرس غالي واستغلالها بشكل يثبط فيه من همم المصرين[٤٨]، حتى أنه استعار آية من القران الكريم بقوله " سمعت في السودان حكمة شعبية مأخوذة عن إحدى آيات القرآن الكريم ، وهي " **ان الله مع الصابرين إذا صبروا** "، في اشارة منه الى تأجيل المصريين لمطالبهم المشروعة لاسيما قوله " **انك لا تستطيع أن تجعل شعباً يصلح لحكم نفسه، بإعطائه دستوراً من ورق**"، ثم أكد على ان " **تدريب أمة حتى تتمكن من الاضطلاع بمهام الحكم الذاتي، ليست مسألة عقد أو عقدين من الزمان وإنما هي تستغرق اجيالاً**"[٤٩].

وذلك هو هدف الادارة البريطانية في مصر وجاءت زيارة ثيودر روزفلت وخطابه ليصب في تحقيق ذلك الهدف، استغلت الادارة البريطانية وضيفها حادثة الاغتيال وقال عنه ،" **أن كل رجل كريم قد استاء كل الاستياء لمقتل بطرس باشا ،ان مقتله اعظم مصابا على مصر منه على الفرد نفسه ، والنوع الذي يخرج القتلة ، هو النوع الذي يشتمل على كميع الصفات التي تبعد الانسان عن المدنية الصحيحة ، رجل مثل هذا هو في أعلى ذرى النذالة ،وكل من يعتذر عن عمل مثل عمله ، او يتغاضى عنه وكل من يحرض عليه بالقول او بفعل مباشرة او بواسطة قبل ارتكابه او بعده ، انما هو مثل مرتكبه في درجة نذالته**"،[٥٠]، وفي محاولة منه لبث الفرقة بين المصريين، حتى أنه لبى دعوة عدد من وجهاء الاقباط زار المتحف القطبي،[٥١]، دون تلبية دعوة مماثلة تقدم بها عدد من رجال دين مسلمين في يوم وصوله[٥٢] ،في توقيت هو الاسوء على مصر[٥٣].

رابعاً: موقف الحركة الوطنية :

استغل ثيودر روزفلت في خطابه بالجامعة المصرية حادثة اغتيال بطرس غالي، و جاء ذلك متطابق الى حد كبير مع رؤية الادارة البريطانية في القاهرة، كذلك استثمرت الحركة الوطنية المصرية حدث الزيارة وحدث الاغتيال ، في التعبير عن مواقفها، والتي بلغت مستوى دقيق ومتصاعد، وذلك مالم ينكره حتى ثيودر روزفلت[٥٤]، الذي قوبل فور انتهاء كلمته بمظاهرة كبيرة، نودي فيها بسقوطه وحياة مصر والاستقلال، وكانت مظاهرة عفوية، اعطت دليلاً على تعلق المصريين بمطالبهم الوطنية، التي انكرتها كلمة ثيودر روزفلت في الجامعة المصرية[٥٥].

رداً على كلمة ثيودر روزفلت ، نظم الشاعر ابراهيم حافظ قصيدة ضمنها لوماً وانتقاداً لاذعاً له ولخطابه [٥٦] ، في حين نظم الشاعر احمد شوقي قصيدة بعنوان" **انس الوجود**"[٥٧] وكان فيها من العتاب الكثير، مخاطباً ثيودر روزفلت بقوله " **فخالف سنة الاحرار من قادة الأمم وساستها**"[٥٨].

كما كتب محد فريد زعيم الحزب الوطني رسالة خاصة إلى ثيودر روزفلت في ٢٩ آذار ١٩١٠ ، اشار فيها الى أنه جهل حقيقة استياء الرأي العالم المصري، واستغرب محمد فريد من تقييم ثيودر روزفلت للشعب المصري، على الرغم من إنه لم يمكث في مصر سوى ايام قليلة ، لم يختلط فيها إلا مع " **اعداء الحركة الوطنية، ولم يقرأ إلا ماكتبه انصار الاحتلال و أذناب السياسات الانكليزية**" ، في اشارة منه الى سوء التمثيل المصري في الحكومات المصرية المتعاقبة، ثم انتقل محمد فريد بعدها بتفصيل الاحداث والتطورات السياسية في مصر ، والتي اثبتت من خلالها عدم أهلية الادارة البريطانية في مصر، بالقول" **الامة المصرية امة قوية، أمة دستورية من قديم العهد**"، واعرب محمد فريد عن استنكاره لما ذكره ثيودر روزفلت حول عدم اهلية الامة للنظام البرلماني في وقت اشتداد المطالبة بالدستور، كما انكر محمد فريد قيمة تلك الكلمة من الناحية السياسية و رجح" **أنه أما تكون قد خدعت بأفكار دسها جماعة من المنافقين، وأما أنك اردت مجاملة الدول الانكليزية تعضيداً لسياستها**"[٥٩]،إلا أن ثيودر روزفلت له تقييماً آخر لخطابه في الجامعة المصرية، وأنها كانت محل أعجاب "**الاقباط والمسلمين الاذكياء**"، وادعى أنهم استشعروا بإيجابية ما قدمه أكثر من الاوربيين[٦٠]، ولعل اسباب ذلك التقييم ، هو نتيجة لمنحه الدكتوراه الفخرية من قبل الجامعة المصرية، فضلاً عن تهليل صحافة القاهرة لعدة اسابيع سبقت وصوله الى القاهرة[٦١]، التي استثارتهم الاساءة لهم ولقادتهم الوطنين، فما كان على الادارة البريطانية إلا التوجس من ذلك الغضب الشعبي، وحاولت جاهدة تفكيكه وتقييده، عن طريق فرض القوانين الجائرة، طالت بها المطبوعات، الى درجة إحالة المخالفين الى القضاء، كما اصدرت أنظمة جديدة تمنع طلاب المدارس من ممارسة النشاط السياسي، بعد أن رصدت السلطات البريطانية مشاركتهم في المظاهرات ، وكتابة المقالات السياسية في الصحف المحلية[٦٢]، كما حصل وزير الداخلية على صلاحية توجيه الانذارات وغلق الصحف من دون محاكمة ، أو حتى إحالة مسؤوليتها الى محاكم الجنايات[٦٣]، بعد أن رأت الادارة البريطانية تجاوز الصحافة لحدود الاعتدال واثارة العداوة اتجاهها والحكومة المصرية[٦٤].

وبرزت احزاب لها مواقف تتفق الى حد كبير مع ما ذهب اليه ثيودر روزفلت في خطابه داخل الجامعة المصرية ، ومن ذلك " **حزب الامة**"، الذي عبر من خلال صحيفتهم "**الجريدة**" ،بأن مصر ينبغي لها نيل استقلالها تدريجياً، وحين تصبح قادرة على تولي الحكم الذاتي، الذي لا تفكر إدارة الَدون غروست فيه، لاسيما أن الاخير قد عبر عن إعجابه بما ورد في بكلمة ثيودر روزفلت، وعدها "**مانحة لشجاعة متجددة**"، ورأى فيها أوجزت الواقع المصري[٦٥]، الذي رأت فيه الصحافة البريطانية أنه يمر في حالة من

الفوضى وضرورة ايقافها، وأن الاحتلال لابد له أن يدوم الى ما شاء الله، وذلك التقييم أوجد جدلاً حتى في الاوساط السياسية البريطانية، ووجه أهانة لوجودها في مصر، لاسيما أن ثيودور روزفلت قد أعطى حادثة الاغتيال طابعاً دينياً [٦٦]، خلافا لما أكدته التحقيقات .

ولأن الحزب الوطني ومنذ تأسيسه عام ١٩٠٧ وحتى عام ١٩١٣، هو حزب الاغلبية، وكان في طليعة القوى السياسية المناهضة للنفوذ الاستعماري البريطاني والحكم الاستبدادي[٦٧]، ولذلك اتسع رفضه لما جاء في خطاب ثيودر روزفلت، الذي وصفه محمد فريد أنه " **انكليزياً أكثر من الانكليز**" ، ونشر مقاله في جريدة السيكل الفرنسية (Sikel) ، ركز فيها على مساعي وجهاد المصريين لاسترداد مكانتهم ودستورهم منذ عام ١٨٨٢ ، نافياً أن تكون كلمة ثيودر روزفلت مؤثرة على عزيمة الشعب المصري، الذي نادى بأهليته للحرية والاستقلال[٦٨].

في سياق متصل أدانت" **لجنة مصر الفتاة**"، ثيودور روزفلت وخطابه في الجامعة المصرية، كما أدانت الحكم البريطاني، حتى أن المعلومات تواترت عن رغبة اعضاء تلك اللجنة في التخطيط لقتل ثيودور روزفلت، ازاء ما بَدر منهُ بِحق مصر[٦٩].

رد أحد قادة الحركة الوطنية وهو الشيخ علي يوسف، على ما بدر من عبارات الاساءة لمصر من قبل ثيودور روزفلت في خطابه بالجامعة المصرية ، اتجاه المطالبة بالدستور والاستقلال المصري، وذلك بمقال شديد اللهجة رفضاً لذلك[٧٠]، وقد ذكر فيه متهكماً، لقد كلف المستر روزفلت نفسه في أن يحفظ مثلاً عربياً، وهو " **أن الله مع الصابرين إذا صبروا**"، لقد ضحك السامعون وأنا من جملتهم، كما وصف الشيخ علي يوسف العلاقة بين الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا بطريقة السخرية ، أنهم " **ابناء عمومة المحتلين**"، ولفت أنظار بريطانيا وضيفها الامريكي" **أن مصر أعظم أمة حرة**"[٧١]، وكتب الشيخ علي يوسف ثيودر روزفلت قبل وصوله الى القاهرة نشرته جريد المؤيد ، حذره فيه من تكرار تجربة خطابه السيء في السودان ، وان يبتعد عن قضية نصحهِ إياهم بالتمسك بالإدارة الاستعمارية والحكومة المستبدة، وقد تناقلت الصحافة الامريكية تلك المقالة، ونشرت رداً عليها على صفحاتها ،بعددها الصادر في ٢٤ آذار ١٩١٠[٧٢].

كما عبر أدباء مصر عن موقفهم الناقم إزاء ثيودور روزفلت وخطابه في الجامعة ، وأبرزهم الكاتب المصري مصطفى المنفلوطي[٧٣]، الذي نشرت له الصحافة المصرية عدد من المقالات السياسية، فَند من خلالها ما ورد من الادعاءات والاساءات ضد مصر وابنائها، ولما استشعرت الادارة البريطانية خطورة تلك المقالات الصحفية على الشباب المصري، لاسيما مقاله المنشور في جريد المؤيد بتاريخ ٣١ آذار ١٩١٠ وعنوانه" **محاكمة روزفلت أما محكمة العدل**" فأستشاط على أثره المستشار البريطاني في وزارة المعارف دوغلاس دنلوب(Douglas Dunlop)[٧٤]، فأراد الانتقام من مصطفى المنفلوطي، وطالب وزارة المعارف بفصله ، إلا أن وزير المعارف سعد زغلول، رفض ذلك الطلب، قائلاً للمستشار

البريطاني،" **الوظائف قبور للأدباء ومن الخير للحكومة أن يكون مثله داخلها**"[٧٥]، في اشارة منه لأهمية المنفلوطي بكل أدواره الادبية والسياسية.

هكذا اثرت زيارة الرئيس الاسبق للولايات المتحدة الامريكية ثيودور روزفلت وخطابه في الجامعة المصرية في ٢٨ آذار ١٩١٠، على الداخل المصري وموقف الحركة الوطنية ازاء ذلك على المستوى السياسي والثقافي، فكانت كما وصفتها صحيفة نيويورك تايمز بمقال عنوانه "**الخطاب الذي أثار العالم**"[٧٦].

الخاتمة:

كشفت زيارة الرئيس الاسبق للولايات المتحدة الامريكية ثيودور روزفلت ، الى القاهرة وخطابه في الجامعة المصرية ، يقظة الحركة الوطنية المصرية، وتماسك صفوفها ومستوى وعيها الكبير ، إزاء الاساليب الاستعمارية المبطنة، التي اعتادت على استغلال الشعوب وسلب ارادتها ، من خلال استغلال الحوادث السياسية ، ومنها حادثة اغتيال رئيس الوزراء بطرس غالي ، التي وعلى الرغم من اعترافات ابراهيم الورداني بدوافعه السياسية غير الدينية ، الا ان الادارة البريطانية ومن بعدها ضيفها ثيودور روزفلت ، قد أصرا على إظهار الحادثة –المنبوذة–على انها ذات دوافع دينية ، ناجمة عن التعصب الديني ، في محاولة منهما وأد المطالب الوطنية للشعب المصري ، بحجة عدم أهلية وكفاءة العناصر الوطنية المصرية ، والتي فضحت وكشفت دوافع تلك المحاولة داخل وخارج مصر .

الهوامش:

[١] ثيودور روزفلت : الرئيس السادس والعشرون للولايات المتحدة الامريكية ، ولدعام ١٨٥٨ ، في مدينة نيويورك ،تخرج من جامعة هاوارد في عام ١٨٨٠ ،ثم درس القانون عام ١٨٨٤ ، واصبح نائبا ولاية نيويورك ، ثم اصبح قائد نيويورك عام ١٨٨٥ ، وانضم في العمل السياسي الى الحزب الجمهوري ، ثم اصبح نائب الرئيس الامريكي ماكينلي ، ثم رئيسا بعد اغتيال الرئيس ماكينلي ، ثم ترشح وفاز في انتخابات الرئاسة عام ١٩٠٤–١٩٠٧ , توفي عام ١٩١٩ . للمزيد . انظر: خالد رزاق مالح ،"اثر الحركة التقدمية في السياسة الامريكية للرئيس الامريكي ثيودور روزفلت (١٩١٠ –١٩٠٨) "،مجلة اداب ذي قار ، جامعة ذي قار ، مج٣٨ ، العدد٢ ، تموز ٢٠٢٢ .ص٣١–٣٢ .

[٢] أودو زاوتر، رؤوساء الولايات المتحدة الامريكية منذ ١٧٨٩ حتى اليوم،(لندن: دار الحكمة، ٢٠٠٦) ، ص١٧٩.

[٣] الحرب الروسية – اليابانية : اندلعت احداثها في ٨ شباط ١٩٠٤ على اثر الهجوم الياباني على ميناء بورت أثر، تكبدت روسيا على اثرها خسائر كبيرة في بحر البلطيق، ولم تتوقف الحرب إلا بالوساطة الامريكية، والدخول في مفاوضات دامت من ٨ حزيران ١٩٠٥ –٢٩ حزيران ١٩٠٥، في نيو هامشاير الامريكية. للمزيد: خالد عبد نمال حوراني الدليمي، ثيودر روزفلت وسياسة الولايات المتحدة الامريكية الخارجية١٩٠١–١٩٠٩،(عمان : دار غيداء للنشر والتوزيع،٢٠١٣).

[٤] مبدأ مونر: سياسة امريكية وضع اسسها الرئيس الامريكي جيمس مونرو (١٨١٧–١٨٢٥) ، وتتبنى الابتعاد عن الشؤون العالمية ،و معارضة الاستعمار الاوربي في القارتين الامريكيتين الشمالية والجنوبية ، في مقابل عدم التدخل

الامريكي في الشؤون الاوربية ، لاسباب تخص تقوية الروح الامريكية في محيطها الوطني . للمزيد . انظر :سامي صالح الصياد ، " الموقف الدولي من مبدأ مونرو ١٨٢٣ " ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ،المجلد ٣٠ العدد ١٢ ، ج٢ لعام ٢٠٢٣ ، ص١٣-٢٦ .

(٥)خالد عبد نمال حوراني الدليمي، المصدر السابق، ص١٣٣.

(٦) روزفلت رئيس الولايات المتحدة ، مجلة المقتطف ، مجلد ٢٩، ج١٢، ١ كانون الاول ١٩٠٤، ص٣٩.

(7) www. Library of Congress , Theodore Reosevelt's , Africa Expedition , Topics in chronicling America.

(٨) محمد سعيد كيلاني " روزفلت في مصر" ، مجلة الرسالة، العدد ٩٠٧، (القاهرة ٢٠ تشرين الثاني ١٩٥٠)، ***www. wikisource .org.***

(٩) ارثر ادوارد جولت شميت، الحزب الوطني المصري، مصطفى كامل- محمد فريد، ترجمة فؤاد دواره، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣)، ص٢١٢.

(١٠) ظاهر محمد صكر الحسناوي، مصر في الاستراتيجية الامريكية ١٩٤٥-١٩٥٢ ،(طرابلس، مركز جهاد الليبيين، ١٩٩٩)،ص٤٢ .

(11) Theodore Reosevelt's , Africa Expedition , Topics in chronicling America.

(١١)) Theodore Reosevelt's , Africa Expedition , Topics in chronicling America.

(١٢) الجامعة المصرية: جامعة اهلية افتتحت رسمياً في ٢١ كانون الاول ١٩٠٨، ضم مجلس ادارتها الاول الرئيس(الامير أحمد فؤاد)، امين الصندوق (حسن سعيد بك)، حسين رشدي وابراهيم نجيب(وكيلين)، وعضوية يعقوب آرتين،د. محمد علوي باشا، عبد الخالق ثروت، علي بهجت، مسيو لوزينا بك، علي ذو الفقار، وتستقبل الطلبة خريجي المدارس العالية، والازهر الشريف ، وما بعد الدراسة الثانوية ، تطورت الدراسة فيها، ومدة الدراسة فيها(٤) سنوات. انظر: رؤوف عباس، جامعة القاهرة ماضيها وحاضرها،(المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٥).

(١٣) يمني أحمد حسن عطوه الغندور، انس الوجود بين شوقي والعقاد دراسة موضوعية – فنية ،(القاهرة : د.م، د.ت) .

(14) Roosevelt Center . Org Ellerston .E.J, The return from Elba , (African Safari , March 1909-1910), PP.4-10.

(15) Roosevelt Center Org/ digital Labrary /287069; Roosevelt Digital Labrary, Dickins State University ,P.P.7-70.

(١٦) مصطفى كامل: سياسي مصري، ولد في ١٤ اب ١٨٧٤ ، والده ضابط في الجيش المصري ، التحق بكلية تولوز للحقوق في فرنسا وتخرج منها عام ١٨٩٤ ،وعرف عنه نضاله الوطني ضد بريطانيا ، واحترامه للحكم العثماني ، وأنشأ جريدة اللواء ، ١٩٠٠ ، اصبحت لسان حال الحزب الوطني بعد تاسيسه عام ١٩٠٧ ، وتوفى عام ١٩٠٨ . للمزيد .أنظر : عبد الرحمن الرافعي ، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية،ط٥ ،(القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٤).

(١٧) عفاف لطفي السيد، تجربة مصر الليبرالية ١٩٢٢-١٩٣٦،(القاهرة ، المركز العربي للبحث والنشر، ١٩٨١)، ص٧٥.

(١٨) توماس راسل، مذكرات توماس راسل حكمدار القاهرة ١٩٠٢-١٩٤٦، ترجمة مصطفى عبيد،(القاهرة، الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢٠) ،ص٢٧٥.

(١٩) آمـال سـعد زغلـول، المثقفـون المصـريون ودورهـم فـي ثـورة ١٩١٩ فـي الفتـرة مـا بـين ١٩١٨-١٩٢٢، (القاهرة ، مركز المحروسة للنشر، ٢٠٢١)، ص٥٢-٥٣ .

(٢٠) أحمد رشدي صالح، كرومر في مصر،(القاهرة ، دار القرن العشرين، د.ت)، ص٧٨-٨١.

(٢١) محمود الضبع، المنارة في التاريخ عن تاريخ مصر والعرب الحديث ، (القاهرة ، ببلومانيا للنشر والتوزيع ، ٢٠٢٢) ، ص٦٨ .

(٢٢) محمود نجيب ابو الليل ، الاماني الوطنية والمشكلات المصرية في الصحف الفرنسية ، (القاهرة، بلا ، ١٩٥٣)، ص٢٢ . تاريخ الصحافة المصرية، ص١٢٧-١٣٠ .

(٢٣) ومـن تلـك الاحـزاب: (الحـزب المصـري) ،(حـزب النـبلاء)، (الحـزب الدسـتوري)،(الحـزب الجمهـوري)، (الحزب الاشتراكي المبارك)، للمزيد .أنظر: جرجي زيدان، الانقلاب العثماني،(بيروت، دار الهدى الوطنية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢) ص١٦٦-١٦٨.

(٢٤) للمزيد: أنظر: نادية ياسين عبد، الاتحاديون دراسة تاريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية أواخر القرن التاسع عشر ١٩٠٨، (بغداد، دار ومكتبة عدنان، ٢٠١٤)، ص٨٠-١٢٥,

(٢٥) أحمد نوري النعيمي، يهود الدونمة،(عمان ، بلا , ٢٠١٤)، ص١٣٨-١٣٩.

(٢٦) الـدون غورسـت :دبلوماسـي بريطـاني ، لـد عـام ١٨٦١ ، تـدرج فـي السـلك الدبلوماسـي البريطـاني ،وعـين فـي وزارة المستعمرات البريطانية، واصبح المعتمد البريطاني والقنصل العام في القاهرة للمدة ١٩٠٧-١٩١١ ، توفي عام ١٩١١ . منى عبد العظيم انيس ، المصدر السابق ، ص٣٨ .

(٢٧) مكـي حبيـب المـؤمن وعلـي عجيـل منهـل، مـن طلائـع اليقظـة العربيـة، ط٢،(بغـداد، دار الشـؤون الثقافيـة العامـة، ١٩٨٦)، ص١٨-١٩.

(٢٨) الوفاق الودي البريطاني- الفرنسي ١٩٠٤: اتفاقية ثنائية وقعت بين الطرفين الفرنسي والبريطاني في نيسان ١٩٠٤ ، لحسم الخلافات والتنافس حول المستعمرات في الشرق ، ولتوحيد جهودهما بالضغط للحد من سياسة المانيا التوسعية .انظر : طـه جـاد ، الصـراع الاسـتعماري فـي حـوض النيـل ، (القـاهرة، الـدار القوميـة للطباعـة والنشـر ، ١٩٦٣) ، ص٨١-٨٢ .

(٢٩) نقلاً عن: رفعت السيد، الزعامات السياسية المصرية *Kotobara.com*

(٣٠) للمزيـد عـن نشـأة رأس المـال المصـري. انظـر: هـاجر مهـدي خـاطر النداوي،"نشـأة رأس المـال المصـري المصـرفي والزراعي في ظل الاحتلال البريطاني ١٨٨٢-١٩٥٦ "، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، ملحق العدد١٩٥، شباط ٢٠٢٥، كلية الآداب، جامعة بغداد، ص٥٥٥-٥٧٣

(٣١) رفعت السيد، ثورة ١٩١ والقوى الاجتماعية محاولة رؤية جديدة،(القاهرة، الهيئة المصرية العامة ،٢٠٠٩)، ص١٤-١٦.

(٣٢) توماس راسل، المصدر السابق، ص١٢٩.

(٣٣) من تلك الاحداث: ١- حادثة الحدود ١٨٩٤، ٢- أزمة فاشودة ١٨٩٦، حادثة طابا ١٩٠٦. أنظر: دلال عبد الحسن جولان،" الازمات الوطنية في عهد الخديوي عباس حلمي الثاني ١٨٩٤-"١٩١٤، مجلة الجامعة العراقية، المجلد٦٧، العدد ٢، حزيران ٢٠٢٤، ص٣٣٢-٣٤٠.

(٣٤) بطرس غالي: سياسي مصري، ولد عام ١٨٤٦ ، من عائلة قبطية ، كان والده من كبار موظفي لدى القصر في عهد الخديوي اسماعيل ، شغل عدة مناصب ادارية رفيعة ، كان اخرها رئيس الوزراء ١٩٠٨ –١٩١٠ ، توفي متاثرا باطلاقات رصاص ، اطلقها شاب مصري اسمه ابراهيم الورداني في ٢٠ شباط ١٩١٠ .أنظر : خالد عزب ، من وثائق العائلات القبطية قراءة في اوراق عائلة بطرس غالي باشا ، (القاهرة ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ،٢٠١٢) .ص١٣ –٦٤ .

(٣٥) للمزيد. انظر :محمد مورو ، الاقليات المشكلة والحل ، (القاهرة، مكتبة جزيرة الورد ، ٢٠٠٩) ، ص٣١٠.

(٣٦) نضال محمد العضايلة، تاريخ الاغتيال السياسي في الشرق الاوسط،(عمان ، دار ورد الاردنية للنشر والتوزيع، ٢٠١١) ، ص١٠٣.

(٣٧) عصام الدين ضياء الدين علي، الحزب الوطني والنضال السري ١٩٠٧–١٩١٥،(القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٨٧، ص٢١٩.

(٣٨) رامي عطا صديق، وحدتنا الوطنية بين ثورتين،(القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ٢٠١٨) ، ص١٠٣ .

(٣٩) ياسر ثابت ، دين مصر أمراء الدم والفيديو،(القاهرة، دار الكتب للنشر والتوزيع،٢٠١٤)، ص٢٧٥ .

(٤٠) محمد عبد الرحمن برج، دراسة في الحركة الوطنية المصرية وزارة بطرس غالي ١٩٠٨–١٩١٠، (القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٠)، ص١٨٠ .

(٤١) ارثر ادوارد جولد شميت، المصدر السابق، ص١٥٣ .

(42)Theodore Reosevelt , Op.Cit, P.10.

(٤٣) محمد عبد الرحمن برج، المصدر السابق، ص١٨٧ .

(٤٤) فرنسيس ريجنالد ونجيت: ضابط بريطاني، ولد عام ١٨٦٧ في اسكتلندا، تدرج في المناصب العسكرية منها مدير الاستخبارات العسكرية في السودان عام ١٨٨٩ ، ثم اصبح الحاكم العام البريطاني في السودان ١٨٩٩، ثم مندوب بريطانيا في القاهرة عام ١٩١٧، توفي عام ١٩٥٣. انتصار عبد الرزاق عبد محي، الجنرال ريجنالد ونجيت ودوره السياسي والاجتماعي في السودان ١٩٠٠–١٩١٦، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، كلية الآداب، بغداد، المجلد١، العدد٨٩، كانون الاول ٢٠٢٣ .

(45)Theodore Reosevelt , Op.Cit, PP.70-77.

(46) WWW.Recovering Democracy Archives ," Law and Order in Egypt ".

(٤٧) مقتبس في : يونان لبيب رزق ،" ثيودور روزفلت والحركة الوطنية المصرية " ، مجلة السياسة الدولية ، العدد٣٤ ، تشرين الاول ١٩٧٣ ، القاهرة، ص١٠١.

(٤٨) محمد سيد كيلاني، عباس حلمي أو عصر التغلغل البريطاني في مصر ١٨٩٢–١٩١٤،(القاهرة، دار الفرجاني،١٩١٢)، ص١٤٩ .

(٤٩) دونالد مالكوم ريد، دور جامعة القاهرة، في بناء مصر الحديثة، ترجمة اكرام يوسف،(القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧)، ص٧٧–٧٨.

(٥٠) مقتبس في: يونان لبيب رزق ،المصدر السابق ، ص١٠١ .

(٥١) للمزيد. انظر : مرقس سميكة باشا ، دليل المتحف القبطي واهم الكنائس والاديرة،ج٢ ، (القاهرة ، المطبعة الاميرية ، ١٩٣٢) .

(٥٢) دونالد مالكوم ريد، المصدر السابق، ص٧٧ .

(٥٣) جرجس صفوت، بصورة نادرة مؤرخ كنسي يرصد تفاصيل زيارة روزفلت للمتحف القبطي في ٢٣ آب ٢٠٢٢. *www. doctor.org.*

(٥٤) عبد الرحمن الرافعي، محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية، ط٤،(القاهرة، دار المعارف،١٩٨٤)، ص١٩٤ .

(٥٥) المصدر نفسه، ص١٨٧. .

(٥٦) عبد الرحمن الرافعي، شعراء الوطنية،(المملكة المتحدة، مؤسسة الهنداوي، ٢٠١٧)، ص١٣٧-١٣٨ .

(٥٧) مصطفى محمد ابو طاحون، الحضور الامريكي، الشعر العربي الحديث،(القاهرة، البشير للنشر والتوزيع،٢٠١٥)، ص٢٣-٢٤ .

(٥٨) يمنى احمد حسين عطوه الغندور، انس الوجود بين شوقي والعقاد دراسة موضوعية.

*www. BFSgm.**Journals. Ekb.eg**.*

(٥٩) عبد الرحمن الرافعي، محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية، المصدر السابق، ص١٨٤ .

(60) *Theodore Roosvelt, OP.Cit, P.14.*

(٦١) دونالد مالكوم ريد، المصدر السابق، ص٧٧ .

(٦٢) أرثر ادوارد جولد شميت، المصدر السابق، ص٢١٣.

(٦٣)عبد الرحمن الرافعي، محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية، المصدر السابق، ص١١٩.

(٦٤) اسماعيل محمد زين الدين، المعارضة في البرلمان المصري، (القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٦)، ص٢٤.

(65)*Theodore Roosvelt, OP.Cit, P.77.*

(٦٦) محمد سيد كيلاني، المصدر السابق، ص١٥٢-١٥٣:.

(٦٧) أسامة احمد العادلي، الحرية السياسية المصرية بين الملكية والجمهورية، (الاسكندرية، منشأة المعارف،٢٠٠٣)، ص١٣٨-١٣٩.

(٦٨)عبد الرحمن الرافعي، محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية، المصدر السابق، ص١٣٨-١٣٩.

(69) *Stephem Wertherm, "Reluctant liberator , Theodor Roosevlt's Philosophy of self , government and preparation for Philippine Independence .www. Columbia – ed/ sawliberator,p.505.*

(٧٠) سعيد الشحات، ذات يوم ٢٩ آذار ١٩١٠ مظاهرات ضد خطاب الرئيس الامريكي روزفلت ٢٩ آذار ٢٠١٤. *.:www.youm7.com*

(٧١) مرسي أبو ذكرى، المقال وتطوره في الادب المعاصر .:wwwbookislamd.com

(٧٢) كامل محمد محمد عويضة، مصطفى لطفي المنفلوطي حياته وأدبه ،(بيروت، دار الكتب العلمية،١٩٣٣، ص٢٩-٣٠.

(٧٣) مصطفى المنفلوطي : كاتب واديب مصري ، ولد عام ١٨٧٢ ، في قرية منفلوط المصرية ، من اسرة دينية حسينية النسب، تلقى تعليمه في الازهر الشريف ، وعرف عنه نبوغه في الشعر والادب ، ونشرت له جريدة المؤيد مقالات اسبوعية عديدة، تحت عنوان (النظرات) ، عين في وزارة بصفة (المحرر العربي) ،عام ١٩٠٩ ، له عدد من الكتب والمؤلفات ، وله مواقف وطنية جعلته يتعرض للفصل الوظيفي وللاعتقال ، توفي عام ١٩٢٤ . انظر : كامل

سلمان الجبوري ، معجم الادباء من العصر الجاهلي حتى عام ٢٠٠٢ ، ج٦،(بيروت ، دار الكتب العلمية) ، ص ٢٣٩ ..

(٧٤)دوغلاس دونلوب: قس بريطاني أصبح وكيل وزارة المعارف المصرية مستشار الوزارة، وكانت سياسته التعليمي متحيزة وتثير عداء مصر على الادارة البريطانية. طارق البشري، يوميات لورد ملنر في مصر ووثائق أخرى ١٩١٩-١٩٢٠، ترجمة: صلاح ابونا ،(القاهرة، دار الشروق ٢٠١٣)، ص٣٨.للمزيد . أنظر: محمد علي الطاهر، نظرات الشورى، (القاهرة، مطبعة الشورى، ١٩٣٣)، ص٨٨-٨٩.

(٧٥) صلاح عيسى، حكايات من مصر،(القاهرة، مطبعة الحكومة،٢٠١٩)، ص٢٠ .

(76)Stephen Wortheing, Op.Cit,P.505.

المصادر:

أولا: الكتب العربية والمعربة:

١- أحمد رشدي صالح ، كرومر في مصر،(القاهرة ، دار القرن العشرين، د.ت).

٢- أحمد نوري النعيمي، يهود الدونمة،(عمان ، د.م، ٢٠١٤).

٣- أودو زاوتر، رؤوساء الولايات المتحدة الامريكية منذ ١٧٨٩ حتى اليوم،(لندن: دار الحكمة، ٢٠٠٦).

٤- آمال سعد زغلول، المثقفون المصريون ودورهم في ثورة ١٩١٩ في الفترة ما بين ١٩١٨-١٩٢٢، (القاهرة ، مركز المحروسة للنشر، ٢٠٢١).

٥- اسماعيل محمد زين الدين ، المعارضة في البرلمان المصري، (القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٦).

٦- جرجي زيدان، الانقلاب العثماني،(بيروت، دار الهدى الوطنية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢).

٧- توماس راسل، مذكرات توماس راسل حكمدار القاهرة ١٩٠٢-١٩٤٦، ترجمة مصطفى عبيد،(القاهرة، الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢) .

٨- خالد عبد نمال حوراني الدليمي، ثيودر روزفلت وسياسة الولايات المتحدة الامريكية الخارجية ١٩٠١-١٩٠٩،(عمان : درا غيداء للنشر والتوزيع،٢٠١٣).

٩- خالد عزب ، من وثائق العائلات القبطية قراءة في اوراق عائلة بطرس غالي باشا ، (القاهرة ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ،٢٠١٢) .

١٠- دونالد مالكوم ريد، دور جامعة القاهرة، في بناء مصر الحديثة، ترجمة اكرام يوسف،(القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧).

١١- رفعت السيد، ثورة ١٩١ والقوى الاجتماعية محاولة رؤية جديدة،(القاهرة، الهيئة المصرية العامة ،٢٠٠٩).

١٢- صلاح عيسى، حكايات من مصر،(القاهرة، مطبعة الحكومة،٢٠١٩).

١٣- طارق البشري، يوميات لورد ملنر في مصر ووثائق أخرى ١٩١٩-١٩٢٠، ترجمة: صلاح ابونا ، (القاهرة، دار الشروق ، ٢٠١٣).

١٤- طه جاد ، الصراع الاستعماري في حوض النيل ، (القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٣).
١٥- عبد الرحمن الرافعي، محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية، ط٤،(القاهرة، دار المعارف،١٩٨٤).
١٦- ---------- ، شعراء الوطنية،(المملكة المتحدة، مؤسسة الهنداوي، ٢٠١٧).
١٧- عفاف لطفي السيد، تجربة مصر الليبرالية ١٩٢٢-١٩٣٦،(القاهرة ، المركز العربي للبحث والنشر، ١٩٨١).
١٨- عصام الدين ضياء الدين علي ، الحزب الوطني والنضال السري ١٩٠٧-١٩١٥،(القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٨٧.
١٩- كامل محمد محمد عويضة، مصطفى لطفي المنفلوطي حياته وأدبه ،(بيروت، دار الكتب العلمية،١٩٣٣).
٢٠- كامل سلمان الجبوري ، معجم الادباء من العصر الجاهلي حتى عام ٢٠٠٢ ، ج٦،(بيروت ، دار الكتب العلمية).
٢١- محمد عبد الرحمن برج، دراسة في الحركة الوطنية المصرية وزارة بطرس غالي ١٩٠٨-١٩١٠، (القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٠).
٢٢- محمد علي الطاهر، نظرات الشورى، (القاهرة، مطبعة الشورى، ١٩٣٣).
٢٣- محمد سيد كيلاني، عباس حلمي أو عصر التغلغل البريطاني في مصر ١٨٩٢-١٩١٤، (القاهرة، دار الفرجاني،١٩١٢).
٢٤- محمد مورو ، الاقليات المشكلة والحل ، (القاهرة، مكتبة جزيرة الورد ، ٢٠٠٩).
٢٥- مصطفى محمد ابو طحنون ، الحضور الامريكي، الشعر العربي الحديث،(القاهرة، البشير للنشر والتوزيع،٢٠١٥).
٢٦- مكي حبيب المؤمن وعلي عجيل منهل، من طلائع اليقظة العربية، ط٢،(بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦).
٢٧- محمود الضبع، المنارة في التاريخ عن تاريخ مصر والعرب الحديث ، (القاهرة ، ببلومانيا للنشر والتوزيع ، ٢٠٢٢) .
٢٨- منى عبد العظيم أنس ، يوميات ملنر في مصر ووثائق اخرى ١٩١٩-١٩٢٠ ، ترجمة صلاح ابو نار ، (القاهرة، دار الشروق) .
٢٩- نادية ياسين عبد، الاتحاديون دراسة تاريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية أواخر القرن التاسع عشر ١٩٠٨، (بغداد، دار ومكتبة عدنان، ٢٠١٤).
٣٠- نضال محمد العضايلة ، تاريخ الاغتيال السياسي في الشرق الاوسط،(عمان ، دار ورد الاردنية للنشر والتوزيع، ٢٠١١).
٣١- ياسر ثابت، دين مصر أمراء الدم والفيديو،(القاهرة، دار الكتب للنشر والتوزيع،٢٠١٤).
٣٢- يمني أحمد حسن عطوه الغندور، انس الوجود بين شوقي والعقاد دراسة موضوعية – فنية ،(القاهرة : د.م، دت) .

ثانياً: البحوث المنشورة:

١- انتصار عبد الرزاق عبد محي، الجنرال ريجنالد ونجيت ودوره السياسي والاجتماعي في السودان ١٩٠٠-١٩١٦، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، كلية الآداب، بغداد، المجلد١، العدد٨٩، كانون الاول ٢٠٢٣.

٢- دلال عبد الحسن جولان، الازمات الوطنية في عهد الخديوي عباس حلمي الثاني ١٨٩٤-١٩١٤، مجلة الجامعة العراقية،المجلد٦٧، العدد ٢، حزيران ٢٠٢٤.

٣- روزفلت رئيس الولايات المتحدة، مجلة المقتطف ، مجلد ٢٩، ج١٢، ١ كانون الاول ١٩٠٤.

٤- هاجر مهدي خاطر النداوي ،"نشأة رأس المال المصري المصرفي والزراعي في ظل الاحتلال البريطاني ١٨٨٢-١٩٥٦ "، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، ملحق العدد١٩٥، شباط ٢٠٢٥، كلية الآداب، جامعة بغداد.

٥- خالد رزاق مالح ،"اثر الحركة التقدمية في السياسة الامريكية للرئيس الامريكي ثيودور روزفلت (١٩١٠ -١٩٠٨) "،مجلة اداب ذي قار ، جامعة ذي قار ، مج٣٨ ، العدد٢ ، تموز ٢٠٢٢.

ثالثاً: الكتب الاجنبية:

1- Roosevelt Center . Org Ellerston .E.J, The return from Elba , (African Safari , March 1909-1910.

2- Roosevelt Center Org/ digital Labrary /287069; Roosevelt Digital Labrary, Dickens State University .

رابعاً: الانترنيت

١- جرجس صفوت، بصورة نادرة مؤرخ كنسي يرصد تفاصيل زيارة روزفلت للمتحف القبطي في ٢٣ آب ٢٠٢٢. *.www. doctor.org*

٢- سعيد الشحات، ذات يوم ٢٩ آذار ١٩١٠ مظاهرات ضد خطاب الرئيس الامريكي روزفلت ٢٩ آذار ٢٠١٤. *.:www.youm7.com*

٣- محمد سعيد كيلاني " روزفلت في مصر" مجلة الرسالة، العدد ٩٠٧، (القاهرة ٢٠ تشرين الثاني ١٩٥٠)، ***www. wikisource***

٤- مرسي أبو ذكرى، المقال وتطوره في الادب المعاصر wwwbookislamd.com.

٥- رفعت السيد، الزعامات السياسية المصرية *Kotobara.com*.

6- *Stephem Wertherm, "Reluctant liberator , Theodor Roosevlt's Philosophy of self , government and preparation for Philippine Independence .www. Columbia –ed/ sawliberator.*

7- *www. Library of Congress , Theodore Reosevelt's , Africa Expedition , Topics in chronicling America.*

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

سليمان فرنجية : من ولادة الزعيم إلى سياسة الاستمرار ما بعد الرئاسة

Suleiman Frangieh : From the birth of a leader to the politics of continuity after the presidency

م. م هيفاء علي عبد الحسن الحسيناوي

M. M Haifa Ali Abdul Hassan Al-Hussainawi

ahaifa650@gmail.com

مديرية تربية ذي قار / قسم تربية البطحاء

Dhi Qar Education Directorate / Al-Baydha Education Department

الاستلام(Received) : ٢٦ /٠٦/ ٢٠٢٦	التعديل (Revision) : ١١/٠٨/ ٢٠٢٦
القبول(Accepted) : ٣١ /٠٨/ ٢٠٢٦	النشر (Published) : ٣٠/٠٩/ ٢٠٢٦

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

الملخص :

تعد دراسة الشخصيات التاريخية من الموضوعات ذات الأهمية في مجال كتابة التاريخ , إذ تتبع هذه الأهمية من الدور المحوري الذي تؤديه تلك الشخصية في تشكيل مسارات الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية لذلك البلد. ومن خلال تحليل سيرة بعض الشخصيات يمكن للباحث ان يستكشف طبيعة التطورات التي يشهدها البلد , نظراً لان هذه الشخصية غالباً ما يكون لها دور فاعل في مجريات الاحداث , ويعد سليمان فرنجية احدى الشخصيات المحورية في التاريخ اللبناني , إذ لعب دوراً كبيراً في الساحة اللبنانية.

كما لا يمكن إنكار حقيقة أن كتابة سيرة الشخصيات البارزة مهمة شاقة للغاية ومن المواضيع الصعبة , لاسيما عند ترجمة تلك الشخصية المهمة مثل سليمان فرنجية الذي لعب دوراً مهماً في الأحداث التي وقعت في لبنان في ذلك الوقت ، فقد مر لبنان بالعديد من التحولات والصعوبات الخطيرة , وتبين محتويات الدراسة أن سليمان فرنجية شخص طموح عمل في مصلحته منذ بداية حياته السياسية.

الكلمات المفتاحية : (سليمان فرنجية ، لبنان ، فلسطين , الاحتلال الصهيوني)

Abstract :

The study of historical figures is a crucial topic in the field of history writing, stemming from the pivotal role these figures play in shaping the political, social, economic, and cultural course of events in their countries. By analyzing the

biographies of certain individuals, researchers can explore the nature of the developments a country experiences, given that these figures often play an active role in the unfolding events. Suleiman Frangieh is one such pivotal figure in Lebanese history, having played a significant role on the Lebanese political scene.

It is also undeniable that writing biographies of prominent figures is a very arduous task and one of the most difficult subjects, especially when translating the biography of such an important figure as Suleiman Frangieh, who played an important role in the events that took place in Lebanon at that time. Lebanon went through many transformations and serious difficulties, and the contents of the study show that Suleiman Frangieh was an ambitious person who worked in his own interest from the beginning of his political life.
Keywords : (Suleiman Frangieh , Lebanon , Palestine , Zionist occupation)

المقدمة :

ولان دراسة الشخصيات السياسية من الدراسات التاريخية المهمة ، وذلك لما لها من أثر فاعل وكبير في كشف العديد من الخفايا والحقائق التاريخية ، إذ تؤدي بعض الشخصيات ادواراً مهمة في تاريخ بلدانها من خلال مشاركتها في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتلك البلدان ، وتزداد أهمية هذه الأدوار كلما كانت تلك الحقبة التي عاصرتها الشخصية مليئة بالأحداث والوقائع المهمة والفاصلة في تاريخ لبنان , وأهم ما حدث فيها الحرب الأهلية عام ١٩٧٥ , لذلك أصبح من الضروري ألقاء الضوء على ادوار أحد تلك الشخصية اللبنانية المهمة وبيان الجهود التي أسهمت فيها لخدمة بلدها من خلال مواقع المسؤولية التي تبؤتها ، ومساهمتها في الأنشطة المختلفة وهنا تكمن أهمية الدراسة. وقد جاء اختيار هذا الدراسة تحت عنوان (سليمان فرنجية : من ولادة الزعيم إلى سياسة الاستمرار ما بعد الرئاسة) ، إذ ترمي إلى اعطاء نبذه عن حياة وسيرة سليمان فرنجية وبواكير نشاطه السياسي في لبنان ، ومن ثم وصوله لرئاسة الجمهورية اللبنانية , وكذلك أهم الاحداث التي رافقت بداية عهده , فضلاً عن دراسة الاوضاع الداخلية اللبنانية قبيل الحرب الأهلية اللبنانية ، وسياسة سليمان فرنجية حيالها , وتطرقت الدراسة أيضاً إلى العمل السياسي لفرنجية بعد مغادرته كرسي الرئاسة. وقد خلصت إلى العديد من النتائج. كما اعتمد البحث على مجموعة كبيرة من المصادر المتنوعة منها الكتب والرسائل والاطاريح الجامعية , فضلاً عن عدد من البحوث المنشورة التي كان لها إسهام واضح في البحث.

التشكيل الاجتماعي والثقافي لسليمان فرنجيه :

حياته ونشأته :

ولد سليمان فرنجية في ١٥ حزيران عام ١٩١٠ في بلدة اهدن[١], التابعة لمدينة زغرتا[٢], الواقعة في شمال لبنان , وينتمي سليمان إلى عائلة ال فرنجية المارونية ذات النفوذ الواسع شمال لبنان , والتي

سميت بهذا الاسم نسبة إلى جدهم الكبير فرنجية الذي كان زعيم قومه[٣], وتعد من العوائل المعروفة باحتراف اتباعها للسياسة , وقد انحدر منها العديد من الشخصيات السياسية ابرزهم والده قبلان فرنجية الذي كان الزعيم الشمالي للبنان , وأخيه حميد فرنجية[٤], احد رجالات الاستقلال اللبناني.[٥]

تلقى سليمان فرنجية علومه الأولية في مدرسة الغدير في طرابلس ثم تلقى علومه الثانوية في مدرسة الآباء العازاريين في عينطوره عام ١٩٢٤ , تزوج (أيريس) احدى بنات عائلة الهنديلي , وكان لزواجه من هذه السيدة علاقه بصديقه صائب سلام[٦], إذ كان كل من صائب سلام وسليمان فرنجية وحميد فرنجية ابناء جيل واحد تقريباً (صائب ١٩٠٥ , حميد ١٩٠٧ , سليمان ١٩١٠) , فبعد الانتداب الفرنسي على لبنان بسنتين اي عام ١٩٢٢ وقف والد صائب سلام مع بعض اللبنانيين ضد الانتداب , وأيدوا الوحدة السورية , فألقت السلطات الفرنسية القبض على والد صائب وحكمت عليه بالنفي إلى بلدة روما اللبنانية , فأنتقل مع عائلته إليها وأقاموا فيها لمدة (٦) أشهر , وهناك جمعت المصادفة والعلاقات العائلية بين ثلاث عائلات وهي عائلة قبلان فرنجية وعائلة والد صائب سلام وعائلة الهنديلي , ومن هذه العلاقات تعرف سليمان على أيريس وتزوج منها ورزق بخمسة أبناء هم : (طوني , روبير , لمياء , صونيا ومايا).[٧] واما في صفات سليمان فقد ذكر أنه يطالع كثيراً , يحب الصيد , هادئ المزاج , يستشير ويسأل ويسمع الآراء ثم يتخذ موقفه.[٨]

وفي عام ١٩٧٥ اتهم سليمان فرنجية مع صديقة رينيه معوض[٩], بعلاقتهما بمجزرة مزياره وحكم عليه بالإعدام , إذ ذكر في تفصيل تلك الحادثة انه في كنيسة مزياره , وفي يوم ١٦ حزيران عام ١٩٥٧ اقيمت مراسيم جنازة لسليم عبد وهو شقيق مطران طرابلس انطوان عبد وطلب من ارملته أن تؤجل الجنازة فرفضت ووجهت دعوة للحضور لعائلتي فرنجية ومعوض , فكلف حميد فرنجية شقيقة سليمان ان يسبقه إلى الكنيسة على ان يلحق به عقب انتهاء لقاءاته السياسية في طرابلس , فذهب سليمان برفقة رينيه لكن عند وصوله فوجئ بوجود ال الدويهي وحلفائهم بكثرة في وقت كان من المفترض ان تبعدهم التدابير القانونية بعيداً عن المنطقة طوال وجود خصومهم السياسيين فيها , واثناء الجنازة والتي كان يشارك فيها الاب سمعان الدويهي بصفته الشخصية كرجل دين جرى تلاسن بين رجلين من ال الدويهي ورينيه تطور بسرعة البرق إلى تراشق بالأسلحة من كل صوب داخل الكنيسة فسقط عدداً من القتلى , وفي أول عهد الرئيس فؤاد شهاب[١٠], اصدر مرسوماً بالعفو الشامل عن كل الجرائم الواقعة على أمن الدولة لاسيما السياسية فخرج سليمان ورينيه من الحجز.[١١]

مسيرته المهنية – السلك الدبلوماسي :

كانت بداية حياة سليمان فرنجية المهنية عندما عين في الفترة (١٩٣١–١٩٣٥) مراقباً لأشغال ايصال المياه إلى طرابلس وزغرتا[١٢], ثم دخل الحياة السياسية عام ١٩٥٠ عندما انسحب شقيقة حميد

فرنجية , بسبب مرضه.[١٣] وخاض سليمان فرنجية أولى معاركه السياسية ضد سياسة كميل شمعون[١٤], ذلك في عقد الخمسينيات لاسيما بعد أن تحولت منطقة الشرق الاوسط إلى ساحة صراع بين الشرق والغرب بعد عقد صفقة السلاح بين مصر وسوريا من جهة , والاتحاد السوفيتي وتشيكوسلوفاكيا من جهة ثانية , وأختار الرئيس كميل شمعون طريق الغرب.[١٥] وفي الوقت الذي كثر فيه الحديث عن الفراغ في الشرق الاوسط ووسائل ملئ هذا الفراغ انتقل العمل إلى مرحلة جديدة بإقامة حلف بغداد[١٦] في عام ١٩٥٥ فأراد الرئيس كميل شمعون الدخول إلى جانب ذلك الحلف , لكنه اصطدم بالمعارضة الوطنية الرافضة لسياسة الرئيس تلك والتي كان سليمان فرنجية ضمن افرادها.[١٧] غير في المقابل كانت الحكومة اللبنانية تنظر إلى مصلحة لبنان في ظل ظروف سياسية واقتصادية معقدة كانت تشهدها المنطقة , وكانت تعول في كثير من محاورها على صعيد السياسة الخارجية على القوى الكبرى محاول مسك العصا من الوسط , إذ اصدرت وزارة الخارجية اللبنانية بياناً في ١٦ آذار عام ١٩٥٧ اعلنت فيه التوقيع على الاتفاق اللبناني – الأمريكي , الامر الذي يعد بالنسبة للعرب وللقوميين اللبنانيين وتيار المعارضة مخالفة لسياسة لبنان السابقة تجاه المنطقة العربية , وتناقضاً مع الميثاق الوطني , وفي المقابل اعلنت الاحزاب والتيارات السياسية اللبنانية وقوى المعارضة استهجانها واستنكارها لموقف الحكومة وتخليها عن سياستها التقليدية في دعم قضايا العرب , وذلك عبر الاجتماعات والاضرابات التي قادتها تلك التيارات واصدار البيانات المناهضة لسياسة كميل شمعون الخارجية.[١٨] وفي المقابل التجأ سليمان فرنجية عام ١٩٥٧ إلى سوريا , كونه معارضاً لنظام كميل شمعون , واصبح صديقاً مقرباً لحافظ الاسد[١٩], ومع بداية عام ١٩٥٨ عاد إلى لبنان ليتبوأ زعامة ال فرنجية مبدياً نشاطاً سياسياً ملحوظاً , إذ قام بدعم قوات المعارضة المناوئة للرئيس كميل شمعون خلال الحرب الأهلية اللبنانية الأولى.[٢٠]

كانت بداية حياة سليمان فرنجية البرلمانية عام ١٩٦٠ , إذ انتخب نائباً في البرلمان اللبناني لأول مرة عن بلدة زغرتا[٢١], وعين وزيراً للبريد والبرق والهاتف في حكومة صائب سلام الحكومة الواحدة والثلاثون (آب عام ١٩٦٠ – ٢٠ أيار عام ١٩٦١) , وكذلك وزيراً للبريد والبرق والهاتف في الحكومة الثانية والثلاثون (٢١ أيار عام ١٩٦١ – ٣١ تشرين الأول عام ١٩٦١).[٢٢] وما ان حل صيف عام ١٩٦٤ (صيف التجديد) لانتخاب دورة برلمانية جديدة , فالذين مع التجديد حاولوا التسلح بالزغرتاوي وخوض المعركة به لحساب الرئيس فؤاد شهاب , والذين ضد التجديد يقفون به ومعه على أساس أنه مرشح المعارضة , وهكذا اعيد انتخاب سليمان فرنجية نائباً عن زغرتا في انتخابات عام ١٩٦٤.[٢٣] كما اعيد انتخابه أيضاً في دورة انتخابات عام ١٩٦٨ , إذ عين وزيراً للداخلية في وزارة عبد الله اليافي[٢٤] (٨ شباط عام ١٩٦٨ – ١٢ تشرين الأول عام ١٩٦٨) , كما انيطت به وزارة الاقتصاد الوطني بالوكالة بعد استقالة الوزير ادوار حسنين.[٢٥] وكذلك عين في الوزارة الثانية لعبد الله اليافي (١٢ تشرين الأول عام

١٩٦٨ – ٢٠ تشرين الأول عام ١٩٦٨) وزيراً للأشغال العامة والنقل والتعليم العام.[٢٦] وفي الوزارة الثالثة والاربعون وزارة رشيد كرامي[٢٧] (٢٥ تشرين الثاني عام ١٩٦٩ – ١٣ تشرين الأول عام ١٩٧٠) عين وزيراً للاقتصاد الوطني[٢٨], وانتخب وزيراً للسياحة في عام ١٩٧٠.[٢٩]

وصول سليمان فرنجية للحكم وأهم الاحداث التي رافقت بداية عهده :

المسيرة السياسية (١٩٧٠–١٩٩٢) :

قبيل الانتخابات الرئاسية اللبنانية لعام ١٩٧٠ كان سليمان فرنجية عضو في تكتل الوسط المؤلف من قادة سياسيين بينهم الرئيس كامل الاسعد والرئيس صائب سلام , وكانت البلاد منقسمة بين تحالف النهجين الشهابيين (نسبة إلى نهج الرئيس فؤاد شهاب) , والحلف الثلاثي الماروني المؤلف من الرئيس كميل شمعون[٣٠], وبيار الجميل[٣١] وريمون أده[٣٢], وعندما اشتدت المعركة وطرحت عدة اسماء اصر الرئيس شهاب على عدم خوض تلك المعركة الانتخابية فرشح الشهابيون الياس سركيس[٣٣], بينما اتفقت كتلة الوسط والحلف الثلاثي على ترشيح سليمان فرنجية.[٣٤] إذ حصل على (٥٠) صوتاً , بينما حصل الياس سركيس على (٤٩) صوتاً اي بفارق صوت واحد فأعلن سليمان رئيساً للجمهورية في آب عام ١٩٧٠.[٣٥] تشكلت الحكومة برئاسة صائب سلام في ١٣ تشرين الأول من العام نفسه , وتكونت من (١٢) وزيراً من خارج المجلس النيابي باستثناء رئيسها صائب سلام.[٣٦] واستقبل انتخاب سليمان فرنجية وتشكيل حكومة برئاسة صائب سلام بموجه عارمة من الفرحة الشعبية لاسيما في الاوساط المسيحية التي اعتبرت وصول فرنجية نصراً لها , فأطلقت النار ابتهاجاً بذلك.[٣٧]

وما ان وصل سليمان فرنجية إلى الحكم حتى كانت الضجة قائمة حول ما يسمى بـ (المكتب الثاني)[٣٨], لذلك كان أول عمل اقدمت عليه حكومته القضاء على المكتب الثاني , ولم يمض أكثر من سنتين على العهد الجديد حتى كان التيار الشهابي في الادارة والجيش قد تقلص أو الغي دورة , وقامت الحكومة بتكليف جماعة من ضباط الجيش الموالين للعهد بإنشاء جهاز مخابرات جديد , وملئت الشواغر بموظفين من حاشية الرئيس الجديد بالمؤسسات وبالأخص منهم ابناء مدينة زغرتا.[٣٩]

وجاءت الانتخابات النيابية لعام ١٩٧٢ لتقلص عدد الشهابيين في المجلس النيابي , إلا أن ذلك لم يؤثر في سياسة لبنان العربية أو حتى السياسة الخارجية , فصلات الود بين الرئيس سليمان فرنجية والرئيس السوري حافظ الاسد ساعدت كثيراً في تجنيب لبنان ازمة العلاقات اللبنانية – العربية , وكذلك وصول انوار السادات[٤٠], إلى الحكم في مصر بعد وفاة جمال عبد الناصر[٤١], في عام ١٩٧٠.[٤٢]

الوجود الفلسطيني في لبنان في عهد سليمان فرنجية وأحدث عام ١٩٧٣ :

وفي أثر انتقال المقاومة الفلسطينية إلى لبنان انطلقت عملياتها الفدائية ضد الاحتلال الصهيوني , ومنها عملية مطار اللد في ٢٩ أيار عام ١٩٧٢ , إذ قامت مجموعة من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

بالاشتراك مع أفراد من الجيش الأحمر الثوري الياباني من تنفيذ عملية فدائية في مطار الاحتلال الصهيوني , ورداً على ذلك شن الاحتلال الصهيوني عملية انتقامية واسعة على جنوب لبنان , وذلك بقصفها المخيمات الفلسطينية وقواعد الفدائيين من البحر والبحر والجو[٤٣], وكان ذلك بداية أول غزو صهيوني لجنوب لبنان , إذ جاء الغزو بعد سلسلة من الاعتداءات الصهيونية , وكان الهجوم للقضاء على الفدائيين الفلسطينيين فخلف وراءه دماراً كبيراً , وشهدت لبنان قبل ذلك بقليل تشكيل حكومة صائب سلام الثانية من السياسيين التقليديين بعكس الحكومة السابقة (حكومة الشباب).[٤٤]

وفي ١٠ نيسان عام ١٩٧٣ شهد لبنان اخطر تصعيد من الجانب الصهيوني منذ بدء النشاط الفلسطيني المسلح فيه , وذلك حينما اقدمت قوة من المظليين والكوماندوس البحرية الصهيونية بقيادة ايهود باراك بالدخول إلى لبنان من أجل القيام بعملية خاصة في بيروت التي استمرت لعدة ساعات استهدف من خلالها اربعة قواعد للفدائيين الفلسطينيين في بيروت وبالقرب من صيدا على ساحل لبنان الجنوبي[٤٥], وقتل خلال هذه العملية قادة منظمة أيلول الأسود كمال ناصر ومحمد يوسف النجار الملقب بأبي يوسف وكمال عدوان في شارع فرادان[٤٦], ولما لم يحرك الجيش ساكناً للرد على هذه العملية قامت ردود فعل غاضبة خاصة في اوساط المسلمين , وبعد نحو ثلاثة اسابيع قام مسلحون من الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين باختطاف عسكريين لبنانيين رداً على توقيف أثنين من الفلسطينيين في مطار بيروت.[٤٧] وبعد حادثة الكوماندوس الصهيوني في بيروت قدم صائب سلام استقالته , لأن الرئيس سليمان فرنجية لم يتجاوب معه بإقالة قائد الجيش اسكندر غانم الذي قصر في واجباته ولم يقم بالدفاع ليلة حادثة فردان , وفي ظل هذه التناقضات حيال المقاومة ونشاطها , وفقدان الثقة بالسلطة والجيش تعمق التوتر في البلاد وزاد حدة الخلافات السياسية والخلل الموجود بين السلطة والعمل الفدائي , واخذت التدخلات الخارجية تعمق النزاع الداخلي من أجل إيصال الوضع إلى الانفجار بين الجيش والمعارضة , فقد شجعت الولايات المتحدة الأمريكية من انبها حكومة فرنجية في الغط على الفلسطينيين قبل فوات الأوان.[٤٨] وحدثت المواجهة في لبنان , وكان السبب في ذلك اعتقال دوائر الأمن اللبنانية في ١ أيار عام ١٩٧٣ خمسة فلسطينيين بتهمة محاولة شن هجوم على السفارة الأمريكية , ورداً على ذلك خطف مقاتلو الجبهة الفلسطينية لتحرير فلسطين ثلاثة أفراد من الجيش اللبناني , وفي أثر فشل المفاوضات في الإفراج عنهم تأزم الوضع واندلعت المعارك بين الجيش اللبناني وفصائل المقاومة , لكنها ما لبثت أن توقفت بأمر من الرئيس سليمان فرنجية الذي وجد نفسه يتعرض لضغوط كبيرة داخلية من المسلمون وزعمائهم وخارجية عربية من مصر وسورية التي سارعت لإغلاق حدودها.[٤٩] ولم يكن الرئيس سليمان فرنجية مستعداً لأن يجعل من لبنان منطلقاً للعمليات الفدائية ضد الاحتلال الصهيوني , لما لهذا الأمر

من تأثير على أوضاع لبنان , فاظهر كل استعداد لمساعدة الفلسطينيين والدفاع سياسياً عن قضيتهم أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ممثلاً لتسع عشرة دولة عربية.[٥٠]

وفي ٦ تشرين الأول عام ١٩٧٣ في منتصف عهد الرئيس سليمان فرنجية , اندلعت الحرب بين مصر وسوريا من جهة , والاحتلال الصهيوني من جهة ثانية , حرباً خطط لها بسرية تامة بين الرئيسين المصري انور السادات والسوري حافظ الاسد, وكان الاردن ولبنان حليفين اجبارين لم يطلعهما احد بخطط الحرب , إلا بما يتيح لمصر وسوريا حرية الحركة , وتمكنت القوات المصرية من عبور خط الدفاع الصهيوني (خط بارليف) إلى الجانب الشرقي لقناة السويس , ثم اندفعت تهاجم بقايا الجيش الصهيوني المنهزمة , وكما نجحت المدرعات السورية في اقتحام الدفاعات الصهيونية المتعددة في منطقة الجولان السورية التي احتلتها القوات الصهيونية في عام ١٩٦٧.[٥١] بقي لبنان في معزل عن هذه الحرب عسكرياً , إلا أن نتائجها عليه كانت وبالاً عليه , ففي أواخر عام ١٩٧٣ وأوائل عام ١٩٧٤ اصبحت الكلمة الفاصلة داخل حركة المقاومة الفلسطينية لانصار المواقف المتشددة الرافضين التفاوض مع الاحتلال الصهيوني , الذي تمكنوا من توحيد جهودهم في جبهة الرفض التي ضمت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة العربية لتحرير فلسطين وجبهة الكفاح الشعبي الفلسطيني , ولقي هذا الاتجاه المتطرف شعبية له في اوساط المسلمين واليساريين , مما عكس مزيداً من المخاوف المقرونة بالاستعدادات العسكرية في الجانب المسيحي.[٥٢]

لبنان ما قبل الانهيار : سليمان فرنجيه والسياسية الداخلية :

بعد ان قدم صائب سلام استقالته عقب احداث عام ١٩٧٣ قام امين الحافظ بتشكيل الحكومة الجديدة , وتألفت من (٢٧) وزيراً أكثرهم من داخل مجلس النواب , وأحدهم النائب طوني فرنجية[٥٣], نجل الرئيس سليمان فرنجية لحقيبة البرق والبريد والهاتف , ولم تستطيع هذه الحكومة البقاء أكثر من شهرين ونيف , إذ سرعان ما واجهت اعتراض الهيئات الإسلامية التي اعتبرت ان التمثيل الإسلامي فيها منقوص ودعت النواب إلى حجب الثقة عن الحكومة.[٥٤] وفي ٨ تموز من العام نفسه شكل تقي الدين الصلح حكومة جديدة تألفت من (٢٢) وزيراً جميعهم من داخل مجلس النواب باستثناء رئيسها , وتسلم طوني فرنجية وزارة البرق والبريد والهاتف وعاشت هذه الحكومة حتى ٣١ تشرين الأول عام ١٩٧٤.[٥٥] وفي الاشهر الأخيرة من عام ١٩٧٤ اجتاحت البلاد موجه من العنف لم يسبقها مثيل تفجير , قنابل , نهب , سلب وقتل وسط عجز رجال الشرطة والأمن من مكافحة الاجرام المتزايد.[٥٦]

وفي بداية عام ١٩٧٥ حدث في منطقة الحدود اشتباك مسلح بين الجيش اللبناني ومقاتلي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وجيش التحرير , وبعد يومين اطلقت من المواقع الفلسطينية ستة صواريخ على ثكنة الجيش في صور , ولم ينفع استنكار ياسر عرفات[٥٧], لممارسات الجبهة الشعبية ووعده بقمع اي

نوع من هذه الاعمال في التخفيف من حدة الساخطين في مقدمتهم الشيخ بيار الجميل الذي هدد في ٢٠ شباط من العام نفسه باتخاذ التدابير اللازمة اذا عجزت الدولة عن اداء وظائفها , وقدم مذكره إلى الرئيس سليمان فرنجية طالب فيها بأجراء استفتاء عام حول الوجود الفلسطيني في لبنان.[٥٨]

وفي ٢٦ شباط عام ١٩٧٥ قامت مظاهرة لصيادي السمك في مدينة صيدا اتجهت من مرفأ صيدا باتجاه شارع رياض الصلح بينهم كوادر من احزاب اليسار وبعض كوادر المنظمات الفلسطينية , وكان على رأس التظاهرة النائبين نزيه ومعروف الذي كان يتولى قيادة التظاهرة , لقد انتشر الجيش بقوة يوم التظاهرة وفرق تجمعاً في الشارع الرئيسي , وبالوقت الذي كانت فيه التظاهرة تمر من قرب مبنى البلدية بدأت تسمع رشقات ناريه واصوات المتفجرات فأصيب معروف وعمت الاضطرابات مدينة صيدا واتهم الجيش بالحادث.[٥٩] وكانت حادثة محاولة اغتيال بيار الجميل رئيس حزب الكتائب اللبنانية في ١٣ نيسان من العام نفسه التي راح ضحيتها اثنين من مرافقيه هي الشرارة الأولى التي أشعلت نار الحرب , إذ ردت ميليشيا حزب الكتائب بالتعرض لحافلة كانت تقل أعضاء من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين , الامر الي أدى إلى مقتل (٢٧) فلسطينياً , وبانتشار الخبر سرعان ما اندلعت الاشتباكات بين المليشيات الفلسطينية والميليشيات الكتائبية في أنحاء المدينة[٦٠], وقام الأمين العام لجامعة الدول العربية محمود رياض بزيارة إلى بيروت بناء على طلب الرئيس المصري انور السادات سعياً لتجميد الصراع والحيلولة دون الانفجار السياسي العام , إذ اجرى اتصالات عدة مع رئيس الجمهورية اللبنانية ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية وبعض السياسيين اللبنانيين , كما وشارك في اجتماعات السفراء العرب والمقاومة الفلسطينية من أجل التعاون في تسوية الوضع , فأثمرت تلك المساعي في ١٦ من الشهر نفسه عن اتفاق يرتكز على وقف اطلاق النار وتسليم الكتائب أثنين من المطلوبين في الحادثة[٦١]. وفي ٦ آذار عام ١٩٧٥ توفي النائب معروف سعد في احد مستشفيات بيروت.[٦٢] زادت هذه الاحداث من حالة الشروخ والاستقطاب سواء لدى الشعب أو الاوساط الحاكمة , وازدادت الحشود ووصلت اوجها في يوم تشييع معروف سعد , هذه الاحداث والزاوية التي نظر المسلمون واليساريون والفلسطينيون منها إليها اثارت ردود فعل غاضبة لدى الاحزاب المسيحية فسارت المظاهرات التي دعمت المناطق المسيحية وخاصة الطلبة حتى قيل أن الموارنة جميعهم نزلوا إلى الشوارع , ذلك لاتهام الجيش بالطائفي والقمعي فرفعوا شعارات الدعم للجيش مما زاد من التوترات بالمجتمع اللبناني. وعلى الرغم من ادانة الزعماء المسيحيون للتصرفات الفلسطينية في لبنان وللوجود الفلسطيني المسلح , فأنها كانت تدينهم لانهم المسؤولون أكثر من ساهم تبعاً لطبيعة النظام والحكم وتركيبته كما آلت إليه اوضاع الدولة وكثيراً ما اصبحت المسؤولية تلقى على الزعماء المسيحية لاسيما بيار الجميل وكميل شمعون ثم سليمان فرنجية , وهكذا كانت احداث صيدا قد فتحت الباب مشرعاً امام الحرب اللبنانية.[٦٣]

سليمان فرنجيه ومسار الحرب الأهلية اللبنانية : سياسات المواجهة والتحالفات (١٩٧٥-١٩٧٦) :

بدأت الحرب في مدينة بيروت عام ١٩٧٥ بعمليات خطف عشوائية ثم ارتبط الخطف برصاص القناصين الذين انتشروا على سطوح الأبنية العالية التي تتحكم في مداخل الطرق[٦٤], وكانت شرارتها الأولى في نيسان من العام نفسه عبر مرور باص يقل عدداً من الفلسطينيين[٦٥], العائدين من مسيرة الذكرى الأولى لعملية الخالصة وأثناء مرورهم بمحلة عين الرمانة قتل (٢٧) راكباً فيها , مما أدى إلى ازدياد التوتر بين اللبنانيين والفلسطينيين[٦٦], ورد الفلسطينيين على ذلك بقتل عدة لبنانيين كتائبيين , وبدأت الحرب التي دمرت كل شيء.[٦٧]

ونتيجة لهذه الضغوط اصر رئيس الوزراء رشيد الصلح على تقديم استقالته في مجلس النواب الذي حضر جلسته المنعقدة في ١٥ أيار عام ١٩٧٥ وألقى بياناً بالغ الخطورة , اتهم فيه حزب الكتائب بتنفيذ مجزرة عين الرمانة , وانه كان يرمي إلى توسيع فجوة الصراع من خلال زج الدولة في عمليات مواجهة مع الفلسطينيين ومع الكثرة الساحقة من اللبنانيين الذين لا يرون رأي الكتائب , كما هاجم الامتيازات الطائفية التي تشكل أساس النظام السياسي اللبناني والتي تحولت في ظروف تطور لبنان وعلاقاته بمحيطة العربي إلى عائق يمنع إي تقدم , لذلك فأن الوضع السياسي اللبناني لم يعد يحتمل التمويه أو المساومة , وتيقن الرئيس فرنجية في اعقاب الخطاب الخطير , أن الأمور سوف تتدهور أكثر من ذي قبل , للتوسع معها الاشتباكات أخذه طابع الاقتتال الطائفي , لذلك قام بتشكيل حكومة عسكرية في ٢٣ من الشهر نفسه في سابقة هي الأولى من نوعها في تاريخ لبنان , ونالت هذه التشكيلة تأييد حزب الكتائب وحزب الوطنيون الأحرار , لكنها لاقت معارضة واسعة من قبل الزعماء المسلمين , على أساس انها حكومة عسكرية لا يمكنها معالجة أزمة سياسية يمر بها البلد , كما وأن طريقة تشكيلها تعد مخالفة للأسس الديمقراطية البرلمانية والتقاليد والأعراف المتبعة في لبنان منذ وضع دستوره[٦٨], وكان من أبرز المعارضين صائب سلام ورشيد كرامي ورشيد الصلح وكمال جنبلاط وريمون ادة على أساس انها حكومة عسكرية مفتوحه على ازمة خطيرة , ولم يرحب بهذه الحكومة إلا كميل شمعون وبيار الجميل فكون المعارضون الوثيقة الرباعية التي تطالب باستقالة الحكومة , وشهدت دار الفتوى اضخم اجتماع إسلامي لم يسبق له مثيل حيث انظم الإمام موسى الصدر إلى المفتي حسن خالد وشيخ العقل محمد ابو شقرا وجميع رؤساء الحكومات والوزراء السابقين ورؤساء الهيئات والزعماء والنواب فتوصل المجتمعون إلى قرار حول تلك الحكومة[٦٩], ونتيجة لهذه المعارضة اضطر العميد نور الدين الرفاعي إلى تقديم استقالته في ٢٦ أيار عام ١٩٧٥ وبذلك تكون هذه الحكومة أقصر حكومات الاستقلال عمراً , إذ أنها عاشت (٦٥) ساعة.[٧٠]

استغل الاحتلال الصهيوني حالة الانقسام الداخلي للقيام باعتداء واسع على المدن اللبنانية منها العرقوب والنبطية في ١٥ حزيران عام ١٩٧٥ رداً على تعرض مستوطنة كريات شمعونة للقصف , الأمر الذي جعل السلطات اللبنانية تقدم في ١٦ من الشهر نفسه احتجاجاً شديد اللهجة إلى الأمم المتحدة ضد الاحتلال الصهيوني , وقام الرئيس فرنجية بمقابلة السفير الأمريكي جورج غودلي (George Godley) طالباً منه إبلاغ الرئيس الأمريكي جيرالد فورد (Gerald Ford)[٧١], أن هذه الغارات تعطل فرص السلام.[٧٢]

وفي القصر الجمهوري عقدت قمة لبنانية – فلسطينية بين الرئيس سليمان فرنجية وياسر عرفات في ٢٣ حزيران عام ١٩٧٥ , وحضر جوانب منها سفير المملكة العربية السعودية وسفير مصر وآخرون , وكان الحديث مصارحة في مختلف الجوانب والافق واعلن فرنجية ضرورة تطبيق اتفاق القاهرة وكل الاتفاقات المعقودة سابقاً , وبعد القمة وجه ياسر عرفات رسالة إلى اللبنانيين أكد فيها ابتعاد المقاومة عن الصراعات اللبنانية وأنها ليست فئة سياسية ولا طائفية , إلا أنه بعد اللقاء وقعت اشتباكات في عين الرمانة ووقعت حوادث فردية وانفجار عبوات ناسفة.[٧٣]

وجاءت حادثة يوم السبت من تموز عام ١٩٧٥ والذي وجه هزة للحكومة التي تواجه عقبات في تأسيسها , إذ وقع انفجار في مركز تدريب في بعلبك يعود لحركة المحرومين التي يقودها السيد موسى الصدر والتي ذهب ضحيتها العديد من القتلى , فاعلن الصدر عن تشكيل حركة امل بصورة علنية بعد ان كانت سرية.[٧٤] وتم التوقيع على وقف اطلاق النار بعد ان تشكلت الحكومة رسمياً بين قائد الجيش اللبناني استندر غانم ورئيس منظمة التحرير ياسر عرفات بحضور وزير الخارجية السوري واستطاع عرفات ابقاء المنظمة خارج حلبة القتال حتى نهاية عام ١٩٧٥.[٧٥] ومع حلول عام ١٩٧٦ ازدادت الاوضاع سوءاً في لبنان فازدادت جرائم القتل الجماعي على الهوية , وكذلك قامت المليشيات المسيحية بمجازر في المخيمات الفلسطينية , وكان رد المنظمات الفلسطينية على ذلك بضرب عدد من القرى المسيحية فراح نتيجة لذلك ما يقرب (٥٠٠) ضحية من سكان تلك القرى.[٧٦]

وفي أثر ذلك اختار الرئيس حافظ الاسد أن يبتعد عن دبلوماسية السلام وان ينازل هنري كسينجر (Henry Kissinger)[٧٧] باتجاه محيطه المجاور له (الأردن , لبنان , فلسطين) فأصبح المشرق العربي مساحته الأساسية المثيرة لاهتمامه , وكانت سورية آنذاك بحاجة إلى وزن وثقل سياسي وعمل استراتيجي وحلفاء , فلجأت إلى البحث عن اتفاق يضم لبنان والأردن ومنظمة التحرير , إذ يمكن لهذا التحالف إن يحمي سورية من أي هجوم صهيوني عبر الأردن أو لبنان , كما يحول في الوقت ذاته أن يمنع أية طرف من إطراقه القيام بمفاوضات منفصلة مع الاحتلال الصهيوني , ومن هذا المنطلق كانت أول محاولة للتحرك على دول الجوار قام بها الاسد هو زيارته لبنان واجتماعه بالرئيس فرنجية لجعل العلاقات

أوثق مع لبنان , وقد صرح الاسد قائلاً : "إن بلاده سوف تعمل ما في وسعها لمساعدة لبنان على وقف التعديات الصهيونية والمحافظة على سلامة لبنان".[٧٨] واخذت سوريا قرار التدخل في لبنان تحت شعار (المبادرة السورية) لوقف الحرب ومنع تقسيم لبنان , وكانت ترمي التوفيق بين اللبنانيين وإلى ضبط الوجود الفلسطيني المسلح من جهة ثانية , وقد حاولت المبادرة التخفيف ما امكن من المطالب الإسلامية أو من التنازلات المطلوبة من قبل المسيحيين على صعيد النظام والاصلاحات الدستورية, وقد بدأ وزير الخارجية السوري عبد الحليم خدام في قمة عرمون في ٣٠ كانون الثاني عام ١٩٧٦ اقرب إلى المدافع من النظام اللبناني وصلاحيات رئيس الجمهورية الماروني منه إلى المعترض , وكانت نتيجة هذه الوساطة مرحلة هدوء حيث اعادت المدارس فتح ابوابها وكذلك المصارف , لكن هذه الفترة نفسها شهدت أول انقسام في الجيش اللبناني , إذ انفصل حوالي مئة عسكري بقيادة الملازم الأول احمد الخطيب الذي اعلن انشاء (جيش لبنان العربي) لكن المعارك تطورت فاستولى حزب الكتائب واحزاب المنطقة الشرقية عن منطقة المسلخ فردت القوى المقابلة باقتحام بلدة الدامور والسيطرة عليها.[٧٩] وفي ٣١ من الشهر نفسه شكل زعماء الموارنة في لقاء ضم سبعة من زعماهم في جونيه جبهة مشتركة عرفت باسم (الجبهة اللبنانية) التي مارست منذ ذلك العام اشرافها وسيطرتها على المناطق الخاضعة لنفوذ الميلشيات المارونية.[٨٠]

وفي هذه الفترة اعلن عبد الحليم خدام ان سوريا لن تسمح اطلاقاً في تقسيم لبنان , وبدأت الوحدات العسكرية السورية الدخول إلى لبنان عبر شمال سهل البقاع , وفي ٧ شباط عام ١٩٧٦ انتقل الرئيس سليمان فرنجية وكرامي إلى دمشق للقاء حافظ الاسد وبعد مباحثات تم التوصل إلى اتفاق حول (ميثاق وطني جديد) اعلنه الرئيس فرنجية في رسالة وجهها إلى اللبنانيين في ١٤ من الشهر نفسه وعرف بـ (الوثيقة الدستورية)[٨١], وكان من أبرز ما اقرته هذه الوثيقة عروبة لبنان , وبالإضافة التأكيد على العرف القاضي بتوزيع الرئاسات الثلاثة فيكون رئيس الجمهورية مارونياً ورئيس المجلس النيابي مسلحاً شيعياً ورئيس الوزراء مسلحاً سنياً , وتوزيع المقاعد النيابية بالتساوي بين المسلمين والمسيحين ونسبياً ضمن كل طائفة , وانتخاب رئيس الوزراء من قبل المجلس النيابي بالأكثرية النسبية , وازالة الطائفية في الوظائف[٨٢], واثارت هذه الوثيقة ارتياحاً لدى السياسيين المسلمين الذين لم يشاركوا في الحرب , وكذلك الفريق المسيحي لكن المنظمات الفلسطينية واحزاب الحركة الوطنية شعروا بالخيبة , كما استقبلت العواصم العربية هذا البرنامج بالترحيب , إلا أن الحركة الوطنية المدعومة من العراق ومصر والمقاومة الفلسطينية عارضت الوثيقة الدستورية , ولم تتحمس لها اطراف الجبهة اللبنانية وبذلك اطيحت أول محاولة اصلاحية من دون ان تجدي نفعاً.[٨٣] وكان هناك تنسيق أمريكي أردني حول دخول القوات السورية إلى لبنان رسمياً , وذلك ان دخول القوات السورية إلى لبنان , وبالتالي تقاسم النفوذ مع

الصهيونيين في لبنان لم مسألة محلية بل اقليمية ودولية , ذلك ان رعاية وزير الخارجية الأمريكي هنري كيسنجر اليهودي المعروف بولائه للصهاينة , سياسة حل أزمة الشرق الأوسط والصراع العربي الصهيوني وفق دبلوماسية (الخطوة خطوة) واستبعاد السوفييت عن التدخل والحسم في حلها , كما كان يعمل هنري خلال شهري آذار ونيسان لوضع (اللمسات الأخيرة) حول آلية الاتفاق السري بين سورية والاحتلال الصهيوني والقاضي بتقاسم مناطق النفوذ في لبنان , وهذا ما يتفق مع المشروع الصهيوني القاضي بتقسيم لبنان إلى دولتين طائفتين : الأولى تحت نفوذ الحكومة السورية , والثاني تدور في فلك الصهاينة.(٨٤)

فرنجيه ما بعد الرئاسة : سياسة الاستمرار :

في ١١ آذار عام ١٩٧٦ قام قائد موقع بيروت العميد الاول عزيز الاحدب بانقلاب عسكري , وقد دعا الرئيس فرنجية إلى الاستقالة وذلك من أجل فرض حل للقضية اللبنانية بالقوة , وقد أيد الأمر (٦٦) نائباً في مجلس النواب وقعوا على عريضة يطالبون فيها فرنجية بالاستقالة , لكنه رفض ذلك قائلاً : "أنا رئيس الجمهورية الشرعي ولن أستقيل"(٨٥), كما وطالب الاحدب بانتخاب رئيس جديد وتشكيل حكومة جديدة والعفو العام عن جميع العسكريين , وقد لقيت هذه المطالب تأييداً واسعاً حيث انه ضابط مسلم يستطيع استقطاب التأييد الإسلامي لحركته وظن المواطنين ان هذه الحركة ستحمل إليهم السلام والأمن. لكن العكس هو الذي حصل إذ انفجر القتال بشكل عنيف وفتحت جبهات جديدة , بعد ان رفض الرئيس الاستقالة وقامت حركة مضادة في صفوف الضباط المسيحيين , إذ قام العقيد انطوان بركات بالسيطرة على ثكنات الفياضة وصربا , وكما اعلن عن تمسكه بالشرعية وعدم اقالة الرئيس , وهكذا انقسم الجيش بشكل سافر فهناك جيش مسلم في المنطقة الغربية وجيش مسيحي في المنطقة الشرقية , وعاشت بيروت والمدن الأخرى اسوء لياليها تحت وابل القصف المتبادل للجيش المنقسم , وقد وجهت ضربات متلاحقة للقصر الجمهوري في بعبدا فإصابة بأضرار مما حمل الرئيس فرنجية على مغادرته والتوجه إلى منطقة كسروان في بلدة ذوق(٨٦), وكان قد سبق مغادرة الرئيس مقر الرئاسة عند عقد جلسة واحدة لمجلس الوزراء تم فيها اقرار تعديل المادة ٧٣ في الدستور , وتتضمن اجراء انتخاب رئيس جديد قبل ستة أشهر من انتهاء ولاية الرئيس بدل من مهلة الشهرين التي كان منصوص عنها من قبل.(٨٧)

وخلال جلسة المجلس النيابي التي عقدت وسط القذائف واطلاق الرصاص انتخب الياس سركيس والذي عقدت عليه الآمال باعتباره طوق النجاة والمنقذ الوحيد للبنان , إلا أن هذه الآمال قد تبددت دفعة واحدة بإصرار الرئيس فرنجية على الاستمرار بمنصبه حتى اخر لحظة من عمر ولايته , وهكذا احكم الطوق على لبنان واصبح الطريق إلى الانفراج مسدود بل وزادت التعقيدات , واقتربت البلاد من حافة الهاوية وبدا للجميع ان البلاد مقبله لا محاله على التقسيم , ومما زاد من حدة التصعيد فشل المفاوضات

التي جرت لوقف اطلاق النار بصورة نهائية وتنفيذ اتفاق دمشق الذي عقد بين الرئيسين سليمان فرنجية وحافظ الاسد على أن يتم بعد ذلك استقالة الرئيس فرنجية وتسلم الرئيس سركيس سلطاته الدستورية.[٨٨]

وقد اقدم الرئيس فرنجية على اجراء تعديل قوبل باستهجان واستنكار , إذ قام بأجراء تعديل وزاري عين بموجبه الرئيس شمعون نائباً لرئيس الوزراء ورئيساً للوزراء في غياب الرئيس كرامي , كما عينه وزيراً للدفاع والداخلية والوزارات الاخرى , الامر الذي فسره الكثيرون بأنها خطوه نحو التقسيم , لكن هذه الزوبعة انتهت بتولي سركيس مسؤولياته.[٨٩]

كانت الجبهة اللبنانية التي واصل سليمان فرنجية عمله السياسي من خلالها تعقد خلوتها الشهيرة (خلوة سيدة البير) حين بدأت القوات السورية دخول لبنان , وقد رحبت الاوساط المسيحية بذلك على اعتقاد انها اتيه لردع الوجود الفلسطيني , إلا أن تلك الاوساط توهمت بتفائلها , إذ أن القوات السورية انتشرت في الأشرفية وجونيه , وادركوا أن قوات الردع يجب أن تنتشر في كل لبنان فماذا يقال لو أن تلك القوات قد احجمت عن الانتشار في المناطق المسيحية مما أوجد انفجار بين السوريين والكتائب.[٩٠] كما ظهرت ملامح خلاف اخر بين زعيم الموارنة سليمان فرنجية وحزب الكتائب , ففرنجية الذي أثر البقاء حليفاً للسوريين ازعجه نمو حزب الكتائب في مناطق الشمال الماروني لاسيما المزارع الصغيرة والفقيرة المحيطة بزغرتا.[٩١]

وفي ١٣ حزيران عام ١٩٧٨ في اليوم نفسه الذي تم فيه انسحاب الاحتلال الصهيوني من جنوب لبنان , وقعت مجزرة رهيبة في الشمال تركت انعكاسات خطيرة على مسار الأزمة اللبنانية , فقد هاجمت مجموعة مسلحة من ميليشيات حزب الكتائب تقدر بـ (١٠٠) مقاتل بقيادة سمير جعجع, مقر آل فرنجية في اهدن, وقام المسلحون بمحاصرة قصر طوني فرنجية مطالبين بتسليم القتلة الذين اشتركوا بمقتل قائد الكتائب وحين رفض تسليمهم قاموا بقتله هو وزوجته وأبنته البالغة من العمر (٣) سنوات , اضافة إلى عدد من مناصري الرئيس السابق فرنجية ويقدر عددهم بـ (٢٩) شخصاً[٩٢], وما أن انقضت أيام على مأساة اهدن حتى الحقت بمأساة اخرى حينما هوجمت بلدة القاع في البقاع , واعتقل (٣٦) من شبابها الكتائبيين واعدموا فوراً بالرصاص , وهكذا استمرت المعارك إلى ما يقارب المائة يوم.[٩٣]

لم تكن حادثة اهدن مجرد جريمة في نظر سليمان فرنجية بل انتهاكاً للحرمة وتدنيس لأقدس المقدسات , وعلى الفور أنحى باللائمة على بشير الجميل وحمله مسؤولية ذلك الهجوم , وقطع بذلك أخر علاقة له بالجبهة اللبنانية التي اتهم زعمائها بالتنسيق مع الاحتلال الصهيوني.[٩٤], كما دفعت جريمة اهدن سليمان فرنجية إلى تعزيز تحالفه مع رشيد كرامي ووليد جنبلاط وإلى دعم قوات الردع السورية , وفي حزيران عام ١٩٨٢ منذ بدء الاجتياح الصهيوني وضع امكاناته بتصرف الدولة , واعلن أن الشمال سيقاوم اذا عبرت القوات الصهيونية جسر المدفون , وفي ٢٣ آب من العام نفسه فور انتخاب بشير

الجميل رئيساً للجمهورية اللبنانية في ظل الدبابات الصهيونية اعلن أنه يقطع الحوار ولن يتعاون معه على الاطلاق.[٩٥]

وفي تموز عام ١٩٨٣ أسس سليمان فرنجية جبهة الخلاص الوطني مع رشيد كرامي ووليد جنبلاط ونبيه بري واحزاب سياسية اخرى , كما اشترك في تشرين الأول من العام نفسه في مؤتمر الحوار الوطني في جنيف , وفي آذار عام ١٩٨٤ اشترك في مؤتمر لوزان دون التوصل إلى نتيجة مجديه , كما انه يحمل عدة أوسمه لبنانية وعربية[٩٦], ورشح نفسه لرئاسة الجمهورية مجدداً في عام ١٩٨٨ , دون أن ينجح بذلك , توفي في زغرتا عام ١٩٩٢.[٩٧]

الخاتمة :

بعد دراسة الحياة والسيرة الشخصية والسياسية لسليمان فرنجية في لبنان اتضح لنا ما يأتي :

١. ان انحداره من عائله ثريه وذات تاريخ ونفوذ سياسي كبير في الشمال اللبناني , كان لها دورها الواضح ومساهمتها الفاعلة في بناء لبنان , لاسيما والده قبلان فرنجية وشقيقه حميد فرنجية كان له أثر كبير في ايجاد سليمان فرنجية في العمل السياسي , إذ انها عائلة امتهنت العمل السياسي والاداري , كان لها الأثر الكبير في ترك انطباع مؤثر في شخصيته , كما أنه زادت من توجهاته واقدامه على التوجه إلى العمل السياسي , إذ جعلت لديه طموح بان يكون له شأن ودور مهم في تاريخ لبنان السياسي.

٢. ان عمله كمعارض سياسي لاسيما لحكومة كميل شمعون ولجوئه لسوريا للعمل في المعارضة اتاح له التعرف على حافظ الاسد وتكوين علاقة قوية معه , مما كان له أثر كبير في كسب تأييد سوريا له في كافة مراحل عمله السياسي , خاصه عندما اصبح رئيساً للجمهورية اللبنانية.

٣. اعتبر البعض ان علاقة سليمان فرنجية وصداقته بحافظ الاسد هي التي جلبت التدخل السوري في لبنان , إلا أن الاحداث الدامية والمؤسفة والصراعات التي حصلت في لبنان واستمرارها وطول مدتها , كانت السبب الرئيسي لتسابق الدول للتدخل بالشأن اللبناني.

٤. كان هناك مأخذ اخر على سياسة سليمان فرنجية , إذ اتضح تقريبه ودعمه للفئه المسيحية المارونية وادخالها في المؤسسات الحكومية , وفي المناصب السياسية كونه ماروني المذهب , وبالتالي أدى ذلك لاتساع الهوه بين الطوائف اللبنانية , وفي الحقيقة ان الواقع اللبناني كان يعاني الطائفية والمذهبية قبل سليمان فرنجية , وليس غريباً فيها ان تسمي هذا مارونياً وهذا درزي وهذا سني وذاك شيعي.

قائمة الهوامش :

(١) شادي خليل ابو عيسى , رؤساء الجمهورية اللبنانية ١٩٢٦-٢٠٠٧ وقائع – وثائق – صور , شركة المطبوعات للتوزيع والنشر , بيروت , ٢٠٠٨ , ص٧٣.

(٢) زغرتا : بلدة جبلية في شمال لبنان , يشتهر سكانها بقوة الشكيمة , وهم من الموارنة , يبلغ عددهم حوالي (٤٠,٠٠٠) نسمه , ويتقاسم الزعامة فيها إلى جانب ال فرنجية ال معوض وال الدويهي وال كرم , وكانت هذه العائلات تتقاتل فيما بينها بصورة مستمرة , واشتهرت بعادة الاخذ بالثائر , ولما تولى سليمان فرنجية منصبه اجرى مصالحه فيما بينهم. للمزيد من التفاصيل ينظر : الياس الديري , من يصنع الرئيس , المؤسسة الجامعية للنشر , بيروت , ١٩٨٢ , ص١٢٨-١٩٠.

(٣) اصول ال فرنجية : اسرة مارونية عريقة عاشت في منطقة اهدن منذ القرن الثالث عشر , وكذلك في زغرتا , وبدأ ظهور ال فرنجية على الصعيد السياسي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مع سليمان اغناطيوس فرنجية من كبار ملاكي الأراضي , وكانوا مشهورين بأمرين اصدقائهم يمدحون كرمهم واعدائهم يخشون شجاعتهم , ومع مرور الوقت اصبح ال فرنجية أكبر قوة اهدنية – زغرتاوية بحكم توسع العلاقات والروابط مع العائلات الاخرى. للمزيد من التفاصيل ينظر : صقر يوسف صقر , عائلات حكمت لبنان , المركز العربي للمعلومات , بيروت , ٢٠٠٨ , ص٢٦٦-٢٦٨.

(٤) حميد فرنجية : ولد في عام ١٩٠٧ في مدينة زغرتا , اكمل دراسته الابتدائية في طرابلس والثانوية في عينطورة , حصل على اجازة الحقوق من كلية الاباء اليسوعيين في بيروت , انتخب نائباً عن الشمال في الدورات (١٩٣٤ و ١٩٤٧ و ١٩٥٧) , عين وزيراً للمالية (١٩٤١-١٩٤٤) , والخارجية للمرة الأولى (١٩٤٥-١٩٤٧) , والثانية (١٩٤٨-١٩٥٥) , توفى في عام ١٩٨١. للمزيد من التفاصيل ينظر : ضمياء رشك جبار الغالبي , حميد فرنجيه ودوره السياسي في لبنان ١٩٠٧-١٩٨١ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية للعلوم الإنسانية , جامعة ذي قار , ٢٠١٦.؛ عدنان محسن ضاهر وريـاض غنام , المعجم اللبناني سيرة وتراجم اعضاء المجالس النيابية واعضاء مجالس الادارة في متصرفية جبل لبنان ١٩٦١-٢٠٠٦ , دار بلال للطباعة والنشر , بيروت , ٢٠٠٧ , ص٤٠٦.

(٥) صقر يوسف صقر , المصدر السابق , ص٢٦٩-٢٧٠.

(٦) صائب سلام : ولد في اسرة ابي علي سلام عام ١٩٠٥ , وكانت هذه الاسرة معروفة بعدائها للتبعية العثمانية والانتداب الفرنسي , درس في جامعة بيروت , انتخب عضواً في مجلس النواب اللبناني عام ١٩٤٣ , اشترك في الوزارة التي شكلها رياض الصلح في ٢٥ أيلول عام ١٩٤٣ (وزيراً للداخلية) , وزيراً للخارجية عام ١٩٤٦ , وفي عام ١٩٥٢ تزعم الحركة التي طالبت الرئيس اللبناني بشارة الخوري بالتخلي عن رئاسة الجمهورية اللبنانية , نتيجة سياسته الداخلية , عين وزيراً للدولة في الوزارة التي شكلها عبدالله الباقي بعد تولي كميل شمعون رئاسة الجمهورية اللبنانية عام ١٩٥٢ , تولى منصب رئاسة الوزراء عام ١٩٦٠ , ابان تولي فؤاد شهاب رئاسة الجمهورية اللبنانية. ينظر : احمد عطية الله , القاموس السياسي , ط٣ , دار النهضة العربية , القاهرة , ١٩٦٧ , ص٧١٠.

(٧) شكري نصر الله , تاريخ لبنان واللبنانيين نضره إلى الوراء , شكرة المطبوعات , بيروت , ٢٠٠٦ , ص١٠٦.

(٨) نقلاً عن : الياس الديري , المصدر السابق , ص١٥٧.

[٩] رينيه معوض : ولد في مدينة زغرتا عام ١٩٥٢ , انتخب نائب لأول مرة عن زغرتا (١٩٥٧-١٩٧٢) , وانتخب رئيساً بعد توقيع اتفاق الطائف , إلا انه اغتيل بعد (١٧) يوم من انتخابه عند خروجه من القصر الحكومي المؤقت في منطقة صناعية في عام ١٩٨٩. للمزيد من التفاصيل ينظر : طنوس معوض , ١٨ يوم من عمر لبنان عهد الرئيس رينيه معوض , ط٢ , دار النهار , بيروت , ٢٠٠٢.؛ طريف شمس الدين , انتخابات الرئاسة في لبنان من بشارة الخوري حتى الياس الهراوي ١٩٤٣-١٩٨٩ , بيروت , ١٩٩٥ , ص١٧٨.

[١٠] فؤاد شهاب : ولد في ١٩ آذار عام ١٩٠٢ في بلدة غزير في جبل لبنان لعائلة مارونية نبيلة , تخرج من المدرسة الحربية في حمص عام ١٩٢٣ , ليصبح أول قائد للجيش اللبناني في ١ آب عام ١٩٤٥ , شغل منصب وزير الدفاع في حكومة لبنان (١٨ تشرين الأول عام ١٩٥٦ - ١ آذار عام ١٩٥٧) , انتخب رئيس للجمهورية (٢٣ أيلول عام ١٩٥٨ - ٢٢ أيلول ١٩٦٤) , عرف نفسه كمرشح توافقي تحت شعار (لا غالب ولا مغلوب) , سعى لتحسين العلاقات مع الدول العربية , عرف بشخصيته الصارمة , توفى في ٢٥ نيسان عام ١٩٧٣ بعد مسيرة طويلة في القيادة العسكرية والسياسية. للمزيد من التفاصيل ينظر : رباب يوسف وهبي , التطورات السياسية في الفترة الشهابية (فؤاد شهاب ١٩٥٨-١٩٦٤) , مجلة وميض الفك للبحوث العدد ٢٥ , آذار ٢٠٢٥ , ص١١٠-١١١.

[١١] شادي خليل ابو عيسى , المصدر السابق , ص٧٤-٧٥.

[١٢] جو حمورة , أصحاب الفخامة : رؤساء الجمهورية اللبنانية من ١٩٢٦ إلى ٢٠١٤ , لبنان , ٢٠١٥ , ص١٤.

[١٣] عبد الوهاب الكيالي , الموسوعة السياسية , ج٣ , ط٢ , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت , ١٩٩٣ , ص٢٣٣.

[١٤] كميل شمعون : ولد في ٣ نيسان عام ١٩٠٠ في دير القمر , درس الحقوق في جامعة القديس يوسف تخرج منها عام ١٩٢٣ , عين نائباً في مجلس النواب اللبناني للسنوات (١٩٣٤ , ١٩٣٧ , ١٩٤٣ , ١٩٤٧ , ١٩٥١) , أصبح وزيراً للداخلية والبريد والبرق في عام ١٩٤٣, وزيراً للمالية في عام ١٩٤٦ , وسفيراً للبنان في لندن (London) عام ١٩٤٧, عين وزيراً للداخلية والصحة والاسعاف (١٩٤٧-١٩٤٨) , انتخب رئيساً للجمهورية (٢٣ أيلول عام ١٩٥٢ - ٢ أيلول عام ١٩٥٨) , توفى في ٧ آب عام ١٩٨٧. للمزيد من التفاصيل ينظر : د. ع. و , ملف العالم العربي , لبنان - سير وتراجم , ل-١ , ١٩٠٩.؛ عداي ابراهيم حوران الجانبي, كميل شمعون ودورة السياسي في لبنان ١٩٠٠-١٩٨٧, رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب , جامعة الانبار , ٢٠١١.

[١٥] المركز العربي للمعلومات ش. م. م. , الزعامة المارونية من حبيب السعد إلى سمير جعجع , المركز العربي للمعلومات , بيروت , ١٩٨٥ , ص٢٤.

[١٦] للمزيد من التفاصيل حول حلف بغداد ينظر : بلال سليمان الصرايرة , حلف بغداد والمملكة الاردنية الهاشمية , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة مؤتة , الاردن , ٢٠٠٧.؛ مريم سرايش , العراق وحلف بغداد ١٩٥٤-١٩٥٩ , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة محمد بوضياف بالمسيلة , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , ٢٠١٩.؛ جواد كاظم حصين , موقف مصر من حلف بغداد ١٩٥٥-١٩٥٩ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية , جامعة ميسان , ٢٠٢٥.

[١٧] المركز العربي للمعلومات , المصدر السابق , ص٢٥.

[١٨] عقيل زاهر سلمان وعلي عظم محمد , سياسة لبنان الخارجية تجاه لمنطقة العربية في عهد حكومة كميل شمعون ١٩٥٢–١٩٥٨ , مجلة آداب الكوفة , كلية الآداب , جامعة الكوفة , العدد ٦٤ , حزيران ٢٠٢٥ , ص١٠٩.

[١٩] حافظ الأسد : ولد في بلدة القرداحية في عام ١٩٣٠ , لأسرة تعمل في الزراعة من الطائفة العلوية , انضم إلى حزب البعث في عام ١٩٤٦ , تخرج من الكلية العسكرية برتبة ملازم أول عام ١٩٥٥ , عين وزيراً للدفاع في عام ١٩٦٦ , أصبح رئيساً للجمهورية في عام ١٩٧١ بعد انقلاب عسكري استمر بمنصبه حتى وفاته في عام ٢٠٠٠. للمزيد من التفاصيل ينظر : بثينة شعبان , عشرة أعوام مع حافظ الأسد , ط٢ , مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت , ٢٠١٤, ص٢١–٢٦.؛ عبد الوهاب الكيالي وكامل الزهيري , الموسوعة السياسية , المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت , ١٩٧٤ , ص٢١٣.

[٢٠] اكرم نور الدين الساطع , تاريخ ووثائق النصف الثاني من القرن العشرين , دار النفائس , بيروت , ٢٠٠٨ , ص٦١٩.

[٢١] الياس الديري , المصدر السابق , ص١٢٦.

[٢٢] جان ملحه , الوزارات اللبنانية وبياناتها ١٩٤٣–١٩٨١ , مكتبة لبنان , بيروت , ١٩٨١ , ص١٣٤.

[٢٣] الياس الديري , المصدر السابق , ص١٢٧.

[٢٤] عبد الله اليافي : ولد في بيروت عام ١٩٠١ , لقبت أسرته بـ (اليافي) نسبة إلى مدينة يافا في فلسطين , والده كان موظفاً (مخلص كمركي) في مرفأ بيروت , تلقى دراسته الابتدائية والثانوية في الكلية العثمانية في بيروت , أكمل دراسته الجامعية في كلية الآباء اليسوعيين (كلية الحقوق) بالجامعة اليسوعية في بيروت , نال فيها شهادة الحقوق عام ١٩٢٣ , سافر إلى فرنسا وأكمل دراسته الجامعية العليا في جامعة السوربون بباريس (Paris) ونال شهادة الدكتوراه في الحقوق عام ١٩٢٦ , عاد إلى بيروت عام ١٩٢٦ ليؤسس مكتباً للمحاماة , أنتخب أميناً لسر نقابة المحامين في بيروت عام ١٩٣٠ , وفي ١٦ تشرين الثاني عام ١٩٣٣ شارك في مؤتمر الساحل , شكل الحكومة اللبنانية الأولى له (١ تشرين الأول ١٩٣٨ – ٢٢ كانون الثاني ١٩٣٩) , والثانية (٢٢ كانون الثاني ١٩٣٩ – ٢١ أيلول ١٩٣٩) , توفى في عام ١٩٨٦. للمزيد من التفاصيل ينظر : جاسم محمد خضير الجبوري , عبد الله اليافي ودوره السياسي في لبنان ١٩٤٣–١٩٥٨ , آداب الرافدين , عدد خاص لمؤتمر التاريخ العلمي الثاني ملحق العدد ٨١ , ٢٠٢٠ , ص٣٠–٣٥.

[٢٥] جان ملحه , المصدر السابق , ص١٨٥.

[٢٦] المصدر نفسه , ص١٩٣.

[٢٧] رشيد كرامي : ولد في مدينة طرابلس عام ١٩٢١ , تلقى تعليمه في كلية التربية والتعليم في طرابلس , انتقل إلى مصر ونال اجازة في الحقوق من جامعة القاهرة عام ١٩٤٨ , انتخب نائباً عن طرابلس عام ١٩٥١ , وعين على أثر ذلك وزيراً للعدلية , اعيد انتخابه نائباً في عام ١٩٥٣ , ترأس الوفد اللبناني إلى الدورة الرابعة عشر للجمعية العامة للأمم المتحدة , اعيد انتخابه نائباً عن طرابلس في الاعوام (١٩٦٠–١٩٦٤–١٩٦٨–١٩٧٢) , كما عين رئيساً للوزراء (١٠) مرات وكان أخرها في عهد الرئيس امين الجميل في عام ١٩٨٥ , كان رجل حكم معتدلاً ومن أركان العهد الشهابي ومؤيداً للوحدة العربية , اغتيل في ١ حزيران عام ١٩٨٧ , واتهم سمير جعجع بتدبير محاولة الاغتيال. للمزيد من التفاصيل ينظر : عدنان محسن ظاهر ورياض غنام , المعجم النيابي اللبناني سيرة وتراجم اعضاء المجالس

النيابية واعضاء مجالس الادارة في متصرفية جبل لبنان ١٨٦١-٢٠٠٦ , بيروت , ٢٠٠٧ , ص٤٣١-٤٣٣.؛ احمد عطية الله , المصدر السابق , ص٥٦٦.

[٢٨] جان ملحه , المصدر السابق , ص٢٠٢.

[٢٩] جو حمورة , المصدر السابق , ص١٤.

[٣٠] علي حمدي الجمال , لبنان يا عرب دراسة وثائقية , القاهرة , (د.ت) , ص٢٢.

[٣١] بيار الجميل : ولد في ٢٩ حزيران عام ١٩٠٥ , تلقى علومه الأولية في مدرسة العائلة المقدسة في بيروت , نال شهادة الصيدلة من معهد الطب الفرنسي عام ١٩٢٧ , أسس الشبيبة اللبنانية ثم حولها إلى حزب عقائدي في عام ١٩٣٦ أطلق عليه حزب الكتائب , انتخب عن دائرة بيروت في عام ١٩٦٠ , تولى عدة مناصب وزارية , توفى في عام ١٩٨٤. للمزيد من التفاصيل ينظر : عدنان محسن ظاهر ورياض غنام , المعجم الوزاري اللبناني سيرة وترجمة وزراء لبنان ١٩٢٢-٢٠٠٨ , دار بلال للطباعة والنشر , بيروت , ٢٠٠٨ , ص٢٦٥.؛ علي سليمان تقي الدين , المسألة الطائفية في لبنان , دار ابن خلدون , بيروت , ١٩٧٧ , ص٢٨٩.

[٣٢] ريمون إده : ولد في الاسكندرية بمصر في ١٥ أذار عام ١٩١٣ , ابن الرئيس اميل ابراهيم إده , سافر إلى فرنسا لدراسة الحقوق في عام ١٩٠٥ , عين محامياً للقنصلية الفرنسية في بيروت (١٩١٢-١٩١٤) , ومع بداية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ لجأ إلى الاسكندرية هرباً من السلطات العثمانية التي حكمت عليه بالإعدام غيابياً , وفي عام ١٩٣١ التحق بجامعة يوسف في بيروت وتخرج مجازاً بالحقوق عام ١٩٣٤ , تدرج في مكتب والده حتى عام ١٩٣٦ , ومارس المحاماة فيه , توفى في ٢٧ أيلول عام ١٩٤٩ في مدينة صوفر ودفن في مدافن العائلة في مدينة رأس النبع. للمزيد من التفاصيل ينظر : صالح جعيول جويعد السراي وفاطمة عبد الجليل ياسر الغزي , ريمون إده ودوره السياسي في لبنان (١٩١٣-١٩٧٥) , مجلة جامعة ذي قار , جامعة ذي قار , كلية التربية للعلوم الإنسانية , المجلد ١٢ , العدد ٣ , أيلول ٢٠١٧.

[٣٣] الياس سركيس : ولد في جبل لبنان عام ١٩٢٤ من عائلة مسيحية مارونية , نال شهادة الحقوق من جامعة القديس يوسف عام ١٩٤٨ , عين قاضياً في ديوان المحاسبة (١٩٥٣-١٩٦٢) , وفي عام ١٩٦٦ عين مديراً للبنك المركزي , انتخب رئيساً للجمهورية في عام ١٩٧٦ , ومن الاحداث البارزة في مدة حكمة هي استمرار الحرب الأهلية والاجتياحين الصهيونيين للبنان عامي ١٩٧٨ و ١٩٨٢ , انتهت مدة ولايته في أيلول عام ١٩٨٢ واعتزل العمل السياسي , بسبب اصابته بمرض عضال , توفى على أثرها في باريس في عام ١٩٨٥. للمزيد من التفاصيل ينظر : د. ع. و , ملف العالم العربي , لبنان – سير وتراجم , ل – ١/١٩٠٥؛ زينب حيدر عبد الحسني , الياس سركيس ودوره الاقتصادي والسياسي في لبنان ١٩٢٤-١٩٨٥ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية للعلوم الإنسانية , جامعة ذي قار , ٢٠١٤ , ص٨٥.؛ شادي خليل ابو عيسى , المصدر السابق , ص٧٨-٧٩.

[٣٤] عارف العبد , لبنان والطائف تقاطع تاريخي ومسار غير مكتمل , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , ٢٠٠١ , ص١٠٥.

[٣٥] مسعود الخوند , لبنان المعاصر مشهد تاريخ وسياسي عام , تقديم : محمد حسن الامين , ج ١٦ , بيروت , (د.ت) , ص٢٣.

[٣٦] علي حمدي الجمال , المصدر السابق , ص٢٣.

(٣٧) عارف العبد , المصدر السابق , ص١٠٦.

(٣٨) المكتب الثاني : جهاز استخبارات عسكري استحدثه الرئيس اللبناني فؤاد شهاب , كانوا يعملون تحت دور مستتر كمعاونين للرئيس , وظهر دورهم العلني بعد محاولة الانقلاب الفاشلة عام ١٩٦١ التي قام بها احد الضباط اللبنانيين , وبعد تلك المحاولة برز دورهم ونفوذهم في السياسة والحكم. للمزيد من التفاصيل ينظر : المصدر نفسه , ص٩٨.

(٣٩) مسعود الخوند , المصدر السابق , ص٢٦٨.

(٤٠) انور السادات : ولد في قرية ميت ابو الكوم بالمنوفية جنوب القاهرة في ٢٥ كانون الأول عام ١٩١٨ , دخل الكلية الحربية عام ١٩٣٨ , شغل عدة مناصب مهمة : انتخب في عام ١٩٦٠ رئيساً للجمعية الوطنية المصرية , ونائب للرئيس جمال عبد الناصر في عامي ١٩٦٤ و ١٩٦٩ , اصبح رئيساً لمصر في ٢٨ أيلول عام ١٩٧٠ , دخل في حرب مع الاحتلال الصهيوني في عام ١٩٧٣ ووقع معها اتفاقية السلام في عام ١٩٧٨ , اغتيل في عام ١٩٨١. للمزيد من التفاصيل ينظر : شاكر ضيدان جابر السويدي , الرئيس المصري محمد انور السادات دراسة في سياسته الداخلية ١٩٧٠-١٩٨١ , اطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية الآداب , جامعة البصرة , ٢٠٠٩.؛ روبير سوليه , السادات , دار نوفل , بيروت , ٢٠١٥ , ص٣٣٣-٣٣٥.

(٤١) جمال عبد الناصر : ولد في قرية بني مر إحدى قرى الصعيد المصري في مديرية أسيوط عام ١٩١٨ , إذ ولد في جو عربي صميم , فقد كانت والدته اسكندرانية من الوجه البحري ووالده صعيدي من بني مر من الوجه القبلي , التي تتميز بالصلابة والجرأة والقوة والشجاعة , واصل تعليمه حتى انهى دراسته الابتدائية , عين معاوناً لبريد الاسكندرية , تزوج في عام ١٩١٧ من فهيمة محمد حماد ابنة تاجر الفحم بمديرية المنيا , التحق بمدرسة النهضة الثانوية في عام ١٩٣٣ حتى انهى دراسته الثانوية , انضم إلى جمعية مصر الفتاة في الصف الثالث ثانوي , تم تأميم قناة السويس في عهده عام ١٩٥٦. للمزيد من التفاصيل ينظر : بثينة عبد الرحمن التكريتي , جمال عبد الناصر نشأة وتطور الفكر الناصري , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , ٢٠٠٠.

(٤٢) سعد نصيف جاسم الجميلي , التطورات السياسية في لبنان ١٩٥٨-١٩٥٧ , اطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية بغداد , الجامعة المستنصرية , ٢٠٠٤ , ص١٦٢.

(٤٣) ايلين مطر محمد السعيد , الموقف الأمريكي من الحرب الأهلية اللبنانية ١٩٧٥-١٩٨٣ , مركز العراق للدراسات , بغداد , ٢٠٢٢ , ص٩٤.

(٤٤) احسان بكر , احداث الازمة بين لبنان والمقاومة الفلسطينية , مجلة السياسة الدولية , العدد ٣٣ , تموز ١٩٧٣ , ص١٣٩.

(٤٥) شكري نصر الله , المصدر السابق , ص١٢٥.

(٤٦) ايلين مطر محمد السعيد , المصدر السابق , ص٩٧.

(٤٧) سعد نصيف جاسم الجميلي , المصدر السابق , ص١٦٨.

(٤٨) ايلين مطر محمد السعيد , المصدر السابق , ص٩٨-٩٩.

(٤٩) المصدر نفسه , ص٩٩-١٠٠.

(٥٠) وقد لبي بهذا التكليف الذي أقره مؤتمر الرباط في ٣٠ تشرين الأول عام ١٩٧٤ الذي أعلن الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني. ينظر : المصدر نفسه , ص١٠٢.

(٥١) شمعون بيرس , الشرق الاوسط الجديد , ترجمة : دار الجليل , ط٢ , دار الجليل للنشر , عمان , ١٩٩٦ , ص٦٦.

[٥٢] مسعود الخوند , المصدر السابق , ص٢٧٤.

[٥٣] طوني فرنجية : ولد في بلدة ادن التابعة لمدينة زغرتا شمال لبنان في ١ أيلول ١٩٤١ , تلقى علومه الأولية في مدرسة الراهبات في زغرتا , انتقل بعدها إلى مدارس الفرير في طرابلس , التحق بالجامعة اليسوعية لدراسة ادارة الاعمال لكن لم يتابع دراسته , شغل منصب نائباً عن زغرتا في ٢٥ تشرين الأول عام ١٩٧٠ , عندما اصبح والده رئيساً للجمهورية في ٢٣ أيلول ١٩٧٠ , عين في ٢٥ نيسان عام ١٩٧٣ وزيراً للبريد والبرق والهاتف , قتل هو وزوجته فيرا قرداحي وأبنته جيهان البالغة من العمر ثلاث سنوات في ١٣ حزيران عام ١٩٧٨. للمزيد من التفاصيل ينظر : قاسم جباري لطيف زاحم المرشدي , طوني فرنجية نشاطه السياسي واثر اغتياله في تفكك الجبهة اللبنانية والمواقف الداخلية والخارجية ازاء عملية اغتياله (١٩٤١-١٩٧٨) , مجلة القادسية للعلوم الإنسانية , المجلد ٢٨ , العدد ١ , ٢٠٢٥ , ص٢٢٢-٢٢٣ , ٢٢٥ , ٢٣٢.

[٥٤] جان ملحه , المصدر السابق , ص٢٢٣.

[٥٥] عارف العبد , المصدر السابق , ص١١٥.

[٥٦] مسعود الخوند , المصدر السابق , ص٢٧٨.

[٥٧] ياسر عرفات : ولد في القدس عام ١٩٢٩ , انتقل إلى القاهرة عام ١٩٣٣ , ودرس الهندسة وأسس فيها الاتحاد الوطني لطلبة فلسطين , تولى قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في عام ١٩٦٩ , انتخب رسمياً للرئاسة الفلسطينية في ١٢ شباط عام ١٩٩٦ , توفى في عام ٢٠٠٤. للمزيد من التفاصيل ينظر : عائشة فرحاتي وزوليخة طخة , شخصية ياسر عرفات ودوره في القضية الفلسطينية ١٩٢٩-٢٠٠٤ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة محمد بو ضياف , الجزائر , ٢٠١٧.

[٥٨] سعد نصيف جاسم الجميلي , المصدر السابق , ص١٧٠.

[٥٩] علي حمدي الجمال , المصدر السابق , ص١٢٨.

[٦٠] زينب شاكر عبد الرزاق , مؤتمر الطائف عام ١٩٨٩ في ظل الدعم الدولي , مركز دراسات البصرة والخليج العربي , جامعة البصرة , العدد ٢٩ , كانون الأول ٢٠٢٠ , ص٥٦٢.

[٦١] زينب حيدر عبد , موقف جامعة الدول العربية من حرب السنتين في لبنان ١٩٧٥-١٩٧٦ , مجلة الدراسات المستدامة , السنة الثانية , المجلد ٢ , العدد ٧ , ٢٠٢٠ ,

[٦٢] جاسم محمد خضير الجبوري , المصدر السابق , ص٢٢٧.

[٦٣] المركز العربي للمعلومات , المصدر السابق , ص٢٧-٢٨.

[٦٤] حفيظة مكي , الحركات الطائفية في العالم العربي "دراسة حالة لبنان" , رسالة ماجستير منشورة , كلية الحقوق والعلوم السياسية , جامعة 8 ماي 1945 قالمة , الجزائر , ٢٠١٥ , ص٤٦.

[٦٥] جوزيف ابو خليل , قصة الموارنة في الحرب , ط٧ , شركة المطبوعات للنشر , بيروت , ٢٠١٠ , ص١١.

[٦٦] ايلين مطر محمد السعيد , المصدر السابق , ص١٢٠-١٢١

[٦٧] جوزيف ابو خليل , المصدر السابق , ص١١.

[٦٨] ايلين مطر محمد السعيد , المصدر السابق , ص١٢٦-١٢٨.

(٦٩) ناظم خليل حسن عبد المعموري , الحرب الأهلية في لبنان ١٩٧٥-١٩٨٢ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية , جامعة بابل , ٢٠١١ , ص٦٨-٦٩.

(٧٠) ايلين مطر محمد السعيد , المصدر السابق , ص١٢٨.

(٧١) جيرالد فورد : الرئيس الثامن والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية , ولد في عام ١٩١٣ في ولاية ميشيغان (Michigan) , درس القانون , وعمل في المحاماة (١٩٤٩-١٩٥٤) , انتخب في عام ١٩٧٣ نائب في مجلس النواب عن ولايته , تولى الرئاسة خلال المدة (١٩٧٤-١٩٧٧). للمزيد من التفاصيل ينظر : عبد الوهاب الكيالي , الموسوعة السياسية , ج٤ , ط٣ , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت , ١٩٩٠ , ص٦٢٤.؛

Arthur M. Schlesinger jr. , History of American Presidential Elections 1789-2001.1972-1984 , Vol.X , New York , 2002 , P.19.

(٧٢) ايلين مطر محمد السعيد , المصدر السابق , ص١٣٠.

(٧٣) مسعود الخوند , المصدر السابق , ص٣٠٤.

(٧٤) هاني عبيد زباري السكيني , الامام موسى الصدر ودوره السياسي والثقافي والاجتماعي في لبنان ١٩٦٠-١٩٧٨ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب , جامعة البصرة , ٢٠٠٩ , ص١٠٢.

(٧٥) ناظم خليل حسن عبد المعموري , المصدر السابق , ص٧١.

(٧٦) هنري لورنس , اللعبة الكبرى الشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية , ترجمة : محمد مخلوف , دار قرطبة للنشر , (د.م) , (د.ت) , ص٣٠٦.

(٧٧) هنري كيسنجر : ولد في ٢٧ أيار عام ١٩٢٣ في فورت (Fort) في ولاية بافاريا (Bavaria) بألمانيا , سياسي ودبلوماسي أمريكي , حصل على الجنسية الأمريكية في عام ١٩٤٨ , شغل منصب وزير الخارجية الأمريكية (١٩٧٣-١٩٧٧) , وزير للخارجية الأمريكية (١٩٧٣-١٩٧٧) , عينه الرئيس رونالد ريغان (Ronald Reagan) في عام ١٩٨٣ رئيساً للهيئة الفيدرالية التي تم تشكيلها لتطوير السياسة الأمريكية تجاه أمريكا الوسطى , توفى في ٢٩ تشرين الثاني عام ٢٠٢٣. للمزيد من التفاصيل ينظر : هادي خليف كريم , كسنجر سياسي ومفكر النصف الثاني من القرن العشرين , مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والانسانية , جامعة بابل , عدد خاص بأبحاث المؤتمر العلمي الدولي المشترك بين كلية الآداب بجامعة القاهرة وكلية التربية الأساسية بجامعة بابل , عقد في رحاب جامعة القاهرة للمدة ٣/٣١ - ٢٠١٩/٤/١.

(٧٨) ايلين مطر محمد السعيد , المصدر السابق , ص١١٢-١١٣.

(٧٩) جوزيف ابو خليل , المصدر السابق , ص٥٩-٦٠.

(٨٠) المصدر نفسه , ص٥٦.

(٨١) عبد العزيز قباني , لبنان والصيغة المأساة , دار الافاق الجديدة , بيروت , ١٩٨٢ , ص١٦.

(٨٢) المصدر نفسه , ص١٨.

(٨٣) عارف العبد , المصدر السابق , ص١٢٤.

(٨٤) جاسم محمد خضير , السياسة الإسرائيلية – الأمريكية تجاه دخول القوات السورية إلى لبنان عام ١٩٧٦ , آداب الرافدين , العدد ٧٧ , ٢٠١٩ , ص٣٢٩.

(٨٥) ايلين مطر محمد السعيد , المصدر السابق , ص١٧٠-١٧١.

(٨٦) ناظم خليل حسن عبد المعموري , المصدر السابق , ص٧٤-٧٥.
(٨٧) المركز العربي للمعلومات , المصدر السابق , ص٣٧.
(٨٨) علي حمدي الجمال , المصدر السابق , ص١٦٢-١٦٣.
(٨٩) عارف العبد , المصدر السابق , ص١٢٥.
(٩٠) جوزيف ابو خليل , المصدر السابق , ص٦٢.
(٩١) المصدر نفسه , ص٨٠.
(٩٢) ايلين مطر محمد السعيد , المصدر السابق , ص٢٣٣-٢٣٤.
(٩٣) عارف العبد , المصدر السابق , ص١٢٦.
(٩٤) اعترف بشير الجميل لصحيفة أمريكية , بأنه قد حصل على ضوء اخضر من الاحتلال الصهيوني لتنفيذ العملية , إذ التي اشرف الموساد الصهيوني على كامل الاعداد العسكري لها , فقد اجتمع كل مسؤولي الوحدات المشاركة مع ضباط الجيش الصهيوني في مقر القيادة في الكرنتينا , وسبب مساعدتهم لبشير كونهم أرادوا عقد صلح منفرد بين الاحتلال الصهيوني ولبنان الذي سيطر عليه حزب الكتائب حليفهم. للمزيد من التفاصيل ينظر : ايلين مطر محمد السعيد , المصدر السابق , ص٢٣٤-٢٣٥.
(٩٥) شادي خليل ابو عيسى , المصدر السابق , ص٧٥.
(٩٦) المصدر نفسه , ص٧٦.
(٩٧) جو حمورة , المصدر السابق , ص١٤.

قائمة المصادر والمراجع :

أولاً : الدار العربية للوثائق , ملف العالم العربي :

١.د. ع. و , ملف العالم العربي , لبنان – سير وتراجم , ل – ١/١٩٠٥.
٢.د. ع. و , ملف العالم العربي , لبنان – سير وتراجم , ل-١ , ١٩٠٩.

ثانياً : الرسائل والاطاريح :

١. بلال سليمان الصرايرة , حلف بغداد والمملكة الاردنية الهاشمية , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة مؤتة , الاردن, ٢٠٠٧.
٢. جواد كاظم حصين , موقف مصر من حلف بغداد ١٩٥٥-١٩٥٩ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية , جامعة ميسان , ٢٠٢٥.
٣. حفيظة مكي , الحركات الطائفية في العالم العربي "دراسة حالة لبنان" , رسالة ماجستير منشورة , كلية الحقوق والعلوم السياسية , جامعة 8 ماي 1945 قالمة , الجزائر , ٢٠١٥.
٤. زينب حيدر عبد الحسني , الياس سركيس ودوره الاقتصادي والسياسي في لبنان ١٩٢٤-١٩٨٥ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية للعلوم الإنسانية , جامعة ذي قار , ٢٠١٤.

٥. سعد نصيف جاسم الجميلي , التطورات السياسية في لبنان ١٩٥٨-١٩٥٧ , اطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية بغداد , الجامعة المستنصرية , ٢٠٠٤.
٦. شاكر ضيدان جابر السويدي , الرئيس المصري محمد انور السادات دراسة في سياسته الداخلية ١٩٧٠-١٩٨١ , اطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية الآداب , جامعة البصرة , ٢٠٠٩.
٧. ضمياء رشك جبار الغالبي , حميد فرنجيه ودوره السياسي في لبنان ١٩٠٧-١٩٨١ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية للعلوم الإنسانية , جامعة ذي قار , ٢٠١٦.
٨. عائشة فرحاتي وزوليخة طخة , شخصية ياسر عرفات ودوره في القضية الفلسطينية ١٩٢٩-٢٠٠٤ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة محمد بو ضياف , الجزائر , ٢٠١٧.
٩. عداي ابراهيم حوران الجانبي , كميل شمعون ودورة السياسي في لبنان ١٩٠٠-١٩٨٧ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب , جامعة الانبار , ٢٠١١.
١٠. مريم سرايش , العراق وحلف بغداد ١٩٥٤-١٩٥٩, رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة محمد بوضياف بالمسيلة , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , ٢٠١٩.
١١. ناظم خليل حسن عبد المعموري , الحرب الأهلية في لبنان ١٩٧٥-١٩٨٢ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية , جامعة بابل , ٢٠١١.
١٢. هاني عبيد زباري السكيني , الامام موسى الصدر ودوره السياسي والثقافي والاجتماعي في لبنان ١٩٦٠-١٩٧٨ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب , جامعة البصرة , ٢٠٠٩ , ص١٠٢.

ثالثاً : الكتب العربية :

١. اكرم نور الدين الساطع , تاريخ ووثائق النصف الثاني من القرن العشرين , دار النفائس , بيروت , ٢٠٠٨.
٢. ايلين مطر محمد السعيد , الموقف الأمريكي من الحرب الأهلية اللبنانية ١٩٧٥-١٩٨٣ , مركز العراق للدراسات , بغداد , ٢٠٢٢.
٣. بثينة شعبان , عشرة أعوام مع حافظ الأسد , ط٢ , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , ٢٠١٤.
٤. بثينة عبد الرحمن التكريتي , جمال عبد الناصر نشأة وتطور الفكر الناصري , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , ٢٠٠٠.
٥. جان ملحه , الوزارات اللبنانية وبياناتها ١٩٤٣-١٩٨١ , مكتبة لبنان , بيروت , ١٩٨١.
٦. جو حمورة , أصحاب الفخامة : رؤساء الجمهورية اللبنانية من ١٩٢٦ إلى ٢٠١٤ , لبنان , ٢٠١٥.
٧. جوزيف ابو خليل , قصة الموارنة في الحرب , ط٧ , شركة المطبوعات للنشر , بيروت , ٢٠١٠.

٨. روبير سوليه , السادات , دار نوفل , بيروت , ٢٠١٥.
٩. شادي خليل ابو عيسى , رؤساء الجمهورية اللبنانية ١٩٢٦-٢٠٠٧ وقائع – وثائق – صور , شركة المطبوعات للتوزيع والنشر , بيروت , ٢٠٠٨.
١٠. شادي خليل ابو عيسى , رؤساء الجمهورية اللبنانية خفايا وثائق وقائع صور , بيروت , ٢٠٠٨.
١١. شكري نصر الله , تاريخ لبنان واللبنانيين نضره إلى الوراء , شكرة المطبوعات , بيروت , ٢٠٠٦.
١٢. شمعون بيرس , الشرق الاوسط الجديد , ترجمة : دار الجليل , ط٢ , دار الجليل للنشر , عمان , ١٩٩٦.
١٣. صقر يوسف صقر , عائلات حكمت لبنان , المركز العربي للمعلومات , بيروت , ٢٠٠٨.
١٤. طريف شمس الدين , انتخابات الرئاسة في لبنان من بشارة الخوري حتى الياس الهراوي ١٩٤٣-١٩٨٩ , بيروت , ١٩٩٥.
١٥. طنوس معوض , ١٨ يوم من عمر لبنان عهد الرئيس رينيه معوض , ط٢ , دار النهار , بيروت , ٢٠٠٢.
١٦. عارف العبد , لبنان والطائف تقاطع تاريخي ومسار غير مكتمل , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , ٢٠٠١.
١٧. عبد العزيز قباني , لبنان والصيغة المأساة , دار الافاق الجديدة , بيروت , ١٩٨٢.
١٨. عدنان محسن ظاهر ورياض غنام , المعجم النيابي اللبناني سيرة وتراجم اعضاء المجالس النيابية واعضاء مجالس الادارة في متصرفية جبل لبنان ١٨٦١-٢٠٠٦ , بيروت , ٢٠٠٧.
١٩. علي حمدي الجمال , لبنان يا عرب دراسة وثائقية , القاهرة , (د.ت).
٢٠. علي سليمان تقي الدين , المسألة الطائفية في لبنان , دار ابن خلدون , بيروت , ١٩٧٧.
٢١. المركز العربي للمعلومات ش. م. م. , الزعامة المارونية من حبيب السعد إلى سمير جعجع , المركز العربي للمعلومات , بيروت , ١٩٨٥.
٢٢. مسعود الخوند , لبنان المعاصر مشهد تاريخ وسياسي عام , تقديم : محمد حسن الامين , ج ١٦ , بيروت , (د.ت).
٢٣. هنري لورنس , اللعبة الكبرى الشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية , ترجمة : محمد مخلوف , دار قرطبة للنشر , (د.م) , (د.ت).
٢٤. الياس الديري , من يصنع الرئيس , المؤسسة الجامعية للنشر , بيروت , ١٩٨٢.

رابعاً : الكتب الأجنبية :

1. Arthur M. Schlesinger jr. , History of American Presidential Elections 1789-2001.1972-1984 , Vol.X , New York , 2002.

خامساً : البحوث المنشورة :

١. احسان بكر , احداث الازمة بين لبنان والمقاومة الفلسطينية , مجلة السياسة الدولية , العدد ٣٣ , تموز ١٩٧٣.

٢. جاسم محمد خضير , السياسة الإسرائيلية – الأمريكية تجاه دخول القوات السورية إلى لبنان عام ١٩٧٦ , آداب الرافدين , العدد ٧٧ , ٢٠١٩.

٣. جاسم محمد خضير الجبوري , عبد الله اليافي ودوره السياسي في لبنان ١٩٤٣–١٩٥٨ , آداب الرافدين , عدد خاص لمؤتمر التاريخ العلمي الثاني ملحق العدد ٨١ , ٢٠٢٠.

٤. رباب يوسف وهبي , التطورات السياسية في الفترة الشهابية (فؤاد شهاب ١٩٦٤–١٩٥٨) , مجلة وميض الفك للبحوث العدد ٢٥ , آذار ٢٠٢٥.

٥. زينب حيدر عبد , موقف جامعة الدول العربية من حرب السنتين في لبنان ١٩٧٥–١٩٧٦, مجلة الدراسات المستدامة, السنة الثانية , المجلد ٢ , العدد ٧ , ٢٠٢٠.

٦. زينب شاكر عبد الرزاق , مؤتمر الطائف عام ١٩٨٩ في ظل الدعم الدولي , مركز دراسات البصرة والخليج العربي , جامعة البصرة , العدد ٢٩ , كانون الأول ٢٠٢٠.

٧. صالح جعيول جويعد السراي وفاطمة عبد الجليل ياسر الغزي , ريمون إده ودوره السياسي في لبنان (١٩١٣–١٩٧٥), مجلة جامعة ذي قار , جامعة ذي قار , كلية التربية للعلوم الإنسانية , المجلد ١٢ , العدد ٣ , أيلول ٢٠١٧.

٨. عقيل زاهر سلمان وعلي عظم محمد , سياسة لبنان الخارجية تجاه لمنطقة العربية في عهد حكومة كميل شمعون ١٩٥٢–١٩٥٨ , مجلة آداب الكوفة , كلية الآداب , جامعة الكوفة , العدد ٦٤ , حزيران ٢٠٢٥.

٩. قاسم جباري لطيف زاحم المرشدي , طوني فرنجية نشاطه السياسي واثر اغتياله في تفكك الجبهة اللبنانية والمواقف الداخلية والخارجية ازاء عملية اغتياله (١٩٤١–١٩٧٨) , مجلة القادسية للعلوم الإنسانية , المجلد ٢٨ , العدد ١ , ٢٠٢٥.

١٠. هادي خليف كريم , كسنجر سياسي ومفكر النصف الثاني من القرن العشرين , مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والانسانية , جامعة بابل , عدد خاص بأبحاث المؤتمر العلمي الدولي المشترك بين كلية الآداب بجامعة القاهرة وكلية التربية الأساسية بجامعة بابل , عقد في رحاب جامعة القاهرة للمدة ٣/٣١ – ٢٠١٩/٤/١.

سادساً : الموسوعات العربية :

١. احمد عطية الله , القاموس السياسي , ط٣ , دار النهضة العربية , القاهرة , ١٩٦٧.
٢. عبد الوهاب الكيالي , الموسوعة السياسية , ج٣ , ط٢ , المؤسسة العربية للدراسات وللنشر , بيروت , ١٩٩٣.
٣. عبد الوهاب الكيالي , الموسوعة السياسية , ج٤ , ط٣ , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت , ١٩٩٠.
٤. عبد الوهاب الكيالي وكامل الزهيري , الموسوعة السياسية , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت , ١٩٧٤.

سابعاً : المعاجم العربية :

١. عدنان محسن ظاهر ورياض غنام , المعجم اللبناني سيرة وتراجم اعضاء المجالس النيابية واعضاء مجالس الادارة في متصرفية جبل لبنان ١٩٦١-٢٠٠٦ , دار بلال للطباعة والنشر , بيروت , ٢٠٠٧.
٢. عدنان محسن ظاهر ورياض غنام , المعجم الوزاري اللبناني سيرة وترجمة وزراء لبنان ١٩٢٢-٢٠٠٨ , دار بلال للطباعة والنشر , بيروت , ٢٠٠٨.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

سياسة إنكلترا الخارجية في عهد الملك هنري الثامن (١٥١١-١٥٢٠م)

رواء فاضل عبد
أ.م.أبتسام سلمان سعيد

الاستلام(Received) : ٢٠٢٦ / ٠٣/٠٢	التعديل (Revision) : ٢٠٢٦ / ٠٣/٢٠
القبول(Accepted) : ٢٠٢٦ / ٠٤/ ٠٧	النشر (Published) : ٢٠٢٦/ ٠٩/٣٠

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص:

يتناول هذا البحث سياسة انكلترا الخارجية في عهد هنري الثامن حتى عام ١٥٢٠، إذ سعى إلى تعزيز مكانة بلاده كقوة أوروبية فاعلة من خلال التوازن بين القوى الكبرى، لاسيما فرنسا وإسبانيا. في المرحلة الأولى، اتسمت سياسته بالنزعة العسكرية وتحقيق المجد الشخصي، فدخل في تحالفات مع قوى أوروبية مثل الملك فرديناند الثاني، وخاض حملات عسكرية التي عكست طموحه في استعادة النفوذ الإنكليزي في الأراضي الفرنسية. ومع تطور الأحداث، تحولت السياسة الخارجية نحو العمل الدبلوماسي بقيادة توماس ولسي، الذي سعى إلى جعل انكلترا وسيطًا بين القوى الأوروبية، مما أسفر عن معاهدة لندن ١٥١٨ لتحقيق نوع من التوازن والسلام. وتُوّج هذا التوجه بلقاء فرانسوا الأول في ميدان القماش الذهبي، الذي جسّد مظهرًا من مظاهر القوة والتقارب السياسي، على الرغم محدودية نتائجه العملية، مما يدل على أن سياسة انكلترا الخارجية جمعت بين الطموح العسكري والمرونة الدبلوماسية.

الكلمات المفتاحية: إنكلترا، السياسة الخارجية، الملك هنري الثامن، توماس ولسي، الحروب الإيطالية، ميدان القماش الذهبي.

Abstract:

This study examines the foreign policy of England during the reign of Henry VIII up to 1520. It argues that he sought to strengthen his kingdom's position as an active European power by maintaining a balance among the major powers, notably France and Spain. In its initial phase, his policy was characterized by militarism and the pursuit of personal glory; he entered into alliances with European rulers such as Ferdinand II and undertook military

campaigns that reflected his ambition to restore English influence in French territories. As circumstances evolved, foreign policy shifted toward diplomacy under the leadership of Thomas Wolsey, who aimed to position England as a mediator among European powers. This approach culminated in the Treaty of London 1518, which sought to establish a degree of balance and peace. It was further exemplified by the meeting with Francis I at the Field of the Cloth of Gold, an event that symbolized displays of power and political rapprochement despite its limited practical outcomes. This indicates that England's foreign policy combined military ambition with diplomatic flexibility.
Keywords: England, foreign policy, King Henry VIII, Thomas Wolsey, the Italian Wars, the Field of Golden Cloth.

المقـــــدمة:

تركز هذه الدراسة على سياسة انكلترا الخارجية في عهد هنري الثامن خلال المدة (١٥١١-١٥٢٠م)، وهي مرحلة مهمة في تاريخ العلاقات الأوروبية شهدت تصاعد التنافس بين القوى الكبرى، لاسيما فرنسا وإسبانيا. وقد سعى هنري الثامن في هذه الفترة إلى تعزيز مكانة انكلترا الدولية عبر اتباع سياسة خارجية جمعت بين التحالفات العسكرية والمبادرات الدبلوماسية، مستهدفًا تحقيق التوازن في ميزان القوى الأوروبي. كما برز دور الشخصيات السياسية، وفي مقدمتها توماس ولسي، في رسم معالم هذه السياسة وتوجيهها نحو خدمة المصالح الإنكليزية.

تبرز أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على مرحلة مفصلية من تاريخ انكلترا السياسي، إذ تكشف عن طبيعة التحولات في سياستها الخارجية بين الحرب والدبلوماسية، ومدى تأثير ذلك في مكانتها الأوروبية. كما تساعد في فهم آليات التوازن الدولي التي سادت في أوائل القرن السادس عشر، ودور انكلترا في إدارة الصراعات والتحالفات بين القوى الكبرى. فضلًا عن ذلك، تبرز الدراسة أهمية القيادة السياسية والدبلوماسية في توجيه العلاقات الدولية، ولاسيما من خلال الدور الذي أداه وولسي في تعزيز مكانة انكلترا كوسيط فاعل في الساحة الأوروبية.

المحور الأول: الدور الإنكليزي في الحروب الإيطالية (١٥١١-١٥١٥):

شهدت بدايات عهد الملك هنري الثامن حقبة سياسية معقدة، تزامنت فيها اعتلاء البابا يوليوس الثاني (Julius II)[١] للعرش البابوي لمدة ستة سنوات. عُرفت شخصية البابا بأنها جمعت بين صفات

الكاهن والحارس، وكان مستعدًا بنفس القدر للدفاع عن مصالح الكنيسة وزيادة أراضيها، سواء بالسيف أو بالحظر والحرمان الكنسي. وهدفتْ سياسته الحقيقية إلى جعل إيطاليا مستقلة، وهو مشروع لم يكن من الممكن تحقيقه بالسلاح عند مواجهة فرنسا, أو إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة مكسيميليان الأول، أو فرديناند ملك إسبانيا، بل كان ذلك عن طريق زرع الخلافات[٢].

تحالف يوليوس الثاني مع اولئك الملوك لكبح قوة الفينيسيين من خلال عصبة كامبريه (League of Cambrai) عام ١٥٠٨م، التي أنشأها ضد البندقية, ويكمن سبب إنشائها في تحدي البندقية لسلطة البابا فيما يتعلق بتعيينات الكنيسة في أراضيها، لكن جميع المشاركين كانوا حريصين على الاستيلاء على الأراضي والمدن التي تسيطر عليها البندقية في شمال إيطاليا. حيث بسطت فرنسا سيطرتها على ميلانو الواقعة شمال إيطاليا، بينما سيطرتْ إسبانيا على نابولي الواقعة جنوب إيطاليا. أما إنكلترا، التي لم تكن لها مصالح فعلية في إيطاليا، فلم تكن عضوًا في تلك العصبة، لكنها دعمت أهدافها[٣].

بدأ البابا يوليوس يخشى من هيمنة فرنسية على إيطاليا، إذ شرع في تشكيل تحالف مناهض لفرنسا، وكان ذلك الأمر مثالياً بالنسبة للملك هنري الثامن، إذ قام بإرسال رئيس أساقفة يورك كريستوفر باينبريج (Christopher Bainbridge)[٤]، بهدف التأثير على يوليوس ضد فرنسا. واستطاع باينبريج كسب ثقة البابا، إذ تم تعيينه كاردينالًا في آذار عام ١٥١١م. وردّاً على عدائية يوليوس، استدعى لويس الثاني عشر (Louis XII)[٥] مجلسًا كنسيًا للانعقاد في بيزا (Pisa)، مع التهديد بإمكانية عزل البابا، لكن رد البابا لم يكن كما تمنى لويس، فبدلًا من التراجع سرّع يوليوس من وتيرة المفاوضات[٦].

جرى التوقيع على بنود العصبة المقدسة (Holy League)[٧] في تشرين الأول ١٥١١م التي هدفت لطرد الفرنسيين من إيطاليا. وقع باينبريج باسم إنكلترا بعد حصوله على موافقة هنري الثامن، وبذلك أصبح بإمكان هنري الثامن خوض حرب ضد فرنسا مع بحجة الدفاع عن كنيسة روما[٨].

فضّل مستشارو الملك هنري الثامن، أمثال فوكس وورهام، الاستمرار بالسياسة السلمية، ولم يُبدوا أستجابة فعلية لخطط الملك هنري الثامن في مشاركته. بالمقابل، كان هناك عدد كبير من رجال البلاط، أمثال توماس وولسي، يشاركون الملك هنري الثامن حماسه. فضلاً عن ذلك أن الملك هنري الثامن تلقى تشجيعًا من الملك فرديناند لاستعادة الأراضي الإنكليزية السابقة في فرنسا، فعقد الملك هنري الثامن مع فرديناند في معاهدة ويستمنستر (Treaty of Westminster)[٩] عام ١٥١١م[١٠]. تضمنت قيام غزو إنكلو– إسباني مشترك لمقاطعة غاسكوني (Gascony) الواقعة جنوب غرب فرنسا[١١].

عقب ذلك بدأت التحضيرات، وجُمعت القوات، وفي آذار ١٥١٢م، وبدافع تشجيع الملك هنري الثامن، اعترف البابا سرًّا بأحقية الملك هنري الثامن في العرش الفرنسي، وأُعلنت إنكلترا رسميًا الحرب على فرنسا في الثالث من نيسان من العام نفسه[١٢].

كان من المفترض أن يزوّد الملك هنري الثامن الحملة بنحو (٦٠,٠٠٠) من المشاة، بينما يقدّم فرديناند قرابة (٤٠٠٠) من المشاة و(٢٠٠٠) فارس، ثم نقل الجنود باستخدام سفن تجارية وسفن استُؤجرت من إسبانيا ومن الأراضي المنخفضة (Low Countries)[١٣]. وكان من المقدّر أيضًا أن يوفّر فرديناند الإمدادات الغذائية. استطاعت القوات الإنكليزية التصعيد من عملياتها العسكرية على السواحل الفرنسية، إذ أُوكلت المهمة إلى الأسطول بالسيطرة على القناة الإنكليزية، وبالتالي أدّى ذلك إلى عدم مقاومة السفن الفرنسية. ونُفذت غارات ساحلية هدفت بالأساس إلى إضعاف هيبة الحكم الفرنسي أمام سكانه لعدم تأمين الحماية لهم[١٤]. ولمْ تبدي فرنسا أي مقاومة جادة, ما عدا بعض المحاولات الخجولة, ان صح التعبير[١٥].

أما في غاسكوني الواقعة جنوب غرب فرنسا، فكانت الحملة العسكرية كارثية؛ فبعد نزولهم إلى الشاطئ وتقدّمهم نحو فونترابيا (Fuenterrabía) قرب الحدود الفرنسية استعدادًا للهجوم على بايون (Bayonne) الواقعة جنوب غرب فرنسا، لم يتلقَّ الجيش الإنكليزي أي إمدادات. وبدأ الجنود بنهب القرى بحثًا عن الطعام، وكان الطقس ممطرًا، ولم يكن لدى الجنود ما يكفي من وسائل الإيواء، وانتشرت الأمراض. وفي تلك الأثناء، بدلًا من إرسال قوات اسبانية للانضمام إليهم، اعلن فرديناند نيته احتلال مملكة نافارا (Navarre)[١٦]، التي كان حاكمها حليفًا لفرنسا[١٧].

وقعت بعض الغارات الإنكليزية عبر الحدود الفرنسية، خلّفت قتلى ودمارًا في سانت جان دو لويز (Saint-Jean-de-Luz) الواقعة جنوب غرب فرنسا وعدد من القرى. وعلى الرغم من رغبة بعض القادة، مثل توماس هوارد، في البقاء، فقد تم استئجار سفن وغادر الجيش إلى إنكلترا في تشرين الأول من عام ١٥١٢م دون أن يحقق شيئًا يُذكر. ويُعزى سبب انسحاب الجيش الإنكليزي إلى عدم توفر الإمدادات وتغيّر الخطة العسكرية من قبل فرديناند، فضلًا عن استغلال الإسبان للقوات الإنكليزية لتشتيت انتباه الفرنسيين حتى لا يتمكنوا من التدخل في مملكة نافارا، التي كانت هدفهم منذ البداية[١٨].

شكّلت تلك الحملة إحراجًا سياسيًا للملك هنري الثامن، ما دفعه لإعادة التخطيط لحملة جديدة تنطلق من كاليه، تتجاوز مشاكل الإمدادات وسلسلة الاتصال الطويلة. ووفقًا لاتفاقية ميخلين (Treaty of Mechelen)[١٩]، قرر الملك هنري الثامن أن يقود الحملة بنفسه بمشاركة الإمبراطور مكسمليان، الذي حصل على دعم مالي مقابل خدماته. وأصبح موقف الملك لويس الثاني عشر صعبآ للغاية، إذ تعرضت قواته للهجوم في جبهات عدة[٢٠]. فضّل فرديناند توقيع

هدنة مؤقتة مع فرنسا بعد ضمان سيطرته على مملكة نافارا، فأزداد غضب الملك هنري الثامن، وتدهورت العلاقات الأنكلو–إسبانية[٢١].

قبيل انطلاق حملته العسكرية على فرنسا، كان الملك هنري الثامن على دراية تامة بتجديد التحالف بين فرنسا واسكتلندا، ذلك التحالف الذي من شأنه أن يشكّل تهديدًا عسكريًا مباشرًا على الحدود الشمالية لإنكلترا. وفي ذلك السياق، تجدر الإشارة إلى أن العلاقة بين إنكلترا واسكتلندا، التي كانت قد استقرت نسبيًا بعد معاهدة السلام الدائم (Treaty of Perpetual Peace) المبرمة مع الملك هنري السابع عام ١٥٠٢م، والتي تم تعزيزها بزواج ملك اسكتلندا جيمس الرابع من ماري تيودور, كبرى بنات الملك هنري السابع، أصبحت على المحك عندما أعلن الملك هنري الثامن الحرب على فرنسا، إذ اتخذ الملك جيمس الرابع قرارًا بالوقوف إلى جانب فرنسا[٢٢].

ترك الملك هنري الثامن زوجته الملكة كاثرين اراغون وصيّة على العرش، وعبر إلى كاليه لينضم إلى جيشه هناك، إذ أستعان الإنكليز بعدد من الجنود المرتزقة السويسريين، الأمر الذي أدى إلى زيادة تكاليف الحملة، لكنه تلك المرحلة لم يكن يرى في الكلفة شيئًا مقارنة بالحاجة إلى نصر عسكري. وكان تجهيز الجيش وتزويده بالعتاد والإمدادات أمرًا بالغ التعقيد، ويرجع الفضل الكبير في إعداد التنظيم لتوماس ولسي، الأمر الذي أدى إلى تصاعد مكانته بسرعة داخل مجلس الملك[٢٣].

أصدر الملك هنري الثامن مرسومًا في ١٥ ايار ١٥١٣م، شدد فيه على تطبيق القوانين والأنظمة الحربية التي يجب أن يلتزم بها جميع الجنود والضباط في مدينة كاليه وحاميتها. وأمر أن تطاع تلك القوانين طاعة تامة, ومعاقبة كل من يخالف الانضباط, أو يثير الفوضى, أو يمتنع عن تنفيذ الأوامر، وفق القوانين العسكرية المتبعة، وعدم محاباة أي شخص[٢٤].

تقدّم الجيش الإنكليزي جنوب شرق كاليه وفرض الحصار على مدينة ثيروان (Thérouanne) الصغيرة، لكنها كانت محصنة جدًا، وهناك انضمت إليهم قوات مكسمليان. وفي ١٦ آب أُرسلت قوة فرنسية للإغاثة بلغت نحو (٧٠٠٠) مقاتل، قُسمت بين من حاول تشتيت قوات الحصار ومن حاول إدخال إمدادات إلى المدينة، غير أن هذه القوة دُحرت في معركة عُرفت باسم معركة غينيغيت الثانية (Second Battle of Guinegate) نسبة إلى موقع معسكر الملك هنري الثامن، أو كما اشتهرت في إنكلترا باسم معركة الركاب (Battle of the Spurs)، إشارة إلى سرعة انسحاب سلاح الفرسان الفرنسي من أرض المعركة[٢٥].

إثر ذلك، وجه الملك هنري الثامن قادته العسكريين في ١٤ آب ١٥١٣م من مقر أقامته في المعسكر الملكي قرب مدينة ثيروان، بإعادة تنظيم المعسكر الملكي ومنع أي اضطراب أو تجاوز أو

اعتداء داخله، وحظر السرقة, والعنف, وإزعاج السكان, وأمرهم بالحفاظ على النظام والانضباط, وتوعد المخالفين بالعقوبات العسكرية الشديدة[٢٦].

ثم سرعان ما استسلمت مدينة ثيروان, بعد تدمير معظم مبانيها. ووفقًا لتقارير سفير ميلانو الذي كان يرافق الإمبراطور، فقد كتب إلى الأمبراطور مكسمليان في ٤ أيلول قائلًا: "**استمر الإمبراطور والملك في هدم أسوار مدينة ثيروان حتى هذا اليوم، وبعد ذلك سيتم حرقها، ولم يتبقَّ منها سوى الكاتدرائية وعدد من البيوت المحيطة بها**"[٢٧].

نشب خلاف حول الجيوش الغازية، فقد كان الملك هنري الثامن يفضّل التوجّه نحو بولوني الواقعة شمال فرنسا واحتلالها، وهو خيار متناقض المخاطر نسبيًا، وإذا تحقق فسيعني توسعًا في الأراضي الخاضعة للسيطرة الإنكليزية. أما مكسمليان فجادل بأنه إذا كان الملك هنري الثامن يرغب في تحقيق المجد ونيل تاج فرنسا، فلا ينبغي له تضييع الوقت في مثل هذا الهدف المحدود. وتم الاتفاق على أن تتجه الحملة شرقًا لحصار مدينة تورناي (Tournai)، وهي إقليم فرنسي. وعُرفت تلك المدينة بأنها مزدحمة جدًا وغنية، كما أن أسقفها يترأس أبرشية تمتد على معظم منطقة الفلاندرز[٢٨].

بعد زيارته لمدينة ليل (Lille) الفرنسية، استُقبل الملك هنري الثامن استقبالًا حافلًا من لدن نبلاء وتجار الفلاندرز، كذلك استقبلته مارغريت النمساوية (Margaret of Austria)[٢٩] التي كانت تقيم هناك أيضًا، وقد احتفل بالنصر في مأدبة فاخرة، ثم عاد بعدها إلى جيشه خارج تورناي. وهناك تلقى أول خبر عن النصر الإنكليزي على الاسكتلنديين في معركة فلودن فيلد (Battle of Flodden Field)[٣٠]، التي وقعت في ٩ أيلول ١٥١٣م. وفي ١٦ من الشهر نفسه كتب الملك هنري الثامن إلى دوق ميلانو أن جيمس الرابع، الذي انضم إلى فرنسا متناسيًا روابط الدم والمعاهدة الرسمية، قد هُزم، وأضاف في ملحق رسالته أنه تلقى تأكيدًا موثوقًا بأن ملك الاسكتلنديين نفسه قد قُتل في المعركة[٣١].

كانت المعركة شرسة، وقد أُعطيت أوامر من قبل الملكة كاثرين اراغون بصفتها وصيّة على العرش، وإيرل سَري توماس هوارد بوصفه القائد الميداني، باطلاق سراح الأسرى. وقد أرسل سَري تفاصيل المعركة إلى الملكة كاثرين، ومن ثم أرسلت الملك هنري الثامن[٣٢].

كان كل شيء يسير لصالح الملك هنري الثامن، إذ كان الطقس معتدلًا، ولم يظهر أي وباء، وتم توفير الإمدادات بكثرة، ووفى الإمبراطور بالتزاماته. وبعد أيام من الحصار، تفاوض المدافعون عن تورناي على شروط الاستسلام، إذ وافقوا على تعويض مالي لتغطية نفقات الحملة الإنكليزية، كما وافق الإمبراطور على أن تبقى المدينة تحت السيطرة الإنكليزية ويتنازل الفرنسيين عن أي مطالب بها. دخل الملك هنري الثامن المدينة في موكب انتصار، وتلقى الولاء من سكانها، وبقي فيها أكثر من أسبوعين[٣٣].

قرر الملك هنري الثامن, بعد ذلك, العودة إلى إنكلترا في أواخر تشرين الأول، وتوجّه إلى قصر ريتشموند ليعرض مفاتيح المدن التي تم الاستيلاء عليها أمام كاثرين، محققًا بذلك شرف النصر الذي طالما سعى إليه، وبذلك أثبت أن إنكلترا قادرة على الشؤون القارية، الأمر الذي عزّز مكانته ونفوذه[٣٤].

وفي تلك الأثناء وجه الملك هنري الثامن في ٢٨ كانون الثاني ١٥١٣م قادته ورعاياه للتهيؤ لغزو فرنسي محتمل، إذ اعلن أنه بسبب الخطر الوشيك لغزو محتمل من قبل أعداء المملكة، يأمرهم أن تُستعرض القوات المسلحة وأن يُفحص الرجال القادرون على حمل السلاح، وأن يكونوا على أهبة الاستعداد للدفاع عن المملكة عند أول نداء[٣٥]. كما كافأ العديد من المشاركين بمنحهم ألقاب الفروسية، فتم في أوائل عام ١٥١٤م ترقية توماس هوارد، إيرل سَري، إلى دوق نورفولك (Duke of Norfolk)، وتشارلز براندون (Charles Brandon) إلى دوق سوفولك (Duke of Suffolk)، وعُيّن توماس وولسي أسقفًا على لنكولن[٣٦].

في ظل ما تقدم، يبرز تساؤل ملح, ماذا جنى الملك هنري الثامن من الحملة على غاسكوني وتورناي، وبأي كلفة كانت؟ فعلى الرغم من الاستيلاء على المدينتين، إلا أن واحدة لحق بها دمار كبير، وهي مدينة غاسكوني، والثانية تورناي تطلّبت حماية مكلفة وتحسينات باهظة في تحصينها. وقد كلفت انكلترا هذه الحرب مبالغ طائلة.

ويؤكد ما ذهبنا اليه وصف توماس كرومويل (Thomas Cromwell)[٣٧] المدينتين في البرلمان بأنهما "**جحور كلاب لا نفع فيها**". وقد عيّن ولسي أسقفًا على تورناي، لكنه لم يتمكن من تحصيل العائدات المستحقة له. لم تكن تلك غنائم تُذكر لحملة كلفت الكثير، فقد شملت النفقات رواتب الجنود ونقلهم ومؤنهم وذخائرهم. وفي أقل من خمس سنوات على العرش، كان الملك هنري الثامن قد أنفق على الحرب معظم الثروة التي جمعها والده خلال العقدين السابقين، ومع ذلك ظلّت أوروبا ترى فيه ملكًا غنيًا[٣٨].

ومن الجدير بالذكر أن البابا يوليوس الثاني قد توفي في آذار من العام ١٥١٣م، وانتُخب بابا جديد هو جيوفاني دي لورينزو ميديتشي (Giovanni di Lorenzo de' Medici)، المعروف بأسم البابا ليو العاشر (Leo X)[٣٩]. والأخير اتخذ نهجًا مختلفًا، فقد نقض سياسة سلفه واتجه نحو فرنسا، ودعا إلى السلام بين الأمم المسيحية. وأعلن أنه لا علم له بوعد سلفه بدعم مطالب الملك هنري الثامن بالعرش الفرنسي، ونزع لقب ملك المسيحيين الأعظم من لويس الثاني عشر ومنحه لهنري الثامن بدلًا منه. إن ليو العاشر لم يكن يرغب بوجود قوة أجنبية مهيمنة في إيطاليا وكان أكثر ميلًا للسلام من سلفه[٤٠].

كان الملك هنري الثامن لا يزال يخطط لتجديد الحرب ضد فرنسا عام ١٥١٤م، متوقعًا أن يفي فرديناند ومكسيميليان بوعودهما في دعمه، وكانت الاستعدادات جارية على قدم وساق. وبحلول آذار، بدأ

السفراء الأجانب يرفعون تقاريرهم متوقعين غزوًا صيفيًا، غير أن الملك هنري الثامن سمع في الشهر ذاته أن الهدنة التي أبرمها الملك فرديناند مع لويس الثاني عشر في العام السابق (هدنة مؤقتة) قد تم تمديدها، فاستشاط غضبًا، معتبرًا فرديناند قد خانه في اللحظة التي أصبحت فيها فرنسا تحت رحمته. والانكى من ذلك، اتضح أن الإمبراطور مكسيميليان هو الآخر قد وافق على تلك الهدنة، بل والتزم بمحاولة إقناع الملك هنري الثامن بقبولها. وقد كتب إلى مارغريت النمساوية برسالة حادة يشكو فيها أنه لم تُؤخذ مشورته، وأنه لا يمكن أن يشارك في مثل هذا الاتفاق(٤١).

أدّى غضب الملك هنري الثامن من حلفائه إلى انقلاب سريع في السياسة، فبادر الاخير بالتحرك. وفي مقابل ذلك، أشار السفير الفينيسي في فرنسا إلى بوادر صلح فرنسي – إنكليزي ، وكان البابا ليو العاشر بدوره يستخدم القنوات الدبلوماسية لتشجيع تلك الخطوة. وقد كُلّف كل من ولسي وفوكس دوق نورفولك بإتمام شروط الاتفاق مع فرنسا، ونجحوا في الحصول على عدة تنازلات. فقد كان الملك لويس الثاني عشر يرغب في السلام، خاصة بعد الهزيمة الكبرى التي مُني بها في معركة نافارا عام ١٥١٣م، والتي أسفرت عن خسارته ميلانو وطرده من إيطاليا. وكان ينوي استعادة تلك الأراضي، لذا لم يكن راغبًا في فتح جبهة جديدة ضد إنكلترا، بل كان يأمل أن يدعمه الملك هنري الثامن في طموحاته الإيطالية(٤٢).

وُقّعت شروط الاتفاق في السابع من آب ١٥١٤م واتخذت شكل هدنة موسعة، وفي العاشر من الشهر نفسه أصدر الملك هنري الثامن مرسومًا الى جميع رعاياه يعلن فيه أنه تم الاتفاق على هدنة وسلام مؤقت مع مملكة فرنسا، ويأمرهم بالكف عن أي أعمال عدائية، واحترام الاتفاق والتعامل وفق ما تقتضيه الشروط, وتوعد المخالفين تنفيذ أقصى العقوبات. وقد زِيدت الرواتب السنوية التي كانت فرنسا تدفعها للملك هنري الثامن مقابل تراجعه عن مطالبه بالعرش الفرنسي. وبقيت مدينة تورناي في يد الإنكليز، على الرغم من أن الملك لويس الثاني عشر كان يرغب في استعادتها. ووصلت علاقات الملك هنري الثامن بكل من الملك فرديناند والامبراطور مكسيميليان إلى حالة من الفتور عام ١٥١٤م. وكان الإمبراطور متجاهلًا مسؤوليته عن تدهور العلاقات، واتهم الملك هنري الثامن بالسلوك غير اللائق، مدعيًا أن النجاحات التي حققها الأخير لم تكن ممكنة بدون مساعدته(٤٣).

وُعد هذا التحول في السياسة الخارجية، في بعض الأحيان، دليلًا على بروز دور ولسي في رسم سياسة الملك هنري الثامن الخارجية، إذ كان ولسي يسعى إلى بروز الأخير في مجال السياسة الأوروبية، وكان على استعداد لفعل ذلك بأي وسيلة متاحة، وفي نهج انتهازي يتسم بالمرونة أمام تقلب المشهد الدولي. وفي نهاية عام ١٥١٤م لم يكن أمام إنكلترا سوى القليل من الخيارات، ولم يكن من الواقعي الاستمرار في الحرب ضد فرنسا، فحلفاؤها تخلّوا عنها، ولم تعد الثقة قائمة معهم، فضلًا عن أن خزائن

الدولة كانت شبه فارغة ولا تتحمل حملة حربية مكلفة. وعليه، قدّم وولسي اتفاق السلام مع فرنسا، ففي النهاية كان الملك هنري الثامن قد حقق جزءًا مما أراده على المدى القصير، ويمكن تصدير السلام وكأنه نصر سياسي[٤٤].

المحور الثاني: موقف الملك هنري الثامن من التحولات السياسية في أوروبا (١٥١٥–١٥١٧):

إنّ السلام الذي حصلت عليه إنكلترا بعد اتفاق السلام عام ١٥١٤م مع فرنسا، أصبح هشّاً بوفاة الملك الفرنسي لويس الثاني عشر عام ١٥١٥م, وتتويج ابن عمّه الشاب فرانسيس الأول (Francis I)[٤٥]، المعروف بعدائه لإنكلترا، على عرش فرنسا, الذي كان يملك نفس الحماسة الحربية نحو التوسع, ونيل المجد والهيبة التي عند الملك هنري الثامن[٤٦].

مع ذلك، سرعان ما جدد اتفاق السلام بين إنكلترا فرنسا، ففي ١٦ نيسان ١٥١٥م, أصدر الملك هنري الثامن مرسوماً أعلن فيه أنه تم عقد معاهدة سلام وصداقة دائمة مع مملكة فرنسا, وأمر جميع رعاياه بالالتزام بهذا السلام والامتناع عن أي أعمال عدائية أو مخالفة لشروط المعاهدة[٤٧].

طالب الملك الفرنسي في الأشهر الأولى من توليه الحكم بعودة تورناي إلى فرنسا، وفتح ميلانو وانتزاعها من الإمبراطور مكسيميليان، وطرد الإسبان من مملكة نافارا. وعلى الرغم من مطالبته بتورناي، إلا أنه لم يشن حربًا على إنكلترا بسبب توجه أنظاره إلى شبه الجزيرة الإيطالية، إذ أرسل جيشه إلى دوقية ميلان، وتحجّج حينها بأن له حقوقًا موروثةً فيها، فضلًا عن تحالفه مع البندقية لكي يؤمّن طريقه إلى ميلان. فوقف ضد مطالبه الإمبراطورية الرومانية المقدسة، والبابوية، وإسبانيا، وعلى الرغم من التحالف ضده، إلا أنه أصرّ على هدفه، وقاد جيشه واستولى على ميلان بعد انتصاره في معركة مارينيانو (Marignano)[٤٨] في الثالث من أيلول عام ١٥١٥م[٤٩].

اتبع الملك هنري الثامن ومستشاره ولسي سياسةً تقوم على المراقبة وعدم التدخل وعدم الانخراط في الحروب، وأشار ولسي إلى الملك بالمحافظة على ما حققته المملكة من مكاسب في عام ١٥١٤م, فتقبّل الملك النصيحة من مستشاره، ويعود سبب موافقة الملك إلى خيانة حلفائه له, ملك إسبانيا والإمبراطور, بعقدهم معاهدات الصلح مع فرنسا دون علمه أثناء حربه مع فرنسا، لذلك لم يرغب بدخول حرب لا يجني منها سوى استنزاف ما تبقى من أموال خزانة بلاده[٥٠].

أسفرت الانتصارات التي حققها الملك فرانسيس الأول نتائج مهمةً لفرنسا، لكنها كانت خطرة على أوروبا، وذلك حسب شعور مستشار الملك هنري الثامن، ولسي، بالاختلال في توازن القوة، إذ تفوقت فرنسا بعقدها معاهدات عدة في أوروبا سنة ١٥١٦م؛ فتصالح الملك الفرنسي مع البابا ليو العاشر، الذي منح ملوك فرنسا الحق بتعيين رجال الدين في المناصب الكنسية في فرنسا، وكذلك عُقدت معاهدة مع الإمبراطور مكسيميليان الأول، فسمح لفرنسا بالاحتفاظ بميلان وجنوى، وعُقدت معاهدة مع وارث عرش

إسبانيا الملك شارل الخامس (Charles V)[٥١]، ووعده بأن يزوجه أميرة فرنسية. وبوفاة ملك إسبانيا فرديناند وتولي العرش حفيده شارل، أقلق هذا الأمر الكاردينال (Cardinal)[٥٢] ولسي، فدخلت سياسته مرحلةً جديدة، صمّم فيها على مواجهة الوضع الجديد؛ فالملك شارل سيطر على إسبانيا وصقلية ونابولي، وبذلك أصبح خصمًا قويًا لإنكلترا[٥٣].

أقلق تفوق فرنسا المستشار ولسي، الذي يسعى نحو القوة والمجد، إذ عمل بالخفاء وبموافقة الملك هنري الثامن على التحالف الجديد مع الإمبراطور مكسيميليان، والتقرب بقصد غزو فرنسا بدعم من إنكلترا، لكن الملك فرانسيس الأول كان أكثر دهاءً وذكاءً بما يكفي لجعل الملوك يلتزمون بنصوص المعاهدات عن طريق منحهم الأموال، وذلك من خلال إعطاء (٦٠,٠٠٠) فلورين (Florin)[٥٤] للإمبراطور لكي يلتزم بالمعاهدتين مع فرنسا، وأعطى (٢٠,٠٠٠) فلورين للبندقية للاستسلام في فيرونا (Verona)، حتى إن ولسي قال: "**ما مدى سرعة تعامله مع الطفرات المفاجئة**". إلا أن تلك العوائق لم تثنِه عن هدفه بإخراج إنكلترا من عزلتها، وإعادة هيبة ملكه على مستوى السياسة الخارجية، وجعله في قلب الأحداث الدائرة، ولكن دون شن حملة حربية تكلف الخزانة وترهق الشعب، فانتظر فرصةً لاغتنامها[٥٥].

المحور الثالث: معاهدة لندن عام (١٥١٨م):

كانت إنكلترا معزولةً دبلوماسيًا، لا سيما بعد توقيع تحالفٍ دفاعيّ بين فرانسيس, ومكسيميليان, وشارل, في آذار ١٥١٧م. ولم يكن من الممكن أن يحقق ولسي النجاحَ للملك هنري الثامن من خلال الحرب ضد فرنسا، لذا من المنطقي التوصل إلى تفاهمٍ مع فرانسيس؛ فالمكاسب التي حققها الأخير في إيطاليا لم تكن تثير قلقًا كبيرًا لانكلترا. وقد أعاد البابا ليو إحياء خطته التي تدعو إلى هدنة لمدة خمس سنوات بين الدول المسيحية في أوروبا، من أجل شن حملة صليبية ضد الأتراك العثمانيين، قائلًا: "**لقد آن الأوان لأن نصحو من غفلتنا، وإلا فسنُباغَت، وتسفك سيوفهم دماءنا**"[٥٦].

كان السلطان سليم الأول (Selim I)[٥٧] قد حقق انتصاراتٍ في مصر وسوريا، مستوليًا على فلسطين، وكان العثمانيون قد استولوا على القسطنطينية (Constantinople)[٥٨] في عام ١٤٥٢م، وضمّوا أجزاءً كبيرةً من البلقان، وأصبح بإمكانهم تشكيل تهديدٍ حقيقيّ لاوروبا. وفي آذار ١٥١٨م أعلن البابا عن خطته التي تضمنت تسويةَ النزاعات القائمة بين القوى الأوروبية، فأرسل مبعوثين إلى مختلف أنحاء أوروبا للحصول على الموافقة عليها. رفضت إنكلترا دخول الكاردينال كامبيجيو (Cardinal Campeggio)[٥٩]، المندوب الباباوي، إلى أراضيها، حتى يمنح البابا ولسي صلاحياتٍ مساويةً لتلك التي يتمتع بها كامبيجيو، لا سيما بعد أن نال لقب المندوب الباباوي، لدعوة فرنسا وملوك أوروبا باسم الملك هنري الثامن لتوقيع معاهدة سلامٍ دائمٍ في أوروبا[٦٠].

نالت انكلترا مرادها، فعقدت معاهدة عرفت باسم معاهدة لندن (Treaty of London) بعد توقيع فرنسا عليها في تشرين الأول ١٥١٨م, ونصّت على إعادة مدينة تورناي إلى فرنسا مقابل دفع مبلغٍ سنويّ قدره (٥٠٠٠) جنيه إسترليني، واستمرار دفع المعاش السنوي الذي تتقاضاه إنكلترا من فرنسا بقيمة (١٠,٠٠٠) جنيه. وتعاقب على توقيعها مبعوث الإمبراطورية الرومانية، ومبعوث شارل الأول ملك إسبانيا، وكذلك وقّع كامبيجيو باسم البابا ليو العاشر، ومن ثم وقّع عليها نحو (٢٤) سفيرًا من الدول الأوروبية في لندن. فتوسعت بنودها التي تضمنت وجوب إلزام جميع الأمراء تأجيل خلافاتهم المتبادلة، والدفاع عن الكنيسة المقدسة والدين المسيحي، وعلى جميع الأعضاء أن يكونوا أصدقاء لأصدقاء الآخرين وأعداء لأعدائهم، وتعهدوا بتجنب الحروب، وعدم استئجار قواتٍ أجنبية، أو تقديم الحماية للمتمردين، والتصرف بسرعة ضد أيّ شيء يخرق الاتفاق، مع الالتزام بالدفاع عن أوروبا ضد التهديد العثماني[٦١].

نال الملك هنري الثامن وولسي المديح باعتبارهما صانعي السلام في أوروبا، فقد كان تحقيق السلام لقارةٍ أرهقتها الحروب بمثابة مكسبٍ يعادل النصر العسكري، لا سيما من قبل الكتّاب الإنسانيين أمثال جون كوليت (John Colet)[٦٢] وإيرازموس (Erasmus)[٦٣] وتوماس مور (Thomas More)[٦٤].

يبدو جلياً مما سبق ان معاهدة لندن لم تكن خطوة عشوائية، بل جاءت نتيجة مبادرة منظمة ومدروسة، تضمنت اتفاقياتٍ مفصّلة كدليلٍ على الضرورة الحتمية في مواجهة الخطر الاسلامي القادم من الشرق. وقد تجلّت أهميتها في تعزيز أواصر التوافق والود بين إنكلترا وفرنسا، وهو منعكسٌ بوضوح في استمرارية التبادل بين سفارتي البلدين. وان دلّ ذلك على شيء فهو يقيناً يدل على حنكة الملك هنري الثامن ودهاء مستشاره ولسي، اللذان استقرءا الموقف قراءة دقيقة وحكيمة, تمكنا من خلاله تحقيق نصر دبلوماسي جديد يضاف الى النصر العسكري.

المحور الرابع: ميدان القماش الذهبي (١٥٢٠م):

أدّت وفاة الإمبراطور مكسيميليان في كانون الثاني عام ١٥١٩م إلى تحولات جديدة في مسار السياسة الأوروبية. إذ سبق لمكسيميليان أن قدّم عرضًا للتنازل عن العرش لصالح الملك هنري الثامن، إلا أن ذلك العرض قوبل بتردد من جانب الملك، معتبرًا أن العرض يتجاوز الآثار التقليدية لانتقال السلطة. وقد عبّر الملك هنري الثامن بوضوح عن تخوفه من أن يكون ذلك العرض مجرد خطوة أولى تهدف في النهاية للحصول على بعض الأموال. وعقب وفاة مكسيميليان، جدّد الملك هنري الثامن طموحه السياسي، فأرسل الدبلوماسي المتمكن ريتشارد بايتس (Richard Bates) في مهمة إلى ألمانيا لاستطلاع موقف الناخبون الألمان[٦٥]، غير أن تلك المهمة لم تحقق نتائج ملموسة، إذ لم يبدِ الناخبون استعدادهم لدعم

مطالبه التي تمثلت: اولآ بالاستقلال التام كملك لإنكلترا، أي أنها لا تكون تابعة للإمبراطورية الرومانية، وثانيا عدم مشاركة إنكلترا بدفع الضرائب أو المساهمة في أموال الإمبراطورية الرومانية(٦٦).

كان هناك مرشحان آخران، الأول الملك الفرنسي فرانسيس الأول، الذي رغب بتعزيز لقبه "**أكثر الملوك مسيحية**" بالحصول على التاج الإمبراطوري، مما سيجعله الحاكم الأبرز في أوروبا، والثاني شارل الخامس، الذي ورث سيادة إمبراطورية واسعة تضم أراضي أوروبية، وعُرف بالحكمة والاتزان. ومن جانبه رأى الملك هنري الثامن أن هذا الترشيح سيضعه في مصاف الملوك الاقوياء، وفي الوقت نفسه لم يكن يرغب برؤية أي من فرانسيس او شارل شغل المنصب الامبراطوري(٦٧).

ظنّ الملك فرانسو أن البابا ليو العاشر قد يدعمه، لكن، كما كتب الدبلوماسي فرانشيسكو غوتيتشارديني (Francesco Guicciardini)، "**إن الملك الفرنسي كان يخدع نفسه كل يوم أكثر من اليوم الذي سبقه، إذ لم يكن البابا يرغب على الإطلاق برؤية النفوذ الفرنسي يتمدد أكثر داخل إيطاليا**". أما شارل الخامس، فقد أدار حملته ممثلوه في ألمانيا والأراضي المنخفضة، وقد ركزت دعايته على فكرة أن انتخاب إمبراطور غير ألماني مثل فرانسو أو الملك هنري الثامن يُعد خروجًا عن الأعراف والتقاليد، ولن تتقبله غالبية حكام الإمبراطورية. وقد رُوّج لنفسه باعتباره المرشح الوطني، وشددت حملته على أنه الوحيد الذي يملك الموارد الكافية لحماية الإمبراطورية من الغزو العثماني. وكان العامل الحاسم في تلك الانتخابات المال، إذ لم يكن لدى أي من المرشحين ما يكفي من السيولة، غير أن شارل استطاع الحصول على قروض كبيرة من بيوت المال الألمانية، ولا سيما من عائلة فيغر (Fugger) وويلسر (Welser) من مدينة أوغسبورغ (Augsburg)، وقد أنفق شارل نحو (٨٣,٥٠٠) فلورين على حملته الانتخابية(٦٨).

اجتمع الناخبون في فرانكفورت في ٢٨ حزيران ١٥١٩م, ونتج عن ذلك التصويت لصالح شارل الخامس. هذا الفوز كان له أثر مهم على السياسة الأوروبية، فرغم أن الملك هنري الثامن وفرانسيس هنّئا شارل رسميًا، إلا أن الحقيقة كانت أن مستوى التنافس بين الملوك الثلاثة ازداد حدّة. وقد لخّص السفير الفينيسي لدى فرنسا، أنطونيو جوستينيان (Antonio Giustinian)، الموقف بأن "**هؤلاء الملوك لم يكونوا في سلام، بل حاولوا التكيف مع الظروف، لكنهم كرهوا بعضهم بصدق**"(٦٩).

إن العداء بين شارل وفرانسيس كان يعني أن كليهما سيحرص على كسب دعم إنكلترا. وهنا يبرز التساؤل: من الذي ينبغي دعمه؟ كان بإمكان الملك هنري الثامن أن يساوم على تقديم دعمه مقابل تنازلات تتعلق بأولويات السياسة الخارجية لإنكلترا، عارضًا دعمه لمن يقدم العرض الأعلى. ومن ناحية أخرى، كان هناك مسألة توازن القوة، فطالما لم تكن الكفة مرجحة لأي من الطرفين، فإن موقع إنكلترا كان قويًا. أما إذا اختلّ التوازن، فإن الطرف الأضعف كان من المرجح أن يقدم عروضًا أكبر للحصول على

الدعم الإنكليزي، غير أن دعم الطرف الأضعف كان يحمل خطر زعزعته، مما قد يضع مسألة يجب أخذها بالاعتبار. فموقع إنكلترا الجزري في الحافة الشمالية الغربية من أوروبا، مع احتفاظها بقاعدة في كاليه، جعل من الممكن شن غزو ضد فرنسا، أما غزو أراضي شارل البعيدة في إسبانيا أو الإمبراطورية فكان يفوق قدرات الملك هنري الثامن. إن الصلح مع الأراضي المنخفضة القريبة كان من شأنه أن يضر بتجارة البلاد، وبالتالي يلقى معارضة شعبية داخلية، لذا فإن السياسة الخارجية كانت تتطلب معالجة دقيقة ومحسوبة[٧٠].

كان شارل يدرك أن أي تفاهم بين هنري وفرانسيس سيكون على حسابه، لذلك عقد اتفاقية مع الملك هنري الثامن تنص على أن شارل سيتوقف في إنكلترا في طريقه إلى الأراضي المنخفضة، ويتم استقباله من قبل الملك هنري الثامن وزوجته كاثرين الأَرغوانية، التي كانت لها رغبة شديدة لرؤية ابن أختها. ويسافر الجميع معًا إلى كانتربري لإقامة قصيرة هناك. وكذلك كان من شروط اللقاء أن يكون الطرفان من دون سلاح، باستثناء الحراس المعتادين لكل من الملكين، مع عدد متساوٍ من المرافقين لكل منهما، على أن يرسل شارل خمس سفن مسلحة جيدًا تقوم بدوريات بين إسبانيا وساوثهامبتون (Southampton)، ويقوم الملك هنري الثامن بالمثل بسفن تقوم بدوريات بين ساوثهامبتون وفلاندرز، لحماية التجارة من هجمات القراصنة والأعداء[٧١]. بمعنى أدق، سيؤمن الملك هنري الثامن كافة مياهه الأقليمة المطلة على أوروبا من أي تدخل أجنبي.

استقبل الكاردينال ولسي شارل الخامس في دوفر (Dover)، والتقى الملكان في كانتربري، ولَقِيا ترحيبًا من سكان المدينة، وزارا ضريح القديس توماس بِكِت (Saint Thomas Becket)[٧٢]، واحتفلوا بعيد العنصرة (Pentecost)[٧٣]، وبعدها أُتيح للملكة كاثرين أن تلتقي بابن أختها في قصر رئيس الأساقفة. وعلى الرغم من ذلك فأن شارل لم يكن من هواة الاحتفالات، ومع ذلك حرص على إرضاء مُرحِّبيه، فقد كان يرغب بإقامة التحالف مع الملك هنري الثامن، أو على الأقل منع توقيع معاهدة إنكليزية–فرنسية[٧٤].

أعدّ ولسي وثيقة رسمية لتنظيم لقاء بين الملك هنري الثامن وفرانسو، وقد سيقت تلك الوثيقة مع مراعاة دقيقة لضمان المساواة في شرف وكرامة الملكين، كما تم التأكيد بشكل مُلحّ على المساواة في مزاياهما الشخصية، إذ إن الأمراء في إنكلترا وفرنسا متساوون في القوة الجسدية، وماهرون في فنون الحرب[٧٥].

بدأت أحداث اللقاء في حزيران ١٥٢٠م، وكان اللقاء بين قلعة غينس (Guînes) الإنكليزية وقلعة أردرس (Ardres) الفرنسية، إذ بدأ مفوضو هنري بالمتابعة على إنشاء القصر المؤقت المصنوع من الجدران الحجرية والأخشاب المؤطَّدة، مع نوافذ زجاجية وأسقف من القماش المذهب، لذلك سُمّي بـ ميدان

القماش الذهبي (Field of the Cloth of Gold). واستغرقت ترتيباته أكثر من أربعة أشهر. أعداد الحضور كانت هائلة، إذ إن كل ملك اصطحب حاشية من نحو (٦٠٠٠) شخص من أعلى النبلاء والقادة الدينيين. واستمرت مراسم ميدان القماش الذهبي لما يقارب الأسبوعين، تبادل الملكان الهدايا، وكانت المبارزات القلب النابض للحدث، واختُتمت الفعاليات الاستعراضية بقداس عظيم وتبادل الملكين هدايا مثل الخيول الفاخرة. وكانت الهدايا مخططًا لها بعناية، لأن ذلك كان وحده كفيلًا بضمان مبدأ المعاملة بالمثل والمساواة(٧٦).

عقب اختتام لقاء ميدان القماش الذهبي مباشرة، توجه الملك هنري الثامن للقاء شارل الخاص في غرافلين (Gravelines)، وكان هذا الموقع أقصى نقطة غربية من أراضي شارل الإمبراطورية، ويقع على مسافة تعادل تقريبًا ضعف المسافة بين كاليه وغين. وكان ذلك اللقاء أكثر طابعًا عمليًا من اللقاء السابق، وأصغر حجمًا، إذ بلغ حجم حاشية الملك هنري الثامن نحو ربع حجمها في غين. وكان الهدف من هذا اللقاء طمأنة الملك شارل أن مصالحه لم تتضرر جراء الميدان(٧٧).

لعلنا لا نجانب الحقيقة في القول بانّ تلك اللقاءات، وأبرزها لقاء الميدان الذهبي، وما تلاه من لقاءات ملكية أخرى، لم تكن مجرد مناسبات احتفالية، بل كانت أدوات دبلوماسية قائمة بذاتها، استُخدمت فيها العمارة المؤقتة، والملابس، والآنية، والجواهر، والطقوس، بوصفها لغة سياسية متكاملة. وقد أتقن الملك هنري الثامن، بمساعدة ولسي، استخدام تلك اللغة إلى أقصى حدودها، فجعل من البلاط الإنكليزي مسرحًا للقوة والهيبة على المستوى الأوروبي. غير أن تلك اللقاءات نفسها كانت محفوفة بالمخاطر، إذ إن الإفراط في العرض قد يثير الغيرة والشك بقدر ما يثير الإعجاب، فضلًا عن الأعباء المالية. ويمكن القول إن لقاء ميدان القماش الذهبي ظل المثال الأبرز على التوتر بين الطموح السياسي والرغبة في السلام والسعي إلى المجد.

الخاتمة:

توصلت الدراسة الى أن سياسة انكلترا الخارجية في عهد هنري الثامن خلال الفترة ١٥١١–١٥٢٠ اتسمت بالتوازن بين الطموحات العسكرية والدبلوماسية. فقد شهدت المرحلة الأولى مشاركة إنكلترا الفاعلة في الحروب الإيطالية (١٥١١–١٥١٥)، ثم تحول الملك هنري الثامن لمواجهة التحولات السياسية في أوروبا (١٥١٥–١٥١٧) بما يضمن مصالح بلاده. كما أبرزت معاهدة لندن ١٥١٨ دور انكلترا كوسيط في تحقيق التوازن والسلام بين القوى الأوروبية، في حين مثل لقاء ميدان القماش الذهبي ١٥٢٠ عرضًا للدبلوماسية والهيبة الملكية. وبذلك، توضح الدراسة أن السياسة الخارجية لهنري الثامن جمعت بين السعي للمجد العسكري والمرونة الدبلوماسية للحفاظ على مكانة انكلترا بين الدول الأوروبية الكبرى.

الهوامش:

(١) البابا يوليوس الثاني (١٤٤٣–١٥١٣): أحد أبرز بابوات عصر النهضة، تولّى الكرسي البابوي بين عامي ١٥٠٣ و١٥١٣، وتميّزت حبريته بطابعها السياسي والعسكري أكثر من الطابع الروحي. سعى إلى تعزيز السلطة البابوية وتوطيد نفوذها في إيطاليا من خلال الحملات الحربية والتحالفات الدولية، مستعيداً أراضي عدة، وأخضع مدن كبرى مثل بولونيا وبيروجيا للسيادة البابوية، وخاض صراعات مباشرة مع البندقية وفرنسا في إطار عصبة كامبراي ثم الحروب الإيطالية اللاحقة. وإلى جانب نشاطه العسكري، كان راعيًا مهمًا للنهضة الفنية والفكرية، إذ أطلق مشروع إعادة بناء كاتدرائية القديس بطرس في روما وفق تصميم برامانتي، واحتضن فنانين كبارًا مثل ميكيلانجلو ورافائيل، مما جعل حبريته مرحلة مفصلية في تاريخ الفن والعمارة الأوروبية. ينظر:

William A. Colledge And Other, The New Standard Encyclopedia, Vol.VI, The University Society, New York, 1904, P.607; Encyclopedia Americana, Vol.11, New York 1978, P.278.

(2) *Richard Heath, Op. Cit., P.21.*

(3) *Charles Knight, Op. Cit., P.42.*

(٤) كريستوفر باينبريج: وُلد في ويستمورلاند عام ١٤٦٢. تلقى تعليمه في الكنيسة، وبعد تخرجه أصبح رجل دين وتدرج في المناصب الكنسية بدعم من عمه الذي كان يحظى بنفوذ قوي في عهد الملك هنري السابع. ثم ذهب للدراسة في إيطاليا ونال الدكتوراه في القانون المدني في بولونيا عام ١٤٩٢. خدم ملكه في روما، وأصبح رئيس أساقفة دورهام عام ١٥٠٧، وترقى إلى منصب الكاردينال عام ١٥١١. استقر في روما، ووثّق علاقته بالبابا يوليوس الثاني الذي جعله في المرتبة الأولى من الكرادلة التسعة الجدد المعيّنين في رافينا عام ١٥١١، وجعله مندوبًا إلى الجيوش البابوية في البندقية. توفي عام ١٥١٤. للمزيد ينظر:

Dominic Aidan Bellenger and Stella Fletcher, Princes of the Church: A History of the English Cardinals, Sutton Publishing, London, PP.57-58.

(٥) لويس الثاني عشر: وُلد عام ١٤٦٢ في شاتو بلوا تورين في إقليم وانو شير (إقليم فرنسي)، وهو نجل شارل دوق أورليان وماري من كليف، من أسرة فالوا. تُوّج ملكًا على فرنسا عام ١٤٩٨، واتبع سياسة خارجية نشطة للغاية. توفي سنة ١٥١٥. للمزيد ينظر: *Encyclopaedia Britannica,Vol.1, P.1768.*

(6) *Richard Heath, Op. Cit., P.17.*

(٧) العصبة المقدسة: تحالف سياسي–عسكري أعلنه البابا يوليوس الثاني في ٥ تشرين الاول ١٥١١، وضمّ الكرسي الرسولي, والملك الاسباني فرديناند, وجمهورية البندقية، ثم انضمت إليه إنكلترا بقيادة الملك هنري الثامن والإمبراطور مكسيميليان. هدف الحلف إلى مواجهة النفوذ الفرنسي في إيطاليا، واستعادة بولونيا، وحماية مصالح الكنيسة الرومانية. ويُعدّ الحلف تجسيدًا لتقاطع الدوافع الدينية والسياسية في إطار صراع القوى الأوروبية على إيطاليا في مطلع القرن السادس عشر. للمزيد ينظر:

M. Creightov, A History Of The Papacy, Vol. IV, Longmans, Green, And Co, London, 1887, PP.137-139.

(8) *Richard Heath, Op. Cit., P.22.*

(٩) معاهدة ويستمنستر: هو اتفاق على تحالف عسكري عُقِد بين الملك هنري الثامن وفرديناند عام ١٥١١ ضد النفوذ الفرنسي، بهدف توحيد جهودهما في حرب ضد فرنسا ضمن إطار الحرب المقدسة في إيطاليا. ينظر:

J.J, Scarisbrick, Op. Cit., P.25.

(10) *Richard Heath, Op. Cit., P.37.*

(11) *Henry VIll's Early Foreign Policy, 1509-29, historytoday, : http://www.historytoday.com/jez-ross/henry-viiis-early-foreign-policy-1509-29*

(12) *Mark Hollinshead, The Reign of Henry VIII, 2nd ed (N.P, 2019), P.19.*

(١٣) الأراضي المنخفضة: هي منطقة تقع شمال غرب أوروبا، وتضم أساسًا ما يُعرف بهولندا وبلجيكا. سُميت بهذا الاسم لانخفاض مساحات واسعة منها عن مستوى سطح البحر. اكتسبت المنطقة أهمية سياسية واقتصادية خلال العصور الوسطى والعصر الحديث، وشهدت صراعات دينية وسياسية بارزة خلال القرن السادس عشر في سياق الحروب بين القوى الأوروبية الكبرى. للمزيد ينظر:

Geoffrey Parker, The Dutch Revolt, Penguin Books, London, 1990, PP.1-3.

(14) *David Potter, The Reign Of Henry Viii, Macmillan, London, 1995, PP.101-133.*

(15) *David Potter, Op. Cit., P.23.*

(١٦) مملكة نافارا: مملكة تاريخية تقع بين إسبانيا وفرنسا، تأسست منذ القرن التاسع الميلادي. احتفظت نافارا باستقلالها لمدة طويلة قبل أن تضم إسبانيا قسمها الجنوبي عام ١٥١٢، في حين بقي القسم الشمالي مرتبطًا بالتاج الفرنسي. ينظر: J.H. Elliott, Imperial Spain 1469-1716, London, 2002, P.58

(17) *David Potter, Op. Cit., P.27.*

(18) *Charles Knight, Op. Cit., P.29.*

(١٩) أتفاقية ميخلين: اتفاقية تحالف وقعها كل من البابا ليو العاشر، والإمبراطور ماكسيميليان الأول، والملك هنري الثامن، وفرديناند ملك إسبانيا في ٥ أبريل ١٥١٣، بهدف مواجهة التوسع الفرنسي في شمال إيطاليا. مثلت المعاهدة جزءًا من سياسة البابا الدبلوماسية لموازنة القوى الأوروبية، وتضمنت تنسيق الجهود العسكرية لدحر الفرنسيين، كما تجلى ذلك في هزيمتهم على يد الملك هنري الثامن في معركة الرمحين، وطردهم لاحقًا من إيطاليا بفضل تدخل السويسريين في نافارا. ينظر:

Arthur Henry Johnson,Europe In The Sixteenth Century 1494-1598, Ed.6, King Street, Covent Garden, London, 1914, P.76.

(20) *Ellen Labrecque, Op. Cit., P.49.*

(21) *Ibid, P.47.*

(22) *Richard Heath, Op. Cit., P.52.*

(23) *Peter Gwyn, Wolsey's Foreign Policy: The Conferences At Calais And Bruges Reconsidered, The Historical Journal 23, No.4, December 1980, PP.758-759.*

(24) *J. S. Brewer ,Letters And Papers, Foreign And Domestic, The Reign Of Henry Viii, Vol.IV, Part.I, Longman & Co., And Trübner, London, 1870, P.245.*

(25) *Mark Charles Fissel, English Warfare 1511-1642 (London, 2001), P.4.*

(26) *J. S. Brewer ,Letters And Papers, Foreign And Domestic, The Reign Of Henry Viii, Vol.IV, Part.I, Longman & Co., And Trübner, London, 1870, P.248.*

(27) *Quoted in: Richard Heath, Op. Cit., P.57.*

(28) *Ellen Labrecque, Op. Cit.,P.79*

(٢٩) مارغريت النمساوية (١٤٨٠-١٥٣٠): أميرة من أسرة هابسبورغ وابنة الإمبراطور ماكسيميليان الأول. تولت منصب الوصية على الأراضي المنخفضة في أوائل القرن السادس عشر باسم ابن أخيها الإمبراطور شارل الخامس. عُرفت بدورها البارز في

الإدارة والدبلوماسية الأوروبية، وأسهمت في ترسيخ نفوذ الهابسبورغ. كما كانت راعية مهمة للفنون والإنسانيات خلال عصر النهضة، وجعلت من بلاطها مركزاً ثقافياً مؤثراً. للمزيد ينظر:

Eichberger, Dagmar, "Margaret of Austria's portrait collection: female patronage in the light of dynastic ambitions and artistic quality." Journal of the Society for Renaissance Studies, Vol.10, No.2, 1996, PP. 259-269.

(٣٠) معركة فلودن: معركة كبرى وقعت في ٩ أيلول ١٥١٣ بين إنكلترا واسكتلندا. قاد الملك جيمس الرابع الجيش الإسكتلندي بنفسه، إلا أنه أُجبر على القتال في موقع غير مناسب إثر مناورة إنكليزية ناجحة بقيادة توماس هوارد. انتهت المعركة بهزيمة ساحقة لاسكتلندا ومقتل الملك جيمس الرابع مع عدد كبير من نبلائه. ينظر:

Innes Arthur D, England Under The Tudors, Blackmask Online, 2002, P.36.

(31) *George Goodwin, Fatal Rivalry: Flodden 1513 – Henry VIII, James IV and The Battle For Renaissance Britain, Penguin Books, London, 2013, P.82*

(32) *George Goodwin, Op. Cit., P.77.*

(33) *Holshid Mark, Henry VIII: Reign, 2nd ed, 2019, P.18.*

(34) *Ibid, P.12.*

(35) *Paul L. Hughes And James F. Larkin, Tudor Royal Proclamations, Vol.1, Yale University Press, (London, 1964)PP.104-105.*

(36) *Charles Cruikshank, Army Royal: Henry Viii, Invasion Of France 1513, Oxford University Press, (British,1969), P. 88.*

(٣٧) توماس كروميل (١٤٨٥–١٥٤٠): رجل دولة إنكليزي بارز، شغل منصب المستشار الأول للملك هنري الثامن خلال المدة (١٥٣٢–١٥٤٠م). اضطلع بدور محوري في إصدار "قانون السيادة" سنة ١٥٣٤م، الذي ترتب عليه انفصال الكنيسة الإنكليزية عن سلطة روما. كما أسهم في مصادرة ممتلكات الأديرة وضمّها إلى التاج عام ١٥٤٠م. وتركز نشاطه بصورة رئيسة على إعادة تنظيم الكنيسة الإنكليزية وفق المبادئ البروتستانتية، قبل أن يُتهم بالخيانة العظمى ويُعدم سنة ١٥٤٠م. ينظر: عزيزة فوال بابتي، موسوعة الأعلام العرب والمسلمين والعالميين، الجزء ٣، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت) ص ٤٢٥.

(38) *Richard Heath, Op. Cit., P.26.*

(٣٩) البابا ليو العاشر: وُلد في فلورنسا عام ١٤٧٥، واسمه جيوفاني دي ميديتشي. أصبح بابا بعد انتخابه عام ١٥١٣. تميزت ولايته البابوية بالحروب بين الدول الأوروبية، وعُرف بدهائه السياسي. ظهر في عهده مارتن لوثر في ألمانيا. توفي عام ١٥٢١. ينظر:

J. P. Lamberton And John Mcgovern, Six Thousand Years Of History, Vol.VII, E. R. Dumont, Publisher, Philadelphia, 1899, P.186.

(40) *Mark Hollingworth, The Reign of Henry VIII, 2nd ed, N.P, 2014, PP.12-15.*

(41) *Richard Heath, Op. Cit., P.9.*

(42) *Ibid, PP.11-23.*

(43) *J. S. Brewer ,Letters And Papers, Foreign And Domestic, The Reign Of Henry Viii, Vol.IV, Part.I, Longman & Co., And Trübner, London, 1870, P.234. ; Mark Hollingworth, Op. Cit., P.18. ; Richard Heath, Op. Cit., P.280.*

(44) *Peter Gwyn, Op. Cit., P.781.*

(٤٥) فرانسيس الأول (١٥١٥–١٥٤٧): هو من عائلة أورليان، خلف ابن عمه لويس الثاني عشر، وُلِد عام ١٤٩٤، وفي بداية عهده أراد استعادة هيبة فرنسا ومركزيتها في إيطاليا. تميزت المدة التي حكم فيها بحروبه الطويلة مع شارل الخامس. للمزيد ينظر: David Potter, Op. Cit., PP.32-35.

(46) *Susan Doran, England and Europe 1485-1603, second Edition Routledge, London and New york, 1986, p. 18.*

(47) *J. S. Brewer ,Letters And Papers, Foreign And Domestic, The Reign Of Henry Viii, Vol.IV, Part.I, Longman & Co., And Trübner, London, 1870, P.243.*

(٤٨) معركة مارينيانو: حشد فرانسيس الأول القوات الفرنسية، التي كان قوامها قرابة أربعين ألف مقاتل، مزودة بأحدث سلاح للمدفعية، واستطاعت عبور جبال الألب بسرعة أذهلت قوات الحلفاء. أوقع فرانسيس الأول هزيمة بالتحالف في موقعة مارينيانو, بالقرب من ميلان, في الثالث عشر من أيلول ١٥١٥. استمرت تلك المعركة لمدة يومين، ولم تشترك قوات ملك إسبانيا فرديناند في تلك المعركة الذي توفي في كانون الثاني ١٥١٦. أسفرت تلك المعركة عن عدة نتائج منها استيلاء فرنسا على ميلان. للمزيد ينظر: عبد العزيز محمد الشناوي، المصدر السابق، ص ٢٢٢–٢٢٣.

(٤٩) جنان كاظم صالح، توماس ولزي ودوره السياسي في إنكلترا (١٤٧٣–١٥٣٠)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٢٤، ص ٨٠.

(50) *Mandell Creighton, The life of Cardinal Wolsey, New York, 1903, P.31.*

(51) شارل الخامس (١٥٠٠–١٥٥٨): تولى العرش منذ عام ١٥١٦، ويُعد من أبرز حكام أوروبا، واتسعت في عهده رقعة النفوذ الإسباني، مما جعله طرفًا رئيسيًا في الصراعات السياسية والعسكرية مع فرنسا والدولة العثمانية. ينظر:

The New Encyclopaedia Britannica,Vol3.1, P.159.

(٥٢) الكاردينال: منصب ديني مهم يأتي في المرتبة الثانية في الأهمية بعد منصب البابا. يتم إعطاء هذا المنصب لرجال الدين من قبل البابا، ويصبح رجل الدين المنتخب أحد أعضاء مجلس الكرادلة في روما، ولهم الحق في انتخاب الباباوات. ينظر: زيد محمد حسين علي، توماس كروميل ومشروع حل الأديرة في إنكلترا ١٥٣١–١٥٤٠، مراجعة وتقديم: محمد مظفر الأدهمي، دار أمل الجديدة، سوريا، ٢٠٢٣، ص ٥٠.

(53) *Elliott, J. H. Imperial Spain, 1469-1716, Penguin Books, (London, 2002), P.112*

(٥٤) فلورين (Florin): عملة ذهبية ظهرت في فلورنسا الإيطالية عام ١٢٥٢، وسُمّيت بهذا الاسم نسبةً إلى المدينة، وتميزت الفلورين بنقائها العالي وثبات وزنها، ما جعلها تحظى بثقة واسعة في المعاملات التجارية الأوروبية. ينظر: *Encyclopaedia Britannica - entry on the gold Florin of Florence, P.153.*

(55) *David Potter, Op. Cit., P.48.*

(56) *Richard Heath, Op. Cit., PP.24-26.*

(٥٧) السلطان سليم الأول: (١٤٧٠–١٥٢٠) الملقّب بـ ياووز (الصارم)، ثامن سلاطين الدولة العثمانية (١٥١٢–١٥٢٠)، ويُعدّ من أبرز الحكّام الذين أسهموا في تحويل الدولة العثمانية من قوة إقليمية إلى إمبراطورية ذات ثقل سياسي وديني واسع. اتسم حكمه بالحزم الشديد لتثبيت السلطة، إذ اعتمد على الانكشارية في اعتلائه العرش، وقضى على منافسيه من إخوته وأبناء إخوته وفق سياسة مركزية هدفت إلى منع الانقسام الداخلي. انتهج سياسة توسعية عسكرية واضحة، فهزم الدولة الصفوية في معركة جالديران (١٥١٤م)، وأسقط الدولة المملوكية بعد انتصاري مرج دابق (١٥١٦م) وفتح مصر (١٥١٧م)، مما أدى إلى ضم الشام والحجاز إلى النفوذ العثماني. كما ارتبط عهده بانتقال رمزية الخلافة إلى العثمانيين، وبترسيخ دور السلطان بوصفه قائدًا

سياسيًا ودينيًا للعالم الإسلامي، إلى جانب اهتمامه بالإدارة والثقافة، إذ كان شاعرًا باللغة الفارسية. للمزيد ينظر: حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ص ١٨١–٢٨١.

(٥٨) القسطنطينية: هي عاصمة الدولة البيزنطينية، أسسها الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول سنة ٣٢٠، واتخذها مقرًا للحكم فخلّد اسمه. مثّلت مركزًا سياسيًا ودينيًا واقتصاديًا، وظلت كذلك حتى فتحها العثمانيون عام ١٤٥٣، بقيادة السلطان محمد الفاتح. للمزيد ينظر:

John Julius Norwich, Byzantium: The Early Centuries, PP.44-45

(٥٩) الكاردينال كامبيجيو (١٤٧٤–١٥٣٩): رجل دين ودبلوماسي إيطالي بارز، ابن كاردينال سابق. قبل دخوله المسار الكنسي، كان متزوجًا ولديه أربعة أبناء. أدى دورًا دبلوماسيًا مهمًا ممثلًا للكرسي الرسولي، إذ أرسله البابا كليمنت السابع إلى ألمانيا لحضور مجلس نورمبرغ، وإلى لندن للتعاون مع الكاردينال ولسي في تقييم قضية طلاق الملك هنري الثامن من الملكة كاثرين أراغون. يُعرف أيضًا من خلال رسائله المنشورة في مجموعة من الرسائل التي تعكس نشاطه السياسي والديني في أوروبا أوائل القرن السادس عشر. ينظر:

Enciclopedia Universale llustrata, Vol.II, Dottor Francesco Vallardi, Torino, 1887, P.839.

(٦٠) جنان كاظم صالح فرحان، المصدر السابق، ص ٨١.

(61) *Richard Heath, Op. Cit., P.25.*

(٦٢) جون كوليت: عالم دين إنكليزي، وُلِد عام ١٤٦٧ في لندن وأحدُ الشخصيات السياسية في عهد آل تيودور، وهو من روّاد النهضة الأوروبية، ودعم النهضة في أكسفورد، سافر إلى إيطاليا ودرس في جامعاتها لمدة ثلاث سنوات، وأصبحت لديه معرفةٌ واسعةٌ بثقافة عصر النهضة والفكر الإغريقي، وعاد إلى إنكلترا وأصبح محاضرًا في جامعة أكسفورد منذ عام ١٤٨٩. انتقد رجالَ الدين الفاسدين، واتُّهم بالهرطقة بسبب آرائه، وتوفي عام ١٥١٩. ينظر: *The New Encyclopedia Britannica, Vol.3, P.449.*

(٦٣) إيرازموس عالم إنسانيات وواعظ وقسيسٌ كاثوليكي، وُلد في روتردام بهولندا. دخل سلك الكهنوت في دير ستاين في إيطاليا، وحصل على شهادة الدكتوراه في جامعة تورين عام ١٥٠٩. ومنحته الكنيسة لقب علامة، وعدّه بعض المفكرين أمير الإنسانيين وأعظم المفكرين. ينظر:

Charles Butler, The Life Of Erasmus, (London, 1895). P.68.

(٦٤) توماس مور: فيلسوفٌ وسياسيٌّ إنكليزي، وُلد في السابع من شباط ١٤٧٨ في لندن. كان والده قاضيًا، وكان يرغب في إعداده ليكون محاميًا. بدأ دراسته خارج لندن، ثم أعاده والده إلى لندن لدراسة القانون العام، والتحق بمعهد لينكون لتدريس المحامين، وهو أحد أربع مؤسسات قانونية لتدريس الحقوقيين وإعدادهم لمهنة المحاماة. خالف رغبة والده، وتحول إلى خدمة الله والكنيسة، والتحق بأحد الأديرة، وأمضى أربع سنوات فيها. تزوج من جان كولت (Jane Colt) التي أنجبت له ثلاث بنات وصبي توفي في سنته. توفي في ستة تموز ١٥٣٥ في برج لندن بعد تنفيذ حكم الإعدام به بأمر من الملك هنري الثامن. للمزيد ينظر:

B.O. Flower, The Century of Sir Thomas More, (Boston, 1895), P.143.

(٦٥) الناخبون الألمان: كانت ألمانيا مقسمة إلى ٣٥٠ وحدة سياسية شكّلت خليطًا غير متجانس في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية. اتخذ قسم منها الطابع الديني، وامتاز البعض الآخر بالطابع العلماني، وقد شجّع حكامها على أن يجعلوا من أنفسهم حكامًا مستقلين من الناحية العملية، وكان اعترافهم بالإمبراطور مجرد اعتراف شكلي. أما الناخبون السبعة الذين يُعتمد على آرائهم في انتخاب الإمبراطور، فمنهم ناخب براندنبورغ، وملك بوهيميا، وناخب بافاريا، وناخب ساكسونيا، وكبير أساقفة ماينز، وكبير أساقفة كولن، وكبير أساقفة تريز. للمزيد ينظر: عبدالعزيز محمد الشناوي، المصدر السابق، ص ٢٣٢–٢٣٣.

(66) *Richard Heath, Op. Cit., P.26.*

(67) *J.S. Brewer, Letters And Papers, Foreign And Domestic, Of The Reign Of Henry VIII, Longmans, Green, Reader And Dyer 1867, P.12.*

(68) *Charles Knight, Op. Cit., P.19.*

(69) *Quoted in: Richard Heath, Op. Cit., P.29.*

(70) *Ibid., P.30.*

(71) *Richard Heath, Op. Cit., P.33.*

(٧٢) القديس توماس بِكِت (١١١٩-١١٧٠): رجل دين إنكليزي شغل منصب رئيس أساقفة الكنيسة، ودخل في نزاع مع السلطة الملكية، ولا سيما فيما يتعلق بمحاكمة رجال الدين. انتهى النزاع باغتياله داخل كاتدرائية كانتربري، مما أدى إلى تقديسه بوصفه شهيدًا للدفاع عن استقلال الكنيسة. للمزيد ينظر:

David Knowles, Thomas Becket, Stanford University Press, London, 1970, PP.3-6.

(٧٣) عيد العنصرة: يطلق عليه تسمية عيد الخمسين ايضًا، هو أحد الأعياد الدينية الثلاثة الكبرى في الديانة اليهودية القديمة، ويقع في اليوم الخمسين بعد عيد الفصح. للمزيد ينظر:

John Chisholm Lambert, A Dictionary Of Christ And The Gospels, Vol.Ii,Charles Scribner's Sons, New York, 1908, PP.331-332.

(74) *Timothy Schroder, A Marvel to Behold: Gold and Silver at the Court of Henry VIII, London, 2012, P.2.*

(75) *Charles Knight, Op. Cit., P.87.*

(76) *Timothy Schroder, Op. Cit., P.16.*

(77) *Timothy Schroder, Op. Cit.,, P.18.*

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

فاعلية استراتيجية قائمة على التعلم البنائي في اكتساب المفاهيم التاريخية لدى طلاب الصف الثاني المتوسط

The influence of develop learning strategy in acquiring historical concepts for second intermediate school students

أ.م. د. منى خليفة عبجل
جامعة ديالى
Asst. Prof. Dr. Mona Khalifa Abchal
University of Diyala

م. د. احمد داود سلمان
جامعة ديالى
Inst. Dr. Ahmed Dawood Salman
University of Diyala

E. mail: Diyala.dormitories@yahoo.com

الاستلام(Received) : ٢٠٢٦ / ٠٦/٠٦	التعديل (Revision) : ٢٠٢٦ / ٠٧/٠٢
القبول(Accepted) : ٢٠٢٦ /٠٧/١٤	النشر (Published) : ٢٠٢٦/ ٠٩/٣٠

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

ملخص البحث

تحقيقا لهدف البحث الحالي الذي ينص على التعرف على فعالية استراتيجية التعلم البنائي في اكتساب المفاهيم التاريخية لدى طلاب الصف الثاني المتوسط.

صاغ الباحثان الفرضية الصفرية لتحقيق هدف البحث (لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥)) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون باستراتيجية التعلم البنائي و متوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون بالطريقة الاعتيادية في اختبار اكتساب المفاهيم التاريخية.

تألف مجتمع البحث الحالي من جميع طلاب الصف الثاني متوسط من المدارس المتوسطة والثانوية التابعة لمديرية تربية محافظة ديالى للعام الدراسي (٢٠١٢-٢٠١٣) وتم قصديا اختيار مدرسة ثانوية العراق لتعاون ادارة المدرسة ومدرس المادة معنا كما ان المدرسة تحتوي على شعبتين للصف الثاني متوسط فاختيرت عينة طلاب البحث للمجموعتين عشوائيا الشعبة (أ) لتمثل المجموعة التجريبية والشعبة (ب) لتمثل المجموعة الضابطة، وتم استبعاد الطلاب الراسبين احصائياً فقط حتى لا تؤثر على سلامة نتائج البحث وكافأ الباحثان مجموعة البحث من المتغيرات التي يمكن ان تؤثر على سلامة التجربة ومن

بينها (الذكاء، العمر الزمني، درجات العام السابق) وقد تم تحديد المادة العلمية التي سوف تدرس خلال مدة التجربة العلمية في الفصل الدراسي الثاني للعام الدراسي (٢٠١٢-٢٠١٣) مما يتلائم مع اهداف البحث فتم اختيار الفصلين الثالث والرابع من كتاب التاريخ العربي الاسلامي للصف الثاني المتوسط و قام الباحثان بأعداد فقرات اختبارية لقياس مدى اكتساب طلاب عينة البحث للمفاهيم التاريخية المشمولة بالتجربة و قد تم اعداد فقرات اختبار بلغ عددها (١٣) فقرة وتم التحقق من الخصائص السيكومترية للاختبار المتمثلة بالصدق والثبات وبعد تطبيق اختبار اكتساب المفاهيم اظهرت النتائج تفوق طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا باستراتيجية التعلم البنائي على طلاب المجموعة الضابطة الذين درسوا بالطريقة الاعتيادية في اكتساب المفاهيم التاريخية وبذلك ترفض الفرضية الصفرية التي وضعها الباحثان وتعزى النتيجة الى ان التدريس باستراتيجية التعلم البنائي ادى الى تحسين قدرات الطلاب و توسيع مداركهم و اوصى الباحثان بضرورة استعمال استراتيجية التعلم البنائي لما لها من دور فعال في اكتساب المفاهيم التاريخية و اقترحا اجراء دراسات مماثلة للدراسة الحالية لمواد اخرى.

Research Summary

To achieve the goal of current research, which provides recognition to the effectiveness of constructivist learning strategy to acquire historical concepts among students in second grade average.

The researchers coined the null hypothesis to achieve the aim of the research (no statistically significant difference at the level of significance (0.05)) are the average scores of the experimental group students who are studying the strategy of constructivist learning and average grades of control group students who are studying in the usual way to test the acquisition of historical concepts.

The population consisted of all second graders (average) of middle and secondary schools of the Directorate of Education in the province of Diyala, for the academic year (2012-2013). Iraq High School was chosen to cooperate with the school administration and school material, as the school contains two divisions for the second average grade. The two groups were then identified, with Division (A) randomly selected to represent the experimental group and Division (B) to represent the control group, and students who failed were excluded statistically only, so as not to affect the safety of the search results. The researchers matched the groups on a set of variables that can affect the safety of the experiment, including IQ, chronological age, and grades of the previous year, and the scientific material to be taught during the experiment was selected from the second semester of the academic year (2012-2013), which fits with the goals of the research. The third and fourth chapters of the Arab-Islamic history book for the second intermediate grade were chosen, and the researchers prepared a test to measure the extent of gain by the research sample students of the historical concepts, prepared with (13) items. The psychometric properties of the test — validity and reliability — were verified, and after applying the test

to acquire concepts, the results showed the superiority of the experimental group who studied the strategy of constructivist learning over the control group students who studied in the usual way to gain historical concepts, and thus the null hypothesis set by the researchers was rejected. The result was attributed to the constructivist learning teaching strategy having led to the improvement of students' abilities and the expansion of their knowledge. The researchers recommended the need to use the constructivist learning strategy because of its active role in the acquisition of historical concepts, and suggested conducting similar studies of the current study in other subjects.

الفصل الاول : التعريف بالبحث

اولا: مشكلة البحث:

لم يعد التعلم قائم على توصيل المعرفة الى المتعلمين بل هو أعم وأشمل من ذلك لانه يتضمن ارشاد المتعلمين وتوجيههم لبذل اقصى جهد في عملية التعليم وهذا لايتم عن طريق الاجبار والقسر، وانما عن طريق ايجاد مواقف طبيعية مرغوب فيها من انواع الفعاليات التعليمية اذ ان تدريس مادة التاريخ في الوقت الحالي يعتمد على اساليب وطرائق تدريس تقليدية تبعث الملل والرتابة لدى المتعلمين مما يتطلب استعمال استراتيجيات تعمل على استثارة فهم الطلبة والاهتمام بعقولهم وتعد استراتيجية التعلم البنائي احد الاستراتيجيات القائمة على النظرية البنائية التي اثبتت فعاليتها في مجال التدريس وهذا ما اكدته دراسة (جوراني ٢٠١١) ودراسة (الزبيدي ٢٠١٢).

ومن هنا ارتاى الباحثان تجريب هذه الأستراتيجية العربي في تدريس مادة التاريخ الاسلامي للصف الثاني المتوسط بشكل يساعد المتعلمين على استيعاب المادة مما يسهم في اكتساب المفاهيم التاريخية.

ويمكن صياغة مشكلة البحث الحالي بالسؤال الاتي:

ما فاعلية استراتيجية التعلم البنائي في اكتساب المفاهيم التاريخية.

ثانيا: اهمية البحث:

ان العصر الذي نعيش فيه عصر مليء بالتحديات والتطورات في مختلف نواحي الحياة ومنها الاجتماعية فازدادت مسؤوليات التربية وتعددت وظائفها، ولكن هذا الاهتمام بالتربية جعلها تواجه مشكلات عديدة ليس اقلها عمليات الربط الكامل بين التربية المدرسية وبين ذلك النوع من التربية التي تتم من خلالها الفعاليات الاجتماعية كالأسرة ووسائل الاعلام المختلفة الامر الذي يزداد الاهتمام نحو ايجاد طرائق تدريس فعالة يمكن لها ان تبرز اقصى مالدى الفرد اداء سواء كان معلم او طالب (كراجة، ١٩٩٧: ٢٧).

ولم يعد هدف العملية التعليمية قاصرا على تزويد الطلبة بالمعارف والحقائق بل تعداها الى الاهتمام بعمليات التفكير والمهارات المختلفة التي يكتسبها الطالب من خلال المناهج المختلفة.

لذا فان المناهج بحاجة الى تطور لتواكب تطورات العصر فهي مازالت قاصرة عن تلبية احتياجات الطلبة واهتماماتهم او حاجات المجتمع واهدافه بسبب التغيرات المتلاحقة في جميع جوانب الحياة وتزايد المعارف والعلوم. (الهادي، ٢٠١٢: ٣٣٢).

وطرائق التدريس مكونا اساسيا من مكونات المنهج الدراسي الذي يشمل الاهداف التربوية والمحتوى والانشطة التربوية والتقويم. لذا جاء الاهتمام بعملية التدريس بوصفها المدخل الاساسي لتحقيق اهداف المنهج من خلال توظيف محتواه وانشطته مما يساعد الطلبة على اكتساب الخبرات ويتم تعديل سلوكهم واتجاهاتهم.

وقد جاء في توصيات المؤتمر التربوي الاول الذي عقد في اربيل في (١-٢/ ٥/ ٢٠١١) لمناقشة مشاكل التعليم في العراق بشكل عام وجاء فيه تأكيدا على ضرورة النهوض بالواقع التربوي في العراق ولابد من حصول تغيير ملموس على صعيد الاساليب والاستراتيجيات والمعلم والمتعلم في جميع جوانب العملية التعليمية.

ثالثا: هدف البحث:

يهدف البحث الحالي الى التعرف على فاعلية استراتيجية التعلم البنائي في اكتساب المفاهيم التاريخية لدى طلاب الصف الثاني المتوسط.

رابعا: فرضية البحث:

لغرض التحقق من هدف البحث تم صياغة الفرضية الصفرية الاتية:

لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسطات درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون باستراتيجية التعلم البنائي ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون بالطريقة الاعتيادية في اختبار اكتساب المفاهيم التاريخية.

خامسا: حدود البحث:

يقتصر البحث الحالي على:

- طلاب الصف الثاني من احدى المدارس المتوسطة والثانوية النهارية التابعة لمديرية تربية ديالى.
- الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي ٢٠١٢-٢٠١٣.
- الفصلين الثالث والرابع من كتاب التاريخ العربي الاسلامي المقرر تدريسه لطلاب الصف الثاني المتوسط للعام الدراسي ٢٠١٢-٢٠١٣.

سادسا: تحديد المصطلحات:

١- استراتيجية التعلم البنائي:

عرفها كل من:

- (Yager,١٩٩١): احدى الاستراتيجيات او الاساليب التي تقوم على الفلسفة البنائية وهو يربط بين دور كل من المعلم والمتعلم في العملية التعليمية على وفق اربع مراحل هي: الدعوه (الاستكشاف)، اقتراح الحلول والتغيرات، اتخاذ القرار (Yager,١٩٩١P,٥٢\٥٣).

- ابو رياش (٢٠٠٧): احد استراتيجيات التدريس القائمه على النظرية البنائية ويركز على التعلم الايجابي وبناء المعرفة من خلال تفاعلها المباشر مع مادة التعلم ومع زملائه الاخرين وبربط المفاهيم الجديده بخبراته السابقه لاحداث تغيرات في بنيته المعرفيه. (ابو رياش، ٢٠٠٧: ٢٨٨).

ويعرفها الباحثان اجرائيا: استراتيجيه تعليميه لمساعدة الطلاب في اكتساب المعرفه من خلال دعوتهم لتدارس مشكله تاريخيه واستكشافها من خلال الانشطة لاقتراح الحلول اللازمه واتخاذ الاجراءات والقرارات المناسبه بشأنها.

- ابو حطب واما ل (١٩٩١):

عملية الاكتشاف الاستقرائي للخصائص المحكيه او الصفات المميزه لمجموعه من المثيرات وتندمج هذه الصفات المميزه لتشكيل الصورة الذهنية لمفهوم (ابو حطب وامال، ١٩٩١: ٣٢).

- قطامي (٢٠٠٠):

صياغة المعرفه بواسطة عمليات ذهنيه داخليه مثل تنظيم الخبر هاو اعادة تنضيمها على وفق بنيه يصورها المعلم وعملية ترميزها واعطائها صفة مميزة يجعلها جاهزة لتخزينها وتتاثر عملية

الترميز او التخزين بأسلوب الفرد في المعالجة واتجاه التفاعل التي يجريها المتعلم عادة في أي موقف يواجهه بهدف استيعابه وفهمه (قطامي، ٢٠٠٠: ٣٩٢).

يعرفها الباحثان اجرائيا:

بانها قدرة طلاب الصف الثاني المتوسط على تحقيق عمليات تعرف المفهوم للتمييز بين الامثله الايجابية التي تنتمي الى المفهوم والامثله السلبية التي لا تنتمي الى المفهوم، والتصنيف لتحديد فائدة استخدام او وضيفة المفهوم وقياس ذلك بالاختبار المعد لهذا الغرض.

- المفهوم

عرفه كل من:

– زيتون (٢٠٠١)

ما يتكون لدى الفرد من معنى او مفهوم مرتبط بكلمة او عباره او عملية معينه (زيتون، ٢٠٠١: ٧٨).

– مرعي ومحمد (٢٠٠٥)

كلمة او كلمات تطلق على صوره ذهنيه لها سمات مميزة وتعمم على اشياء لا حصر لها (مرعي ومحمد، ٢٠٠٥:).

وعرفه الباحثان اجرائيا:

تغيير يطلق على مجموعة من الصفات التي تشترك فيها مجموعه من الحوادث او الموضوعات او الرموز او كلمة ما يعبر عنها وغالبا ما جمله او شبه جمله وتتعلق بموضوعات التاريخ الثاني المتوسط ويمكن اكتسابها من قبل الطلاب باستعمال استراتيجية التعلم البنائي.

الفصل الثاني: خلفيه نضرية ودراسات سابقه

خلفيه نضرية

تعتمد استراتيجية التعلم البنائي على النظرية البنائية نظرية في التعلم المعرفي ولها افتراضات ومبادئها، ويعد جانب ياجيه مقدم النظريه من منظور تعليمي في فنظريته في النمو المعرفي والتعلم البنائي المعرفي تعد اساس للنظريه البنائيه وهي تقوم على افتراضين هما: ان التعلم عملية بنائيه نشطه ومستمره وان كل متعلم يمر بمراحل نمو مختلفه تتسم كل واحده منها بقدره على اداء مهام عقليه متعدده ومتنوعه.

وطريقة التدريس وفقا للنظرية البنائية تعتمد على مواجهة الطلاب لمشكلة ما ومحاولتهم ايجاد الحلول المناسبة لهذه المشكله من خلال البحث والتنقيب واستخدام افكار النظرية البنائيه في غرفة الصف يعد من التطورات الحديثة ويؤكد المومني بأن معضم المشروعات الحديثه في العالم على النضريه تعتمد على ممارستها كاساس مما ساعد في تحسين التعلم وتغيير ممارسات المعلمين وقد اصبح تطبيقها اساس للتعلم والتعليم الصفي (المومني، ٢٠٠٢: ٢٧).

- مكانة المتعلم في النظريه البنائيه
- احترام شخصية المتعلم وتنميتها
- مراعاة الفروق الفرديه بين المتعلمين وذلك بتوفير فرص للتعليم تتناسب والميول والقدرات المختلفة.
- توفير الوسائل التعليمية والانشطة التي تساعد على الفهم القائم على الخبرة.
- الاهتمام بالتقويم من خلال اعداد نماذج اسئله من مستويات عليا من التفكير (عفانه والخزندار، ٢٠٠٧: ٢٢).

المفاهيم وتطورها

ان المفاهيم تبدء عند صغار الاطفال في فتره مابين عمر ٢-٧ سنوات وتضهر بدايات المفاهيم واصولها في الفتره مابين ٤-٧ سنوات ثم تتكامل وتتوازن بلوغها في عمر ١٤-١٥ سنه ولذا تكون هذه الفتره بين الطفوله والمراهقة الفرصة المناسبة في حياة المتعلم لتقويم المفاهيم فاذا لم يتم تكوينها بصورة صحيحة وراسخة فأن المتعلم يكتسبها في مراحل التعلم اللاحقة تبقى مشوشة لانها تفقد الارضية القوية التي تقوم عليها وسيكون التفكير المنطقي لدى هذا المتعلم مرتبكا الى حدا كبيرا وسيكون من الصعب تلافي هذا النقص بعد فوات الاوان (الشربيني وزكريا، ٢٠٠٤: ٤٤-٤٥).

واقترح سعادة عدد من المبادئ التي ينبغي ان يؤخذ بها المعلمون في الحسبان في اثناء تطور المفاهيم وتشكيلها لدى المتعلمين وهي:

- تطور المفاهيم عن طريق الخبرات التي يمر بها المتعلمون.
- يعتمد تطور المفاهيم وتشكيلها عند المتعلمين على محتوى الفهم.

– ينبغي التركيز على الخبرات المتنوعة اكثر من الخبرات المتكرره من خلال استخدام الوسائل التعليميه.
– يبحث المتعلمون عن معنى المفاهيم عندما تحقق تلك المفاهيم حاجاتهم واهتماماتهم وتوافق قدراتهم. (سعادة، ١٩٨٤: ٣٢١–٣٢٢)

اهمية تعلم المفاهيم

نالت المفاهيم اهتمام المربين والمتعلمين في مساعدة المتعلمين على الفهم والوعي ببنية الماده المفاهيمية اذ ان الفرد يستطيع ان يصنف خبراته ويستعمل كلمة واحده او مجموعه رموز تمثل مفردات معينه مما يجعل التعامل مع المواقف اكثر سهولة وملائمة.

ويتفق التربويون على ثلاثة محاور رئيسه حول طبيعة تعلم المفهوم.

– المفهوم يمثل عمليات استدلاليه.
– تتطلب عملية تعلم المفهوم قيام المتعلم بعمليات التمييز بين الامثله داله على المفهوم والامثله غير داله عليه.
– تتمثل قدرة المتعلم في تعلم المفهوم على وضع الامثله في الصنف الذي ينتمي اليه والعزل الدقيق مما لا ينتمي اليه (الدسوقي، ١٩٨٨: ٧٩).

وتتكون عملية تعلم المفهوم بشكل تدريجي وكالاتي:

– تمثل قاعدة صلبه لتعلم الطلاب بقية العناصر الاخرى المكونه للنظام المعرفي وهي المبادئ والقواعد والتعميمات والاتجاهات.
– يسهل من تعلم الماده التعليميه ويزيد من تثبيتها في الذاكره والبنى العقليه.
– يسهم في تفعيل التعلم وانتقال اثره.
– يجسر الفجوة بين التعلم السابق واللاحق (الخوالده، ٢٠٠٣:).

دراسات سابقة

١– دراسة اللزام (٢٠٠٠)

هدفت الدراسة الى التعرف الى مدى فاعلية انموذج التعلم البنائي في تنمية التحصيل العلمي للمستويات المعرفيه (التذكر، الفهم، التطبيق) لدى طلاب الصف الاول المتوسط في مادة العلوم. واجريت الدراسة في الرياض (المملكة العربية السعودية) وتكونت عينة الدراسة من (١٠٩) طالبا تم توزيعهم على مجموعتين (تجريبية وضابطة) واداة البحث هي اختبار تحصيلي بعدي واستعمل الباحث الوسائل الاحصائية معادلة كيودر ريتشاسون ٢٠، معامل ارتباط بيرسون، الاختبار التائي واظهرت النتائج عدم وجود فرق ذو دلاله احصائية بين متوسط الدرجات البعدية لطلاب المجموعة التجريبية ودرجات المجموعة الضابطة في التحصيل العلمي عند مستوى (التذكر، الفهم) وعند المستويات الثلاثة مجتمعة،

ووجود فروق ذو دلاله احصائية بين متوسطات الدرجات البعدية لطلاب المجموعة التجريبية وطلاب المجموعة الضابطة في التحصيل الدراسي ولصالح المجموعة التجريبية (اللزام، ٢٠٠٠: ٤٠).

٢- دراسة كابوريو (Caporio,١٩٩٤)

هدفت الدراسة الى معرفة اثر استراتيجية التعلم البنائي في تحصيل وكيفية تدريب الطلبة على اجراء التجارب على طلبة كلية المجتمع في الولايات المتحدة الامريكية واجريت الدراسة في اعد الباحث اختبار تحصيلي وبلغ حجم العينة (٨٨) طالبا واستخدم الباحث المنهج التجريبي واستمرت مدة التجربة ثلاثة اسابيع وبعد انتهاء التجربة طبقت البيانات واسفرت النتائج عن تفوق طلاب المجموعة التجريبية على طلاب المجموعة الضابطة في اختبار التحصيل (Capor,io,١٩٩٤,p:٢٣).

جوانب الافادة من الدراسات السابقة

افاد الباحثان من الجوانب الاتية:

١- تحديد منهج البحث ٢- مجتمع وعينة البحث

٣- تحديد الاداة ٤- تحديد الوسائل الاحصائية

الفصل الثالث: منهج البحث واجراءاته

اولا: التصميم التجريبي:اعتمد الباحثان التصميم التجريبي ذا الضبط الجزئي لملائمته ظروف البحث وبما يحقق هدفه والشكل (١) يوضح ذلك:

شكل (١)

التصميم التجريبي

١	الاداة	المتغير التابع	المتغير المستقل
١	اختبار المفاهيم	اكتساب	استراتيجية التعلم البنائي
١	—		

ثانيا: مجتمع البحث وعينته:

ان تحديد مجتمع البحث من الخطوات المهمة اذ يتطلب دقة بالغة لاعتماد اجراءات البحث لتعميم نتائجه وكفاية ادواته على ذلك ومجتمع البحث هو مجموعة من الافراد الذين تتمحور مشكلة البحث حولهم (محبوب، ٢٠٠٥: ١٤٠).

تألف مجتمع البحث الحالي من جميع طلاب الصف الثاني متوسط في المدارس المتوسطة والثانوية النهارية التابعة لمديرية تربية محافظة ديالى للعام الدراسي ٢٠١٢-٢٠١٣ وتم قصديا اختيار مدرسة ثانوية العراق لتعاون ادارة المدرسة ومدرس الماده كما ان المدرسة تحتوي على شعبتين للصف الثاني

المتوسط. ثم حددت عينة طلاب البحث للمجموعتين فاختيرت عشوائيا الشعبة (أ) لتمثل المجموعة التجريبية والشعبة (ب) لتمثل المجموعة الضابطة، وتم استبعاد الطلاب الراسبين احصائيا فقط حتى لا يؤثر على سلامة نتائج البحث والجدول (٢) يوضح ذلك.

جدول (٢)

عدد طلاب مجموعتي البحث قبل الاستبعاد وبعده

المجموعة	عدد الطلاب قبل	عدد الطلاب المستبعدين	عدد الطلاب بعد الاستبعاد
التجريبية	٣٧	٢	٣٥
الضابطة	٣٨	٣	٣٥
المجموع	٧٥	٥	٧٠

ثالثا: تكافؤ مجموعتي البحث:

كافؤ الباحثان مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) في عدد من المتغيرات والتي قد تؤثر في سلامة التجربة وهذه المتغيرات هي الذكاء، العمر الزمني محسوب بالشهور، درجات العام السابق.

١- اختبار مستوى الذكاء

طبق الباحثان اختبار رافن المقنن على مجموعتي البحث في الاسبوع الاول من التجربة اذ بلغ متوسط الدرجات المجموعه التجريبية (٣٥،٣٤٢) وبانحراف معياري (٨،٢٩٢) ومتوسط درجات المجموعة الضابطة (٣٣،٢٠٠) وبانحراف معياري (٩،٢٩٥) وباستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين اظهرت النتائج ان القيمة التائيه المحسوبه (١٠١٨) اقل من القيمة التائية الجدولية البالغة (٢،٠٠٠) عند مستوى دلاله (٠،٠٥) ودرجة حرية (٦٨) وبذلك تعد مجموعتا البحث متكافئتين في مستوى الذكاء.

٢- العمر الزمني محسوبا بالشهور

بلغ متوسط اعمار طلاب المجموعة التجريبية (١١٤،١٦) شهرا وبلغ متوسط اعمار طلاب المجموعه الضابطة (١٦١،٧) شهرا وباستعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين ضهرت القيمة التائية المحسوبة (٠،٥٥٣) وهي اصغر من القيمة التائية الجدولية (٢،٠٠٠) عند مستوى دلاله (٠،٠٥) وبدرجة حرية ٦٨ مما يدل على ان المجموعتين متكافئتان احصائيا في متغير العمر الزمني.

٣- درجات العام السابق

تم الحصول على هذه الدرجات من سجلات المدرسه وقد بلغ متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية (٧٠،٣١٤) درجة ومتوسط درجات المجموعة الضابطة (٦٦،٨٨٥) درجة وعند استعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين بلغت القيمة التائية المحسوبة (١٠،٣٣) وهي اقل من القيمة التائية الجدولية البالغة (٢،٠٠٠) مما يدل على ان المجموعتين متكافئتين احصائيا في درجات العام السابق.

مستلزمات البحث:

١- تحديد المادة العلمية:

حدد الباحثان المادة العلمية التي سوف تدرس خلال مدة التجربة في الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي (٢٠١٢-٢٠١٣) بما يتلائم مع اهداف البحث فتم اختيار الفصلين الثالث والرابع من كتاب التاريخ العربي الاسلامي للصف الثاني المتوسط.

٢- صياغة الاهداف السلوكية:

صاغ الباحثان الاهداف السلوكية اعتمادا على تصنيف بلوم للمجال المعرفي موزعة على المستويات الثلاثة الاولى (التذكر، الفهم، التطبيق) وعرضت هذه الاهداف بصورتها الاولية على مجموعة من المتخصصين في مجال طرائق التدريس لابداء ارائهم وملاحظاتهم على مدى ملائمتها وحصلت على نسبة اتفاق ١٠٠٪ من اراء المتخصصين وقد بلغ عدد الاهداف بصورتها النهائية (٨٥) هدفا سلوكيا.

اداة البحث:

اختبار اكتساب المفاهيم: تم اعداد الاختبار اعتمادا على الفصل الثالث والرابع من كتاب التاريخ بما يمثله من مفاهيم تم تحديدها من النمط الموضوعي من نوع الاختيار من متعدد في صياغة فقرات الاختبار.

- اعداد فقرات الاختبار

قام الباحثان باعداد فقرات اختبارية لقياس مدى اكتساب طالبات عينة البحث لمفاهيم تاريخية المشمولة بالتجربة وقد بلغ عددها (١٣) فقرات اختبارية عرضت على مجموعة من المختصين وبذلك قبلت بدون تعديلات وتم تحقيق الصدق الظاهري للاختبار.

- صدق الاختبار

يعد الاختبار صادقا عندما يقيس ما افترض ان يقيسه (Galiford, ١٩٦٢: ٧٠) والصدق خاصية تكشف عن مدى تادية الاختبار للغرض الذي وضع من اجله (عودة وملكاوي، ١٩٨٥: ٦٣) ومن اجل التحقق من صدق الاختبار تم الاتي:

- صدق المحتوى: يرتبط بالاجابة عن أي سؤال مؤداه الى مدى يكون الاختبار قادرا على قياس السلوك ولذلك يعد صدق المحتوى اهم من غيره من انواع الصدق الاخرى عندما يكون المجال محددا (عودة وفتحي، ١٩٩٢: ٣٧).

- صدق البناء

تم التوصل الى صدق المحتوى من خلال الخريطة الاختبارية التي تم اعدادها لهذا الغرض.

الخريطة الاختبارية

الفصل	عدد	الوزن	تطبيق ١٧٪	فهم ٣٣٪	تذكر ٥٠٪ / المجموع
الثالث	١٧	٤٦٪	١	٢	٣ / ٦
الرابع	٢٠	٥٤٪	١	٢	٤ / ٧
المجموع	٣٧	١٠٠٪	٢	٤	٧ / ١٣

التحليل الاحصائي لفقرات اختبار اكتساب المفاهيم

ان الهدف من التحليل الاحصائي لفقرات الاختبار هو معرفة مستوى صعوبة كل فقرة وقدرتها على التمييز بين الطلبة المتفوقين والمتأخرين للتعرف على فعالية البدائل الخاطئة للفقرات لذلك تم اجراء التحليل الاحصائي لفقرات الاختبار لمعرفة تلك الحقائق بعد تطبيقها على عينة استطلاعية.

- مستوى صعوبة الفقرة

تم حساب مستوى صعوبة الفقرة من خلال احتساب النسبة المئوية للاجابات الصحيحة على تلك الفقرات فاذا كانت هذه النسبة عالية فانها تدل على سهولة الفقرة واذا كانت منخفضة فانها تدل على صعوبتها (فرج، ١٩٨٠: ١٥٣) وقد تم حساب مستوى صعوبة فقرات الاختبار فوجد انها تقع بين (٠،٥٢-٠،٦٨).

-القوة التمييزية للفقرات

ان الفقرة الاختبارية تعد ذات تميز موجب اذا كان عدد الاجابات الصحيحة عنها لافراد المجموعة العليا اكبر من عدد الاجابات الصحيحة عنها للأفراد والمجموعة الدنيا (الزوبعي، ١٩٨١: ٧٩) وبعد ان رتبت الدرجات التي احرزها طلاب العينة الاستطلاعية على الاختبار منها المجموعتين العليا والدنيا وبنسبة (٢٧٪) من عدد الطلاب تم حساب القوة التمييزية لفقرات الاختبار متراوحة بين (٠،٤٥-٠،٧٧).

-فعالية البدائل الخاطئة

بعد اجراء العمليات الاحصائية اللازمة لمعرفة فاعلية البدائل الخاطئة بالنسبة لفقرات الاختبار وجد ان عدد من اختارهن من المجموعة الدنيا اكبر من عدد من اختارها من المجموعة العليا وبذلك فهي تعد بدائل مموهة.

-ثبات الاختبار

يعرف الثبات: بانه مؤشر لمدى الاتساق الذي يتعين به الاختبار ماهو مهم من اجل قياسه وقد تم حساب ثبات الاختبار بطريقة اعادة الاختبار ثم اعادة تطبيق الاختبار بعد اسبوعين من التطبيق الاول تم استخراج معامل الثبات باستعمال معادلة بيرسون فبلغ نتيجة مقبولة (عدس، ١٩٧٧: ١٥٤) وهي (٨٠٪).

الوسائل الاحصائية:

تم استعمال العديد من الوسائل الاحصائية في اجراءات البحث منها:

-الاختبار التائي لعينتين مستقلتين

-معادلة معامل الصعوبة

-القوة التمييزية لفقرات اختبار اكتساب المفاهيم التاريخية

- معادلة ارتباط بيرسون.

الفصل الرابع: عرض النتيجة وتفسيرها

عرض النتيجة

بعد تطبيق اختبار اكتساب المفاهيم على عينة البحث كان متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية (١١،٤) وبانحراف معياري (٢،٤) ودرجات المجموعة الضابطة بمتوسط حسابي (٤،٨) وبانحراف معياري (٢،٢) وباستعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين لاختبار صحة الفرق كانت القيمة التائية المحسوبة (٣،٨٤) اكبر من القيمة الجدولية (١،٩٩٧) عند مستوى دلالة (٠،٠٥) ودرجة حرية (٦٨) ولصالح المجموعة التجريبية وجدول (٣) يوضح ذلك.

جدول (٣)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية والجدولية والمحسوبة

المجموعة	عدد الطلاب	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	الدلالة
التجريبية	٣٥	١١،٤	٢،٤	٦٨	٣،٨٤	١،٩٩٧	دالة
الضابطة	٣٥	٤،٨	٢،٢				

-تفسير النتيجة

اظهرت نتيجة البحث تفوق طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا باستراتيجية التعلم البنائي على طلاب المجموعة الضابطة الذين درسوا بالطريقة الاعتيادية في اختبار اكتساب المفاهيم التاريخية وبذلك ترفض الفرضية الصفرية التي وضعها الباحثان وتعزى النتيجة الى ان التدريس باستراتيجية التعلم البنائي ادى الى تحسين قدرات الطلاب وتوسيع مداركهم من خلال تهيئة البيئة التعليمية المناسبة واتاحة فرصة تعليمية وتقبل الاجابات المختلفة وكم ان استراتيجية التعلم البنائي اسهمت في مساعدة الطلاب على

المشاركة الايجابية وعززت لديهم الثقة بالنفس والقدرة على الاستنتاج واستخدام المفهوم في مواقف تعليمية جديدة.

الاستنتاجات:

في ضوء النتيجة التي توصل اليها البحث الحالي نستخلص ان استراتيجية التعلم البنائي:

-تراعي الفروق الفردية وقدرات الطلاب.

-تحفز الطلاب وتزيد تفاعلهم مع الدرس.

التوصيات:

في ضوء نتيجة البحث نوصي ب:

-الاهتمام باستعمال استراتيجية التعلم البنائي لما لها دور فاعل في اكتساب المفاهيم التاريخية.

-تدريب المدرسين وحثهم على التنويع في اساليب تعليمهم قدر الامكان.

-تضمين مناهج طرائق التدريس الاستراتيجيات الحديثة ومنها استراتيجية التعلم البنائي.

المقترحات:

استكمالا لنتائج البحث الحالي نقترح:

-اجراء دراسات مماثلة للدراسة الحالية في مواد دراسية اخرى.

-مقارنة استراتيجية التعلم البنائي مع استراتيجيات ونماذج تعليمية اخرى.

- اجراء دراسات مماثلة للدراسة الحالية في متغيرات اخرى كالتفكير الابداعي.

المصادر

١- ابو حطب، فؤاد وامال صادق (١٩٩١) علم النفس التربوي، ط٥، القاهرة، مكتبة الانجلو الامريكية.

٢- ابو رياش، حسين محمد (٢٠٠٧) التعلم المعرفي، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.

٣- جوراني، حنين سمير، (٢٠١١)، اثر استخدام الخرائط الذهنية في تحصيل طلبة الصف التاسع في مادة العلوم في المدارس الحكومية في مدينة قلقيلية، رسالة ماجستير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين.

٤- الخوالدة، محمد محمود واخرون (٢٠٠٣) مقدمة في التربية، ط١، دار المسيرة للطباعة والنشر، عمان، دسوقي، كمال، (١٩٨٨) ذخيرة علم النفس، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة.

٥- الزبيدي، افراح لطيف، (٢٠١٢)، اثر الخريطة الذهنية في تحصيل قواعد اللغة العربية عند طالبات الصف الخامس الادبي كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، رسالة ماجستير غير منشورة.

٦- الزوبعي، عبد الجليل، (١٩٨١)، الاختبارات والمقاييس النفسية، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، العراق.
٧- زيتون، حسن حسين، (٢٠٠١)، تصميم التدريس، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان.
٨- سعادة، جودت، (١٩٨٤)، مناهج الدراسات الاجتماعية، دار العلم للملايين، بيروت.
٩- الشربيني، زكريا (٢٠٠٠)، الاحصاء السايكو متري مع استخدام spss في العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية، مكتبة الانجلو المصرية.
١٠- عدس، عبد الرحمن، (١٩٩٧)، مبادئ الاحصاء التحليلي في التربية وعلم النفس، ج٢، دار الفكر، عمان.
١١- عفانه، عزو اسماعيل والخزندار، نائلة نجيب، (٢٠٠٧)، التدريب الصفي بالذكاءات المتعددة، ط١، دار المسيرة، عمان.
١٢- عودة، وملكاوي، احمد سليمان وفتحي حسن، (١٩٩٢)، اساليب البحث العلمي في التربية والعلوم الانسانية، ط٢، مكتبة الكتاني، الاردن.
١٣- فرج، صفوت، (١٩٨٠)، القياس النفسي، ط١، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة.
١٤- كراجة، عبد القادر، (١٩٩٧)، القياس والتقويم في علم النفس رؤية جديدة، ط١، دار اليازوري للنشر، عمان.
١٥- اللزام، ابراهيم محمد، (٢٠٠٠)، فاعلية انموذج التعلم البنائي في تعلم العلوم وتعلمها بالمرحلة المتوسطة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية جامعة الملك سعود.
١٦- مرعي، توفيق ومحمد محمود الحيلة، (٢٠٠٥)، طرائق التدريس العامة، دار المسيرة للطباعة والنشر، عمان.
١٧- المومني، ابراهيم، (٢٠٠٢)، فاعلية المعلمين في تطبيق نموذج بنائي في تدريس العلوم للصف الثالث الاساس في الاردن، مجلة دراسات في المناهج وطرق التدريس، كلية التربية، الجامعة الاردنية، المجلد (٢٤) العدد (١).
١٨- الهادي، محمد طاهر، (٢٠١٢)، اسس المناهج المعاصرة، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان.
1- Galiford, T.P. (1962) Creativity: Its Measurement and Development, Sourcebook of Creative Thinking, New York, Charles Scribner's Sons, U.S.A.

2- Caporio, M.W. (1994) A Look into Constructivist Connecting Meaningful Learning with Student Experience, Journal of College Science Teacher, vol(52), no.(٦)

3- Yager, Robert E. (1991) The Constructivist Learning Model, Science Teacher, 58, (6), p52-57.

ملحق (١)

انموذج خطة تدريس يومية وفقاستراتيجية قائمة على التعلم البنائي

اولا: الهدف الخاص: تعريف الطلاب باسباب هجرة المسلمين واهمية بيعة العقبة الثانية

الاهداف السلوكية: جعل الطالب قادرا على ان:

١- يعرف الهجرة.

٢- يعلل هجرة المسلمين والرسول محمد صلى الله عليه وسلم الى يثرب.

٣- يستشهد بأية قرآنية ذكر فيها المسلمون المهاجرون.

٤- يبين اهمية بيعة العقبة الثانية.

٥- يوضح موقف مشركي قريش من المسلمين.

ثالثا: الوسائل التعليمية: سبورة، طباشير ابيض وملون، خريطة شبه الجزيرة العربية.

رابعا: الطريقة التدريسية: استراتيجية التعلم البنائي.

خامسا: المقدمة: سنتعرف على اسباب هجرة المسلمين الى يثرب وما تضمنته بيعة العقبة الثانية وموقف مشركي قريش من المسلمين.

سادسا: خطوات العرض:

١- الخطوة الاولى من الاستراتيجية (عرض المشكلة او الدعوة)

المدرس/ اقوم بتمهيد وعرض المشكلة وتوضيح ماتعنيه الهجرة: فالهجرة تعني ترك المسلمين اموالهم وابنائهم وديارهم ومغادرة موطنهم بمكة والتضحية بالغالي والنفيس وتدل هذه التضحية على اجل العقيدة واطاعة اوامر الله سبحانه وتعالى والاخلاص للنبي محمد صلى الله عليه وسلم.

المدرس/س: لماذا هاجر المسلمون من مكة؟

احد الطلاب/ج: بسبب ازدياد اذى مشركي قريش للمسلمين.

المدرس/ نعم احسنت نتيجة لازدياد اذى قريش امر رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بالهجرة وقد اشار القران الكريم الى وضع المهاجرين في مواضع عديدة منها قوله تعالى: (ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله).

وبعد مناقشة بين مجموعات الطلاب وهذا يساعد على اثارة شعور الطلاب بطبيعة مشكلة موضوع الدرس ثم اطلب من الطلاب اقتراح عناوين لهذه المشكلة ويجري النقاش ويتم التوصل بعدها الى العنوان التالي:

(مشكلة هجرة المسلمين الى يثرب اسبابها ونتائجها)

٢- الخطوة الثانية: اقتراح التفسيرات والحلول.

يبدأ الطلاب باقتراح الفرضيات المناسبة وليس هو الامر السهل فهو يتطلب الالمام بالحقائق والمعلومات المتعلقة بالمشكلة موضوع الدرس لذا يحاول المدرس مساعدة الطلاب على تحديد الخط العام للحقائق والمعلومات اللازمة لتوليد الفرضيات.

لمدرس مادة الدروم دورهم في تذليل الصعوبات التي يواجه الطالب ثم اسال الطالب ماذا يقترحون من فرضيات او حلول مؤقتة للمشكلة.

المدرس/ يسجل مايقترحه الطلاب من فرضيات وكالاتي:

- في بيعة العقبة الثانية عاهد اهل يثرب النبي محمدصلى الله عليه وسلم ان يدافعوا عنه ويحمونه، وقد اشار القران الكريم الى بيعة العقبة بقوله تعالى: (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله).

- طالب اخر: عرض اهل يثرب على النبي محمدصلى الله عليه وسلم المجيء الى مدينتهم ووعدهم بالجنة التي وعد الله بها المؤمنين بقوله تعالى: (وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار).

المدرس/س: إذا حددت بيعة العقبة الثانية وضع النبي محمد صلى الله عليه وسلم من اهل يثرب، فعدوه واحدا منهم وعرضوا عليه المجيء الى مدينتهم وهم مسؤولون عن حمايته فهاجر المسلم سرا وهاجر النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر فكانت الهجرة من الاحداث المهمة في تاريخ الاسلام والمسلمون.

٣- اختبار صحة الفرضيات او الحلول المقترحة.

في هذه الخطوة يحاول كل مجموعة من الطلاب مناقشة مدى صحة كل فرضية مناقشة شاملة في ضوء الادلة والاثباتات المستندة الى الحقائق التي لها صلة بالفرضية المقترحة بغية التاكيد من صحة الفرضيات المقترحة ثم يناقش الطلاب بتوجيه من المدرس في ضوء الحقائق والمعلومات التي سبق تقديمها، فاذا كانت الفرضية مستندة الى اثباتات فهي مقبولة.

وقد توصيل الطلاب بعد مناقشتهم الى الفرضيات الاتية:

- احد الطلاب بايع الرسول الله محمدصلى الله عليه وسلم يثرب بيعة العقبة حرب.

-طالب اخر: اصبح المسلمون يشكلون خطرا على مكانة قريش الاجتماعية المرموقة بين القبائل.

- طالب اخر: ان هجرة المسلمون الى يثرب يهدد وجود قريش، فربما يداهم اهل يثرب قريش بالحرب.

– طالب اخر: قام المسلمون في يثرب التي اصبحت تسمى بالمدينة المنورة كيانا سياسيا له دور كبير فيمابعد.

المدرس: اسجل هذه الفرضيات على السبورة ثم اقول: كيف اصبح المسلمون خطرا على قريش.

طالب اخر: لان المسلمين خرجوا من مكة تاركين وراءئهم اموالهم وابنائهم.

طالب اخر: رغبة المسلمين في العودة الى موطنهم مكة حتى اصبحت مكة قبلة المسلمين.

٤– خطوة الاستنتاجات:

يحاول الطلاب استنتاج تعميمات قائمة على اساس طبيعة مضامين الفرضيات المقبولة والمدعمة بالادلة والبيانات ومحاولة تطبيق هذه التعميمات على حالات ومواقف جديدة بينها وبين مشكلة الموضوع.

سابعا: التقويم:

اوجه عددا من الاسئلة المهمة الى الطلاب للتاكد من مدى فهمهم لمادة الدرس.

س/ ماهي الهجرة؟

س/ لماذا قامت قريش بتشديد الخناق على المسلمين؟

س٣/ ماذا تضمنت بيعة العقبة الثانية؟

ثامنا: الواجب البيتي:

تحضير الدرس القادم: اعمال الرسول في المدينة المنورة.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

نظرية الاستبداد المستنير وأثرها في نظام الحكم البروسي في عهد الملك فردريك الثاني ١٧٤٠-١٧٨٦

علي الأكبر ستار جبار
ali.sattar2205m@ircoedu.uobaghdad.edu.iq
أ.م.د. أسيل عبد الستار حاجم
Aseel.abadalsatar@ircoedu.uobaghdad.edu.iq
جامعة بغداد _ كلية التربية ابن رشد _ قسم التاريخ

الاستلام(Received) : ١٤ /٠٩/ ٢٠٢٥	التعديل (Revision) : ٠٦/١٠/ ٢٠٢٥
القبول(Accepted) : ١٤ /١٠/ ٢٠٢٥	النشر (Published) : ٣٠/٠٩/ ٢٠٢٦

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص:

لم يكن الملك (فريدريك الثاني) مستبداً على النمط السائد في أوربا خلال القرن الثامن عشر الميلادي بل كان نموذجاً مختلف تماماً في الحكم ، إذ أستند حكمه إلى فلسفة الجمع بين الاستبداد والاستنارة، فكان يرى أن الملك ليس صاحب الحق الإلهي في الحكم بل هو الخادم الأول للدولة ومهمته تحقيق الرفاهة لشعبه ، ومن هنا جاء اختيار موضوع البحث (نظرية الاستبداد المستنير وأثرها في نظام الحكم البروسي في عهد الملك فردريك الثاني ١٧٤٠-١٧٨٦) وأيضاً لأهمية الملك فريدريك الثاني في تاريخ بروسيا وألمانيا ، لما قام به من تحديث للنظام القضائي وتوسيع الأراضي البروسية وبراعته في إدارة الدولة عبر فكرة الاستبداد المستنير .

قسم البحث إلى ثلاثة محاور ، جاء المحور الأول بعنوان فريدريك الثاني وسياسة الاستبداد المستنير ، والمحور الثاني بعنوان نظام الحكم خلال عهد فريدريك الثاني ، أما المحور الثالث بعنوان تأكيد النظام المركزي في ضل الاتساع الإقليمي لبروسيا

الكلمات المفتاحية : فريدريك الثاني، الاستبداد المستنير ، بروسيا ، ألمانيا

The Theory Of Enlightened Despotism And Its Impact On The Prussian System Of Government During The Reign Of King Frederick Ii (1740-1786)

Assistant Professor Dr. Aseel Abdul Sattar Hajim Ali Akbar Sattar Jabbar
Aseel.abadalsatar@ircoedu.uobaghdad.edu.iq
ali.sattar2205m@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

University of Baghdad - Ibn Rushd College of Education - Department of History

Abstract:

King Frederick II was not a Despot in the style Prevalent in 18th-Century Europe. His Rule Was A Completely Different Model, Based On A Philosophy that Combined Despotism With Enlightenment. He Believed That The King Did Not Possess A Divine Right To Rule, But Rather Was The Primary Servant Of The State, whose Duty Was To Achieve The Well-Being of His People. Hence, the Choice Of The Research Topic: "The Theory of Enlightened Despotism And its Impact on the Prussian System of Government During The Reign of King Frederick II (1740-1786)." This Choice Also Stems From The Importance of King Frederick II in The History Of Prussia And Germany, Due To His Modernization Of The Judicial System, The Expansion Of Prussian Territories, And His Skillful Administration Of The State Through The Concept Of Enlightened Despotism.

The Research Is Divided Into Three Sections: The First, "Fredick II And The Policy of Enlightened Despotism"; The Second, "The System of Government during the Reign of Frederick II"; And The Third, "The Confirmation of the Central System in Light of Prussian Territorial Expansion".

Keywords: Frederick II, Enlightened Despotism, Prussia, Germany

المقدمة:

تعد دراسة الشخصيات التاريخية من الدراسات المهية ولاسيما في التاريخ الألماني ، إذ يزخر التاريخ الألماني بشخصيات فذة كان لها دور فعال في سير أحداث التاريخ البشري داخل القارة الاوربية ، ويعد عصر التنوير الاوربي من أهم حقب التاريخ الذي برز فيه عدد من الملوك الذين تبنوا الفكر التنويري ووصفوه في صالح دولهم وشعبهم ، وعلى رأس هؤلاء الملوك جاء) فريدريك الثاني (ليتبنى فكرة الاستبداد المستنير ويحكم بروسيا من خلالها ، إذ جمع بين استبداد الملوك الأوربيين وفلسفة المفكرين التنويريين فخرج بنموذج فريد من نوعه ، ولكنه أستطاع الموازنة بين الاستبداد والاستنارة وحكم بروسيا زهاء ست وأربعين عاماً نقل خلالها مملكة بروسيا من دولة هامشية الى مملكة لها وزنها في توازن القوى الأوربية بفضل أدارته للدولة بصفته ملكها وخادمها الأول في نفس الوقت، فقام بتدوين القوانين وأصلاح القضاء ومعاملة رعاياه بعدالة أكبر، وكذلك توسيع بروسيا وربط أراضيها بعضها ببعض ، إذ بمجرد جلوسه على العرش البروسي عام ١٧٤٠م قام بغزو سيليزيا وضمها إلى مملكته ودخل في صراع مرير مع النمسا بسببها وفي الوقت نفسه قام بضم فريزيا الشرقية عام ١٧٤٤م مما أعطاه منفذ بحري مطل على بحر الشمال ، وبعدها قام بالاتفاق مع النمسا وروسيا لاقتسام بولندا عام ١٧٧٢م وحصل من خلال

هذا التقسيم على بروسيا الغربية فأستطاع من خلالها ربط أراضي مملكته الرئيسية في برادنبورغ ببروسيا الشرقية

اولاً :ـ فريدريك الثاني وسياسة الاستبداد المستنير

تُعد صفة "**المستبد المستنير**" من أهم الصفات التي امتاز بها الملك فريدريك الثاني والتي برزت بشكل جلي في مفاصل سياسته الإدارية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، إذ شهدت أوربا في القرن الثامن عشر تنافساً حاداً بين الممالك الأوربية في وضع مبادئ عصر التنوير موضع التنفيذ، وأن تستمد تلك الحكومات قوتها من مصادر الخزين المعرفي للمجتمع (أوترام ،٢٠٠٨، ص٢٧٨). ولم يقتصر الفكر التنويري في أوربا على الفلاسفة والعلماء فحسب بل شمل الملوك الأوربيين الذين بدئوا ينحازون لتبني ذلك الفكر الحديث كان من أشهرهم الملك فريدريك الثاني ، الذي اتخذ من فكرة الاستبداد المستنير ركيزة أساسية في تحديث وتطوير بروسيا فلم يكن السؤال المثار في أوربا خلال القرن الثامن عشر هو : ما إذا كان يجب أن يُحكم الشعب أم لا، بل من يحكم الشعب؟ هل يُحكم من الملك والقانون الذي فرضه؟ أو من أمير المقاطعة ؟ أو من كاهن القرية ؟ (الزيدي، ٢٠٠٩، ص٥٢٤).

وعلى ذلك اعتقد فلاسفة القرن الثامن عشر وعلى رأسهم فولتير بأن الحكام المطلقين والمتأثرين بمبادئ التنوير هم وحدهم القادرون على إصلاح المجتمع وتحديث الدولة، ليس فقط لما يملكونه من قوة الإرادة والمال (Group of authors, 2014, P.532) ، بل لأن عامة الشعب من الأفراد لا يمكن أن تترك لهم الأمور في تقدير المصلحة الشخصية والمصلحة العامة فهم يجهلون التمييز بينهما (بارو ،٢٠٠٨، ص١٦٣) ، وإن استبداد رجل واحد أفضل بكثير من استبداد مجموعة من الرجال، لأن الفرد يستطيع تجنب شر مستبد واحد عن طريق التودد أليه أو الهروب منه لكنه لا يستطيع الهروب من مجموعة مستبدين(فولتير،٢٠١٧، ص٣١٧) . لقد بدا فولتير واضحاً في مفهومه عن النظام الملكي المستنير القائم على أساس الفرد المستبد، مما أثر كثيراً في فريدريك الثاني، الذي آمن بأن فكرة الاستبداد المستنير استندت إلى عنصرين أساسيين ؛ أولهما سيادة الدولة وثانيهما تنفيذ القانون والحاكم بينهما خادم لهما (أوترام ، ٢٠٠٨، ص٢٧٨) ، إذ عبر عن فكرته تلك قائلاً : "**كان الحفاظ على القوانين السبب الوحيد الذي جعل الناس يولون غيرهم فيجعلونهم أسياداً، هذا هو المفهوم الحقيقي للسيادة، فالسيد هو الخادم الأول للدولة** " (Schröder, 1876, P.1)، وكتب في إحدى رسائله إلى فولتير بذلك الشأن قائلاً : " **ليس من اجل المتعة ولا من اجل التباهي يتم وضع الأمير على رأس الدولة، بل من واجبه أن يجعل رعاياه سعداء** " (Boehn, 1922 ,P.39) .

ولا يكون النظام بتلك الصورة إلا عندما يلتزم الملك بالمثل المنطقية، ويتحكم بكل مقومات السلطة وصلاحياتها، مثل حق التشريع وسن القوانين، وإقامة العدل بين الناس، وفرض الضرائب، وتجهيز

الجيوش، وتعيين الموظفين في أماكن تخصصهم، ومعاقبة كل من يتطاول على المصلحة العامة وتحديداً تلك التي تمس النظام الملكي (موسنيه ، ١٩٨٧ ، ص١٤٤) ، إذ رأى الملك فريدريك الثاني أن سعادة الشعب التي يطمحون إليها لا تتحقق إلا من خلال الالتزام برؤية الملك للتطبيق الأفضل للقوانين، ومن الطبيعي أن يكون الملك مستبداً من أجل تحقيق تلك الغاية، ولاسيما أن الملك مفوض من الشعب على إدارة شؤونهم، غير أن ذلك التفويض أعتمد بشكل كبير على شخصية الملك وكيفية إدارته للأمور، فقد تكون الملكية أسوء أنواع الحكم لو أن الملك كان سيئاً وقد تكون أفضل أنواع الحكم لو أجاد الملك الإدارة والتدبير (Boehn,1922, P.42)

والدولة بحسب رأي فريدريك الثاني كما عبر عنها في العديد من مؤلفاته، ولاسيما في كتابه الذي نشره عام ١٧٤٠، التي أوضح فيها وجوب أن تكون هناك مبادئ دستورية وأخلاقية تلتزم بها الدولة، بعيداً عن ذلك المثال الذي طرحه مكيافيلي في كتابه الأمير، لذا انتقد الأمراء وظلمهم مؤكداً أن على الملك أن يكون حنوناً على أبناء شعبه، وأن لا تكون السلطة دافعاً لممارسة الطغيان ضدهم ، وهاجم فريدريك الثاني الأمراء الذين تدفعهم رغبتهم الجامحة في الشهرة أو القوة للحصول على الموارد المالية وزيادة إيرادات الدولة من خلال فرض المزيد من الضرائب التي أثقلت كاهل الناس (p.6 , 1840 , Wolff) .

كما تطرق فريدريك الثاني أيضاً إلى واجبات الملك وأشكال نظام الحكم ففي **(تاريخ حكمي أو عصري)** عام ١٧٤٦ و**(وصيته السياسية)** عام ١٧٥٢، ذكر إن الملكية وإدارة الدولة ليست الحق الإلهي المطلق، بل إن منشأها بشري تتركز على عقد اجتماعي صريح بين الملك والشعب، وذلك العقد هو اختيار الناس من رأوه الأجدر من بينهم والأحق بحكمهم ومن يخدمهم كأب لهم، وطبقاً لذلك منح للملك السلطة على كل شيء، ولكنه في الوقت نفسه لم يريد من تلك السلطة إلا خير الدولة (توشار ، ٢٠١٠، ص٣٣٠) ، ففي خطاب له عام ١٧٧٨ أشار إلى مدى التزامه بخدمة الدولة قائلاً : " **نحن مدينون لله الذي تأتي منه كل الأشياء الجيدة... الذي وفقنا لأداء واجباتنا من اجل المصالح الحقيقية لرعيتنا... لكن بما أننا بشر بقينا دائماً بعيدين عن تحقيق الكمال بسبب عدم كفاية المعرفة، نحن نعترف بأخطاء اقترفناها بشكل علني لأن هذا هو واجب الشخص الصالح... نحن نؤكد لرعايانا أن السنوات القادمة يجب أن تستغل لمصلحة الشعب... وأن رفاهية الدولة يجب إن تسبق رفاهية الفرد** " (Boehn,1922,p.44) ، كان فريدريك الثاني واضحاً في رؤيته للدولة بأنها ليست ملكاً شخصياً له، بل هي مسؤولية كبيرة ملقاة على عاتقه وهو ينتمي لها (Philippson, 1905 P.159.) بدا ذلك الأمر واضحاً في وصاياه السياسية، إذ جعل الملك فريدريك الثاني سلطات الدولة العليا مرتبطة بسلطاته الشخصية وأعتبر نفسه الخادم الأول للدولة (Büsch, , 1981, P.140) .

بدا تناقض الملك فريدريك الثاني واضحاً عندما تكلم عن الحرية والمساواة بين إفراد المجتمع، لكن ممارساته بعد تسلمه زمام الحكم كشفت اختلافه عما نظّر له من مفاهيم وأفكار، بل كان اشد صرامة من والده فريدريك فيلهلم الأول (Yashikl, 1999, P.35) . وأستناداً إلى ما سبق يمكن إرجاع ذلك التناقض والاختلاف إلى تأثير الميكافيلية في نفس وشخصية فريدريك أو من اجل مصلحة الحكم والدولة، فعندما نقد أفكار كتاب " **الأمير** " لميكافيلي كان حينها ولياً للعهد ولم تكن لديه الخبرة الكافية في الحكم وإدارة شؤون الدولة، فقد اثبت فريدريك بالفعل ذلك الأمر عندما تسلم حكم بروسيا عام ١٧٤٠ إذ كان اكبر المؤمنين بأفكار ميكافيلي، التي طالما أنتقدها في كتابه " الرد على ميكافيلي ". فسرعان ما تبنى فكرة الغاية تبرر الوسيلة في هجومه على جيرانه، وسرعان ما نقض العهود والمواثيق وانقلب على حلفائه مما أثار حقدهم عليه (Pečar, 2007, p.3)، في حين وصف فريدريك الثاني بأنه غالباً ما كان يظهر متواضع وطيب وودود إلا انه في اللحظة التي يتصرف فيها كملك يحمل معه الخراب والبؤس والاضطهاد (Cowie, 1964, P.190)، أن شخصية فريدريك الثاني متناقضة فهو على المستوى الشخصي كان ودوداً ومستنيراً، لكن عندما يتعلق الأمر بالملكية والحكم يظهر الجانب الأخر من شخصيته المستبدة، وعلى الرغم من محاولاته لإنكار تعاطفه مع فكرة " المستبد المستنير "، إلا أن دلالات ذلك ظهرت واضحة في إدارته للدولة حتى أصبح علامة فارقة في تاريخ بروسيا (Scott, 2018 , p.265) .

ثانياً:ـ نظام الحكم خلال عهد فريدريك الثاني

أراد الملك فريدريك الثاني تطبيق أفكار عصر التنوير في جميع مفاصل الدولة البروسية التي كانت محاطة بدول اكبر وأقوى منها، لذلك سعى إلى خلق دولة أكثر تأثيراً ونفوذاً في أوربا، وبغية الوصول إلى تلك الغاية كان لابد من العمل الجاد لسد ثغرات الضعف في الدولة البروسية. وكانت أول تلك الثغرات تكمن في سوء التنظيم الإداري وضعف القوانين ؛ تلك المشكلة التي كانت تعاني منها بروسيا خلال العقود السابقة، فكان لابد من تحديث البناء التنظيمي وإلغاء بعض الممارسات التي أضعفت الدولة، غير انه لا يمكن الحكم بسلامة نوايا فريدريك الثاني بعيداً عن رغبته بأن يكون هو الفاعل الرئيس والأول والمتحكم في جميع شؤون الدولة الإدارية داخل بروسيا، لذا توجهت بعض جوانب سياسة التحديث نحو تحجيم دور المؤسسات الحكومية وجعلها مؤسسات صورية مثلما فعل مع مجلس الوزراء والمستشارين الخاصين بهِ، وتفعيل النظام المركزي في ربط المقاطعات البروسية بعضها مع بعضها الآخر، ولاسيما بعد ما بدأ التوسع الإقليمي وضم أراضي أخرى وربطها إدارياً بمركز الحكم في برلين بالقوة العسكرية أو عن طريق المفاوضات (موسنيه، ١٩٧٨،ص٢٠٧).

ارتكزت السلطة في الدولة البروسية بين الملك ومجلس الوزراء والمستشارين، وكانت من أهم الوزارات الموجودة في عهد الملك فريدريك الثاني وزارة الخارجية، ووزارة العدل، والمديرية العامة للشؤون الداخلية والمالية، أما وزارة العدل فقد تم تعيين أربعة وزراء فيها، أحدهم لإدارة الشؤون القضائية، والآخر لإدارة الشؤون الدينية للطوائف المسيحية، والثالث لإدارة المقاطعات والأراضي والإقطاعيات، والرابع لإدارة الشرطة (Freiheren, 1884 , P.58) .

والجدير بالذكر أن رئيس مجلس الوزراء هو المنصب الأول بعد الملك الذي يختاره ويعينه، ومن مهامه عقد الاتفاقيات والمعاهدات الدولية بعد أخذ موافقة الملك وتنظيم الشؤون الداخلية. وكان كل واحد منهم يتقاضى أربع ألاف تالر سنوياً. كان الملك فريدريك الثاني يقول لأحدهم عندما يعرض المنصب الوزاري عليه : " **أن عرضي هذا يتطلب منك أن تضحي بنفسك من اجل خدمة الدولة فانظر في ذلك إذا كانت لديك الشجاعة** " (Thiebault, 1806 ,P.114) . وقد تسلم ذلك المنصب أربعة شخصيات خلال عهد فريدريك الثاني هم :

١- **اينريش غراف فون بودويلس Heinrich Graf von Podewils ١٦٩٥—١٧٦٠** : هو أول رئيس للوزراء، تسلم منصبه في الثامن عشر من آذار عام ١٧٣٩ وأعاد الملك تنصيبه منذ تسلمه العرش في أيار عام ١٧٤٠ حتى حزيران عام ١٧٤٩، وعلى الرغم من انه كان من المؤيدين للنمسا على أساس أنها رمز للإمبراطورية الرومانية المقدسة ومركز الأباطرة، إلا أنه لم يخالف أوامر الملك، كما لم يكن راغباً بخوض الحروب السيليزية إذ كانت علاقاته ودية مع النمسا، وقد ترأس عددٍ من المفاوضات مع (**سكسونيا Sachsen**) والنمسا خلال الحرب، لكنه استقال من منصبه عام ١٧٤٩ بسبب الشبهات التي دارت حول علاقته مع النمسا بشكل كبير، وتوفى عام ١٧٦٠.

٢- **جورج ديتلوف فون أرنيم بويتزينبورج Georg Dietloff von Arnim—Boitzenburg ١٦٧٩—١٧٥٣** : تسلم منصب رئيس الوزراء عام ١٧٤٩، غير أن (**كارل فيلهلم فينك فون فينكنشتاين Karl Wilhelm Finck von Finckenstein ١٧١٤—١٨٠٠**) كان هو المسؤول عن إدارة الشؤون الخارجية في عهده بسبب نفوذه ومكانته لدى الملك وبسبب كفائته العالية في الدبلوماسية، توفى بويتزينبورج عام ١٧٥٣.

٣- **كارل فيلهلم فينك فون فينكنشتاين** : وقد عد ثالث رئيس للوزراء في عهد فريدريك الثاني، وتسلم المنصب عام ١٧٥٣ لغاية عام ١٧٧٧.

٤- **فريدريك أنطون فون هاينيتز Friedrich Anton von Heynitz ١٧٢٥—١٨٠٢** : وهو أخر رئيس وزراء قلده فريدريك الثاني ذلك المنصب، شغل منصب مستشار في البلاط السكسوني،

لكنه انتقل إلى بروسيا عام ١٧٧٤، عينه فريدريك الثاني رئيساً للوزراء في التاسع من أيلول عام ١٧٧٧، وخوله بالتصرف في شؤون كثيرة لما امتلكه من مميزات وخبرات إدارية.

والجدير بالذكر أن الملك فريدريك الثاني قد أطلق على وزرائه ومستشاريه لقب (**الأخوة الكبار**) عرفاناً منه تجاههم نظراً لجهودهم التي بذلوها في خدمة الدولة منذ زمن والده وحتى أخر أيام حكمه (Roser , 1925 p.223) ,، إلا أنه قلل بشكل كبير من سلطة مجلس الوزراء حتى حولهم إلى مجرد كتبة تحت أوامره , وبيادق بين يديه (Dover, 1832 , P.237)، ففي الوقت الذي كان فيه الملك يقضي معظم أوقاته في قصر سان سوسي في بوتسدام عند ضواحي برلين الجنوبية كان وزرائه يقيمون في برلين (المقرحي، ١٩٩٦، ص٢٥٤) ، ولم يجد الملك أن هناك حاجة لمشاركة مجلس الوزراء في مناقشة الشؤون الإدارية الكبرى، بما أكسبه حرية العمل دون عرقلة من وزرائه ومستشاريه، ولم يكن رؤساء الوزراء يجتمعون مع الملك إلا مرة واحدة في السنة بناءً على أوامر الملك أو حسب ما تقتضيه الضرورة لغرض إعداد ميزانية الدولة، ويعود ذلك إلى رغبة فريدريك الثاني بالانفراد بالحكم لإدارة الجانب المدني من حكومته مثلما يدير الجانب العسكري متأثراً بوالده ، أما الموظفون من الوزراء والمستشارين فهم مجرد بيادق بين يديه يستطيع توجيهها كيفما يشاء، لقناعته التامة بأن على الملك أن يكون متحكماً بجميع مفاصل الدولة (Philippson, 1905, P.160) . ومن مظاهر تلك القناعة انه فصل إدارة شؤون البلاط الملكي وجعلها مستقلة بذاتها بعدما كانت تدار من قبل مجلس الوزراء (Hirsch, 1835, p.192)، ولذلك كان فريدريك الثاني مثالاً على الحكم المطلق المستنير، فقد كان يمارس الاستبداد على مجلس الوزراء، وفي الوقت نفسه سعى إلى تطوير الدولة على وفق نظرته الشخصية (Yashikl,1999, P.35).

والى جانب مجلس الوزراء كان (**المجلس الملكي الخاص Royal Privy Council**) وهو مجموعة مستشارين للملك اختلف عددهم من مدة إلى أخرى، فقد وصل في بعض الأحيان إلى سبعة وفي أحيان أخرى إلى تسعة أو ثلاثة أفراد ، كانوا يعقدون سلسلة اجتماعات دورية للتباحث في قضايا الدولة البروسية من أجل تقديم النصح والمشورة إلى الملك فريدريك الثاني، ومن مهامه الإشراف على الشؤون المالية وإدارة الشؤون الخارجية (Tuttle, 1896, P.13) . إلا أن الملك لم يولي ذلك المجلس اهتماماً يذكر ولم يشاركهم اجتماعاتهم التي اعتبرها شكلية وروتينية، بل كان في الغالب يتخذ القرارات الحاسمة في شؤون الدولة دون الرجوع إليهم، فلم تملك تلك المؤسسة السيطرة على ملك طموح مالَ إلى اتخاذ قراراته بنفسه ومؤمن بنظام حكم الاستبداد المستنير مثل فريدريك الثاني. وفقاً لذلك لم تكن هناك هيئات تشارك الملك في صنع القرار داخل الحكومة والبلاط بل حرص على أن يحتكر شؤون الحكم لنفسه، حتى النبلاء الذين كان يعدهم ركيزة أساسية لنظام الدولة لم يطلب منهم يوماً المساعدة في إدارة شؤون الدولة، بل أنه أيضاً استبعد ولي عهده وشقيقه الأمير أغسطس ومن بعده ولده (**فريدريك فيلهلم**

الثاني Friedrich Wilhelm II ١٧٨٦—١٧٩٧) ، اللذين لم يرتبطا بشؤون الحكم بشكل فاعل ومؤثر (Priest, 1915, P.25) ، وكان ذلك كله يعود إلى شخصية فريدريك الثاني المعتد بنفسه والى أسلوبه المستبد في إدارة الدولة لذلك لم يرى ضرورة لوجود أشخاص يساعدونه في إدارة مملكته .

أولى الملك فريدريك الثاني عناية خاصة للقضاء وتدوين القوانين، لما لذلك الجانب من أهمية كبيرة في تحديث الدولة البروسية (Frevert, 2012, p.11) ، فقد كان تطبيق الأحكام في بروسيا خلال العصور الوسطى لغاية عهد فريدريك الثاني يتم بشكل وحشي إلى درجة التفنن في أساليب التعذيب حتى الموت، ولاسيما طرق الإعدام والعقوبات الأخرى، التي كانت تتم إما عن طريق بتر بعض الأطراف أو السلق بالماء والزيت أو الحرق بالنار، وكثيراً ما كانت تنفذ في الأماكن العامة وأمام مرأى من الناس، فأراد الملك فريدريك الثاني تغيير تلك القوانين التي تعتبر أعراف للشعوب الهمجية والبدائية (هروود، ٢٠١٧، ص٤٥) . لذا عمل فريدريك الثاني منذ أن استلم الحكم على التخفيف من الأحكام القضائية، وأراد جعل القانون الجنائي أكثر رأفة وإنسانية، ولاسيما بإصدار الأحكام القضائية. وقد بادر الملك فريدريك الثاني في هذا الأمر إلى إلغاء عقوبة الإعدام في بروسيا (Holland, 1913, P.59) ، إذ أصدر في الثالث من حزيران عام ١٧٤٠ أي بعد أن تولى العرش بثلاثة أيام مرسوم إلغاء عقوبة الإعدام عدا قضايا الخيانة العظمى والجرائم الكبرى مثل القتل العمد، فضلاً عن منع استخدام التعذيب أثناء التحقيق، بل أكثر من ذلك فقد أرسل الملك فريدريك الثاني رسائل عدة إلى حكام الولايات البروسية حثهم فيها على عدم إيذاء رعاياهم أثناء جمع الضرائب وكان ذلك الأمر نادراً في تلك الأيام(Foerster, 2018, P.66) ، قائلاً : " **نحن ملزمون بتحقيق العدالة لرعايانا مثلما هم ملزمون بتقديم الاحترام لنا... يجب أن نكون عادلين عندما يتعلق الأمر بتسوية الحقوق بين المواطنين** " (Treitschke, 1914, P.48) ، استطاع الملك فريدريك الثاني من خلال ذلك أن يكسب حب واحترام الشعب له في أول عهده ، فقد عُد من أوائل الحكام الذين تنبهوا إلى خطورة الجريمة وارتباطها بأحكام الأمن في البلاد، إذ رأى أن الطريقة المثلى للوقاية من الجرائم هي التخفيف من شدة العقوبة وليس التشدد في تطبيق الأحكام، لذلك كانت بروسيا خلال مدة حكمه اقل الدول الأوربية من ناحية ارتكاب الجرائم إذا ما قورنت بمثيلاتها في أوربا ، إذ تأثر الملك فريدريك الثاني بآراء القاضي الايطالي **(سيزار بيكاريا Cesare Beccaria ١٧٣٨ـ١٧٩٤)** بما ساقه من حجج وانتقادات لنظام أوربا في العقاب، وأنها مثلت انتقاماً لمجتمع مجرم وليس تنفيذاً للعدالة (Cole, 2014, p.556) . وتجدر الإشارة هنا إلى أن التعذيب في أثناء التحقيق لم يكن ملغياً بشكل كامل، بل بقيت ممارسات التعذيب ولكن اقل عنفاً، فعلى سبيل المثال استبدال التعذيب بثقب الأيادي بالبراغي والتي كانت تستخدم للاستجواب، بضرب المتهمين بالعصي، بغية أن يظل المتهمون خائفين من التعذيب سواء أكان يتم بشكل همجي أم بتقنيه أقل قسوة ' وعلى الرغم من ذلك سبق الملك

فريدريك الثاني اقرانه الأوربيين في النظر بمسألة أساليب التعذيب وانتزاع الاعترافات من المتهمين أو معاقبتهم وتحويلها لممارسات أكثر إنسانية.

وبرزت مواقف عدة لفريدريك الثاني وضحت موقفه من تطبيق العدالة، ولاسيما قصته ذائعة الصيت مع الطحان، أثناء إنشاء قصر سان ساسوني عام ١٧٤٢، إذ قرر الطحان أن يواجه الملك أيماناً منه بأن هناك قضاء في برلين يمكن أن ينصفه وإن كان خصمه الملك نفسه (ايكاريوس١٨٩٨، ص٦١٧) . وما تزال تلك الحكاية محل شاهد على مدى تطبيق العدالة والصرامة في القوانين البروسية خلال عهد الملك فريدريك الثاني، الذي أكد أن لا فرق بين فقير وأمير في أن يتمتع كل منهما بتطبيق العدالة والمساواة أمام القانون (التونسي، ٢٠١١،ص٤٢٤-٤٢) . فقد أسس فريدريك الثاني القوانين البروسية مراعياً بها العلاقة بين الحاكم والرعية ، إذ ذكر في وصاياه السياسية " **في المحاكم يجب أن تتكلم القوانين ويجب أن يبقى صاحب السيادة صامتاً** " (Friedrichs, 1920, P.2.) .

وطبقاً لعمل المحاكم في ظل البيروقراطية الإدارية وكيفية تطبيق القوانين(صالح، ١٩٨١، ص٣٣٨) ، سادت سلطة رجال الدين في إدارة المحاكم في المدن الصغرى والقرى والأرياف إلى جانب القضاة غير كفوئين ، لذا كان طبيعياً أن تعاني تلك المحاكم من أخطاء جسيمة في أحكامها والية تنفيذها. وقد حرص الملك فريدريك الثاني على إن تتبع تلك المحاكم محاكم كبرى في العاصمة لاستئناف ما يتم إصداره من أحكام يشك في مصداقيتها وصحتها، مؤكداً أن لكل فرد في بروسيا الحرية في رفع أية شكوى على من يعتقد بأنه قد ظلمه. كما جعل من الممكن للرجال من غير النبلاء أن يكونوا قضاة، ووحد نظام المحاكم ووضع مبادئ توجيهية لتدريب القضاة الذين أصبحوا من تلك اللحظة موظفين حكوميين يعملون بأجر معين (Dover,1832, p.p.401-403). وتلافياً لشيوع الرشوة في القضاء وضمان نزاهته أمر فريدريك الثاني برفع سقف الراتب الشهري للقضاة، إذ أصبح القاضي يتلقى خمسة ألاف تالر بدلاً من ٢،٦٠٠ تالر ، ومنع تلقيهم أية هدايا أو هبات قد تؤثر على أحكامهم (Fay, 1937, p.141) ، ولذلك أصبحت حالات الظلم اقل شيوعاً، وأصبحت القضايا المعلقة في المحاكم اقل إذ تم إنجاز معظمها ، كما أنجزت خلال ثلاثة أشهر فقط في عام ١٧٤٣ نحو ٢،٤٠٠ قضية متوقفة (Foerster,1820 P.123) . وعُدَّ إلغاء الاستئناف في المحاكم الصغرى ومحاكم الإمبراطورية واقتصارها على محاكم العاصمة برلين فقط، أهم إصلاح في الجهاز القضائي، إذ أرهقت تلك الفقرة كاهل الدولة في المصاريف الجانبية وإطالة أمد القضايا، ولا شك في أن ساعدت تلك الفقرة على تقليل التلاعب بالأحكام أو تحريفها من قبل القضاة في المقاطعات البروسية نتيجة للمحسوبية والرشاوي (Dover,1832, p.p.401-403) .

غير أن التحول اللافت في تحديث القوانين البروسية تمثل بالعمل على تدوين قانون بروسي موحد عام ١٧٤٩ ، إذ كانت للملك فريدريك الثاني فلسفة خاصة بهِ فلم يشأ إن تنافسه أية سلطات في

رسم خطط تحديث بروسيا، لذلك قام بالشروع بتدوين القوانين لكي يضع بنفسه مساراً مركزياً موحداً تسير عليه الدولة. كما نظر إلى العدالة على أنها شيء نسبي يختلف من دولة إلى أخرى، ومن حاكم إلى آخر، ومن أمة إلى أمة أخرى (Whittall, 1901, p.27)، ففي الحادي والثلاثين من كانون الثاني عام ١٧٤٨ أمر فريدريك الثاني مستشاره الأكبر **(صامويل فرايهير فون كوتشيجي Samuel Freiherr von Cocceji ١٦٧٩—١٧٥٥)** بالعمل مع مجموعة من القضاة وخبراء القانون على تنظيم قوانين موحدة للدولة البروسية، تعمل على تثبيت مبادئ العدالة والمساواة بين أفراد الأمة البروسية (Foerster,2018, P.123).

أستند القانون البروسي المعد إلى جملة من المبادئ العامة التي أوضحت رؤية الملك فريدريك الثاني في تحديث الدولة البروسية كان أبرزها :

١- العمل على وضع قانون مركزي عام للبلاد يكون أنموذجاً قابلاً للتطبيق.
٢- أن يستند إلى مبادئ الحقوق الطبيعية للفرد نحو مجتمع مدني يضاهي المجتمعات الأوربية الأخرى من حيث الحداثة والتطور المدني.
٣- استحداث قواعد عامة تكون أساساً لاستنباط القوانين المناسبة لكل حادث أو ظرف بما يجعل النظام القضائي مرتبطاً بعضه مع البعض الأخر.
٤- تجميع القوانين وصياغتها باللغة الألمانية حتى يتمكن الجميع من الرجوع إليها.
٥- تم منع الأساتذة والمثقفين والطلاب من إضافة أية ملاحظات جانبية أو شروح توضيحية، من اجل عدم إفساد القانون أو تعرضه للتحريف، وكان المحامين والقضاة فقط من لهم الحق في تفسير القوانين أو شرحها (Projet Du Corps De Droit Frederic 1750,p.p.23_29) .

ظهر مشروع مجموعة القوانين خلال عام ١٧٤٩ واستمر العمل بهِ حتى عام ١٧٥٥ وعلى ثلاث مراحل (Foerster,2018, P.123) هي :

١- المرحلة الأولى: اشتملت على تدوين الجزء الأول من القانون البروسي المعد عام ١٧٤٩ الذي اختص بقوانين الأحوال الشخصية وكل ما خص الأسرة والحياة العامة في بروسيا.
٢- المرحلة الثانية: تضمنت تدوين الجزء الثاني من مشروع القانون عام ١٧٥١ بشأن قانون ملكية الأراضي.
٣- المرحلة الثالثة: اختصت بقوانين الجرائم والعقوبات الجنائية الصادرة عام ١٧٥٥.

غير أن وفاة المستشار الملكي كوتشيجي عام ١٧٥٥ أدت إلى عدم اكتمال مشروع القوانين المعد "بمراحله الثلاثة" إذ كان من أشد المتحمسين لتحديث القوانين البروسية ولم يأتِ بعده من كان بهمته

ونشاطه ومعرفته نفسها بصياغة وتشريع القوانين (Allgemeine Deutsche Biographie, 1881 , p.375 .)

سوَّغ الملك فريدريك الثاني في مقالة له نشرت في مجلة برلين عام ١٧٥٣ أسباب وضع القوانين وإلغائها وأوضح تلك الأسباب بأن المجتمعات الإنسانية يجب إن تتهيأ اولاً لتقبل تلك القوانين وتطبيقها قبل أن يتم نشرها، ويستشهد بالعديد من الدول والمجتمعات في التاريخ القديم مثل المجتمع الإسبارطي والمجتمع الأثيني، وأنها قد وضعت القوانين ولكنها فشلت في تطبيقها بسبب عدم قدرة الناس على استيعابها أو فهمها بالشكل الصحيح، لذلك عمل الملك فريدريك الثاني بدقة وحذر بشأن نشر القوانين وتحاشى نشرها في وقت كانت فيه الدولة البروسية تعيد بناء نفسها وتتخلص من أزماتها (Oeuvres De Frédéric, 1847, P.p.12-33.)

على الرغم من عدم تطبيق القانون البروسي الموحد على أرض الواقع إلا أن فكرته كانت نقلة نوعية في العصر الحديث، إذ حرص الملك فريدريك الثاني على أن تكون تلك القوانين ملائمة لروح عصر التنوير، فكان هو الرائد بين حكام أوربا من هذه الناحية (Ernesti, 1835, p.p.68-71) . على الرغم من ذلك لم تكن تلك القوانين خالية من الأخطاء، إذ شاب الغموض العديد من موادها (Dover, 1832, p.p.401-403)، وكانت العلاقة بين الدولة والمواطن من أهم القضايا التي لم يتطرق القانون إلى شرحها، وتحديد واجبات الدولة تجاه رعاياها (Ernesti, 1835, p.p.68-71).

كان فريدريك الثاني واقعياً في تدوين القوانين فلم يقصد بتدوينها إقامة العدل فحسب بل كانت المنفعة المترتبة على تدوين القوانين وعقلانية الأحكام هدفاً آخر للملك، فقد أولى فريدريك الثاني للعقل سلطاناً بما يقوض العاطفة أو الدين (Foerster,2018, P.123) ، مما دفع بعض المؤرخين لأن يرى أن الملك فريدريك الثاني مخادع في أعماله، ولاسيما في جانب العدالة، وأن الإجراءات التي أتخذها كانت تهدف في المقام الأول إلى جعل الدولة البروسية أكثر قوة وليست أكثر عدالة، وكانت فكرته تعزيز نفوذ الدولة وليس العدالة بحد ذاتها (Merriman, 2010, p.341) .

كذلك الأمر بالنسبة لتحديثاته الأخيرة للقوانين ؛ فلقد كان لقضية الطحان (**ميلز ارنولد Miles Arnold**) عام ١٧٧٩ اثر كبير في إعادة النظر بالقوانين البروسية والعلاقة بين النبلاء والمواطنين العاديين أمام القضاء (Foerster,2018, P.123). فعاد فريدريك الثاني ليفتح ملف تحديث القضاء فأوعز إلى مستشاره (**يوهان هاينريش كازيمير Johann Heinrich Casimir ١٧٢٠—١٨٠١**) قي نيسان عام ١٧٨٠ .(Freiheren,1884, p.61) بأن يبدأ بتجميع القوانين مرة أخرى وتحديثها بالشكل الذي يتوائم مع متطلبات العصر ، عرض كازيمير بدوره المذكرات والمداولات القانونية التي أعدها كوتشيجي على مجموعة من فلاسفة القانون والمفكرين وكان من أهمهم (**موسى مندلسون Moses**

Mendelssohn ١٧٢٩—١٧٨٦)، أفضت تلك المداولات في النهاية إلى إعداد لوائح الثاني عشر من شباط عام ١٧٨١ أو ما يعرف بـ **(مجموعة القوانين الفريديركي Corpus Juris Fridericianum)** (Olvenstedt, 1841, p.82) ، طبقاً للوائح القانونية أصبحت هناك سلطة قضائية خاصة عرفت بـ**(غرف القضاء)** للبت في القضايا الخاصة بين البلاط والإقطاعيين أو المواطنين العاديين، في حين توسعت سلطات تلك الغرف لاحقاً حتى شملت تقديم الشكاوى ضد الموظفين الإداريين وحالات الاحتيال الجمركي والسرقات، تم تنظيم تلك الغرف بموجب لوائح الثاني عشر من شباط عام ١٧٨١، إذ جعل لكل غرفة مسئولاً خاصاً بها يرأس عدداً من الأعضاء أو المستشارين الذين يساعدونه في النظر بالقضايا وترتيبها، وكانت تلك الغرف ترسل بعثات عدة إلى المدن الصغرى والقرى للنظر في القضايا المحلية هناك (Freiheren,1884, p.61).

لقد احتوى الأنموذج الأول لتحديث القوانين عام ١٧٨١ على ديباجة وأحد عشر جزءاً تفصل في مختلف المعاملات بين القاضي والمدعي والمدعى عليه وهي :

اولاُ :ـ تضمن الجزء الأول الإجراءات التي يجب اتخاذها في رفع الشكاوى ضد المواطنين البروس سواء كانوا نبلاء أم أناساً عاديين.

ثانياً :ـ اشتمل الجزء الثاني على ضوابط المحكمة ووجوب حضور من يسجل الدعوى شخصياً.

ثالثاً : تضمن الجزء الثالث ضوابط جمع الشكاوى وتصنيفها التي تكون من مسؤولية مساعدي المستشارين القضائيين.

رابعاً :ـ شرح الجزء الرابع مهمة المستشارين في تسجيل الدعاوى القضائية.

خامساً :ـ وجاء الجزء الخامس عن صياغة الأنظمة القضائية وإدراجها ضمن الأرشيف القضائي البروسي.

سادساً :ـ أما الجزء السادس فقد تضمن الإجراءات التي يجب اتخاذها إذا ما كان المتهم مفقوداً أو هارباً من العدالة.

سابعاً :ـ راعى الجزء السابع التعليمات والوصايا التي يجب أخذها بالحسبان حين التسجيل والرد على الشكاوى.

ثامناً :ـ أوضح الجزء الثامن ما يجب فعله بشأن الرد على الشكاوى وتحديد مواعيد دراستها.

تاسعاً :ـ عرض الجزء التاسع الإجراءات الروتينية التي يمكن إجراؤها عندما تكون جميع أطراف القضية حاضرة في المحكمة.

عاشراً :ـ حدد الجزء العاشر ما يجب العمل بهِ من أجل معرفة ملابسات القضية من خلال جمع الأدلة والبراهين والاستماع إلى الأقوال وسماع شهادة الشهود وما إلى ذلك من إجراءات.

الحادي عشر :ـ وأما الجزء الأخير فقد حدد الأدلة التي يتم الحصول عليها من خلال المستندات المتوافرة لدى المحكمة (Corpus, 1781, p.p.9—16) .

تضمن التحديث كذلك عدداً من الأجزاء والإجراءات القضائية في المعاملات الفردية والعامة، عرضت فيها أسباب القيام بتلك التحديثات، وهي أن المشروع الأول الذي قام بهِ كوتشيجي عام ١٧٤٩ لتحديث القوانين البروسية قد أصابه الترهل والتفكك، لذلك كان لزاماً على حكومة فريدريك الثاني أن تعمل على تحديثات جديدة. وقد احتوت تلك التحديثات على جوانب عدة، فمن جانب القاضي كان يجب أن يكون ذا خبرة في التعامل مع مختلف القضايا، وله أن يستخدم جميع الطرق الممكنة في الاستجواب، وأن كان في ذلك استخدام القوة والضرب، كما ألزم المدعين الحضور بشكل شخصي أمام القاضي، أما من ناحية المواطنين البروس فقد تم إلغاء جميع الأحكام التعسفية بحقهم أو التي يشك بأنها لا تحقق القدر الكافي من العدالة (Corpus, 1881, p.p.9—16) ، وفي الرابع عشر من آذار عام ١٧٨٤ تم نشر مسودة القوانين البروسية، ولكنها لم تطبق على ارض الواقع إلا في عهد "**فريدريك فيلهلم الثاني** " الذي قام بنشرها مرة أخرى وتطبيقها بشكل فعلي(Foerster,2018, P.276).

كانت معارضة اليونكرز والارستقراطيين من النبلاء وملاك الأراضي أحد أهم الأسباب في عدم تطبيق القانون البروسي لا في عام ١٧٤٩ ولا في عام ١٧٨٤، إذ لم يهتموا بتطبيق القوانين البروسية التي دونها الملك فريدريك الثاني بمساعدة مستشاريه، وأخذوا يتجاهلونها على الرغم من إقرارهم بها وبقي معظمهم يطبق القوانين القديمة التي عرفها ونشأ عليها (Fay,1937, p.140) ، لذا واجه صعوبات كثيرة في سبيل المضي قدماً نحو تحقيق العدالة والمساواة، ولاسيما من ذوي النفوذ والنبلاء أو أولئك الذين كانوا يقومون بتفسير القانون وتنفيذه بعيداً عن سلطة الدولة وحسب ما تقتضيه مصلحتهم الشخصية (Hayes, 1944, P.348). ويبدو أن السبب الآخر في عدم تطبيق القوانين البروسية وبقائها حبراً على ورق شخصية الملك فريدريك الثاني. فعلى الرغم من ظهوره بمظهر الملك المستنير كان يخفي في نفسه التقاليد والاستبداد الملكي، وتخوف من أن يذهب سلطانه أو يتم تحجيمه إذا ما تم تطبيق القوانين في بروسيا مثلما حدث في انكلترا، لذلك كتب مسودة للقوانين ووضعها جانباً لكي تطبق بعد وفاته وذلك ما حدث بالفعل.

يمكن القول إن الملك فريدريك الثاني قد افتقر للإمكانيات المادية والمعنوية لتطبيق القوانين على الرغم من حماسه الشديد في تحديث القانون البروسي، وعندما امتلك المقومات والإمكانيات التي تؤهله لتطبيقها في بداية عقد الثمانينات من القرن الثامن عشر عاجله الموت وحال دون تطبيق القوانين في عهده، ولم يتم العمل بمشروع القوانين إلا في عهد فريدريك فيلهلم الثاني، إذ تم إصدار القوانين التي نظمها فريدريك الثاني وكوتشيجي.

ثالثاً :ـ تأكيد النظام المركزي في ضل الأتساع الإقليمي لبروسيا

حصل فريدريك الثاني إلى جانب كونه ملكاً في بروسيا، بألقاب ومناصب أخرى منها مارغريف برادنبورغ ، ودوق بوميرانيا وماغديبورغ و(**كليف Kleve**) ، وأمير (**مندن Minden**) و(**نوشاتيل Noshatil**) وهالبرشتات، وكونت (**مارك Mark**) و(**رافينسبرغ Ravensberg**) ، ولورد (**لتيكلنبورغ Tecklenburg**) وبوتر، أشار ذلك التنوع في الألقاب إلى التنوع الإقليمي للدولة البروسية، فلم تكن تلك المناطق متحدة مع بعضها وفقاً لنظام مركزية الدولة ، بل كانت مختلفة في نوع الحكم وتفصلها أراضٍ لدول أخرى (Schlenke, 1981, p.15)، لذلك توصل إلى قناعه مفادها أن الدولة البروسية إذا ما أرادت أن تكون على قدر من الأهمية والقوة ليس أمامه إلا أن تتوسع نحو المزيد من الأراضي (موسنيه، ١٩٨٧، ص٢٠٧). لذا انتهج فريدريك الثاني منذ أن اعتلى العرش عام ١٧٤٠ سياسة تتلخص في كلمتين هما "**الكل أو لا شيء**"، وذلك ما نجده واضحاً عبر إقدامه على الغزو وضم المزيد من الأراضي من دون أن يكترث للقوى العظمى التي كانت تحيط بهِ (Spenkuch, 2019, P.21) . لذا عدت التوسعات الإقليمية للملك فريدريك الثاني من أهم انجازاته، فقد أدت دوراً مهماً في تحول بروسيا من بلد صغير إلى قوة عظمى في أوربا، ولاسيما من خلال ضم مقاطعات مهمة مثل سيليزيا وفريزيا الشرقية وجزء من أراضي بولندا وبستفليد وانتشار الشعب البروسي في تلك المناطق (Solsten,Eric, 1995, p.p.27-28) .

إن مبدأ التوسع الذي انتهجه الملك فريدريك الثاني كان إيماناً منه بتحويل بروسيا كأرض كبيرة تابعة له وعليه حمايتها وتحديثها من كل الجوانب، لذلك حرص على معرفة كل الأماكن والمناطق البروسية، وحرص على إجراء التحديثات الضرورية في مملكته، فراقب المسؤولين الإداريين والماليين، ودرس سبل التحديث بعناية كبيرة (Fay, 1937, p.332) ، وكان الملك كثير التجوال في المقاطعات البروسية حتى دون المؤرخين لكثير من قصص جولاته في بروسيا والمناطق التابعة لها وبأسماء مستعارة، بغية معرفته واطلاعه على أحوال الدولة ولو في ابعد نقاط المملكة، ومن الرحلات التي سافر بها الملك إلى جنوب بروسيا والتي استمرت لمدة شهر بين آب وأيلول عام ١٧٤٠ ، حضر خلالها اجتماعات السلطات المحلية في المقاطعات وبحث بنفسه عن الثغرات والمزايا في النظام الإداري الداخلي وحاول إصلاح الأخطاء، وكانت تعرض عليه شخصياً شكاوى المواطنين هناك (Linden, 1876, P.160)، ملزماً النبلاء ورجال الدين والمتنفذين في السلطة بأداء واجباتهم دون أن يستطيع أحداً منهم التهرب من واجباته تجاه الدولة البروسية (Uttle, 1888, p.196) ، لذا وسع الملك فريدريك الثاني النظام المركزي للدولة بشكل كبير (Spindler, 2009, P.91)

مضى فريدريك الثاني في خطواته نحو تقوية النظام المركزي للدولة في وقت بلغت بهِ مساحة الأراضي البروسية ١١٧ ألف كم٢ قبل ضم سيليزيا ، إذ شكل أقساماً إدارية مثل المقاطعات والدوقيات والامارات وعين لكل منها وزيراً معتمداً، والعديد من المستشارين، الذين عملوا على الاهتمام بالقضايا العامة تحت توجيه وإشراف الملك نفسهوحرص الملك أيضاً على ربط برادنبورغ وبروسيا الشرقية بشكل أوثق بعد أن كانتا مستقلتين من الناحية الإدارية قبل اعتلائه العرش، إذ كانت برادنبورغ ناخبية وبروسيا دوقية فوحد بينهما تحت اسم المملكة البروسية (Pohm, 1819, P.90) ، في حين قسمت بروسيا خلال عهد الملك فريدريك الثاني على أربع إدارات إقليمية حسب مواقعها الجغرافية ، اشتملت الأولى على مقاطعات شمال شرقي بروسيا مثل (بروسيا الشرقية وبوميرانيا و**نيومارك**Neumar)، أما المنطقة الإدارية الثانية فضمت المناطق الوسطى والجنوبية من بروسيا مثل (**كورمارك** **Kurmark** و**ماغديبورغ** **Magdeburg** وهالبرشتات)، بينما تكون القسم الإداري الثالث من المناطق التي تقع على نهر الرين السفلي في الجنوب الغربي من ألمانيا وشمل مناطق (رافينسبرغ وكليف ولتيكلنبورغ)، أما القسم الإداري الرابع فشمل أراضي (وستفاليا البروسية) في غربي ألمانيا (Kunisch, 2011 ,P.115) . على أن تلك التقسيمات الإدارية تضمنت مناطق الريف فقط، أما المدن الكبرى فقد كانت تدار بواسطة سلطات محلية من داخلها تحت اسم سلطات المدن، وكانت عبارة عن مجلس من المتنفذين في المدينة مثل التجار والنبلاء ورجال الدين ويرأسهم عمدة المدينة الذي كان عادةً من النبلاء، ولم يسمح لعضويته بأن يدخلها أفراداً من الفئات العامة في المجتمع إلا في حالات نادرة كأن يكون قد حصل على مرتبة نبيل عن طريق شرائها، أو أن تكون هناك حاجة ماسة لهُ في المجلس للاستفادة من خبرته الإدارية أو المالية. اختص المجلس بتحديد وتوزيع الضرائب على سكان المدينة، والإشراف على عقارات الدولة من ناحية البيع والشراء أو استئجارها، وحفظ النظام والأمن في المدينة، وقد كان للسلطة القضائية نفوذ إداري كبير في تلك المدن فقد كانت تتحكم بالشؤون العقارية بعامة في المدينة (Freiheren,1884, p.p.63-64) .

غير أن خطة التوسع الأكبر لبروسيا أبان حكم الملك فريدريك الثاني كانت من خلال سيطرتها على سيليزيا عام ١٧٤٠ بمساحة قدرت بـ٤٠ ألف كم٢، وقطنها نحو مليون نسمة، حتى زادت مساحة بروسيا إلى ١٥٧ ألف كم^{٢}، وزاد عدد سكانها ليصل إلى ٣ مليون ونصف المليون نسمة (Meukirch, 1837, P.1) ، وقد مثلت سيليزيا قيمة كبرى للدولة البروسيةدفعت الملك فريدريك الثاني إلى إحداث تغيرات وتحديثات داخل تلك الأراضي، ولاسيما بعد أن انتهت الحروب السيليزية(Dove, 1883, P.146) . فشهدت سيليزيا بعد ضمها للدولة البروسية ازدهاراً كبيراً عما كانت عليه في السابق، إذ زاد إنتاج المعادن والفحم بسبب اكتشاف مناجم جديدة، وزادت مساحة الأراضي الزراعية لما قام بهِ الملك فريدريك

الثاني من تحديثات في الأراضي الزراعية، وازدهرت التجارة عن طريق فتح القنوات المائية (Hair, 2010, P.85)، ولاسيما أن ثلثي سكانها من البروتستانت قد عدَّوه مخلِّصاً لهم من تعسف قوانين النمسا ؛ مثل مركزية الحكم، ومعاداة الإصلاح الديني، وتقييد سلطات النبلاء البروتستانت، والاستحواذ على أراضيهم، دفع ذلك بسكان سيليزيا للترحيب بضم فريدريك الثاني لمقاطعتهم، غير أن الثلث الباقي من سكان سيليزيا الكاثوليك لم يرحبوا بعملية الضم وأن يكون هناك ملكاً بروتستانتياً، لذلك عمل الملك فريدريك الثاني جاهداً على كسب ودهم، عن طريق نشر الحرية الدينية وتعزيز روح الصداقة معهم (Linden,1876, p.148) ، متعهداً بأن يحافظ على الكاثوليكية في سيليزيا ويحفظ للمقاطعة استقلالها الديني (Dove,1883, P.146) .

كان وضع سيليزيا من الناحية الإدارية مختلفاً عن بقية مناطق بروسيا، فقد شكلت إدارة مستقلة عن غرف المديرية العامة في برلين وكان يحكمها وزير من الدولة البروسية ومقره في بريسلاو (Meukirch, 1837, P.5_7) ، إذ أدار سيليزيا حاكم عسكري عينه الملك فريدريك الثاني، ومهمته الإشراف على سيليزيا وإدارة أمورها الداخلية لحين إيجاد نظام إداري موحد لتلك المقاطعة الجديدة (Uttle, 1888, p.195)، ودون ذلك لم يكن هناك تغيرات في أوضاع سيليزيا إلا عام ١٧٤٢ عندما أسس الملك فريدريك الثاني المكتب الخاص لوزير الحرب، الذي كان تابعاً بشكل مباشر للملك ومهمته إدارة سيليزيا، عندها تم تأسيس غرف الحرب والمجال في سيليزيا، وكانت عبارة عن تنظيمات إدارية أشبه ما تكون بوحدات صغيرة لإدارة المناطق البروسية، أخذت تلك الغرف على عاتقها المهام الإدارية، وكان موظفوها من مواطني سيليزيا حصراً (Harc, 2015, P.29).

لقد بقي الوضع الإداري في سيليزيا كما هو عليه بعامة في السنوات الأولى من ضمها إلى بروسيا ولم يُحدث الملك فريدريك الثاني تغييرات جذرية في نظامها الإداري سوى دمج بعض الوحدات الصغيرة بوحدات اكبر منها، فمثلاً دمج مناطق (**نوفوغرود Nowogród**) و(**برزيووز Przewóz**) في منطقة (**زاكان Żagań**) (Harc, 2015, P.29) ، وكانت سيليزيا مقسمة على مناطق إدارية عدة قدر عددها بخمس عشرة مقاطعة، شملت إمارات مباشرة وغير المباشرة وعقارات الطبقة الحرة وعلى التقسيم الآتي :

١- الإمارات المباشرة :

أ- بريسلاو Breslau.

ب- بريج Brij.

ت- شفايدنيج Schweidnig.

ث- جوير Juwer.

ج- ليجنيس Legnes.

ح- فولاو Folau.

٢- الإمارات غير المباشرة شملت :

أ- ساجان Sagan.

ب- ديلس وبرنشتات Diels und Bernstadt.

ت- مونستربيرغ Münsterberg.

ث- كارولاث Carolath.

ج- تراشينبرج Traschenburg.

٣- عقارات الطبقة الحرة التي تحكم من الطبقة العسكرية وشملت مناطق :

أ- نوشلوس Noschloss.

ب- فريبان Fryban.

ت- جولاو Golau .

بدأ الملك فريدريك الثاني منذ عام ١٧٤٢ بتكليف وزراء خاصين لإدارة شؤون سيليزيا، الذين كانوا بمثابة الحكام على سيليزيا تابعين له بشكل مباشر، أولهم (**لودفيج فيلهلم فون مونتشو Ludwig Wilhelm von Münchow ١٧٠٩—١٧٥٣**) الذي تسلم منصبه خلال المدة (١٧٤٢ – ١٧٥٣)، وعُدّ وزيراً مسيراً ـ مؤقتاً ـ لشؤون بروسيا، ثم تبعه (**إرنست فيلهلم فون شلابريندورف Ernst Wilhelm von Schlabrendorff ١٧١٩—١٧٦٩**) بين عامي (١٧٥٥—١٧٦٩) وهو أول وزير إداري لسيليزيا، وقد أشاد الملك بأعمال شلابريندورف ومحاولته إيجاد التوازن الإداري والمدني بعد انتهاء الاحتلال العسكري لسيليزيا من خلال توظيف المدنيين بدل العسكريين في إدارة شؤون سيليزيا، كما أنه ساعد على تطور أحوال سيليزيا من خلال تطوير الزراعة والصناعة فيها وتشييد الدفاعات والحصون لحمايتها من أي غزو خارجي، وجاء بعده (**كارل جورج هاينريش فون هويم Carl Georg Heinrich von Hoym ١٧٣٩—١٨٠٧**) وتسلم المنصب بين (١٧٧٠-١٧٨٦)، وهو آخر من تسلم ذلك المنصب في عهد فريدريك الثاني (Vehse, 1851, P.245) . كذلك أصدر الملك مرسوماً ربط سيليزيا قضائياً بحكومة برلين في الثاني عشر من كانون الثاني عام ١٧٤٥، بما أتاح للمواطنين في سيليزيا استئناف دعاواهم في محاكم برلين، كما أصدر أمراً بتعيين رؤساء المديريات في سيليزيا ومستشاريهم (Sammlung Alter in Dem Souverainen, 1745 , P.7) .

تم كذلك في عهد الملك فريدريك الثاني ضم مقاطعة فريزيا الشرقية، التي تقدرت مساحتها بثلاثة ألاف كم^{٢} ويقطنها ٨٠ ألف نمسه، فعندما توفى **(كارل إدزارد Carl Edzard ١٧٣٤ـ١٧٤٤)**، آخر أمير محلي لبروسيا الشرقية من عائلة **(سيركسينا Cirksena)**، في الخامس والعشرين من أيار عام ١٧٤٤، أكد الملك فريدريك الثاني باعتباره ملك بروسيا حقه في الخلافة، الذي تم تنظيمه في اتفاقية إمدن، عندها أعلنت البلاد الولاء للملك البروسي بشكل مباشر (Küster, 1800, p.21).

وما هو جدير بالذكر أن الملك فريدريك الثاني نصب أفراد عائلته لإدارة العديد من المناطق. ففي الثالث والعشرين من حزيران عام ١٧٤٤ أوكل إدارة أمور راينسبرغ إلى شقيقه **(هنري لويس)**، و**(اورانينبورغ Oranienbur)** إلى شقيقه الثاني **(أغسطس فيلهلم)** (Hamilton, 1880, P.1) ، في الوقت الذي بقيت فيه المناطق الريفية تدار من مجموعة النبلاء الذين ورثوا حق إدارة مناطقهم عن الآباء والأجداد، مما أضعف تأثير الدولة البروسية على تلك المناطق (Kunisch, 2011, p.117) . إلا أن الملك فريدريك الثاني أوجد نوعاً من التفاهم مع أولئك النبلاء لإدارة شؤونهم العسكرية والمدنية الخاصة في مناطقهم مقابل استيفاء ما عليهم من واجبات مالية ومستحقات الضرائب تجاه الدولة، وقد هدف ذلك الإجراء إلى بناء نظام إداري موحد تكون فيه للملك السلطات العليا مثل حقه في التجنيد، وحقه في استحصال الضرائب، وحقه في استغلال الأرض بما تقتضي الضرورة بينما أحتفظ النبلاء بسلطات هامشية في مناطقهم مثل حل المشكلات الإدارية، وحقهم في القضاء المحلي، واستحصال الأموال لمدخولهم الشخصي من خلال استثمار أراضيهم الخاصة (Kishlansky, 2008, P.546) . وعلى الرغم من بقاء المجالس الإدارية على سابق عهدها، شدد الملك فريدريك الثاني المراقبة على تلك الهيئات، وتدخل بشكل اكبر في أعمالها (ديورانت، ٢٠١٢، ص٧٨) ، إذ كان يتم إرسال آخر المستجدات من المجالس المحلية في البلاد إلى الملك على شكل تقارير كتابية موجزة، ليطلع عليها ويسجل ملاحظاته بشأنها (Fay,1937, p.134)، وقد خضعت الدولة البروسية بأكملها لإجراءاته تلك، فكان المواطن لا يستطيع إن يقوم بأي أجراء دون أن يرسل خطابات خطية بيده إلى الجهات المعنية، يلتمس فيها أن يقوم بعمل ما أو يطلب من الجهات الحكومية خدمة معينة، فكانت الحكومة بذلك عبارة عن آلة كتابة عملاقة خلفت وراءها الملايين من المخطوطات والطلبات الورقية المكتوبة (Tuttle, 1896, P.13).

أما بروسيا الغربية فقد سيطرت عليها بولندا وجعلت بروسيا الشرقية وبقية الأراضي البروسية معزولة تماماً عن الدولة البروسية ، كان لابد من ضمها بغية ربط الأراضي المنعزلة ببقية أراضي آل الهوهنزولرن وملئ تلك الفجوة القاتلة في الدولة البروسية، وقد سكن في المقاطعات التي طمح الملك فريدريك الثاني لضمها إلى مملكته العديد من السكان المتنوعين في دياناتهم وأعراقهم مثل اليهود والكاثوليك بولنديي الأصل والبروتستانت المنحدرين من ألمانيا، وقد شكل ذلك التنوع تحدياً للدولة

البروسية في إدارة تلك المناطق (Robinson, 2002, p.p.382–384) ، غير أن الملك فريدريك الثاني قام بسلسلة من التحديثات للهيكل الإداري الإقليمي في بروسية مما مهد الطريق لضم الأراضي البولندية، فقد أصبحت (**أسقفية ارملاند Bistum Ermland**) جزءاً من شرقي بروسيا، وجمع بين مارينبورغ و(**كولمباغ Kulmbach**) وبوميرانيا ومنطقة (**نيتزي Nitze**) في مقاطعة جديدة غربي المملكة البروسية، وقد اصدر مرسوماً ملكياً في الحادي عشر من تشرين الثاني عام ١٧٧٢ بتشكيل حكومة جديدة في بروسيا الشرقية يرأسها (**يوهان فريدريك فون دومهارت Johann Friedrich von Domhardt ١٧١٢—١٧٨١**) ، وتم تقسيم المقاطعة على فروع عدة. احتلت المجالس العسكرية أماكن مركزية في بروسيا الشرقية (Fiddian, 1904 , p.p.262_268)، وبموجب المراسيم الجديدة للبلاد عام ١٧٧٢ تكونت إدارة المديرية العامة للحرب والتمويل من رئيس مع مجموعة من الأعضاء لكل عضو منهم مهامه الخاصة، وعلى الرغم من ذلك لم يكن للمديرية العامة الحق بإصدار القرارات، بل كانت مهمتها إعداد الأمور العامة والعمل على تحديد القضايا المهمة من اجل مناقشتها مع الملك ثم إصدار القرار النهائي من قبل الملك فقط (Freiheren,1884, P.58) .

وعن طريق المقابلات الشخصية والمفاوضات مع كل من الإمبراطور (**جوزيف الثاني Joseph II ١٧٦٥—١٧٩٠**) وقيصرة روسيا (**كاثرين الثانية Екатери́на II ١٧٦٢—١٧٩٦**) ، استطاع فريدريك الثاني إن يحصل على موافقتهم على اقتراحاته بتقسيم الأراضي البولندية بين القوى الثلاثة (Fiddian, 1904 , p.p.262_268) ، وعلى الرغم من أن بروسيا حصلت على أراضي اقل من النمسا وروسيا خلال التقسيم الأول لبولندا في الخامس من آب عام ١٧٧٢ ، إذ حصلت على ٢٥ ألف كم٢ (Holland, 2016, P.235) ، ما يعرف بـ " **بروسيا الغربية** " الواقعة بين بوميرانيا وبروسيا الشرقية باستثناء مدينة (**دانزيج Danzig**) ، إلا أن تلك الأراضي امتازت بأهمية لبروسيا من حيث عدد سكانها الذي بلغ ٧٠٠ ألف نسمة، فضلاً عن تمتعها بالموارد الطبيعية مثل الخشب والفحم والاراضي الخصبة، فضلاً عن أنها أغلقت الفجوة الإدارية بربطها بأراضي بروسيا الشرقية مع برادنبورغ، هذا فضلاً عن الألمان البروتستانت الذين كانوا يشكلون الأغلبية السكانية في تلك المناطق ، كذلك استقلت بروسيا الشرقية عن بولندا بعد أن كانت إقطاعية تابعة لها، وبذلك تغير لقب الملك البروسي من ملك في بروسيا إلى ملك على بروسيا، قام الملك فريدريك الثاني حينها بتوظيف العديد من الموظفين الأكفاء لإدارة الأراضي المكتسبة كما قام بتنظيم الإدارة والطرق وتحسين سبل الاتصال بين بروسيا الشرقية وبرادنبورغ، إذ قسمت بروسيا الغربية بعد السيطرة عليها إلى مناطق عدة كان أهمها (**مارينويردر Marienwerder**) و (**مارينبورغ Marienburg**) و(**كولم Kolm**) و(**ميشيلاو Michela**) و(**ديرشاو Dershau**) و (**ستارغارد Stargard**) و (**كونيتز Konitz**) (Olvenstedt,1841, p.87).

في حين كانت آخر منطقة ضمت إلى بروسيا مقاطعة (**مانسفيلدMansfeld**) التي بلغ عدد سكانها حوالي أربعة عشر ألف نسمة ومساحتها قدرت بنحو ١٣٤ كم^{٢}، إذ تم دمجها بدوقية ماغدبورغ البروسية عام ١٧٨٠ فزادت مساحة بروسيا بنحو الضعف عند وفاة فريدريك الثاني، حتى أصبحت مساحتها ١٧٥ ألف كم عام ١٧٨٦ ، أي تم إضافة ٦٨,١٣٤ كم^{٢}، ونحو ١,٧٩٤,٠٠٠ نسمة (Adams, 1872, P.238) .

الخاتمة:

أستطاع الملك (فريدريك الثاني) أن يقود دولة كانت في هامش السياسة الأوربية خلال القرن الثامن عشر الميلادي ويجعلها دولة لها شأنها ومكانتها المميزة ، وذلك عن طريق حكمه المرن الذي جمع فيه بين الاستبداد والتنوير ، فهو الحاكم المطلق للدولة ولكن في ذات الوقت أعتبر نفسه الخادم الأول للدولة البروسية ، فلم يكتفي الملك (فريدريك الثاني) بقيادة المملكة بل جعل نظامها الأكثر انضباطاً في أوربا وأستخدم الجيش البروسي المنضبط في توسيع الأراضي البروسية ، فضم سيليزيا الغنية بالموارد عام ١٧٤٠م ووحد الأقاليم البروسية المبعثرة مثل ربط بروسيا الشرقية مع برادنبورغ عام ١٧٧٢م فجعل بروسيا كتلة واحدة مرتبطة جغرافياً وسياسياً ، أن نجاح نموذج الحاكم المستبد والمستنير لدى الملك (فريدريك الثاني) يعود إلى قدرته في تحقيق التوازن بين ما يريده من شعبه وما أعطاه لهم ، فقد منحهم حرية التفكير مقابل واجب الطاعة وبنا دولة عسكرية قوية بروح التنوير الأوربي بفضل نظامه المحكم في أدارة شؤون الدولة ، مما جعل من بروسيا النواة الحقيقية للإمبراطورية الألمانية.

المصادر:

١. أوترام، دوريندا، التنوير، ترجمة: ماجد موريس إبراهيم، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٨.
٢. ايكاريوس، يوحنا، قطف الزهور في تاريخ الدهور، ط٤، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٨٩٨.
٣. بارو، جان كلود، التاريخ الكامل للعالم، ترجمة : حسن هيساني، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٨.
٤. التونسي، خير الدين، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، دار الكتب اللبنانية، بيروت، ٢٠١١.
٥. ديورانت، ول وايريل، قصة الحضارة عصر فولتير، ترجمة : فؤاد اندوراس وعلي ادهم، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت ، ٢٠١٢ ، ج٣٦.
٦. الزيدي، مفيد، موسوعة تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩، ص٥٢٤.
٧. صالح، محمد محمد، تاريخ أوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية ١٥٠٠-١٧٨٩، دار ابن الأثير، بغداد، ١٩٨١.
٨. فولتير، قاموس فولتير الفلسفي، ترجمة : يوسف نبيل، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، لندن، ٢٠١٧.
٩. المقرحي، ميلاد، تاريخ أوربا الحديث ١٤٥٣-١٨٤٨، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٩٦.

١٠. موسنيه، رولان، وارنست لابروس، موسوعة تاريخ الحضارات العام، ترجمة : يوسف اسعد داغر، ط٢، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨٧ ، ج٤.
١١. هروود، بيرنهادت، تاريخ التعذيب، ترجمة : ممدوح عدوان، ط٤، دار ممدوح عدوان للنشر، دمشق والتوزيع، ٢٠١٧.

1. Adams, William, Young America In Russia & Prussia, Lee & Shepard Publishers, Boston, 1872.
2. Allgemeine Deutsche Biographie, Verlag von Dunder & Humblot, Leipzig, 1881 ,Vol.4.
3. Boehn, Max Von,Deutschland im 18. Jahrhundert, Askanisch Er Verlag, Berlin, 1922.
4. Büsch, Otto, Moderne Preußische Geschichte,Walter de Gruyter, Berlin, 1981, Vol.1.
5. Carlyle, Thomas, History Of Friedrich Ii Of Prussia Called Frederick The Great, Chapman & Hall, London,1894, Vol.4.
6. Cole, Joshua & Carol Symes, Western Civilizations Their History & Their Culture, Ed.18, Norton & Company, London, 2014.
7. Corpus Juris Fridericianum Erstes Buch von Der Prozeß — Ordnung, Verlag der Königlichen Akademie Der Wissenschaften, Berlin,. 1781.
8. Cowie, Leonard, Eighteenth Centuryeurope, Frederick Ungar Publishing Co, New York, 1964.
9. Dove, Alfred, Das Zeitalter Friedrichs Des Großen & Josephs II, Stiebrio Andreas Perthes, Gotha, 1883.
10. Dover, George James Welbore, Life Of Frederic The Second King Of Prussia, Longman Rees, Orme Brown, London, 1832 , Vol.1.
11. Ernesti, Johann Heinrich, Friedrich Der Große Bergan Genheit Gegenwar, Bep F Goedsche, Meissen, 1835.
12. Fay, Sidney Bradshaw, The Rise Of Brandenburg_Prussia To 1786, Henry Holt And Company, New York, 1937.
13. Fiddian, Reddaway William, Frederick The Great & The Rise Of Prussia, The Knickerbocker Press, London, 1904.
14. Foerster, Friedrich Wilhelm, Friedrich der Große Geschilbert Als Mensch, Regent und Feldherr, Berlag von Gates Dempel, Berlin, 1850.
15. Foerster, Friedrich Wilhelm, Preussens Helden im Krieg und Frieden, Verlag von Gustav Hempel, Berlin, 2018.

16. Freiheren, Karl, Die Organisation Der Preussischen Verwaltung,Verlag Von Duncker & Humblot, Leipzig, 1884.
17. Frevert, Ute, Gefühls- Politik Friedrich ll, Wallstein Verlag, Göttingen,2012.
18. Friedrichs, Hr Politischen Testamente Friedrichs Des Grossen, Reimar Hobbing, Berlin, 1920.
19. Group of authors, The Eighteenth Century European States, International Wars, & Social Change, Cengage Learning, No place , 2014.
20. Hair, John, Famous Een of Modern Times, American Book Company, New York, 2010.
21. Hamilton, Andrew, Rheinsberg Memorials Of Frederick The Great & Prince Henry Of Prussia, John Murray, London, 1880, Vol..
22. Harc, Lucyna & Teresa Kulak, Silesia Under The Authority of the Hohenzollerns 1741–1918, Publishing House, Wrocław, 2015.
23. Hayes, Carlton & Joseph Huntley, A Political & Cultural History of Modern Europe, The Macmillan Company, Washington,1944 , Vol.1.
24. Hirsch, August, Der Preußische Staat in Allen Seinen Beziehungen, Vereine von Gelehrten und Freunden der Vaterlandskunde, Berlin, 1835.
25. Holland, Anne, Germany To The Present Day A Short History, Ed.2, Thomas Murby, London, 1913.
26. Holland, The Making Of The Nations Germany, Adam & Charles Black London, 2016 .
27. Kishlansky, Mark & Another, Civilization In The West, Pearson Longman, New York, 2008.
28. Kunisch, Johannes, Friedrich & Grosse Der König & Seine Zeit, Verlag Ch Beck Ohg, Munich, 2011.
29. Küster, Johann Emanuel, Umrtf Der Preußischen Monarchie Statistischen Slaats Und Völkerrechtlichen Beziehungen, Bel Johann Friedrich Unges, Berlin, 1800.
30. Linden, David, Geschichte Preußens, Tabemide Budbandlung, Verlag, Königsberg, 1876.
31. Merriman, John, A History Of Modern Europe From the Renaissance to the Present, Norton & Company, New York,. 2010.
32. Meukirch, Bedliz, Da Preußische Staat in Allen Seinen Beziehungen, August Hirschwald, Berlin, 1837.
33. Oeuvres De Frédéric, Dissertation Sur Les Raisons D'établir Ou D'abroger Les Lois Chez Rodolphe Decker Imprimeur Du Roi, Berlin, 1847, Vol.9.

34. Olvenstedt, Julius, Geschichte Friedrichs Des Großen Königs von Preußen,Auf Kosten Des Verfassers Julius von Olvenstedt, Berlin, 1841, Vol.2.
35. Pečar, Andreas, Friedrich der Große Als Autor, Beiträge Des Ersten Colloquiums in der Reihe , Friedrich 300, Colloquien 1 , Vom 28./29. September 2007.
36. Philippson, Martin, The Age Of Frederick The Great, Lea Brothers & Company, New York, 1905, Vol.15.
37. Pohm, Christian Wilhelm, Denkwürdigkeiten Meiner Sett Beiträge Zur Geschichte, Delmingioen Hof.Buchhandlung, Hannover, 1819.
38. Priest, George Madison, Germany Since 1740, Ginn & Company, New York,1915.
39. Projet Du Corps De Droit Frederic Ou Corps De Droit Pouk Les Etats De Sa Majeste Le Roi De Prusse, Halle, ÀLa Maiſon Des Orphelins,1750.
40. Qouted in : Treitschke, Heinrich, The Confessions Of Frederick The Greatking Of Prussia, Hutchinson & Co, London, 1914.
41. Robinson, James Harvey & James Henry Breasted, A General History Of Europe From The Origins Of Civilization To The Present Time, Ginn & Company, London, 2002.
42. Roser , Reinhold, Geschichte Friedrichs Des Großen, ed7, Cortasche Buchhandlung, Berlin, 1925.
43. Sammlung Alter in Dem Souverainen Herzogthum Schlesien Ordnungen, Edicten Friedrichs Königes in Preussen Vom 9. Jan. 1745. Bis zu Ende 1747, Berlin Den 12. Januarii 1745 Ober. Appellations Gerichts.Ordnung in Schlesien An Das Ober. Appellations.Tribunal Zu Berlin Gehenden Apellationen und Recur Fen zu Halten, Breslau, Verlegts Johann Jacob Korn.
44. Schlenke, Manfred, Preußen Beiträge zu Einer Politischen Kultur, Berliner Festspiele GmbH, Berlin,1981.
45. Schröder, Pom Alten, Fritz Denkwürdige Aussprüche Aus Seinen Werken Gesammelt, Berlag Von Otto Wigand, Leipzig, 1876.
46. Scott, Enlightened Absilutism Reform & Reformers Later Eighteenth Century Europe, Ann Arbor the Univerity of Michigan, Michigan, 2018.
47. Solsten,Eric, Germanya Country Study, Library of Congress, Washington DC, 1995.
48. Spenkuch,Hartwin, Preußen Eine Besondere Geschichte, Vandenhoeck & Ruprecht Verlage, Göttingen, 2019.
49. Spindler, Matthias, Die Entstehung Des modernen Staates in Preußen Unpublished Master Thesis, Universität Wien, 2009.

50. Thiebault, Dieudonne, Original Anecdotesof I Frederick The Great King Of Prussia, Published By E Bronson, Philadelphia, 1806 .
51. Tuttle, Herbert , Histohy Of Prussia Under Frederic The Great 1756—1757, Houghton Mifflin & Company, New York,1896, Vol.2.
52. Uttle, Herbert, History Of Prussia Under Frederic The Great, Houghton Mifflin Company, New York, 1888.
53. Vehse, Eduard, Geschichte der Deutschen, Hoffmann und Campe, Hamburg,1851, Vol. 3.
54. Whittall, William, Frederick The Great, Longmans Green & Co, New York, 1901.
55. Wolff, Carl , Friedrichs Des Großen Ftaatsrechtliche Grundsätze, Bei Carl Heymann, Berlin,1840.
56. Yashikl, Jiro Rei, Der Staatsgedanke Friedrichs Des Grossen Das Zusammenwirken Von Gesellschaftsvertragstheorie Und Selbstregierung Im Aufgeklarten Absolutismus, Hitotsubashi Journal of Law & Politic, Japan, Nr. 27, 1999.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

قوانين الخدمة المدنية وتعديلاتها ٢٠٠٦- ٢٠٠٨

Civil Service Laws and Amendments 2006-2008

داليا رعد شكر

Dalia Raad Shukr

Dalia.Raad2305m@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

أ.م.د. زينة حارث جرجيس

Assist. Prof. Dr. Zeina Harith Gerges

قسم التاريخ

ماجستير/ تاريخ حديث

الاستلام(Received) : ١٨ /١١ / ٢٠٢٥	التعديل (Revision) : ٠٤/١٢ / ٢٠٢٥
القبول(Accepted) : ٠٧ /١٢ / ٢٠٢٥	النشر (Published) : ٣٠/٠٩ /٢٠٢٦

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المقدمة

إنَّ قوانين الخدمة المدنية وضعت لتنظيم العمل الخاص بالموظف، وغيره، سواء كان ذلك عند التقديم للوظيفة، أو أثناءها، فضلًا عن بيان الحقوق الخاصة به، وتحدد لهم هذه الحقوق بناءًا على الواجبات التي يجب الالتزام بها، ولا يجوز مخالفتها، وصدر المشرع العراقي في هذه المدة الزمنية العديد من القوانين والتعديل على القوانين السابقة التي تصب في مجالات مختلفة، لمواكبة التطورات الاجتماعية، والاقتصادية، وسيتم عرض هذه القوانين، مع بيان مسوغات اصدارها على النحو الآتي:

introduction:

Civil service laws were established to regulate the work of the employee and others, whether at the time of application for the job or during it, as well as to state their rights. These rights are determined based on the duties that must be adhered to and may not be violated. During this period, the Iraqi legislature issued many laws and amendments to previous laws that fall within different fields, in order to keep pace with social and economic developments. These laws will be presented, along with an explanation of the justifications for their issuance, as follows.

١- قانون وزارة العمل والشؤون الاجتماعية رقم (٨) لسنة ٢٠٠٦.

يعد قانون الشؤون الاجتماعية من القوانين حديثة النشأة في خلفيته التاريخية؛ إذ يرجع تأريخ صدوره إلى الثورة الصناعية في أوربا السبب الرئيس في ظهور علاقة العمل المأجورة، التي ولدت في احضان النظام الرأسمالي، ولم تكن معروفة في نظام الرق والاقطاع، واصبحت النظرة إلى العمل نظرة اقتصادية بحتة، بعيدة عن الاعتبارات الإنسانية في العمل، وترك القانون لطرفي العقد حرية تحديد شروطه بإرادتهما وفقًا لما تقرره سوق العمل، وهذا يتيح لصاحب العمل بما يملكه من قدرة اقتصادية فرض شروطه على العامل الذي لا يملك القدرة على المساومة لحاجته إلى العمل كوسيلة لكسب عيشه، ولم يكن أمامه سوى الرضوخ لشروط صاحب العمل، فضلًا عن ذلك لم ينظر إلى العامل من الناحية الإنسانية. أما في العراق فقد كان السبب في تأخر وضع قوانين تخص العمل إلى تأخر الثورة الصناعية فيه، وفي آواخر القرن الماضي بدأت بوادر نشأة الصناعة كاستخراج النفط، والأهتمام بقطاع المواصلات كسكك الحديد، والموانئ، وهذا بدوره أحتاج إلى العمال وبأعداد كثيرة، فكان أول تشريع للعمل في العراق هو قانون العمال رقم (٧٢) لسنة ١٩٣٦[١]، ومن ثم تعرض هذا القانون إلى التعديل بسبب التطورات التي حصلت. ويقصد بقانون العمل مجموعة القواعد القانونية التي تنظم علاقات العمل الخاص التابع المأجور، وهو القانون الذي ربط العمال بأصحاب الأعمال، وسواء نشأت هذه العلاقات عن عقد عمل فردي أو جماعي، وليس بالضرورة أنَّ تكون تلك العلاقة قائمة على العقد فقط، بلّ ينطبق أيضًا على علاقات العمل التي يتوفر فيها عنصر التبعية، وتهتم قواعد هذ القانون بتوظيف العمال، وإعدادهم مهنيًا، وتأمينهم اجتماعيًا[٢].

وإنَّ قواعد قوانين العمل تنعكس على حياة العمال من جهة تحديد ساعات العمل والإجازات الاسبوعية والسنوية والمرضية والتأمينات الاجتماعية للعمال وذويهم في حالة الإصابة والوفاة والمرض، وإنَّ طبيعة العلاقة التبعية بين العمال وصاحب العمل يمكن أنَّ تكون علاقة قائمة على نوع من القلق والتوتر والصراع بينهما يستوجب أنَّ يوضع قانون يضمن الحماية اللازمة لعامل واستقرار العمل، وإنَّ هذا التنظيم الناتج عن قانون العمل يؤدي إلى التعاون بين العمال وأصحاب الأعمال، وينظم هذا القانون قواعد العلاقة بين العمال وأرباب العمل[٣].

وفي ضوء ما تم عرضه في السياق التأريخي لقوانين الضمان الأجتماعي صدر قانون رقم (٨) لسنة ٢٠٠٨ بخصوص وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، وجاء في الأسباب الموجبة على أصدار هذا القانون هو من أجل تأسيس هيكلية جديدة لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية واستغلال الطاقات البشرية والمادية لتحسين الخدمات ورفع كفاءة الاداء[٤]، وهذا القانون تألف من ثمانية عشر مادة، جاء في المادة الثانية تؤسس وزارة تسمى "وزارة العمل والشؤون الاجتماعية" ويمثلها وزير العمل والشؤون الاجتماعية أو من يخوله[٥]، وبينت المادة السادسة تشكيلات الوزارة ممن هم ملزمين بتقديم الخدمات للفئات الذين حددهم

القانون، وتتمثل الوزير. وكيلا الوزارة، وممثل عن الأمانة العامة لمجلس الوزراء بدرجة مدير عام، وممثلون عن حقوق الإنسان والتربية والصحة والعدل والداخلية والصناعة والمرأة، والمدراء العامون في الوزارة، والمدير العام للمركز الوطني والبحوث والدراسات، وممثل عن الاتحاد العام لنقابات العمال، وممثل عن اتحاد الصناعات في العراقي، وممثل عن اتحاد الغرف التجارية العراقية، وثلاثة من ذوي الخبرة والاختصاص يختارهم الوزير من خارج الوزارة، وهم مسؤولين عن إدارة العمل في الوزارة لتقديم الخدمات للفئات المختلفة التي حددهم القانون[٦]، واستعرضت المادة الثالثة من القانون الأهداف وهي الآتي[٧]:

١- تجسيد القيمة الإنسانية للعمل، لأنه يعد الركن الأساسي في عملية التنمية.

٢- تحديد الحد الأدنى للأجور بما يوفر دخلًا مناسبًا للعيش الكريم.

٣- نشر وتعميق للممارسات الديمقراطية بين العمال والإرادات وأصحاب العمل، والتنظيم النقابي.

٤- تأمين الضمان الاجتماعي للعمال.

٥- تعميق الوعي الخاص بالسلامة المهنية في مجال العمل، بما يكفل حماية العامل.

٦- نشر الوعي المهني بما يكفل تنمية الموارد البشرية.

٧- منح الرخص لممارسة أعمال الصيانة ورفع كفاءة العاملين فيها وزيادة مهاراتهم.

٨- تأمين الرعاية الاجتماعية للأسرة والأطفال المعاقين من ذوي العمال.

٩- توفير فرص عمل متكافئة لكلّ قادر عليه.

١٠- القضاء على ظاهرة الفقر عن طريق تقديم المساعدات للفقراء غير القادرين على العمل، وتأهيل القادرين مهنيًا واجتماعيًا بوساطة دعمهم لاقامة مشاريع إنتاجية صغيرة.

١١- رعاية وتأهيل الاحداث المعوقين تربويًا وسلوكيًا بما يضمن دمجهم في عملية التنمية.

وهذا ما لم ينظر إليه سابقًا؛ إذ أنَّ النظرة السائدة في تلك الفترة لم تكن تهتم بالجانب الإنساني؛ لأن النظرة إلى العمل سابقًا كانت اقتصادية بحتة، فصاحب العمل هو من يفرض شروطه على العامل، وهذا للأنتقاد؛ لأنه اغفل حقيقة أنَّ علاقات العمل ليست علاقات مادية، بل هي علاقة تمتد إلى كرامة الإنسان ذاته، وتترك أثرًا على كيان المجتمع بأسره[٨].

مما سبق يتضح أنَّ هذا القانون أستهدف تجسيد قيمة العمل الإنسانية، في كون العمل يعد ركنًا أساسيًا في التنمية الاقتصادية، والاجتماعية، وكونه واجبًا وطنيًا، وبموجبه تم تأمين الضمان الاجتماعي لجميع العمال، وأستهدف هذا العديد من الفئات إضافة إلى ضمان حقوق أسرهم عن طريق تقديم الرعاية وتقديم المساعدات للفقراء غير القادرين على العمل، وتأهيل القادرين منهم مهنيًا واجتماعيًا، بدعم عدد

من المشاريع الأنتاجية الصغيرة، ورعاية المعوقين وتأهيلهم، لدمجهم في عملية التنمية، وازالة المؤثرات النفسية والاجتماعية عنهم.

وجاء في نص المادة الثالثة موضوعات تخص الأجور، فذكرت عبارة تتمثل في تحديد الحد الأدنى من الأجور، لكنه لم يذكر كم هو الحد الأدنى؛ لذلك صدر في سنة ٢٠١٢ قانون التعديل الأول لقانون وزارة العمل والشؤون الاجتماعية رقم (٨) لسنة ٢٠١٢، وقد الغت المادة الرابعة من هذا القانون البند (ثانيًا) من المادة الثالثة من القانون السابق وحل محله: تحديد الحد الأدنى للاجور بما لا يقل عن الحد الأعلى للدرجة العاشرة من سلم الدرجات الوظيفية للموظفين، وقد بين القانون أنَّ الاسباب الموجبة لذلك هو لرفع مستوى العمال المعاشي وحماية حقوقهم[٩]. لذلك كانت الغاية الرئيسة من ذلك التعديل هو بيان مقدار الحد الأدنى للأجور؛ لأن عبارة "تحديد الحد الأدنى للأجور" من غير بيان نسبة الاحد الأدنى تبقى عبارة مبهمة وغامضة.

٢- قانون تعديل الخدمة المدنية رقم (١٢) لسنة ٢٠٠٧

جاء في تعديل قانون الخدمة المدنية رقم (١٢) لسنة ٢٠٠٧ إضافة فقرة تخص الموظفات التي يتوفى عنها زوجها، وتكون فترة العدة إجازة براتب كامل، وجاء في تفسيرات هذا التعديل أنه يراعي المسألة النفسية للمرأة؛ إذ يكون وضعها النفسي متأزم وتحتاج الوقت الكافي لأن تستعيد وضعها النفسي[١٠]، وبذلك جاء القانون المعدل رقم (١٢) لسنة ٢٠٠٧ والذي مثل أستحقاق الموظفة إجازة عدة مدتها (١٣٠) يومًا للمتوفي زوجها، وتمنح راتبها التام من غير استقطاع منه. وكانت الاسباب الموجبة لهذا التعديل تتمثل بضرورة هذه الأجازة، وتنفيذًا لما جاء في القرآن الكريم[١١]. فالمادة الثالثة والأربعين لم تتضمن مثل هذه الإجازة[١٢]؛ لذلك تم إضافة هذه المادة إليه، فهذه الإجازة تراعي أحكام الشريعة الإسلامية، التي تتطلب من المرأة التي يموت عنها زوجها بأنَّ تعتد وتمنح إجازة لمدة (١٣٠) يومًا، وبراتب تام[١٣].

ففي القانون السابق الخاص بالخدمة المدنية لم يتضمن مثل هذه الإجازة، ولكن في هذا التعديل الذي حصل على المادة الثالثة والأربعين قد صدر ليتوافق مع ما جاء في القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (القرة: ٢٣٤)؛ إذ تم منح الموظفة أجازة لمدة (١٣٠) يومًا وبراتب تام.

وبذات التوجيه صدر قانون رقم (٢٦) لسنة ٢٠٠٧ في تعديل قانون الخدمة المدنية رقم (٢٤) لسنة ١٩٦٠ فجاء في سياق المادة القانونية لهذا التعديل ما نصه على منح الموظف المستقيل بموافقة دائرته رواتب الأجازات المتراكمة استثناءًا من أحكام الفقرة (١) من هذه المادة[١٤] التي بينت أنَّ الموظف المستقيل يخسر جميع إجازاته الاعتيادية والمرضية إلّا إذا كانت هذه الاستقالة لغرض تعيينه لمنصب

وزير، أو لأنتخابه لعضوية المجلس الوطني، أو للدراسة، ففي هذه الحالات يحقّ للموظف التمتع بهذه الإجازات عند عودته للخدمة[١٥]، وكانت الأسباب الموجبة لذلك التعديل هو لأخذ الموظف المستقيل من وظيفته بموافقة دائرته رواتب الأجازات المتراكمة عن خدمته الوظيفية[١٦]، وتناول قانون تعديل قانون الخدمة المدنية رقم (٥٥) لسنة ٢٠٠٧ ما ورد في نص الفقرة (٢) من المادة التاسعة والأربعين من قانون رقم (٢٤) لسنة ١٩٦٠، بضرورة منح الموظف المستقيل بموافقة دائرته رواتب الإجازات المتراكمة والتي لا تتجاوز كحد اعلى على ١٨٠ يومًا، ولا تحتسب خدمة لأغراض التقاعد ما زاد عن ذلك، وأشار القانون إلى أنَّ السبب في إضافة هذه الفقرة هو عدم حرمان الموظف المستقيل بموافقة دائرته رواتب الأجازات المتراكمة عن خدمته الوظيفية، وكذلك للتفريق بين الموظف المستقيل بموافقة دائرته، والموظف المحال للتقاعد بناءً على طلبه وموافقة دائرته[١٧].

فنتيجة للمهام التي يجب على الموظف القيام بها اقتضى ذلك بالضرورة أنَّ يكون الموظف متمتعًا بقواه الجسمانية والقدرة على القيام بالأعمال الموكلة إليه، إلّا أنَّ ذلك لا يمكن تحقيقه على أرض الواقع، ولمدة مستمرة من الزمن؛ فلا بد له من التمتع بالراحة جراء العمل الشاق، وتجديد نشاطه، لذلك أقتضى بالضرورة تمتعه بالإجازة[١٨].

فصدرت للموظف العديد من الإجازات في قانون الخدمة المدنية مثل الإجازات الاعتيادية، والمرضية، وتتراكم له هذه الإجازات في حال عدم التمتع بها، ليمنح بعد تقاعده رواتب هذه الإجازات المتراكمة ولكن أنَّ لا تتعدى (١٨٠) يومًا، ولكن في قانون الخدمة المدنية بين أنَّ الموظف الذي يستقيل يفقد جميع إجازاته المتراكمة، في حين أنَّ التعديل على هذا القانون بين أنَّ المستقيل بموافقة دائرته يمنح رواتب الإجازات المتراكمة على أنَّ لا تتجاوز (١٨٠) يومًا، وهذا التعديل يمنح المستقيل حقه في تلك الإجازات التي لم يتمتع بها عندما كان موظفًا قبل استقالته.

٣- صدر قانون رقم (٦٥) لسنة ٢٠٠٧ بشأن احتساب ممارسة مهنة المحاماة

إنَّ المقصود من مدة ممارسة مهنة المحاماة هي الخدمة التي يقدمها المحامي قبل التعيين فيما يتعلق بتقديم الاستشارات القانونية أو الترافع في الدعاوي على أختلاف أنواعها والقيام بالمعاملات القانونية الأخرى كالأنذارات وغيرها[١٩]. وقد صدر قانون رقم (٦٥) لسنة ٢٠٠٧ الخاص باحتساب ممارسة هذه المهنة للمحامي، فنصت المادة الأولى منه على أنَّ تحتسب للموظف المعين بوظيفة في دوائر الدولة مدة ممارسته مهنة المحاماة خدمة فعلية لأغراض التعيين وتحديد الراتب والتقاعد استثناءًا من احكام قرار رقم (٦٠٠) لسنة ١٩٨٠[٢٠] الذي نص على أنَّ[٢١]:

"١- لا تحتسب مدة ممارسة المهنة التي تجيز القوانين النافذة احتسابها لاغراض تحديد الراتب، أو لاغراض التقاعد، عند التعيين بوظيفة في دوائر الدولة والقطاع الاشتراكي.

٢- لا يعمل بأي نص قانوني يتعارض مع أحكام هذا القرار".

وكان سبب لأصدار هذا التعديل لغرض رفد دوائر الدولة بالأشخاص المهنيين من ذوي الخبرة المتراكمة المتحصلة من ممارسة مهنة المحاماة وتشجيعهم على الخدمة، والتي سدت استقطاعات تقاعدية طيلة مدة الممارسة إلى صندوق تقاعد المحامين(٢٢).

وتجسد أهتمام المشرع العراقي في احتساب خدمة ممارسة مهنة المحاماة باصدار هذا القانون، لتحتسب خدمتهم لممارسة مهنة المحاماة فعلًا، وذلك بالترافع في الدعاوى أمام المحاكم باختلاف درجاتها، أو بوساطة مراجعة دوائر الدولة ذات الاختصاص بغية أنجاز مهامهم، وإبراز ما يؤيد ذلك مثل الوكالات، وقرارات الحكم، والانذارات، أو الوثائق الأخرى التي تثبت ممارسته للمهنة؛ لذلك هذا شرط من أجل احتساب مدة ممارسة مهنة المحاماة، وفي حال عدم ممارسة مهنة المحاماة قبل التعيين فلا تحتسب له خدمة(٢٣).

ويتضح من ذلك أنَّ القانون الذي شرع يخص فقط المحامي، ليستثنى بذلك من أحكام القانون السابق رقم (٦٠٠) لسنة ١٩٨٠ الذي ذكر بنص صريح بعدم احتساب مدة ممارسة المهنة بعد التعيين لأغراض تحديد الراتب أو التقاعد في أي وظيفة، بدليل أنه بين أنَّ أي نص يتعارض مع هذا النص القانوني لا يعمل به، في حين أنَّ المشرع العراقي عدل على هذا النص القانوني بقانون رقم (٦٥) لسنة ٢٠٠٧ فاستثنى المحامين من القانون السابق، وبين أنه تحتسب مدة ممارسة خدمة المحاماة قبل التعيين خدمة لأغراض التعيين وتحديد الراتب والتقاعد بعد التعيين، وكان سبب هذا التشريع القانوني بحسب ما جاء في القانون رفد الدوائر الرسمية للدولة بذوي الخبرة من المحاميين، وتشجيعهم على الخدمة.

٤- قانون رقم (٣) لسنة ٢٠٠٧ قانون تعديل قانون التنظيم القضائي رقم ١٦٠ لسنة ١٩٧٩:

جاء هذا القانون بهدف تنظيم أليات تعيين المحامي والموظف من حملة شهادة البكالوريوس في القانون قاضيًا بمرسوم جمهوري إذا امضى مدة لا تقل عن عشر سنوات في مهنة المحاماة أو العمل بالمحاكم ولم يتجاوز عمره خمسين سنة استثناء من شرط التخرج من المعهد القضائي، وكذلك أحتساب للمحامي الممارس مدة ممارسته المحاماة وللموظف المعين مدة خدمته بعد التخرج من كلية القانون لأغراض تحديد الراتب(٢٤). وكان السبب الموجب لذلك التعديل هو محاولة رفد القضاء بمن لديهم خبرة متراكمة التي تكونت من ممارسة مهنة المحاماة والعمل في المحاكم(٢٥). وصدر قانون رقم (٣) لسنة ٢٠٠٧ ذات الصلة بتعليمات رواتب ومخصصات قضاة المحكمة الجنائية العراقية العليا، وبموجب هذا القانون صدرت أربع مواد منها المادة الأولى التي بينت درجة راتب قضاة المحكمة الجنائية العليا بما فيهم رئيس المحكمة وقضاة الهيئة التمييزية ورؤساء الهيئات وقضاة التحقيق والمدعون العامون فهم

يتقاضون رواتب ومخصصات ذوي الدرجات الخاصة، ويتمتعون بالأمتيازات الممنوحة لهم. وجاء في المادة الثانية تحديد من المشمول بأحكام المادة الأولى مخصصات خطورة بمقدار (١٠٠%) من الراتب. وأشارت المادة الثالثة إلى أنَّ القاض والمدعي العام عند بداية تعيينه يسكن في المرحلة الأولى من الدرجة العليا (أ) من سلم الرواتب الملحق بالأمر رقم (٣٠) لسنة ٢٠٠٣ المعدل[٢٦].

٥- قانون الخدمة الجامعية رقم (٢٣) لسنة ٢٠٠٨:

كان موظف الخدمة الجامعية يعامل كموظف أعتيادي وفق قوانين الخدمة المدنية، إلّا أنَّ أهمية الدور الذي يضطلع به كما كان كذلك في العهد الملكي[٢٧]؛ إذ كان يتساوى بالحاكم (القاضي) من حيث الحقوق والأمتيازات، وصدرت عدة أنظمة في العهد الملكي عالجت بعض الأمور الخاصة بموظف الخدمة الجامعية، ففي عام ١٩٢٨ تم تصنيف التدريسيين في الكلية على نوعين، أساتذة على الملاك الدائم ومحاضرون يتقاضون أجورًا بحسب الساعات[٢٨]، وأما في العهد الجمهوري بعد أنقلاب ١٤/تموز/ ١٩٥٨ استحدثت العديد من المفاهيم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فكان لابد من هذه المفهايم أن تتخذ طريقها في التشريعات التي عالجت الخدمة الجامعية، فصدر قانون جامعة بغداد رقم (٢٨) لسنة ١٩٥٨، وعالج العديد من الأمور التي تخص شروط اختيار المرشح لرئاسة الجامعة، وعمداء الكليات، والاساتذة، وشهدت هذه الحقبة لأول مرة أصدار قانون يخص موظفي الخدمة الجامعية، فصدر قانون الخدمة الجامعية رقم (١٤٥) لسنة ١٩٦٤، وقدم معالجات مختلفة من الجوانب الأدارية والمالية، والعلمية المتعلقة بموظف الخدمة الجامعية[٢٩]. وبعد عرض هذه الخلفية التأريخية لأهمية دور موظف الخدمة الجامعية نبين ما ورد في سياق القانون، وما المقصود بموظف الخدمة الجامعية وبين أنه هو العمل المؤدى من قبل موظف الخدمة الجامعية داخل المؤسسة التعليمية، أو خارجها كما هو الحال عند قيامه بالوظائف الأدارية بصفة استشارية في مركز الجامعة أو الجامعات والكليات الأهلية[٣٠]، أما مفهوم موظف الخدمة الجامعي فقد تم تحديده في قانون الخدمة الجامعية رقم (٢٣) لسنة ٢٠٠٨ في المادة الأولى البند (ثالثًا)، "كلّ موظف يقوم بممارسة التدريس الجامعي والبحث العلمي والاستشارة العلمية والفنية أو العمل في ديوان وزارة التعليم العالي والبحث العلمي أو مؤسساتها ممن تتوفر فيه شروط عضو الهيئة التدريسية"[٣١]. وأشترط أنَّ يكون الموظف ممن تتوفر فيه شروط عضو الهيئة التدريسية سواء عن طريق ممارسة أعمال التدريس والبحث العلمي، أو من طريق تقديم الاستشارة العلمية أو الفنية أو نتيجة لعمله في ديوان وزارة التعليم العالي[٣٢]. وبذلك أحتل موظف الخدمة الجامعية مركزًا مرموقًا في دول العالم كافة؛ إذ له دور في تقدم المجتمعات، وتحضرها، وتطورها، وصنع القرار على مختلف الأصعدة، والتأثير في الرأي العام، ويعد مصدر فخر للحكومات بكونها تتألف من ذوي الخبرة والاختصاص من حملة الشهادات العليا، فغالبًا ما يتسنمون مراكز مرموقة في التشكيلات الوزارية؛ لذلك فقد بادرت الدول

إلى إعطاء موظف الخدمة الجامعية حقوقًا ومميزات إضافية زيادة على الحقوق المقررة لسائر موظفي الدولة لتشجيع البحث العلمي[٣٣].

صدر هذا القانون بواقع أحدى وعشرون مادة، تناولت جوانب مختلفة في أسسها العلمية والمالية والأدارية والاجتماعية، وجاء في ديباجة القانون بأن شرع بهدف الأرتقاء بمستوى التدريسي والأكاديمي لتطوير العمل الجامعي على نحو ينسجم مع المعطيات والمتغيرات الإقليمية في مجال وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، والتحولات الحضارية والديمقراطية في العراق، ومواكبة التطورات الحاصلة على المستوى الأكاديمي في العالم، لوضع استراتيجية جديدة للتعليم العالي لدعم المسيرة التعليمية، وتحقيقًا للتطورات الملموسة في مجال البحث العلمي، وتحصين الملاك التدريسي، ورفع مستواه التدريسي، والمعاشي، والحفاظ عليه[٣٤]. وحدد القانون واجبات موظف الخدمة الجامعية بموجب المادة الثانية، وأشارت إلى مسؤولياته في رعاية الطلبة من الناحية الفكرية والتربوية بالصورة التي تحقق مصلحة الوطن والأمة في إرساء دعائم المجتمع العراقي الديمقراطي نحو بناء حضارة إنسانية راقية، ويكون الأسلوب العلمي في التفكير والممارسة أداة لتحقيق تلك الأهداف، ومن القيام بالتدريس بأشكال عديدة تتمثل بالتدريس النظري، والعلمي، والتطبيقي، والميداني، والتدريب، والمختبرات، والمعامل، والحقول التجريبية. والمحافظة على موجوداتها ومراقبة حسن استعمالها والقاء المحاضرات النظرية والعلمية، وحلّ التمارين، وتدقيق تقارير الطلبة، والإشراف على بحوث الطلبة في مختلف المجالات، ومن ثم كتابة الأبحاث العلمية في المجالات المختلفة، إلى جانب ذلك الإسهام في النشاطات الجامعية كالمواسم الثقافية، ويوم الجامعة[٣٥]، ومعارض الكلية، وحفلات التخرج، والفعاليات الطلابية، وما يطلب منه القيام من فعاليات علمية وتعليمية متنوعة، فضلًا عن ذلك الإسهام في الأعمال المختلفة كالتأليف، والترجمة والنشر، إلى جانب الأسهام في المجالس واللجان الدائمة والمؤقتة داخل الوزارة وخارجها، مع الإسهام في تطوير الأقسام العلمية من الناحية الفكرية والتربوية والعلمية، وتقديم الدراسات والأبحاث والتقارير والخطط والمناهج الدراسية، وفي حدود واجباته إجراء الامتحانات ومراقبة حسن سيرها، فضلًا عن المشاركة في الندوات والمؤتمرات والحلقات الدراسية داخل العراق وخارجه، والمساهمة الفاعلة في إعداد الدراسات التي تقترحها دوائر الدولة والقطاع العام والخاص في نطاق التعاون بين مؤسسته وتلك الجهات، إلى جانب أداء الواجبات الإدارية التي تكلفه الوزارة بها أو المؤسسة التعليمية التي يعمل فيها، ومن ثم العمل في المراكز أو المكاتب الاستشارية المتخصصة التابعة للوزارة أو مؤسساتها التعليمية، بهدف تقديم كلّ ما هو جديد ومبدع، كما أنَّ التواجد العلمي في مؤسسته بما لا يقل عن (٣٠) ساعة اسبوعيًا لتحقيق الفقرات أعلاه من هذه المادة يعد من صلب واجبات موظف الخدمة الجامعية[٣٦]. وهكذا حددت الواجبات في كونها ذات طبيعة علمية

وبحثية وتربويةوأدارية، وهذه الواجبات توازي الحقوق الممنوحة له[٣٧]. ومنح القانون وزير التعليم العالي صلاحيات واسعة تتمثل في:

أولًا: تعيين أو إعادة تعيين من تتوفر فيه شروط التعيين في الخدمة الجامعية في مركز الوزارة.

ثانيًا: الموافقة على نقل موظف الخدمة الجامعية من الوزارة إلى ملاك الجامعات، وقبول استقالتهم وإحالتهم إلى التقاعد على وفق القانون.

ثالثًا: الموافقة على نقل موظف الخدمة الجامعية إلى خارج الوزارة على وفق القانون.

رابعًا: استثناء من له ميزات علمية من نظام الجدارة البدنية، عدا من كان مصابًا بمرض سار من النوع الحاد أو المزمن بتقرير من لجنة طبية رسمية.

خامسًا: ترفيع أو ترقية موظف الخدمة الجامعية المعين في مركز الوزارة على وفق القانون. وأشارت المادة (٦) إلى صلاحية رئيس الجامعة أو المركز أو من يخوله وبتوصية من مجلس الجامعة أو الهيأة أو المركز في نقل موظف الخدمة الجامعية أو أعادة تعيينه، أو ترقيته[٣٨]. وتضمن القانون مواد تناولت في مضامينها حقوق موظف الخدمة الجامعية ومنها الحقوق المالية، وتشمل المخصصات، فمن الحقوق المالية التي يتمتع بها موظف الخدمة الجامعية المتفرغ المخصصات، والتي تسمى بمخصصات الخدمة الجامعية، وتعد من أهم الامتيازات المالية التي يتمتع بها[٣٩]، وتكون نسبة المخصصات (١٠٠%) من الراتب الشهري وقد أجملتها المادة السابعة بتفاصيل بنودها العامة، إلى جانب المادة التاسعة في البند (أولًا) أنَّ موظف الخدمة الجامعية يستحق جميع رواتبه ومخصصاته في حال تنسيبه إلى أيَّ دائرة من دوائر الدولة، وتكون مدة التنسيب سنة واحدة أو سنتين، وتوفر تلك الدوائر التي تنسب إليها موظف الخدمة الجامعية رواتبه ومخصصاته من ميزانيته السنوية، وأما البند (ثانيًا) الذي أشار إلى الشروط التي يصرف فيها لموظف الخدمة الجامعية جميع رواتبه ومخصصاته في حالة التفرغ الجامعي تتم في حالة موافقة الوزير على التفرغ العلمي لمن هو برتبة أستاذ أو أستاذ مساعد أو مدرس داخل العراق أو خارجه في الحالات التي يتعذر التفرغ فيها في الداخل بناء على توصية مجلس الجامعة أو الهيأة أو المركز لمدة سنة دراسية واحدة أو فصل دراسي واحد مرة كلّ خمس سنوات[٤٠]. كما عالج القانون مخصصات المواقع القيادة الجامعية من مستوى العمداء ورؤساء الأقسام بمخصصات مقطوعة شهريًا (٢٥٠٠٠٠) مائتين وخمسون ألف دينار[٤١]. ويقصد بهذه المخصصات هي المخصصات التي تمنح لشغل الدرجة الخاصة أو ما يعادلها، وهي مخصصات ثابتة[٤٢]. إلى جانب حقوق مالية أخرى مثل أجور المحاضرات[٤٣]، أو تكليف التدريسي أو الباحث في مؤسسة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بكتابة البحوث وإجراء التجارب والقيام بالنشاطات ذات العلاقة باختصاص الوزارات والجهات غير المرتبطة بوزارة بهدف تطوير الجوانب الإنتاجية والخدمية فيها[٤٤]، وتضمن القانون أنَّ من حق موظف الخدمة الجامعية أنَّ يتم علاجه

من قبل الوزارة أو المؤسسة التعليمية خارج العراق في حال تعذرت معالجته داخل العراق بناءً على وفق تقارير تصدرها لجنة طبية رسمية مختصة[٤٥]. وأشار القانون في المادة السابعة والعاشرة إلى حقوق أخرى لموظف الخدمة الجامعية (الأستاذ) منها حقوق التمتع بالأجازة، والتفرغ العلمي[٤٦]. ويراد بالتفرغ العلمي هو المدة الزمنية التي يتفرغ فيها عضو هيئة التدريس لإجراء أبحاث ودراسات علمية بناءً على طلبه[٤٧].

الخاتمة:

يتضح أنَّ قوانين الخدمة المدنية موضوع الدراسة قد جاءت في موضوع حقوق الموظفين والعمال، فأنصفتهم في عدة جوانب، مثل تحديد استحقاقات الإجازات، وتنظيم تعيينهم، فضلًا عن بين حقوقهم في الراتب، واستحقاقهم للتقاعد، وبيان الواجبات الخاصة بالموظف.

المصادر:

الكتب:

١. سامر حميد سفر، القانون الإداري دراسة تحليلية في تنظيم الإدارة العامة ونشاطها، ط١، طباعة ونشر وتوزيع مكتبة زين، ٢٠٢٠.
٢. سرى حارث الثاوي، النظام القانوني لخدمة موظفي الخدمة الجامعية، ط١، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٣.
٣. الدائرة البرلمانية، جلسة رقم الجلسة (٦٨)، ٢٠٠٧/٢/٢٢.
٤. محمد حسين منصور، قانون العمل، ط١، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص٢٠.
محمد حسين منصور، قانون العمل في مصر ولبنان، دار النهظة العربية، بيروت، ١٩٩٥.
٥. محمد نادر صالح، الوجيز في شرح أحكام قانون التقاعد الموحد رقم (٩) لسنة ٢٠١٤ المعدل، ط٢، المكتبة القانونية، ٢٠٢٤.
٦. مصدق عادل طالب، الوسيط في الخدمة الجامعية (دراسة تحليلية مقارنة في التشريعات العراقية مع اخر التعديلات) ط١، مكتبة السنهوري، بغداد، ٢٠١٢.
٧. مصدق عادل طالب، وزياد خلف عودة، التنظيم القانوني لاحتساب مدة ممارسة مهنة المحاماة في العراق، مجلة كلية الحقوق، جامعة النهرين، المجلد: ١٤، العدد: ٢، ٢٠١٢.
٨. يوسف الياس، الوجيز في شرح قانون العمل رقم (٧١) لسنة ١٩٨٧، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، هيئة المعاهد الفنية، ١٩٨٧.

رسائل الماجستير:

١. بتول عبد الجبار حسين، الإجازة الدراسية للموظف في العراق (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة النهرين، ٢٠٠٧.

الجرائد:

١. جريدة الوقائع العراقية

المقابلات الشخصية:

١. مقابلة شخصية مع الأستاذ صباح مهدي رميض بتاريخ ٢٠٢٥/٨/٤.

الهوامش:

(١) يوسف الياس، الوجيز في شرح قانون العمل رقم (٧١) لسنة ١٩٨٧، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، هيئة المعاهد الفنية، ١٩٨٧، ص٨-١١.

(٢) محمد حسين منصور، قانون العمل، ط١، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص٢٠.

(٣) محمد حسين منصور، قانون العمل في مصر ولبنان، دار النهظة العربية، بيروت، ١٩٩٥، ص١٥.

(٤) جريدة الوقائع العراقية، العدد ٤٠٣٠، ٢٠٠٦/١٢/٢٨، ص٧.

(٥) المصدر نفسه، ص١.

(٦) جريدة الوقائع العراقية، العدد ٤٠٣٠، ٢٠٠٦/١٢/٢٨، ص٣.

(٧) المصدر نفسه، ص٢.

(٨) يوسف الياس، المصدر السابق، ص٩.

(٩) جريدة الوقائع العراقية، العدد ٤٢٥٦، ٢٠١٢/١١/٥، ص١٩- ٢٠.

(١٠) الدائرة البرلمانية، جلسة رقم الجلسة (٦٨)، ٢٠٠٧/٢/٢٢، ص٤- ٧.

(١١) جريدة الوقائع العراقية، العدد ٤٠٣٩، ٢٠٠٧/٤/١٨، ص١.

(١٢) المصدر نفسه، العدد٣٠٠، ١٩٦٠/٢/٦، ص٧.

(١٣) سامر حميد سفر، القانون الإداري دراسة تحليلية في تنظيم الإدارة العامة ونشاطها، ط١، طباعة ونشر وتوزيع مكتبة زين، ٢٠٢٠ ، ص٢٤٨.

(١٤) جريدة الوقائع العراقية، العدد ٤٠٤٢، ٢٠٠٧/٧/٣: ٨- ٩.

(١٥) جريدة الوقائع العراقية، العدد٣٠٠، ١٩٦٠/٢/٦، ص٩.

(١٦) المصدر نفسه، العدد ٤٠٤٢، ٢٠٠٧/٧/٣، ص٨- ٩.

(١٧) المصدر نفسه، ٤٠٦٢، ٢٠٠٨/٢/١٨، ص١- ٢.

(١٨) سامر حميد سفر، المصدر السابق، ص٢٤٦.

(١٩) مصدق عادل طالب، وزياد خلف عودة، التنظيم القانوني لاحتساب مدة ممارسة مهنة المحاماة في العراق، مجلة كلية الحقوق، جامعة النهرين، المجلد: ١٤، العدد: ٢، ٢٠١٢، ص٣.

(٢٠) جريدة الوقائع العراقية، العدد ٤٠٥٥، ٢٠٠٧/١٢/٢٦، ص١.

(٢١) جريدة الوقائع العراقية، العدد: ٢٧٧٣، ١٩٨٠/٥/١٢، ص٧٣٨.

(٢٢) جريدة الوقائع العراقية، العدد ٤٠٥٥، ٢٠٠٧/١٢/٢٦، ص١.

(٢٣) محمد نادر صالح، محمد نادر صالح، الوجيز في شرح أحكام قانون التقاعد الموحد رقم (٩) لسنة ٢٠١٤ المعدل، ط٢، المكتبة القانونية، ٢٠٢٤، ص١٩٦- ١٩٧.

(٢٤) جريدة الوقائع العراقية، العدد: ٤٠٣٥، ٢٠٠٧/٣/٥، ص٤.

(٢٥) المصدر نفسه، ص٤.

(٢٦) جريدة الوقائع العراقية، العدد ٤٠٥٥، ٢٠٠٧/٢/٢٦، ص٤.

(٢٧) مصدق عادل طالب، الوسيط في الخدمة الجامعية (دراسة تحليلية مقارنة في التشريعات العراقية مع اخر التعديلات) ط١، مكتبة السنهوري، بغداد، ٢٠١٢، ص١٠.

(٢٨) المصدر نفسه، ص٢٦.

(٢٩) مصدق عادل طالب، المصدر السابق، ص٣٩- ٤٣.

(٣٠) المصدر نفسه، ص١٥.

(٣١) جريدة الوقائع العراقية، العدد: ٤٠٧٤، ٢٠٠٨/٥/١٢، ص١٣.

(٣٢) سرى حارث الثاوي، النظام القانوني لخدمة موظفي الخدمة الجامعية، ط١، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٣، ص٢٥.

(٣٣) مصدق عادل طالب، المصدر السابق، ص٧.

(٣٤) جريدة الوقائع العراقية، العدد ٤٠٧٤، ٢٠٠٨/٥/١٢، ص٢٢.

(٣٥) يوم الجامعة، هو تقليد أكاديمي تحتفل به الجامعات بذكرى تأسيسها، ويتضمن برامج متنوعة، منها علمية إعداد ندوات وحلقات نقاشية، وأفتتاح مختبرات وقاعات دراسية، ووضع حجر الأساس لمشاريع خدمية في الجامعة، إلى جانب تكريم الأساتذة المتميزين والحاصلين على ترقيات علمية، وإقامة المعارض العلمية ومعارض الكتاب ونتاجات الأساتذة، إلى جانب إقامة المواسم الثقافية والعلمية. مقابلة شخصية مع الأستاذ صباح مهدي رميض بتاريخ ٢٠٢٥/٨/٤، شارك كحقوقي في لجان الأحتفال بيوم الجامعة، في جامعة القادسية، وجامعة ديالى، وجامعة واسط، ورم بكتب شكر من رؤساء الجامعات ودروع جامعية متعددة.

(٣٦) جريدة الوقائع العراقية، العدد ٤٠٧٤، ٢٠٠٨/٥/١٢، ص١٤.

(٣٧) سرى حارث الثاوي، المصدر السابق، ص١٠٣.

(٣٨) جريدة الوقائع العراقية، العدد ٤٠٤٧، ٢٠٠٨/٥/١٢، ص١٥.

(٣٩) سرى حارث الثاوي، المصدر السابق، ص٨٥.

(٤٠) جريدة الوقائع العراقية، العدد ٤٠٧٤، ٢٠٠٨/٥/١٢، ١٦ص- ١٨.

(٤١) المصدر نفسه، ص٢٠.

(٤٢) مصدق عادل طالب، المصدر السابق، ص٢٠١.

(٤٣) جريدة الوقائع العراقية، العدد ٤٠٤٧، ٢٠٠٨/٥/١٢، ص١٦.

(٤٤) المصدر نفسه، ص٢١.

(٤٥) المصدر نفسه، ص١٧.

(٤٦) ينظر جريدة الوقائع العراقية نصوص المواد السابعة البند (ثامنًا)، والمادة العاشرة البنود (أولًا، ثانيًا، ثالثًا)، ص١٦- ١٩.

(٤٧) بتول عبد الجبار حسين، الإجازة الدراسية للموظف في العراق (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة النهرين، ٢٠٠٧، ص٢٣.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

" أثر برنامج الإصلاح الاقتصادي على قطاع الزراعة في غانا (١٩٨٣-٢٠٠١)"

حسام محمد خليل ابراهيم الفهداوي
Prepared by: Husam Muhammad Khalil Ibrahim Al-Fahdawi
University Email: hus22h6010@uoanbar.edu.iq
أ.د. حسين حماد عبد رجب الدليمي
Supervised by: Prof. Dr. Hussein Hammad Abd Rajab Al-Dulaimi
University Email : Ed.hussein.hammad@uoanbar.edu.iq
جامعة الأنبار - كلية التربية للعلوم الإنسانية - قسم التاريخ

الاستلام(Received) : ٢٠٢٦ /٠٦/١٢	التعديل (Revision) : ٢٠٢٦ / ٠٧/٠٥
القبول(Accepted) : ١٩ / ٠٧ /٢٠٢٦	النشر (Published) : ٢٠٢٦/ ٠٩/٣٠

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص

يعد هذا البحث دراسة وصفية تحليلية لقطاع الزراعة الغاني, الذي عُدَّ أحد أهم أعمدة الاقتصاد في جمهورية غانا إلى جانب قطاع الصناعة الاستخراجية للمعادن, وعلى الرغم من أهمية القطاع قيد الدراسة إلا أنه حظي باهتمام حكومي متفاوت منذ استقلال غانا عن الاستعمار البريطاني في عام ١٩٥٧؛ نتيجة للأوضاع الاقتصادية المتردية في البلاد, والتي أفرزتها كثرة الانقلابات العسكرية, واعتماد البلاد على البضائع الأجنبية, الأمر الذي التفت إليه الرئيس جيري جون رولينغز بعد تسنمه مقاليد حكم البلاد جراء انقلاباً عسكرياً قاده ضد حكومة الرئيس هيلا ليمان, إذ طبقت حكومته برنامجاً جريئاً عُرِفَ بـ "برنامج الإصلاح الاقتصادي" خلال المدة (١٩٨٣-٢٠٠١), وعلى إثر تطبيق ذلك البرنامج أدخلت إصلاحات اقتصادية كبيرة على قطاع الزراعة بجميع مفاصله التي تمثلت بالمحاصيل النقدية كالكاكاو والبُن والكسافا والذرة, والغابات, والثروة الحيوانية.

الكلمات المفتاحية: الزراعة, الإصلاح الاقتصادي, جيري رولينغز, الكاكاو, الغابات, الثروة الحيوانية.

Abstract:

This research is a descriptive and analytical study of the Ghanaian agricultural sector, which, along with the extractive mining sector, is considered one of the most important pillars of the Ghanaian economy. Despite its importance, the sector has received varying levels of government attention since

Ghana's independence from British colonial rule in 1957. This was due to the country's deteriorating economic conditions, resulting from numerous military coups and the country's dependence on foreign goods. President Jerry John Rawlings addressed this issue after seizing power in a military coup against the government of President Hailemariam Desalegn. His government implemented a bold program known as the "Economic Reform Program" during the period 1983-2001. Following the implementation of this program, significant economic reforms were introduced to the agricultural sector in all its aspects, including cash crops such as cocoa, coffee, cassava, and maize, as well as forestry and livestock.
Keywords: Agriculture, Economic Reform, Jerry Rawlings, Cocoa, Forestry, Livestock

المقدمة

شهدت غانا منذ مطلع ثمانينيات القرن العشرين مرحلة مفصلية في تاريخها الاقتصادي، تميّزت باضطرابات مالية وتراجع في الإنتاج الزراعي الذي كان يشكّل العمود الفقري لاقتصاد البلاد منذ الحقبة الاستعمارية, فبانتهاء عقد السبعينيات، واجهت الدولة أزمة اقتصادية خانقة تمثّلت في ارتفاع معدلات التضخم، وانهيار سعر الصرف، وتراجع الإيرادات الحكومية، فضلاً عن الانخفاض الحاد في إنتاج وتصدير محصول الكاكاو، الذي عُدَّ أحد أهم مصادر النقد الأجنبي في غانا, إذ ترافق ذلك مع ضعف البنى التحتية الزراعية، وغياب الحوافز للمزارعين، وهيمنة جهاز حكومي مثقل بالبيروقراطية على تسويق المنتجات الزراعية وأسعاره, و وسط ذلك الوضع المتأزم، وصل الملازم الطيار في القوات المسلحة الغانية جيري جون رولينغز إلى السلطة في عام ١٩٨١، ليدخل الاقتصاد الغاني مرحلة جديدة من السياسات الاقتصادية, ومع ازدياد حدة الأزمة، تبنت حكومة رولينغز، وبدعم من المؤسسات المالية الدولية، **برنامج الإصلاح الاقتصادي** ابتداءً من عام ١٩٨٣، والذي شكّل نقطة تحول رئيسة في تاريخ الإصلاحات الاقتصادية في البلاد, إذ شمل البرنامج حزمة من السياسات الهيكلية الهادفة إلى استعادة الاستقرار الاقتصادي، وإعادة هيكلة القطاعات الإنتاجية، وفي مقدمتها قطاع الزراعة.

وفي إطار تلك الإصلاحات، شرعت الدولة في تحرير التجارة الزراعية، وإعادة هيكلة جهاز تسويق الكاكاو، وتقديم حوافز جديدة للمزارعين، إضافة إلى تحسين البنية التحتية الريفية، وتشجيع الاستثمار الخاص في الأنشطة الزراعية, ومع دخول عقد التسعينيات، تواصلت الإصلاحات لترسيخ التحول نحو اقتصاد أكثر انفتاحاً وتنافسية، مع محاولة تحقيق توازن بين متطلبات السوق وسياسات التنمية الريفية,

وهكذا فإن المدة ١٩٨١–٢٠٠١ مثلت مرحلة حيوية لإعادة تشكيل الاقتصاد الزراعي في غانا؛ إذ شهدت خلالها البلاد انتقالاً تدريجياً من نموذج اقتصادي مركزي التدبير إلى آخر قائم على التحرير الاقتصادي وتعزيز دور القطاع الخاص، وهو ما انعكس بشكل متفاوت على الإنتاج الزراعي، ومستويات المعيشة في الريف، ودور الدولة في إدارة القطاع الزراعي.

المبحث الأول– قطاع الزراعة في غانا بعد الاستقلال (١٩٥٧–١٩٨١):

شَكَّلَ قطاع الزراعة ولاسيما الصادرات من المحاصيل النقدية نسبة كبيرة في تكوين النقد الأجنبي في غانا منذ الاستقلال عن بريطانيا عام ١٩٥٧[١], إذ ساهم القطاع بما نسبته ٨٠ بالمائة في عملية توفير العملة الصعبة[٢], كما ساهم بنسبة ٤٨ بالمائة من الناتج المحلي الإجمالي[٣], فضلاً عن مساهمته في تشغيل ٤٩–٥٧ بالمائة من إجمالي القوة العاملة في البلاد[٤], وذلك خلال المدة (١٩٧٥–١٩٩٠), فمن بين ٢٣,٠٠٠,٠٠٠ هكتار من مجموع أراضي البلاد, استُخدِمَ ١٧,٠٠٠,٠٠٠ هكتار لأغراض زراعية في عام ١٩٧٨[٥], وعُدَّت مياه الأمطار هي الوسيلة الأولى التي اعتمدت عليها الزراعة الغانية في عملية الري, وازدادت كميات الأمطار الساقطة في الجهتين الغربية والساحلية الجنوبية, بيد أنها قلت شمالاً وشرقاً سواء من ناحية كمياتها أو طول فصل سقوطها, لذلك ارتبط تذبذب كميات المحاصيل الزراعية بتذبذب سقوط الأمطار[٦], وهيمن أصحاب الحيازات الصغيرة على الزراعة في غانا, إذ شكلوا نحو ٩٥ بالمائة من إجمالي العاملين في القطاع الزراعي, وبلغ متوسط مساحة تلك الحيازات نحو هكتارين (خمسة أفدنة), وقامت بعض الشركات التجارية والمؤسسات العامة والتعاونيات ببعض الأعمال الزراعية على نطاق أوسع, لكن مساهمتها في إجمالي الناتج الزراعي كانت قليلة[٧].

عانى قطاع الزراعة في جمهورية غانا بين عقدي الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين من مشكلات عديدة, فبعد أن كانت نسبة الاكتفاء الذاتي من الطعام ٨٣ بالمائة في عام ١٩٦٥, تدهورت إلى نحو ٧١ بالمائة في عام ١٩٧٩, ثم وصلت النسبة إلى نحو ٦٠ بالمائة عشية تولي الرئيس جيري رولينغز مقاليد الحكم, ومرد ذلك الانحدار إلى عدة عوامل, في مقدمتها زيادة الطلب على المحاصيل؛ نتيجةً لزيادة عدد السكان, و نسبة الجفاف الشديد الذي زادت وتيرته منذ عام ١٩٧٩, وما ترتب عليه من حرائق أدت إلى إتلاف كميات كبيرة من المحاصيل الزراعية, إذ ساعد على ذلك هبوب ما عُرِفَ برياح "**الهارمتان**"[٨], إلى جانب تدهور طرق النقل, ونقص المدخلات الزراعية مثل البذور, والأسمدة, والمبيدات, والعمالة الماهرة[٩], ويمكن القول كذلك أن توجه المزارعين نحو زراعة المحاصيل النقدية ذات المردود المالي الأعلى مثل: الكاكاو, والبُن, والقطن, ساعد على زيادة مشكلة نقص السلع الغذائية[١٠].

انتهجت حكومة الرئيس ليمان التي سبقت حكومة مجلس الدفاع الوطني, استراتيجية إنمائية اعتمدت على قطاع الصناعة, وفرض ضرائب باهظة على قطاع الزراعة؛ لتمويل نفقات الحكومة, فضلاً

عن تحديد أسعار المحاصيل بطريقة لم تناسب أتعاب المزارعين, مما أدى إلى تدني مستوى الإنتاج الزراعي, ولاسيما إنتاج محصول الكاكاو, الذي عُدَّ من أهم مصادر توفير النقد الأجنبي في البلاد[١١], فأصبحت ظاهرة تهريب الكاكاو من قبل المزارعين إلى دول الجوار أمراً شائعاً, إذ كان يباع في الأسواق الخارجية بأسعار مرتفعة بشكل كبير مقارنة بأسعاره داخل جمهورية غانا, لذلك سعت حكومة الرئيس جيري رولينغز خلال تنفيذها لبرنامج الإصلاح الاقتصادي إلى عودة الاستقرار للقطاع الزراعي كخطوة أولى في طريق إصلاح الأوضاع الاقتصادية[١٢].

المبحث الثاني – إصلاحات الحكومة لتحسين إنتاجية المحاصيل الزراعية:

أولاً- محصول الكاكاو: انتشرت زراعة محصول الكاكاو[١٣] بجنوب وغرب وشرق غانا؛ نظراً لحاجة المحصول لدرجة حرارة مرتفعة و رطوبة عالية, بينما قل إنتاجه في الشمال؛ بسبب هبوب الرياح القارية الجافة على ذلك الجزء, والتي سببت فقد المحصول للماء[١٤], وعُدَّ الكاكاو مصدر دخل لأكثر من ٨٠٠,٠٠٠ أسرة منتجة له[١٥], و أنتجت غانا نوعان رئيسان منه, أحدهما أُطلِقَ عليه اسم كريللو (Crilelo), وهو من أجود أنواع الكاكاو, إذ مثل نسبة ٣٠ بالمائة من إنتاج الكاكاو الغاني, والنوع الآخر الذي عُرِفَ بالفورستيرو (Forestero), والذي مثل ٧٠ بالمائة من الإنتاج, وبشكل عام مثل المحصول نسبة تراوحت بين ٦٠-٧٠ بالمائة من إجمالي حصيلة الصادرات بجمهورية غانا خلال مدة الدراسة, كما إن إنتاجه مثل نحو ٢٤ بالمائة من القيمة المضافة للناتج الزراعي, لذلك قدم فرص عمل لنحو ٢٤ بالمائة من القوة العاملة في البلاد[١٦].

احتلت جمهورية غانا مطلع عام ١٩٨١ المركز الثالث عالمياً في إنتاج الكاكاو, بعد كل من ساحل العاج والبرازيل, اللتان أنتجتا إلى جانب غانا ونيجيريا والكاميرون نحو ٨٠ بالمائة من الإنتاج العالمي[١٧], وعُدَّت سياسة التدخل الحكومي في تسعير محصول الكاكاو من الأسباب المباشرة التي أدت إلى تراجع غانا إلى المركز الثالث عالمياً, بعد أن كانت تحتل المركز الأول خلال السبعينيات, إذ أدت تلك السياسة إلى فقدان الحافز المادي لدى المزارعين للاستمرار في زراعة المحصول, مما دفعهم إلى زراعة أنواع أخرى من المحاصيل النقدية[١٨].

سَعَت حكومة مجلس الدفاع الوطني لإيجاد حلول تعالج من خلالها انخفاض إنتاج الكاكاو, الذي تدنى من ٤٥٠,٠٠٠ طن في عام ١٩٦٥ إلى ١٥٠,٠٠٠ طن في عام ١٩٨٢[١٩], لذلك نفذت بعض الإصلاحات المالية والإدارية؛ لتعويض مزارعي الكاكاو قيمة خفض العملة, التي أثرت على أسعار محاصيلهم, فدفعت للمزارعين أسعاراً أعلى من تلك التي كانوا يتقاضونها من خلال التهريب إلى دول الجوار, ففي الوقت الذي دفعت فيه الحكومة الغانية مبلغ ١٢,٠٠٠ سيدي للطن الواحد, كان المزارع الغاني يبيعه لحكومتي توغو وكوت ديفوار بنحو ٤٠,٠٠٠ سيدي[٢٠].

ساعد إجراء زيادة أسعار الكاكاو من قبل حكومة مجلس الدفاع الوطني على وضع حد لظاهرة تهريبه, كما خفضت من نسب الضرائب التي فرضت على تصدير ذلك المحصول, فضلاً عن أنها ملكت للمزارعين مزارع الكاكاو التابعة للدولة في مناطق برونج أهافو, وفولتا, والوسطى, والشمالية, والغربية[٢١], وعوضتهم مالياً عن تلك الخسائر التي تكبدوها بسبب فقدانهم لأشجار الكاكاو التي أُصيبت بفيروس البراعم المتورمة (Swollen Shoot) الذي انتشر في غرب أفريقيا أوائل ثمانينيات القرن العشرين[٢٢], ففي إحدى الخطابات التي وجهها الرئيس جيري رولينغز لمزارعي الكاكاو في عام ١٩٨٣, ذكر: "**أن الكاكاو ومنتجات الغابات تشكل نحو ٧٥ بالمائة من إجمالي عائدات صادراتنا ... ومن خلال منتجاتكم نستطيع شراء السيارات والشاحنات والبنزين والكيروسين والكبريت والصابون والسكر**"[٢٣].

بتأريخ ٨ حزيران ١٩٨٤ قررت حكومة مجلس الدفاع الوطني أن تُكَلِف مجلس تسويق الكاكاو (Ghana Cocoa Board), الذي تأسس في عام ١٩٧٩ بتولي أمر شؤون الكاكاو, فأصبح مجلس التسويق هو المسوق الرئيس للمحصول, والمسؤول كذلك عن حماية مزارعي الكاكاو, وفرض الضرائب المناسبة عليهم, كما تولى مهمة نقل الكاكاو من المزارع إلى المستودعات والبواخر؛ لغرض تصديره[٢٤], ثم قام المجلس في عام ١٩٨٥ بإصلاح حوالي ٣٠٠٠ كيلو متر من الطرق الرابطة بين المزارع والموانئ؛ لتسهيل عملية النقل, و زود المزارعين بشتلات الكاكاو الجديدة؛ لتحل محل الأشجار التي فُقِدَت أثناء الحرائق والجفاف, والأشجار ذات الغلة المنخفضة, التي تجاوز عمرها الثلاثين عاماً, إلى جانب تزويد المزارعين بالأسمدة, والمبيدات الحشرية[٢٥], وفي محاولة لإعادة هيكلة إدارة مجلس تسويق الكاكاو, قرر المجلس بتأريخ ١٩ آب ١٩٨٥ تسريح ١٢,٠٠٠ من موظفيه غير الضروريين, و أوقف عمل ٥٢ مزرعة غير منتجة؛ وذلك بهدف خفض النفقات غير الضرورية, الأمر الذي انعكس إيجاباً على تحسين وضع مـــزارعي الكاكاو ذوي الانتاجية العالية[٢٦].

أدت تلك الإصلاحات إلى تعافي محصول الكاكاو تدريجياً, إذ سجل موسم حصاد (١٩٨٦-١٩٨٧) ٢٢٧,٠٠٠ طن, ثم ازداد إلى ٣٠٠,٠٠٠ طن خلال موسم (١٩٨٨-١٩٨٩)[٢٧], بيد أنه تراجع إلى ٢٤٢,٠٠٠ طن خلال موسم (١٩٩١-١٩٩٢)؛ بسبب عودة ظاهرة الجفاف, وتراجع أسعار الكاكاو عالمياً[٢٨], وذلك ما دفع حكومة حزب المؤتمر الوطني الديمقراطي, بعد فوز الحزب في انتخابات عام ١٩٩٢ إلى فتح باب الشراء والتصدير بالنسبة لمحصول الكاكاو لتجار القطاع الخاص أوائل عام ١٩٩٣, بعد أن كانت تلك العملية حكراً على مجلس تسويق الكاكاو, إذ كان الهدف من تلك الخطوة هو زيادة المنافسة بين التجار لزيادة أسعار المحصول, وبالتالي رفع الحافز لدى الفلاحين على الاستمرار في زراعته[٢٩].

عاد محصول الكاكاو إلى التعافي؛ نتيجةً لزيادة كميات الأمطار الساقطة, و انتهاء موسم الجفاف, فسجل نحو ٣١٢,٠٠٠ طن خلال موسم (١٩٩٢-١٩٩٣), ثم ارتفع إلى ٤٠٠,٠٠٠ طن خلال موسم (١٩٩٥-١٩٩٦), و ذلك ما أسهم في زيادة إيرادات الدولة المالية[٣٠], ففي عام ١٩٩٨ شكل محصول الكاكاو بمفرده نسبة ٤,٩ بالمائة من الناتج المحلي الإجمالي بالنسبة لقطاع الزراعة[٣١], ويوضح الجدول التالي كميات إنتاج محصول الكاكاو, وأسعار شراء المحصول محلياً, وأسعار التصدير شاملة لتكلفة الشحن خلال المدة (١٩٨٣-٢٠٠١)[٣٢].

الجدول رقم (١٠)

الموسم الزراعي	كمية الإنتاج (بالطن)	سعر الطن (بالسيدي)	سعر التصدير شامل الشحن (بالسيدي)
١٩٨٣-١٩٨٤	١٥٨,٩٥٦	٢٠,٠٠٠	٥٩,١٣١
١٩٨٤-١٩٨٥	١٧٤,٨٠٩	٣٠,٠٠٠	١٠٨,٧٣٣
١٩٨٥-١٩٨٦	٢١٩,٠٤٤	٥٦,٠٠٠	٢٠٦,٦٦٢
١٩٨٦-١٩٨٧	٢٢٧,٧٦٥	١٤٠,٠٠٠	٣١٣,٧١٧
١٩٨٧-١٩٨٨	١٨٨,١٧٧	١٦٥,٠٠٠	٤٣١,٥١٣
١٩٨٨-١٩٨٩	٣٠٠,١٠١	١٧٤,٠٠٠	٤١١,٥١١
١٩٨٩-١٩٩٠	٢٩٦,٠٥١	٢٢٤,٠٠٠	٤١٥,٩٣٥
١٩٩٠-١٩٩١	٢٩٣,٣٥٢	٢٥١,٠٠٠	٤٩٢,٠٥٩
١٩٩١-١٩٩٢	٢٤٢,٨١٧	٢٥١,٠٠٠	٥١٤,٧٥٩
١٩٩٢-١٩٩٣	٣١٢,١٢٣	٢٥٨,٠٠٠	٥٤٨,٩١٣
١٩٩٣-١٩٩٤	٢٥٤,٦٥٣	٣٠٨,٠٠٠	١,٠٠٩,٩٩٥
١٩٩٤-١٩٩٥	٣٠٩,٤٥٥	٧٠٠,٠٠٠	١,٦٦٤,٩٩٩
١٩٩٥-١٩٩٦	٤٠٣,٨٧٢	٨٤٠,٠٠٠	٢,٠٩٨,٦٧١
١٩٩٦-١٩٩٧	٣٢٢,٤٨٨	١,٢٠٠,٠٠٠	٢,٣٧٢,٩٤٢
١٩٩٧-١٩٩٨	٤٠٩,٣٦٠	١,٨٠٠,٠٠٠	٣,٣٣٥,٠٠٠
١٩٩٨-١٩٩٩	٣٩٧,٣٦٣	٢,٢٥٠,٠٠٠	٤,١٦٦,٦٦٧
١٩٩٩-٢٠٠٠	٤٣٦,٩٤٦	٢,٢٥٠,٠٠٠	٣,٥١٥,٦٢٥
٢٠٠٠-٢٠٠١	٤٤٠,٨٤٧	٢,٣٢٠,٠٠٠	٣,٥١٨,٣٢٩

يتضح من الجدول السابق أن هناك تذبذب في كميات إنتاج الكاكاو خلال مدة الدراسة؛ و ربما يعزى سبب ذلك إلى تذبذب كميات الأمطار الساقطة, نظراً لاعتماد ٧٠ بالمائة من أراضي غانا الزراعية على مياه الأمطار, لكن في المجمل كانت هناك زيادة ملحوظة في الإنتاج, إذ ارتفع من ١٥٨,٩٥٦ طن خلال موسم حصاد (١٩٨٣-١٩٨٤) إلى ٤٤٠,٨٤٧ طن خلال موسم (٢٠٠٠-٢٠٠١), كما يوضح الجدول رغبة الحكومة الكبيرة في حماية محصول الكاكاو من التهريب, من خلال منحها للمزارعين أسعار مجزية, فبينما كانت تدفع للفلاح نحو ٢٠,٠٠٠ سيدي للطن الواحد خلال موسم حصاد (١٩٨٣-١٩٨٤), دفعت ٢,٣٢٠,٠٠٠ سيدي خلال موسم (٢٠٠٠-٢٠٠١), فضلاً عن دعم الحكومة لأسعار تصدير المحصول.

ثانياً- المحاصيل النقدية الأخرى :

أولت حكومة مجلس الدفاع الوطني في بداية حكمها محصول الكاكاو أهمية قصوى, بيد أنها أهملت المحاصيل النقدية الأخرى[٣٣]؛ بحكم افتقار زراعة تلك المحاصيل للمعدات التكنلوجية الحديثة كالمحالج, والجرارات, والمضادات الحيوية كالأسمدة العضوية, و المبيدات الحشرية, ومبيدات الفطريات, والتي مثل توفيرها عبئاً مالياً إضافياً على الحكومة[٣٤], فبحلول عام ١٩٨٣ لم تكن جمهورية غانا مكتفية ذاتياً إلا من محصول نقدي واحد فقط ألا وهو الموز[٣٥], والذي هبط إنتاجه كذلك من ٩٣١,٠٠٠ طن في عام ١٩٨٠ إلى ٧٥٤,٠٠٠ طن في عام ١٩٨٣[٣٦].

شَهِدَ مطلع عام ١٩٨٤ توسعاً كبيراً في المناطق الحضرية؛ نتيجة لزيادة تعداد السكان, في الوقت الذي انخفض فيه توافر الغذاء بنحو ٣٠ بالمائة, وغادر معظم الفلاحين المهرة البلاد, الأمر الذي أدى إلى اتساع ظاهرة الفقر الجماعي[٣٧], لذلك شعرت الحكومة بخطورة الاعتماد على محصول الكاكاو كمصدر وحيد لزيادة مدخولاتها المالية[٣٨] , لكن من حسن حظ الحكومة أن موسم الجفاف شارف على الانتهاء في منتصف عام ١٩٨٤, و ازدادت كميات الأمطار الساقطة في مختلف أنحاء البلاد, فلم يكن أمام الحكومة إلا أن توجه اهتمامها نحو تنويع زراعة المحاصيل؛ لتجنب استيرادها من الخارج[٣٩].

شجعت وزارة الزراعة والأغذية الغانية على زراعة المحاصيل الداخلة في الصناعة كالمطاط الذي انتشرت زراعته جنوب غرب البلاد, والسكر, والقطن, ونخيل الزيت, و ألياف التيلة, والبُن, وجوز الهند, التي زُرِع معظمها في الشمال[٤٠], كما شجعت على زراعة المحاصيل الغذائية الاستهلاكية مثل الأرز, والذرة, والبطاطا, والخضراوات, و الفاكهة, والكسافا, والفول السوداني[٤١], والتي زُرِعت في مختلف أنحاء البلاد, ومن أجل دفع أكبر عدد من المواطنين للمشاركة في زراعة المحاصيل, شرعت الحكومة العديد من الإصلاحات في ذلك القطاع, إذ قللت مدة إراحة التربة من أربع سنوات إلى سنتين, و رصدت

إعانات مالية مجزية للاكتشافات البحثية في مجال زراعة المحاصيل, إذ تجاوزت نفقات الحكومة على المؤسسات البحثية الزراعية مبلغ ١,٥٠٠,٠٠٠ دولار أمريكي خلال عام ١٩٨٤[٤٢].

زاد الاهتمام الحكومي بقطاع الزراعة في عام ١٩٨٥, إذ أقدمت الحكومة على مسح الأراضي المهملة في مختلف أنحاء البلاد لإعادة زراعتها, وأشركت القوات المسلحة في مجال الزراعة عن طريق تمليك أفرادها للأراضي[٤٣], وقررت استغلال سد أكوسومبو في منطقة الفولتا في عملية ري الأراضي إلى جانب كونه مولداً للطاقة الكهربائية, فضلاً عن إنشائها لمحطات ري في الحزام الساحلي بالجنوب الغربي من البلاد؛ لري أراضي تلك المنطقة[٤٤], و وزعت نحو ٢٦,٤٠٠ طن من الأسمدة على الفلاحين, ومنحت تراخيص استيراد لوزارة الزراعة بكلفة ٥٢,٠٠٠,٠٠٠ سيدي؛ لغرض استيراد المستلزمات الزراعية الأساسية من الخارج[٤٥].

أعادت الحكومة في عام ١٩٨٦ تفعيل دور "**هيئة المزارع الحكومية**", التي توقف عملها بعد انقلاب جيري رولينغز عام ١٩٨١, إذ تركز نشاطها على تنمية وتطوير و زراعة محاصيل نخيل الزيت, والمطاط, وجوز الهند, والكولا, وهي محاصيل استهدفت الحكومة تنميتها؛ لغرض إمداد الصناعة الزراعية المحلية وتنويع الصادرات الزراعية, كما أسست الحكومة في العام نفسه "**هيئة إنتاج الغذاء**"؛ لغرض متابعة كميات الإنتاج الزراعي, وتوزيعها بعدالة على سكان البلاد[٤٦], إذ تعاونت الهيئة الأخيرة بين عامي (١٩٨٦-١٩٨٧) مع "**منظمة الأغذية العالمية**" (World Food Programme) في تنفيذ ما عُرِفَ بـ "**مشروع ساساكوا-كارتر**" (Sasakwa-Carter), الذي تبنته الولايات المتحدة الأمريكية بالتعاون مع اليابان لتنمية زراعة الكسافا والذرة في غانا؛ كونها من الدول المعرضة للجفاف[٤٧], فنتج عن تلك الإصلاحات زيادة ملموسة في مساهمة المحاصيل النقدية في الناتج المحلي الإجمالي لدولة غانا خلال عام ١٩٨٨[٤٨], و يوضح الجدول التالي كميات إنتاج المحاصيل الأعلى غلة, وبمتوسط ثلاث سنوات خلال المدة (١٩٨١-١٩٩٢)[٤٩].

الجدول رقم (١١)

المدة	الذرة	الدخن	الأرز	الكسافا	اليم	الكوكويام	الموز
١٩٨١-١٩٨٣	٢٩٩,٠٠٠	٧٨,٠٠٠	٥٢,٠٠٠	٢٠٨٨	٦٨٢,٠٠٠	٦٦٠,٠٠٠	٦٣٩,٠٠٠
١٩٨٤-١٩٨٦	٦١٣,٠٠٠	١١٨,٠٠٠	٦٨,٠٠٠	٤٧٥٢	١,٠٧١,٠٠٠	١,٤٨٠,٠٠٠	١,٥٥٣,٠٠٠
١٩٨٧-١٩٨٩	٦٣٨,٠٠٠	١٨٢,٠٠٠	٨٣,٠٠٠	٣١١٥	١,٢٢٢,٠٠٠	١,١٠٩,٠٠٠	١,١٠٦,٠٠٠

١٩٩٠-١٩٩٢	٧٣٩,٠٠٠	١٠٩,٠٠٠	١٠١,٠٠٠	٤٦٩٣	١,٩٤٧,٠٠٠	١,١٠٥,٠٠٠	١,٠١٩,٠٠٠

يتضح من الجدول أعلاه أن غلة المحاصيل المذكورة كانت بارتفاع مستمر على الرغم من انخفاضها في بعض السنوات, وذلك يشير إلى نجاح استراتيجية الحكومة الزراعية, التي بنيت على أساس دعم الفلاحين وتقليل استيراد المنتجات الغذائية من الخارج, كما يتضح انخفاض غلة محصول الكسافا, بسبب تصنيف ذلك المحصول من قبل وزارة الزراعة الغانية على أنه محصول احتياطي للذرة, فضلاً عن تكاليف إنتاجه العالية نسبياً.

سجلت المحاصيل النقدية الأخرى غلات لا بأس بها خلال مدة تنفيذ برنامج الإصلاح الاقتصادي (١٩٨٣-١٩٩٢), إذ سجل محصول جوز الهند كميات تراوحت بين ٢١٠,٠٠٠-٣٣٧,٠٠٠ طن, وسجل قصب السكر كميات تراوحت بين ١٩٠,٠٠٠-٢٠٠,٠٠٠ طن, وسجل الفول السوداني كميات تراوحت بين ٨٠,٠٠٠-٢٠٠,٠٠٠ طن, وسجلت الخضراوات كميات تراوحت بين ٤١٧,٠٠٠-٥٩٩,٠٠٠, وسجل القطن كميات تراوحت بين ١٠٠٠-٣٠٠٠ طن, وسجلت محاصيل الفواكه والقهوة والكولا زيادات مماثلة[٥٠].

نفذت حكومة المؤتمر الوطني الديمقراطي بالتعاون مع صندوق النقد الدولي في عام ١٩٩٣ برنامجاً زراعياً أُطلِقَ عليه "**برنامج الزراعة الغانية متوسط الأجل ١٩٩٣-٢٠٠٠**", وكان الهدف الأساس للبرنامج هو خصخصة قطاع الزراعة بشكل كامل[٥١], أي إناطة الشؤون الزراعية في جمهورية غانا بالقطاع الخاص الاستثماري؛ لعدم قدرة القطاع العام على تحمل جميع الأعباء الاقتصادية, وذلك مقابل إلغاء الدعم الحكومي على المدخلات الزراعية كالأسمدة, والمبيدات الحشرية, ومبيدات الفطريات, وآلات الحراثة؛ نتيجة لارتفاع أثمانها[٥٢], إذ أدى تنفيذ ذلك البرنامج إلى زيادة ملحوظة في كميات الإنتاج خلال المدة (١٩٩٣-٢٠٠١)[٥٣], ويوضح الجدول التالي كميات الإنتاج (بالطن) للمحاصيل الأعلى غلة خلال تلك المدة[٥٤].

الجدول رقم (١٢)

السنة	الذرة	الدخن	الأرز	الكسافا	اليم	الكوكويام	الموز
١٩٩٣	٩٦١,٠٠٠	١٩٨,٠٠٠	١٥٧,٠٠٠	٥,٩٧٢	٢,٧٢٠	١,٢٣٦	١,٣٢٢
١٩٩٤	٩٣٩,٠٠٠	١٦٨,٠٠٠	١٦٢,٠٠٠	٦,٠٢٥	١,٧٠٠	١,١٤٨	١,٤٧٥
١٩٩٥	١,٠٣٤,٠٠٠	٢٠٩,٠٠٠	٢٢١,٠٠٠	٦,٦١١	٢,١٢٦	١,٣٨٣	١,٦٣٦
١٩٩٦	١,٠٠٨,٠٠٠	١٩٣,٠٠٠	٢١٦,٠٠٠	٧,١١١	٢,٢٧٥	١,٥٥٢	١,٨٢٣
١٩٩٧	٩٩٦,٠٠٠	١٤٤,٠٠٠	١٩٧,٠٠٠	٧,٠٠٠	٢,٧٤٨	١,١٤٧	١,٨١٨
١٩٩٨	١,٠١٥,٠٠٠	١٦٢,٠٠٠	٢٨١,٠٠٠	٧,٧١٧	٢,٧٠٣	١,٥٧٧	١,٩١٣

١٩٩٩	١,٠٢٥,٠٠٠	١٧٨,٠٠٠	٢٥٦,٠٠٠	٧,٢٥٤	٢,٦٥٠	١,٥٧٠	٢,٠٥٠
٢٠٠٠	١,٠٥٠,٠٠٠	١٧٠,٠٠٠	٢٧٠,٠٠٠	٧,٨٦٥	٢,٧٧٢	١,٥٥٨	٢,١٦٠
٢٠٠١	١,١٢٣,٠٠٠	١٧٣,٠٠٠	٢٧٢,٥٠٠	٧,٨٦٠	٢,٧٧٥	١,٥٨٧	٢,٢١٠

يتضح من الجدول استمرار زيادة إنتاج المحاصيل النقدية, رغم تذبذبها بين سنة وأخرى, وذلك يدل على أن حكومة حزب المؤتمر الوطني الديمقراطي التي انتخبت دستورياً لم تغير الاستراتيجيات الزراعية التي وضعت في ظل برنامج الإصلاح الاقتصادي, على الرغم من تحول نظام الحكم في البلاد من عسكري إلى ديمقراطي دستوري, أي أن الرئيس جيري رولينغز حقق مبدأ شعار الاستمرارية الذي رفعه أثناء الحملة الدعائية لحزبه قبل الانتخابات الرئاسية عام في ١٩٩٢.

المبحث الثالث- الإصلاح الاقتصادي لقطاع الغابات:

شكلت الغابات نحو ٢٣,٠٠٠,٠٠٠ هكتار من المساحة الإجمالية لجمهورية غانا[٥٥] أي ثلث مساحة البلاد تقريباً[٥٦], وقُسِمَت تلك الغابات إلى ثلاثة أنواع هي: الغابات الاستوائية المطيرة, التي تركزت في الجنوب الغربي, وامتازت بارتفاع أشجارها التي بلغت نحو ٦٠ متراً, والغابات النفضية الجافة, التي غطت المناطق الوسطى والشمالية, لكن أشجارها كانت ذات أطوال متوسطة[٥٧], وغابات المنغاروف (Mangrove Forests) الساحلية, التي امتدت على مسافة ٥٤٠ كم^{٢} على طول الساحل الجنوبي[٥٨].

مثلت مناطق الغابات أهمية بالغة بالنسبة للاقتصاد الغاني؛ نظراً لما أنتجته من كميات كبيرة من الأخشاب التي استخدمت كمواد أولية في مجالي الصناعة والتجارة[٥٩], و حطب الوقود[٦٠], فضلاً عما وفرته من غطاء ظلي نمت فيه البذور, والفواكه, والجذور, و الدرنات, والفطر, والتي مثلت مصدراً غذائياً هاماً بالنسبة لسكان الحظر والريف, إلى جانب ذلك عُدَّت مناطق الغابات, ولاسيما منطقة الغابات المطيرة, موطناً للكثير من الحيوانات النادرة والمهددة بالانقراض, كالقط الذهبي, والشمبانزي, وفرس النهر القزم, و فيل الغابة, والجواميس, والقردة, والنمور, والأسود, والثعابين, والتماسيح, وأكثر من ٢٠٠ نوع من الطيور[٦١].

احتلت جمهورية غانا منذ منتصف سبعينيات القرن العشرين المرتبة الأولى على مستوى القارة الأفريقية في إنتاج وتصدير الأخشاب, كما احتلت الأخشاب المرتبة الثالثة في الاقتصاد الغاني[٦٢] بعد الكاكاو والتعدين كمصدر للنقد الأجنبي[٦٣], إذ ساهمت خلال مدة الدراسة بنحو ٥ بالمائة في المتوسط من الناتج المحلي الإجمالي, وخلقت فرص عمل لنحو ٧٠,٠٠٠ عامل, أي ما مثل نحو ١٥ بالمائة في المتوسط من إجمالي القوة العاملة في البلاد, كما مثلت نحو ١١ بالمائة في المتوسط من القيمة المضافة لقطاع الزراعة[٦٤].

أدت الحرائق التي التهمت غابات غانا خلال المدة (١٩٧٩-١٩٨٣), وحاجة السكان المتزايدة لخشب الوقود, فضلاً عن استخدام كميات كبيرة من الأخشاب كقناطر, وأعمدة, وحطب, في أعمال

التعدين و زراعة الكاكاو, إلى فقدان نحو ٣٠ بالمائة من إنتاج الأخشاب[٦٥], لذلك أولت حكومة مجلس الدفاع الوطني قطاع الغابات أهمية كبرى في ظل تنفيذ برنامج الإصلاح الاقتصادي, إذ أقدمت في عام ١٩٨٥ على تنفيذ ما عُرفَ بـ "**مشروع جرد الغابات ١٩٨٥-١٩٨٩**", وذلك بمساعدة الحكومة البريطانية, التي منحت حكومة غانا في عام ١٩٨٥ مبلغ ١,١٤٦,٠٠٠ جنيه استرليني؛ لتسهيل تنفيذ المشروع؛ نظراً لحاجة بريطانيا الدائمة للأخشاب الغانية, إذ تمكنت الحكومة الغانية من خلال تنفيذ ذلك المشروع أن تحدد المخزون المتنامي لكميات وأنواع الأخشاب المتوفرة في الغابات, و وضعت آلية عمل ضمنت بواسطتها قطع أشجار الغابات بشكل شبه منظم وقانوني خاضع لتوجيهاتها[٦٦], فبعد أن مثل إنتاج الأخشاب الصلبة نحو ٥٦٠,٠٠٠ متر مربع في عام ١٩٨٣, وصل إلى نحو ٨٩٠,٠٠٠ متر مربع في عام ١٩٨٦, كما بلغ إنتاج الأخشاب المنشورة في العام نفسه نحو ٢٣٢,٠٠٠ متر مربع, بعد أن كان ١٨٩,٠٠٠ متر مربع خلال عام ١٩٨٣[٦٧].

بحلول تشرين الثاني ١٩٨٨ تم جرد نحو ٥,٤٦٠ كم^{٢} مربع من الغابات, قسمتها الحكومة إلى ٤٣ محمية؛ لغرض تنظيم إدارتها, وفي عام ١٩٨٩ نفذت الحكومة مشروعاً جديداً عُرِفَ بـ "**مشروع إدارة موارد الغابات**", وذلك بالتعاون مع صندوق النقد الدولي و "**منظمة الأغذية والزراعة العالمية**" Food and Agriculture Organization of The United) Nations), اللذان منحا غانا مساعدة مالية بلغت نحو ٦٤,٠٠٠,٠٠٠ دولار أمريكي؛ لتنفيذ المشروع الأخير, الذي هَدَفَ إلى تجديد الغابات عن طريق زراعة أشجار جديدة, والحفاظ على ثروات الغابات من التجاوزات الجائرة وغير القانونية, إذ تم بين عامي ١٩٨٩-١٩٩٠ زراعة أكثر من ١٢٠,٠٠٠ هكتار مـن الأشجار سريعة النمو مثل التيك والسنط في المنطقة الجنوبية الغربية, ومنطقة الساحل الجنوبي[٦٨].

بلغت الأموال التي صرفتها الحكومة الغانية من مواردها الداخلية على قطاع الغابات خلال المدة (١٩٨٣-١٩٩٠) قرابة ١٢٠,٠٠٠,٠٠٠ سيدي, لغرض زراعة الأشجار الجديدة, وتوفير آلات قطع الأخشاب, وقطع الغيار, وإصلاح طرق النقل الرابطة بين الغابات والموانئ؛ لتسهيل عملية نقل الأخشاب؛ لغرض تصديرها[٦٩], و استحوذ القطاع الخاص على النصيب الأكبر من الاعتمادات الحكومية الميسرة في قطاع الغابات, إذ أنتج القطاع الخاص وحده نحو ٦٠ بالمائة من صادرات غانا الخشبية, التي صُدِّرَ معظمها إلى الدول الغربية عن طريق مينائي تيما وتاكورادي على هيئة ألواح خشبية أو كتل منشورة أو نشارة خشب, إذ صدرت غانا كمتوسط سنوي خلال مدة تنفيذ برنامج الإصلاح ما قارب من نحو ٣٥,٠٠٠,٠٠٠ مليون قدم مكعب من الكتل الخشبية, ونحو ٩,٠٠٠,٠٠٠ قدم مكعب من نشارة الخشب, فبحلول عام ١٩٩٠ ساهم قطاع الغابات بنحو ٤,٢ بالمائة من الناتج المحلي الإجمالي[٧٠], ويوضح الجدول التالي تطور إنتاج الأخشاب في غانا بين عامي (١٩٨١-١٩٩٠)[٧١].

الجدول رقم (١٣)

السنة	خشب مصنع (بالطن)	خشب صلب ومنشور (بالطن)
١٩٨١	٩٣١,٠٠٠	٥٥٠,٠٠٠
١٩٨٢	٧٩١,٠٠٠	٤١٠,٠٠٠
١٩٨٣	٧٩١,٠٠٠	٤١٠,٠٠٠
١٩٨٤	٧٩١,٠٠٠	٤١٠,٠٠٠
١٩٨٥	١,٠٨١,٠٠٠	٧٩٤,٠٠٠
١٩٨٦	١,١٧٥,٠٠٠	٧٩٤,٠٠٠
١٩٨٧	١,١٠١,٠٠٠	٨٢١,٠٠٠
١٩٨٨	١,١٠١,٠٠٠	٨٣٠,٠٠٠
١٩٨٩	١,١١٠,٠٠٠	٨٣٠,٠٠٠
١٩٩٠	١,١١٠,٠٠٠	٨٤٠,٠٠٠

عادت ظاهرة الجفاف بين عامي (١٩٩٠-١٩٩٢) مسببةً حرائق جديدة في مناطق الغابات الغانية, مما أثر سلباً على كميات إنتاج تلك المناطق, لذلك بحثت الدول التي عُدَّت سوقاً لتصريف الخشب الغاني, ولاسيما دول القارة الأوربية عن وجهات جديدة لاستيراد الأخشاب, الأمر الذي لفت انتباه حكومة غانا المنتخبة دستورياً[٧٢], والتي ذكر رئيسها جيري رولينغز في خطاب له أمام البرلمان الغاني بتأريخ ٦ نيسان ١٩٩٣ قائلاً: **"لطالما مثلت الأخشاب من غاباتنا المرتبة الثالثة كمصدر للعملات الأجنبية, بعد الكاكاو والمعادن, ومع ذلك من المؤسف وعلى الرغم من جهودنا لتعزيز الوكالات المسؤولة عن الإدارة الرشيدة والمستدامة لموارد الغابات فإن هذا التراث الثمين لا زال يتآكل؛ نتيجة لإزالة الأراضي من أجل الزراعة, وحرائق الغابات, والبحث عن وقود الخشب لسكاننا المتزايدين بسرعة, وقطع الأشجار بطريقة غير منظمة وغير قانونية"**[٧٣].

بتأريخ ١٣ تموز ١٩٩٣ شرع البرلمان الغاني قانوناً سمي **"قانون الحفاظ على الغابات"** رقم (٤٥٣), و بموجبه أنشأت **"هيئة الغابات"** التي أُلحِقَت بوزارة الأراضي و الموارد الطبيعية, وأصبحت هي المسؤولة عن تنسيق وتنظيم وإدارة موارد الغابات والحياة البرية في البلاد[٧٤], إذ بلغت الأموال التي خصصتها الحكومة للهيئة لإصلاح قطاع الغابات بين عامي (١٩٩٣-١٩٩٧) نحو

١٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ سيدي[٧٥], صُرِفَ معظمها على تشجير الأراضي, وتعزيز الصناعات القائمة على الأخشاب[٧٦], وإصلاح طرق النقل الحيوية التي ربطت الغابات بالمصانع والموانئ[٧٧].

أصدرت الحكومة في عام ١٩٩٧ قانون "**إدارة موارد الأخشاب**" رقم (٥٤٧), الذي تم بموجبه حظر قطع الأخشاب دون إبرام عقد حكومي بين الحكومة والمستفيد, باستثناء الأراضي المملوكة للقطاع الخاص, كما حدد القانون المساحة الجغرافية والمدة المسموح بها لاستغلال الأرض المرخصة للمستفيد, ثم شددت الحكومة سياستها تجاه قطاع الغابات خلال المدة (١٩٩٩-٢٠٠١), عندما أرسلت حملات عسكرية إلى الأراضي التي شهدت قطعاً جائراً للأشجار, وصراعاً قبلياً حاداً حول حيازة الأراضي التي ملَّكَتها الدولة للمواطنين, وذلك لفرض سلطة الحكومة على تلك المناطق[٧٨].

المبحث الرابع- تنمية الثروة الحيوانية:

وجهت حكومة مجلس الدفاع الوطني جهودها عند تطبيق برنامج الإصلاح الاقتصادي نحو تنمية الثروة الحيوانية, وتدعيم الاستهلاك المحلي للبروتين, إذ أنفقت على قطاع الثروة الحيوانية خلال مدة تنفيذ البرنامج نحو ٣٢,٠٠٠,٠٠٠ سيدي؛ لغرض توفير علف الحيوانات الذي قل في البلاد نتيجة ضعف الغطاء النباتي؛ بسبب تعاقب مواسم الجفاف وقلة سقوط الأمطار[٧٩], وكذلك لتوفير المبيدات الحشرية؛ لمكافحة وباء ذبابة البحر الذي فتك بالحيوانات[٨٠], كما أنشأت مركزاً للوحدات البيطرية في مدينة تمالي الشمالية, بحكم تركز نحو ٧٠ بالمائة من ثروة البلاد الحيوانية في ذلك الجزء[٨١], إلى جانب المذابح التي أنشأت في مختلف أنحاء البلاد؛ للاستفادة من اللحوم والألبان والجلود, ويوضح الجدول التالي أعداد الثروة الحيوانية في جمهورية غانا (بالألف رأس), خلال المدة (١٩٨٣-١٩٩٢)[٨٢].

الجدول (١٤)

السنة	الماشية	الأغنام	الماعز	الخنازير	الدواجن
١٩٨٣	١,٠٠٢	١,٧٥٠	١,٥٣٩	٣١٧	٥,٩٤٩
١٩٨٤	١,٠٧٨	١,٩٧٧	١,٦٧٨	٣٩٩	٥,٨٩٣
١٩٨٥	١,٠٦٥	١,٩٨٧	١,٦٠٥	٤١٣	١٠,٠٢٤
١٩٨٦	١,١٣٥	١,٨١٤	١,٦٣٣	٤٦٩	٦,٤٠٩
١٩٨٧	١,١٧١	١,٩٨٨	١,٩٠١	٥٣٤	٨,٢١٤
١٩٨٨	١,١٢٦	٢,٠٤٦	١,٩٩١	٤٧٨	٨,٠٤٠
١٩٨٩	١,١٣٦	٢,٢١٢	٢,٣٦٤	٥٥٩	٨,٧٨٧
١٩٩٠	١,١٤٥	٢,٢٢٤	٢,٠١٨	٤٧٤	٩,٩٩٠
١٩٩١	١,١٩٥	٢,١٦٢	٢,١٩٤	٤٥٤	١٠,٥٧٢

١٩٩٢	١,٢٢١	٢,١٤٦	٢,٢٢١	٤٣٦	١١,٨٨٧

شهدت البلاد بعد تحولها من نظام الحكم العسكري إلى نظام الحكم الدستوري زيادة مطردة في عدد السكان الذي بلغ نحو ١٧ مليون نسمة[٨٣], إذ لم يعد بوسع قطاع الثروة الحيوانية سد سوى ٣٠ بالمائة من حاجة البلاد من البروتين الغذائي[٨٤], لذلك ومن أجل سد النقص الذي طرأ توجهت الحكومة الغانية نحو استيراد الحيوانات الحية من دول الجوار ولاسيما بوركينا فاسو, ومالي, والنيجر[٨٥], ويوضح الجدول التالي كميات رؤوس الحيوانات المستوردة خلال المدة (١٩٩٣-٢٠٠١)[٨٦].

الجدول رقم (١٥)

السنة	الماشية	الأغنام	الماعز	الخنازير	الدواجن
١٩٩٣	١٣	٣٥١	٣٨٧	٤٥٨	غير متوفر
١٩٩٤	٣٥	٨٨٥	٢٤٠	٠	غير متوفر
١٩٩٥	٢٥٢	٩٩	١٧	١	غير متوفر
١٩٩٦	١٦,١٠٥	٤,٩٨٩	٥,٢١٢	٠	غير متوفر
١٩٩٧	٥٧,٤١١	٨,٠٨٢	٩,١٧٦	٠	غير متوفر
١٩٩٨	٧١,٣٧٧	١٢,٦٤٨	١٦,٥٢٢	٠	٤٨,٨١٦
١٩٩٩	٥٥,٦٨١	٩,٥٤٥	١٠,٧٠٩	١٠٠	٤٧,٧٠٠
٢٠٠٠	٤٣,٨٦٧	١١,٨٩٨	١٣,٤٢١	٢٠٨	٤٢,٦٣٢
٢٠٠١	٤٨,٤٨٥	١٠,٦٠٤	١٢,٣٦١	١٨٥	٤١,٩٠٦

عُدَّت الأسماك بأنواعها (التونة, السردين, السلور, الرنجة, الماكريل...) المصدر البروتيني المفضل لدى الغانيين[٨٧], كما مثلت مصدراً آخراً من مصادر الدخل الحكومي [٨٨], إذ شكلت في المتوسط نحو ٣ بالمائة من القيمة المضافة للناتج الزراعي الإجمالي خلال مدة الدراسة, أي أنها أنتجت سنوياً في المتوسط بين ٢٣٤,٠٠٠-٤٠٠,٠٠٠ طن, وسد ذلك المعدل في المتوسط نحو ٧٥ بالمائة من حجم الطلب المحلي على الأسماك[٨٩], ومهنة صيد الأسماك مهنة عرفها الغانيين منذ أمد بعيد, وعادةً ما اتبع الصيادين الغانيين الطرق التقليدية لصيد الأسماك في سواحل أكرا, وسيكوندي, وكيتا, والتي اعتمدت على القوارب الخشبية وشباك الغزل[٩٠], إذ سببت الأزمات الاقتصادية المتعاقبة, ولاسيما تلك التي عصفت بجمهورية غانا في بداية تسنم جيري رولينغز للحكم, في جعل مهمة الصيادين أكثر صعوبة, فلم يكن بوسعهم ولا بوسع قواربهم مجاراة التقدم العالمي الذي طرأ على وسائل ومعدات الصيد[٩١].

أنتجت غانا في عام ١٩٨٢ نحو ٢٣٤,٠٠٠ طن من الأسماك[٩٢], ثم ارتفع انتاجه تدريجياً إذ بلغ نحو ٣٣٠,٠٠٠ طن في عام ١٩٨٤ و ٣٤٦,٠٠٠ طن في عام ١٩٨٥, و ٣٩٠,٠٠٠ طن في عام ١٩٨٦[٩٣], ومن أجل زيادة الإنتاج السمكي المحلي, وتقليل الاعتماد على الخارج, أقدمت الحكومة في عام ١٩٨٧ على رفع أجور الصيادين, و زاد اهتمامها بمزارع الأسماك من خلال إلقاء كميات كبيرة من الأسماك الصغيرة في الأنهر والبحيرات لغرض تحقيق التكاثر, كما منعت الصيادين من مزاولة مهنة الصيد بين شهري (آب– تشرين الثاني), وهي المدة التي تكاثرت فيها أسماك البلاد, كما أنشأت مصانع ومخازن مكيفة لتعليب وحفظ الأسماك في مدن أكرا, وتاكورادي, وسونياني, وتيما, وافتتحت ورشاً قرب الأنهر؛ لإصلاح القوارب ذات المحركات التي استطاعت الدخول لمسافات طويلة داخل المياه[٩٤].

كان من المفترض أن تسهم تلك الخطوات التي اتبعتها الحكومة في زيادة كميات الإنتاج السمكي, بيد أن الصيد الجائر على نطاق واسع من قبل السفن الأجنبية أدى إلى استنزاف مخزوناته, ففي عام ١٩٨٨ هبط الإنتاج السمكي إلى ٣٠٢,٩٠٠ طن, ثم إلى ٣٠٠,٠٠٠ طن في عام ١٩٨٩, و زادت عودة الجفاف من حدة هبوط إنتاج الأسماك إذ وصل إلى ٢٨٩,٦٧٥ طن خلال عام ١٩٩٢؛ نتيجة لجفاف البحيرات والأنهر[٩٥].

بتأريخ ٢٠ أيار ١٩٩٢ أصدرت وزارة الزراعة والأغذية الغانية "**قانون صيد الأسماك**" رقم (٢٥٦)[٩٦], الذي أصبح بموجبه الحصول على ترخيص حكومي شرط أساسي لمزاولة مهنة الصيد في المياه الغانية[٩٧], كما منع الصيادين من اصطياد الأسماك الصغيرة والتقاط المحار الذي تتغذى عليه[٩٨], وحدد مناطق الصيد المسموح بها, وأجاز استيراد محركات القوارب[٩٩], وبسبب انهيار مخزون السردين, الذي عُدَّ من أكثر أنواع الأسماك طلباً في الأسواق المحلية والعالمية[١٠٠], قررت الحكومة في عام ١٩٩٥ تقليص تراخيص الصيد, ولاسيما بعد أن استخدم الصيادين الأجانب أساليب جائرة في مهنتهم, مثل السونار الكاشف, والشباك ذات العيون الضيقة, التي كانت تلتقط الأسماك الصغيرة والكبيرة[١٠١], وذلك ما دفع الحكومة في عام ١٩٩٨ إلى اقتراض مبلغ قدره ١٩,٠٠٠,٠٠٠ دولار أمريكي من صندوق النقد الدولي؛ لغرض تطبيق نظام مراقبة السفن بواسطة الأقمار الصناعية؛ لمكافحة الصيد غير القانوني, ونتيجة لتلك المشكلات لم يتجاوز إنتاج الأسماك بحلول عام ٢٠٠١ كمية ٣٢٠,٠٠٠ طن[١٠٢].

الخلاصة:

ركز برنامج الإصلاح الاقتصادي على سياسات تحرير التجارة الخارجية، وتعديل سعر الصرف الرسمي للعملة، وخصخصة المؤسسات الحكومية، وتطوير البنية التحتية, إذ انعكست تلك السياسات على قطاع الزراعة عبر تحسن إنتاج بعض المحاصيل التصديرية، ولاسيما الكاكاو، وتدفق استثمارات جديدة إلى القطاع، وزيادة الأسعار الحقيقية للمزارعين نتيجة لتخفيض قيمة العملة, غير أن آثار الإصلاح لم

تكن إيجابية بالكامل؛ فإلغاء الدعم الحكومي ورفع أسعار المدخلات الزراعية أضعفا قدرة صغار المزارعين على الإنتاج، وازدادت هشاشتهم أمام تقلبات الأسعار العالمية, كما أن تركيز السياسات على المحاصيل التصديرية جاء على حساب المحاصيل الغذائية، مما أدى إلى تباين في توزيع المكاسب داخل القطاع الزراعي, وعلى مستوى الفئات الاجتماعية, بيد أنه تكون هناك تنظيم مؤسسي داخل قطاع الزراعة الغاني, أصبح بمثابة حجر الزاوية لتطوير القطاع على الأمد البعيد.

المصادر:

1-Allan R.Robinson & Kenneth H.Brink, Global Coastal Ocean, Multiscale Interdisciplinary Processes, Harvard University Press, London,2005.

2-Amadou Tall & Pierre Failler, Fishery and Aquaculture Industry in Ghana, ATLAFCO Press, Marrakesh,2012.

3-Anim, G. J. Kwaponq & Others, Vulnerability and Adaptation Assessment Under The Netherlands Climate Change Studies Assistance Program Phases, Vulnerability of Agriculture to Climat Change on Cocoa Production, Cocoa Research Institute of Ghana New Tafo Akim,2003.

4-C.H. Hoste & Others, Trypanotolerant Livestock in West and Central Africa, International Livestock Center for Africa, Addis Ababa, 1992.

5-Colin Legum, Annual Survey and Documents of African Contemporary Record 1983-1985, Africana Publishing Co, New York, 1985.

Daily Graphic, Accra, 20 June 1997.

6-Doborah Pello & Naomi Chazan, Ghana Coping With Uncertainty, Westview Press, London,1982.

7-Documents of International Monetary Fund, Country Staff Reports, File No.323/5 Background Information on Production and Investment Performance in Ghana, 17 May 1995.

8-Documents of International Monetary Fund, Staff Country Report No.1, Ghana: Statistical Appendix, January 2000.

9-Dominic M. Ayine, Developing Legal Tools for Citizen Empowerment: Social Responsibility Agreements in Ghana's Forestry Sector, Center for Public Interest Law, Philadelphia, 2001.

10-F.R.U.S, File No. G34 /91, Ghana Post Report, Indiana University, June 1986.

F.R.U.S, Technical Information Service, Global Agricultural Policy Review, Report No.Ages 880304, Washington, May 1988.

11-F.R.U.S, Technical Information Service, Global Agricultural Policy Review, Report No.Ages 880304, Washington, May 1988, p.271.

12-Food and Agriculture Organization of The United National, Forestry Policies of Selected Countries in Africa, Food and Agriculture Organization of The United National Press,1996.

13-Food and Agriculture Organization of The United National, Forestry Policies of Selected Countries in Africa, Food and Agriculture Organization of The United National Press,1996.

14-Food and Agriculture Organization of The United Nations, Proceedings of The FAO Expert Consultation on Fish Technology in Africa, Abidjan – Cote D'Ivoire (25-28 April 1988), Rome,1989.

15-Foreign Relations of The United States (F.R.U.S), File No. G34 /91, Ghana Post Report, Indiana University, June 1986.

16-Ghana News, Accra, 17 May 1996.

17-Ghana News, Accra, 22 December 1990.

18-Ghana News, Accra, 4 June 1986.

19-Ghanaian Ministry of Food and Agriculture, Livestock Development in Ghana Policies and Strategies, (N.P),2004.

20-Howard Schissel, "Fishing The Atlantic: Foreign Fleets Take Leon's", The Africa Review 1988, World of Information, London,1988.

21-International Monetary Fund, Ghana Adjustment Policies and Program, A Country Study, International Monetary Fund Press, Washington,1984.

22-James K. Boyce & Sunita Narain & Elizabeth A. Stanton, Reclaiming Nature: Environmental Justice and Ecological Restoration, Anthem Press, London,2007.

23-Jeffery Herbst, The Politics of Reform In Ghana 1982-1991, University of California Press, California,1993.

24-Jerry John Rawlings, Boosting The Morale of Farmers, Publishing Corporation, Tema,1983.

25-John Paxton, The Statesman's Year – Book, Statistical And Historical Annual of The States of The World for The Year 1983-1984, Macmilan Press, London, 1983.

26-Kym Anderson & William A.Masters, Distortions To Agricultural Incentives in Africa, The World Bank, Washington, 2009.

27-Laverle Berry, Ghana: A Country Study, 3rd ed, Federal Research Division Library of Congress, Washington,1994.

28-Matti Palo & Gerardo Mery, Sustainable Forestry Challenges for Developing Countries, Kluwer Academic Publishers, London,1996.

29-Ministry of Agriculture, Medium Term Agriculture Development Program, Government Printers, Accra, 1990.

30-Mozammel Huq & Michael Tribe, The Economy of Ghana, 50 Years of Economic Development, Palgrave Macmillan, London ,2018, p.83 ; Doborah Pello & Naomi Chazan, Ghana Coping With Uncertainty, Westview Press, London,1982 .

31-Nurul Islam, Population and Food in The Early Twenty-First Century, International Food Policy Research Institute, Washington,2020.

32-Odoom Domson, A Strategic Overview of the Forest Sector in Ghana, Louisiana Forest Products Development Center,2007.

33-P.H. Blackburn, The Africa Review 1987, World of Information, London, 1987.

Paul Osei – Tutu & Others, Hidden Forestry Revealed, International Institute for Environment and Development, London,2010.

34-Pennsylvania State University, Artisan Fishery Technology in Ghana, Agency for International Development, Washington, 1979.

35-People's Daily Graphic, Accra, 22 May 1992.

36-Roger S. Gocking, The History of Ghana, Green Wood, London, 2005.

37-Samuel Asuming-Brempong, John K. M. Kuwornu, Policy Initiatives and Agricultural Performance in Post-independent Ghana, Journal of Social and Development Sciences, Vol.4, No. 9, University of Ghana, Accra,2013.

38-Sergio Pereira Leite & Others, Ghana: Economic Development in a Democratic Environment, International Monetary Fund, Washington, 2000.

39-Shashi Kolavalli & Marcella Vigneri, Cocoa in Ghana: Shaping the Success of an Economy, International Food Policy Research Institute, University of Oxford, Oxford,2012.

40-Shashi Kolavalli & Marcella Vigneri, Cocoa in Ghana: Shaping the Success of an Economy, Department of Economics, University of Oxford, 2016.

41-Shashi Kolavalli & Marcella Vigneri, The Cocoa Coast, The Board – Managed Cocoa Sector in Ghana, International Food Policy Research Institute, Washington, 2017.

42-Sohrab Abizadeh & Mahmood Yousefi, Fiscal Systems and Economic Development: Case Studies of Selected Countries, Nova Science Publishers, New York,1996.

43-Steven R. Tabor, Agricultural Research in an Era of Adjustment, Policies, Institutions, Progress, The World Bank, Washington, (N.D).

44-Steven R. Tabor, Agricultural Research in an Era of Adjustment, Policies, Institutions, Progress, The World Bank, Washington, (N.D).

45-Svein Jentoft & Others, Blue Justice: Small-Scale Fisheries in a Sustainable Ocean Economy, Springer Nature Switzerland, Gewerbestrasse,2022.

46-Takamsa Akiyama & Ronald Dukan, Trends in Coffee and Cocoa Commodities, Journal of Supply and Development, Vol. 20, No.1, International Monetary Fund ,1983.

47-The World Bank, Africa Economic Out Look, The World Bank, Washington, 2007.

48-Thorsten Treue, Politics and Economics of Tropical High Forest Management, A Case Study of Ghana, Kluwer Academic Publishers, London, 2001.

United Nation Documents, Economic Commission for Africa, African Statistical Year-Book (1981-1993), New York,1993.

49-United States Agency for International Development, Congressional Presentation, Summary Tables, Fiscal Year 1996, Congressional Sales Office, Washington,1997.

United States Congress, Sustainable Agricultural Development in Africa, Library of Congress, Washington, 1990.

50-United States Department of Agriculture, Foreign Agricultural Service, File No. A67/2990, Foreign Agriculture 1990-1991, 1991.

51-University of Ghana, State of Competition Regime in Ghana, Preliminary Country Paper, Accra, 2008.

52-University of Ghana, State of Competition Regime in Ghana, Preliminary Country Paper, University of Ghana, Accra,2008.

53-University of Ghana, State of Competition Regime in Ghana, Preliminary Country Paper, University of Ghana, Accra,2008.

54-Victor. K. Nyanteng, Structural Adjustment and Agriculture in Ghana, University of Ghana, 2009.

55-Wisdom J. Tettey & Korbla P. Puplampu & Bruce J. Berman, Critical Perspectives in Politics and Socio – Economic Development in Ghana, Brill Leiden, Boston,2003.

Y. Villacampa & C.A. Brebbia, Ecosystems and Sustainable Development, WIT Press, Southampton,2011.

56-Yaw Opoku-Ankomah, Hydro-Political Assessment of Water Governance from The Top-down and Review The Literature on Local Level Institutions and Practices in The Volta Basin, International Water Management Institute,2006.

٥٧- طارق سعدالدين عبداللطيف, أثر السياسات التجارية على الاقتصاد القومي في غانا (١٩٧٥-١٩٩٠), رسالة ماجستير غير منشورة, معهد البحوث والدراسات الأفريقية, جامعة القاهرة, ١٩٩٨.

٥٨- محمد عبدالغني سعودي, سد الفولتا, مجلة الدراسات الأفريقية, العدد:٢, معهد البحوث والدراسات الأفريقية, القاهرة,١٩٧٣.

الهوامش:

([1]) Mozammel Huq & Michael Tribe, The Economy of Ghana, 50 Years of Economic Development, Palgrave Macmillan, London ,2018, p.83 ; Doborah Pello & Naomi Chazan, Ghana Coping With Uncertainty, Westview Press, London,1982, p.4 .

([2]) Jeffrey A. Sayer, The Conservation Atlas of Tropical Forests Africa, The World Conservation Union, Fontainebleau,1992, p.183.

([3]) Foreign Relations of The United States (F.R.U.S), File No. G34 /91, Ghana Post Report, Indiana University, June 1986, p.3.

([4]) F.R.U.S, Technical Information Service, Global Agricultural Policy Review, Report No.Ages 880304, Washington, May 1988, p.271.

([5]) Steven R. Tabor, Agricultural Research in an Era of Adjustment, Policies, Institutions, Progress, The World Bank, Washington, (N.D),p.71.

([٦]) محمد عبدالغني سعودي, سد الفولتا, مجلة الدراسات الأفريقية, العدد:٢, معهد البحوث والدراسات الأفريقية, القاهرة,١٩٧٣, ص١٣-٢٠.

(7) Ghana News, Accra, 4 June 1986.

(8) International Monetary Fund, Ghana Adjustment Policies and Program, A Country Study, International Monetary Fund Press, Washington,1984, p.8.

(9) Sohrab Abizadeh & Mahmood Yousefi, Fiscal Systems and Economic Development: Case Studies of Selected Countries, Nova Science Publishers, New York,1996, p.208.

(10) John Paxton, The Statesman's Year – Book, Statistical And Historical Annual of The States of The World for The Year 1983-1984, Macmilan Press, London, 1983, p.559-560.

(11) Documents of International Monetary Fund, Country Staff Reports, File No.323/5 Background Information on Production and Investment Performance in Ghana, 17 May 1995, p.25.

(12) Shashi Kolavalli & Marcella Vigneri, Cocoa in Ghana: Shaping the Success of an Economy, International Food Policy Research Institute, University of Oxford, Oxford,2012, p.4.

(١٣) ذكرت بعض المصادر أن الكاكاو ليس نباتاً ذو أصل قديم في غانا, و إنما جلب أحد الحدادين الغانيين الذين عملوا في مستعمرة فرناندو بو الإسبانية في عام ١٨٩٨ قرن كاكاو واحد و زرع بذوره في منطقة أكوابيم على بعد ٣٠ ميلا جنوب شرق أكرا, ثم انتشرت زراعته. للمزيد ينظر:

Ghana News, Accra, 4 June 1986.

(١٤) محمد عبدالغني سعودي, الاقتصاد الأفريقي والتجارة الدولية, مكتبة الانكلو المصرية, د.ت, ص١٦٧-١٧٠.

(15) Jeffrey A. Sayer, Op.Cit,, p.183.

(16) John Paxton, Op.Cit, p.560.

(17) Takamsa Akiyama & Ronald Dukan, Trends in Coffee and Cocoa Commodities, Journal of Supply and Development, Vol. 20, No.1, International Monetary Fund ,1983, p. 32.

(١٨) طارق سعدالدين عبداللطيف, أثر السياسات التجارية على الاقتصاد القومي في غانا (١٩٧٥-١٩٩٠), رسالة ماجستير غير منشورة, معهد البحوث والدراسات الأفريقية, جامعة القاهرة, ١٩٩٨, ص٨.

(19) Ghana News, Accra, 4 June 1986.

(20) Shashi Kolavalli & Marcella Vigneri, Op.Cit, p4.

(21) Ibid, p.4.

(22) Kym Anderson & William A.Masters, Distortions To Agricultural Incentives in Africa, The World Bank, Washington, 2009,p.424.

(23) Jerry John Rawlings, Boosting The Morale of Farmers, Publishing Corporation, Tema,1983, p.4.

(24) Kym Anderson & William A.Masters,Op.Cit, p.426.

(25) Laverle Berry, Ghana: A Country Study, 3rd ed, Federal Research Division Library of Congress, Washington,1994, p.161.

(26) Shashi Kolavalli & Marcella Vigneri, The Cocoa Coast, The Board – Managed Cocoa Sector in Ghana, International Food Policy Research Institute, Washington, 2017, p.37.

(27) United States Department of Agriculture, Foreign Agricultural Service, File No. A67/2990, Foreign Agriculture 1990-1991, 1991, p.1.

(28) Laverle Berry, Op.Cit, p.164.

(29) Shashi Kolavalli & Marcella Vigneri, Cocoa in Ghana: Shaping the Success of an Economy, Department of Economics, University of Oxford, 2016, pp.5-6.

(30) Ibid, p.164.

(31) Sergio Pereira Leite & Others, Ghana: Economic Development in a Democratic Environment, International Monetary Fund, Washington, 2000, p.15.

(٣٢) الجدول من عمل الباحث بالاعتماد على:

Anim, G. J. Kwaponq & Others, Vulnerability and Adaptation Assessment Under The Netherlands Climate Change Studies Assistance Program Phases, Vulnerability of Agriculture to Climat Change on Cocoa Production, Cocoa Research Institute of Ghana New Tafo Akim,2003, p.5 ; The World Bank, Africa Economic Out Look, The World Bank, Washington, 2007, p.287.

(33) Jeffery Herbst, The Politics of Reform In Ghana 1982-1991, University of California Press, California,1993, p.81.

(34) University of Ghana, State of Competition Regime in Ghana, Preliminary Country Paper, Accra, 2008, p.8.

(35) Laverle Berry, Op.Cit, p.164.

(36) Steven R. Tabor, Agricultural Research in an Era of Adjustment, Policies, Institutions, Progress, The World Bank, Washington, (N.D), p.75.

(37) Ministry of Agriculture, Medium Term Agriculture Development Program, Government Printers, Accra, 1990, p.80.

(38) P.H. Blackburn, The Africa Review 1987, World of Information, London, 1987, p.124.

(39) F.R.U.S, File No. G34 /91, Ghana Post Report, Indiana University, June 1986, p.4.

(٤٠) طارق سعدالدين عبداللطيف, المصدر السابق, ص١٣.

(41) P.H. Blackburn, Op.Cit, p.124.

([42]) F.R.U.S, Technical Information Service, Global Agricultural Policy Review, Report No.Ages 880304, Washington, May 1988, p.271.

([٤٣]) طارق سعدالدين عبداللطيف, المصدر السابق, ص١٥.

([44]) John Paxton, Op.Cit, p.313.

([45]) Colin Legum, Annual Survey and Documents of African Contemporary Record 1983-1985, Africana Publishing Co, New York, 1985, p.70.

([46]) John Paxton, O.p.Cit, p.313.

([47]) United States Congress, Sustainable Agricultural Development in Africa, Library of Congress, Washington, 1990, p.362.

([48]) Steven R. Tabor, O.p.Cit, p.71.

([٤٩]) الجدول من عمل الباحث بالاعتماد على:=

=Victor. K. Nyanteng, Structural Adjustment and Agriculture in Ghana, University of Ghana, 2009, p.9 ; Nurul Islam, Population and Food in The Early Twenty-First Century, International Food Policy Research Institute, Washington,2020, p.122.

([٥٠]) طارق سعدالدين عبداللطيف, المصدر السابق, ص ١٢-١٣.

([51]) University of Ghana, State of Competition Regime in Ghana, Preliminary Country Paper, University of Ghana, Accra,2008, p.60.

([52]) Samuel Asuming-Brempong, John K. M. Kuwornu, Policy Initiatives and Agricultural Performance in Post-independent Ghana, Journal of Social and Development Sciences, Vol.4, No. 9, University of Ghana, Accra,2013, p.428.

([53]) University of Ghana, State of Competition Regime in Ghana, Preliminary Country Paper, University of Ghana, Accra,2008, p.28.

([54]) Documents of International Monetary Fund, Staff Country Report No.1, Ghana: Statistical Appendix, January 2000, p.14.

([٥٥]) طارق سعدالدين عبداللطيف, المصدر السابق, ص ١٥.

([56]) Odoom Domson, A Strategic Overview of the Forest Sector in Ghana, Louisiana Forest Products Development Center,2007, p.2.

([57]) Jeffrey A. Sayer, Op.Cit, p.184.

([58]) Matti Palo & Gerardo Mery, Sustainable Forestry Challenges for Developing Countries, Kluwer Academic Publishers, London,1996, p.344.

([59]) Thorsten Treue, Politics and Economics of Tropical High Forest Management, A Case Study of Ghana, Kluwer Academic Publishers, London, 2001, pp.5-6 ; Jeffrey A. Sayer, Op.Cit, p.188.

([60]) Y. Villacampa & C.A. Brebbia, Ecosystems and Sustainable Development, WIT Press, Southampton,2011, p.213.
([61]) Thorsten Treue, Op.Cit, pp.6-10.
([62]) Jeffrey A. Sayer, Op.Cit, p.183.
([63]) Laverle Berry, Op.Cit, pp.166-167.
([٦٤]) طارق سعدالدين عبداللطيف, المصدر السابق, ص١٥.
([65]) Jeffrey A. Sayer, Op.Cit, pp.188-189.
([66]) Thorsten Treue,Op.Cit, pp.20-21.
([67]) Food and Agriculture Organization of The United National, Forestry Policies of Selected Countries in Africa, Food and Agriculture Organization of The United National Press,1996, p.292.
([68]) Jeffrey A. Sayer, Op.Cit, pp.188-189.
([69]) Laverle Berry, Op.Cit, p.167.
([٧٠]) طارق سعدالدين عبداللطيف, المصدر السابق, ص١٧.
([٧١]) الجدول من عمل الباحث بالاعتماد على:
United Nation Documents, Economic Commission for Africa, African Statistical Year-Book (1981-1993), New York,1993, p.47.
([72]) Food and Agriculture Organization of The United National, Forestry Policies of Selected Countries in Africa, Food and Agriculture Organization of The United National Press,1996, p.284.
([73]) Quoted in: Food and Agriculture Organization of The United National, Op.Cit, p.284.
([74]) Food and Agriculture Organization of The United National, Op.Cit, p.284 ; Dominic M. Ayine, Developing Legal Tools for Citizen Empowerment: Social= =Responsibility Agreements in Ghana's Forestry Sector, Center for Public Interest Law, Philadelphia, 2001, p.3.
([75]) Wisdom J. Tettey & Korbla P. Puplampu & Bruce J. Berman, Critical Perspectives in Politics and Socio – Economic Development in Ghana, Brill Leiden, Boston,2003, p.395.
([76]) Paul Osei – Tutu & Others, Hidden Forestry Revealed, International Institute for Environment and Development, London,2010, p.19.
([77]) James K. Boyce & Sunita Narain & Elizabeth A. Stanton, Reclaiming Nature: Environmental Justice and Ecological Restoration, Anthem Press, London,2007, p.219.
([78]) Paul Osei – Tutu & Others, Op.Cit, p.20.
([٧٩]) طارق سعدالدين عبداللطيف, المصدر السابق, ص١٨.
([80]) Roger S. Gocking, The History of Ghana, Green Wood, London, 2005, p.4.
([81]) C.H. Hoste & Others, Trypanotolerant Livestock in West and Central Africa, International Livestock Center for Africa, Addis Ababa, 1992, p.113.
([٨٢]) الجدول من عمل الباحث بالاعتماد على:
C.H. Hoste & Others,Op.Cit, pp.113-115 ; Victor. K. Nyanteng, Op.Cit, p.10.
([83]) United States Agency for International Development, Congressional Presentation, Summary Tables, Fiscal Year 1996, Congressional Sales Office, Washington,1997, p.87.
([84]) Ghana News, Accra, 17 May 1996.
([85]) Ghanaian Ministry of Food and Agriculture, Livestock Development in Ghana Policies and Strategies, (N.P),2004, P.10.

(٨٦) الجدول من عمل الباحث بالاعتماد على:

Ghanaian Ministry of Food and Agriculture, Op.Cit, p.10.

(87) Amadou Tall & Pierre Failler, Fishery and Aquaculture Industry in Ghana, ATLAFCO Press, Marrakesh,2012, p.3.

(88) Food and Agriculture Organization of The United Nations, Proceedings of The FAO Expert Consultation on Fish Technology in Africa, Abidjan – Cote D'Ivoire (25-28 April 1988), Rome,1989, p.155.

(٨٩) طارق سعدالدين عبداللطيف, مصدر سابق, ص١٩.

(90) Pennsylvania State University, Artisan Fishery Technology in Ghana, Agency for International Development, Washington, 1979, p.4.

(91) Howard Schissel, "Fishing The Atlantic: Foreign Fleets Take Leon's", The Africa Review 1988, World of Information, London,1988, p.23-24.

(92) Laverle Berry, Op.Cit, p.167.

(93) Ghana News, Accra, 22 December 1990.

(94) P.H. Blackburn, Op.Cit, p.124.

(95) Laverle Berry, Op.Cit, p.167.

(96) Yaw Opoku-Ankomah, Hydro-Political Assessment of Water Governance from The Top-down and Review The Literature on Local Level Institutions and Practices in The Volta Basin, International Water Management Institute,2006, p.32.

(97) People's Daily Graphic, Accra, 22 May 1992.

(98) Laverle Berry, Op.Cit, p.167-168.

(99) Svein Jentoft & Others, Blue Justice: Small-Scale Fisheries in a Sustainable Ocean Economy, Springer Nature Switzerland, Gewerbestrasse,2022, p.108.

(100) Allan R.Robinson & Kenneth H.Brink, Global Coastal Ocean, Multiscale Interdisciplinary Processes, Harvard University Press, London,2005, p.972.

(101) Daily Graphic, Accra, 20 June 1997.

(102) Svein Jentoft & Others, Op.Cit, p.109.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

أدوارد سيمور حامي مملكة إنكلترا وركيزة الاستقرار السياسي ١٥٤٧-١٥٤٩م

م.م. جنان كاظم صالح فرحان
مدرسة الشهيد بشير الصبيحاوي الابتدائية للبنات
وزارة التربية
المديرية العامة لتربية محافظة بغداد الرصافة الثالثة
قسم الإعداد والتدريب
شعبة البحوث والدراسات التربوية

الاستلام(Received) : ١١ /٠٦/ ٢٠٢٦	التعديل (Revision) : ٠٤/٠٧/ ٢٠٢٦
القبول(Accepted) : ٢٠/٠٧/ ٢٠٢٦	النشر (Published) : ٣٠/٠٩/ ٢٠٢٦

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص:

يتناول هذا البحث الدور السياسي والقيادي الذي مارسه إدوارد سيمور دوق سومرست وحامي المملكة، في السنوات الأولى من حكم الملك إدوارد السادس (١٥٤٧-١٥٤٩م). ويهدف إلى تحليل مكانته السياسية في الدولة الإنكليزية، وبيان دوره في إدارة شؤون الحكم إبان مدة الوصاية الملكية، فضلاً عن دراسة سياساته الداخلية والخارجية وأثرها في حماية العرش وتعزيز الاستقرار السياسي في إنكلترا. كما يسلط البحث الضوء على جهوده في دعم الإصلاح الديني البروتستانتي وإدارة العلاقات مع اسكتلندا وفرنسا والتحديات التي واجهها نتيجة الصراعات السياسية والاضطرابات الاجتماعية. واعتمدت الدراسة المنهج التاريخي التحليلي من خلال الاستفادة من المصادر الأولية والمراجع التاريخية الحديثة. وتوصلت الدراسة إلى أن إدوارد سيمور كان من أبرز الشخصيات السياسية في إنكلترا خلال القرن السادس عشر، وأن سياساته أسهمت في حماية النظام الملكي إبان مرحلة انتقالية حساسة، على الرغم من أن الصراعات السياسية الداخلية أدت في النهاية إلى سقوطه من السلطة وإعدامه سنة ١٥٥٢م.

الكلمات المفتاحية: إدوارد سيمور، حامي المملكة، إنكلترا، إدوارد السادس، الإصلاح الديني، الاستقرار السياسي، الوصاية الملكية، أسرة تيودور.

Abstract

This study examines the political and leadership role of Edward Seymour, Duke of Somerset and Lord Protector, during the early years of the reign of

King Edward VI (1547-1549). It aims to analyze his political position within the English state and to explore his role in governing the kingdom during the royal minority. The research also investigates his domestic and foreign policies and their impact on promoting political stability in England. Furthermore, the study highlights his efforts to advance the Protestant Reformation, manage relations with Scotland and France, and address the political and social challenges of the period. The research adopts a historical-analytical approach based on primary sources and modern historical studies. The findings indicate that Edward Seymour was one of the most influential political figures in sixteenth-century England and that his policies contributed to safeguarding the monarchy during a critical transitional period, despite the internal political conflicts that ultimately led to his downfall and execution in 1552.

Keywords: Edward Seymour, Lord Protector, England, Edward VI, Protestant Reformation, Political Stability, Regency Government, Tudor Dynasty.

المقدمة:

يعد إدوارد سيمور (Edward Seymour) من النبلاء الإنكليز، وهو أخ لجين سيمور (Jane Seymour) الزوجة الثالثة للملك هنري الثامن (Henry VIII) وأم الملك إدوارد السادس (Edward VI)، حصل على لقب دوق سومرست الأول (1st Duke of Somerset)، بالإضافة إلى العديد من الألقاب الأخرى، كان من أبرز الشخصيات السياسية والعسكرية في تاريخ إنكلترا خلال القرن السادس عشر. برز اسمه بقوة بعد وفاة الملك هنري الثامن سنة ١٥٤٧م، حينما أصبح الوصي الأعلى (Lord Protector) على العرش خلال عهد الملك إدوارد السادس الذي كان آنذاك صبياً صغيراً.

اتسمت مدة حكمه القصيرة (١٥٤٧-١٥٤٩م) بمجموعة من التحولات السياسية والدينية، إذ سعى إلى دعم الإصلاح البروتستانتي وتعزيز مركزية الدولة. كما قاد حملات عسكرية مهمة، أبرزها حملته في اسكتلندا (Scotland) التي انتهت بمعركة بينكي (Pinkie) التي غدت واحدة من أكبر المواجهات بين البلدين في تلك الحقبة، ورغم مكانته الرفيعة ونفوذه الواسع، واجه سيمور معارضة متواصلة من النبلاء بسبب سياساته الإصلاحية وإدارته المركزية للحكم، إضافة إلى اضطرابات اجتماعية شهدتها البلاد مثل ثورة المزارعين سنة ١٥٤٩م، أدت تلك التوترات والأحداث الاجتماعية إلى عزله ومن ثم محاكمته وإعدامه في سنة ١٥٥٢م.

أولاً. مشكلة الدراسة:

يمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤلات الآتية:

١. ما الظروف السياسية التي مهدت لوصول إدوارد سيمور إلى منصب اللورد الحامي؟.

٢. ما الوسائل السياسية والإدارية التي اعتمدها لحماية عرش الملك إدوارد السادس؟.
٣. كيف أسهمت سياساته الداخلية والخارجية في تعزيز الاستقرار السياسي في إنكلترا؟.
٤. ما أبرز التحديات التي واجهت حكمه وما أثرها في مكانته السياسية؟.

ثانياً. أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من عدة جوانب، منها:

١. تسليط الضوء على شخصية سياسية محورية في تاريخ إنكلترا في القرن السادس عشر.
٢. بيان الدور الذي أداه إدوارد سيمور في إدارة الدولة خلال مرحلة انتقالية حساسة أعقبت وفاة هنري الثامن.
٣. إبراز الجهود السياسية والعسكرية التي بُذلت لحماية عرش الملك إدوارد السادس من الأخطار الداخلية والخارجية.
٤. الإسهام في إثراء الدراسات العربية المتعلقة بتاريخ إنكلترا الحديث وشخصياتها السياسية المؤثرة.

ثالثاً. أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

١. دراسة الظروف السياسية التي رافقت تولي إدوارد سيمور منصب اللورد الحامي.
٢. تحليل سياساته وإجراءاته في حماية عرش الملك إدوارد السادس.
٣. الكشف عن دوره في إدارة شؤون الدولة وتعزيز الاستقرار السياسي.
٤. توضيح الأسباب التي أدت إلى تراجع نفوذه وسقوطه السياسي.

رابعاً. منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي؛ لكونه الأنسب لدراسة الأحداث السياسية والشخصيات التاريخية.

أولاً: نشأة إدوارد سيمور وأصوله العائلية

ولد إدوارد سيمور سنة ١٥٠٠م في وولفهول (Wolfhall) بمقاطعة ويلتشير (Wiltshire) الإنكليزية، وهو الابن الأكبر للسير جون سيمور (Sir John Seymour) وزوجته ماركريت وينتورث (Margery Wentworth). كانت عائلة سيمور من الأسر النبيلة المتوسطة التي تمتعت بنفوذ محلي، إلا أنها لم تكن ضمن أعلى طبقات الأرستقراطية الإنكليزية قبل القرن السادس عشر[١].

شهدت مكانة الأسرة تحولاً كبيراً حينما تزوجت شقيقته جين سيمور (Jane Seymour) من الملك هنري الثامن سنة ١٥٣٦م بعد إعدام آن بولين، وقد ازدادت أهمية الأسرة بصورة أكبر حينما

أنجبت جين ولي العهد المستقبلي إدوارد السادس (Edward VI) سنة ١٥٣٧م، الأمر الذي جعل إدوارد سيمور خالاً للملك المنتظر[٢].

تلقى إدوارد سيمور تعليماً مناسباً لأبناء النبلاء، شمل الفروسية والإدارة العسكرية وبعض المعارف الإنسانية التي انتشرت في عصر النهضة، كما شارك منذ شبابه في البلاط الملكي واكتسب خبرة سياسية وعسكرية أهلته للصعود التدريجي في خدمة التاج الإنكليزي[٣].

ثانياً. زوجات إدوارد سيمور وأسرته:

تزوج إدوارد سيمور من كاثرين فيلول (Catherine Fillol) سنة ١٥٢٠م، التي تنتمي إلى أسرة من طبقة النبلاء الريفيين في مقاطعة ديفون (Devon)، وكانت ابنة السير وليم فيلول (Sir William Fillol)، أحد ملاك الأراضي المعروفين.

لقد استمر زواجهما عدة سنوات وأنجبت له ولدين، إلا أن تلك الزيجة لم تستمر طويلاً بسبب الشكوك التي كانت تتصارع في نفس إدوارد سيمور حول خيانة زوجته، مع والده السير جون سيمور، مما دفع إدوارد سيمور إلى إبعادها عن حياته الأسرية، وبسبب تلك الأزمة العائلية جُرِّد أبناؤها من حق الوراثة المباشر، وهو ما يفسر فيما بعد انتقال لقب الدوق إلى أبناء الزوجة الثانية[٤].

تزوج إدوارد سيمور للمرة الثانية من آن ستانهوب (Anne Stanhope) (١٤٩٧-١٥٨٧م) سنة ١٥٢٥م، التي تنتمي إلى إحدى أهم الأسر النبيلة المتصلة بالعرش عبر آل بورشير (Bourchier) وقد أكسبها نسبها ثقلاً داخل البلاط الملكي[٥].

شكل ذلك الزواج نقطة تحول في مسيرة إدوارد سيمور السياسية، لكون آن ستانهوب لديها ارتباطات قوية بنساء البلاط في قصر الملك هنري الثامن، وقد لعبت دوراً مهماً في المجال السياسي أثناء تولي زوجها منصب اللورد الحامي للعرش، كانت من أشد الداعمات لاحتكار أسرتها للنفوذ على الملك الشاب إدوارد السادس ودخلت في صراع مع كاثرين بار (Catherine Parr) زوجة الملك هنري الثامن[٦].

وقد وجدت رسالة من ضمن رسائل الملكة كاثرين بار سنة ١٥٤٩ تؤكد لنا حقيقة ذلك الصراع جاء فيها: "**تحمل الدوقة نفسها بغرور إلى درجة لا تطيق أي سيدة من سيدات البلاط صحبتها**"[٧]. بعد إعدام إدوارد سيمور صودرت أملاك الأسرة وسجنت آن مؤقتاً ثم أفرج عنها في بداية عهد الملكة ماري الأولى (Mary I)[٨].

الدور العسكري لإدوارد سيمور في السنوات الأخيرة من حكم الملك هنري الثامن (١٥٤٢ - ١٥٤٧م)

شهدت السنوات الأخيرة من حكم هنري الثامن تصاعداً في الصراع مع كل من فرنسا واسكتلندا، إذ تعمدت الأخيرة إلى مخالفة شروط معاهدة كرينويج (Treaty of Greenwich) سنة ١٥٤٣م واللجوء إلى طلب المساعدة من فرنسا في تقوية دفاعاتهم، فعد ذلك الأمر إعلان الحرب على انكلترا[٩].

اعتمد الملك هنري الثامن على ادوارد سيمور في تنفيذ سياسته الخارجية، ففي سنة ١٥٤٤م قاد سيمور حملة عسكرية واسعة ضد اسكتلندا ضمن ما عُرف بسياسة "المغازلة الخشنة" (Rough Wooing)، التي هدفت إلى ارغام الاسكتلنديين على قبول زواج الأمير ادوارد ولي عهد انكلترا[١٠] من ماري ستيوارت (Mary Stuart) ملكة اسكتلندا المستقبلية[١١].

قاد ادوارد سيمور حملة كبيرة اجتاحت مناطق واسعة من الأراضي الاسكتلندية وتمكنت من احراق مدينة إدنبرة وعدد من الموانئ والمستوطنات المهمة على الساحل الشرقي لإسكتلندا في أيار ١٥٤٤م. مثل ذلك الهجوم أحد أكبر العمليات العسكرية الإنكليزية في اسكتلندا خلال القرن السادس عشر، وأظهر قدرة سيمور على قيادة العمليات البرية والبحرية المشتركة[١٢].

عاد ادوارد سيمور لقيادة حملة جديدة ضد اسكتلندا سنة ١٥٤٥م، إذ استهدفت القوات الانكليزية مناطق الحدود الاسكتلندية والحقت اضراراً واسعة بالبنية الاقتصادية والعسكرية للبلاد، وقد هدفت تلك العمليات الى الضغط على الحكومة الاسكتلندية واضعاف التحالف التقليدي القائم بين اسكتلندا وفرنسا[١٣].

شارك ادوارد سيمور في العمليات المرتبطة بالحرب الانكليزية الفرنسية، اذ اعتمد عليه مع بعض القادة البارزين أمثال دوق نورفولك (Duke of Norfolk) ودوق سوفولك (Duke of Suffolk) في ادارة الشؤون العسكرية إثناء تلك المدة الزمنية الحرجة، وأسهم نجاحه في الحملات الحدودية في تعزيز مكانته داخل مجلس الملك الخاص، الأمر الذي جعله من الشخصيات المؤثرة في السنوات الأخيرة من عهد الملك هنري الثامن[١٤].

أدت تلك الانجازات العسكرية الى حصوله على المزيد من الألقاب والمناصب، لذا ازداد نفوذه السياسي بصورة ملحوظة وأصبح من أبرز المرشحين للحصول على منصب رئيسي في الحكومة التي تشكلت بعد وفاة الملك هنري الثامن[١٥].

يتضح ان الدور العسكري الذي أداه إدوارد سيمور في السنوات الأخيرة من حكم الملك هنري الثامن كان عاملاً أساسياً في صعوده السياسي، وقد اكسبته تلك النجاحات ثقة الملك وأعضاء مجلسه، مما جعله الشخصية الأقوى في إنكلترا عقب وفاة الملك، مما سهل طريقه للحصول على لقب حامي المملكة.

تسلم أدوارد سيمور منصب حامي المملكة سنة ١٥٤٧م:

كانت إنجازات إدوارد سيمور العسكرية بمثابة ركائز أساسية في صعوده الى السلطة والنفوذ السياسي، فقد مكنته تلك الحملات من لفت الأنظار إلى كفاءته، وبناء علاقات مهمة وترسيخ سمعته كقائد عسكري جدير بالثقة لاحقاً، وتحديداً في السنوات الأخيرة من حكم هنري الثامن. فقد لعب إدوارد سيمور دوراً محورياً في الاستيلاء على بولوني كما مر ذكره سابقاً، فلم تكن تلك الحملة مجرد غزو عسكري بل كانت دليلاً على قدرته على إدارة الرجال وموارد البلاد بكفاءة، مما ساهم في ترسيخ صورته كقائد كفوء(١٦).

واجه ادوارد سيمور العديد من التحديات، لكنها أتاحت له الفرصة لإظهار براعته العسكرية وتفكيره الاستراتيجي، ورغم تفاوت نجاح حملاته العسكرية وفشلها، إلا أنها كانت أساسية في تشكيل مساره السياسي، فقد عززت تجربة الحرب القاسية وتعقيدات التخطيط والتنفيذ العسكري عزيمته وصقلت مهاراته القيادية.

وسهل التقدير والاحترام اللذان حظي بهما من جانب الطبقة الحاكمة بفضل انجازاته تلك صعوده في بلاط تيودور، ممهداً الطريق لتعيينهُ لاحقاً حاكماً لإنكلترا.

حينما توفي الملك هنري الثامن في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٥٤٧م، كان ادوارد السادس في التاسعة من عمره فقط، وقد ورث مملكة غارقة في الفتنة الدينية وعدم الاستقرار السياسي(١٧).

نصت وصية الملك هنري الثامن تشكيل مجلس وصاية تكوّن من توماس كرانمر وادوارد سيمور ورئيس مجلس اللوردات وريوتسلي (Wriothesley) وكوبشرت تونستال أثناء مدة قصر إدوارد السادس، دون وجود أحكام واضحة بشأن حماية مركزية، وقد خلف غياب توجيهات محددة للحكم أثناء مدة قصر إدوارد السادس فراغاً، شكل أرضاً خصبة لأحد رجال الحاشية الطموحين ليحقق طموحاته(١٨).

أدرك إدوارد سيمور الفرص الكامنة في الموقف، فبدأ مساعيه نحو السلطة. حصل على دعم أعضاء بارزين في المجلس، واستغل علاقاته بالملك الشاب إدوارد السادس وروابطه العائلية، وعرض وعوداً بالسلطة والنفوذ، توجت خطته المحكمة بتعيينه حامياً للملك وحامياً لشؤونه الشخصية. تسلم ادوارد سيمور منصب حامي المملكة في ٢٨ كانون الثاني وفي شباط ١٥٤٧م وقد مُنح صلاحيات شبه ملكية، وكان ذلك تحولاً جذرياً عن الوضع السابق، فقد مُنحت سلطة شبه مطلقة لإدوارد سيمور في إدارة شؤون المملكة(١٩).

ومن العوامل التي ساهمت كذلك في نجاح صعوده تحالفه الاستراتيجي مع جون دادلي (John Dudley)(٢٠) قبل اسبوعين من وفاة الملك هنري الثامن وهو عضواً مؤثراً في مجلس الوصاية، كان لهذا التحالف دور محوري في ترسيخ موقفه، إذ وفر الدعم اللازم لتجاوز أي معارضة محتملة داخل المجلس. ورغم وجود بعض المعارضة، الا ان خبرة دادلي العسكرية ونفوذه السياسي ساهما في تحقيق طموحات

إدوارد سيمور، وقد بنيا علاقة منفعة متبادلة كانت أساسية في تأسيس محمية إدوارد سيمور والحفاظ عليها[٢١]، مع ذلك لا يمكن التقليل من أهمية الحظوة الملكية في صعوده السياسي وفي نهاية البحث سوف نتعرف على الأسباب التي جعلت دادلي عاملاً في سقوط خال الملك الشاب فحسب، بل كان قد نال أيضاً محبة ابن أخته وثقته، تلك المحبة كانت عنصراً حاسماً في ترسيخ سلطته وتوطيدها. إن حب ادوارد السادس له منحه هالة من الشرعية واشعره بالاستقرار الذي رسخ مكانتهُ، وبمجرد وصوله الى السلطة، أجرى ادوارد سيمور إصلاحات إدارية وعزز موقعه بمنح ألقاب وأراضي لأنصاره، واتجهت سياساته نحو الشعبوية، وعكست اهتماماً حقيقياً بالعدالة الاجتماعية والتعليم[٢٢]، وأول ما قام به هو سن قانون المشردين، والذي سنتناوله في بحثنا هذا كدليل على اهتمام ادوارد سيمور بقضايا بلده الاجتماعية وايجاد الحلول للمشاكل الرئيسية فيه.

الأوضاع الاجتماعية في إنكلترا خلال السنوات الأخيرة من حكم هنري الثامن وعهد إدوارد سيمور:

شهدت إنكلترا خلال العقد الأخير من حكم الملك هنري الثامن (١٥٤٠-١٥٤٧م) ثم إبان مدة وصاية إدوارد سيمور (١٥٤٧-١٥٤٩م) جملة من التحولات الاجتماعية العميقة التي أثرت بصورة مباشرة في بنية المجتمع الإنكليزي واستقراره، والتي فسرت لنا الأعمال الاجتماعية والدينية التي قام بها إدوارد سيمور في مدة وصايته وما آلت إليه تلك الأعمال من ردود سلبية من قبل الشعب الإنكليزي والتي أدت مجتمعة في إقصائهُ من منصبه فيما بعد.

فقد تزامنت تلك المرحلة مع التغيرات الدينية الناتجة عن الانفصال عن الكنيسة الكاثوليكية والتقلبات الاقتصادية الناجمة عن الحروب المستمرة، فقد شهدت السنوات الأخيرة من حكم هنري الثامن ارتفاعاً ملحوظاً في الأسعار نتيجة سياسة تخفيض قيمة العملة، فقد لجأ الملك هنري الثامن الى تخفيض العملة للأعوام (١٥٤٢، ١٥٤٤، ١٥٤٦م)، وكان لتخفيض العملة أثر كبير على الواقع المالي لإنكلترا، اذ خسر الجنيه الاسترليني بين (٤٠% - ٥٠%) من قيمته الفعلية في أسواق التداول العالمية[٢٣]، وتدهورت بذلك مستويات المعيشة لدى الفئات الفقيرة والمتوسطة، الامر الذي ادى الى زيادة السخط الاجتماعي[٢٤].

وتعد مشكلة ظاهرة التسييج التي أقدم عليها كبار ملاك الأراضي الى طرد أعداد كبيرة من المزارعين من أراضيهم، وتفاقمت الأوضاع سوءاً بعد التقلبات المناخية التي مرت بها البلاد، فضلاً عن السيول التي اجتاحت الاراضي الزراعية في الوديان في السنوات الاخيرة من حكم هنري الثامن ادت الى تفشي المجاعات وزيادة كبيرة في معدل الوفيات[٢٥].

حينما تولي ادوارد سيمور منصب اللورد الحامي سنة ١٥٤٧م واجه تلك المشكلات الاجتماعية المتراكمة، فحاول تقديم نفسه بوصفه حامياً للفقراء، وأصدر عدداً من الإجراءات الضرورية من وجهة

نظره في حل أزمة الفقر والبطالة وتحسين الحالة الاجتماعية[٢٦]، إلا أن تلك السياسات لم تحقق النتائج المرجوة، فقد ادخل البلاد في حرب مع اسكتلندا واستنزف خزينة الدولة مما أضر بالاقتصاد العام. كما اثارت اصلاحاته الدينية البروتستانتية التي دعمها انقسامات داخل المجتمع الانكليزي، وحدوث التمردات التي كشفت عن حجم التوتر الاجتماعي والديني في البلاد[٢٧]، وتوجت تلك الأزمات الاجتماعية باندلاع ثورة كيت في مقاطعة نورفولك، تلك الثورة التي دلت على اتساع الفجوة بين الطبقات الاجتماعية[٢٨].

الحملات العسكرية التي قادها اللورد الحامي ادوارد سيمور ضد اسكتلندا (١٥٤٧ - ١٥٤٩م):

واجهت حكومة ادوارد سيمور تحدياً كبيراً تمثل في استمرار الصراع مع اسكتلندا بسبب رفض النبلاء الاسكتلنديين تنفيذ معاهدة كرينويج الموقعة سنة ١٥٤٣م، لذلك أمر ادوارد سيمور بتجهيز حملة عسكرية ضد اسكتلندا هدف إلى إجبار النبلاء الاسكتلنديين على الالتزام ببنود المعاهدة وتوحيد المملكتين الانكليزية والاسكتلندية تحت أسرة تيودور، ومنع النفوذ الفرنسي المتزايد في اسكتلندا وبالتالي تأمين الحدود الشمالية لإنكلترا، وقد كان يأمل من خوض تلك الحرب إلى تعزيز مكانته السياسية بوصفه اللورد الحامي للمملكة[٢٩].

أولاً. الاستعداد للحملة العسكرية سنة ١٥٤٧م:

بدأ ادوارد سيمور بإعداد أكبر قوة عسكرية إنكليزية أرسلت الى اسكتلندا منذ عقود، فقد جمع نحو ١٦,٠٠٠ جندي من المشاة وأكثر من ٤,٠٠٠ فارس، وجهز الحملة بمدفعية ثقيلة ومتطورة ولم يكتفِ بذلك بل وفرّ دعماً بحرياً من الأسطول الإنكليزي بقيادة اللورد كلينتون، وفي أيلول ١٥٤٧م انطلقت القوات الإنكليزية شمالاً باتجاه الاراضي الاسكتلندية[٣٠].

معركة بينكي كلوغ (Battle of Pinkie Cleugh) سنة ١٥٤٧م:

تعد معركة بينكي كلوغ من أهم الحملات العسكرية التي قادها ادوارد سيمور شخصياً، وقعت المعركة في ١٠ أيلول بالقرب من مدينة موسلبورغ (Musselburgh) شرق إدنبرة، وقاد الجيش الاسكتلندي جيمس هاملتون إيرل أران الثاني (James Hamilton, Earl of Arran) والذي كان يشغل منصب الوصي على عرش اسكتلندا.

استفاد سيمور من التفوق العددي والمدفعية الحديثة والتدريب الفعال للفرسان ومهاراتهم القتالية بالإضافة إلى دعم الأسطول البحري على الساحل في تحقيق الانتصار الساحق على الاسكتلنديين[٣١]. وكان عدد القتلى في صفوفهم يتراوح ما بين ٦,٠٠٠ إلى ١٠,٠٠٠ جندي بينما الخسائر الانكليزية كانت محدودة نسبياً، استطاع ادوارد سيمور من السيطرة على مناطق واسعة من جنوب اسكتلندا ووصفت

بعض المؤرخين المعركة بأنها اكبر انتصار انكليزي على اسكتلندا منذ معركة فلودن (Battle of Flodden) سنة ١٥١٣م[٣٢].

بعد انتصار إدوارد سيمور شرع في إنشاء سلسلة من الحصون والحاميات داخل الاراضي الاسكتلندية في هادينغتون (Haddington) وبروتي كريع (Broughty Craig) ولاودر (Lauder).

هدف إدوارد سيمور من سياسة بناء الحصون هو تثبيت الوجود الانكليزي داخل اسكتلندا، والضغط على الحكومة الاسكتلندية من أجل الرضوخ وتنفيذ بنود معاهدة كرينويج، وكذلك لتأمين الطرق العسكرية ووصول الامدادات للجنود الإنكليز، غير أن تلك السياسة تطلبت نفقات مالية ضخمة أثقلت خزينة الدولة الانكليزية، واحتج بعض أعضاء مجلس العموم واللوردات على تلك السياسة لأنها لا تعود بالنفع على الشعب الانكليزي[٣٣].

التدخل الفرنسي وإفشال مشروع ادوارد سيمور لسنة ١٥٤٨م:

أثار الانتصار الانكليزي قلق فرنسا الحليف التقليدي لإسكتلندا بموجب التحالف القديم (Auld Alliance)، لذلك أرسل الملك الفرنسي هنري الثاني (Henry II) قوات عسكرية الى اسكتلندا سنة ١٥٤٨م لدعم المقاومة الاسكتلندية، وجرى في نفس الوقت الاتفاق على إرسال ماري ستيوارت إلى فرنسا من أجل خطبتها الى ولي العهد الفرنسي فرانسوا (Francois)، وبذلك انهار المشروع الذي طالما كان يسعى اليه إدوارد سيمور وهو تزويج ماري ستيوارت من إدوارد السادس وتوحيد البلدين[٣٤].

ما ان وصلت القوات الفرنسية الى اسكتلندا، حتى ازدادت عزيمة الجنود الاسكتلنديين، وكون فرقة مشتركة وتوجهوا الى هادينغتون اهم قاعدة انكليزية داخل اسكتلندا وفرضوا عليها الحصار، وكان حصاراً طويلاً من سنة ١٥٤٨ لغاية ١٥٤٩م، تضرر الإنكليز وواجهوا نقصاً في التموين وتفشت بينهم الامراض، وارتفعت تكاليف الحرب وبقيت الحامية الانكليزية صامدة بوجه تلك المحن التي مرت بها، لكن الأوضاع في إنكلترا كانت لا تبشر بالخير، فقد استنزفت تلك الحرب موارد الحكومة وبدأ الشعب يستاء من تلك الاوضاع المتردية لأنها اثرت على قوت يومه، فتراجع عن تأييده للحملة العسكرية، وطالب الحكومة بمعالجة الازمة الاقتصادية والاهتمام بشؤون البلاد وترك الحروب التي لا فائدة منها[٣٥]. رغم النجاح العسكري الأدوارد سيمور الكبير في معركة بينكي، فإن فشل الحملة في تحقيق أهدافها السياسية والاستراتيجية أدى الى تراجع نفوذه وسقوطه من السلطة.

قانون المشردين (Vagrancy Act) سنة ١٥٤٧م:

شهدت انكلترا في منتصف القرن السادس عشر تحولات عميقة مست جوانب الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية، وفي ظل أزمات اقتصادية حادة وتزايد أعداد الفقراء والمشردين أصدر ادوارد سيمور

بعد تسلمه منصب حامي المملكة قانون المشردين، الذي يعد من أكثر القوانين الاجتماعية قسوة في تاريخ إنكلترا في القرن السادس عشر.

إذ كانت إنكلترا تمر بظروف صعبة من الناحية الاقتصادية بسبب الحروب التي خاضها الملك هنري الثامن ضد فرنسا (١٥٢٢-١٥٢٩م)واسكتلندا (١٥٠٩-١٥٤٧م) فلست خزينة الدولة ولجوء الاخير إلى حل الأديرة بين عامي (١٥٣٦-١٥٤١م) والاستيلاء على ممتلكاتها وثرواتها الهائلة تحت عنوان (مشروع الاصلاح الديني)[٣٦]، فُطرد المئات من رجال الدين من بيوتهم الدينية وخسروا معاشاتهم وأصبحوا بلا مأوى[٣٧]، وكذلك أثر تفكك تلك الاديرة بشكل كبير على آلاف الفقراء الذين كانوا تعيلهم تلك البيوت الدينية، اذ فقدوا مصدر إعالتهم، فازداد بذلك اعداد المتسولين والمشردين ومن العوامل الاخرى التي أسهمت في ازدياد البطالة هي ظاهرة التسييج، إذ قام النبلاء المتنفذين بدمج أراضي مزرعتين أو أكثر لإنشاء وحدة واحدة كبيرة تخصص لرعي الأغنام، فقد وجدوا في بيع الصوف ربحاً أكبر من المحاصيل الزراعية، وترتب على ذلك الإجراء طرد المزارعين المستأجرين[٣٨].

رأت السلطة الحاكمة في ظاهرة تفشي المتسولين والعاطلين عن العمل تهديداً مباشراً للاستقرار الاجتماعي، لاسيما بعد اندلاع اضطرابات شعبية في عدة مناطق من البلاد في حكم الملك هنري الثامن[٣٩]، لذلك صدر القانون تحت عنوان قانون المشردين، وقد نص القانون على ان كل شخص قادر على العمل ويُضبط متشرداً يُحكم عليه بأن يصبح عبداً لمدة سنتين للشخص الذي أبلغ عنه، وكان للسيد ان يجبره على العمل دون أجر ويقيده بالسلاسل عند الضرورة، ويطعمه فقط ما يكفي لبقائه حياً. أما إذا رفض المتشرد العمل، فلسيده الحق في ان يفرض عليه عقوبة الجلد علناً[٤٠].

وإذا حاول العبد الهرب يُعاقب بالوسم على صدره بحرف (V) ويجلد علناً، وفي حال تكرار الهروب مرة ثانية يُحكم عليه بالعبودية مدى الحياة، أما إذا هرب للمرة الثالثة يعد متمرداً خطيراً ويعاقب بالإعدام. نظم القانون أوضاع الاطفال المشردين، فأجاز اخذ أبناءهم وتسليمهم كمتدربين قسريين حتى سن الرابعة والعشرين للذكور والعشرين للإناث[٤١].

ميز التشريع بين الفقراء العاجزين الذين يستحقون الإعانة والفقراء القادرين الذين يُعاقبون ان لم يعملوا، وقد شكل ذلك التمييز تمهيداً لتطور قوانين الفقراء فيما بعد[٤٢].

رغم توجه ادوارد سيمور نحو المذهب البروتستانتي وقيامهُ بالإصلاحات الدينية لتعزيز ذلك المذهب، إلا أن سياسته الاجتماعية اتسمت بالتشدد، ويرى بعض المؤرخين أن القانون كان انعكاساً لخشية الطبقة الحاكمة من اضطرابات الفلاحين لا سيما في ضوء تصاعد الاحتجاجات الريفية التي بلغت ذروتها في تمرد كيت سنة ١٥٤٩م[٤٣]سنأتي على ذكره لاحقاً.

ويشير المؤرخ جوردان (Jordan) الى ان القانون لم يكن مجرد استجابة اخلاقية للفقر، بل كان أداة لضبط القوى العاملة ومنع تنقلها الحر[٤٤]. إلا أن القانون لم يستمر طويلاً في التطبيق، إذ واجه معارضة واسعة من السلطات المحلية والقضاة بسبب قسوته وصعوبة تنفيذه، كما انه لم يحقق الهدف المرجو منه في معالجة البطالة والفقر والتشرد وتم إلغاؤه سنة ١٥٥٠م بعد سقوط إدوارد سيمور من السلطة[٤٥].

إصدار كتاب الصلاة العامة في عهد إدوارد سيمور ١٥٤٩م:

تبلورت عدة عوامل ساهمت في إنجاح حركة الاصلاح الديني في انكلترا في عهد هنري الثامن، أو أنها تمت على مراحل تدريجية، وقد أدت تلك القوانين والاجراءات التي اتخذها هنري الثامن وبرلمان الاصلاح الديني الذي جعل انكلترا دولة بروتستانتية لاحقاً. لم يكن بوسع الملك هنري الثامن من إهمال التأثيرات البروتستانتية، التي انتشرت بقوة في بلاده بقوة، وكان يرغب في حفظ التوازن بين انصار الافكار الإصلاحية والموالين للمذهب الكاثوليكي القديم[٤٦]. ساند المذهب الاول كل من توماس كرانمر[٤٧] (Thomas Cranmer) وهيو لاتيمر (Hugh Latimer) (١٤٩٠ – ١٥٥٥م) اسقف ورسيستر Worcester.

لعب توماس كرانمر منذ توليه منصب رئيس اساقفة كانتربري في عهد الملك هنري الثامن سنة ١٥٣٣م، دوراً مهماً ومحورياً في تثبيت الافكار البروتستانتية، فمن خلال منصبه اصدر مرسوم ابطال زواج الملك هنري الثامن من الملكة كاثرين الارغوانية سنة ١٥٣٣م وساند انفصال الكنيسة الانكليزية عن سلطة البابا وساهم في دعم فكرة ان الملك هو الرئيس الاعلى للكنيسة داخل انكلترا وليس البابا.

بدأ كرانمر تدريجياً بإدخال الاصلاحات الدينية البروتستانتية فنشر الكتاب المقدس باللغة الانكليزية، وإصدار صلوات باللغة المحلية بدلاً من اللغة اللاتينية[٤٨].

لم يتمكن كرانمر من اجراء اصلاحات دينية جذرية في عهد الملك هنري الثامن بسبب مقاومة المحافظين، لكن حينما تولى الملك ادوارد السادس العرش هيأ الأرضية المناسبة للقيام بالإصلاحات الدينية ولاسيما بعد ان أبدى الملك دعماً واضحاً للأفكار البروتستانتية، كما ساعد استقلال الكنيسة الانكليزية عن سلطة البابوية في روما على منح رجال الدين المتنورين بالإصلاح الديني مساحة اوسع لإعادة تنظيم العقيدة والعبادة وفق الرؤية الانكليزية الجديدة[٤٩]، كذلك برزت الحاجة الى توحيد الطقوس والشعائر الدينية في انحاء المملكة كافة، واستبدال اللغة اللاتينية باللغة الانكليزية بهدف جعل العبادة اكثر فهماً ووضوحاً من قبل عامة المؤمنين، وإلى جانب ذلك اسهم المنصب الكنسي الذي شغله كرانمر بوصفه رئيس اساقفة كانتربري في تمكينه من قيادة عملية الاصلاح. وقد ساند ادوارد سيمور كرانمر ووفر له الدعم والحماية في جهوده الرامية إلى الإصلاح وتنظيم الشعائر الكنسية وفق المبادئ

البروتستانتية[٥٠]، وقد اسهمت سياساته الاصلاحية ونفوذه السياسي في تهيئة الظروف اللازمة لإصدار كتاب الصلاة العامة، الذي مثل خطوة اساسية في توحيد العبادة الدينية باللغة الانكليزية وترسيخ استقلال الكنيسة الانكليزية عن الممارسات الكاثوليكية التقليدية[٥١].

أثار كتاب الصلاة العامة معارضة واسعة في المناطق الغربية ذات التوجه الكاثوليكي المحافظ مثل كورنوال (Cornwall) وديفون (Devon) وأدى فرض استخدام الكتاب في الشعائر الدينية الى اندلاع ثورة كتاب الصلاة خلال شهري حزيران وتموز سنة ١٥٤٩م، اذ طالب المتمردون بإعادة الطقوس الكاثوليكية التقليدية وإلغاء الاصلاحات[٥٢].

كشفت تلك الاضطرابات ضعف حكومة ادوارد سيمور في إدارة شؤون الدولة وعجزها عن احتواء الازمات المتزامنة، خاصة مع اندلاع تمرد كيت في نورفولك في السنة نفسها، واستغل خصوم ادوارد سيمور، وعلى رأسهم جون دادلي حالة الفوضى والاضطراب لتوجيه الاتهام اليه بسوء الإدارة والتساهل في معالجة التمردات، واستمرت الاضطرابات الدينية والشعبية التي أضعفت من مكانة ادوارد سيمور السياسية وسهلت الاطاحة به فيما بعد[٥٣].

وُعدّ كتاب الصلاة العامة من أهم الوثائق الدينية في تاريخ الكنيسة الإنكليزية، وعكست نصوصه توجهاً إصلاحياً معتدلاً في مرحلته الأولى، إذ حافظت على بعض التقاليد الموروثة من الكنيسة الغربية مع إدخال تعديلات جوهرية مستمدة من الفكر البروتستانتي، ولاسيما فيما يتعلق بطبيعة العبادة ودور المؤمن في المشاركة المباشرة في الشعائر الدينية. وقد أصبح الكتاب المرجع الرسمي للعبادة في الكنيسة الإنكليزية وأسهم في ترسيخ هويتها المستقلة عن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية[٥٤] فيما بعد.

ثورة كيت (Kett's Rebellion) سنة ١٥٤٩م وأثرها في سقوط إدوارد سيمور:

تعد ثورة كيت التي اندلعت سنة ١٥٤٩م من أهم الثورات الشعبية في إنكلترا خلال القرن السادس عشر، وقد مثلت تحدياً مباشراً لسياسات إدوارد سيمور التخبطية تجاه الطبقات الاجتماعية الوسطى والفقيرة، بل عُدّت الثورة تعبيراً واسعاً عن أزمة اقتصادية واجتماعية خطيرة، أسهمت بصورة مباشرة في إضعاف مكانته السياسية ووصولاً إلى عزله سنة ١٥٤٩م ثم إعدامه لاحقاً سنة ١٥٥٢م.

الأسباب المباشرة والغير مباشرة للثورة:

ساهمت عدة عوامل في اندلاع ثورة كيت منها عوامل دينية، الإصلاح البروتستانتي الذي قام به الملك هنري الثامن وفصل الكنيسة الإنكليزية عن كنيسة روما الكاثوليكية، إذ تم الإصلاح الديني في إنكلترا على يد الملك وبمشورة البرلمان، إذ رغب الملك هنري الثامن في استخدام الكنيسة كأداة للحكم المطلق، وتدعيم سلطته بل الدولة وسيطرته على جميع الرعايا سواء كانوا علمانيين أو دينيين، فضلاً عن

ذلك فإن الكنيسة الإنكليزية كانت تملك أراضٍ زراعية واسعة وأبنية وثروة كبيرة، ما يبحث الملك في أجل تقوية مركزه ودولته[٥٥].

وعوامل اقتصادية واجتماعية مر ذكرها سابقاً فيما يتعلق بظاهرة تسييج الأراضي الزراعية التي تعد من الأسباب المباشرة لقيام الثورة، وكذلك مسألة حل الأديرة ساهم في إيجاد طبقة من المشردين والعاطلين عن العمل، وازداد الفقر وارتفعت الأسعار[٥٦]، فاستاء الشعب الإنكليزي من تلك الظروف القاسية وطالبوا الحكومة بالإصلاح ومعالجة الأزمات ووضع الحلول الناجعة للمشاكل التي يعانون منها. شعر إدوارد سيمور بالقلق إزاء مطالب الشعب، وأحس بخطر تجاهل تلك المطالب، فشكل لجان تحقيق سنة ١٥٤٨م لجمع المعلومات من أجل فهم المشاكل وتشخيص الأسباب والكشف عن الجهات المقصرة، ومن ثم تقديم تقرير مفصل معزز بالأدلة والتوصيات، إلا أن سياسة إدوارد سيمور في معالجة الأوضاع المتردية لم تنفذ بفعالية بل أثارت ضده طبقة ملاك الأراضي المتنفذين في الحكومة فتراجع عن حركة الإصلاح وباتت تقارير تلك اللجان وتوصياتهم حبراً على ورق[٥٧].

هيجان الشعب وقيادة روبرت كيت (Robert Kett):

بعد فشل الحكومة المركزية من إنقاذ الشعب الإنكليزي من الجوع والفقر والظلم، علت أصوات سكان المقاطعات واحتجوا على عمليات التسييج. وسرعان ما اندلعت الثورة في مقاطعة نورفولك (Norfolk) في تموز ١٥٤٩م، في بلدة ويموندهم (Wymondham)، وتحولت إلى انتفاضة منظمة قادها مالك أراضي وتاجر يدعى روبرت كيت تعاطف مع الثوار، ووقف إلى جانب مطالبهم المشروعة في حق العيش والحرية بكرامة[٥٨]. قام كيت بتنظيم الثوار وأقام معسكراً لهم قرب مدينة نورويتش (Norwich) في تلة موسهولد (Mousehold) من أجل الاستماع إلى شكواهم ومعرفة مطالبتهم، واتخاذ القرارات التي تهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية. نتج عن ذلك وضع برنامج إصلاحي يحتوي على حزمة من المطالب تضم ٢٩ مطلباً منها إزالة التسييج، والحد من استغلال ملاك الأراضي، وإصلاح الإدارة المحلية وإلغاء الضرائب[٥٩]. فسرت لنا تلك المطالب أن الثورة تحمل طابعاً اجتماعي اقتصادي سلمي، الهدف منها القضاء على فساد الإدارة المحلية ولم تكن ضد النظام الملكي.

حينما وصل إلى مسامع الحكومة المركزية نبأ حدوث الثورة، قرر إدوارد سيمور أن يتفاوض مع المتمردين، وأن يهدئهم وأرسل إليهم عفواً ملكياً[٦٠]. أثارت سياسته المتراخية مع المحتجين طبقة النبلاء وملاك الأراضي وعدوه ضعفاً سياسياً لاسيما في ظل اندلاع انتفاضات متزامنة في مناطق متفرقة مثل التمرد الذي حصل في ديفون وكورنوال، وطلبوا منه أن يستخدم القوة في القضاء على تلك الثورات، فرضخ أدوارد الطبقة النافذة في الحكومة، وأرسل قوة عسكرية بقيادة جون دادلي ودوق نورثمبرلاند (Northumberland) في ٢٧ آب ١٥٤٩م، وجرت معارك عنيفة بين الجيش والثوار، وتمكن القائد

جون دادلي من قمع المتمردين في معركة (دوسينديل Dussindale)، قتل ما يقارب (٣,٠٠٠) آلاف من الثوار، وأُلقي القبض على كيت ومحاكمته وإعدامه في السنة نفسها[٦١].

أظهرت ثورة كيت عجز الحكومة في معالجة مشكلات الفقر، وتهميش مطالب الثوار، وكشفت عن عمق الأزمات التي واجهت إنكلترا في تلك المرحلة، وفشل حامي المملكة أدوارد سيمور على ضبط النظام العام، وفقدانه دعم النبلاء.

تصاعد المعارضة داخل المجلس الملكي ضد إدوارد سيمور بقيادة جون دادلي (١٥٤٧ – ١٥٤٩م):

استاء أعضاء المجلس الملكي من سياسة إدوارد سيمور الداخلية والخارجية مما أدى إلى تشكل معارضة قوية قادها جون دادلي وإيرل وارويك، أما الأسباب التي أدت إلى حدوث تلك المعارضة فكانت عديدة منها هيمنة إدوارد سيمور على السلطة على الرغم من أن وصية الملك هنري الثامن كانت قد نصت على أن تتولى مجموعة من النبلاء إدارة شؤون الدولة بصورة جماعية حتى بلوغ إدوارد السادس سن الرشد[٦٢]، إلا أن إدوارد سيمور تمكن منذ الأيام الأولى من إقناع أعضاء المجلس بمنحه صلاحيات واسعة فأصبح اللورد الحامي للمملكة. ذلك الأمر أثار انزعاج العديد من أعضاء المجلس الذين رأوا أن نفوذهم قد تقلص بشكل كبير[٦٣].

فشل إدوارد سيمور في سياسته الخارجية تجاه اسكتلندا وأصبح كثير من أعضاء المجلس ينظرون إلى سياسة إدوارد سيمور بوصفها مغامرة مكلفة لا تحقق أهدافها وأدت إلى ارتفاع الأسعار وانتشار التضخم وازدادت الضرائب المفروضة على عامة الشعب مما ولدت تلك الأزمة المالية استياء الشعب والمجلس الملكي معاً[٦٤].

ولا يخفى على القارئ تأثير الاضطرابات الاجتماعية وتمردات سنة ١٥٤٩م والتي أهمها تمرد كتاب الصلاة وثورة كيت في الإطاحة بإدوارد سيمور، إذ عدّ أعضاء المجلس الملكي تلك الاضطرابات دليلاً على فشل سيمور في إدارة شؤون المملكة وحفظ الأمن والاستقرار[٦٥].

صعود جون دادلي زعيماً للمعارضة:

كان جون دادلي من أبرز القادة العسكريين والسياسيين في إنكلترا، وقد شارك في إدارة الدولة منذ عهد هنري الثامن، ومع تزايد السخط الشعبي والملكي تجاه إدوارد سيمور بدأ جون دادلي بتكوين تحالف سياسي داخل المجلس الملكي ضم عدداً من النبلاء البارزين منهم: توماس ريتش (Thomas Rich) ووليام باوليت (William Paulet) وهنري فيتز آلان (Henry FitzAlan) وتوماس وريثسلي (Thomas Wriothesley)، كان الهدف من ذلك التحالف إقصاء إدوارد سيمور من الحكم وإعادة السلطة إلى المجلس الملكي[٦٦].

وصلت الأزمة إلى ذروتها في خريف سنة ١٥٤٩م، حينما أدرك إدوارد سيمور حجم المعارضة ضده، قام بأخذ الملك إدوارد السادس إلى قلعة وندسور (Windsor Castle) محاولاً حشد التأييد حوله، كما أصدر بيانات تحدث فيها عن مؤامرات تستهدفه. لكن تلك الخطوة جاءت بنتائج عكسية إذ عدّها أعضاء المجلس محاولة للسيطرة على الملك واستخدامه لتحقيق أهداف سياسية شخصية. وفي ٦ تشرين الأول ١٥٤٩م أعلن أعضاء المجلس معارضتهم الرسمية لسيمور وانضم إليهم عدد كبير من النبلاء والقادة العسكريين ولم يتمكن سيمور من حشد دعم كافٍ، فأُلقي القبض عليه وعُزل من منصب اللورد الحامي[٦٧].

أدى سقوط سيمور إلى تغيير في ميزان القوى داخل الحكومة الإنكليزية فقد انتهى منصب اللورد الحامي، وانتقلت السلطة إلى المجلس الملكي، وأصبح جون دادلي الشخصية الأقوى في الدولة وحصل لاحقاً على لقب دوق نورثمبرلاند سنة ١٥٥١م تبنت بعدها الحكومة الجديدة بسياسات أكثر حذراً في إدارة الشؤون الداخلية والخارجية مما فتح صفحة جديدة في تاريخ حكم إدوارد السادس[٦٨].

الخاتمة:

تظهر هذه الدراسة أن إدوارد سيمور أدى دوراً سياسياً وقيادياً مهماً في حماية عرش إنكلترا خلال السنوات الأولى من حكم الملك إدوارد السادس بعد وفاة هنري الثامن سنة ١٥٤٧م، فقد نجح في ترسيخ سلطته بوصفه اللورد الحامي، وعمل على مواجهة التهديدات الخارجية، ولاسيما من خلال حملته العسكرية ضد اسكتلندا، فضلاً عن إدارته لشؤون الدولة خلال مرحلة انتقالية حساسة.

وفي المقابل، واجهت سياساته تحديات داخلية تمثلت في الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والاضطرابات الدينية، وتصاعد المعارضة داخل مجلس الملك الخاص، مما أدى إلى تراجع نفوذه وسقوطه من السلطة سنة ١٥٤٩م.

وعليه يمكن القول إن إدوارد سيمور أسهم في حماية العرش وتعزيز الاستقرار السياسي في بداية عهد إدوارد السادس، إلا أن إخفاقه في معالجة الأزمات الداخلية أضعف مكانته السياسية وأدى إلى نهاية حكمه، ليبقى من الشخصيات المؤثرة في تاريخ إنكلترا خلال القرن السادس عشر.

هوامش البحث ومصادره:

(1) David Loades, Somerset: Edward VI's Governor, London: Batsford, 1996, pp. 7–10.

(2) G. R. Elton, England Under the Tudors, Cambridge: Cambridge University Press, 1977, pp. 218–220.

(3) John Guy, Tudor England, Oxford: Oxford University Press, 1988, p. 211.

(4) David Loades, op. cit., pp. 15-18.

(5) Barrett L. Beer, Northumberland: The Political Career of John Dudley, Kent State University Press, 1973, pp. 23-24.

(٦) كاثرين بار (Katherine Parr) (١٥١٢-١٥٤٨م): تزوجها الملك هنري الثامن في تموز ١٥٤٣م سيدة فاضلة ومثقفة، تميل بشدة للأفكار البروتستانتية، جعلت الملك يتعامل بمودة وعطف مع ابنته الصغرى إليزابيث وقد شملتها برعايتها واهتمامها، وأقنعت الملك بضرورة الاعتراف بحقها الشخصي في وراثة العرش الإنكليزي، فأجرى الملك تعديلاً على قانون الوراثة. للمزيد ينظر:

C. S. Fearenside & M. A. Oxon, History of England (1485-1580), London, 1891, p. 65.

(7) Catherine Parr, Letters of Queen Catherine Parr, London, 1893.

(٨) ماري تيودور (ملكة إنكلترا ماري الأولى): ولدت سنة ١٥١٦م، وهي ابنة الملك هنري الثامن والملكة كاثرين أراغون، تولت العرش سنة ١٥٥٣م بعد مرحلة انتقالية عرفت بمحاولة لتنصيب الليدي جين غراي (Jane Grey) مكانها. بسبب عقيدتها الكاثوليكية واجهت الأفكار البروتستانتية التي بدأت تنتشر منذ أيام والدها، واستطاعت إخماد عدة ثورات ضدها، وقامت بإحراق المئات من البروتستانت في عهدها لذا أطلق عليها لقب ماري الدموية. تزوجت الملك الإسباني فيليب الثاني (Philip II) سنة ١٥٥٤م كره الشعب الإنكليزي الملكة ماري لأنها جعلت فيليب ملكاً على إنكلترا. للمزيد ينظر:

Helen Cam, England Before Elizabeth, London, N.D, p. 174.

(٩) معاهدة كرينويج: هي معاهدة عقدت بين انكلترا واسكتلندا عقب خسارة اسكتلندا في معركة سولواي ماري (Solway Moss) في تموز ١٥٤٣م والتي نصت على موافقة ماري جيز زوجة الملك الراحل جيمس الخامس والوصية على عرش ابنتها ماري ستيوارت وموافقة البرلمان الاسكتلندي على خطبة ماري ستيوارت من الأمير ادوارد في خطوة واضحة لدمج العرشين الانكليزي والاسكتلندي.

Antonia Fraser, The lives of The Kings and Queens of England, future Publications limited, 1977, P. 126.

(10) David Loades, op.cit, P. 167.

(11) Marcus Merriman, The Rough Wooing: Mary Queen of Scots 1542-1551, East Linton, Tuckwell Press, 2000, PP. 126-129.

(١٢) ماري ستيوارت: ملكة اسكتلندا وملكة فرنسا، ولدت في الثامن من كانون الأول سنة ١٥٤٢م، وهي بنت الملك جيمس الخامس، أصبحت ملكة اسكتلندا بعد وفاة والدها سنة ١٥٤٢م، وملكة لفرنسا سنة ١٥٥٩م بعد زواجها من الملك فرانسوا الثاني، وعادت الى اسكتلندا بعد وفاته سنة ١٥٦١م، وتنازلت عن العرش لابنها جيمس السادس سنة ١٥٦٧م، ثم هربت الى انكلترا سنة ١٥٦٨م بسبب استياء البروتستانت الاسكتلنديين من سياستها، واعدمتها اليزابيث الاولى ملكة انكلترا في الثامن من شباط سنة ١٥٨٧م بسبب دعمها للمؤامرات. للمزيد ينظر: ابتسام سلمان سعيد، السياسة الداخلية في إنكلترا (١٥٠٩-١٥٤٧)، أطروحة دكتوراه، ٢٠١٥، ص١٨٧؛

Murcus Merriman, Op. Cit., p.129.

(13) G.W. Bernard, The King's Reformation: Henry VIII and The Remaking of the English Church, New Haven, Yale University Press, 2005, P. 558.

(14) Susan Brigden, New Worlds, Lost Worlds: The Rule of Tudors 1485-1603, London, Penguin Books, 2002, P. 181.

(15) Diarmaid MacCulloch, The Boy King: Edward VI and The Protestant Reformation, Berkeley, University of California Press, 2002, PP. 17-18.

(16) John Guy, op.cit, P. 210.

(17) H. Miller, Henry VIII and The English Nobility, Oxford, 1986, P. 79.

(١٨) ابتسام سلمان سعيد، المصدر السابق، ص١٩٤.

(19) John Guy, op. cit., P.215.

(٢٠) جـون دادلـي (John Dudley) (١٥٠٤ – ١٥٥٣م): سياسـي وقائـد عسـكري بـارز، شـغل منصـب دوق نورثمبرلانـد (Northumberland) ويعد من أبرز الشخصيات السياسية في عهد الملك ادوارد السادس، برز نفوذه بعد سقوط ادوارد سيمور واصبح الحاكم الفعلي لإنكلترا عام ١٥٥٠م و١٥٥٣م ارتبط اسمه بمحاولة تنصيب الليدي جين غراي على العرش بعد وفاة ادوارد السادس الامر الذي ادى الى اعتقاله واعدامه سنة ١٥٥٣م في عهد الملكة ماري الاولى. للمزيد ينظر:

David Loades, John Dudley, Duke of Northumberland 1504–1553, Oxford: Clarendon Press, 1996, PP. 1–5

(21) G.W. Bernard, The King's Reformation: Henry VIII and The Remaking of the English Church, New Haven, Yale University Press, 2005, P. 220.

(22) W.K. Jordan, Edward VI: The Young King, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1968, PP. 52–79.

(٢٣) أبتسام سلمان سعيد، المصدر السابق، ص١٧١.

(24) A.G. Dickens, The English Reformation, 2nd ed, London: Batsford, 1989, P. 137.

(٢٥) أبتسام سلمان سعيد، المصدر السابق، ص١٦٣.

(26) Diarmaid MacCulloch, op.cit, P. 67.

(27) Penry Williams, The Later Tudors: England 1547–1603, Oxford: Clarendon Press, 1995, P. 28.

(28) Jennifer Loach, Edward VI, New Haven: Yale University Press, 1999, PP. 102–104.

(٢٩) Norman Davies, The Isles: A History, London, Macmillan, 1999, P. 486.

(30) G. R. Elton, op.cit, P. 220.

(31)Marcus Merriman, The Rough Wooings: Mary Queen of Scots, 1542–1551, East Linton, Tuckwell Press, 2000, PP. 258–262.

(32) Norman Davies, op.cit, P. 486.

(33) Diarmaid Macculloch, op. cit., pp.42–44.

(34) Marcus Merriman, op.cit, pp. 282–295.

(35)David Loades, op.cit, PP. 54–56.

(٣٦) زيد محمد حسين علي، توماس كروميل ومشروع حل الاديرة في انكلترا ١٥٣١–١٥٤٠م، مراجعة وتقديم: محمد مظهر الادهمي، دار أمل الجديدة، سورية، ٢٠٢٣، ص ١٠٤.

(37) Phil Roberts, Cardinal Wolsey for King and Country, Pen and Sword Books Ltd, Yorkshire – Philadelphia, 2022, P. 50.

(38) Alex Woolf, The Tudor Kings and Queens: The Dynasty That Forged a Nation, Arcturus Publishing, London, 2017, P. 55.

(39) Diarmaid MacCulloch, op.cit, P. 67.

(40) G. R. Elton, op.cit, P. 210.

(41) Ibid, P.211.

(42) A.L. Beier, Masterless Men: The Vagrancy Problem in England 1560-1640, London: Methuen, 1985, P.18.

(43) Anthony Fletcher and Diarmaid MacCulloch, Tudor Rebellions, London: Longman, 2004, P. 102.

(44) W. K. Jordan, Philanthropy in England 1480-1660, London: Allen and Unwin, 1959, P. 145.

(45)Jennifer Loach, op.cit, PP. 104-106.

(٤٦) أبتسام سلمان سعيد، المصدر السابق، ص١٤٤.

(٤٧) توماس كرانمر ولد في نوتنكهامشاير (Nottinghamshire) سنة ١٤٨٩م من عائلة مرموقة والتحق بجامعة اكسفورد وهو في الرابعة عشرة من عمره نصب كرانمر في سنة ١٥٢٣م اصبح بعدها زعيم الإصلاح الديني في إنكلترا ورئيس أساقفة كانتربري خلال عهود الملك هنري الثامن وادوارد السادس ولمدة قصيرة من حكم الملكة ماري، اذ أمرت الملكة بسجنه لمدة عامين ثم حوكم بتهمة الخيانة العظمى وتم حرقه في ساحة كنيسة كانتربري سنة ١٥٥٦م. The New Encyclopedia Britannica, Vol. 3, P. 623.

(48) David Loades, The Reign of Edward VI, Yale University Press, New Haven, 1991, PP. 77-85.

(49) A. G. Dickens, The English Reformation, Pennsylvania State University Press, University Park, 1991, PP. 223-226.

(50) G. R. Elton, op.cit, P. 223-226.

(51) Diarmaid MacCulloch, op.cit, PP. 223-226.

(52) A. G. Dickens, op.cit, PP. 238-242.

(53) G. R. Elton, op.cit, PP. 327-330.

(54) John Booty, The Book of Common Prayer 1559: The Elizabethan Prayer Book, Washington D.C, Folger Books, 2005, PP. 1-10.

(٥٥) منتهى عذاب ذويب، حركة الإصلاح الديني في إنكلترا في عهد هنري الثامن ١٥٠٩-١٥٤٧م، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الأول، الجامعة المستنصرية، بغداد، ٢٠١٧م، ص ٣١٧.

(56) John Guy, op.cit, P. 208.
(57) John Guy, op.cit, P. 209.
(58) Andy Wood, The 1549 Rebellions and The Making of Early Modern England, Cambridge University Press, 2007, P. 33.
(59) Anthony Fletcher, Tudor Rebellions, London, Longman, 1977, P. 89.
(60) David Loades, op.cit, P. 91.
(61) John Guy, op.cit, P. 220.
(62) Jennifer Loach, op.cit, PP. 31-34.
(63) David Loades, op.cit, PP. 78-80.
(64) Marcus Merriman, op.cit, PP. 290-296.
(65) Diarmaid MacCulloch, op.cit, PP. 67-72.
(66) Anthony Fletcher and Diarmaid MacCulloch, op.cit, PP. 98-102.
(67) Paul Slack, The English Poor Law 1531-1782, Cambridge, Cambridge University Press, 1990, P. 35.
(68) W. K. Jordan, Philanthropy in England (1480-1660), London: Allen and Unwin, 1959, P. 35.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

الحرف العمرانية في العصر الملكي في العراق

فاطمة قاسم كاظم
fatima.kadhum2005@coart.uobaghdad.edu.iq
جامعة بغداد- كلية الاداب- قسم الاثار- طالبة ماجستير
أ.د. صلاح الدين محسن زاير-
Salahaldin.m@coart.uobaghdad.edu.iq
جامعة بغداد-كلية الاداب – قسم الاثار

الاستلام(Received) : ٠٣ / ١٢/ ٢٠٢٥	التعديل (Revision) : ٢٠٢٥ / ١٢/٢٣
القبول(Accepted) : ٠٨ /٠١/ ٢٠٢٦	النشر (Published) : ٢٠٢٦/ ٠٩/٣٠

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الخلاصة:

يعتقد بعض العرب إن العمل باليد لا يليق بالعربي الشريف الحر فلا يصح أن يكون العربي عاملا أو صانعا بحرفة يدوية عند أحد أو شخص ثاني، حيث يكون الصانع في المجتمع العربي شخص مستهجن ويزدريه الناس على الرغم من احتياجهم اليه، ونظرة المجتمع إلى أصحاب هذه الحرف تركت أثارها الاجتماعية على أصحاب هذه الحرف وعوائلهم ، وكان اغلب أصحاب الحرف البسيطة أجورهم قليلة ويعيشون حياة بسيطة مع موارد محدودة، وممكن القول أنهم يعيشون حياة الكفاف بالرغم من حاجة المجتمع إلى خدماتهم، وتكون أجورهم يومية تسد متطلبات حياتهم اليومية .

الكلمات المفتاحية: المهن، الحرف، النجار، الحداد، البناء، العصر الملكي، العراق

Abstract:

Some Arabs believe that manual labor is not befitting a noble, free Arab. It is not right for an Arab to be a worker or craftsman in a manual trade for someone else. In Arab society, a craftsman is considered a despised and looked down upon person, despite the community's need for him. Society's view of those who practice these trades has left its social mark on them and their families. Most of those who practice simple trades had low wages and

lived a simple life with limited resources. It can be said that they lived a life of subsistence, despite the community's need for their services. Their daily wages were sufficient to meet their daily needs.

Keywords: professions, crafts, carpenter, blacksmith, construction, royal, Iraq

أولاً: الحرفة والمهنة لغةً واصطلاحاً

تُعد الخطوة المنهجية لأي بحث علمي سواء تناول موضوعاً عمرانياً أو فنياً تحديد جوهر الموضوع وبيان الفاظه ومرادفاته ومعانيه اللغوية والاصطلاحية, ويتطلب ذلك تتبع المفردة وجذورها والرجوع إلى استعمالاتها في المصادر الأساسية, ويُعد القرآن الكريم أوّل هذه المصادر وأوثقها.

لم ترد مفردة "الحرفة" ولا "المهنة" بلفظها الصريح في القران الكريم الا انها وردت في مواضيع عديدة مختلفة, إذ ورد في قوله تعالى: **{وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُون}** [١], وفي قوله تعالى: **{ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ}**[٢]، وفي قوله تعالى: **{يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ }** [٣], وفي قوله تعالى: **{وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا}**[٤], وفي قوله تعالى: **{رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ }**[٥].

جاء في تفسير سورة الأنبياء ان المراد من صنعة اللبوس بأنها الدروع, وبين أن أوّل من اخترعها هو النبي داود(عليه السلام), وقد علمه الله هذه الصنعة تلبية لإخلاصه وحرصه على أكل رزقة من كد يمينه[٦].

فيما جاء في تفسير سورة هود أن الله عز وجل أوحى إلى نوح (عليه السلام), بصنع السفينة على الرغم من استهزاء قومه به لأنه صنعها في ارض بعيدة عن الماء, وتظهر هذه الآية أن صناعة السفن من أقدم الحرف والمهن التي مارسها الانسان[٧].

جاء في تفسير سورة سبأ أن الجن كانوا يعملون في خدمة النبي سليمان(عليه السلام) في صناعة المحاريب والتماثيل والأواني الكبيرة, وكل ذلك بإذن الله عز وجل, الآية تشير إلى تنوع الحرف والصناعات في عهد النبي سليمان (عليه السلام) والى أهمية الاتقان في العمل[٨].

فيما جاء في تفسير سورة النحل التفرقة بين البيوت الثابتة المبنية من الحجر والخشب والحديد, والبيوت المتنقلة المصنوعة من الجلود كالخيام, مشيراً ان كلا النوعين يمثل نتاجاً حرفياً وصناعياً يدل على مهارة الانسان وتكيفه مع بيئته[٩].

أمّا تفسير سورة النور ان التجارة والبيع في الاية كناية عن العمل الدنيوي, وخصهما الله بالذكر لانهما اكثر ما يشغل الانسان ويصرفه عن العبادة, فالمؤمن التاجر هو من يسعى في رزقه وأداء واجباته الدينية, فلا تلهيه تجارته عن ذكر الله وإقامة الصلاة وايتاء الزكاة[١٠].

ثانياً: الحرف العمرانية

أ-النجار:

نجر: النَّجْر والنِّجارُ والنُّجارُ: الأَصْلُ والحَسَبُ، والنُّجار، بِالْكَسْرِ والضمّ[١١], وَيُقَالُ: النَّجْرُ اللَّوْنُ, والنَّجْرُ: القَطْع، وَمِنْهُ نَجْرُ النَّجَّارِ، وَقَدْ نَجَرَ العُودَ نَجراً, النَّجْرُ عَمَلُ النَّجَّارِ ونحْتُه، والنجْرُ نَحْتُ الخَشَبة، نَجَرَها يَنْجُرها نَجْراً: نَحَتها, ونُجارةُ العُود: مَا انْتُحِتَ مِنْهُ عِنْدَ النَّجْرِ. والنجَّارُ: صاحبُ النَّجْر وحِرْفَتُه النِّجارةُ[١٢].

كانت النجارة في العهد الملكي من المهن الأساسية التي ارتبطت بحياة الناس اليومية[١٣], حيث تمثلت الأشجار المصدر الرئيسي للنجار في عمله إذْ إنّها المنبع الوحيد لإنتاج الاخشاب التي يعتمد عليها في مختلف صناعاته وقد شكلت الغابات مصدراً متنوعاً لها, وكان الخشب الصلد ذو النوعية الجيدة نادراً ويستعمل في الصناعات المهمة مثل صناعة السفن والأسلحة ومن بين الاخشاب التي شاع استعمالها خشب الساج[١٤]، الذي لقي رواجاً واسعاً ولاسيما في بغداد, وتميزت صناعاتهم بالزخرفة والحفر على الاخشاب حيث شملت أواني الطعام والأسرة والكراسي والابواب والدواليب وكانت هذه المصنوعات تُزين بصفائح دقيقة من الصدف والمرمر والاخشاب الثمينة بأسلوب فني بديع[١٥]،(صورة رقم١) .

أدى النجار دورًا اساسياً في بناء المساكن سواء كانت فخمة أو دوراً لعامة الناس, وكانت دور بعض الفلاحين تُبنى هيكلها بالكامل تقريباً من الخشب, بما في ذلك الاعمدة والسقف, وكانت عملية البناء في الأرياف تتم ببناء الجدران الأربعة أوّلاً, ثم توضع الاعمدة الخشبية لترابط بين الجدران المتقابلة, مكونة هيكل المنزل, وغالباً ما كانت تستعمل الاخشاب منخفضة الجودة لعدم توفر النوعيات الجيدة أو لارتفاع أسعارها, فتدخل ضمن مواد البناء كجزء أساسي من الهيكل الانشائي[١٦], ولم تكن النجارة مقتصرة على الأثاث والبناء, بل شملت أيضاً صناعة أدوات الزراعة, حيث كان الفلاحون يعتمدون على أدوات خشبية مثل الفدان المستعمل في حراثة الأرض, والمذراة التي تُستعمل لفصل الحبوب عن القش أضافة إلى المناخل وأدوات أُخرى تسهل الحياة اليومية, كما اشتهر الحرفيون بصناعة الالات الموسيقية مثل الناي والدف والطبلة فجعلوا من الخشب وسيلة للتعبير الفني[١٧], كما ازدهرت صناعة القوارب خاصة في المناطق التي تعتمد على الأنهار في النقل والصيد[١٨].

طريقة العمل:

بعد حصول النجار على الاخشاب سواء كان محلياً أو مستورداً يُقطع بواسطة المنشار اليدوي إلى الواح وأجزاء صالحة الاستعمال, ثم تشكل يدوياً بحسب الابعاد والاشكال والاحجام المطلوبة, وبعد تقطيع الاخشاب تُجمع أجزاء القطعة الخشبية الواحدة وتُربط مع بعضها بواسطة أسلوب النقر واللسان[١٩], ثم تُثبت الأجزاء باستعمال المسامير أو مادة الغراء, ويحرص النجار على تثبيت الأجزاء بإحكام حتى تأخذ الشكل النهائي, وبعد الانتهاء من التجميع تُنعم القطعة بواسطة ورق الصنفرة حتى يتم الحصول على سطح أملس خالٍ من الزوائد والخدوش, وفي النهاية يقوم النجار بطلاء القطعة أو تلميعها لاعطائها مظهراً جميلاً[٢٠].

أدوات النجار الأساسية واستعمالاتها:-

١. المطرقة (الچاكوچ): يُستعملها للدق وتثبيت المسامير على الخشب وتتنوع بين المطرقة الحديدية والمطرقة المطاطية حسب الحاجة
٢. المسامير والبراغي: تُستعمل في تجميع وتثبيت القطع الخشبية ويُختار النوع المناسب حسب طبيعة عمله
٣. المنشار: لتقطيع الخشب بأحجام مختلفة ويتنوع بين اليدوي والكهربائي والدائري
٤. المفك (الدرنفيس): يستعمل لشد وفتح البراغي وهو على نوعين, المفك رأس مسطح (العدل) والمفك ذو الرأس النجمية (المثلث)
٥. شريط القياس (الفيته): أداة قياس تُستعمل لضبط أبعاد الخشب قبل القص أو التركيب .
٦. الريبون والرندة: يتم صناعتها من خشب الرارنج لقوته وتزود بشفرة حادة, ويُستعملها النجار لتسوية الخشب وتعديل سطحة الرندة تكون اصغر من الريبون وتستعمل للغرض نفسه[٢١].

ب-الحداد:

الحداد الشخص الذي يحمي الْحَدِيد ويطرقه لتشكيله بِحَسب الشكل الْمَطْلُوب[٢٢], وقيل حداداً نسبة إلى معدن الحديد الذي يكون صانعاً له[٢٣].

تعد مهنة الحدادة من أقدم المهن التي مارسها الانسان, إذ تعلمها منذ بداية الخليقة لحاجته إلى أدوات يدافع بها عن نفسه ويحمي بها ممتلكاته من الحيوانات المفترسة ومع مرور الزمن تطورت هذه المهنة وأصبحت أساسية في حياة الانسان حيث بدأ بصناعة الأدوات الزراعية ثم توسعت ليصنع الدروع والأسلحة التي استخدمها في الحروب لحماية نفسه[٢٤].

أبرز ما يصنعه الحدادين الفأس والمجرفة والاقفال والشبابيك الحديدية والسكاكين والساطور والسلاسل والسيوف والخناجر والرماح وكذلك الأدوات الزراعية مثل , المنجل والفالة والمحاريث اليدوية ,

حرص بعض الحدادين على نقش أسمائهم على منتجاتهم الحديدية تعبيراً عن فخرهم بمهنتهم وتقديراً لجودة أعمالهم[٢٥], مع مرور الوقت تطورت مهنة الحدادة حيث اصبح الحداد يستخدم المواقد التي تعمل بدلاً من الفحم, كما دخلت الأدوات الكهربائية مثل (الكوسرة) التي تستعمل لشحذ المنتجات بدلاً من المبرد اليدوي وأزالة الزوائد, ورغم توفر الأدوات المستورة الا ان العديد من الفلاحين والحرفيين يفضلون المنتجات اليدوية المصنوعة محلياً خاصه المنجل والسكاكين لجودتها العالية ومتانتها يتم الحصول على الحديد الخام من التجار ويعود مصدره الأساسي إلى مدينة البصرة واحياناً بغداد, وغالباً ما يكون مستوراداً, كما يستفيد الحداد احياناً من الحديد المستعمل (الخردة) حيث يشتريه ويعيد تشكيله من جديد[٢٦].

طريقة العمل :

تبدأ عملية الحدادة اختيار قطعة الحديد المناسبة للشكل المطلوب وقطعها أو قصها من اللوح الأصلي بعدها يوضع الحديد داخل الكورة حتى يصبح لونه احمر متوهجاً بفعل الحرارة العالية وعندها يكون الحديد طرياً قابلاً للتشكيل والتصنيع يستعمل الحداد الملاقط لسحب الحديد من النار ثم يضعه على السندان بعدها يبدأ بطرقه والدق عليها عدة مرات ويستعمل الشاكوش (المطرقة), وفي أثناء ذلك تحدث أعمال حرارية إذ يتم تسخين قطعة الحديد عدة مرات ثم تبريده ببطء, والهدف من هذه العملية التخلص من أي ضعف في داخل جسم القطعة من خلال الطرق, بحيث تحتفظ القطعة بحافة قوية قاطعة, وفي النهاية يستعمل المبرد لتنعيم الحواف بعد تشكيلها محولاً إياه إلى الشكل المطلوب سواء كان أداة زراعية أو سلاحاً وغيرها[٢٧]،(صورة رقم٢).

ج- البناء:

منذ اقدم العصور سعى الانسان إلى بناء مأوى يحتمي فيه من العوامل الطبيعية والحيوانات المفترسة, مما دفعه إلى تطوير حرفة البناء لتوفير الاستقرار والأمان وقد كان البيت اللبنة الأولى للحضارة واساس تكوين المجتمعات, ومع مرور الزمن لم تعد هذه الحرفة تقتصر على بناء البيوت البسيطة, بل تطورت لتشمل القصور والمساجد والجسور والأسواق, مما جعلها جزءًا أساسيًا في نمو المجتمعات وازدهارها[٢٨].

كان معظم عمال البناء من الفلاحين المهاجرين من الريف الذين لا يحسنون أي حرفة فنية فاضطروا للعمل في البناء, أمّا رؤساء العمل (الاسطوات) فكانوا غالبا من أبناء المدن كان العمال يجتمعون يومياً في أماكن فارغة داخل المدينة تسمى(المساطر) بانتظار اختيارهم من قبل الاسطوات أو ارباب العمل, وغالباً ما يقع الاختيار على الأقوى جسداً والاقدر على التحمل بينما يعود آخرون إلى بيوتهم[٢٩], في عام(١٣٣٩هـ/١٩٢١م) شهدت هذه الحرفة تطوراً ملحوظاً بفضل إنشاء دائرة الاشغال

العامة بعد الاحتلال البريطاني, أصبحت دائرة فنية مسؤولة عن الاشراف على المشاريع العمرانية الكبرى, وقد أنجزت هذه الدائرة خلال ثلاثينيات القرن العشرين العديد من الاعمال البنائية المهمة, مثل قصر الزهور والمستشفى الملكي والجسور والطرق وهي مشاريع ضخمة اعتمدت بشكل رئيسي على جهود البنائين والحرفيين[٣٠].

مشاركة عمال البناء في هذه المشاريع لم تكن مجرد عمل يدوي بل مثلت جزءاً من عملية تحديث العراق حيث انتقل البناء من الطابع التقليدي إلى الطابع المؤسسي المنظم الذي تقوده الدولة, ويمكن القول أن دائرة الاشغال العامة ساهمت بشكل مباشر في رفع مكانة مهنة البناء وربطها بمسيرة التطور العمراني في البلاد.

قام البناء بتصميم البيوت بشكل يتناسب مع تأثيرات المناخ القاسي في العراق ففي الصيف شديد الحرارة بينما أتسم الشتاء بالبرودة, وكانت البيوت متلاصقة مع بعضها وفي كثير من الحالات كانت الجدران الخارجية مشتركة بين بيت وآخر وهو ما يعرف بـ(البناء المتضام)[٣١], الذي يعد من المعالجات البيئية المهمة التي لجأ اليها البناؤون لحماية البيوت وسكانها من الظروف المناخية القاسية[٣٢], ونظراً لغياب وسائل التهوية الحديثة حرص المعمار العراقي إلى تصميم البيوت بأسلوب يضمن الراحة للسكان سواء بالتبريد خلال الصيف أو التدفئة في الشتاء ولهذا تميزت البيوت بوجود عناصر معمارية تعالج هذه التحديات مثل (السرداب)[٣٣].

كذلك(البادكير)[٣٤], (الشناشيل)[٣٥], (الحوش)[٣٦], اعتمد البناؤون على مجموعة من المواد التي شكلت الأساس المتين للعمارة العراقية, لما تمتاز به من صلابة ومتانة وقدرتها على مقاومة العوامل الطبيعية, ومن ابرز هذه المواد الاجر(الطابوق المفخور) الذي يعد المادة الأساسية في البناء(صورة رقم٣), لما يتمتع به من مقاومة عالية للعوامل الجوية, واعتبر من افضل المواد العازلة للحرارة والرطوبة, وأيضاً استعمل الطين غير المفخور(اللبن) في وسط وجنوب العراق , أمّا الحجارة فقد استعملت في المناطق الشمالية, كما استعمل الجص الذي يعد مادة رابطة بين صفوف الاجر, وقد ساعد الجص البنائين في البناء بفضل سرعته في الجفاف والتماسك وسهولة تشكيله[٣٧], إلى جانب الخرسانة المسلحة والحديد والاسمنت في بعض المشاريع هذه المواد تعكس مهارة البنائين وقدرتهم في الحفاظ على الطابع الفني للعمارة البغدادية[٣٨], ولم يقتصر البناء على الدور السكنية والابنية الحكومية بل شمل مشروعات كبرى مثل أقامة السدود ونواظم الري إنشاء منشآت سكك الحديد[٣٩].

تنوعت مهام عمال البناء واختصاصاتهم منهم :

١. رئيس العمال: الذي يشرف على اعمال العمال وكذلك يقوم بتصميم وتنفيذ البنايات المختلفة

٢. الكاصوص: الذي يقوم بقص الطابوق إلى قطع واشكال مختلفة مثل المثلث والمربع والمستطيل وغيرها من الاشكال الهندسية
٣. المناوشجي: الذي يناول الطابوق إلى الخلفة اثناء العمل
٤. العكاد: يقوم ببناء العقود والاطواق بين الدنك والسقوف
٥. المداواجي: العامل الذي يسد الفراغات بين صفوف البناء
٦. المبيضجي: المتخصص في اكساء الجدران بالجص لتنعيمها وتجميلها
٧. اللباخ: الذي يقوم اكساء الجدران الخارجية بالسمنت
٨. الجبان: الذي يخلط الجص بالماء ويجهزه للبناء
٩. الخرده كار: المختص بعمل الزخارف والنقوش المعمارية الفنية[٤٠].

كانت أدوات البناء بسيطة ومصنوعة محليًا, وكان الحرفيون يحرصون عليها وعلى تنظيفها بعد العمل, ومن الأدوات التي استخدمت هي:

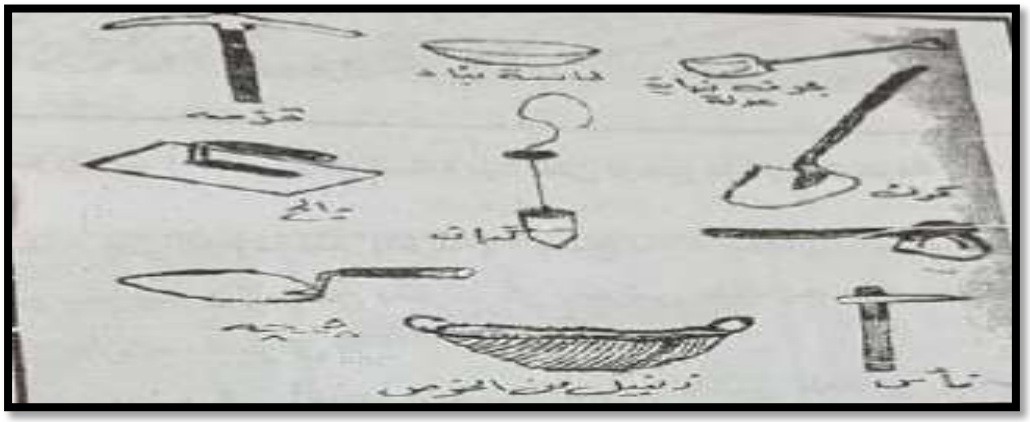
١. قزمة: أداة معدنية لحفر الأساس, لها رأس مدبب وآخر يشبه الشفرة وتُستخدم بقبضة خشبية بطول ٦٠سم تقريبًا من الأدوات الشاقة في العمل[٤١]
٢. المجرفة (الكرك): أداة معدنية بيد خشبية تُستخدم لتجميع التراب وخلط مواد البناء.
٣. الجمجة: أداة ذات صفيحة ملساء ومقبض خشبي تُستخدم لوضع المونة بين الأحجار وتسويتها[٤٢].
٤. المالج: صفيحة معدنية مستطيلة مستوية ولها مقبض خشبي تُستخدم لتنعيم الجدران.
٥. الصحن (الطاسة): تُصنع من الحديد لحمل المونة (الخليط المستخدم في البناء مثل الجص والماء).
٦. الزنبيل: مصنوع من الليف والحبال يُستخدم لنقل الاتربة
٧. الدبورة: أداة تُستخدم للطرق والدق.
٨. الشاقول: قطعة معدنية مخروطية الشكل مربوطة بخيط وتعلق لتعيين درجة الميلان[٤٣],(شكل رقم١).

كانت هذه الأدوات ضرورية لإنجاز البناء بدقة رغم بساطتها, وقد ساهمت في تشييد العديد من المباني التاريخية التي لا تزال شاهدة على مهارة الحرفيين القدامى.

النتائج :

هناك مجموعة من النتائج التي توصلنا اليها بعد الانتهاء من كتابة البحث وهي كالاتي:

١. إن المهن والحرف مرتكزات أساسية في حياة المجتمعات فالصناعات قامت من الحرف التي كان لها أثر في عملية التقدم الصناعي في العراق والعالم.
٢. تبيّن لنا ان القيم التي رسخها الإسلام كان لها أثر مهم في النظرة إلى العمل والمهن في المجتمع ، إذ حث الدين الاسلامي على السعي والكسب الحلال والمثابرة مهما كان نوع العمل, وأقر الإسلام حق المرأة في العمل ضمن الضوابط الشرعية, وشجع الفقهاء على امتهان الحرف والكسب المشروع مما منح المهن والحرف مكانة اجتماعية وأخلاقية راسخة.
٣. تؤكد الدراسة أن لكل زمانٍ ومكانٍ أدواته, ليس بالضرورة بوصفها الأكثر تطوراً تقنياً, بل بوصفها الأدوات التي انسجمت مع الظروف الاقتصادية والاجتماعية والإمكانات المتاحة, وهو ما يفسر استمرار استخدام الأدوات البدائية في العديد من الحرف خلال بدايات العهد الملكي حتى الثلاثينيات من القرن العشرين.
٤. لم يكن أصحاب الحرف والمهن ينتمون إلى طبقة اجتماعية واحدة, بل توزعوا بين طبقات مختلفة، فمنهم من كان من الطبقات الفقيرة مثل الحمال والفلاح, ومنهم من الطبقات المتوسطة كالخياط والنجار, ومنهم من كان صاحب مكانة اقتصادية أفضل كالتجار, وذلك يؤكد التنوع الاجتماعي الواسع للحرف والمهن في المجتمع العراقي.
٥. أظهرت الدراسة ان المهن الخدمية كانت جزءاً رئيسياً من الحياة اليومية واسهمت في تحسين مستوى الخدمات العامة داخل المدن العراقية.
٦. بيّنت الدراسة أن الاستقرار العام في أي بلد يشجع أصحاب المهن والحرف على تقديم أفضل ما لديهم من خدمات ، بما يتناسب مع خصوصية المجتمع .



(شكل رقم١) أدوات البناء
العذاري, المهن والصناعات الشعبية, ج١, ص٥٩



(صورة رقم١) النجار

وحيد, قطرات من ندى بغداد, ص٦٥



(صورة رقم٢) الحداد

بغداد الجديدة, تصوير الباحثة



(صورة رقم٣) البناء
الكعبي, موسوعة الديوانية, ج١٠, ص٢٢٠

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم

١. أبن منظور ، محمد بن مكرم بن علي، (ت:٧١١هـ)، لسان العرب, دار صادر, ط٣ , ج٩, بيروت, ١٤١٤هـ.
٢. انيس, إبراهيم, منتصر, عبدالحليم, الصوالحي, عطية, احمد, محمد خلف الله, المعجم الوسيط , دار الفكر, ط٢, بيروت, ١٩٧٢م, ج١.
٣. الحكيم, هاشم إبراهيم, الصناعات اليدوية تراثنا, دار الكتب والوثائق, بغداد, ٢٠١٨.
٤. الحنفي, جلال, الصناعات والحرف البغدادية, وزارة الثقافة والإرشاد, بغداد, ١٩٦٦م.
٥. الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦, صادر من وزارة الداخلية, مطبعة مكتبة الحضارات, بيروت, ١٩٣٦م.
٦. الدوري, عبد العزيز, تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري, ط٣, بيروت, ١٩٩٥م.

٧. راهي , نبيل عبد الحسين , المشربيات ''الشناشيل'' في العمارة السكنية في العراق خلال الحكم العثماني , رسالة ماجستير , جامعة بغداد , كلية الآداب , قسم الاثار , ٢٠٠٦م .
٨. الزبيدي, محمد مرتضى الحسيني, تاج العروس من جواهر القاموس, وزارة الارشاد والانباء, الكويت, ج٢٣, ١٤٣١هـ.
٩. الزبيدي, صلاح الدين محسن زاير, الدور التراثية والعمائر الخدمية في مدينة الكاظمية (٣٣٦-٩٤١١هـ/١٥٣٤-١٩١٧م) , رسالة ماجستير, جامعة بغداد, كلية الآداب, قسم الاثار, ٢٠٠٩م.
١٠. الزبيدي, صلاح الدين محسن زاير, الأبنية التراثية الشاخصة في مدينة العمارة (دراسة ميدانية), أطروحة دكتوراه, جامعة بغداد, كلية الآداب, قسم الاثار, ٢٠١٥م.
١١. الصبيحاوي, حيدر فرحان, الدجيلي, حسين عبيد, مدينة حربي الإسلامية دراسة تاريخية واثارية, مطبعة الحوراء, بغداد, ٢٠٠٧م.
١٢. الصبيحاوي, حيدر فرحان حسين, البيت العربي الإسلامي في هاشمية الانبار في ضوء التنقيبات الاثارية, مجلة كلية الآداب, جامعة بغداد, قسم الاثار , العدد١١٣, ٢٠١٥م .
١٣. العذاري, محمد حمزة, المهن والصناعات الشعبية في مدينه الحلة في النصف الأوَّل من القرن العشرين, دار الصادق , الحلة, ج١, ٢٠١٤م.
١٤. عوض, عبد الرضا, تاريخ الصناعات والحرف الشعبية في الحلة, دار الكتب والوثائق, بغداد, ٢٠٠٥م.
١٥. عبد القادر، علي عبد الرزاق ، الحرف والمهن والمهارات في الشعر العربي قبل الاسلام ، رسالة ماجستير ، الجامعة المستنصرية ، كلية الاداب ، ١٩٩٣ ، ص١١٨.
١٦. الفهد، عبد الرزاق مطلك ، تاريخ الحركة العمالية في العراق ١٩٢٢-١٩٥٨م، أطروحة دكتورة ، جامعة القاهرة، كلية الاداب،١٩٧٧م، ص٣٢٠ .
١٧.الأحمر, سلوان عدنان, المكتشفات العمارية والفنية لموقع النجمي في ضوء التنقيبات الآثرية, رسالة ماجستير, جامعة بغداد, كلية الآداب, قسم الاثار, ٢٠٢٢م.
١٨.الانباري, عماد مهدي حسن, الصناعات المعدنية الإيرانية في المتاحف العراقية من (٣٤٣-٩٠٦١هـ/١٥٠١-١٩٢٥م) دراسة اثارية فنية, رسالة ماجستير, جامعة بغداد, كلية الآداب, قسم الاثار, ٢٠٢١م.
١٩.الجنابي, ماجد ثامر كاظم محل, طرائق وزخرفة وتزيين التحف الإسلامية حتى نهاية عام(٦٥٦هـ/١٢٥٨م), رسالة ماجستير, جامعة بغداد, كلية الآداب, قسم الاثار, ٢٠٢١م.

٢٠.الحسناوي, فائز هادي علي, المهن الاقتصادية في العصر البابلي القديم, رسالة ماجستير, جامعة بغداد, كلية الآداب, قسم الاثار, ٢٠٠٩م.
٢١.السامرائي, أحمد إبراهيم الطيف, النتاجات الخشبية في سامراء العباسية في ضوء مقتنيات المتحف العراقي, رسالة ماجستير, جامعة بغداد, كلية الآداب, قسم الاثار, ٢٠٢٤م.
٢٢.كاظم, احمد جودة, مقتنيات متحف الزعيم عبد الكريم قاسم دراسة آثارية فنية, رسالة ماجستير, جامعة بغداد , كلية الآداب, قسم الاثار, ٢٠٢٣م.
٢٣.مصطفى, ميثم مرتضى, أدوات والآلات أصحاب الحرف اليدوية المصورة على الاثار الإسلامية حتى نهاية العصر العباسي, رسالة ماجستير, جامعة بغداد, كلية الآداب, قسم الاثار, ١٩٩٨م.
٢٤. محمد،احمد نظام، تراث الموصل العمراني، دار وضاح للنشر ،ط١، بغداد،٢٠١٧م،ص٥٨.
٢٥. مغنية, محمد جواد, التفسير الكاشف, دار الانوار, ط٤ , مج٥, بيروت, ٢٠٠٩م.
٢٦. مكية, محمد, بغداد, دار الوراق , ط١, بغداد, ٢٠٠٥م.
٢٧. المختار, فريال داود, السرداب العراقي, مجلة كلية الآداب, جامعة بغداد, مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر, بغداد, العدد٢٠, ١٩٧٦م.

الهوامش:

[١]سورة الأنبياء, ايه٨٠
[٢]سورة هود, ايه٣٧
[٣]سورة سبأ, ايه١٣
[٤]سورة النحل, ايه٨٠
[٥]سورة النور, ايه٣٧
[٦]مغنية, محمد جواد, التفسير الكاشف, ط٤, دار الانوار, بيروت, ٢٠٠٩م, مج٥, ص٢٩٢
[٧]مغنية, محمد جواد, التفسير الكاشف, ط٤, دار الانوار, بيروت, ٢٠٠٩م, مج٤, ص٢٢٩
[٨]مغنية, التفسير الكاشف, مج٥, ص٢٩٣
[٩]مغنية, التفسير الكاشف, مج٤, ص٥٣٨
[١٠]مغنية, التفسير الكاشف, مج٥, ص٤٢٦
[١١]الزبيدي, تاج العروس, ج١٤, ص١٧٦
[١٢]ابن منظور , لسان العرب , ج٥ , ص١٩٣
[٣]العذاري, المهن والصناعات الشعبية, ج١, ص٢٠٨

[١٤]خشب الساج: نوع من الاخشاب الصلبة الفاخرة يُجلب من الهند وجنوب شرق آسيا يمتاز بقوة تحمله ومقاومته للرطوبة والماء واستعماله في البناء وصناعة السفن والاثاث؛ السامرائي, أحمد إبراهيم الطيف, النتاجات الخشبية في سامراء العباسية في ضوء مقتنيات المتحف العراقي, رسالة ماجستير, جامعة بغداد, كلية الآداب, ٢٠٢٤م, ص٤١

[١٥]السامرائي, النتاجات الخشبية في سامراء العباسية, ص٣٠-٥٧

[١٦]السامرائي, النتاجات الخشبية في سامراء العباسية, ص٥٤

[١٧]الحكيم, الصناعات اليدوية تراثنا, ص ٣٥

[١٨]الدوري, تاريخ العراق الاقتصادي, ص ١٢٩

[١٩]النقر واللسان: يعمل في احد جهات نقر(فجوة), وفي الجهة الأُخرى اللسان(جزء بارز) بنفس القياس يدخل اللسان في النقر ثم تثبت الأجزاء بواسطة المسامير أو مادة الغراء ؛ الجنابي , طرائق زخرفة وتزيين التحف الإسلامية, ص٨٢

[٢٠]الجنابي, طرائق زخرفة وتزيين التحف الإسلامية, ص٨٢-٨٣

[٢١]مقابله شخصية مع النجار (فواز جواد كاظم), منطقة بغداد الجديدة, ٢٠٢٥/٢/٢٨

[٢٢]معجم الوسيط , ج١ , ص١٦١

[٢٣]الحسناوي, المهن الاقتصادية, ص١٤٧

[٢٤]عوض, تاريخ الصناعات والحرف الشعبية في الحلة, ص ٦٣

[٢٥]مصطفى, أدوات والات أصحاب الحرف اليدوية, ص ٤٥

[٢٦]العذاري, المهن والصناعات الشعبية في مدينة الحلة, ج ١, ص ٩٦

[٢٧]الانباري, الصناعات المعدنية الإيرانية, ص٧٢

[٢٨]عبد القادر, علي عبد الرزاق, الحرف والمهن والمهارات في الشعر العربي قبل الإسلام, رسالة ماجستير, الجامعة المستنصرية, كلية الآداب, ١٩٩٣م, ص١١٨

[٢٩]الفهد, عبد الرزاق مطلك, تاريخ الحركة العمالية في العراق ١٩٢٢-١٩٥٨م, أطروحة دكتوراه , جامعة القاهرة, كلية الآداب, ١٩٧٧م, ص٣٢٠

[٣٠]دليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦, ص٤٥٨- ٤٥٩

[٣١]البناء المتضام: نظام عمراني تقوم فيه على تقارب المباني وتراصها في صفوف متجاورة, لتشكل كتلة واحدة متماسكة وذلك بهدف الحماية من العوامل البيئية كالحرارة والرياح والغبار؛ الصبيحاوي, حيدر فرحان حسين, البيت العربي الإسلامي في هاشمية الانبار في ضوء التنقيبات الاثارية, مجلة كلية الآداب, جامعة بغداد, العدد١١٣, ٢٠١٥م , ص٦٢٦

[٣٢]الصبيحاوي, البيت العربي الإسلامي في هاشمية الانبار, ص٦٢٦

[٣٣]السرداب: كلمة فارسية تتكون من مقطعين هما (سرد – آب) أي الماء البارد, ويطلق عليه ايضاً اسم (زير – زمين) أي بناء تحت الأرض, السبب الرئيسي وراء ظهور السراديب الظروف المناخية القاسية للبلد أستخدمت مكاناً للراحة والنوم للتخلص من حر الصيف, ولقد بنيت ايضاً لخزن المواد الغذائية ودفن الموتى؛ المختار, فريال داود, السرداب العراقي, مجلة= =كلية الآداب, جامعة بغداد, مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر, بغداد, العدد٢٠, ١٩٧٦م, ص٤٤١ – ٤٤٢

[٣٤]البادكير: كلمة فارسية (باد) أي هواء (گير) أي جالب, ومعناها جالب الهواء, هي عبارة عن ممر هوائي يمر خلال الجدران يعمل على إيصال الهواء من أعلى السطح إلى السرداب بهدف تبريده أو تجديد الهواء فيه؛ الزبيدي, صلاح الدين محسن زاير, الدور التراثية والعمائر الخدمية في مدينة الكاظمية (٣٣٦-٩٤١١هـ/١٥٣٤-١٩١٧م) , رسالة ماجستير, جامعة بغداد, كلية الآداب, ٢٠٠٩م, ص٤٧

[٣٥]الشناشيل: عبارة عن شرفات خشبية ذات البروز الممتد إلى الامام من واجهات البيوت التقليدية , لها وظائف عديدة حيث استخدمت للظل و التهوية و الحفاظ على خصوصية أهل الدار ؛ راهي , نبيل عبد الحسين , المشربيات ''الشناشيل'' في العمارة السكنية في العراق خلال الحكم العثماني , رسالة ماجستير , جامعة بغداد , كلية الآداب, ٢٠٠٦م , ص ١٤

[٣٦]الحوش: الساحة المكشوفة التي تتوسط البيت, يكون عادةً شكله مستطيلاً أو مربعاً, وتتوزع حوله غرف المنزل , وعن طريقه تتم الإضاءة والتهوية الطبيعيتين, ويساعد على تخفيف الضوضاء في الخارج, كذلك تمارس فيه معظم خدمات المنزل؛ قادر عبدالله خورشيد, العناصر التكوينية لعمارة البيت التراثي في شمال العراق, جامعة صلاح الدين, مجلة آثار الرافدين, كلية الآداب, مج٥, ٢٠٢٠م, ج٢, ص ٦٦ ؛ العذاري, المهن والصناعات الشعبية في مدينة الحلة, ج ١, ص ٣٨

[٣٧]الأحمر, المكتشفات العمارية والفنية لموقع النجمي, ص ٣١٤- ٤٥٤ ؛ مصطفى, أدوات والات أصحاب الحرف اليدوية, ص٣٥

[٣٨]مكية, محمد, بغداد, دار الوراق , ط١, بغداد, ٢٠٠٥م, ص٣٤٧-٣٩٥

[٣٩]حماده, سعيد, النظام الاقتصادي في العراق, مطبعة الأمير كانية, بيروت, ١٩٣٨م, ص٢٧٤

[٤٠]الحنفي, الصناعات والحرف البغدادية, ص ٧٢

[٤١]محمد, احمد نظام, تراث الموصل العمراني, دار الوضاح للنشر, ط١, بغداد, ٢٠١٧م, ص٥٨

[٤٢]كاظم, احمد جودة, مقتنيات متحف الزعيم عبد الكريم قاسم دراسة آثارية فنية, رسالة ماجستير, جامعة بغداد , كلية الآداب, ٢٠٢٣م, ص١٤٨-١٤٩

[٤٣]محمد, تراث الموصل العمراني, ص ٥٨-٥٩

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

لجنة التربية والتعليم ونشاطها التخصصي في مجلس النواب العراقي للمدة (٢٠٠٦-٢٠١٠).

كريم نوري عبد الله محيسن الدليمي
أ.د علي محمد كريم المشهداني
كلية التربية ابن رشد / جامعة بغداد

الاستلام(Received) : ١٠ /٠١ / ٢٠٢٦	التعديل (Revision) : ٢٠٢٦ / ٠١/٢٤
القبول(Accepted) : ٢٠٢٦ / ٠٢/١٢	النشر (Published) : ٢٠٢٦/ ٠٩/٣٠

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص:

تحضى موضوعات قضايا التربية والتعليم في كل دول العالم اهتماما حكوميا وبحثيا، لما لها من أهمية كبيرة في بناء الدولة، وحل اغالب المشاكل التي تواجه الدولة، اذ ارتبط مفهوم التربية والتعليم بالأوضاع العامة التي تتعرض لها الدولة، فلا بد من وجود سياسة عامة تعليمية وتربوية تعمل على تطوير وتقدم المجتمع، اذ عملت لجنة التربية والتعليم النيابية خلال المدة (٢٠٠٦-٢٠١٠)، أدت دورا مهما في ترسيخ الاهتمام البرلماني بقضايا التربية والتعليم، واسهمت في وضع الأسس الأولى للعمل الرقابي والتشريعي في هذا المجال، الا ان فاعلية هذا الدور بقيت مرهونة بمدى استجابة السلطة التنفيذية لتوصيات اللجنة، وبقدرة النظام البرلماني على توفير بيئة داعمة لعمل اللجان التخصصية، الامر الذي يؤكد الحاجة الى تعزيز اليات المتابعة والتنسيق لضمان تحقيق اصلاح تعليمي دائم.

The Education Committee and lts Specialized, Activities in the Iraqi Council of Representatives for the period (2006-2010).

Doctoral Candidate
Kareem Nouri Abdullah Mohsen Al-Dulaimi
Supervisor-prof
Dr. Ali Mohammed Kareem Al-Mashhadani
College of Education lbn Rushd / University of Baghdad

Abstract:

Lssues of education attract significant, governmental and societal attention in all countries of the world due to their great importance in state building and in addressing many of the prolems facing the state.

The concept of education is closely linked to the general conditions experienced by the country, therefore, the existence of a comprehensive educational and pedagogical policy aimed at development and societal progress is indispensable. In this context, the parliamentary Committee of Education and Teaching played

an important role during the period (2006-2010) in promoting parliamentary attention to educational issues and in contributing to laying the initial foundations for oversight and legislative work in this field . However, the effectiveness of this role remined contingent upon the exetent of the executive authoritys, responsiveness to the committees recommendations, as well as the ability of the parliamentary systeem to provide a supportive environment for the work of specialized committees.
This underscores the need to strengthen mechanisms of follow-up and coordination in order to ensure the achievement of sustainable educational reform.

مقدمة

يعد العمل البرلماني أحد اهم المرتكزات المهمة والاساسية في تنظيم شؤون الدول المتقدمة، اذ تعمل اللجان النيابية المتخصصة بدور محوري في تفعيل الأداء الرقابي والتشريعي لمجلس النواب العراقي، ومن بين هذه اللجان برزت لجنة التربية والتعليم بوصفها لجنة دائمة ذات اختصاص مهم وجوهري يراقب قطاع من اهم قطاعات الدولة، يعنى بمتابعة قضايا التربية والتعليم بمختلف مفاصلها، لما لهذا القطاع من أهمية استراتيجية في بناء الانسان وتنمية المجتمع وترسيخ أسس الدولة.

تم تشكيل لجنة التربية والتعليم في مجلس النواب العراقي، استنادا الى الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥، والنظام الداخلي لمجلس النواب، ضمن أطار توزيع العمل النيابي على لجان تخصصية، تهدف الى دراسة مشروعات ومقترحات القوانين ذات الصلة بالسياسة التعليمية، ومناقشة مشكلات الواقع التربوية، فضلا عن ممارسة الدور الرقابي على أداء الجهات التنفيذية المختصة، ولاسيما التربية والتعليم العالي والبحث العلمي.

كما رتبط نشاط لجنة التربية والتعليم بطبيعة المرحلة السياسية والاقتصادية التي مر بها العراق بعد ٢٠٠٣، اذ واجه قطاع التعليم تحديات كبيرة تمثلت في تراجع البنى التحتية التعليمية وتذبذب السياسات التربوية، ونقص الملاكات والتمويل، الامر الذي استدعي تفعيل دور اللجنة في مناقشة هذه الاشكالايات داخل قبة البرلمان، واستضافة المسؤولين والخبراء، وتقديم المقترحات والتوصيات التي تسهم في اصلاح المنظومة التعليمية والنهوض بها.

لذلك فان تشكيل لجنة التربية والتعليم ونشاطها يسهم في الكشف عن مدى فاعلية الدور النيابي في معالجة قضايا التعليم، وتوضيح حدود التاثير الرقابي والتشريعي للجنة، كما تعكس طبيعة التفاعل بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية في واحد من أكثر القطاعات حساسية وتاثيرا في مستقبل قطاعي التربية والتعليم في العراق.

لجنة التربية والتعليم ونشاطها التخصصي في مجلس النواب العراقي للمدة (٢٠٠٦-٢٠١٠).

ان تشكيل اللجان التي تخص المجال التربوي سواء قطاع التربية او التعليم العالي والبحث العلمي، هو خطوة أساسية من اجل دراسة واقع التعليم في العراق، لذلك فان لجنتي التربية والتعليم العالي من اللجان الدائمة في مجلس النواب وتكون مهامها متعلقة بمراقبة أداء وزارتي، التربية والتعليم العالي والبحث العلمي، وهما المسؤولتان عن واقع التربية والتعليم في العراق[١]، لذلك فقد تم تشكيل لجان ذات اختصاصات مختلفة، وأعطيت لهذه اللجان صلاحيات واسعة في مواجهة قرارات الحكومة والعمل على تعديلها كل ضمن اختصاصها، وتتولى هذه اللجان عادة بحث ما يحال اليها من مشروعات القوانين أو الاقتراحات والموضوعات التي تدخل في نشاط الوزارات وتجميع واحصاء البيانات والمعلومات التي تتعلق بهذه الموضوعات لتمكين المجلس من اعطاء رأيه في هذا الموضوع او ذاك عند مناقشته له من خلال طلب مقدم بواسطة رئيس المجلس وعن طريق الوزير المختص، من الوزارات والمؤسسات والهيئات العامة والدوائر الحكومية والمديريات العامة البيانات والوثائق التي تراها لازمة لدراسة الموضوع المحال اليها، وذلك من خلال تشكيل فريق من أعضاء اللجنة للحصول على هذه الوثائق ودراستها والتحقيق بها ويتم ذلك وعن طريق الوزير المختص عادة، وعلى تلك الجهات تقديم ما يطلب منها قبل ان تضع اللجنة تقريرها بوقت محددا[٢]، وذلك لان اعتماد الهيئات التشريعية الديمقراطية على اللجان في إدارة اعمالها، ويمكن وصف اللجان البرلمانية، بانها عبارة عن مجموعة صغيرة من البرلمانيين تناط بهم مهام محددة، ويعملون على أساس دائم أو مؤقت، بهدف دراسة المسائل المعروضة على الهيئات التشريعية بشكل معمق ومفصل، ويضعون صلاحيات واضحة من أجل تمكين هذه الهيئات من ممارسة واجباتها، الدستورية والقانونية، وتتمثل أهمية اللجان البرلمانية في أنها تمثل ما يطلق عليه القرار السياسي، اذ الأصل العام في الأمور هو ان البرلمان لا يتناول موضوعا بالبحث والمناقشة الا بعد احالته الى احدى اللجان لتقوم بالبحث فيه والانتهاء الى راي وتوصيات تعرضها على البرلمان، لتتم مناقشة الموضوع المحال اليها في ضوء عمل تلك اللجان[٣]، وتعد اللجان البرلمانية هي المسؤولة عن طريق مراقبة تلك الوزارات او المؤسسات الحكومية في توثيق سير عملها من خلال تشكيل خلية عمل والحصول على المعلومات المخالفة لسير عمل تلك المؤسسات الحكومية، وكذلك يكلفون بتحضير ملفا كاملا عن عملها وتقديم تقرير عنها[٤].

أولا: صلاحيات اللجان البرلمانية في القانون العراقي.

أصبحت الديمقراطية اليوم من سمات الدولة الحديثة، كما يعد البرلمان من أهم معالم المجتمع الديمقراطي، لأنه تجسيد لقيم السيادة الشعبية والحرية والمساواة والمشاركة السياسية، فالبرلمان هو المؤسسة الأكثر ارتباطا بالجمهور وانفتاحا عليها، اذ تدور المناقشات داخليه، وقد أعلن النظام الداخلي

لمجلس النواب العراقي انه على كافة الوزارات الالتزام بالقرارات الاستراتيجية والأمور الإدارية والتعليمات المهنية الصادرة عنه فضلا عن طلب اللجان من الوزراء نسخا من التقارير التي اعدوها في الزيارات الخارجية التي قامت بها اللجان وفي المؤتمرات والاجتماعات الدولية التي اشتركوا فيها، وعلى اللجنة المختصة ان تستوضح الوزير المختص فيما تضمنته هذه التقارير، أو أن تطلب حضور رؤساء هذه الوفود لمناقشتهم فيما جاء في اعمال تلك اللجان[٥]، وقد جاء في نص المادة (٦٩)، من النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي، تشكيل اللجان النيابية الدائمة ابتداء من أول جلسة يعقدها المجلس ويتم التصويت على كل عضو من أعضاء اللجان بشكل فردي ويراعي في تشكيلها رغبة العضو واختصاصه وخبرته[٦]، كما أجاز النظام الداخلي لمجلس النواب للجان مخاطبة اللجان الأخرى داخل المجلس، أو السلطة التنفيذية أو غيرها من الجهات في خارج المجلس عن طريق رئيس اللجنة طبقا للنظام الداخلي الذي يضعه بهذا الشأن، واخبار رئيس المجلس بنسخته من تلك المخاطبات[٧]، كما إجازة المادة (٧٥)، رابعا من النظام الداخلي لمجلس النواب للجان الاستعانة بالخبراء عند الحاجه اليهم وتحديد أجورهم بعد الاتفاق مع رئاسة مجلس النواب[٨]، أذ جاء في المادة (٧٦)، من النظام الداخلي لمجلس النواب، أن يكون للجنة الحق الى دعوة أي عضو من أعضاء المجلس لغرض ابداء الراي في القضايا المعروضة عليها، ولا يحق له التصويت ولها الحق في دعوة أي موظف حكومي بعلم مرجعه أو مختص من غير أعضاء المجلس للاستئناس برايهم ولكل عضو من أعضاء المجلس الحق في حضور اجتماعات اي لجنة بعد استئذان رئيس الجلسة ابداء رايه دون الاشتراك في التصويت[٩]، كما يجوز للجنة وبموافقة أغلبية أعضائها دعوة أي وزير، أو من هو بدرجته للاستضافة مع اعلام رئيس مجلس الوزراء وعلى المسؤول المدعو حضور اجتماع اللجنة خلال سبعة أيام من تاريخ اعلامه بالدعوة واللجنة الحق وبموافقة اغلبية أعضائها دعوة وكلاء الوزراء وأصحاب الدرجات الخاصة من موظفي الحكومة (مدنيين وعسكريين)، مباشرة للاستيضاح وطلب المعلومات مع اعلام رئيس مجلس النواب ورئيس مجلس الوزراء بذلك، وتبادل المعلومات بين الحكومة والمجلس، وللجنة توثيق أي لقاء مع أي مسؤول يدخل ضمن صلاحياتها بشكل موثق صوتيا[١٠]، ووفق المادة (٧٨)، من النظام الداخلي لمجلس النواب يحق للجان أن تطلب تزويدها بالوثائق من الجهات الحكومية والخاصة اذ أجاز النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي للجان الدائمة الطلب بعلم رئاسة مجلس النواب من دوائر الدولة ومنظمات المجتمع المدني تزويدها بالوثائق والمعلومات التي تحتاج اليها[١١]، وفق المادة (٨١)، من النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي يمنح البرلمان اللجان صلاحيات واسعة منها: (أولا: على الرئاسة إحالة الموضوعات بكامل وثائقها الى اللجان لدراستها ومناقشتها واتخاذ التوصيات المناسبة في شانها وأعمالها، ثانيا: تنظيم كل لجنة محضر جلساتها وتثبت أسماء الحاضرين والغائبين من الأعضاء وتدون ما يدور فيها من نقاش واراء وتتخذ قراراتها بالأغلبية وعند تساوي الأصوات يرجح الجانب الذي صوت معه رئيس اللجنة)[١٢]،

كما يحق للجان ممارسة الصلاحيات التحقيقية وتقصي الحقائق وسماع الشهادات من الأشخاص الذين تم استهدافهم من قبل اللجنة لأي وزارة أو دائرة كانت ضمن مسؤولية أعمال تلك اللجان، كما أختط البرلمان في إقرار صلاحيته في اجراء التحقيق بغية تقرير المسؤولية السياسية للحكومة وممارسة الرقابة على أعمال السلطة التنفيذية[١٣]، ونجد أن النظام الداخلي لمجلس النواب قد أجاز في المادة (٨٣) منه على أن يتم تشكيل اللجان المؤقتة ولجان التحقيق بموافقة أغلبية عدد الحاضرين في المجلس بناء على اقتراح من رئيس المجلس ونائبيه، مجتمعين أو من خمسين عضوا من أعضاء مجلس النواب[١٤]، كما منحت المادة (٨٤)، من النظام الداخلي لمجلس النواب للجنة التحقيق صلاحية دعوة تقصي الحقائق فيما هو معروض عليها من قضايا، ويحق للجنة دعوة أي شخص لسماع أقواله على وفق الطرق الأصولية ولها حق الاطلاع على كل ماله علاقة بالقضية المعروضة عليها من دون المساس بالقضايا المعروضة، ولها الحق الاستعانة بالخبراء ويتم تحديد أجورهم بالاتفاق مع رئيس المجلس ونائبيه مجتمعين[١٥]، اذ يعد امرا مستقرا في أغلب الأنظمة الدستورية المقارنة ومنها المادة (١١٤)، من اللائحة الداخلية لمجلس الامة، اذ جاءت المادة نفسها بانه يحق لمجلس الامة في كل وقت أن يؤلف لجان التحقيق أو يندب عضوا أو اكثر من أعضائه للتحقيق في أي أمر من الأمور الداخلية في اختصاص المجلس، ويجب على الوزراء وجميع موظفي الدولة تقديم الشهادات والوثائق والبيانات التي تطلب منهم، ويعد تشكيل اللجان حقا أساسيا لمجلس الامة، الا أن المشروع وضع عليه بعض القيود حتى لا يسرف المجلس باستخدام هذا الحق تجاه الحكومة، مما يجعل الوزراء مجرد أدوات لتزويد المجلس بالبيانات من هذه القيود المحددة[١٦]، منها (أولا: يكون طلب التحقيق مكتوبا وموقعا من خمسة أعضاء على الأقل وقد يزيدون على ذلك، ثانيا: أن ينظر طلب التحقيق في الجلسة المحدودة، ولكن اجازت اللائحة الداخلية تأجيله من قبل الوزير المختص أو رئيس الوزراء لمدة أسبوعين على أن يجاب لهذا الطلب، والتأجيل الأكثر من هذه المدة يكون بقرار من المجلس كافة، ثالثا: يسقط طلب التحقيق بنفس أسباب سقوط طلب المناقشة العامة[١٧]، اذ لم يعالج الدستور العراقي والنظام الداخلي لمجلس النواب العراقي كيفية أداء الشهود لشهاداتهم، بيد ان الامر لا يحول دون اللجوء الى القواعد العامة في القانون ومنها قانون المرافعات المدنية وقانون أصول المحاكمات الجزائية وقانون الاثبات، ما جاء في المادة (١٣) منه: فيما ينسجم وطبيعة اللجنة البرلمانية وصلاحياتها في استدعاء وطلب المعلومات ضمن الية دستورية وقانونية تحكم هذه اللجان في الحصول على المعلومات[١٨] ، لذلك حدد النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي أسلوبا جديدا لعقد اجتماعات اللجان البرلمانية بموجب المادة (٧٥)، منه، على طريقة اتخاذ القرارات داخل لجان مجلس النواب العراقي، وذلك بان تتخذ اللجان قراراتها بالأغلبية المطلقة لعدد أعضائها وترفع قرارتها، لرئاسة مجلس النواب بتوقيع رئيس اللجنة، او نائبة، او أعضاء اللجنة او مقررها[١٩]، ولم يشر

النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي الى طريقة التصويت الالكتروني سواء، فيما يخص قرارات البرلمان، او لجانه المختصة، خلافا لما جرى عليه العمل في الأنظمة البرلمانية المقارنة اذ تلزم اللجان ان تقدم تقريرا سنويا لعمل هذه اللجان[٢٠]، كما الزم النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي وضمن اعمال المجلس الداخلية والمختصة بأعمال اللجان البرلمانية، انه على كل لجنة ان تقدم تقريرا الى المجلس عن كل موضوع يحال اليها بغض النظر عن ماهية ذلك الموضوع، ويجب ان يشتمل التقرير على الإجراءات التي قامت بها اللجنة، والأسباب التي استندت اليها في رايها وترفق بتقريرها نصوص المشروعات، او التشريعات محل التقرير و مذكراتها الايضاحية، ويجب ان يتضمن التقرير الآراء المخالفة والآراء التي طرحت من قبل أعضائها في تلك المواضيع[٢١]، اذ ان جلسات اللجان البرلمانية تكون غير علنية، ولا يجوز حضورها الا لأعضائها وغيرهم من أعضاء المجلس والموظفين في اللجنة ومن تستعين بهم من المستشارين والخبراء وأعضاء الحكومة ولا يجوز ان يحضر ممثلون الصحافة وغيرها من وسائل الاعلام اجتماعات اللجان الإباذن من رئيس اللجنة[٢٢]، كما الزم النظام الداخلي لمجلس النواب الجهات كافة بان تودع نسخ من القرارات الصادرة عن رئاسة الجمهورية وقرارات مجلس الوزراء لدى مكتبة مجلس النواب، وتودع هذه النسخ تحت تصرف لجان المجلس المختلفة وعلية، فان أهمية الأنظمة الداخلية للمجالس النيابية، تتجلى في كونها الأداة الرئيسية في تنظيم سير اعمال المجلس الداخلية[٢٣]، ووفقا للمادة (٨٧)، من النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي تم تحديد عمل اختصاصات اللجان الدائمة في مجلس النواب، ومنها: أولا: ان تكون لكل لجنة دائمة اقتراح القوانين ذات العلاقة باختصاصاتها وفقا للضوابط التي ينص عليها هذا النظام، ثانيا: تتولى كل لجنة من اللجان الدائمة دراسة مشروعات القوانين المتعلقة باختصاصاتها وابداء الرأي فيها وغير ذلك من الموضوعات التي تحال اليها من رئيس المجلس ونائبيه، وان يكونوا مجتمعين مع دراسة الأمور والمتعلقة بالاختصاصات المبنية في هذا النظام، ثالثا: الواجب على كل لجنة متابعة ومراقبة حفظ التوازن في المؤسسات ذات العلاقة بالموضوعات المحالة اليها، رابعا: للجان الدائمة في حدود اختصاصاتها ممارسة المهام التالية: (١-متابعة الأنظمة والتعليمات الصادرة عن مجلس الوزراء والوزارات لتسهيل تنفيذ احكام القوانين النافذة ومتابعة التأخير الحاصل في التنفيذ، ٢-متابعة الوزارات والجهات غير المرتبطة بوزارة والجهات المعنية بتنفيذ أي قانون يتم تشريعه من ضمنها قانون الموازنة المالية العامة في الجانبين الفني والمالي، ٣-عقد جلسات الاستماع الرقابية والتشريعية من اجل متابعة سير تلك الاعمال المناطة بها[٢٤].

يظهر للباحث مما سبق: ان اللجان البرلمانية القوية ودون مبالغة الأداء الفعالة ومفتاح تيسير العمل البرلماني او تلعب دور أساسي في العلاقة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، وكذلك الاستعانة بالخبرات المتصلة بالموضوعات المطروحة وتشجيع تبادل المعلومات، اذ استقر الوضع في (دستور جمهورية العراق ٢٠٠٥)، في البحث على أساس تنظيم احكام اللجان البرلمانية او تقارب الهيكل الإداري

للجان، أي انه يجب تفعيل دور اللجان في اقتراح مشروعات القوانين ولا يقتصر دورها على دراسة وبحث مقترحات ومشروعات القوانين التي تحال من الأعضاء والحكومة، بل يتوسع ويشمل مجموعات كبيرة من المسؤوليات والمهام المتعددة الأخرى، فمنها أيضا تقوم هذه اللجان في مراقبة أداء السلطة التنفيذية وتقديم التقارير والاستنتاجات والتوصيات، والعمل على اجراء التحقيق، والعمل في المشاركة في السياسات العامة للدولة، أي انها أداة أساسية في العمل البرلماني، اذ تساهم في تعزيز الشفافية في المساءلة والمشاركة الشعبية في ضرورة صنع القرار البرلماني.

ثانيا: هيئة أعضاء لجنة التربية والتعليم النيابة للمدة ٢٠٠٦-٢٠١٠.

شهد العراق احداثا مختلفة لاسيما في تلك الأعوام ادات بدورها الى احداث تغيرات جذرية في العملية التربوية، وذلك من خلال احداث، التغييرات السياسية والاجتماعية التي شهدها العراق بين عامي (٢٠٠٦-٢٠١٠)، لذلك برزت لجنة التربية والتعليم في مجلس النواب العراقي، كهيئة تشريعية مركزية تهدف الى إعادة هيكلية وتطوير منظومة التعليم الوطنية، اذ تضمنت مهام تلك اللجنة دراسة مشاريع القوانين والسياسات التعليمية، والاشراف على تنفيذها، بالإضافة الى متابعة أداء وزارة التربية والتعليم العالي، وقد تكونت هذه اللجنة من نواب لديهم اهتمام عميق، بالقضايا التعليمية، لذلك عملوا على مواجهة التحديات التي اثرت على القطاع العام للتعليم، مثل تحديث المناهج، وتحسين البنية التحتية التعليمية، ودعم المعلمين والملاكات التربوية، سعيا لبناء قاعدة تعليمية راسخة تخدم اهداف التنمية الوطنية، لذا قرر مجلس النواب العراقي تشكيل عدد من اللجان البرلمانية التي تتخصص في كل موضوع من المواضيع التي تكون من اهتمام المجلس، وقد صدر في ظل دستور (٢٠٠٥)، النافذ في النظام الداخلي لمجلس النواب، وخصص أنواعها ووظائفها وعلى ضوء ذلك شكلت اللجنة بناءا على طلب هيئة الرئاسة لجنة الفلسفة والاهداف التربوية وقد تم اختيار أعضاء لهذه اللجنة والمعروفة بالجنة التربية والتعليم العالي[٢٥]، لذلك تسلم العديد من أعضاء مجلس النواب العراقي ومن مختلف الكتل النيابية المواقع الرئاسية منها (رئيس اللجنة، ونائب رئيس اللجنة، ومقرر اللجنة)، وقد عملوا في لجنتي التربية والتعليم العالي خلال الدورات الانتخابية الثلاثة الممتدة من (٢٠٠٦-٢٠١٨)[٢٦]، ففي بداية الشروع بتشكيل هذه اللجان البرلمانية وتحديدا (لجنة التربية والتعليم العالي)، عمل مجلس النواب العراقي المتمثل برئاسة المجلس محمود المشهداني[٢٧]، خلال انعقاد الجلسة رقم (١٦)، من عام ٢٠٠٦، بتشكيل اللجان النيابية ومنها لجنة التربية والتعليم العالي ودمجها بالجنة واحدة، وقد تم التصويت على أعضاء اللجنة المشكلة بهذا الخصوص بالأغلبية المطلقة[٢٨]، وقد كان الحد الأعلى لعدد الأعضاء في لجنة التربية والتعليم العالي في الدورة البرلمانية الأولى من ضمن المقرر في النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي وهو (١٥)، عضوا[٢٩]، وتم الاعتماد على ما ورد في الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥، وتأكيدا لمبادئ وقيم الدين

الإسلامي الحنيف باعتباره دين الدولة الرسمي ولبناء عراق جديد ديمقراطي نيابي تعددي اتحادي موحد واشراك جميع الطوائف والأديان في العملية السياسية والقرار السياسي، ولأهمية الإشارة الى فلسفة ومهام العملية التربوية والتعليمية ضمن مسيرة العراق الجديد التي تهدف الى إزالة ثقافة التمييز العنصري والطائفي واحتكار السلطة، وعدم احترام الراي الاخر، ولأجل ترسيخ ثقافة الحوار واحترام حقوق الانسان وسيادة القانون ومبدا تكافؤ الفرص والمواطنة والمساواة الفعلية في الواجبات والحقوق، واعتمادا على النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي تم الشروع بدمج لجنة التربية والتعليم العالي والبحث العلمي بلجنة واحدة [٣٠]، اذ تتمتع لجنة التربية والتعليم العالي بملاكات يتراوح عدد موظفيه من (٣-٩)، موظفين يؤدون المهام الإدارية الضرورية، لغرض متابعة أعمال اللجنة بما يتسنى للسادة النواب أعضاء اللجنة بأداء واجباتهم ومهامهم على أكمل وجه وبكل انسيابيه، بدءا من الدعوة الى الاجتماعات وإبلاغ ذوي الشأن بهذه الاجتماعات وتوزيع مشاريع القوانين والوثائق الاصولية، وصياغة واعداد المحاضر والتقارير والمخاطبات الرسمية، وتقديم المساعدة الضرورية لأعضاء اللجنة والموطنين، ويدير هذه السكرتارية موظف يكون مسؤولا امام رئيس اللجنة والأعضاء من جهة وامام رئاسة مجلس النواب من جهة اخرى[٣١]، كما تبين من خلال الجلسة الأولى لمجلس النواب العراقي الخاصة بتشكيل أعضاء لجنة التربية والتعليم في مجلس النواب العراقي في الجلسة المرقمة (١٦)، وفي ادناه أعضاء لجنة التربية والتعليم النيابية للدورة الانتخابية الأولى(٢٠٠٦-٢٠١٠)، ونتمائهم السياسي من خلال الجدول رقم (٢٢)[٣٢].

ت	اسم النائب	محل الميلاد	سنة التولد	القومية- الديانة
١	علاء مكي عبد الرزاق القر غولي	بغداد	١٩٥٥	عربي- مسلم
-المحافظة – بغداد. -التحصيل الدراسي – شهادة بكالوريوس طب. -الدورة الانتخابية – (٢٠٠٦-٢٠١٠). -اللجنة البرلمانية – رئيس لجنة التربية والتعليم. -الكيان السياسي – الحزب الإسلامي العراقي.				

٢	مخلص بلاسم سعدون الزاملي	ذي قار	١٩٦٧	عربي- مسلم
-المحافظة – ذي قار. -التحصيل الدراسي – شهادة بكالوريوس- تربية. -الدورة الانتخابية – (٢٠٠٦-٢٠١٠). -اللجنة البرلمانية – نائب رئيس لجنة التربية والتعليم.				

–الكيان السياسي – حزب الدعوة الإسلامي.

٣	زيان أنور رشيد ميران	أربيل	١٩٧٣	كردي – مسلم
–المحافظة – أربيل. –التحصيل الدراسي – شهادة دكتوراه هندسة. –الدورة الانتخابية – (٢٠٠٦– ٢٠١٠). –اللجنة البرلمانية – مقرر لجنة التربية والتعليم. –الكيان السياسي – الحزب الديمقراطي الكردستاني.				

٤	هاشم رضا علي الخطيب	كربلاء	١٩٧١	عربي – مسلم
–المحافظة – كربلاء المقدسة. –التحصيل الدراسي – شهادة بكالوريوس أدأب. –الدورة الانتخابية – (٢٠٠٦– ٢٠١٠). –اللجنة البرلمانية – عضو لجنة التربية والتعليم. –الكيان السياسي – مستقل.				

٥	مجيد خير الله راهي الزاملي	واسط	١٩٧٤	عربي – مسلم
–المحافظة – واسط. –التحصيل الدراسي – شهادة دكتوراه لغة عربية. –الدورة الانتخابية – (٢٠٠٦ – ٢٠١٠). –اللجنة البرلمانية – عضو لجنة التربية والتعليم. –الكيان السياسي – المجلس الاعلى الإسلامي العراقي.				
٦	بلقيس كولي محمد	بغداد	١٩٦٣	عربية – مسلمة
–المحافظة – بغداد. –التحصيل الدراسي – شهادة البكالوريوس – أدأب. –الدورة الانتخابية – (٢٠٠٦– ٢٠١٠) –اللجنة البرلمانية – عضو لجنة التربية والتعليم. –الكيان السياسي – التيار الصدري.				

٧	منى حسين عبد علي فرمان	المثنى	١٩٦١	عربية – مسلمة
-المحافظة – المثنى.				
-التحصيل الدراسي – شهادة البكالوريوس.				
-الدورة الانتخابية – (٢٠٠٦-٢٠١٠).				
-اللجنة البرلمانية – عضو لجنة التربية والتعليم.				
-الكيان السياسي – تيار شهيد المحراب – منظمة بدر.				

٨	خليل جدوع عطيه الشيحاوي	الانبار	١٩٦٧	عربي – مسلم
-المحافظة – الانبار.				
-التحصيل الدراسي – شهادة دكتوراه علوم إسلامية.				
-الدورة الانتخابية – (٢٠٠٦-٢٠١٠).				
-اللجنة البرلمانية – عضو لجنة التربية والتعليم.				
-الكيان السياسي – مجلس الحوار الوطني.				

٩	رجاء حمدون عبد الله محمد العبيدي	نينوى	١٩٦٩	عربية – مسلمة
-المحافظة – نينوى.				
-التحصيل الدراسي – شهاد البكالوريوس.				
-الدورة الانتخابية – (٢٠٠٦-٢٠١٠).				
-اللجنة البرلمانية – عضو لجنة التربية والتعليم.				
-الكيان السياسي – الحزب الإسلامي العراقي.				
١٠	عابد احمد دخيل الطائي	بغداد	١٩٧٢	عربية – مسلم
-المحافظة – أربيل.				
-التحصيل الدراسي – بكالوريوس ادارب.				
-الدورة الانتخابية – (٢٠٠٦-٢٠١٠).				
اللجنة البرلمانية – عضو لجنة التربية والتعليم.				
-الكيان السياسي – مستقل.				

١١	ليلى علي كرم	بغداد	١٩٧٨	كردية – مسلمة

-المحافظة – أربيل.
-التحصيل الدراسي – بكالوريوس أدأب.
-الدورة الانتخابية – (٢٠٠٦-٢٠١٠).
-اللجنة البرلمانية – عضو لجنة التربية والتعليم.
-الكيان السياسي – الحزب الديمقراطي الكردستاني.

١٢	ليلى ثامر فاخر الموسوي	البصرة	١٩٧٣	عربية – مسلمة
-المحافظة – البصرة.				
-التحصيل الدراسي – بكالوريوس لغة عربية.				
-الدورة الانتخابية – (٢٠٠٦-٢٠١٠).				
-اللجنة البرلمانية – عضو لجنة التربية والتعليم.				
-الكيان السياسي – المجلس الأعلى الإسلامي العراقي.				

١٣	ليلى محمد قهرمان	سليمانية	١٩٦٨	كردية – مسلمة
-المحافظة – أربيل.				
-التحصيل الدراسي بكالوريوس لغة إنكليزية.				
-الدورة الانتخابية – (٢٠٠٦-٢٠١٠).				
-اللجنة البرلمانية – عضو لجنة التربية والتعليم.				
-الكيان السياسي – الاتحاد الوطني الكردستاني.				
١٤	شهيد حسين مطر الجابري	القادسية	١٩٦٤	عربي – مسلم
-المحافظة – القادسية.				
-التحصيل الدراسي – بكالوريوس أدأب جغرافية.				
-الدورة الانتخابية – (٢٠٠٦-٢٠١٠).				
-اللجنة البرلمانية – عضو لجنة التربية والتعليم.				
-الكيان السياسي – حزب الدعوة الإسلامية.				

١٥	أسماء عبد الله صالح	بغداد	١٩٦٩	عربية – مسلمة
-المحافظة – بغداد.				

-التحصيل الدراسي – بكالوريوس علم اجتماع.
-الدورة الانتخابية – (٢٠٠٦-٢٠١٠).
اللجنة البرلمانية – عضو لجنة التربية والتعليم.
-الكيان السياسي – مستقل[٣٣].

يظهر للباحث مما سبق: ان بعض أعضاء اللجنة المشكلة من قبل مجلس النواب جله لا يملكون الشهادات عليا، انما في غالبيتهم حاصلون على شهادة البكالوريوس، ولعل هذا الامر ليس عيبا او سبة، الى ان التخصص في هذا الإطار يعد دافعا وحافزا أكثر أهمية في حقل المعلومة وتشخيصها.

ثالثا: نشاطات واعمال لجنة التربية والتعليم النيابية.

ان لجنة التربية والتعليم لها نشاطات واعمال محورية على مستوى عال، وذلك لأنها تعد احدى اللجان الدائمة في مجلس النواب العراقي، ولها دور محوري في رسم السياسات العامة للمجلس والرقابة المتعلقة بالقطاع التربوي والتعليمي في العراق وقد برزت أهمية هذه اللجنة في ظل التحديات التي واجهها النظام التعليمي في العراق بعد ٢٠٠٦، لا سيما في مجالات تطوير المناهج، وإعادة تأهيل البنى التحتية للمؤسسات التعليمية، والارتقاء بجودة التعليم في مختلف المراحل الدراسية، كما ان عمل اللجان في عموم المجالس النيابية ينصب على محورين اساسيين[٣٤]، هما المحور التشريعي، والمحور الرقابي، فضلا عن الاشراف على عمل الوزارات والمؤسسات المعنية بها، الا ان اهم ما يميز عمل اللجنة على صعيد السياسة التربوية والتعليمية هو انها تهتم بدراسة وتقييم كل ما يتعلق بواقع التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي والمهني في العراق، فضلا تقييم واقع التعليم العالي ومراكز البحث العلمي والسبل الكفيلة بتطويرها ومتابعة المبادرات الدولية المتعلقة بمحور الامية أي محور ما يسمى (الامية التكنولوجية)، والسعي للنهوض بواقع المؤسسات والمناهج والتقنيات بما يتلائم مع مكانة العراق وتاريخه المشرق[٣٥].

ففي بداية تشكيل اللجان البرلمانية للدورة الانتخابية الأولى (٢٠٠٦- ٢٠١٠)، السنة التشريعية الأولى، الجلسة الخامسة عشر والمنعقدة في ٢١ حزيران ٢٠٠٦، اذ تم تأجيل التصويت بخصوص لجنة التربية والتعليم، ولم يتم التصويت على اقرار الجلسة السادسة عشر المنعقدة بتاريخ ٢٥ حزيران ٢٠٠٦[٣٦]، وقد تم استئناف جلسة التصويت وخلال الجلسة السادسة عشر في ٢٥ حزيران ٢٠٠٦، اذ تم التصويت على لجنة التربية والتعليم العالي[٣٧] ، هذا وقد بين النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي في الفصل الثالث عشر اختصاصات تلك اللجان، في المادة (٩٥)، ما نصه تختص هذه اللجان بما يأتي: (أولا- متابعة شؤون التربية والتعليم لجميع مراحله ومناهجه، ثانيا- تطوير الجامعات ومراكز البحث العلمي، ثالثا- تعميم ثقافة التسامح وحقوق الانسان التابعة للمدارس والجامعات العراقية بما يخص الطلبة)، مما لاشك فيه ان التشريعات حينما تسن فلا بد من جهة رقابية تشرف وتتابع الجهات التنفيذية

ومدى التزامها بهذه التشريعات ويكمن دورها في تفعيل وانجاح عمل الحكومة المنبثق عن مجلس النواب العراقي، فقد اسندت المهمة الرقابية الى اللجان ذات الاختصاص، وكان للجنة التربية والتعليم العالي، مسؤولية الرقابة على مؤسسات التربية والتعليم والبحث العلمي بكل محاورها وتشكيلاتها والاشراف على مجمل فعالياتها من خلال اتباع وسائل عدة ومنها استضافة المعنيين وطلب الملفات والاطلاع على سير اعمال تلك المديريات العامة والوزارات الحكومية[٣٨]، كما سعت اللجنة الى تفعيل دورها من خلال فعاليات وانشطة أبرزها استضافة المسؤولين والاستماع الى آرائهم وملاحظاتهم، والاجابة على استفساراتهم المختلفة، وفيما يلي جدول رقم (٢٣)، اذ يوضح عدد جلسات الاستضافة التي قامت بها اللجنة على مدار عمرها التشريعي[٣٩].

ت	تاريخ الاجتماع	مكان الاجتماع	الضيف	الموضوع
١	٢٠٠٦/٩/٢٠	لجنة التربية والتعليم	وزير التعليم العالي (عبد ذياب جزاع جمعة العجيلي).	-مناقشة فتح قنوات الاتصال بين الوزارة واللجنة.
٢	٢٠٠٧/١/١٨	لجنة التربية والتعليم	المدراء العامين في وزارة التربية	-اللقاء بحث المشاكل التي تواجهها الوزارة ومناقشة ميزانية الوزارة لعام ٢٠٠٧.
٣	٢٠٠٧/٧/١٩	لجنة التربية والتعليم	وزير التعليم العالي (عبد ذياب جزاع جمعة العجيلي).	-اللقاء بحث المشاكل التي تواجهها الوزارة في إقرار المناهج، وموضوع الملكات التربوية في الوزارة.
٤	٢٠٠٧/٤/١٢	لجنة التربية والتعليم	وزير التربية (خضير موسى جعفر الخزاعي).	١-مناقشة موضوع المطابع الحكومية العراقية. ٢-إيجاد اليه للتعينات في وزارة التربية. ٣-بحث كيفية تحسين الوضع المعاشي للمعلمين والمدرسين. ٤-إعطاء صلاحيات للمدراء العاميين في الوزارة لتسهيل

				الأمور الإدارية.
٥	٢٠٠٧/٥/١٢	لجنة التربية والتعليم	وزير التعليم العالي (عبد ذياب جزاع جمعة العجيلي).	-مناقشة بعض المتعلقة بالوزارة وبخاصة موضوع الكوادر التعليمية.
٦	٢٠٠٧/٥/١٣	لجنة التربية والتعليم	وزير المالية (باقر جبر جاسم الزبيدي).	-لمناقشة موضوع قانون منحة الطلبة وسلم الرواتب للمعلمين والمدرسين.
٧	٢٠٠٧/١١/١٩	لجنة التربية والتعليم	وزير العلوم والتكنولوجيا (رائد جاهد فهمي صالح). برفقة السيد وكيل الوزير وبعض المدراء العامين في الوزارة	-للاستفسار على سير العمل في الوزارة والمشاكل والمعوقات التي تواجهها الوزارة.
٨	٢٠٠٨/٢/٧	لجنة التربية والتعليم	نقيب المهن الطبية التقنية العراقية (عبد الأمير محسن حسين الشمري). ونائبه.	-بحث موضوع توصيف خريجو التقنيات الطبية والصحية كما وتم مناقشة بعض المشاكل الإدارية والفنية والمالية للتقنيين.
٩	٢٠٠٨/٥/٢٥	لجنة التربية والتعليم	الوكيل الإداري والمالي لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي (محمد عبد عطية السراج). مع عدد من المدراء العامين في الوزارة	-لبحث المشاكل التي تواجهها الوزارة والاطلاع على سير العمل في الوزارة.
١٠	٢٠٠٨/٩/٢٢	لجنة التربية والتعليم	وزير التعليم العالي (عبد ذياب جزاع جمعة العجيلي).	-مناقشة أوضاع طلبة الأقسام الداخلية، وكيفية استحداث مباني جديدة لاستيعاب الاعداد الكبيرة في الكليات.
١١	٢٠٠٩/٢/١٩	لجنة التربية والتعليم	ممثلي وزارة التربية من الدائرة المالية	-مناقشة الموازنة الخاصة بوزارة التربية لعام ٢٠٠٩، والبالغة (٥)

				مليار دولار امريكي، أي النفقات التشغيلية فقط، باستثناء الانفاق الرسمالي على المباني والمعدات.
١٢	٢٠٠٩ /٤/١٥	لجنة التربية والتعليم	وزير التعليم العالي (عبد ذياب جزاع جمعة العجيلي).	١-مناقشة موازنة وزارة التعليم العالي لعام ٢٠٠٩، ومناقشة تقرير الرقابة المالية الخاص بالوزارة. ٢-موضوع اعفاء رئيس الجامعة المستنصرية (د. تقي الموسوي). ٣-وتم مناقشة مشكلة البعثات والزمالات الدراسية وسبل حلها.
١٣	٢٠٠٩ /٤/٢٩	لجنة التربية والتعليم	وفد من وزارة المالية	-مناقشة موضوع منح المخصصات الزوجية والأطفال للمعلمين وكذلك موضوع المتقاعدين، والمدرسين.
١٤	٢٠٠٩ /٥/٢	لجنة التربية والتعليم	رئيس الجامعة المستنصرية، (د-تقي علي الموسوي)	-اعفاء رئيس الجامعة المستنصرية من منصبه وملابسات الحادث.
١٥	٢٠٠٩/٩/١٦	لجنة التربية والتعليم	وزير التربية(خضر موسى جعفر الخزاعي)، ووكيل الوزير عدنان إبراهيم.	-مناقشة ملف التعينات في محافظة ديالى. -مناقشة قضية التدقيق للدفاتر الامتحانية للعام (٢٠٠٩) وكيفية تقديم حلول في عدم التلاعب في الدفاتر الامتحانية. -مناقشة اللجنة لموازنة وزارة التربية والعمل على تبويب الانفاق في هذه الميزانية لتشمل

				أكبر مفاصل التعليم.

وخلال الدورة التشريعية الأولى (٢٠٠٦-٢٠١٠)، أدت لجنة التربية والتعليم العالي دورا مهما في متابعة شؤون التعليم، سواء من خلال الاجتماعات الدورية التي عقدتها لمناقشة السياسات التعليمية، او عبر الرقابة على أداء وزارتي التربية والتعليم العالي والبحث العلمي، اذ تناولت تلك الاجتماعات قضايا جوهرية، منها تطوير المناهج، وواقع البنية التحتية للمدارس والجامعات، ومعالجة مشاكل القبول المركزي؛ وضمان استقلالية الجامعات، فضلا عن مراجعة التشريعات المهمة التي تخص القطاع العام للتعليم، اذ تعد هذه الاجتماعات مرأت للعمل النيابي المتخصص، كما تعكس مستوى التفاعل بين السلطة التشريعية والقطاعات التنفيذية والخدمية، لاسيما في ظل التحديات الأمنية والسياسية والاقتصادية التي واجهت العراق خلال المدة المنصرمة من مسيرة التعليم في البلد، وقد اشتملت أهم الاجتماعات الدورية للجنة التربية والتعليم العالي خلال الدورة التشريعية الأولى، ومن خلال الجدول رقم (٢٤)، يبين اجتماعات لجنة التربية والتعليم العالي خلال المدة (٢٠٠٦-٢٠١٠)[٤٠].

ت	تاريخ الاجتماع	مكان الاجتماع	الموضوع
١	٢٠٠٦/٦/٢٦	بناية مجلس النواب العراقي (لجنة التربية والتعليم).	-مناقشة العمل على توصيف اللجنة .
٢	٢٠٠٦/٦/٢٧	بناية مجلس النواب العراقي (لجنة التربية والتعليم).	-مناقشة اعمال اللجنة .
٣	٢٠٠٦/٧/١٥	بناية مجلس النواب العراقي (لجنة التربية والتعليم).	-مناقشة الجانب الأمني للمعلم.
٤	٢٠٠٦/٧/١٦	بناية مجلس النواب العراقي (لجنة التربية والتعليم).	-مناقشة مواضيع تخص الجانب الأمني والاقتصادي للمعلم. -حل مشكلة السكن للمعلم. -إعادة فتح صندوق التكافل الاجتماعي. -تفعيل دور نقابة المعلمين. -تفعيل نظام التغذية المدرسية.
٥	٢٠٠٦/٩/٢٠	بناية مجلس النواب	-إيجاد الية التواصل بين أعضاء اللجنة

		العراقي (لجنة التربية والتعليم).	والوزارات المعنية. -النظر في قانون الخدمة الجامعية وقانون التعليم العالي. -موضوع المركزية لإدارة الجامعات.
٦	٢٠٠٦/١٠/٣	بناية مجلس النواب العراقي (لجنة التربية والتعليم).	-مناقشة موضوع تطوير المناهج الدراسية. -العمل على توزيع أعضاء اللجنة على لجنتين فرعتين للتربية والتعليم العالي.
٧	٢٠٠٦/١١/٢٨	بناية مجلس النواب العراقي (لجنة التربية والتعليم).	-مناقشة وعرض قوانين استحداث جامعات في العراق بما تخص جامعة (ميسان والمثنى والنهرين).
٨	٢٠٠٧/١/١١	بناية مجلس النواب العراقي (لجنة التربية والتعليم).	-مناقشة ميزانية عام ٢٠٠٧ للتربية والتعليم. -متابعة عمل وزارة العلوم والتكنولوجيا.
٩	٢٠٠٧/١/١٥	بناية مجلس النواب العراقي (لجنة التربية والتعليم).	-متابعة المديريات والاقسام التابعة في المحافظات العراق كافة عن طريق تخصيص كل عضو من أعضاء اللجنة على محافظة او أكثر للتنسيق مع الجهات المعنية. -استضافة وزير التعليم العالي (عبد ذياب العجيلي)، لمناقشة الموازنة لعام ٢٠٠٧.
١٠	٢٠٠٧/٣/١٤	بناية مجلس النواب العراقي (لجنة التربية والتعليم).	-مناقشة قانون المجمع العلمي العراقي. -مناقشة خطة عمل اللجنة وتفاصيل عملها. -مناقشة الية دخول طلبة الصفوف المنتهية لكافة المراحل للامتحانات الوزارة.
١١	٢٠٠٧/٤/٢	بناية مجلس النواب العراقي (لجنة التربية والتعليم).	-طرح موضوع مناقشة قانون المجمع العلمي العراقي.
١٢	٢٠٠٧/٥/٩	بناية مجلس النواب العراقي (لجنة التربية	- استقبال وفد من نقابة المعلمين في مقر

		والتعليم).	اللجنة لدعم المطالب التي يقدموها.
١٣	٢٠٠٧/٦/٦	بناية مجلس النواب العراقي (لجنة التربية والتعليم).	-ضوابط التعيين في وزارة التربية. -مناقشة موضوع مخصصات المعلمين والمدرسين.
١٤	٢٠٠٧/٧/١٨	بناية مجلس النواب العراقي (لجنة التربية والتعليم).	-مناقشة القضايا الواردة الى اللجنة بخصوص أوضاع التربية والتعليم العالي. -استضافة السيد نائب رئيس الوزراء (سلام الزوبعي)، بخصوص قضايا التربية والتعليم. -مفاتحة وزارتي التربية والتعليم بأعلام اللجنة باي تغيير يحدث في مناصب الوزارتين.
١٥	٢٠٠٧/٩/٦	بناية مجلس النواب العراقي (لجنة التربية والتعليم).	-مراجعة قوانين منحة الطلبة الخاصة بطلبة التربية وطلبة التعليم العالي: المحالة الى اللجنة.
١٦	٢٠٠٧/٩/١٨	بناية مجلس النواب العراقي (لجنة التربية والتعليم).	-مناقشة موضوع تحويل دراسة البورد العربي للاختصاصات الطبية من وزارة التعليم الى وزارة الصحة. -طرح ومناقشة مشكلة الأطباء العراقيين خارج العراق.. - من الضروري في إعطاء الفرصة للأساتذة أصحاب الخبرة من المحالين الى التقاعد والحاقهم الى الجامعات كأساتذة متمرسين في أداء أعمالهم والقاء المحاضرات على طلبة الجامعات. - العمل في التأكيد على التحقيق في وثائق المقبولين للدراسة الجامعية.
١٧	٢٠٠٧/١٠/٤	بناية مجلس النواب العراقي (لجنة التربية والتعليم).	-مناقشة مقترح اتفاقية الأطفال العراقيين.
١٨	٢٠٠٧/١٠/٦	بناية مجلس النواب	-مناقشة قانون الخدمة الجامعية، والعمل في

		العراقي (لجنة التربية والتعليم).	جميع تفاصيله لأنه يشمل اهم شريحة تخدم المجتمع والدولة.
٢٠	٢٠٠٧/١٠/٣١	بناية مجلس النواب العراقي (لجنة التربية والتعليم).	-انها مناقشة قانون الخدمة الجامعية. - مناقشة موضوع وأسباب توقف البعثات الدراسية الى الخارج عام ٢٠٠٧. -انصاف حملة الشهادات العليا المتضررين السياسيين.
٢١	٢٠٠٨/١/٥	بناية مجلس النواب العراقي (لجنة التربية والتعليم).	-بعد انها ومناقشة قانون الخدمة الجامعية ومقترحات مجلس الوزراء بشمول الأساتذة بتفاصيل قانون الخدمة.
٢٢	٢٠٠٨/٢/٦	بناية مجلس النواب العراقي (لجنة التربية والتعليم).	-مناقشة مقترح مجلس الوزراء بشمول أساتذة الجامعات بقانون سلم الرواتب.
٢٣	٢٠٠٨/٤/٢٣	بناية مجلس النواب العراقي (لجنة التربية والتعليم).	-مناقشة شمول موظفي وزارة التربية بقانون الخدمة الجامعية. - مناقشة تعديل قانون وزارة التربية العراقية. -نقل اشراف الكلية المفتوحة الى التعليم العالي. -مناقشة موضوع وقضية المطابع العراقية التابعة الى القطاع الحكومي والأهلي في العراق. - العمل على اجراء الامتحانات الوزارية في الجامعات للعام ٢٠٠٨. - مناقشة موضوع اختيار مراكز تصحيح وتدقيق الدفاتر الامتحانية للعام ٢٠٠٨.
٢٤	٢٠٠٨/٥/٢٣	بناية مجلس النواب العراقي (لجنة التربية والتعليم).	-مناقشة مواضيع وأمور تخص الواقع التربوي من الناحية اللوجستية وجاهزية البنى التحتية المدرسية وقواطع المديريات في المحافظات

			العراقية.
٢٥	٢٠٠٨/٧/٢٠	بناية مجلس النواب العراقي (لجنة التربية والتعليم).	-مناقشة قانون المجمع العلمي العراقي. -مناقشة قانون منحة الطلبة للمراحل الابتدائية والمتوسطة والاعدادية والمراحل طلبة الجامعات العراقية بكافة فروعها وتخصصاتها. -مفاتحة الوزارات والمؤسسات المعنية بخصوص الموازنة التكميلية لهذه الوزارات.
٢٦	٢٠٠٩/١/١٥	بناية مجلس النواب العراقي (لجنة التربية والتعليم).	-العمل والتأكيد حول مناقشة قانون محو الامية الذي يخص شريحة مهمة من شرائح المجتمع العراقي.
٢٧	٢٠٠٩/٢/٥	بناية مجلس النواب العراقي (لجنة التربية والتعليم).	- مناقشة قانون التعليم المهني. -العمل على تقييم المدراء العامين في وزارة التربية. -العمل على تحضير ورشة عمل مع السفارة الألمانية.
٢٨	٢٠٠٩/٥/١٧	بناية مجلس النواب العراقي (لجنة التربية والتعليم).	- مناقشة حول وضع الية لأجراء الامتحانات النهائية للطلاب خارج العراق للدراسات الابتدائية والمتوسطة والثانوية. -مناقشة موضوع انتخابات نقابة المعلمين. -وضع الية مهنية للملحق الثقافي للسفارة العراقية في بريطانيا. -مناقشة موضوع البعثات الدراسية. -تشكيل لجنة لعقد مؤتمر لجنة التربية والتعليم مع مجلس المحافظات.
٢٩	٢٠٠٩/٧/٢٢	بناية مجلس النواب العراقي (لجنة التربية والتعليم).	-استضافة وزير التعليم العالي (عبد ذياب العجيلي)، ومناقشة موضوع القبولات في الجامعات العراقية واستيعاب الطلبة من خريجي المراحل الدراسية للصف السادس الاعدادي لسن (٢٠٠٩).

٣٠	٢٠١٠/١/٥	لجنة التربية والتعليم	-مناقشة مشكلة التوصيف الوظيفي لدى وزارة التربية والعمل في الية نظامية للتخصصات وتوظيفها كلا ضمن تخصصه وتوصيفه الوظيفي.
٣١	٢٠١٠/٢/٨	بناية مجلس النواب العراقي (لجنة التربية والتعليم).	-مناقشة موازنة وزارة التربية وموازنة وزارة التعليم العالي للعام (٢٠١٠)[٤١].

رابعا: القوانين التخصصية التي تم اقتراحها في لجنة التربية والتعليم العالي:

لعل هذه المهمة هي محور تشكيل اللجنة الأساسي كون مهمة المجلس عموما هي مهمة تشريعية بالدرجة الأساس أي أنه يسن القوانين والتشريعات التي من أهمها تنظيم العلاقة والتعاطي بين أبناء المجتمع أو بين المجتمع أو بين المجتمع والدولة بشكل عام، ومن أهم ما يسند الى اللجنة من مهام تشريعية هو اعداد ومناقشة مشاريع القوانين المعدة من قبل اللجنة او التي تحال اليها من قبل مجلس الوزراء او أعضاء مجلس النواب او الوزارات والمراكز البحثية ذات الاختصاص[٤٢]، اذ ان من صميم عمل اللجنة هو النظر في المعاهدات والمبادرات الدولية والإقليمية ومدى اهمية هذه الاعمال ومتابعة الإجراءات المترتبة عليها والتي تدخل ضمن نطاق التربية والتعليم العالي في العراق، ناهيك عن مسؤولية مراجعة وتقويم التشريعات السابقة واجراء التعديلات المناسبة عليها بما يتلائم مع مقتضيات النهوض بالنظام التربوي والتعليمي في العراق، وفي ادناه الجدول رقم (٢٥)، يبين أهم المشاريع والقوانين المحالة الى لجنة التربية والتعليم خلال الدورة التشريعية الأولى ومراحل تشريعها (٢٠٠٦-٢٠١٠)[٤٣] .

ت	مشروع قانون	جهة وروده	اللجنة المحال اليها	تاريخ الإحالة	تاريخ المصادقة
١	– قانون التعديل السابع لقانون وزارة التعليم العالي والبحث العلمي رقم (٤٠)، لسنة ١٩٨٨.	وزارة الدولة لشؤون مجلس النواب	لجنة التربية والتعليم.	٢٠٠٦/٨/٢٣	صدق في ٢٠٠٧/٢/٢٢
٢	– مقترح قانون منحة طلبة الجامعات والمعاهد العراقية.	اللجنة القانونية	لجنة التربية والتعليم.	٢٠٠٦/٩/٦	لم يصادق: بسبب عدم الاتفاق عليه مع وزارة التعليم العالي ووزارة المالية من حيث الصرف.
٣	– مقترح قانون توزيع قطع الأراضي على شريحة الأساتذة الجامعيين.	لجنة التربية والتعليم العالي.	لجنة التربية والتعليم.	٢٠٠٦/١٠/٨	لم يصادق : اذ لم يكن هناك تخصيص قطع ارضي مع المحافظات لتخصيص هذه المساحات من الأراضي.
٤	– مقترح قانون تعديل قانون الكليات والجامعات الاهلية المرقم (١٣)، لسنة ١٩٩٦.	مجلس النواب العراقي.	لجنة التربية والتعليم.	٢٠٠٧/٥/٢٨	لم يصادق : بسبب بعض الكليات التي لم تكن من ضمن الجودة العلمية من ،حيث الرصانة واستحصال الموافقات الرسمية: حيث اغلب المعاهد الاهلية كانت غير مجازة.

٥	-مشروع قانون الحوانيت المدرسية.	وزارة الدولة لشؤون مجلس النواب	لجنة التربية والتعليم.	٢٠٠٧/٧/٢٢	صدق في ٢٠٠٩/١٢/٢١
٦	-مشروع قانون تعديل قانون الخدمة المدنية رقم (٢٤)، لسنة ١٩٦٠، المادة (٥٠).	وزارة الدولة لشؤون مجلس النواب	لجنة التربية والتعليم واللجنة القانونية.	٢٠٠٨/٩/١١	صدق في ١١/ ٢٠٠٩/٨
٧	-مقترح قانون الهيأة العليا لمحو الامية الالزامي.	لجنة التربية والتعليم.	اللجنة القانونية، اللجنة المالية	٢٠٠٩/٢/٧	لم يصدق: بسبب كانت هناك مطالبات بان يضمن ضمن عمل الوزارة بفتح مديرية تابعة لوزارة التربية.
٨	-مقترح التعديل الأول لقانون الخدمة الجامعية رقم (٢٣)، لسنة ٢٠٠٨.	لجنة التربية والتعليم.	اللجنة المالية، اللجنة القانونية.	٢٠٠٩/٤/٢٧	لم يصدق: لم يكن هناك تضمين لبعض فقرات القانون الذي يخدم شريحة مهمة من المجتمع العراقي ومن ضمنها فترة التقاعد للأستاذ الجامعي بان يصل الى ٦٥ سنة وبعدها الى التقاعد.
٩	-مشروع قانون وزارة التربية.	لجنة التربية والتعليم.	وزارة الدولة لشؤون مجلس النواب.	٢٠٠٩/٥/٣	لم يصدق: كانت هناك اختلاف حول موضوع

					(١٥٠،٠٠٠) الف، المقطوعة الى المعلمين والكادر التربوي عموما:
١٠	-مقترح قانون المدراس الأهلية في العراق.	مجلس النواب العراقي	لجنة التربية والتعليم، اللجنة المالية، القانونية	٢٠٠٩/٧/١٢	صدق في ٢٠٠٩/٧/٢٦
١١	-مقترح قانون جامعة الامام ابي حنيفة النعمان	مجلس النواب العراقي.	لجنة التربية والتعليم.	٢٠٠٩/٩/١٦	صدق في ٢٠١٠/١/١٣
١٢	-قانون سلم الرواتب للمعلمين والمدرسين.	لجنة التربية والتعليم.	وزارة الدولة لشؤون مجلس النواب.	٢٠٠٩/٩/٢٦	لم يصدق: بسبب اعترض بعض النواب حول القانون لأنه لم يضمن ضمن جدول موازنة ٢٠٠٦ للدولة:
١٣	-مشروع قانون التعديل الثاني لقانون كلية صدام لأعداد الائمة والخطباء والدعاة رقم (١٩)، لسنة ١٩٩٧.	لجنة التربية والتعليم.	لجنة الأوقاف والشؤون الدينية، واللجنة القانونية.	٢٠٠٩/١٠/١	-صدق في ٢٠٠٩/١٠/١

يظهر للباحث مما سبق: انه لابد من تزويد اللجان بكافة الوسائل الفنية اللازمة لقيامها بوظيفتها التشريعية والرقابية، وذلك لغرض أداء اعمالها ويمكنها من ممارسة اختصاصها على أكمل وجه، لذلك تقوم المجالس النيابية على مساندة اللجان في أدائها لمهماتها عن طريق تزويدها بكافة الوثائق والبيانات والمعلومات، والأبحاث والدراسات التي تتضمن نجاحها في دراسة ومناقشة كافة الجوانب والموضوعات التي تساعدها على اعداد التقارير التي تقدمها الى المجلس، ومن خلال اطلاع الباحث على عمل اللجان لاسيما التربية والتعليم، يمكن ان نسجل قصور واضح في توسيع طاقم العمل في اللجان، على أن يشمل

أعضاء اللجنة (مقرر لجنة وباحث قانوني ومساعد اداري)، وتحديد جدول زمني لاجتماعات اللجان والمواضيع التي ينص عليها وانجازها خلال فترة تشريعها، وهو ما يرتبط بأعداد أجندة تشريعية لمجلس محدد، حسب الأولويات المتفق عليها لكل دورة تشريعية قائمة.

الخاتمة :

شكلت لجنة التربية والتعليم لذات المدة أحد الأطر المؤسسية المهمة التي سعت الى معالجة واقع التربية والتعليم في مرحلة اتسمت بالتعقيد السياسي والأمني والتحول المؤسسي، لاسيما بعد العام ٢٠٠٣، فقد اضطلعت اللجنة بدور تشريعي ورقابي وتبادل الأفكار، اذ عكست طبيعة المرحلة ومتطلبات إعادة بناء النظام التعليمي في العراق، لذلك خلصت الدراسة الى مجموعة من الاستنتاجات وهي كالاتي:

أولا: عملت اللجنة على مناقشة عدد من مشروعات ومقترحات القوانين ذات الصلة بالقطاع التربوي والتعليمي.

ثانيا: أسهمت اللجنة في تهيئة البيئة التشريعية للازمة لتنظيم عمل وزارتي التربية والتعليم العالي.

ثالثا: عملت اللجنة على مراجعة بعض التشريعات النافذة بما ينسجم مع المتغيرات الجديدة.

رابعا: عملت اللجنة على التواجد في عمل ومناقشة الموازنة او الموازنات المخصصة لقطاعي التربية والتعليم العالي، من خلال التركيز على ابدأ الملاحظات والمقترحات التي تخص ذات القطاع.

خامسا: كما مارست لجنة التربية والتعليم دورها من خلال عقد الاجتماعات الدورية، وتنظيم جلسات الاستضافة التي شملت وزراء التربية والتعليم العالي، ووكلاء الوزارتين.

سادسا: حرصت اللجنة على حل مشكلات المناهج الدراسية، وأوضاع الأبنية المدرسية، ونقص الملاكات التعليمية، وقضايا الامتحانات وقضايا التسرب المدرسي.

سابعا: عملت اللجنة على متابعة الأداء الإداري والمالي للمؤسسات التعليمية، واسهمت هذه الاستضافات في تشخيص مكامن الخلل وبلورة توصيات قدمت الى رئاسة مجلس النواب العراقي والجهات التنفيذية.

المصادر

أولا: الوثائق المنشورة

١-محاضر مجلس النواب العراقي:

١-محاضر مجلس النواب العراقي، الجلسة رقم (١)، ٢٢ نيسان ٢٠٠٦، الدورة الانتخابية الأولى (٢٠٠٦-٢٠١٠)، مجلس النواب.

٢-محاضر مجلس النواب العراقي، الدورة الانتخابية الأولى، الجلسة رقم (١٦)، من يوم الاحد ، ٢٥/ ٦/ ٢٠٠٦.

٣-محاضر مجلس النواب العراقي، الجلسة رقم (١٦)، الاحد ٢٥ حزيران ٢٠٠٦، بغداد، ٢٠٠٦.

٢-وثائق إنجازات مجلس النواب العراقي:

١-مجلس النواب العراقي، إنجازات ٢٠٠٦، بغداد، ٢٠٠٧.

٢-مجلس النواب العراقي، لجنة التربية والتعليم العالي، الدورة التشريعية الأولى، (٢٠٠٦-٢٠١٠)، تقرير الدورة التشريعية الأولى، بغداد، ٢٠٠٦.

٣-مجلس النواب العراقي، إنجازات ٢٠٠٦، بغداد، ٢٠٠٨.

٤-مجلس النواب العراقي، تقرير الدورة التشريعية الأولى (٢٠٠٦-٢٠١٠)، لجنة التربية والتعليم العالي، الدائرة الإعلامية، بغداد، ٢٠٠٩.

٥-مجلس النواب العراقي، إنجازات (٢٠٠٧، ٢٠١٠)، بغداد ، ٢٠٠٩.

٦-تقرير الدورة التشريعية الأولى، مجلس النواب العراقي، لجنة التربية والتعليم العالي، الدورة التشريعية الأولى، (٢٠٠٦-٢٠١٠)، ٢٠٠٨.

٣-وثائق متنوعة منشورة:

١-النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي، الفصل الثاني عشر، لجان المجلس، الدائرة الإعلامية، ط٩، بغداد، ٢٠٢٣.

٢- المادة (٧٥)، من النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي، بغداد ، ٢٠٢٣.

٣- المادة (٧٦)، _____

٤-المادة (٧٧)، من النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي، بغداد، ٢٠٢٢.

٥- المادة (٧٨)، _____.

٦- المادة (٨١)، من النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي، ط٩، ٢٠٢٣.

٧-المادة (٨٢)، من النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي، بغداد، ٢٠٢٢.

٨- المادة (٨٣)، _____.

٩- المادة (٨٤)، _____.

١٠- المادة (٧٥)، _____.

١١- المادة (١١٦)، _____.

١٢- المادة (١١٥)، _____.

١٣- المادة (٨٧)، _____.

١٤-دليل القوانين العراقية، رقم ٨٣ لسنة ١٩٦٩، المعدل ٢٠٠٨ ، المادة رقم (١٣).

ثانيا: الكتب العربية:

١- عادل حسن دفار، بيانات عن لجنتي التربية والتعليم العالي النيابيتين، ٢٠٠٦-٢٠٢١، مجلس النواب العراقي، دائرة البحوث والدراسات النيابية -قسم البحوث روقة احاطة، ٢٠٢٢.

٢-احمد سيعفان، الأنظمة السياسية والمبادئ الدستورية العامة، ط١، بيروت، ٢٠٠٨.

٣-إسماعيل فاضل حلواص ادم الشمري، الطبيعة القانونية لقرارات مجلس النواب العراقي، (دراسة مقارنة)، كلية القانون -جامعة النهرين، ٢٠١٥.

٤-اثير ادريس عبد الزهرة، مستقبل التجربة الدستورية في العراق، ط١، بيروت، ٢٠١١.

٥-عبد الله عوض المطيري، سلطات مجلس الامة الكويتي تجاه البرنامج الحكومي، كلية الحقوق، جامعة الشرق الأوسط ، عمان -الأردن، ٢٠١٢.

ثالثا: البحوث المنشورة:

١- مها بهجت يونس، دور النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي في تفعيل الأداء البرلماني، بحث منشور في مجلة كلية القانون، جامعة بغداد، المجلد ٣٦، العد٤، ٢٠١٢.

٢-عمار رحيم عبيد، ومحمد مهدي صالح، اللجان البرلمانية ، مجلة البحوث النيابية، العدد الخامس، مجلس النواب العراقي، بغداد، ٢٠٢٣.

ثالثا: شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت)

١-المفوضية العليا للانتخابات، مجلس النواب العراقي، الموقع الرسمي للمفوضية العليا : http://ahabobi.blogspot.com education@parliament.iq

الهوامش:

(١) عادل حسن دفار، بيانات عن لجنتي التربية والتعليم العالي النيابيتين، ٢٠٠٦-٢٠٢١، مجلس النواب العراقي، دائرة البحوث والدراسات النيابية -قسم البحوث روقة احاطة ، ٢٠٢٢، ص١.

(٢) عمار رحيم عبيد، ومحمد مهدي صالح، اللجان البرلمانية ، مجلة البحوث النيابية، العدد الخامس، مجلس النواب العراقي، بغداد، ٢٠٢٣، ص٦٩.

(٣) إسماعيل فاضل حلواص ادم الشمري، الطبيعة القانونية لقرارات مجلس النواب العراقي، (دراسة مقارنة)، كلية القانون – جامعة النهرين، ٢٠١٥، ص٣٣.

(٤) عمار رحيم عبيد، المصدر السابق، ص٦٧.

(٥) اثير ادريس عبد الزهرة، مستقبل التجربة الدستورية في العراق، ط١،بيروت، ٢٠١١، ص٩٥؛ عمار رحيم عبيد، المصدر السابق، ص٧٠.

(٦) النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي، الفصل الثاني عشر، لجان المجلس، الدائرة الإعلامية، ط٩، بغداد، ٢٠٢٣، ص٣٦.

[٧] عمار رحيم عبيد، المصدر السابق، ص٧٥.

[٨] ينظر: المادة (٧٥)، من النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي، بغداد ، ٢٠٢٣، ص٤٠.

[٩] ينظر: المادة (٧٦)، من النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي، ط٩، بغداد، ٢٠٢٣، ص٤١.

[١٠] عمار رحيم عبيد، المصدر السابق، ص٧٠؛ المادة (٧٧)، من النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي، بغداد، ٢٠٢٢، ص٤١.

[١١] ينظر: المادة (٧٨)، من النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي، بغداد، ٢٠٢٢، ص٤١.

[١٢] ينظر: المادة (٨١)، من النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي، ط٩، ٢٠٢٣، بغداد، ص٤٢.

[١٣] عمار رحيم عبيد، المصدر السابق، ص٧١؛ المادة (٨٢)، من النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي، بغداد، ٢٠٢٢، ص٤٢.

[١٤] ينظر: المادة (٨٣)، النظام الداخلي لمجلس النواب، بغداد، ٢٠٢٢، ص٤٢.

[١٥] ينظر: المادة (٨٤)، النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي، بغداد، ٢٠٢٢، ص٤٣.

[١٦] عبد الله عوض المطيري، سلطات مجلس الامة الكويتي تجاه البرنامج الحكومي، كلية الحقوق، جامعة الشرق الأوسط ، عمان –الأردن، ٢٠١٢، ص٦٧.

[١٧] المصدر نفسه ، ص٧٧.

[١٨] التبليغات القضائية (١–يقوم بمهمة التبليغ مباشر والمحاكم ويجوز ان يقوم بها رجال الشرطة او غيرهم ممن يعينهم وزير العدل بتعليمات يصدرها، كما يجوز بأذن من محاكم اجراء التبليغ برسالة رسمية من المحكمة بواسطة البريد الرسمي المسجل المرجع باستثناء تبليغ عريضة الدعوة والحكم: للمزيد ينظر: دليل القوانين العراقية، رقم ٨٣ لسنة ١٩٦٩، المعدل ٢٠٠٨ ، المادة رقم (١٣) ، ص١٢.

[١٩] ينظر: المادة (٧٥)، من النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي، بغداد ، ٢٠٢٢، ص٤٠.

[٢٠] عمار رحيم عبد، المصدر السابق، ص٧٥.

[٢١] ينظر: المادة (١١٦)، من النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي، بغداد، ٢٠٢٢، ص٨٣.

[٢٢] ينظر: المادة (١١٥)، من النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي، بغداد، ٢٠٢٢، ص٨٤.

[٢٣] مها بهجت يونس، دور النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي في تفعيل الأداء البرلماني، بحث منشور في مجلة كلية القانون، جامعة بغداد، المجلد ٣٦، العد٤، ٢٠١٢، ص٢٤٧.

[٢٤] ينظر: المادة (٨٧)، من النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي، بغداد، ٢٠٢٢، ص٤٤.

[٢٥] مجلس النواب العراقي، إنجازات ٢٠٠٦، بغداد، ٢٠٠٧، ص١٩.

[٢٦] عادل حسن دفار، المصدر السابق، ص١.

[٢٧] محمود المشهداني: هو محمود داود سلمان موسى زرير المشهداني، ولد عام ١٩٤٨م، ببغداد، وقد ذكر المشهداني على لسانه اثناء التصويت عليه رئيسا لمجلس النواب العراقي عام (٢٠٠٦)، انه اكمل دراسته الابتدائية والثانوية في بغداد وتحديدا في مدينة الكاظمية، ثم لتحق بكلية الطب عام ١٩٦٦، وحصل على شهادة البكالوريوس ثم تخرج برتبة ملازم اول طبيب عام ١٩٧٢، ليعمل طبيبا في الجيش العراقي، وقد تدرج الى رتبة رائد في الجيش والقي القبض علية قبل الحرب العراقية الإيرانية، وسجن سنتان وافرج عليه عام (١٩٩٣)، ثم بعد الاحتلال ٢٠٠٣، من المؤسسين لكتلة جبهة التوافق وخوض الانتخابات البرلمانية عام ٢٠٠٦، حيث تم انتخابه رئيسا لمجلس النواب العراقي لغاية عام

٢٠٠٩ وقدم استقالته ومن ثم شارك في انتخابات عام ٢٠٢١، انتخب رئيساً للبرلمان في ٣١ /٢٠٢٤/٧، (وقد انتهاء اخر عمل له في رئاسة المجلس بتاريخ ٢٠٢٥/١٢/٢٩) ؛ محاضر مجلس النواب العراقي، الجلسة رقم (١)، ٢٢ نيسان ٢٠٠٦، الدورة الانتخابية الأولى (٢٠٠٦-٢٠١٠)، مجلس النواب، ص٢.

[٢٨] محاضر مجلس النواب العراقي، الدورة الانتخابية الأولى، الجلسة رقم (١٦)، من يوم الاحد ، ٢٥/ ٦/ ٢٠٠٦، ص٨.

[٢٩] مجلس النواب العراقي، لجنة التربية والتعليم العالي، الدورة التشريعية الأولى، (٢٠٠٦-٢٠١٠)، تقرير الدورة التشريعية الأولى، بغداد، ٢٠٠٦، ص٢.

[٣٠] مجلس النواب العراقي، لجنة التربية والتعليم العالي، الدورة التشريعية الأولى، (٢٠٠٦-٢٠١٠)، تقرير الدورة التشريعية الأولى، بغداد، ٢٠٠٦، ص٢-٣.

[٣١] مجلس النواب العراقي، لجنة التربية والتعليم العالي، المصدر السابق، ص٣.

[٣٢] محاضر مجلس النواب العراقي، الجلسة رقم (١٦)، الاحد ٢٥ حزيران ٢٠٠٦، بغداد، ٢٠٠٦، ص٨؛ عادل حسن دفار، المصدر السابق، ص١-٢.

[٣٣] المفوضية العليا للانتخابات، مجلس النواب العراقي، الموقع الرسمي للمفوضية العليا : http://ahabobi.blogspot.com education@parliament.iq

[٣٤] اللجان الدائمة: وقد اوكل لكل منها المهام التي تضطلع بها في مساعدة المجلس للقيام بدوره التشريعي والرقابي، او تقوم اللجان البرلمانية الدائمة داخل المجلس بدور فعال في ترسيخ هذه التشريعات والقوانين المهمة، حيث يحيل رئيس المجلس مشروعات القوانين المقدمة قبل السلطة التنفيذية الى اللجان المتخصصة لدراستها وابداء الراي فيها قبل عرضها على المجلس لمناقشتها، اذ تقدم هذه اللجان تقارير حول أداء الجهاز التنفيذي في مؤسسات الحكومة وتطرح مشاريع ومقترحات حول تفصيل هذا الجهاز حيث اعطى النظام الداخلي للمجلس الحق للجان باقتراح القوانين الى جانب اقتراحات مشروعات القوانين المقدمة من الأعضاء في المجلس، لكل لجنة دائمة الحق باقتراح القوانين ذات العلاقة باختصارها وفقا للضوابط التي ينص عليها هذا النظام: للمزيد ينظر، احمد سيعفان، الأنظمة السياسية والمبادئ الدستورية العامة، ط١، بيروت، ٢٠٠٨،ص ٢٣٨.

[٣٥] تقرير الدورة التشريعية الأولى، مجلس النواب العراقي، لجنة التربية والتعليم العالي، الدورة التشريعية الأولى، (٢٠٠٦-٢٠١٠)، د-ت، ص٥.

[٣٦] مجلس النواب العراقي، إنجازات ٢٠٠٦، بغداد، ٢٠٠٨، ص٢٨.

[٣٧] مجلس النواب العراقي، إنجازات ٢٠٠٦، بغداد، ٢٠٠٨، ص٤٠.

[٣٨] تقرير الدورة التشريعية الأولى، مجلس النواب العراقي (٢٠٠٦-٢٠١٠)، المصدر السابق، ص١٠.

[٣٩] الجدول من اعداد الباحث بالاستناد الى وثائق، مجلس النواب العراقي، تقرير الدورة التشريعية الأولى (٢٠٠٦-٢٠١٠)، لجنة التربية والتعليم العالي، الدائرة الإعلامية، بغداد، ٢٠٠٩، ص١٩.

[٤٠] الجدول من اعداد الباحث بالاستناد الى ، مجلس النواب العراقي، تقرير الدورة التشريعية الأولى، (٢٠٠٦-٢٠١٠)، لجنة التربية والتعليم العالي، الدائرة الإعلامية، بغداد، ٢٠٠٩، ص٢١.

(٤١) الجدول من اعداد الباحث بالاستناد على وثائق، مجلس النواب العراقي، إنجازات (٢٠٠٧، ٢٠١٠)، بغداد ، ٢٠٠٩، ص١٤٦؛ تقرير الدورة التشريعية الأولى (٢٠٠٦-٢٠١٠)، مجلس النواب العراقي، لجنة التربية والتعليم العالي، ص٢٧-٤٠.

(٤٢) تقرير لجنة التربية والتعليم العالي، مجلس النواب العراقي، الدورة التشريعية الأولى (٢٠٠٦-٢٠١٠) ، ص٦.

(٤٣) تقرير لجنة التربية والتعليم ، (٢٠٠٦-٢٠١٠)، المصدر السابق ،ص١٥-١٦.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

أثر برنامج الإصلاح الاقتصادي على قطاع الزراعة في غانا (١٩٨٣-٢٠٠١)

حسام محمد خليل
Husam Muhammad Khalil
hus22h6010@uoanbar.edu.iq
أ.د. حسين حماد عبد
Prof. Dr. Hussein Hammad Abd
ed.hussein.hammad@uoanbar.edu.iq

الاستلام(Received) : ٠٨ /١٢/ ٢٠٢٥ التعديل (Revision) : ١٢/٢٥ / ٢٠٢٥
القبول(Accepted) : ٢٠ /٠١/ ٢٠٢٦ النشر (Published) :٠٩/٣٠ /٢٠٢٦

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص

يعد هذا البحث دراسة وصفية تحليلية لقطاع الزراعة الغاني, الذي عُدَّ أحد أهم أعمدة الاقتصاد في جمهورية غانا إلى جانب قطاع الصناعة الاستخراجية للمعادن, وعلى الرغم من أهمية القطاع قيد الدراسة إلا أنه حظي باهتمام حكومي متفاوت منذ استقلال غانا عن الاستعمار البريطاني في عام ١٩٥٧؛ نتيجة للأوضاع الاقتصادية المتردية في البلاد, والتي أفرزتها كثرة الانقلابات العسكرية, واعتماد البلاد على البضائع الأجنبية, الأمر الذي التفت إليه الرئيس جيري جون رولينغز بعد تسنمه مقاليد حكم البلاد جراء انقلاباً عسكرياً قاده ضد حكومة الرئيس هيلا ليمان, إذ طبقت حكومته برنامجاً جريئاً عُرِفَ بـ "برنامج الإصلاح الاقتصادي" خلال المدة (١٩٨٣-٢٠٠١), وعلى إثر تطبيق ذلك البرنامج أدخلت إصلاحات اقتصادية كبيرة على قطاع الزراعة بجميع مفاصله التي تمثلت بالمحاصيل النقدية كالكاكاو والبُن والكسافا والذرة, والغابات, والثروة الحيوانية.

الكلمات المفتاحية: الزراعة, الإصلاح الاقتصادي, جيري رولينغز , الكاكاو, الغابات, الثروة الحيوانية.

Abstract:

This research is a descriptive and analytical study of the Ghanaian agricultural sector, which, along with the extractive mining sector, is considered one of the most important pillars of the Ghanaian economy. Despite its importance, the sector has received varying levels of government attention since Ghana's

independence from British colonial rule in 1957. This was due to the country's deteriorating economic conditions, resulting from numerous military coups and the country's dependence on foreign goods. President Jerry John Rawlings addressed this issue after seizing power in a military coup against the government of President Hailemariam Desalegn. His government implemented a bold program known as the "Economic Reform Program" during the period 1983-2001. Following the implementation of this program, significant economic reforms were introduced to the agricultural sector in all its aspects, including cash crops such as cocoa, coffee, cassava, and maize, as well as forestry and livestock.

Keywords: Agriculture, Economic Reform, Jerry Rawlings, Cocoa, Forestry, Livestock

المقدمة

شهدت غانا منذ مطلع ثمانينيات القرن العشرين مرحلة مفصلية في تاريخها الاقتصادي، تميّزت باضطرابات مالية وتراجع في الإنتاج الزراعي الذي كان يشكّل العمود الفقري لاقتصاد البلاد منذ الحقبة الاستعمارية, فبانتهاء عقد السبعينيات، واجهت الدولة أزمة اقتصادية خانقة تمثّلت في ارتفاع معدلات التضخم، وانهيار سعر الصرف، وتراجع الإيرادات الحكومية، فضلاً عن الانخفاض الحاد في إنتاج وتصدير محصول الكاكاو، الذي عُدَّ أحد أهم مصادر النقد الأجنبي في غانا, إذ ترافق ذلك مع ضعف البنى التحتية الزراعية، وغياب الحوافز للمزارعين، وهيمنة جهاز حكومي مثقل بالبيروقراطية على تسويق المنتجات الزراعية وأسعاره, و وسط ذلك الوضع المتأزم، وصل الملازم الطيار في القوات المسلحة الغانية جيري جون رولينغز إلى السلطة في عام ١٩٨١، ليدخل الاقتصاد الغاني مرحلة جديدة من السياسات الاقتصادية, ومع ازدياد حدة الأزمة، تبنت حكومة رولينغز، وبدعم من المؤسسات المالية الدولية، **برنامج الإصلاح الاقتصادي** ابتداءً من عام ١٩٨٣، والذي شكّل نقطة تحول رئيسة في تاريخ الإصلاحات الاقتصادية في البلاد, إذ شمل البرنامج حزمة من السياسات الهيكلية الهادفة إلى استعادة الاستقرار الاقتصادي، وإعادة هيكلة القطاعات الإنتاجية، وفي مقدمتها قطاع الزراعة.

وفي إطار تلك الإصلاحات، شرعت الدولة في تحرير التجارة الزراعية، وإعادة هيكلة جهاز تسويق الكاكاو، وتقديم حوافز جديدة للمزارعين، إضافة إلى تحسين البنية التحتية الريفية، وتشجيع الاستثمار

الخاص في الأنشطة الزراعية, ومع دخول عقد التسعينيات، تواصلت الإصلاحات لترسيخ التحول نحو اقتصاد أكثر انفتاحاً وتنافسية، مع محاولة تحقيق توازن بين متطلبات السوق وسياسات التنمية الريفية, وهكذا فإن المدة ١٩٨١–٢٠٠١ مثلت مرحلة حيوية لإعادة تشكيل الاقتصاد الزراعي في غانا؛ إذ شهدت خلالها البلاد انتقالاً تدريجياً من نموذج اقتصادي مركزي التدبير إلى آخر قائم على التحرير الاقتصادي وتعزيز دور القطاع الخاص، وهو ما انعكس بشكل متفاوت على الإنتاج الزراعي، ومستويات المعيشة في الريف، ودور الدولة في إدارة القطاع الزراعي.

المبحث الأول– قطاع الزراعة في غانا بعد الاستقلال (١٩٥٧–١٩٨١):

شَكَّلَ قطاع الزراعة ولاسيما الصادرات من المحاصيل النقدية نسبة كبيرة في تكوين النقد الأجنبي في غانا منذ الاستقلال عن بريطانيا عام ١٩٥٧[١], إذ ساهم القطاع بما نسبته ٨٠ بالمائة في عملية توفير العملة الصعبة[٢], كما ساهم بنسبة ٤٨ بالمائة من الناتج المحلي الإجمالي[٣], فضلاً عن مساهمته في تشغيل ٤٩–٥٧ بالمائة من إجمالي القوة العاملة في البلاد[٤], وذلك خلال المدة (١٩٧٥–١٩٩٠), فمن بين ٢٣,٠٠٠,٠٠٠ هكتار من مجموع أراضي البلاد, استُخدِمَ ١٧,٠٠٠,٠٠٠ هكتار لأغراض زراعية في عام ١٩٧٨[٥], وعُدَّت مياه الأمطار هي الوسيلة الأولى التي اعتمدت عليها الزراعة الغانية في عملية الري, وازدادت كميات الأمطار الساقطة في الجهتين الغربية والساحلية الجنوبية, بيد أنها قلت شمالاً وشرقاً سواء من ناحية كمياتها أو طول فصل سقوطها, لذلك ارتبط تذبذب كميات المحاصيل الزراعية بتذبذب سقوط الأمطار[٦], وهيمن أصحاب الحيازات الصغيرة على الزراعة في غانا, إذ شكلوا نحو ٩٥ بالمائة من إجمالي العاملين في القطاع الزراعي, وبلغ متوسط مساحة تلك الحيازات نحو هكتارين (خمسة أفدنة), وقامت بعض الشركات التجارية والمؤسسات العامة والتعاونيات ببعض الأعمال الزراعية على نطاق أوسع, لكن مساهمتها في إجمالي الناتج الزراعـي كانت قليلة[٧].

عانى قطاع الزراعة في جمهورية غانا بين عقدي الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين من مشكلات عديدة, فبعد أن كانت نسبة الاكتفاء الذاتي من الطعام ٨٣ بالمائة في عام ١٩٦٥, تدهورت إلى نحو ٧١ بالمائة في عام ١٩٧٩, ثم وصلت النسبة إلى نحو ٦٠ بالمائة عشية تولي الرئيس جيري رولينغز مقاليد الحكم, ومرد ذلك الانحدار إلى عدة عوامل, في مقدمتها زيادة الطلب على المحاصيل؛ نتيجةً لزيادة عدد السكان, و نسبة الجفاف الشديد الذي زادت وتيرته منذ عام ١٩٧٩, وما ترتب عليه من حرائق أدت إلى إتلاف كميات كبيرة من المحاصيل الزراعية, إذ ساعد على ذلك هبوب ما عُرِفَ برياح "**الهارمتان**"[٨], إلى جانب تدهور طرق النقل, ونقص المدخلات الزراعية مثل البذور, والأسمدة, والمبيدات, والعمالة الماهرة[٩], ويمكن القول كذلك أن توجه المزارعين نحو زراعة المحاصيل النقدية ذات المردود المالي الأعلى مثل: الكاكاو, والبُن, والقطن, ساعد على زيادة مشكلة نقص السلع الغذائية[١٠].

انتهجت حكومة الرئيس ليمان التي سبقت حكومة مجلس الدفاع الوطني, استراتيجية إنمائية اعتمدت على قطاع الصناعة, وفرض ضرائب باهظة على قطاع الزراعة؛ لتمويل نفقات الحكومة, فضلاً عن تحديد أسعار المحاصيل بطريقة لم تناسب أتعاب المزارعين, مما أدى إلى تدني مستوى الإنتاج الزراعي, ولاسيما إنتاج محصول الكاكاو, الذي عُدَّ من أهم مصادر توفير النقد الأجنبي في البلاد(١١), فأصبحت ظاهرة تهريب الكاكاو من قبل المزارعين إلى دول الجوار أمراً شائعاً, إذ كان يباع في الأسواق الخارجية بأسعار مرتفعة بشكل كبير مقارنة بأسعاره داخل جمهورية غانا, لذلك سعت حكومة الرئيس جيري رولينغز خلال تنفيذها لبرنامج الإصلاح الاقتصادي إلى عودة الاستقرار للقطاع الزراعي كخطوة أولى في طريق إصلاح الأوضاع الاقتصادية(١٢).

المبحث الثاني – إصلاحات الحكومة لتحسين إنتاجية المحاصيل الزراعية:

أولاً- محصول الكاكاو: انتشرت زراعة محصول الكاكاو(١٣) بجنوب وغرب وشرق غانا؛ نظراً لحاجة المحصول لدرجة حرارة مرتفعة و رطوبة عالية, بينما قل إنتاجه في الشمال؛ بسبب هبوب الرياح القارية الجافة على ذلك الجزء, والتي سببت فقد المحصول للماء(١٤), وعُدَّ الكاكاو مصدر دخل لأكثر من ٨٠٠,٠٠٠ أسرة منتجة له(١٥), و أنتجت غانا نوعان رئيسان منه, أحدهما أُطلِقَ عليه اسم كريللو (Crilelo), وهو من أجود أنواع الكاكاو, إذ مثل نسبة ٣٠ بالمائة من إنتاج الكاكاو الغاني, والنوع الآخر الذي عُرِفَ بالفورستيرو (Forestero), والذي مثل ٧٠ بالمائة من الإنتاج, وبشكل عام مثل المحصول نسبة تراوحت بين ٦٠-٧٠ بالمائة من إجمالي حصيلة الصادرات بجمهورية غانا خلال مدة الدراسة, كما إن إنتاجه مثل نحو ٢٤ بالمائة من القيمة المضافة للناتج الزراعي, لذلك قدم فرص عمل لنحو ٢٤ بالمائة من القوة العاملة في البلاد(١٦).

احتلت جمهورية غانا مطلع عام ١٩٨١ المركز الثالث عالمياً في إنتاج الكاكاو, بعد كل من ساحل العاج والبرازيل, اللتان أنتجتا إلى جانب غانا ونيجيريا والكاميرون نحو ٨٠ بالمائة من الإنتاج العالمي(١٧), وعُدَّت سياسة التدخل الحكومي في تسعير محصول الكاكاو من الأسباب المباشرة التي أدت إلى تراجع غانا إلى المركز الثالث عالمياً, بعد أن كانت تحتل المركز الأول خلال السبعينيات, إذ أدت تلك السياسة إلى فقدان الحافز المادي لدى المزارعين للاستمرار في زراعة المحصول, مما دفعهم إلى زراعة أنواع أخرى من المحاصيل النقدية(١٨).

سَعَت حكومة مجلس الدفاع الوطني لإيجاد حلول تعالج من خلالها انخفاض إنتاج الكاكاو, الذي تدنى من ٤٥٠,٠٠٠ طن في عام ١٩٦٥ إلى ١٥٠,٠٠٠ طن في عام ١٩٨٢(١٩), لذلك نفذت بعض الإصلاحات المالية والإدارية؛ لتعويض مزارعي الكاكاو قيمة خفض العملة, التي أثرت على أسعار محاصيلهم, فدفعت للمزارعين أسعاراً أعلى من تلك التي كانوا يتقاضونها من خلال التهريب إلى دول

الجوار, ففي الوقت الذي دفعت فيه الحكومة الغانية مبلغ ١٢,٠٠٠ سيدي للطن الواحد, كان المزارع الغاني يبيعه لحكومتي توغو وكوت ديفوار بنحو ٤٠,٠٠٠ سيدي[٢٠].

ساعد إجراء زيادة أسعار الكاكاو من قبل حكومة مجلس الدفاع الوطني على وضع حد لظاهرة تهريبه, كما خفضت من نسب الضرائب التي فرضت على تصدير ذلك المحصول, فضلاً عن أنها ملكت للمزارعين مزارع الكاكاو التابعة للدولة في مناطق برونج أهافو, وفولتا, والوسطى, والشمالية, والغربية[٢١], وعوضتهم مالياً عن تلك الخسائر التي تكبدوها بسبب فقدانهم لأشجار الكاكاو التي أُصيبت بفيروس البراعم المتورمة (Swollen Shoot) الذي انتشر في غرب أفريقيا أوائل ثمانينيات القرن العشرين[٢٢], ففي إحدى الخطابات التي وجهها الرئيس جيري رولينغز لمزارعي الكاكاو في عام ١٩٨٣, ذكر: "**أن الكاكاو ومنتجات الغابات تشكل نحو ٧٥ بالمائة من إجمالي عائدات صادراتنا ... ومن خلال منتجاتكم نستطيع شراء السيارات والشاحنات والبنزين والكيروسين والكبريت والصابون والسكر**"[٢٣].

بتأريخ ٨ حزيران ١٩٨٤ قررت حكومة مجلس الدفاع الوطني أن تُكَلِف مجلس تسويق الكاكاو (Ghana Cocoa Board), الذي تأسس في عام ١٩٧٩ بتولي أمر شؤون الكاكاو, فأصبح مجلس التسويق هو المسوق الرئيس للمحصول, والمسؤول كذلك عن حماية مزارعي الكاكاو, وفرض الضرائب المناسبة عليهم, كما تولى مهمة نقل الكاكاو من المزارع إلى المستودعات والبواخر؛ لغرض تصديره[٢٤], ثم قام المجلس في عام ١٩٨٥ بإصلاح حوالي ٣٠٠٠ كيلو متر من الطرق الرابطة بين المزارع والموانئ؛ لتسهيل عملية النقل, و زود المزارعين بشتلات الكاكاو الجديدة؛ لتحل محل الأشجار التي فُقِدَت أثناء الحرائق والجفاف, والأشجار ذات الغلة المنخفضة, التي تجاوز عمرها الثلاثين عاماً, إلى جانب تزويد المزارعين بالأسمدة, والمبيدات الحشرية[٢٥], وفي محاولة لإعادة هيكلة إدارة مجلس تسويق الكاكاو, قرر المجلس بتأريخ ١٩ آب ١٩٨٥ تسريح ١٢,٠٠٠ من موظفيه غير الضروريين, و أوقف عمل ٥٢ مزرعة غير منتجة؛ وذلك بهدف خفض النفقات غير الضرورية, الأمر الذي انعكس إيجاباً على تحسين وضع مـــزارعي الكاكاو ذوي الانتاجية العالية[٢٦].

أدت تلك الإصلاحات إلى تعافي محصول الكاكاو تدريجياً, إذ سجل موسم حصاد (١٩٨٦-١٩٨٧) ٢٢٧,٠٠٠ طن, ثم ازداد إلى ٣٠٠,٠٠٠ طن خلال موسم (١٩٨٨-١٩٨٩)[٢٧], بيد أنه تراجع إلى ٢٤٢,٠٠٠ طن خلال موسم (١٩٩١-١٩٩٢)؛ بسبب عودة ظاهرة الجفاف, وتراجع أسعار الكاكاو عالمياً[٢٨], وذلك ما دفع حكومة حزب المؤتمر الوطني الديمقراطي, بعد فوز الحزب في انتخابات عام ١٩٩٢ إلى فتح باب الشراء والتصدير بالنسبة لمحصول الكاكاو لتجار القطاع الخاص أوائل عام ١٩٩٣, بعد أن كانت تلك العملية حكراً على مجلس تسويق الكاكاو, إذ كان الهدف من تلك الخطوة هو

زيادة المنافسة بين التجار لزيادة أسعار المحصول, وبالتالي رفع الحافز لدى الفلاحين على الاستمرار في زراعته[٢٩].

عاد محصول الكاكاو إلى التعافي؛ نتيجةً لزيادة كميات الأمطار الساقطة, و انتهاء موسم الجفاف, فسجل نحو ٣١٢,٠٠٠ طن خلال موسم (١٩٩٢-١٩٩٣), ثم ارتفع إلى ٤٠٠,٠٠٠ طن خلال موسم (١٩٩٥-١٩٩٦), و ذلك ما أسهم في زيادة إيرادات الدولة المالية[٣٠], ففي عام ١٩٩٨ شكل محصول الكاكاو بمفرده نسبة ٤,٩ بالمائة من الناتج المحلي الإجمالي بالنسبة لقطاع الزراعة[٣١], ويوضح الجدول التالي كميات إنتاج محصول الكاكاو, وأسعار شراء المحصول محلياً, وأسعار التصدير شاملة لتكلفة الشحن خلال المدة (١٩٨٣-٢٠٠١)[٣٢].

الجدول رقم (١٠)

الموسم الزراعي	كمية الإنتاج (بالطن)	سعر الطن (بالسيدي)	سعر التصدير شامل الشحن (بالسيدي)
١٩٨٣-١٩٨٤	١٥٨,٩٥٦	٢٠,٠٠٠	٥٩,١٣١
١٩٨٤-١٩٨٥	١٧٤,٨٠٩	٣٠,٠٠٠	١٠٨,٧٣٣
١٩٨٥-١٩٨٦	٢١٩,٠٤٤	٥٦,٠٠٠	٢٠٦,٦٦٢
١٩٨٦-١٩٨٧	٢٢٧,٧٦٥	١٤٠,٠٠٠	٣١٣,٧١٧
١٩٨٧-١٩٨٨	١٨٨,١٧٧	١٦٥,٠٠٠	٤٣١,٥١٣
١٩٨٨-١٩٨٩	٣٠٠,١٠١	١٧٤,٠٠٠	٤١١,٥١١
١٩٨٩-١٩٩٠	٢٩٦,٠٥١	٢٢٤,٠٠٠	٤١٥,٩٣٥
١٩٩٠-١٩٩١	٢٩٣,٣٥٢	٢٥١,٠٠٠	٤٩٢,٠٥٩
١٩٩١-١٩٩٢	٢٤٢,٨١٧	٢٥١,٠٠٠	٥١٤,٧٥٩
١٩٩٢-١٩٩٣	٣١٢,١٢٣	٢٥٨,٠٠٠	٥٤٨,٩١٣
١٩٩٣-١٩٩٤	٢٥٤,٦٥٣	٣٠٨,٠٠٠	١,٠٠٩,٩٩٥
١٩٩٤-١٩٩٥	٣٠٩,٤٥٥	٧٠٠,٠٠٠	١,٦٦٤,٩٩٩
١٩٩٥-١٩٩٦	٤٠٣,٨٧٢	٨٤٠,٠٠٠	٢,٠٩٨,٦٧١
١٩٩٦-١٩٩٧	٣٢٢,٤٨٨	١,٢٠٠,٠٠٠	٢,٣٧٢,٩٤٢
١٩٩٧-١٩٩٨	٤٠٩,٣٦٠	١,٨٠٠,٠٠٠	٣,٣٣٥,٠٠٠
١٩٩٨-١٩٩٩	٣٩٧,٣٦٣	٢,٢٥٠,٠٠٠	٤,١٦٦,٦٦٧
١٩٩٩-٢٠٠٠	٤٣٦,٩٤٦	٢,٢٥٠,٠٠٠	٣,٥١٥,٦٢٥
٢٠٠٠-٢٠٠١	٤٤٠,٨٤٧	٢,٣٢٠,٠٠٠	٣,٥١٨,٣٢٩

يتضح من الجدول السابق أن هناك تذبذب في كميات إنتاج الكاكاو خلال مدة الدراسة؛ و ربما يعزى سبب ذلك إلى تذبذب كميات الأمطار الساقطة, نظراً لاعتماد ٧٠ بالمائة من أراضي غانا الزراعية على مياه الأمطار, لكن في المجمل كانت هناك زيادة ملحوظة في الإنتاج, إذ ارتفع من ١٥٨,٩٥٦ طن خلال موسم حصاد (١٩٨٣-١٩٨٤) إلى ٤٤٠,٨٤٧ طن خلال موسم (٢٠٠٠-٢٠٠١), كما يوضح الجدول رغبة الحكومة الكبيرة في حماية محصول الكاكاو من التهريب, من خلال منحها للمزارعين أسعار مجزية, فبينما كانت تدفع للفلاح نحو ٢٠,٠٠٠ سيدي للطن الواحد خلال موسم حصاد (١٩٨٣-١٩٨٤), دفعت ٢,٣٢٠,٠٠٠ سيدي خلال موسم (٢٠٠٠-٢٠٠١), فضلاً عن دعم الحكومة لأسعار تصدير المحصول.

ثانياً- المحاصيل النقدية الأخرى :

أولت حكومة مجلس الدفاع الوطني في بداية حكمها محصول الكاكاو أهمية قصوى, بيد أنها أهملت المحاصيل النقدية الأخرى[٣٣]؛ بحكم افتقار زراعة تلك المحاصيل للمعدات التكنلوجية الحديثة كالمحالج, والجرارات, والمضادات الحيوية كالأسمدة العضوية, و المبيدات الحشرية, ومبيدات الفطريات, والتي مثل توفيرها عبئاً مالياً إضافياً على الحكومة[٣٤], فبحلول عام ١٩٨٣ لم تكن جمهورية غانا مكتفية ذاتياً إلا من محصول نقدي واحد فقط ألا وهو الموز[٣٥], والذي هبط إنتاجه كذلك من ٩٣١,٠٠٠ طن في عام ١٩٨٠ إلى ٧٥٤,٠٠٠ طن في عام ١٩٨٣[٣٦].

شَهِدَ مطلع عام ١٩٨٤ توسعاً كبيراً في المناطق الحضرية؛ نتيجة لزيادة تعداد السكان, في الوقت الذي انخفض فيه توافر الغذاء بنحو ٣٠ بالمائة, وغادر معظم الفلاحين المهرة البلاد, الأمر الذي أدى إلى اتساع ظاهرة الفقر الجماعي[٣٧], لذلك شعرت الحكومة بخطورة الاعتماد على محصول الكاكاو كمصدر وحيد لزيادة مدخولاتها المالية[٣٨] , لكن من حسن حظ الحكومة أن موسم الجفاف شارف على الانتهاء في منتصف عام ١٩٨٤, و ازدادت كميات الأمطار الساقطة في مختلف أنحاء البلاد, فلم يكن أمام الحكومة إلا أن توجه اهتمامها نحو تنويع زراعة المحاصيل؛ لتجنب استيرادها من الخارج[٣٩].

شجعت وزارة الزراعة والأغذية الغانية على زراعة المحاصيل الداخلة في الصناعة كالمطاط الذي انتشرت زراعته جنوب غرب البلاد, والسكر, والقطن, ونخيل الزيت, و ألياف التيلة, والبُن, وجوز الهند, التي زُرِع معظمها في الشمال[٤٠], كما شجعت على زراعة المحاصيل الغذائية الاستهلاكية مثل الأرز, والذرة, والبطاطا, والخضراوات, و الفاكهة, والكسافا, والفول السوداني[٤١], والتي زُرِعت في مختلف أنحاء البلاد, ومن أجل دفع أكبر عدد من المواطنين للمشاركة في زراعة المحاصيل, شرعت الحكومة العديد من الإصلاحات في ذلك القطاع, إذ قللت مدة إراحة التربة من أربع سنوات إلى سنتين, و رصدت

إعانات مالية مجزية للاكتشافات البحثية في مجال زراعة المحاصيل, إذ تجاوزت نفقات الحكومة على المؤسسات البحثية الزراعية مبلغ ١,٥٠٠,٠٠٠ دولار أمريكي خلال عام ١٩٨٤[٤٢].

زاد الاهتمام الحكومي بقطاع الزراعة في عام ١٩٨٥, إذ أقدمت الحكومة على مسح الأراضي المهملة في مختلف أنحاء البلاد لإعادة زراعتها, وأشركت القوات المسلحة في مجال الزراعة عن طريق تمليك أفرادها للأراضي[٤٣], وقررت استغلال سد أكوسومبو في منطقة الفولتا في عملية ري الأراضي إلى جانب كونه مولداً للطاقة الكهربائية, فضلاً عن إنشائها لمحطات ري في الحزام الساحلي بالجنوب الغربي من البلاد؛ لري أراضي تلك المنطقة[٤٤], و وزعت نحو ٢٦,٤٠٠ طن من الأسمدة على الفلاحين, ومنحت تراخيص استيراد لوزارة الزراعة بكلفة ٥٢,٠٠٠,٠٠٠ سيدي؛ لغرض استيراد المستلزمات الزراعية الأساسية من الخارج[٤٥].

أعادت الحكومة في عام ١٩٨٦ تفعيل دور "**هيئة المزارع الحكومية**", التي توقف عملها بعد انقلاب جيري رولينغز عام ١٩٨١, إذ تركز نشاطها على تنمية وتطوير و زراعة محاصيل نخيل الزيت, والمطاط, وجوز الهند, والكولا, وهي محاصيل استهدفت الحكومة تنميتها؛ لغرض إمداد الصناعة الزراعية المحلية وتنويع الصادرات الزراعية, كما أسست الحكومة في العام نفسه "**هيئة إنتاج الغذاء**"؛ لغرض متابعة كميات الإنتاج الزراعي, وتوزيعها بعدالة على سكان البلاد[٤٦], إذ تعاونت الهيئة الأخيرة بين عامي (١٩٨٦-١٩٨٧) مع "**منظمة الأغذية العالمية**" (World Food Programme) في تنفيذ ما عُرِفَ بـ "**مشروع ساساكوا-كارتر**" (Sasakwa-Carter), الذي تبنته الولايات المتحدة الأمريكية بالتعاون مع اليابان لتنمية زراعة الكسافا والذرة في غانا؛ كونها من الدول المعرضة للجفاف[٤٧], فنتج عن تلك الإصلاحات زيادة ملموسة في مساهمة المحاصيل النقدية في الناتج المحلي الإجمالي لدولة غانا خلال عام ١٩٨٨[٤٨], و يوضح الجدول التالي كميات إنتاج المحاصيل الأعلى غلة, وبمتوسط ثلاث سنوات خلال المدة (١٩٨١-١٩٩٢)[٤٩].

الجدول رقم (١١)

المدة	الذرة	الدخن	الأرز	الكسافا	اليم	الكوكويام	الموز
١٩٨١-١٩٨٣	٢٩٩,٠٠٠	٧٨,٠٠٠	٥٢,٠٠٠	٢٠٨٨	٦٨٢,٠٠٠	٦٦٠,٠٠٠	٦٣٩,٠٠٠
١٩٨٤-١٩٨٦	٦١٣,٠٠٠	١١٨,٠٠٠	٦٨,٠٠٠	٤٧٥٢	١,٠٧١,٠٠٠	١,٤٨٠,٠٠٠	١,٥٥٣,٠٠٠
١٩٨٧-١٩٨٩	٦٣٨,٠٠٠	١٨٢,٠٠٠	٨٣,٠٠٠	٣١١٥	١,٢٢٢,٠٠٠	١,١٠٩,٠٠٠	١,١٠٦,٠٠٠
١٩٩٠-١٩٩٢	٧٣٩,٠٠٠	١٠٩,٠٠٠	١٠١,٠٠٠	٤٦٩٣	١,٩٤٧,٠٠٠	١,١٠٥,٠٠٠	١,٠١٩,٠٠٠

يتضح من الجدول أعلاه أن غلة المحاصيل المذكورة كانت بارتفاع مستمر على الرغم من انخفاضها في بعض السنوات, وذلك يشير إلى نجاح استراتيجية الحكومة الزراعية, التي بنيت على أساس دعم الفلاحين وتقليل استيراد المنتجات الغذائية من الخارج, كما يتضح انخفاض غلة محصول الكسافا, بسبب تصنيف ذلك المحصول من قبل وزارة الزراعة الغانية على أنه محصول احتياطي للذرة, فضلاً عن تكاليف إنتاجه العالية نسبياً.

سجلت المحاصيل النقدية الأخرى غلات لا بأس بها خلال مدة تنفيذ برنامج الإصلاح الاقتصادي (١٩٨٣-١٩٩٢), إذ سجل محصول جوز الهند كميات تراوحت بين ٢١٠,٠٠٠-٣٣٧,٠٠٠ طن, وسجل قصب السكر كميات تراوحت بين ١٩٠,٠٠٠-٢٠٠,٠٠٠ طن, وسجل الفول السوداني كميات تراوحت بين ٨٠,٠٠٠-٢٠٠,٠٠٠ طن, وسجلت الخضراوات كميات تراوحت بين ٤١٧,٠٠٠-٥٩٩,٠٠٠, وسجل القطن كميات تراوحت بين ١٠٠٠-٣٠٠٠ طن, وسجلت محاصيل الفواكه والقهوة والكولا زيادات مماثلة[٥٠].

نفذت حكومة المؤتمر الوطني الديمقراطي بالتعاون مع صندوق النقد الدولي في عام ١٩٩٣ برنامجاً زراعياً أُطلِقَ عليه "**برنامج الزراعة الغانية متوسط الأجل ١٩٩٣-٢٠٠٠**", وكان الهدف الأساس للبرنامج هو خصخصة قطاع الزراعة بشكل كامل[٥١], أي إناطة الشؤون الزراعية في جمهورية غانا بالقطاع الخاص الاستثماري؛ لعدم قدرة القطاع العام على تحمل جميع الأعباء الاقتصادية, وذلك مقابل إلغاء الدعم الحكومي على المدخلات الزراعية كالأسمدة, والمبيدات الحشرية, ومبيدات الفطريات, وآلات الحراثة؛ نتيجة لارتفاع أثمانها[٥٢], إذ أدى تنفيذ ذلك البرنامج إلى زيادة ملحوظة في كميات الإنتاج خلال المدة (١٩٩٣-٢٠٠١)[٥٣], ويوضح الجدول التالي كميات الإنتاج (بالطن) للمحاصيل الأعلى غلة خلال تلك المدة[٥٤].

الجدول رقم (١٢)

السنة	الذرة	الدخن	الأرز	الكسافا	اليم	الكوكويام	الموز
١٩٩٣	٩٦١,٠٠٠	١٩٨,٠٠٠	١٥٧,٠٠٠	٥,٩٧٢	٢,٧٢٠	١,٢٣٦	١,٣٢٢
١٩٩٤	٩٣٩,٠٠٠	١٦٨,٠٠٠	١٦٢,٠٠٠	٦,٠٢٥	١,٧٠٠	١,١٤٨	١,٤٧٥
١٩٩٥	١,٠٣٤,٠٠٠	٢٠٩,٠٠٠	٢٢١,٠٠٠	٦,٦١١	٢,١٢٦	١,٣٨٣	١,٦٣٦
١٩٩٦	١,٠٠٨,٠٠٠	١٩٣,٠٠٠	٢١٦,٠٠٠	٧,١١١	٢,٢٧٥	١,٥٥٢	١,٨٢٣
١٩٩٧	٩٩٦,٠٠٠	١٤٤,٠٠٠	١٩٧,٠٠٠	٧,٠٠٠	٢,٧٤٨	١,١٤٧	١,٨١٨
١٩٩٨	١,٠١٥,٠٠٠	١٦٢,٠٠٠	٢٨١,٠٠٠	٧,٧١٧	٢,٧٠٣	١,٥٧٧	١,٩١٣
١٩٩٩	١,٠٢٥,٠٠٠	١٧٨,٠٠٠	٢٥٦,٠٠٠	٧,٢٥٤	٢,٦٥٠	١,٥٧٠	٢,٠٥٠
٢٠٠٠	١,٠٥٠,٠٠٠	١٧٠,٠٠٠	٢٧٠,٠٠٠	٧,٨٦٥	٢,٧٧٢	١,٥٥٨	٢,١٦٠
٢٠٠١	١,١٢٣,٠٠٠	١٧٣,٠٠٠	٢٧٢,٥٠٠	٧,٨٦٠	٢,٧٧٥	١,٥٨٧	٢,٢١٠

يتضح من الجدول استمرار زيادة إنتاج المحاصيل النقدية, رغم تذبذبها بين سنة وأخرى, وذلك يدل على أن حكومة حزب المؤتمر الوطني الديمقراطي التي انتخبت دستورياً لم تغير الاستراتيجيات الزراعية التي وضعت في ظل برنامج الإصلاح الاقتصادي, على الرغم من تحول نظام الحكم في البلاد من عسكري إلى ديمقراطي دستوري, أي أن الرئيس جيري رولينغز حقق مبدأ شعار الاستمرارية الذي رفعه أثناء الحملة الدعائية لحزبه قبل الانتخابات الرئاسية عام في ١٩٩٢.

المبحث الثالث- الإصلاح الاقتصادي لقطاع الغابات:

شكلت الغابات نحو ٢٣,٠٠٠,٠٠٠ هكتار من المساحة الإجمالية لجمهورية غانا[٥٥] أي ثلث مساحة البلاد تقريباً[٥٦], وقُسِمَت تلك الغابات إلى ثلاثة أنواع هي: الغابات الاستوائية المطيرة, التي تركزت في الجنوب الغربي, وامتازت بارتفاع أشجارها التي بلغت نحو ٦٠ متراً, والغابات النفضية الجافة, التي غطت المناطق الوسطى والشمالية, لكن أشجارها كانت ذات أطوال متوسطة[٥٧], وغابات المنغاروف (Mangrove Forests) الساحلية, التي امتدت على مسافة ٥٤٠ كم^{٢} على طول الساحل الجنوبي[٥٨].

مثلت مناطق الغابات أهمية بالغة بالنسبة للاقتصاد الغاني؛ نظراً لما أنتجته من كميات كبيرة من الأخشاب التي استخدمت كمواد أولية في مجالي الصناعة والتجارة[٥٩], و حطب الوقود[٦٠], فضلاً عما وفرته من غطاء ظلي نمت فيه البذور, والفواكه, والجذور, و الدرنات, والفطر, والتي مثلت مصدراً غذائياً هاماً بالنسبة لسكان الحظر والريف, إلى جانب ذلك عُدَّت مناطق الغابات, ولاسيما منطقة الغابات المطيرة, موطناً للكثير من الحيوانات النادرة والمهددة بالانقراض, كالقط الذهبي, والشمبانزي, وفرس النهر القزم, و فيل الغابة, والجواميس, والقردة, والنمور, والأسود, والثعابين, والتماسيح, وأكثر من ٢٠٠ نوع من الطيور[٦١].

احتلت جمهورية غانا منذ منتصف سبعينيات القرن العشرين المرتبة الأولى على مستوى القارة الأفريقية في إنتاج وتصدير الأخشاب, كما احتلت الأخشاب المرتبة الثالثة في الاقتصاد الغاني[٦٢] بعد الكاكاو والتعدين كمصدر للنقد الأجنبي[٦٣], إذ ساهمت خلال مدة الدراسة بنحو ٥ بالمائة في المتوسط من الناتج المحلي الإجمالي, وخلقت فرص عمل لنحو ٧٠,٠٠٠ عامل, أي ما مثل نحو ١٥ بالمائة في المتوسط من إجمالي القوة العاملة في البلاد, كما مثلت نحو ١١ بالمائة في المتوسط من القيمة المضافة لقطاع الزراعة[٦٤].

أدت الحرائق التي التهمت غابات غانا خلال المدة (١٩٧٩-١٩٨٣), وحاجة السكان المتزايدة لخشب الوقود, فضلاً عن استخدام كميات كبيرة من الأخشاب كقناطر, وأعمدة, وحطب, في أعمال التعدين و زراعة الكاكاو, إلى فقدان نحو ٣٠ بالمائة من إنتاج الأخشاب[٦٥], لذلك أولت حكومة مجلس الدفاع الوطني قطاع الغابات أهمية كبرى في ظل تنفيذ برنامج الإصلاح الاقتصادي, إذ أقدمت في عام

١٩٨٥ على تنفيذ ما عُرفَ بـ "**مشروع جرد الغابات ١٩٨٥-١٩٨٩**", وذلك بمساعدة الحكومة البريطانية, التي منحت حكومة غانا في عام ١٩٨٥ مبلغ ١,١٤٦,٠٠٠ جنيه استرليني؛ لتسهيل تنفيذ المشروع؛ نظراً لحاجة بريطانيا الدائمة للأخشاب الغانية, إذ تمكنت الحكومة الغانية من خلال تنفيذ ذلك المشروع أن تحدد المخزون المتنامي لكميات وأنواع الأخشاب المتوفرة في الغابات, و وضعت آلية عمل ضمنت بواسطتها قطع أشجار الغابات بشكل شبه منظم وقانوني خاضع لتوجيهاتها[٦٦], فبعد أن مثل إنتاج الأخشاب الصلبة نحو ٥٦٠,٠٠٠ متر مربع في عام ١٩٨٣, وصل إلى نحو ٨٩٠,٠٠٠ متر مربع في عام ١٩٨٦, كما بلغ إنتاج الأخشاب المنشورة في العام نفسه نحو ٢٣٢,٠٠٠ متر مربع, بعد أن كان ١٨٩,٠٠٠ متر مربع خلال عام ١٩٨٣[٦٧].

بحلول تشرين الثاني ١٩٨٨ تم جرد نحو ٥,٤٦٠ كم^{٢} مربع من الغابات, قسمتها الحكومة إلى ٤٣ محمية؛ لغرض تنظيم إدارتها, وفي عام ١٩٨٩ نفذت الحكومة مشروعاً جديداً عُرِفَ بـ "**مشروع إدارة موارد الغابات**", وذلك بالتعاون مع صندوق النقد الدولي و "**منظمة الأغذية والزراعة العالمية**" Food and Agriculture Organization of The United) Nations), اللذان منحا غانا مساعدة مالية بلغت نحو ٦٤,٠٠٠,٠٠٠ دولار أمريكي؛ لتنفيذ المشروع الأخير, الذي هَدَفَ إلى تجديد الغابات عن طريق زراعة أشجار جديدة, والحفاظ على ثروات الغابات من التجاوزات الجائرة وغير القانونية, إذ تم بين عامي ١٩٨٩-١٩٩٠ زراعة أكثر من ١٢٠,٠٠٠ هكتار مـن الأشجار سريعة النمو مثل التيك والسنط في المنطقة الجنوبية الغربية, ومنطقة الساحل الجنوبي[٦٨].

بلغت الأموال التي صرفتها الحكومة الغانية من مواردها الداخلية على قطاع الغابات خلال المدة (١٩٨٣-١٩٩٠) قرابة ١٢٠,٠٠٠,٠٠٠ سيدي, لغرض زراعة الأشجار الجديدة, وتوفير آلات قطع الأخشاب, وقطع الغيار, وإصلاح طرق النقل الرابطة بين الغابات والموانئ؛ لتسهيل عملية نقل الأخشاب؛ لغرض تصديرها[٦٩], و استحوذ القطاع الخاص على النصيب الأكبر من الاعتمادات الحكومية الميسرة في قطاع الغابات, إذ أنتج القطاع الخاص وحده نحو ٦٠ بالمائة من صادرات غانا الخشبية, التي صُدِّرَ معظمها إلى الدول الغربية عن طريق مينائي تيما وتاكورادي على هيئة ألواح خشبية أو كتل منشورة أو نشارة خشب, إذ صدرت غانا كمتوسط سنوي خلال مدة تنفيذ برنامج الإصلاح ما قارب من نحو ٣٥,٠٠٠,٠٠٠ مليون قدم مكعب من الكتل الخشبية, ونحو ٩,٠٠٠,٠٠٠ قدم مكعب من نشارة الخشب, فبحلول عام ١٩٩٠ ساهم قطاع الغابات بنحو ٤,٢ بالمائة من الناتج المحلي الإجمالي[٧٠], ويوضح الجدول التالي تطور إنتاج الأخشاب في غانا بين عامي (١٩٨١-١٩٩٠)[٧١].

الجدول رقم (١٣)

السنة	خشب مصنع (بالطن)	خشب صلب ومنشور (بالطن)
١٩٨١	٩٣١,٠٠٠	٥٥٠,٠٠٠
١٩٨٢	٧٩١,٠٠٠	٤١٠,٠٠٠
١٩٨٣	٧٩١,٠٠٠	٤١٠,٠٠٠
١٩٨٤	٧٩١,٠٠٠	٤١٠,٠٠٠
١٩٨٥	١,٠٨١,٠٠٠	٧٩٤,٠٠٠
١٩٨٦	١,١٧٥,٠٠٠	٧٩٤,٠٠٠
١٩٨٧	١,١٠١,٠٠٠	٨٢١,٠٠٠
١٩٨٨	١,١٠١,٠٠٠	٨٣٠,٠٠٠
١٩٨٩	١,١١٠,٠٠٠	٨٣٠,٠٠٠
١٩٩٠	١,١١٠,٠٠٠	٨٤٠,٠٠٠

عادت ظاهرة الجفاف بين عامي (١٩٩٠-١٩٩٢) مسببةً حرائق جديدة في مناطق الغابات الغانية, مما أثر سلباً على كميات إنتاج تلك المناطق, لذلك بحثت الدول التي عُدَّت سوقاً لتصريف الخشب الغاني, ولاسيما دول القارة الأوربية عن وجهات جديدة لاستيراد الأخشاب, الأمر الذي لفت انتباه حكومة غانا المنتخبة دستورياً[٧٢], والتي ذكر رئيسها جيري رولينغز في خطاب له أمام البرلمان الغاني بتأريخ ٦ نيسان ١٩٩٣ قائلاً: **"لطالما مثلت الأخشاب من غاباتنا المرتبة الثالثة كمصدر للعملات الأجنبية, بعد الكاكاو والمعادن, ومع ذلك من المؤسف وعلى الرغم من جهودنا لتعزيز الوكالات المسؤولة عن الإدارة الرشيدة والمستدامة لموارد الغابات فإن هذا التراث الثمين لا زال يتآكل؛ نتيجة لإزالة الأراضي من أجل الزراعة, وحرائق الغابات, والبحث عن وقود الخشب لسكاننا المتزايدين بسرعة, وقطع الأشجار بطريقة غير منظمة وغير قانونية"**[٧٣].

بتأريخ ١٣ تموز ١٩٩٣ شرع البرلمان الغاني قانوناً سمي "**قانون الحفاظ على الغابات**" رقم (٤٥٣), و بموجبه أنشأت "**هيئة الغابات**" التي أُلحِقَت بوزارة الأراضي و الموارد الطبيعية, وأصبحت هي المسؤولة عن تنسيق وتنظيم وإدارة موارد الغابات والحياة البرية في البلاد[٧٤], إذ بلغت الأموال التي خصصتها الحكومة للهيئة لإصلاح قطاع الغابات بين عامي (١٩٩٣-١٩٩٧) نحو ١٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ سيدي[٧٥], صُرِفَ معظمها على تشجير الأراضي, وتعزيز الصناعات القائمة على الأخشاب[٧٦], وإصلاح طرق النقل الحيوية التي ربطت الغابات بالمصانع والموانئ[٧٧].

أصدرت الحكومة في عام ١٩٩٧ قانون "**إدارة موارد الأخشاب**" رقم (٥٤٧), الذي تم بموجبه حظر قطع الأخشاب دون إبرام عقد حكومي بين الحكومة والمستفيد, باستثناء الأراضي المملوكة للقطاع

الخاص, كما حدد القانون المساحة الجغرافية والمدة المسموح بها لاستغلال الأرض المرخصة للمستفيد, ثم شددت الحكومة سياستها تجاه قطاع الغابات خلال المدة (١٩٩٩-٢٠٠١), عندما أرسلت حملات عسكرية إلى الأراضي التي شهدت قطعاً جائراً للأشجار, وصراعاً قبلياً حاداً حول حيازة الأراضي التي ملَّكتها الدولة للمواطنين, وذلك لفرض سلطة الحكومة على تلك المناطق[٧٨].

المبحث الرابع- تنمية الثروة الحيوانية:

وجهت حكومة مجلس الدفاع الوطني جهودها عند تطبيق برنامج الإصلاح الاقتصادي نحو تنمية الثروة الحيوانية, وتدعيم الاستهلاك المحلي للبروتين, إذ أنفقت على قطاع الثروة الحيوانية خلال مدة تنفيذ البرنامج نحو ٣٢,٠٠٠,٠٠٠ سيدي؛ لغرض توفير علف الحيوانات الذي قل في البلاد نتيجة ضعف الغطاء النباتي؛ بسبب تعاقب مواسم الجفاف وقلة سقوط الأمطار[٧٩], وكذلك لتوفير المبيدات الحشرية؛ لمكافحة وباء ذبابة البحر الذي فتك بالحيوانات[٨٠], كما أنشأت مركزاً للوحدات البيطرية في مدينة تمالي الشمالية, بحكم تركز نحو ٧٠ بالمائة من ثروة البلاد الحيوانية في ذلك الجزء[٨١], إلى جانب المذابح التي أنشأت في مختلف أنحاء البلاد؛ للاستفادة من اللحوم والألبان والجلود, ويوضح الجدول التالي أعداد الثروة الحيوانية في جمهورية غانا (بالألف رأس), خلال المدة (١٩٨٣-١٩٩٢)[٨٢].

الجدول (١٤)

السنة	الماشية	الأغنام	الماعز	الخنازير	الدواجن
١٩٨٣	١,٠٠٢	١,٧٥٠	١,٥٣٩	٣١٧	٥,٩٤٩
١٩٨٤	١,٠٧٨	١,٩٧٧	١,٦٧٨	٣٩٩	٥,٨٩٣
١٩٨٥	١,٠٦٥	١,٩٨٧	١,٦٠٥	٤١٣	١٠,٠٢٤
١٩٨٦	١,١٣٥	١,٨١٤	١,٦٣٣	٤٦٩	٦,٤٠٩
١٩٨٧	١,١٧١	١,٩٨٨	١,٩٠١	٥٣٤	٨,٢١٤
١٩٨٨	١,١٢٦	٢,٠٤٦	١,٩٩١	٤٧٨	٨,٠٤٠
١٩٨٩	١,١٣٦	٢,٢١٢	٢,٣٦٤	٥٥٩	٨,٧٨٧
١٩٩٠	١,١٤٥	٢,٢٢٤	٢,٠١٨	٤٧٤	٩,٩٩٠
١٩٩١	١,١٩٥	٢,١٦٢	٢,١٩٤	٤٥٤	١٠,٥٧٢
١٩٩٢	١,٢٢١	٢,١٤٦	٢,٢٢١	٤٣٦	١١,٨٨٧

شهدت البلاد بعد تحولها من نظام الحكم العسكري إلى نظام الحكم الدستوري زيادة مطردة في عدد السكان الذي بلغ نحو ١٧ مليون نسمة[٨٣], إذ لم يعد بوسع قطاع الثروة الحيوانية سد سوى ٣٠ بالمائة من حاجة البلاد من البروتين الغذائي[٨٤], لذلك ومن أجل سد النقص الذي طرأ توجهت الحكومة الغانية نحو استيراد الحيوانات الحية من دول الجوار ولاسيما بوركينا فاسو, ومالي, والنيجر[٨٥], ويوضح الجدول التالي كميات رؤوس الحيوانات المستوردة خلال المدة (١٩٩٣-٢٠٠١)[٨٦].

الجدول رقم (١٥)

السنة	الماشية	الأغنام	الماعز	الخنازير	الدواجن
١٩٩٣	١٣	٣٥١	٣٨٧	٤٥٨	غير متوفر
١٩٩٤	٣٥	٨٨٥	٢٤٠	٠	غير متوفر
١٩٩٥	٢٥٢	٩٩	١٧	١	غير متوفر
١٩٩٦	١٦,١٠٥	٤,٩٨٩	٥,٢١٢	٠	غير متوفر
١٩٩٧	٥٧,٤١١	٨,٠٨٢	٩,١٧٦	٠	غير متوفر
١٩٩٨	٧١,٣٧٧	١٢,٦٤٨	١٦,٥٢٢	٠	٤٨,٨١٦
١٩٩٩	٥٥,٦٨١	٩,٥٤٥	١٠,٧٠٩	١٠٠	٤٧,٧٠٠
٢٠٠٠	٤٣,٨٦٧	١١,٨٩٨	١٣,٤٢١	٢٠٨	٤٢,٦٣٢
٢٠٠١	٤٨,٤٨٥	١٠,٦٠٤	١٢,٣٦١	١٨٥	٤١,٩٠٦

عُدَّت الأسماك بأنواعها (التونة, السردين, السلور, الرنجة, الماكريل...) المصدر البروتيني المفضل لدى الغانيين[٨٧], كما مثلت مصدراً آخراً من مصادر الدخل الحكومي [٨٨], إذ شكلت في المتوسط نحو ٣ بالمائة من القيمة المضافة للناتج الزراعي الإجمالي خلال مدة الدراسة, أي أنها أنتجت سنوياً في المتوسط بين ٢٣٤,٠٠٠-٤٠٠,٠٠٠ طن, وسد ذلك المعدل في المتوسط نحو ٧٥ بالمائة من حجم الطلب المحلي على الأسماك[٨٩], ومهنة صيد الأسماك مهنة عرفها الغانيين منذ أمد بعيد, وعادةً ما اتبع الصيادين الغانيين الطرق التقليدية لصيد الأسماك في سواحل أكرا, وسيكوندي, وكيتا, والتي اعتمدت على القوارب الخشبية وشباك الغزل[٩٠], إذ سببت الأزمات الاقتصادية المتعاقبة, ولاسيما تلك التي عصفت بجمهورية غانا في بداية تسنم جيري رولينغز للحكم, في جعل مهمة الصيادين أكثر صعوبة, فلم يكن بوسعهم ولا بوسع قواربهم مجاراة التقدم العالمي الذي طرأ على وسائل ومعدات الصيد[٩١].

أنتجت غانا في عام ١٩٨٢ نحو ٢٣٤,٠٠٠ طن من الأسماك[٩٢], ثم ارتفع انتاجه تدريجياً إذ بلغ نحو ٣٣٠,٠٠٠ طن في عام ١٩٨٤ و ٣٤٦,٠٠٠ طن في عام ١٩٨٥, و ٣٩٠,٠٠٠ طن في عام ١٩٨٦[٩٣], ومن أجل زيادة الإنتاج السمكي المحلي, وتقليل الاعتماد على الخارج, أقدمت الحكومة في عام ١٩٨٧ على رفع أجور الصيادين, و زاد اهتمامها بمزارع الأسماك من خلال إلقاء كميات كبيرة من الأسماك الصغيرة في الأنهر والبحيرات لغرض تحقيق التكاثر, كما منعت الصيادين من مزاولة مهنة الصيد بين شهري (آب- تشرين الثاني), وهي المدة التي تكاثرت فيها أسماك البلاد, كما أنشأت مصانع ومخازن مكيفة لتعليب وحفظ الأسماك في مدن أكرا, وتاكورادي, وسونياني, وتيما, وافتتحت ورشاً قرب الأنهر؛ لإصلاح القوارب ذات المحركات التي استطاعت الدخول لمسافات طويلة داخل المياه[٩٤].

كان من المفترض أن تسهم تلك الخطوات التي اتبعتها الحكومة في زيادة كميات الإنتاج السمكي, بيد أن الصيد الجائر على نطاق واسع من قبل السفن الأجنبية أدى إلى استنزاف مخزوناته, ففي عام ١٩٨٨ هبط الإنتاج السمكي إلى ٣٠٢,٩٠٠ طن, ثم إلى ٣٠٠,٠٠٠ طن في عام ١٩٨٩, و زادت عودة الجفاف من حدة هبوط إنتاج الأسماك إذ وصل إلى ٢٨٩,٦٧٥ طن خلال عام ١٩٩٢؛ نتيجة لجفاف البحيرات والأنهر[٩٥].

بتأريخ ٢٠ أيار ١٩٩٢ أصدرت وزارة الزراعة والأغذية الغانية "**قانون صيد الأسماك**" رقم (٢٥٦)[٩٦], الذي أصبح بموجبه الحصول على ترخيص حكومي شرط أساسي لمزاولة مهنة الصيد في المياه الغانية[٩٧], كما منع الصيادين من اصطياد الأسماك الصغيرة والتقاط المحار الذي تتغذى عليه[٩٨], وحدد مناطق الصيد المسموح بها, وأجاز استيراد محركات القوارب[٩٩], وبسبب انهيار مخزون السردين, الذي عُدَّ من أكثر أنواع الأسماك طلباً في الأسواق المحلية والعالمية[١٠٠], قررت الحكومة في عام ١٩٩٥ تقليص تراخيص الصيد, ولاسيما بعد أن استخدم الصيادين الأجانب أساليب جائرة في مهنتهم, مثل السونار الكاشف, والشباك ذات العيون الضيقة, التي كانت تلتقط الأسماك الصغيرة والكبيرة[١٠١], وذلك ما دفع الحكومة في عام ١٩٩٨ إلى اقتراض مبلغ قدره ١٩,٠٠٠,٠٠٠ دولار أمريكي من صندوق النقد الدولي؛ لغرض تطبيق نظام مراقبة السفن بواسطة الأقمار الصناعية؛ لمكافحة الصيد غير القانوني, ونتيجة لتلك المشكلات لم يتجاوز إنتاج الأسماك بحلول عام ٢٠٠١ كمية ٣٢٠,٠٠٠ طن[١٠٢].

الخلاصة

ركز برنامج الإصلاح الاقتصادي على سياسات تحرير التجارة الخارجية، وتعديل سعر الصرف الرسمي للعملة، وخصخصة المؤسسات الحكومية، وتطوير البنية التحتية, إذ انعكست تلك السياسات على قطاع الزراعة عبر تحسن إنتاج بعض المحاصيل التصديرية، ولاسيما الكاكاو، وتدفق استثمارات جديدة إلى القطاع، وزيادة الأسعار الحقيقية للمزارعين نتيجة لتخفيض قيمة العملة, غير أن آثار الإصلاح لم تكن إيجابية بالكامل؛ فإلغاء الدعم الحكومي ورفع أسعار المدخلات الزراعية أضعفا قدرة صغار المزارعين على الإنتاج، وازدادت هشاشتهم أمام تقلبات الأسعار العالمية, كما أن تركيز السياسات على المحاصيل التصديرية جاء على حساب المحاصيل الغذائية، مما أدى إلى تباين في توزيع المكاسب داخل القطاع الزراعي, وعلى مستوى الفئات الاجتماعية, بيد أنه تكون هناك تنظيم مؤسسي داخل قطاع الزراعة الغاني, أصبح بمثابة حجر الزاوية لتطوير القطاع على الأمد البعيد.

المصادر:

1-Allan R.Robinson & Kenneth H.Brink, Global Coastal Ocean, Multiscale Interdisciplinary Processes, Harvard University Press, London,2005.

2-Amadou Tall & Pierre Failler, Fishery and Aquaculture Industry in Ghana, ATLAFCO Press, Marrakesh,2012.

3-Anim, G. J. Kwaponq & Others, Vulnerability and Adaptation Assessment Under The Netherlands Climate Change Studies Assistance Program Phases, Vulnerability of Agriculture to Climat Change on Cocoa Production, Cocoa Research Institute of Ghana New Tafo Akim,2003.

4-C.H. Hoste & Others, Trypanotolerant Livestock in West and Central Africa, International Livestock Center for Africa, Addis Ababa, 1992.

5-Colin Legum, Annual Survey and Documents of African Contemporary Record 1983-1985, Africana Publishing Co, New York, 1985.

Daily Graphic, Accra, 20 June 1997.

6-Doborah Pello & Naomi Chazan, Ghana Coping With Uncertainty, Westview Press, London,1982.

7-Documents of International Monetary Fund, Country Staff Reports, File No.323/5 Background Information on Production and Investment Performance in Ghana, 17 May 1995.

8-Documents of International Monetary Fund, Staff Country Report No.1, Ghana: Statistical Appendix, January 2000.

9-Dominic M. Ayine, Developing Legal Tools for Citizen Empowerment: Social Responsibility Agreements in Ghana's Forestry Sector, Center for Public Interest Law, Philadelphia, 2001.

10-F.R.U.S, File No. G34 /91, Ghana Post Report, Indiana University, June 1986.

F.R.U.S, Technical Information Service, Global Agricultural Policy Review, Report No.Ages 880304, Washington, May 1988.

11-F.R.U.S, Technical Information Service, Global Agricultural Policy Review, Report No.Ages 880304, Washington, May 1988, p.271.

12-Food and Agriculture Organization of The United National, Forestry Policies of Selected Countries in Africa, Food and Agriculture Organization of The United National Press,1996.

13-Food and Agriculture Organization of The United National, Forestry Policies of Selected Countries in Africa, Food and Agriculture Organization of The United National Press,1996.

14-Food and Agriculture Organization of The United Nations, Proceedings of The FAO Expert Consultation on Fish Technology in Africa, Abidjan – Cote D'Ivoire (25-28 April 1988), Rome,1989.

15-Foreign Relations of The United States (F.R.U.S), File No. G34 /91, Ghana Post Report, Indiana University, June 1986.

16-Ghana News, Accra, 17 May 1996.

17-Ghana News, Accra, 22 December 1990.

18-Ghana News, Accra, 4 June 1986.

19-Ghanaian Ministry of Food and Agriculture, Livestock Development in Ghana Policies and Strategies, (N.P),2004.

20-Howard Schissel, "Fishing The Atlantic: Foreign Fleets Take Leon's", The Africa Review 1988, World of Information, London,1988.

21-International Monetary Fund, Ghana Adjustment Policies and Program, A Country Study, International Monetary Fund Press, Washington,1984.

22-James K. Boyce & Sunita Narain & Elizabeth A. Stanton, Reclaiming Nature: Environmental Justice and Ecological Restoration, Anthem Press, London,2007.

23-Jeffery Herbst, The Politics of Reform In Ghana 1982-1991, University of California Press, California,1993.

24-Jerry John Rawlings, Boosting The Morale of Farmers, Publishing Corporation, Tema,1983.

25-John Paxton, The Statesman's Year – Book, Statistical And Historical Annual of The States of The World for The Year 1983-1984, Macmilan Press, London, 1983.

26-Kym Anderson & William A.Masters, Distortions To Agricultural Incentives in Africa, The World Bank, Washington, 2009.

27-Laverle Berry, Ghana: A Country Study, 3rd ed, Federal Research Division Library of Congress, Washington,1994.

28-Matti Palo & Gerardo Mery, Sustainable Forestry Challenges for Developing Countries, Kluwer Academic Publishers, London,1996.

29-Ministry of Agriculture, Medium Term Agriculture Development Program, Government Printers, Accra, 1990.

30-Mozammel Huq & Michael Tribe, The Economy of Ghana, 50 Years of Economic Development, Palgrave Macmillan, London ,2018, p.83 ; Doborah Pello & Naomi Chazan, Ghana Coping With Uncertainty, Westview Press, London,1982 .

31-Nurul Islam, Population and Food in The Early Twenty-First Century, International Food Policy Research Institute, Washington,2020.

32-Odoom Domson, A Strategic Overview of the Forest Sector in Ghana, Louisiana Forest Products Development Center,2007.

33-P.H. Blackburn, The Africa Review 1987, World of Information, London, 1987.

Paul Osei – Tutu & Others, Hidden Forestry Revealed, International Institute for Environment and Development, London,2010.

34-Pennsylvania State University, Artisan Fishery Technology in Ghana, Agency for International Development, Washington, 1979.

35-People's Daily Graphic, Accra, 22 May 1992.

36-Roger S. Gocking, The History of Ghana, Green Wood, London, 2005.

37-Samuel Asuming-Brempong, John K. M. Kuwornu, Policy Initiatives and Agricultural Performance in Post-independent Ghana, Journal of Social and Development Sciences, Vol.4, No. 9, University of Ghana, Accra,2013.
38-Sergio Pereira Leite & Others, Ghana: Economic Development in a Democratic Environment, International Monetary Fund, Washington, 2000.
39-Shashi Kolavalli & Marcella Vigneri, Cocoa in Ghana: Shaping the Success of an Economy, International Food Policy Research Institute, University of Oxford, Oxford,2012.
40-Shashi Kolavalli & Marcella Vigneri, Cocoa in Ghana: Shaping the Success of an Economy, Department of Economics, University of Oxford, 2016.
41-Shashi Kolavalli & Marcella Vigneri, The Cocoa Coast, The Board – Managed Cocoa Sector in Ghana, International Food Policy Research Institute, Washington, 2017.
42-Sohrab Abizadeh & Mahmood Yousefi, Fiscal Systems and Economic Development: Case Studies of Selected Countries, Nova Science Publishers, New York,1996.
43-Steven R. Tabor, Agricultural Research in an Era of Adjustment, Policies, Institutions, Progress, The World Bank, Washington, (N.D).
44-Steven R. Tabor, Agricultural Research in an Era of Adjustment, Policies, Institutions, Progress, The World Bank, Washington, (N.D).
45-Svein Jentoft & Others, Blue Justice: Small-Scale Fisheries in a Sustainable Ocean Economy, Springer Nature Switzerland, Gewerbestrasse,2022.
46-Takamsa Akiyama & Ronald Dukan, Trends in Coffee and Cocoa Commodities, Journal of Supply and Development, Vol. 20, No.1, International Monetary Fund ,1983.
47-The World Bank, Africa Economic Out Look, The World Bank, Washington, 2007.
48-Thorsten Treue, Politics and Economics of Tropical High Forest Management, A Case Study of Ghana, Kluwer Academic Publishers, London, 2001.
United Nation Documents, Economic Commission for Africa, African Statistical Year-Book (1981-1993), New York,1993.
49-United States Agency for International Development, Congressional Presentation, Summary Tables, Fiscal Year 1996, Congressional Sales Office, Washington,1997.
United States Congress, Sustainable Agricultural Development in Africa, Library of Congress, Washington, 1990.
50-United States Department of Agriculture, Foreign Agricultural Service, File No. A67/2990, Foreign Agriculture 1990-1991, 1991.
51-University of Ghana, State of Competition Regime in Ghana, Preliminary Country Paper, Accra, 2008.

52-University of Ghana, State of Competition Regime in Ghana, Preliminary Country Paper, University of Ghana, Accra,2008.
53-University of Ghana, State of Competition Regime in Ghana, Preliminary Country Paper, University of Ghana, Accra,2008.
54-Victor. K. Nyanteng, Structural Adjustment and Agriculture in Ghana, University of Ghana, 2009.
55-Wisdom J. Tettey & Korbla P. Puplampu & Bruce J. Berman, Critical Perspectives in Politics and Socio – Economic Development in Ghana, Brill Leiden, Boston,2003.
Y. Villacampa & C.A. Brebbia, Ecosystems and Sustainable Development, WIT Press, Southampton,2011.
56-Yaw Opoku-Ankomah, Hydro-Political Assessment of Water Governance from The Top-down and Review The Literature on Local Level Institutions and Practices in The Volta Basin, International Water Management Institute,2006.
٥٧- طارق سعدالدين عبداللطيف, أثر السياسات التجارية على الاقتصاد القومي في غانا (١٩٧٥-١٩٩٠), رسالة ماجستير غير منشورة, معهد البحوث والدراسات الأفريقية, جامعة القاهرة, ١٩٩٨.
٥٨- محمد عبدالغني سعودي, سد الفولتا, مجلة الدراسات الأفريقية, العدد:٢, معهد البحوث والدراسات الأفريقية, القاهرة,١٩٧٣.

الهوامش:

(1) Mozammel Huq & Michael Tribe, The Economy of Ghana, 50 Years of Economic Development, Palgrave Macmillan, London ,2018, p.83 ; Doborah Pello & Naomi Chazan, Ghana Coping With Uncertainty, Westview Press, London,1982, p.4 .
(2) Jeffrey A. Sayer, The Conservation Atlas of Tropical Forests Africa, The World Conservation Union, Fontainebleau,1992, p.183.
(3) Foreign Relations of The United States (F.R.U.S), File No. G34 /91, Ghana Post Report, Indiana University, June 1986, p.3.
(4) F.R.U.S, Technical Information Service, Global Agricultural Policy Review, Report No.Ages 880304, Washington, May 1988, p.271.
(5) Steven R. Tabor, Agricultural Research in an Era of Adjustment, Policies, Institutions, Progress, The World Bank, Washington, (N.D),p.71.
(٦) محمد عبدالغني سعودي, سد الفولتا, مجلة الدراسات الأفريقية, العدد:٢, معهد البحوث والدراسات الأفريقية, القاهرة,١٩٧٣, ص١٣-٢٠.
(7) Ghana News, Accra, 4 June 1986.
(8) International Monetary Fund, Ghana Adjustment Policies and Program, A Country Study, International Monetary Fund Press, Washington,1984, p.8.
(9) Sohrab Abizadeh & Mahmood Yousefi, Fiscal Systems and Economic Development: Case Studies of Selected Countries, Nova Science Publishers, New York,1996, p.208.

([10]) John Paxton, The Statesman's Year – Book, Statistical And Historical Annual of The States of The World for The Year 1983-1984, Macmilan Press, London, 1983, p.559-560.

([11]) Documents of International Monetary Fund, Country Staff Reports, File No.323/5 Background Information on Production and Investment Performance in Ghana, 17 May 1995, p.25.

([12]) Shashi Kolavalli & Marcella Vigneri, Cocoa in Ghana: Shaping the Success of an Economy, International Food Policy Research Institute, University of Oxford, Oxford,2012, p.4.

([١٣]) ذكرت بعض المصادر أن الكاكاو ليس نباتاً ذو أصل قديم في غانا, و إنما جلب أحد الحدادين الغانيين الذين عملوا في مستعمرة فرناندو بو الإسبانية في عام ١٨٩٨ قرن كاكاو واحد و زرع بذوره في منطقة أكوابيم على بعد ٣٠ ميلا جنوب شرق أكرا, ثم انتشرت زراعته. للمزيد ينظر:

Ghana News, Accra, 4 June 1986.

([١٤]) محمد عبدالغني سعودي, الاقتصاد الأفريقي والتجارة الدولية, مكتبة الانكلو المصرية, د.ت, ص١٦٧-١٧٠.

([15]) Jeffrey A. Sayer, Op.Cit,, p.183.

([16]) John Paxton, Op.Cit, p.560.

([17]) Takamsa Akiyama & Ronald Dukan, Trends in Coffee and Cocoa Commodities, Journal of Supply and Development, Vol. 20, No.1, International Monetary Fund ,1983, p. 32.

([١٨]) طارق سعدالدين عبداللطيف, أثر السياسات التجارية على الاقتصاد القومي في غانا (١٩٧٥-١٩٩٠), رسالة ماجستير غير منشورة, معهد البحوث والدراسات الأفريقية, جامعة القاهرة, ١٩٩٨, ص٨.

([19]) Ghana News, Accra, 4 June 1986.

([20]) Shashi Kolavalli & Marcella Vigneri, Op.Cit, p4.

([21]) Ibid, p.4.

([22]) Kym Anderson & William A.Masters, Distortions To Agricultural Incentives in Africa, The World Bank, Washington, 2009,p.424.

([23]) Jerry John Rawlings, Boosting The Morale of Farmers, Publishing Corporation, Tema,1983, p.4.

([24]) Kym Anderson & William A.Masters,Op.Cit, p.426.

([25]) Laverle Berry, Ghana: A Country Study, 3rd ed, Federal Research Division Library of Congress, Washington,1994, p.161.

([26]) Shashi Kolavalli & Marcella Vigneri, The Cocoa Coast, The Board – Managed Cocoa Sector in Ghana, International Food Policy Research Institute, Washington, 2017, p.37.

([27]) United States Department of Agriculture, Foreign Agricultural Service, File No. A67/2990, Foreign Agriculture 1990-1991, 1991, p.1.

([28]) Laverle Berry, Op.Cit, p.164.

([29]) Shashi Kolavalli & Marcella Vigneri, Cocoa in Ghana: Shaping the Success of an Economy, Department of Economics, University of Oxford, 2016, pp.5-6.

([30]) Ibid, p.164.

([31]) Sergio Pereira Leite & Others, Ghana: Economic Development in a Democratic Environment, International Monetary Fund, Washington, 2000, p.15.

([٣٢]) الجدول من عمل الباحث بالاعتماد على:

Anim, G. J. Kwaponq & Others, Vulnerability and Adaptation Assessment Under The Netherlands Climate Change Studies Assistance Program Phases, Vulnerability of Agriculture to Climat Change on Cocoa Production, Cocoa Research Institute of Ghana

New Tafo Akim,2003, p.5 ; The World Bank, Africa Economic Out Look, The World Bank, Washington, 2007, p.287.

([33]) Jeffery Herbst, The Politics of Reform In Ghana 1982–1991, University of California Press, California,1993, p.81.

([34]) University of Ghana, State of Competition Regime in Ghana, Preliminary Country Paper, Accra, 2008, p.8.

([35]) Laverle Berry, Op.Cit, p.164.

([36]) Steven R. Tabor, Agricultural Research in an Era of Adjustment, Policies, Institutions, Progress, The World Bank, Washington, (N.D), p.75.

([37]) Ministry of Agriculture, Medium Term Agriculture Development Program, Government Printers, Accra, 1990, p.80.

([38]) P.H. Blackburn, The Africa Review 1987, World of Information, London, 1987, p.124.

([39]) F.R.U.S, File No. G34 /91, Ghana Post Report, Indiana University, June 1986, p.4.

([٤٠]) طارق سعدالدين عبداللطيف, المصدر السابق, ص١٣.

([41]) P.H. Blackburn, Op.Cit, p.124.

([42]) F.R.U.S, Technical Information Service, Global Agricultural Policy Review, Report No.Ages 880304, Washington, May 1988, p.271.

([٤٣]) طارق سعدالدين عبداللطيف, المصدر السابق, ص١٥.

([44]) John Paxton, Op.Cit, p.313.

([45]) Colin Legum, Annual Survey and Documents of African Contemporary Record 1983-1985, Africana Publishing Co, New York, 1985, p.70.

([46]) John Paxton, O.p.Cit, p.313.

([47]) United States Congress, Sustainable Agricultural Development in Africa, Library of Congress, Washington, 1990, p.362.

([48]) Steven R. Tabor, O.p.Cit, p.71.

([٤٩]) الجدول من عمل الباحث بالاعتماد على:=

=Victor. K. Nyanteng, Structural Adjustment and Agriculture in Ghana, University of Ghana, 2009, p.9 ; Nurul Islam, Population and Food in The Early Twenty-First Century, International Food Policy Research Institute, Washington,2020, p.122.

([٥٠]) طارق سعدالدين عبداللطيف, المصدر السابق, ص ١٢-١٣.

([51]) University of Ghana, State of Competition Regime in Ghana, Preliminary Country Paper, University of Ghana, Accra,2008, p.60.

([52]) Samuel Asuming-Brempong, John K. M. Kuwornu, Policy Initiatives and Agricultural Performance in Post-independent Ghana, Journal of Social and Development Sciences, Vol.4, No. 9, University of Ghana, Accra,2013, p.428.

([53]) University of Ghana, State of Competition Regime in Ghana, Preliminary Country Paper, University of Ghana, Accra,2008, p.28.

([54]) Documents of International Monetary Fund, Staff Country Report No.1, Ghana: Statistical Appendix, January 2000, p.14.

([٥٥]) طارق سعدالدين عبداللطيف, المصدر السابق, ص ١٥.

([56]) Odoom Domson, A Strategic Overview of the Forest Sector in Ghana, Louisiana Forest Products Development Center,2007, p.2.

([57]) Jeffrey A. Sayer, Op.Cit, p.184.

([58]) Matti Palo & Gerardo Mery, Sustainable Forestry Challenges for Developing Countries, Kluwer Academic Publishers, London,1996, p.344.
([59]) Thorsten Treue, Politics and Economics of Tropical High Forest Management, A Case Study of Ghana, Kluwer Academic Publishers, London, 2001, pp.5-6 ; Jeffrey A. Sayer, Op.Cit, p.188.
([60]) Y. Villacampa & C.A. Brebbia, Ecosystems and Sustainable Development, WIT Press, Southampton,2011, p.213.
([61]) Thorsten Treue, Op.Cit, pp.6-10.
([62]) Jeffrey A. Sayer, Op.Cit, p.183.
([63]) Laverle Berry, Op.Cit, pp.166-167.
([٦٤]) طارق سعدالدين عبداللطيف, المصدر السابق, ص١٥.
([65]) Jeffrey A. Sayer, Op.Cit, pp.188-189.
([66]) Thorsten Treue,Op.Cit, pp.20-21.
([67]) Food and Agriculture Organization of The United National, Forestry Policies of Selected Countries in Africa, Food and Agriculture Organization of The United National Press,1996, p.292.
([68]) Jeffrey A. Sayer, Op.Cit, pp.188-189.
([69]) Laverle Berry, Op.Cit, p.167.
([٧٠]) طارق سعدالدين عبداللطيف, المصدر السابق, ص١٧.
([٧١]) الجدول من عمل الباحث بالاعتماد على:
United Nation Documents, Economic Commission for Africa, African Statistical Year-Book (1981-1993), New York,1993, p.47.
([72]) Food and Agriculture Organization of The United National, Forestry Policies of Selected Countries in Africa, Food and Agriculture Organization of The United National Press,1996, p.284.
([73]) Quoted in: Food and Agriculture Organization of The United National, Op.Cit, p.284.
([74]) Food and Agriculture Organization of The United National, Op.Cit, p.284 ; Dominic M. Ayine, Developing Legal Tools for Citizen Empowerment: Social= =Responsibility Agreements in Ghana's Forestry Sector, Center for Public Interest Law, Philadelphia, 2001, p.3.
([75]) Wisdom J. Tettey & Korbla P. Puplampu & Bruce J. Berman, Critical Perspectives in Politics and Socio – Economic Development in Ghana, Brill Leiden, Boston,2003, p.395.
([76]) Paul Osei – Tutu & Others, Hidden Forestry Revealed, International Institute for Environment and Development, London,2010, p.19.
([77]) James K. Boyce & Sunita Narain & Elizabeth A. Stanton, Reclaiming Nature: Environmental Justice and Ecological Restoration, Anthem Press, London,2007, p.219.
([78]) Paul Osei – Tutu & Others, Op.Cit, p.20.
([٧٩]) طارق سعدالدين عبداللطيف, المصدر السابق, ص١٨.
([80]) Roger S. Gocking, The History of Ghana, Green Wood, London, 2005, p.4.
([81]) C.H. Hoste & Others, Trypanotolerant Livestock in West and Central Africa, International Livestock Center for Africa, Addis Ababa, 1992, p.113.
([٨٢]) الجدول من عمل الباحث بالاعتماد على:
C.H. Hoste & Others,Op.Cit, pp.113-115 ; Victor. K. Nyanteng, Op.Cit, p.10.

([83]) United States Agency for International Development, Congressional Presentation, Summary Tables, Fiscal Year 1996, Congressional Sales Office, Washington,1997, p.87.
([84]) Ghana News, Accra, 17 May 1996.
([85]) Ghanaian Ministry of Food and Agriculture, Livestock Development in Ghana Policies and Strategies, (N.P),2004, P.10.

([٨٦]) الجدول من عمل الباحث بالاعتماد على:

Ghanaian Ministry of Food and Agriculture, Op.Cit, p.10.
([87]) Amadou Tall & Pierre Failler, Fishery and Aquaculture Industry in Ghana, ATLAFCO Press, Marrakesh,2012, p.3.
([88]) Food and Agriculture Organization of The United Nations, Proceedings of The FAO Expert Consultation on Fish Technology in Africa, Abidjan – Cote D'Ivoire (25-28 April 1988), Rome,1989, p.155.

([٨٩]) طارق سعدالدين عبداللطيف, مصدر سابق, ص١٩.

([90]) Pennsylvania State University, Artisan Fishery Technology in Ghana, Agency for International Development, Washington, 1979, p.4.
([91]) Howard Schissel, "Fishing The Atlantic: Foreign Fleets Take Leon's", The Africa Review 1988, World of Information, London,1988, p.23-24.
([92]) Laverle Berry, Op.Cit, p.167.
([93]) Ghana News, Accra, 22 December 1990.
([94]) P.H. Blackburn, Op.Cit, p.124.
([95]) Laverle Berry, Op.Cit, p.167.
([96]) Yaw Opoku-Ankomah, Hydro-Political Assessment of Water Governance from The Top-down and Review The Literature on Local Level Institutions and Practices in The Volta Basin, International Water Management Institute,2006, p.32.
([97]) People's Daily Graphic, Accra, 22 May 1992.
([98]) Laverle Berry, Op.Cit, p.167-168.
([99]) Svein Jentoft & Others, Blue Justice: Small-Scale Fisheries in a Sustainable Ocean Economy, Springer Nature Switzerland, Gewerbestrasse,2022, p.108.
([100]) Allan R.Robinson & Kenneth H.Brink, Global Coastal Ocean, Multiscale Interdisciplinary Processes, Harvard University Press, London,2005, p.972.
([101]) Daily Graphic, Accra, 20 June 1997.
([102]) Svein Jentoft & Others, Op.Cit, p.109.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

أزمة نقص الأبنية المدرسية في العراق بعد عام 2003 ودور مشروع بناء المدارس الصينية في مواجهتها

هبة فخري عبيد
متوسطة حمورابي للبنين
mo8986he@gmail.com

الاستلام(Received) : 09 /06/ 2026 التعديل (Revision) : 25/06/ 2026
القبول(Accepted) : 12 /07/ 2026 النشر (Published) :30/09/ 2026

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الخلاصة:

تتناول هذه الدراسة أزمة نقص الأبنية المدرسية في العراق بعد عام 2003 بوصفها مشكلة بنيوية معقدة نتجت عن تداخل عوامل سياسية واقتصادية وإدارية وديموغرافية، أدت إلى اتساع الفجوة بين أعداد الطلبة والطاقة الاستيعابية للمدارس، وما ترتب على ذلك من انتشار ظواهر الدوام المزدوج والثلاثي والاكتظاظ داخل الصفوف، الأمر الذي انعكس سلبًا على جودة التعليم وكفاءة مخرجاته، كما سلطت الدراسة الضوء على الخلفية التاريخية للاتفاق العراقي الصيني، ومراحل تنفيذ مشروع المدارس الصينية وتوزيعه الجغرافي ومواصفاته الفنية، بوصفه أحد الحلول الدولية الهادفة إلى معالجة جزء من العجز في البنية التحتية التعليمية، حيث أسهم المشروع في تخفيف الضغط على المدارس القائمة وتحسين البيئة التعليمية في عدد من المناطق، لكنه لم يتمكن من إنهاء الأزمة بشكل كامل نتيجة استمرار النمو السكاني وضعف التخطيط الاستراتيجي الشامل، وتخلص الدراسة إلى أن معالجة أزمة الأبنية المدرسية تتطلب رؤية وطنية متكاملة تقوم على التخطيط طويل الأمد، وتطوير الإدارة التعليمية، وتوسيع الشراكات الدولية، بما يضمن استدامة البنية التحتية وتحقيق العدالة في توزيع الخدمات التعليمية.

الكلمات المفتاحية: الأبنية المدرسية، العراق بعد 2003، مشروع المدارس الصينية، البنية التحتية التعليمية، التخطيط التربوي.

The School Infrastructure Shortage Crisis in Iraq after 2003 and the Role of the Chinese School Construction Project in Addressing It

Heba Fakhry Obeid
Hammurabi Intermediate School for Boys
mo8986he@gmail.com

Abstract:

This study addresses the shortage of school buildings in Iraq after 2003 as a complex structural problem resulting from the interplay of political, economic, administrative, and demographic factors. This has led to a widening gap between the number of students and the capacity of schools, resulting in the spread of double and triple shifts and overcrowding in

classrooms, which has negatively affected the quality of education and the efficiency of its outcomes. The study also highlights the historical background of the Iraqi–Chinese agreement, the implementation stages of the Chinese school construction project, its geographical distribution, and its technical specifications as one of the international solutions aimed at addressing part of the infrastructure deficit in education. The project contributed to easing pressure on existing schools and improving the learning environment in several regions; however, it did not fully resolve the crisis due to continued population growth and weak comprehensive strategic planning. The study concludes that addressing the school infrastructure crisis requires an integrated national vision based on long-term planning, the development of educational management, and the expansion of international partnerships to ensure the sustainability of infrastructure and achieve equity in the distribution of educational services.
Keywords: school infrastructure, Iraq after 2003, Chinese school construction project, educational infrastructure, educational planning.

المقدمة:

شهد قطاع التعليم في العراق خلال العقود الأخيرة تحولات عميقة ارتبطت بالتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي مر بها البلد، ولا سيما بعد عام 2003 الذي مثّل نقطة انعطاف مهمة في مسار الدولة ومؤسساتها، وقد انعكست هذه التحولات بشكل مباشر على البنية التحتية التعليمية، إذ واجهت الأبنية المدرسية تراجعًا كبيرًا نتيجة توقف مشاريع التوسعة والإعمار، وتعرض العديد من المدارس للضرر أو الإهمال، بالتوازي مع ارتفاع متسارع في أعداد الطلبة، هذا الواقع أدى إلى نشوء فجوة واضحة بين القدرة الاستيعابية للمؤسسات التعليمية وحجم الطلب المتزايد على التعليم، مما جعل الأزمة تتخذ طابعًا بنيويًا معقدًا يتجاوز الحلول الجزئية أو المؤقتة.

وفي ظل هذا التدهور، برزت أزمة نقص الأبنية المدرسية كأحد أبرز التحديات التي واجهت النظام التعليمي في العراق، حيث انعكست على جودة العملية التعليمية، ومستوى التحصيل الدراسي، واستقرار البيئة المدرسية بشكل عام، وقد أدت هذه الأزمة إلى انتشار ظواهر مثل الدوام المزدوج والثلاثي، والاكتظاظ داخل الصفوف الدراسية، واستخدام أبنية غير مخصصة للأغراض التعليمية، مما أثّر في كفاءة التعليم وعدالته بين مختلف المناطق، كما أن هذه الأزمة لم تكن وليدة مرحلة واحدة، بل هي نتيجة تراكمات طويلة ارتبطت بضعف التخطيط التربوي وتراجع الاستثمار في قطاع التعليم، إضافة إلى التغيرات الديموغرافية السريعة التي لم تقابلها استجابة بنيوية كافية.

وفي هذا السياق، جاءت مشاريع إعادة الإعمار بوصفها محاولة لمعالجة جزء من هذه الأزمة، ومن أبرزها مشروع بناء المدارس الصينية الذي مثّل تجربة مهمة في دعم البنية التحتية التعليمية من خلال إنشاء عدد كبير من المدارس الحديثة نسبيًا، وقد سعى هذا المشروع إلى تقليص العجز في الأبنية المدرسية وتحسين البيئة التعليمية في عدد من المحافظات، إلا أن فاعليته بقيت مرتبطة بحجم التحديات القائمة واستمرارية النمو السكاني، ومن هنا تبرز أهمية دراسة واقع الأبنية المدرسية بعد 2003، وتحليل

أسباب الأزمة وآثارها، وتقييم التجارب الدولية في معالجتها، بهدف الوصول إلى رؤية أكثر شمولية لإصلاح قطاع التعليم في العراق.

مشكلة البحث:

شهد قطاع التعليم في العراق بعد عام 2003 تحديات عميقة انعكست بصورة مباشرة على البنية التحتية المدرسية، حيث تزامن التغير السياسي مع تراجع كبير في مستوى الخدمات التعليمية وتوقف العديد من مشاريع البناء والصيانة، الأمر الذي أدى إلى تفاقم أزمة نقص الأبنية المدرسية بشكل ملحوظ، ومع الزيادة المستمرة في أعداد الطلبة، وعودة الاستقرار النسبي في بعض المناطق، أصبحت المدارس القائمة غير قادرة على استيعاب الأعداد المتزايدة، مما أدى إلى انتشار ظواهر مثل الدوام المزدوج والثلاثي، والاكتظاظ داخل الصفوف الدراسية، واستخدام أبنية غير مهيأة تربويًا، هذا الواقع المعقد يثير تساؤلًا محوريًا مفاده: إلى أي مدى استطاعت الجهود الحكومية والمشاريع الدولية، ولا سيما مشروع بناء المدارس الصينية، أن تسهم في معالجة أزمة نقص الأبنية المدرسية في العراق بعد عام 2003؟

أهمية البحث:

1. يهدف البحث إلى تحليل واقع الأبنية المدرسية في العراق بعد عام 2003، والكشف عن أبرز التغيرات التي طرأت على البنية التحتية التعليمية خلال هذه المرحلة.
2. يهدف إلى تحديد الأسباب الرئيسة التي أدت إلى تفاقم أزمة نقص الأبنية المدرسية، من خلال دراسة العوامل السياسية والاقتصادية والإدارية والديموغرافية المؤثرة.
3. يهدف إلى بيان الآثار التعليمية والاجتماعية المترتبة على أزمة نقص الأبنية المدرسية، وانعكاسها على جودة التعليم والتحصيل الدراسي والاستقرار الاجتماعي.
4. يهدف إلى دراسة الخلفية التاريخية للاتفاق العراقي الصيني ومراحل التخطيط والتنفيذ والتوزيع الجغرافي والمواصفات الفنية لمشروع المدارس الصينية.
5. يهدف إلى تقييم مدى إسهام مشروع المدارس الصينية في تقليص العجز المدرسي، وتحليل التحديات التي واجهته واستشراف آفاقه المستقبلية في تطوير البنية التحتية التعليمية.

أهداف البحث:

1. يهدف البحث إلى تحليل واقع الأبنية المدرسية في العراق بعد عام 2003، والكشف عن أبرز التغيرات التي طرأت على البنية التحتية التعليمية خلال هذه المرحلة.
2. يهدف إلى تحديد الأسباب الرئيسة التي أدت إلى تفاقم أزمة نقص الأبنية المدرسية، من خلال دراسة العوامل السياسية والاقتصادية والإدارية والديموغرافية المؤثرة.

3. يهدف إلى بيان الآثار التعليمية والاجتماعية المترتبة على أزمة نقص الأبنية المدرسية، وانعكاسها على جودة التعليم والتحصيل الدراسي والاستقرار الاجتماعي.
4. يهدف إلى دراسة الخلفية التاريخية للاتفاق العراقي الصيني ومراحل التخطيط والتنفيذ والتوزيع الجغرافي والمواصفات الفنية لمشروع المدارس الصينية.
5. يهدف إلى تقييم مدى إسهام مشروع المدارس الصينية في تقليص العجز المدرسي، وتحليل التحديات التي واجهته واستشراف آفاقه المستقبلية في تطوير البنية التحتية التعليمية.

منهج البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي في تتبع تطور أزمة الأبنية المدرسية في العراق بعد عام 2003، مع توظيف المنهج الوصفي لرصد واقعها وتشخيص أسبابها وآثارها.

المبحث الأول: أزمة الأبنية المدرسية في العراق بعد عام 2003:

يمثل واقع الأبنية المدرسية أحد أهم المؤشرات الدالة على كفاءة النظام التعليمي وقدرته على توفير بيئة تعليمية مناسبة تحقق أهداف العملية التربوية، إذ إن توافر الأبنية المدرسية الملائمة من حيث العدد والتجهيزات والطاقة الاستيعابية يعد شرطًا أساسيًا لضمان جودة التعليم واستقراره، وقد واجه العراق بعد عام 2003 أزمة متفاقمة في قطاع الأبنية المدرسية نتيجة تراكم مشكلات سابقة وظهور تحديات جديدة ارتبطت بالنمو السكاني، وتزايد أعداد الطلبة، وضعف التخطيط، وقلة التخصيصات المالية، فضلًا عن الأضرار التي لحقت بالبنية التحتية في العديد من المحافظات، الأمر الذي أدى إلى اتساع الفجوة بين الحاجة الفعلية إلى المدارس وما هو متوافر منها، وانعكست هذه الأزمة بصورة مباشرة على الواقع التعليمي والاجتماعي، من خلال انتشار الدوام المزدوج والثلاثي، وارتفاع الكثافة الصفية، وتراجع جودة البيئة التعليمية، ومن أجل الإحاطة بمختلف جوانب هذه الأزمة، قُسِّم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب؛ يتناول المطلب الأول واقع الأبنية المدرسية في العراق بعد عام 2003، ويبحث المطلب الثاني أسباب تفاقم أزمة نقص الأبنية المدرسية، في حين يخصص المطلب الثالث لبيان الآثار التعليمية والاجتماعية المترتبة على هذه الأزمة.

المطلب الأول: واقع الأبنية المدرسية في العراق بعد عام 2003:

شهد العراق بعد عام 2003 تحولات عميقة طالت مختلف مؤسسات الدولة، وكان قطاع التعليم من أكثرها تأثرًا نتيجة تدهور الاستقرار الأمني والسياسي والاقتصادي، الأمر الذي انعكس بصورة مباشرة على الأبنية المدرسية، فقد دخلت هذه الأبنية مرحلة تراجع واضح تمثلت في توقف خطط الإعمار والصيانة، وتضرر عدد كبير من المدارس بفعل العمليات العسكرية أو الإهمال الإداري، بالتوازي مع ارتفاع معدلات النمو السكاني وعودة الاستقرار النسبي في بعض المناطق، مما أدى إلى اتساع الفجوة

بين عدد المدارس المتاحة وحجم الطلب المتزايد على التعليم، وقد نتج عن ذلك انتشار ظاهرة الدوام المزدوج والثلاثي داخل المبنى المدرسي الواحد، وهو ما أثر سلبًا في جودة البيئة التعليمية وفاعلية العملية التربوية، كما أن كفاءة المبنى المدرسي تمثل عنصرًا أساسيًا في تحسين التحصيل الدراسي، إذ ترتبط البيئة المادية ارتباطًا مباشرًا بالدافعية والتعلم (الزنفلي، 2010: ص45)، كما أن ضعف التخطيط التربوي بعد 2003 أسهم في تعميق الأزمة نتيجة غياب الرؤية الاستراتيجية طويلة المدى لإدارة قطاع التعليم (شحاتة، 2003: ص78).

كما أن أزمة الأبنية المدرسية في العراق لم تكن ظرفية، بل هي أزمة تراكمية نتجت عن توقف مشاريع الإنشاء وضعف الاستثمار في قطاع التعليم مقارنة بحجم الحاجة الفعلية، وقد ظهر وجود عجز كبير في عدد المدارس مقابل أعداد الطلبة، مع الاعتماد المتزايد على الأبنية المستأجرة وغير المؤهلة تربويًا، ما أدى إلى تراجع مستوى البيئة التعليمية (هيأة المستشارين، 2016: ص33)، كما كشفت الإحصاءات التربوية عن ارتفاع نسب الاكتظاظ داخل الصفوف الدراسية إلى مستويات تفوق المعايير المقبولة، خصوصًا في المناطق الحضرية ذات الكثافة السكانية العالية (وزارة التربية، 2023: ص19)، ويعكس هذا الواقع أن المشكلة لا تقتصر على نقص الأبنية، بل تمتد إلى خلل في التخطيط التربوي الذي لم يواكب التغيرات الديموغرافية المتسارعة، وفي السياق ذاته يرتبط ضعف البنية التحتية التعليمية بتراجع فاعلية الإدارة المدرسية وقدرتها على أداء وظائفها التربوية (القاسم، والزبيدي، 2009: ص61).

ومن زاوية أخرى فإن الأبنية المدرسية في العراق بعد 2003 تعاني من تهالك واسع في المنشآت القائمة، إضافة إلى عدم مطابقتها للمعايير الحديثة من حيث التصميم والمساحة والتجهيزات، إذ تحولت العديد من المباني غير التعليمية إلى مدارس دون مراعاة الشروط التربوية، ما أدى إلى ضعف في التهوية والإضاءة وضيق الصفوف الدراسية (بلواني، 2008: ص102)، كما أن غياب المعايير الموحدة للبناء المدرسي أسهم في تفاوت كبير بين المدارس من حيث الجودة، حيث تتجاور مدارس حديثة نسبيًا مع أخرى متهالكة تفتقر إلى الحد الأدنى من شروط البيئة التعليمية، وقد أدى ذلك إلى خلق فجوة تعليمية بين المناطق المختلفة انعكست على تكافؤ الفرص التعليمية (زيدان، 2008: ص88).

كما أن جذور الأزمة لا تنفصل عن ضعف منظومة إعداد المعلم والإدارة التربوية، إذ يرتبط نجاح النظام التعليمي بوجود تكامل بين البنية التحتية والموارد البشرية، وهو ما لم يتحقق بصورة متوازنة بعد 2003 (بن هويمل، والعنادي، 2015: ص54)، كما أن غياب التخطيط الشامل لإعادة إعمار التعليم جعل المعالجات غالبًا جزئية ومؤقتة، دون الوصول إلى حلول استراتيجية مستدامة، ما أدى إلى استمرار الأزمة وتفاقمها (جاسم، وإسماعيل، 2019: ص27).

وتكشف البرلمانية أن محاولات معالجة نقص الأبنية المدرسية واجهت تحديات كبيرة تمثلت في ضعف التمويل، وتعدد الجهات المنفذة، وغياب التنسيق المؤسسي، إضافة إلى الظروف الأمنية غير المستقرة التي عطلت تنفيذ العديد من المشاريع (موسى، 2016: ص40)، ورغم إطلاق مشاريع لاحقة لبناء مدارس جديدة، إلا أن الفجوة بين التخطيط والتنفيذ بقيت واضحة، مما أبقى الأزمة قائمة (موسى، 2022: ص18)، ويعكس ذلك أن المشكلة ليست إنشائية فقط، بل هي بنيوية تتعلق بآليات الإدارة والتخطيط والتمويل.

كما أسهم ضعف الكفاءة الإنتاجية في قطاع التربية في الحد من فاعلية الموارد المتاحة، حيث لم يتم استثمار الإمكانات بالشكل الأمثل سواء في البناء أو التشغيل أو الصيانة (زيدان، 2008: ص92)، وبذلك فإن واقع الأبنية المدرسية في العراق بعد 2003 يمثل نتيجة لتراكم عوامل سياسية واقتصادية وإدارية متداخلة، جعلت من قطاع التعليم أحد أكثر القطاعات تأثرًا بمرحلة التحول، وقد مهد هذا الواقع لاحقًا لظهور مشاريع دولية لمعالجة جزء من العجز، ومنها مشروع بناء المدارس الصينية، إلا أن جذور المشكلة تبقى ممتدة في البنية التاريخية لما بعد 2003 بكل ما حملته من اختلالات هيكلية.

كما أن واقع الأبنية المدرسية في العراق بعد عام 2003 لم يكن مجرد مشكلة في عدد المدارس أو ضعف في البنية المادية فقط، بل هو انعكاس مباشر لاضطراب شامل أصاب منظومة التعليم بكاملها، نتيجة غياب الاستقرار الإداري وتغير الأولويات الحكومية خلال السنوات الأولى بعد التغيير، مما أدى إلى تعطيل العديد من الخطط الاستراتيجية الخاصة بالتوسع المدرسي (شحاتة، 2003: ص78)، كما أن التحول الديموغرافي السريع وزيادة معدلات الالتحاق بالتعليم خلق ضغطًا كبيرًا على بنية تحتية غير مؤهلة لاستيعاب هذا النمو (الزنفلي، 2010: ص45).

ومن جهة أخرى، فإن استمرار الاعتماد على حلول إسعافية مؤقتة أسهم في ترسيخ الأزمة بدل معالجتها، حيث لم يتم تبني سياسة بناء مدرسية طويلة الأمد تتناسب مع الاحتياجات المستقبلية، بل ظل التركيز على سد النقص الفوري دون معالجة جذوره البنيوية (زيدان، 2008: ص88)، وقد انعكس ذلك في استمرار ظاهرة الاكتظاظ داخل الصفوف وتراجع زمن التعلم الفعلي، مما أثر في جودة التحصيل العلمي لدى الطلبة وأضعف كفاءة العملية التعليمية (القاسم، والزبيدي، 2009: ص61).

كما برزت آثار أخرى تمثلت في اتساع الفجوة بين المناطق من حيث توفر الأبنية المدرسية وجودتها، إذ تفوقت بعض المناطق الحضرية على الريفية في حجم ونوعية الخدمات التعليمية، ما أخلّ بمبدأ تكافؤ الفرص التعليمية (بلواني، 2008: ص102)، ويضاف إلى ذلك ضعف الاستثمار في الصيانة والتحديث، مما أدى إلى تسارع تدهور عدد من المدارس القائمة وارتفاع معدلات الحاجة إلى بدائل غير تربوية (هيأة المستشارين، 2016: ص33).

وبذلك يتضح أن واقع الأبنية المدرسية في العراق بعد 2003 يمثل حالة مركبة من التحديات البنيوية التي ترتبط بالتخطيط والإدارة والتمويل والتنفيذ، وأن معالجته تتطلب رؤية استراتيجية شاملة تتجاوز الحلول المؤقتة نحو بناء منظومة تعليمية مستدامة قادرة على التكيف مع المتغيرات المستقبلية وضمان استمرارية التطوير في قطاع التعليم.

المطلب الثاني: أسباب تفاقم أزمة نقص الأبنية المدرسية:

تعود أسباب تفاقم أزمة نقص الأبنية المدرسية في العراق بعد عام 2003 إلى مجموعة من العوامل المتداخلة التي شملت الجوانب السياسية والاقتصادية والإدارية والديموغرافية، الأمر الذي جعل هذه الأزمة تتخذ طابعًا بنيويًا مستمرًا وليس مجرد خلل ظرفي، فقد أسهمت مرحلة ما بعد التغيير السياسي في حدوث اضطراب كبير في مؤسسات الدولة، ما انعكس على قدرة وزارة التربية على تنفيذ خططها الاستثمارية في بناء المدارس وصيانتها، كما أدى تراجع الاستقرار الأمني في عدد من المحافظات إلى تعطيل مشاريع إنشائية عديدة أو تأجيلها، الأمر الذي عمّق الفجوة بين العرض المدرسي والطلب المتزايد على التعليم، كما أن غياب التخطيط الاستراتيجي طويل المدى في قطاع التعليم يمثل أحد أبرز أسباب تدهور البنية التحتية التعليمية، حيث إن أي نظام تعليمي لا يمكن أن يحقق كفاءته دون ربط النمو السكاني بخطط بناء المدارس (شحاتة، 2003: ص78).

ومن بين الأسباب الجوهرية أيضًا ضعف التمويل المخصص لقطاع التربية مقارنة بحجم الاحتياج الفعلي، إذ لم تكن الموازنات الاستثمارية قادرة على مواكبة الزيادة السكانية المتسارعة وارتفاع أعداد الطلبة في مختلف المراحل الدراسية، وقد أدى ذلك إلى اعتماد حلول إسعافية مثل الدوام المزدوج والثلاثي، بدلًا من التوسع في إنشاء مدارس جديدة تستوعب الأعداد المتزايدة، كما وجد عجز كبير في الأبنية المدرسية نتيجة توقف أو بطء تنفيذ المشاريع التربوية، مع الاعتماد المتزايد على المباني المؤجرة وغير المهيأة تربويًا (هيأة المستشارين، 2016: ص33)، كما أوضحت الإحصاءات أن الاكتظاظ داخل الصفوف الدراسية أصبح ظاهرة عامة في العديد من المحافظات، ما أثر في جودة التعليم ومخرجاته (وزارة التربية، 2023: ص19).

وتبرز أيضًا مشكلة سوء الإدارة والتخطيط داخل المؤسسات المعنية بقطاع التعليم، حيث أدى ضعف التنسيق بين الجهات التنفيذية والتخطيطية إلى تشتت الجهود وعدم استثمار الموارد بالشكل الأمثل، كما أن تعدد الجهات المسؤولة عن تنفيذ المشاريع التربوية ساهم في تأخير الإنجاز وارتفاع نسب التعثر في المشاريع القائمة، وقد أشار بعض الباحثين إلى أن ضعف الكفاءة الإدارية في إدارة المشاريع التربوية يمثل أحد العوامل التي أدت إلى انخفاض كفاءة النظام التعليمي بشكل عام (القاسم، والزبيدي، 2009:

ص61)، ويضاف إلى ذلك غياب معايير موحدة وواضحة للبناء المدرسي خلال السنوات الأولى بعد 2003، مما أدى إلى تفاوت كبير في جودة المدارس المنفذة حديثًا مقارنة بالقديمة.

ومن الأسباب المهمة كذلك الزيادة السكانية المتسارعة والهجرة الداخلية نحو المدن الكبرى، مما أدى إلى ضغط كبير على البنية التحتية التعليمية في المناطق الحضرية تحديدًا، هذا التغير الديموغرافي لم يقابله توسع مكافئ في بناء المدارس، فازدادت معدلات الاكتظاظ بشكل ملحوظ، كما ساهمت عودة النازحين في بعض الفترات في زيادة الضغط على المدارس القائمة دون وجود خطط استيعابية كافية، كما أن عدم التوازن بين النمو السكاني والتخطيط التربوي يؤدي إلى اختلالات عميقة في النظام التعليمي يصعب معالجتها على المدى القصير (زيدان، 2008: ص88).

كما أدت الأوضاع الاقتصادية دورًا مهمًا في تفاقم الأزمة، حيث أثرت تقلبات الاقتصاد العام في قدرة الدولة على تنفيذ مشاريع البنية التحتية، خاصة في سنوات انخفاض أسعار النفط أو زيادة النفقات التشغيلية، وقد أدى ذلك إلى تقليص حجم الاستثمارات الموجهة لبناء المدارس، مقابل التركيز على النفقات الجارية، كما أن ضعف القطاع الخاص في المساهمة في المشاريع التربوية ساهم في استمرار الاعتماد شبه الكامل على الدولة في إنشاء الأبنية المدرسية.

ويضاف إلى ذلك أن ضعف الصيانة الدورية للمباني المدرسية القائمة أدى إلى خروج عدد منها عن الخدمة، ما زاد من حدة النقص في الطاقة الاستيعابية، فبدلًا من الحفاظ على الأبنية القائمة وإطالة عمرها التشغيلي، تعرضت العديد منها للإهمال مما استدعى إغلاقها أو استخدامها بشكل جزئي، كما أن غياب برامج الصيانة الوقائية يعد من أبرز أسباب تدهور البنية التحتية التعليمية في البيئات التي تعاني من ضعف إداري (الزنفلي، 2010: ص45).

ومن الجوانب المهمة التي يمكن إضافتها في تحليل أسباب تفاقم أزمة الأبنية المدرسية في العراق بعد عام 2003، تأثير ضعف الحوكمة المؤسسية على إدارة القطاع التربوي، إذ لم تكن المشكلة مقتصرة على نقص الموارد المالية فقط، بل امتدت إلى كيفية إدارة هذه الموارد وتوجيهها نحو الأولويات الفعلية، فقد أدى ضعف أنظمة المتابعة والتقييم إلى غياب مؤشرات دقيقة لقياس الاحتياج الحقيقي لكل منطقة، مما جعل توزيع المشاريع الإنشائية يتم أحيانًا بصورة غير متوازنة أو غير مبنية على بيانات محدثة، وهو ما عمّق الفجوة بين التخطيط والتنفيذ (موسى، 2022: ص18).

كما أسهمت طبيعة البيئة التشريعية والتنظيمية في إبطاء تنفيذ مشاريع الأبنية المدرسية، حيث اتسمت بعض الإجراءات القانونية المتعلقة بالاستملاك والتخصيص والتعاقد بالتعقيد والتداخل بين الجهات المختلفة، الأمر الذي أدى إلى تأخير إطلاق العديد من المشاريع أو توقفها في مراحلها الأولى، هذا الوضع انعكس سلبًا على سرعة الاستجابة للحاجة المتزايدة للمدارس، خصوصًا في المناطق التي تشهد

نموًا سكانيًا مرتفعًا، مما جعل الأزمة أكثر حدة في بعض المحافظات مقارنة بغيرها (هيأة المستشارين، 2016: ص33).

ومن العوامل المؤثرة كذلك محدودية التخطيط المكاني في توزيع المدارس، إذ لم يتم الاعتماد بشكل كافٍ على الدراسات الجغرافية والديموغرافية الدقيقة عند تحديد مواقع البناء، ما أدى إلى تمركز المدارس في مناطق معينة مقابل نقص واضح في مناطق أخرى، هذا الخلل في التوزيع المكاني ساهم في خلق ضغط إضافي على المدارس القائمة، وأدى إلى زيادة زمن التنقل للطلبة في بعض المناطق الريفية، وهو ما انعكس على انتظامهم الدراسي واستمرارهم في التعليم (زيدان، 2008: ص88).

كما أدى ضعف ثقافة الصيانة الوقائية دورًا مهمًا في تفاقم الأزمة، إذ لم تُعتمد خطط طويلة الأمد للحفاظ على الأبنية المدرسية القائمة، بل جرى التعامل مع المشكلات الإنشائية بعد وقوعها بدل الوقاية منها، وقد أدى ذلك إلى تسارع تدهور العديد من المدارس وتحولها من منشآت قابلة للاستخدام إلى مبانٍ تحتاج إلى إعادة تأهيل شاملة أو استبدال كامل، مما زاد العبء على خطط البناء الجديدة وأبطأ عملية تقليص العجز.

ومن ناحية أخرى، فإن التغيرات الاجتماعية المرتبطة بزيادة معدلات التحضر والهجرة الداخلية نحو المدن الكبرى أسهمت في إعادة توزيع الضغط على البنية التحتية التعليمية بشكل غير متوازن، حيث أصبحت بعض المراكز الحضرية تعاني من اكتظاظ شديد مقابل انخفاض نسبي في الكثافة المدرسية في مناطق أخرى، هذا الاختلال في التوازن السكاني لم يقابله تحديث سريع في شبكات المدارس، مما أدى إلى استمرار الأزمة بوتيرة متصاعدة (القاسم، والزبيدي، 2009: ص61).

كما أن محدودية التنسيق بين الخطط التعليمية والخطط العمرانية أسهمت في تعميق المشكلة، إذ لم يكن هناك تكامل كافٍ بين الجهات التخطيطية عند إنشاء الأحياء السكنية الجديدة وبناء المدارس المصاحبة لها، مما أدى إلى نشوء مناطق سكنية تفتقر إلى الخدمات التعليمية الأساسية لفترات طويلة، هذا الانفصال بين التخطيط العمراني والتربوي يعد من أبرز أسباب استمرار العجز في الأبنية المدرسية.

مما يبين أن تفاقم أزمة نقص الأبنية المدرسية في العراق بعد 2003 هو نتاج تداخل عوامل سياسية وأمنية وإدارية واقتصادية وديموغرافية، جعلت من هذه الأزمة قضية هيكلية معقدة تحتاج إلى تخطيط استراتيجي طويل المدى لمعالجتها، وليس إلى حلول جزئية مؤقتة.

المطلب الثالث: الآثار التعليمية والاجتماعية المترتبة على الأزمة:

انعكست أزمة نقص الأبنية المدرسية في العراق بعد عام 2003 بصورة مباشرة على الواقع التعليمي والاجتماعي، حيث لم تقتصر آثارها على الجانب البنائي فحسب، بل امتدت لتؤثر في جودة التعليم، ومستوى التحصيل الدراسي، واستقرار البيئة المدرسية، فقد أدى العجز الكبير في عدد المدارس إلى

اعتماد نظام الدوام المزدوج والثلاثي في العديد من المناطق، وهو ما قلل من زمن التعلم الفعلي للطلبة، وأضعف فرص التفاعل الصفي، وأثر في تنفيذ المناهج بالشكل الكامل، كما أن البيئة المدرسية غير الملائمة تُعد من العوامل الأساسية التي تؤثر في إنتاجية النظام التعليمي وكفاءته الداخلية، إذ يرتبط التحصيل الدراسي ارتباطًا وثيقًا بجودة البنية التحتية (الزنفلي، 2010: ص45)، كما أن ضعف البيئة المدرسية يحد من قدرة المعلم على استخدام أساليب تدريس حديثة تعتمد على التفاعل والمشاركة (شحاتة، 2003: ص78).

ومن أبرز الآثار التعليمية أيضًا ارتفاع معدلات الاكتظاظ داخل الصفوف الدراسية، الأمر الذي أدى إلى تراجع فرص المتابعة الفردية للطلبة، وصعوبة مراعاة الفروق الفردية بينهم، هذا الاكتظاظ انعكس سلبًا على جودة التعلم، وأدى إلى ضعف في اكتساب المهارات الأساسية، خاصة في المراحل الابتدائية التي تُعد الأساس في بناء القدرات المعرفية، كما ساهمت الأبنية غير المؤهلة تربويًا في خلق بيئة تعليمية غير مستقرة، تفتقر إلى التهوية والإضاءة المناسبة والمساحات الكافية، ما يؤثر في تركيز الطلبة ودافعيتهم للتعلم، كما أن سوء البيئة المادية للمدرسة يؤدي إلى انخفاض مستوى التحصيل وزيادة معدلات التسرب (زيدان، 2008: ص88).

وعلى المستوى الإداري، أدت الأزمة إلى زيادة الضغط على إدارات المدارس، التي باتت مضطرة لإدارة أكثر من دوام داخل المبنى نفسه، مع محدودية الموارد والإمكانات، وقد أثر ذلك في كفاءة الإدارة المدرسية وقدرتها على تنفيذ الخطط التربوية والأنشطة الصفية واللاصفية، مما انعكس على جودة العملية التعليمية بشكل عام (القاسم، والزبيدي، 2009: ص61)، كما أن تعدد الدوامات داخل المدرسة الواحدة أدى إلى تقليص الوقت المخصص للأنشطة التربوية المساندة، مثل النشاط الرياضي والفني، وهو ما أثر في تنمية الجوانب غير المعرفية لدى الطلبة.

أما على المستوى الاجتماعي، فقد أسهمت الأزمة في تعميق الفجوات بين المناطق المختلفة، حيث تعاني بعض المناطق من اكتظاظ شديد ونقص حاد في الأبنية، في حين تتمتع مناطق أخرى ببنية مدرسية أفضل نسبيًا، هذا التفاوت خلق نوعًا من عدم العدالة في توزيع الفرص التعليمية، ما انعكس لاحقًا على تكافؤ الفرص الاجتماعية والاقتصادية، كما أن ضعف البيئة المدرسية دفع بعض الأسر إلى البحث عن بدائل تعليمية خاصة، ما زاد من العبء المالي على العائلات ذات الدخل المحدود.

ومن الآثار الاجتماعية المهمة أيضًا ارتفاع معدلات التسرب من المدرسة، خاصة في البيئات التي تعاني من اكتظاظ شديد أو مبانٍ غير مناسبة، إذ يشعر بعض الطلبة بعدم الارتياح داخل المدرسة، مما يدفعهم إلى الانقطاع المبكر عن التعليم، وقد ترتب على ذلك ضعف في رأس المال البشري على المدى البعيد،

وتأثيرات سلبية على سوق العمل والتنمية الاجتماعية، كما أن استمرار الأزمة أسهم في تقليل ثقة المجتمع بالمؤسسة التعليمية، بوصفها بيئة قادرة على تحقيق جودة تعليمية مستقرة.

ويضاف إلى ذلك أن الأزمة أثرت في العلاقات الاجتماعية داخل المدرسة، حيث أدى الضغط والاكتظاظ إلى زيادة التوتر بين الطلبة والمعلمين، وارتفاع مستوى الضوضاء والفوضى الصفية، مما انعكس على المناخ النفسي العام داخل المؤسسة التعليمية، كما أن البيئة المدرسية غير المستقرة تؤثر في الصحة النفسية للطلبة وتزيد من مستويات القلق وضعف الدافعية (الشرعي، ب.ت.: ص21).

كما أن هذه الأزمة لم تقتصر على الجوانب التعليمية المباشرة، بل امتدت لتؤثر في البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع على المدى البعيد، فقد أسهم تراجع جودة البيئة المدرسية في إضعاف دور المدرسة كمؤسسة تنشئة اجتماعية، حيث لم تعد قادرة على أداء وظائفها التربوية الكاملة في بناء القيم وتنمية المهارات الاجتماعية لدى الطلبة، نتيجة ضيق الوقت المخصص للأنشطة الصفية وضعف الإمكانات المادية والبشرية داخل المؤسسات التعليمية (القاسم، والزبيدي، 2009: ص61)، كما أن ضغط الاكتظاظ داخل الصفوف أدى إلى تقليص فرص التفاعل الإيجابي بين الطلبة والمعلمين، مما أثر في بناء العلاقات التربوية السليمة داخل البيئة المدرسية.

ومن ناحية أخرى، ساهمت الأزمة في ترسيخ أنماط من التفاوت الاجتماعي المرتبط بجودة التعليم، إذ أصبح الوصول إلى بيئة تعليمية مناسبة مرتبطًا في بعض الحالات بالموقع الجغرافي أو الوضع الاقتصادي للأسرة، وهو ما أضعف مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية، وقد دفع هذا الواقع بعض الأسر إلى اللجوء إلى التعليم الأهلي أو الخاص كبديل عن المدارس الحكومية المكتظة أو غير المؤهلة، مما أدى إلى زيادة العبء الاقتصادي على شرائح واسعة من المجتمع، وخلق نوع من التمايز الاجتماعي في فرص التعلم المتاحة (زيدان، 2008: ص88).

كما كان للأزمة أثر طويل الأمد على مخرجات النظام التعليمي، حيث انعكس ضعف البيئة المدرسية على جودة المهارات الأساسية المكتسبة لدى الطلبة، الأمر الذي قد يؤثر مستقبلًا في قدرتهم على الاندماج في سوق العمل أو متابعة التعليم العالي بكفاءة، ويشير ذلك إلى أن المشكلة لا تتوقف عند حدود المدرسة، بل تمتد لتشمل التنمية البشرية بشكل عام، باعتبار التعليم أحد أهم روافد رأس المال البشري في المجتمع (الزنفلي، 2010: ص45).

ويضاف إلى ذلك أن استمرار الضغط على المدارس أدى إلى خلق بيئة تعليمية تتسم بالتوتر والانضباط الضعيف في بعض الحالات، نتيجة كثافة الطلبة داخل الصفوف وصعوبة إدارة العملية التعليمية بشكل فعال، وقد انعكس ذلك على الحالة النفسية لكل من الطلبة والمعلمين، حيث ارتفعت مستويات الإرهاق

المهني لدى الكوادر التعليمية، مقابل انخفاض الدافعية لدى الطلبة، مما أثر في جودة الأداء التربوي بشكل عام (شحاتة، 2003: ص78).

مما يبين أن أزمة نقص الأبنية المدرسية في العراق بعد 2003 لم تكن أزمة بنائية فقط، بل كانت أزمة متعددة الأبعاد أثرت في جودة التعليم، وكفاءة الإدارة، وعدالة الفرص التعليمية، والاستقرار الاجتماعي، الأمر الذي يجعل معالجتها ضرورة استراتيجية تتجاوز الحلول المؤقتة نحو تخطيط شامل لإعادة بناء البيئة التعليمية.

المبحث الثاني: مشروع بناء المدارس الصينية في العراق:

يمثل مشروع بناء المدارس الصينية في العراق أحد أبرز المشروعات الاستراتيجية التي تبنتها الدولة لمعالجة أزمة نقص الأبنية المدرسية التي تفاقمت خلال العقود الأخيرة، ولا سيما بعد عام 2003، إذ جاء المشروع استجابة للحاجة الملحة إلى توفير مدارس حديثة تستوعب الزيادة المستمرة في أعداد الطلبة، وتسهم في تحسين البيئة التعليمية والحد من ظواهر الدوام المزدوج والثلاثي والاكتظاظ داخل الصفوف، وقد استند المشروع إلى الاتفاق العراقي–الصيني الذي وفر إطارًا للتعاون في تنفيذ مشروعات البنى التحتية، وكان قطاع التربية من أهم القطاعات التي شملها هذا التعاون، وقد مر المشروع بمراحل متعددة شملت الإعداد والتخطيط واختيار مواقع التنفيذ، ثم المباشرة بأعمال البناء وفق مواصفات فنية حديثة تراعي المعايير الهندسية والتربوية المعتمدة، مع توزيع المدارس على مختلف المحافظات وفق مستويات الحاجة والكثافة السكانية، ولإبراز مختلف أبعاد هذا المشروع، قُسِّم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب؛ يتناول المطلب الأول الخلفية التاريخية للاتفاق العراقي الصيني، ويبحث المطلب الثاني مراحل التخطيط والتنفيذ لمشروع المدارس الصينية، في حين يخصص المطلب الثالث لبيان التوزيع الجغرافي للمدارس ومواصفاتها الفنية.

المطلب الأول: الخلفية التاريخية للاتفاق العراقي الصيني:

يرجع التعاون العراقي الصيني في مجال بناء المدارس إلى سياق تاريخي مرتبط بمرحلة ما بعد عام 2003، حين واجه العراق تحديات كبيرة في إعادة إعمار قطاع التعليم والبنية التحتية بشكل عام، نتيجة الدمار الواسع الذي طال المؤسسات الخدمية خلال الحروب وما تبعها من اضطرابات سياسية وأمنية، ومع تزايد العجز في عدد الأبنية المدرسية وارتفاع معدلات الاكتظاظ داخل الصفوف، بدأت الحكومات العراقية المتعاقبة بالبحث عن شراكات دولية قادرة على دعم مشاريع الإعمار السريع، فبرزت الصين بوصفها أحد أبرز الشركاء في هذا المجال، نظرًا لقدرتها التنفيذية العالية وتكلفتها المنخفضة نسبيًا مقارنة بالدول الأخرى.

وقد ارتبط هذا التعاون بتطور العلاقات الاقتصادية بين العراق والصين في إطار مبادرة "الحزام والطريق"، التي وفرت مظلة أوسع للتعاون في مجالات البنية التحتية، ومنها قطاع التعليم، ومع تصاعد الحاجة إلى حلول عاجلة لأزمة الأبنية المدرسية، تم التوجه نحو عقود تنفيذية مع شركات صينية لبناء آلاف المدارس في مختلف المحافظات العراقية، ضمن ما عُرف بمشاريع المدارس النموذجية، وقد جاء هذا التوجه استجابة لضغط اجتماعي وتربوي متزايد، خاصة بعد وجود عجز كبير في عدد المدارس مقارنة بعدد الطلبة (هيأة المستشارين، 2016: ص33).

كما أن الخلفية التاريخية لهذا الاتفاق ترتبط بتحول السياسة العراقية بعد 2003 نحو تنويع الشراكات الدولية وعدم الاعتماد على مصدر واحد في إعادة الإعمار، إذ أصبحت الصين تمثل خيارًا استراتيجيًا بسبب طبيعة علاقاتها الاقتصادية المتنامية مع العراق في مجالات النفط والبنية التحتية، وقد ساعد هذا التقارب الاقتصادي في فتح المجال أمام اتفاقيات أوسع شملت مشاريع إنشائية متعددة، كان من أبرزها مشروع بناء المدارس الذي استهدف معالجة جزء من أزمة النقص الحاد في الأبنية المدرسية، كما أن ضعف القدرة التنفيذية المحلية، مقابل الحاجة إلى إنجاز سريع وواسع النطاق، كان من العوامل التي دفعت نحو الاستعانة بشركات أجنبية ذات خبرة في المشاريع الكبرى (موسى، 2022: ص18).

كما أن هذا التعاون لم ينشأ بمعزل عن التحولات الاقتصادية التي شهدها العراق خلال مرحلة ما بعد 2003، بل جاء نتيجة حاجة ملحة لإعادة بناء قطاع خدمي منهك يعتمد بدرجة كبيرة على البنى التحتية المتضررة، فقد فرضت طبيعة المرحلة إعادة ترتيب أولويات الدولة، حيث أصبح ملف التعليم من الملفات ذات الأولوية القصوى بسبب ارتباطه المباشر بالتنمية البشرية والاستقرار الاجتماعي، الأمر الذي دفع نحو البحث عن حلول سريعة وفعالة لمعالجة العجز المتراكم في الأبنية المدرسية (هيأة المستشارين، 2016: ص33).

كما أن تطور العلاقات الاقتصادية بين العراق والصين لم يقتصر على قطاع النفط أو المشاريع الاستثمارية الكبرى، بل امتد ليشمل قطاعات خدمية حيوية، من بينها قطاع التعليم، في ظل سياسة الانفتاح الاقتصادي التي اتبعتها الدولة العراقية لتوسيع قاعدة الشركاء الدوليين، وقد ساهم هذا التوجه في تعزيز الثقة المتبادلة بين الطرفين، وفتح المجال أمام تنفيذ مشاريع إنشائية واسعة النطاق تعتمد على الخبرة الصينية في مجالات البناء السريع وإدارة المشاريع الكبرى، وهو ما جعلها خيارًا عمليًا لمعالجة أزمة الأبنية المدرسية خلال فترة زمنية قصيرة نسبيًا (موسى، 2022: ص18).

ومن جهة أخرى، فإن هذا الاتفاق يعكس تحولًا في نمط إدارة المشاريع التنموية في العراق، إذ انتقلت الدولة تدريجيًا من الاعتماد على التنفيذ المحلي المحدود إلى تبني نماذج تعاون دولي تقوم على العقود

الاستراتيجية طويلة الأمد، وقد ساعد هذا التحول في تسريع وتيرة تنفيذ عدد من المشاريع التعليمية، إلا أنه في الوقت ذاته كشف عن الحاجة إلى تطوير القدرات المحلية في مجالات التخطيط والإشراف والمتابعة لضمان استدامة النتائج وتحقيق كفاءة أعلى في إدارة البنية التحتية التعليمية (زيدان، 2008: ص88).

كما أن السياق التاريخي لهذا الاتفاق يرتبط بعمق بالأزمة التراكمية في قطاع التعليم، حيث إن اتساع الفجوة بين الطلب والعرض لم يكن وليد مرحلة قصيرة، بل نتيجة سنوات من التراجع في الاستثمار التعليمي وضعف الصيانة والتحديث، ومع استمرار هذا التدهور، أصبح التعاون الدولي خيارًا ضروريًا وليس مجرد بديل، بهدف معالجة جزء من الاختلالات الهيكلية التي أصابت النظام التعليمي، خصوصًا في جانب الأبنية المدرسية التي تمثل الأساس المادي للعملية التربوية (القاسم، والزبيدي، 2009: ص61).

مما يبين أن هذا الاتفاق لم يكن حدثًا منفصلًا، بل هو امتداد لمسار طويل من البحث عن حلول لأزمة متفاقمة في قطاع التعليم منذ عام 2003، حيث تراكمت مشكلات البنية التحتية نتيجة توقف المشاريع وضعف التمويل والتخطيط، ومع مرور الوقت، أصبح التعاون مع الصين جزءًا من استراتيجية أوسع لإعادة بناء المؤسسات التعليمية، في محاولة لسد الفجوة الكبيرة بين الطلب المتزايد على التعليم والقدرة الاستيعابية المحدودة للمدارس، ويعكس هذا المسار التحول من الحلول المحلية الجزئية إلى الحلول الدولية ذات الطابع التنفيذي السريع، في ظل استمرار الأزمة البنيوية في قطاع الأبنية المدرسية.

المطلب الثاني: مراحل التخطيط والتنفيذ لمشروع المدارس الصينية:

مرّ مشروع بناء المدارس الصينية في العراق بعد عام 2003 بسلسلة من المراحل التخطيطية والتنفيذية التي ارتبطت بظروف الأزمة التعليمية وتفاقم نقص الأبنية المدرسية، إذ لم يكن المشروع وليد قرار مفاجئ، بل جاء نتيجة تراكم عجزًا كبيرًا في الطاقة الاستيعابية للمدارس مقابل الزيادة المستمرة في أعداد الطلبة، وقد بدأت المرحلة الأولى بمرحلة التشخيص والتخطيط العام، حيث عملت الجهات الحكومية المعنية على رصد حجم النقص في الأبنية المدرسية وتحديد المحافظات الأكثر تضررًا، اعتمادًا على تقارير وزارة التربية والإحصاءات الرسمية التي بينت وجود اكتظاظ كبير في الصفوف واعتماد واسع على الدوام المزدوج والثلاثي (وزارة التربية، 2023: ص19)، كما ساهمت الحكومة في رسم صورة أولية عن الحاجة الفعلية لبناء آلاف المدارس لسد الفجوة المتزايدة (هيأة المستشارين، 2016: ص33).

أما المرحلة الثانية فتمثلت في وضع الأطر التعاقدية والتفاهمات الثنائية بين العراق والصين، حيث جرى التوجه نحو إبرام اتفاقيات تنفيذية مع شركات صينية متخصصة في مجال الإنشاءات والبنية التحتية، وقد استندت هذه المرحلة إلى رؤية اقتصادية تقوم على تسريع الإنجاز وتقليل الكلفة مقارنة بالمشاريع

التقليدية، مع الاستفادة من الخبرة الصينية في تنفيذ المشاريع الكبرى خلال فترات زمنية قصيرة، ويُعد هذا التحول جزءًا من سياسة تنويع الشراكات الدولية في مرحلة ما بعد 2003، والتي هدفت إلى دعم إعادة إعمار القطاعات الحيوية ومنها قطاع التعليم (موسى، 2022: ص18).

وفي المرحلة الثالثة، وهي مرحلة الإعداد الفني والهندسي، جرى العمل على إعداد التصاميم النموذجية للمدارس الصينية وفق معايير موحدة تراعي احتياجات البيئة التعليمية في العراق، من حيث عدد الصفوف والسعة الاستيعابية والمرافق الأساسية مثل المختبرات والساحات والمكتبات، كما شملت هذه المرحلة تحديد المواقع الجغرافية للمشاريع في مختلف المحافظات، مع إعطاء أولوية للمناطق التي تعاني من اكتظاظ شديد ونقص حاد في الأبنية المدرسية، وقد ارتبطت هذه المرحلة بجهود تنظيمية تهدف إلى تقليل التفاوت بين المناطق وتحقيق نوع من العدالة في توزيع الخدمات التعليمية (القاسم، والزبيدي، 2009: ص61).

أما المرحلة الرابعة فتمثلت في مرحلة التنفيذ الفعلي للمشروع، حيث باشرت الشركات الصينية أعمال البناء في عدد من المحافظات ضمن جداول زمنية محددة، مع متابعة حكومية من الجهات التنفيذية المختصة، وقد تميزت هذه المرحلة بالاعتماد على أساليب بناء سريعة نسبياً مقارنة بالمشاريع التقليدية، مع التركيز على إنجاز أكبر عدد ممكن من المدارس خلال فترة قصيرة، إلا أن التنفيذ واجه تحديات متعددة، منها الإجراءات الإدارية والبيروقراطية، وتأخر تخصيص بعض المواقع، إضافة إلى تفاوت البنى التحتية في المناطق المستهدفة، وهو ما أثر في سرعة الإنجاز في بعض الحالات.

وفي المرحلة الأخيرة، وهي مرحلة المتابعة والتقييم، تم العمل على رصد نسب الإنجاز وجودة التنفيذ ومدى مطابقة المدارس المنجزة للمعايير المخططة، مع محاولة معالجة المشكلات التشغيلية التي ظهرت بعد دخول بعض المدارس الخدمة، كما أن المشروع أسهم بشكل واضح في تقليل جزء من العجز في الأبنية المدرسية، لكنه لم يتمكن من إنهاء الأزمة بشكل كامل بسبب استمرار الزيادة السكانية وارتفاع الطلب على التعليم، مما جعل الحاجة إلى مشاريع إضافية قائمة باستمرار (زيدان، 2008: ص88؛ موسى، 2022: ص18).

مما يبين أن مراحل مشروع المدارس الصينية في العراق مثلت نموذجًا لتكامل التخطيط مع التنفيذ في إطار استجابة دولية لأزمة بنيوية في قطاع التعليم، إلا أن فاعليته ظلت مرتبطة بقدرة الدولة على الاستمرار في التوسع ومواكبة النمو الديموغرافي المتسارع.

المطلب الثالث: التوزيع الجغرافي للمدارس ومواصفاتها الفنية:

اتسم مشروع المدارس الصينية في العراق بعد عام 2003 بتوزيع جغرافي واسع نسبياً استهدف معالجة الاختلال الكبير في توازن الخدمات التعليمية بين المحافظات، إذ تركزت عملية توزيع المدارس على

أساس حجم العجز في الأبنية المدرسية والكثافة السكانية ومستوى الاكتظاظ داخل الصفوف، وقد ظهر أن المحافظات ذات الكثافة السكانية العالية، مثل بغداد والبصرة وذي قار وديالى، كانت من أكثر المناطق حاجة إلى إنشاء مدارس جديدة، نتيجة الضغط الكبير على الأبنية القائمة واعتمادها على الدوام المزدوج والثلاثي، كما شمل التوزيع الجغرافي بعض المحافظات الأقل استقرارًا، بهدف دعم استعادة الخدمات التعليمية فيها وتعزيز عودة الاستقرار الاجتماعي من خلال التعليم (هيأة المستشارين، 2016: ص33).

وقد اعتمدت آلية التوزيع على مبدأ تقليل الفجوة بين الريف والحضر من جهة، وبين المحافظات المختلفة من جهة أخرى، حيث جرى اختيار مواقع المدارس داخل الأقضية والنواحي الأكثر حرمانًا من الأبنية المدرسية، مع إعطاء أولوية للمناطق التي تعاني من تهالك البنية التحتية أو نقص شديد في الطاقة الاستيعابية، كما روعي في التوزيع القرب من التجمعات السكانية لضمان سهولة الوصول وتقليل نسب التسرب المدرسي، وهو ما يعكس توجهًا نحو تحقيق العدالة في تقديم الخدمة التعليمية (وزارة التربية، 2023: ص19).

أما من حيث المواصفات الفنية للمدارس الصينية، فقد تميزت هذه المدارس بنماذج إنشائية موحدة تعتمد على تصميم حديث نسبيًا مقارنة بالأبنية المدرسية التقليدية في العراق، إذ تضمنت غالبًا عدداً محددًا من الصفوف الدراسية تتناسب مع الطاقة الاستيعابية المخططة، إضافة إلى مرافق خدمية أساسية مثل المختبرات العلمية، وقاعات الحاسوب، والمكتبات المدرسية، وساحات النشاط الرياضي، وقد صُممت هذه المدارس وفق معايير تهدف إلى تحسين البيئة التعليمية من حيث التهوية والإضاءة والمساحات الداخلية، بما ينسجم مع المتطلبات التربوية الحديثة (القاسم، والزبيدي، 2009: ص61).

كما اتسمت هذه الأبنية باستخدام مواد بناء حديثة وتقنيات إنشائية تسهم في تسريع عملية الإنجاز وتقليل الكلفة الزمنية، مع مراعاة نسب الأمان والسلامة العامة، وقد ساعد هذا النمط من البناء في تنفيذ عدد كبير من المدارس خلال فترة زمنية قصيرة نسبيًا مقارنة بالمشاريع التقليدية، إلا أنه وجد تفاوت في جودة التنفيذ بين موقع وآخر نتيجة اختلاف الظروف المحلية للبنى التحتية وسلاسل الإمداد والإشراف الميداني (زيدان، 2008: ص88).

ومن الناحية التخطيطية، جرى اعتماد نماذج تصميمية موحدة بهدف تسهيل عمليات الصيانة المستقبلية وتوحيد المعايير التشغيلية داخل المدارس، بما يسهم في رفع كفاءة الإدارة المدرسية وتقليل تكاليف التشغيل، كما تم إدراج مرافق داعمة للعملية التعليمية مثل قاعات متعددة الاستخدام ومناطق إدارية منظمة، الأمر الذي يعكس محاولة لتجاوز النمط التقليدي في البناء المدرسي داخل العراق (الزنفلي، 2010: ص45).

مما يبين أن التوزيع الجغرافي للمدارس الصينية ومواصفاتها الفنية مثّلا خطوة مهمة في معالجة جزء من أزمة الأبنية المدرسية، من خلال استهداف المناطق الأكثر حاجة وتقديم نماذج إنشائية أكثر تطورًا، إلا أن تأثيرها ظل مرتبطًا بمدى قدرة النظام التعليمي على استيعاب النمو السكاني المستمر والحفاظ على استدامة البنية التحتية التعليمية على المدى البعيد.

المبحث الثالث: دور مشروع المدارس الصينية في مواجهة أزمة الأبنية المدرسية:

يمثل مشروع بناء المدارس الصينية خطوة مهمة في جهود الدولة العراقية لمعالجة أزمة الأبنية المدرسية، إذ لم يقتصر دوره على تشييد مدارس جديدة فحسب، بل أسهم في دعم خطط تطوير البنية التحتية التعليمية ورفع كفاءة المؤسسات التربوية بما ينسجم مع الزيادة المستمرة في أعداد الطلبة ومتطلبات التنمية المستدامة، وقد استهدف المشروع تقليص حجم العجز في الأبنية المدرسية، وتحسين البيئة التعليمية، وتوفير منشآت حديثة تستوفي المواصفات الفنية والهندسية المعتمدة، بما يسهم في الحد من الاكتظاظ والدوام المزدوج والثلاثي، ومع ذلك واجه تنفيذ المشروع عددًا من التحديات الإدارية والمالية والفنية واللوجستية التي أثرت في وتيرة الإنجاز في بعض المحافظات، الأمر الذي يستدعي تقييمًا موضوعيًا لنتائجه ومدى قدرته على تحقيق الأهداف التي أنشئ من أجلها، فضلًا عن استشراف دوره المستقبلي في دعم قطاع التربية، وانطلاقًا من ذلك، قُسِّم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب؛ يتناول المطلب الأول إسهام المشروع في تقليص العجز المدرسي، ويبحث المطلب الثاني التحديات التي واجهت تنفيذ المشروع، في حين يخصص المطلب الثالث لتقييم المشروع وآفاقه المستقبلية في تطوير البنية التحتية التعليمية.

المطلب الأول: إسهام المشروع في تقليص العجز المدرسي:

مثّل مشروع المدارس الصينية في العراق بعد عام 2003 خطوة استراتيجية مهمة في مسار معالجة أزمة الأبنية المدرسية، إذ جاء استجابة لحجم العجز الكبير الذي تراكم عبر سنوات طويلة نتيجة توقف مشاريع البناء وضعف التمويل وازدياد أعداد الطلبة بشكل متسارع، وقد أسهم هذا المشروع في تقليص جزء من الفجوة بين العرض المدرسي والطلب التعليمي، من خلال إضافة عدد كبير من المدارس الجديدة التي ساعدت على تخفيف الضغط عن الأبنية القائمة، وتقليل الاعتماد على الدوام المزدوج والثلاثي في عدد من المناطق ذات الكثافة السكانية العالية (هيأة المستشارين، 2016: ص33).

وقد انعكس هذا الإسهام بشكل واضح في المحافظات التي كانت تعاني من اكتظاظ شديد داخل الصفوف، حيث أدت المدارس الجديدة إلى إعادة توزيع الطلبة بشكل أكثر توازنًا، وتقليل أعداد الطلبة في الصف الواحد في بعض المناطق، مما ساهم في تحسين نسبي للبيئة التعليمية، كما أن زيادة عدد الأبنية المدرسية أسهمت في تقليل الحاجة إلى استخدام الأبنية المستأجرة وغير المخصصة للتعليم، والتي كانت

تمثل أحد مظاهر الأزمة البنيوية في قطاع التعليم (وزارة التربية، 2023: ص19)، ويشير هذا التحسن إلى أن المشروع لم يكن مجرد توسع إنشائي، بل محاولة لإعادة تنظيم الخريطة المدرسية بما يتناسب مع الواقع الديموغرافي.

كما ساهم المشروع في تعزيز قدرة النظام التعليمي على استيعاب الزيادة السنوية في أعداد الطلبة، إذ وفرت المدارس الصينية طاقة استيعابية إضافية ساعدت في الحد من الضغط المتزايد على المدارس القديمة، وقد انعكس ذلك إيجابًا على استقرار العملية التعليمية في عدد من المناطق، من خلال تقليل التحول المستمر بين الدوامات وتحسين انتظام الجداول الدراسية، وهو ما يعد عاملًا مهمًا في رفع كفاءة التحصيل الدراسي (القاسم، والزبيدي، 2009: ص61).

ومن الناحية التخطيطية، أتاح المشروع فرصة لإعادة النظر في توزيع الخدمات التعليمية، حيث ساعدت البيانات الناتجة عن تنفيذ المدارس الجديدة في تحديد المناطق الأكثر احتياجًا، وتوجيه الاستثمارات المستقبلية نحوها بشكل أكثر دقة، كما أسهم في تعزيز مفهوم العدالة في توزيع المؤسسات التعليمية، من خلال التركيز على المناطق المحرومة والمكتظة، ما قلل نسبيًا من الفجوة بين الريف والحضر وبين المحافظات المختلفة (زيدان، 2008: ص88).

كما لم يقتصر دوره على زيادة عدد الأبنية فحسب، بل امتد ليؤثر في إعادة تشكيل أولويات التخطيط التربوي داخل العراق، فقد ساعدت التجربة في إبراز أهمية الاعتماد على نماذج بناء معيارية قابلة للتكرار، الأمر الذي منح الجهات التخطيطية قدرة أكبر على تحديد الاحتياجات المستقبلية بشكل أكثر دقة، وتقليل العشوائية في توزيع المشاريع التعليمية (موسى، 2022: ص18).

كما أسهم المشروع في تحسين كفاءة استخدام الموارد المتاحة، من خلال توجيه جزء من الاستثمارات نحو المناطق الأكثر تضررًا، وهو ما انعكس في تقليص الفجوة بين المناطق ذات الكثافة السكانية العالية وتلك الأقل ازدحامًا، هذا التوجه ساعد في تحقيق درجة من التوازن النسبي في توزيع الخدمات التعليمية، وإن كان ذلك بشكل تدريجي وغير مكتمل، لكنه مثّل خطوة مهمة نحو معالجة الاختلالات التاريخية في البنية المدرسية (هيأة المستشارين، 2016: ص33).

ومن زاوية أخرى، أتاح المشروع فرصة لتعزيز الوعي المؤسسي بأهمية التخطيط طويل الأمد في قطاع التعليم، حيث أصبح واضحًا أن معالجة العجز لا يمكن أن تعتمد على مشاريع متفرقة، بل تتطلب رؤية شاملة تربط بين النمو السكاني والتوسع في البنية التحتية، وقد انعكس ذلك في تطوير بعض السياسات التعليمية التي بدأت تأخذ بعين الاعتبار الحاجة إلى التوسع المستقبلي وليس فقط سد النقص الحالي (زيدان، 2008: ص88).

كما أن المشروع ساهم بشكل غير مباشر في رفع كفاءة التشغيل داخل المدارس المستحدثة، من خلال إدخال نماذج تنظيمية أكثر انضباطًا في توزيع الصفوف وإدارة الدوام، الأمر الذي ساعد في تحسين البيئة التعليمية وتقليل الضغط الإداري على المدارس القديمة، وقد انعكس ذلك على استقرار العملية التعليمية في عدد من المناطق التي كانت تعاني سابقًا من اضطراب كبير في الجداول الدراسية (القاسم، والزبيدي، 2009: ص61).

ورغم هذا الإسهام الواضح، فإن تقليص العجز ظل جزئيًا، إذ لم يتمكن المشروع وحده من مواكبة النمو السكاني المتسارع، أو معالجة التراكم الكبير في النقص الذي استمر لسنوات طويلة، كما أن استمرار التحديات الإدارية والمالية حال دون الوصول إلى الاكتفاء الكامل في عدد الأبنية المدرسية، مما يجعل المشروع جزءًا من حل أوسع وليس حلًا نهائيًا، ومع ذلك يبقى أثره ملموسًا في تخفيف حدة الأزمة وتحسين الواقع التعليمي في عدد من المناطق التي كانت تعاني من ضغط شديد في الطاقة الاستيعابية.

المطلب الثاني: التحديات التي واجهت تنفيذ المشروع:

رغم الأهمية الاستراتيجية لمشروع المدارس الصينية في العراق بعد عام 2003، وما حققه من إسهام نسبي في تقليص العجز في الأبنية المدرسية، إلا أن تنفيذه واجه مجموعة من التحديات التي أثرت في سرعة الإنجاز وكفاءة التوزيع وجودة التنفيذ، فإن هذه التحديات لم تكن تقنية فقط، بل كانت مرتبطة بالبنية الإدارية والاقتصادية والأمنية التي تحكم بيئة تنفيذ المشاريع العامة في العراق خلال مرحلة ما بعد التغيير.

من أبرز هذه التحديات التعقيدات الإدارية والبيروقراطية التي رافقت عمليات تخصيص الأراضي والموافقات الرسمية، إذ تأخر تنفيذ عدد من المدارس بسبب الإجراءات الطويلة المتعلقة بفرز المواقع وتحويلها إلى مشاريع خدمية جاهزة للبناء، وقد أدى ذلك إلى إبطاء وتيرة العمل في بعض المحافظات، رغم توفر التمويل أو جاهزية الشركات المنفذة، كما أن ضعف التنسيق بين الجهات المحلية والوزارات المركزية ساهم في خلق فجوات تنظيمية أثرت في انسيابية التنفيذ (هيأة المستشارين، 2016: ص33).

كما واجه المشروع تحديًا مهمًا يتعلق بالبنية التحتية للمواقع المخصصة للبناء، حيث إن بعض الأراضي لم تكن مجهزة بالخدمات الأساسية مثل الكهرباء والماء وشبكات الصرف الصحي، ما اضطر الجهات المنفذة إلى تأخير العمل أو إضافة مراحل تجهيز إضافية قبل البدء بالبناء الفعلي، وقد انعكس ذلك على الجدول الزمني للمشروع، وأدى إلى تفاوت في نسب الإنجاز بين محافظة وأخرى (وزارة التربية، 2023: ص19).

ومن التحديات أيضًا الظروف الأمنية غير المستقرة في بعض الفترات والمناطق، والتي أثرت في حركة فرق العمل وسلاسل التوريد والإشراف الميداني، مما أدى إلى توقف مؤقت في بعض المواقع أو تباطؤ

في التنفيذ، كما أن اختلاف مستويات الاستقرار بين المحافظات جعل تنفيذ المشروع غير متوازن من حيث السرعة والإنجاز، وهو ما أوجد تفاوتًا في الاستفادة من المشروع على المستوى الوطني.

ويضاف إلى ذلك التحديات المالية والإدارية المرتبطة بإدارة العقود ومتابعة الدفعات والتدقيق، حيث واجهت بعض مراحل التنفيذ تأخيرًا في الإجراءات المالية أو اختلافات في التفسير الإداري للعقود، الأمر الذي أثر في استمرارية العمل في بعض المشاريع، كما أن تعدد الجهات الرقابية وتداخل الصلاحيات بين المؤسسات ساهم في إبطاء بعض القرارات التنفيذية (القاسم، والزبيدي، 2009: ص61).

ومن ناحية أخرى برزت تحديات تتعلق بالمعايير الفنية والتطبيق العملي، إذ واجهت بعض المدارس مشكلات في مطابقة الواقع الميداني مع التصاميم النموذجية، نتيجة اختلاف طبيعة الأراضي أو ظروف التنفيذ المحلية، مما تطلب تعديلات أثناء البناء، كما أن الحاجة إلى تدريب الكوادر المحلية على إدارة وصيانة هذه الأبنية الحديثة شكّلت تحديًا إضافيًا لضمان استدامة المشروع.

مما يبين أن هذه التحديات مجتمعة لم توقف المشروع، لكنها أثرت في كفاءته الزمنية والتنفيذية، وجعلت أثره تدريجيًا بدل أن يكون شاملًا وسريعًا، ومع ذلك ظل المشروع يمثل تجربة مهمة في التعاون الدولي لمعالجة أزمة بنيوية في قطاع التعليم، رغم ما رافقه من صعوبات واقعية في بيئة تنفيذ معقدة.

المطلب الثالث: تقييم المشروع وآفاقه المستقبلية في تطوير البنية التحتية التعليمية:

يمثل مشروع المدارس الصينية في العراق تجربة تنموية بارزة في مجال معالجة أزمة الأبنية المدرسية التي تفاقمت بعد عام 2003، إذ جاء استجابة لحاجة ملحة فرضتها الزيادة السكانية الكبيرة، وتراجع القدرة الاستيعابية للمدارس، وتراكم العجز في البنية التحتية التعليمية، ومن خلال تتبع مسار المشروع يمكن القول إنه حقق نتائج ملموسة في تخفيف حدة الأزمة، إلا أن تقييمه يتطلب النظر إليه ضمن سياق أوسع يرتبط بطبيعة النظام التعليمي والتحديات الهيكلية التي يواجهها.

من الناحية الإيجابية، أسهم المشروع في تعزيز الطاقة الاستيعابية للمدارس، وتقليل الاعتماد على الأبنية غير النظامية، والحد نسبيًا من ظاهرة الدوام المزدوج والثلاثي في عدد من المناطق، كما ساعد في تحسين البيئة التعليمية عبر توفير مبانٍ حديثة نسبيًا تتضمن صفوفًا منظمة ومرافق خدمية أساسية، الأمر الذي انعكس بشكل إيجابي على انتظام الدوام واستقرار العملية التعليمية (هيأة المستشارين، 2016: ص33)، كذلك ساهم في إعادة توزيع الضغط السكاني على المدارس داخل المحافظات، بما يقلل من الاكتظاظ في بعض المناطق ذات الكثافة العالية (وزارة التربية، 2023: ص19).

ومع ذلك، فإن تقييم المشروع يكشف أيضًا عن حدود تأثيره، إذ لم يتمكن من إنهاء أزمة العجز في الأبنية المدرسية بشكل كامل، بسبب اتساع الفجوة بين النمو السكاني السريع ومعدلات بناء المدارس،

كما أن استمرار التحديات الإدارية والمالية، وضعف الصيانة الدورية في بعض المواقع، أثّر في استدامة بعض الإنجازات، ويُضاف إلى ذلك أن المشروع لم يكن جزءًا من خطة شاملة لإعادة هيكلة قطاع التعليم، بل جاء ضمن سلسلة تدخلات تهدف إلى معالجة جانب محدد من الأزمة (القاسم، والزبيدي، 2009: ص61).

أما من حيث الآفاق المستقبلية، فإن تطوير البنية التحتية التعليمية في العراق يتطلب الانتقال من الحلول الجزئية إلى التخطيط الاستراتيجي طويل الأمد، القائم على ربط النمو السكاني بالتوسع في بناء المدارس بشكل دوري ومنتظم، كما يتطلب تعزيز الشراكات الدولية، مع تطوير القدرات المحلية في التخطيط والتنفيذ والصيانة، لضمان استدامة المشاريع وتقليل الاعتماد الخارجي، ويمكن أن يشكل مشروع المدارس الصينية قاعدة انطلاق لتجارب لاحقة أكثر تكاملًا إذا ما تم توظيفه ضمن رؤية وطنية شاملة لإصلاح قطاع التعليم.

كما أن تحسين جودة البنية التحتية التعليمية مستقبلاً يرتبط بتطوير نظم إدارة المشاريع التربوية، وتفعيل الرقابة الفنية، وتبني معايير بناء حديثة تراعي التغيرات المناخية والديموغرافية، إلى جانب الاستثمار في الصيانة الوقائية لضمان استمرار فاعلية الأبنية المدرسية على المدى الطويل (زيدان، 2008: ص88)، ويعد إدماج التكنولوجيا في إدارة المدارس وتخطيطها أحد الاتجاهات المستقبلية التي يمكن أن تسهم في رفع كفاءة الاستخدام وتقليل الهدر في الموارد.

مما يبين أن مشروع المدارس الصينية يمثل خطوة مهمة في مسار معالجة أزمة تاريخية معقدة، لكنه لا يزال بحاجة إلى استكمال ضمن رؤية إصلاحية شاملة للبنية التحتية التعليمية في العراق، بحيث يتحول من حل إسعافي إلى جزء من منظومة مستدامة قادرة على تلبية احتياجات التعليم في الحاضر والمستقبل.

الخاتمة:

خلصت الدراسة إلى أن أزمة الأبنية المدرسية في العراق بعد عام 2003 لم تكن أزمة ظرفية أو محدودة، بل هي أزمة بنيوية تراكمت عبر سنوات نتيجة تداخل عوامل سياسية واقتصادية وإدارية وديموغرافية، فقد ظهر أن التوسع السكاني السريع، مقابل ضعف التخطيط الاستراتيجي وتراجع الاستثمارات في قطاع التعليم، أدى إلى فجوة كبيرة بين عدد المدارس المتاحة وحجم الطلب المتزايد على التعليم، كما أن الاعتماد على حلول مؤقتة مثل الدوام المزدوج والثلاثي، واستخدام أبنية غير مخصصة للتعليم، ساهم في تعميق المشكلة بدل معالجتها، وفي المقابل برزت محاولات متعددة لمعالجة الأزمة، كان من أبرزها مشروع بناء المدارس الصينية الذي أسهم في تخفيف جزء من الضغط، لكنه لم يتمكن من إنهاء العجز بشكل كامل بسبب اتساع نطاق الأزمة وتشابك أسبابها.

وتوصلت الدراسة كذلك إلى أن معالجة أزمة البنية التحتية التعليمية تتطلب رؤية استراتيجية شاملة تتجاوز الحلول الجزئية إلى التخطيط بعيد المدى، يقوم على التوازن بين النمو السكاني والطاقة الاستيعابية للمدارس، مع تعزيز كفاءة الإدارة التربوية وتطوير آليات التنفيذ والرقابة، كما أن التجربة أثبتت أهمية الشراكات الدولية في دعم قطاع التعليم، لكنها في الوقت نفسه أكدت أن نجاح هذه المشاريع يعتمد على وجود إدارة وطنية قادرة على التخطيط المستدام والصيانة والمتابعة، وبذلك فإن مشروع المدارس الصينية يمثل خطوة مهمة في مسار الإصلاح التعليمي، إلا أن استدامة أثره مرهونة بإصلاحات أوسع في البنية المؤسسية لقطاع التعليم ككل.

النتائج:

1. أظهرت الدراسة أن أزمة الأبنية المدرسية في العراق بعد عام 2003 تعد أزمة بنيوية تراكمت نتيجة ضعف التخطيط التربوي، وتزايد الطلب على التعليم، وعدم التناسب بين النمو السكاني وعدد المدارس المتاحة، مما أدى إلى فجوة كبيرة في الطاقة الاستيعابية للمؤسسات التعليمية.
2. بينت النتائج أن الاعتماد على الحلول المؤقتة مثل الدوام المزدوج والثلاثي واستخدام الأبنية غير المخصصة للتعليم أسهم في تراجع جودة البيئة التعليمية، وانخفاض مستوى التحصيل الدراسي لدى الطلبة، مع زيادة الضغط على الإدارات المدرسية.
3. كشفت الدراسة أن مشروع المدارس الصينية أسهم بشكل ملموس في تقليص جزء من العجز في الأبنية المدرسية، وساعد في تخفيف الاكتظاظ في عدد من المناطق، وتحسين البيئة التعليمية نسبيًا من خلال توفير مدارس حديثة التصميم.
4. توصلت الدراسة إلى أن تنفيذ المشروع واجه تحديات إدارية ومالية وبيروقراطية وأمنية، أثرت في سرعة الإنجاز وتفاوت توزيع الاستفادة بين المحافظات، مما حدّ من فعاليته الشاملة على المستوى الوطني.
5. أظهرت النتائج أن معالجة أزمة الأبنية المدرسية تتطلب رؤية استراتيجية متكاملة طويلة الأمد، تعتمد على التخطيط المستدام، وتوسيع الشراكات، وتحسين كفاءة الإدارة التربوية لضمان استمرارية التطوير في قطاع التعليم.

التوصيات:

1. ضرورة إعداد خطة وطنية استراتيجية طويلة المدى لبناء المدارس في العراق، تربط بين النمو السكاني والتوسع في البنية التحتية التعليمية بشكل دوري ومنظم، لتجنب تراكم العجز مستقبلاً.

2. تعزيز كفاءة التخطيط والإدارة في وزارة التربية والجهات ذات العلاقة، من خلال تطوير آليات التنسيق بين المؤسسات الحكومية وتقليل التعقيدات الإدارية والبيروقراطية في تنفيذ المشاريع التعليمية.
3. زيادة حجم الاستثمارات الموجهة لقطاع التعليم، مع تنويع مصادر التمويل عبر إشراك القطاع الخاص والشراكات الدولية، لضمان تسريع بناء المدارس وتحسين جودتها.
4. الاهتمام ببرامج الصيانة الدورية للأبنية المدرسية القائمة، لضمان استدامتها وتقليل خروجها عن الخدمة، بما يسهم في الحفاظ على الطاقة الاستيعابية المتاحة.
5. الاستفادة من التجارب الدولية الناجحة، ومنها التجربة الصينية في بناء المدارس، مع تطوير آليات الإشراف المحلي لضمان جودة التنفيذ وتكييف المشاريع مع الاحتياجات البيئية والتعليمية داخل العراق.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابتسام ناصر بن هويمل، وعبير مبارك العنادي. (2015). تطوير نظام إعداد المعلم في المملكة العربية السعودية في ضوء تجربتي اليابان وفنلندا. المجلة التربوية الدولية المتخصصة، 4(2).
- أحمد محمود الزنفلي. (2010). الأبنية المدرسية وكفاءة النظام التعليمي. دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.
- أنجود شحادة بلواني. (2008). دور الإدارة المدرسية في تنمية الإبداع في المدارس الحكومية في محافظات شمال فلسطين ومعيقاتها من وجهة نظر مديريها (أطروحة دكتوراه غير منشورة). جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا.
- بديع محمود مبارك القاسم، ومحمود عبد الكريم جاسم الزبيدي. (2009). الإشراف التربوي والاختصاصي في العراق: الواقع والآفاق. مجلة دراسات تربوية، (5).
- بلقيس غالب الشرعي. (ب.ت.). دراسة تقويمية لبرنامج إعداد المعلم بكلية التربية بجامعة السلطان قابوس وفق متطلبات معايير الاعتماد الأكاديمي. المجلة العربية لضمان جودة التعليم الجامعي.
- حسن شحاتة. (2003). مفاهيم جديدة لتطوير التعليم في الوطن العربي (ط2). مكتبة الدار العربية للكتاب.
- رئاسة مجلس الوزراء – هيأة المستشارين. (2016). النهوض بقطاع التربية في العراق. بغداد.
- عبد الله حسن محمد. (د.ت.). اتجاهات حديثة في إعداد المعلم. مكتب نور الحسن.
- العجيلي حامد شفوت ياسين. (2005). المشكلات التي تواجه المشرف التربوي والإداري للمرحلة الابتدائية في محافظة بغداد (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة المستنصرية، كلية التربية.

- فراس جاسم موسى. (2016). التعليم والتدريب المهني والتقني في العراق: الحاضر والمأمول (بحث غير منشور). مجلس النواب العراقي، دائرة البحوث والدراسات النيابية، قسم البحوث.
- فراس جاسم موسى. (2022). مشروع بناء الألف مدرسة في العراق: المعايير والنتائج (ورقة إحاطة غير منشورة). الأمانة العامة لمجلس النواب العراقي، دائرة البحوث والدراسات النيابية، قسم البحوث، بغداد.
- فراس جاسم، وقاسم إسماعيل. (2019). نقص الأبنية المدرسية في العراق: مشكلة... و... حلول (بحث غير منشور). الأمانة العامة لمجلس النواب، دائرة البحوث والدراسات النيابية، قسم البحوث.
- ماثيو ليمان. (1998). المدرسة وتربية الفكر (ترجمة إبراهيم يحيى الشهاب). منشورات وزارة الثقافة، دمشق.
- مجلس النواب العراقي – الدائرة الإعلامية. (2023). النظام الداخلي لمجلس النواب (ط9).
- محمد مصطفى زيدان. (2008). عوامل الكفاية الإنتاجية في التربية. دار ومكتبة الهلال.
- منار محمد بغدادي. (2008). اختيار المعلمين وتوظيفهم في ضوء تجارب بعض الدول. المكتب الجامعي الحديث.
- وزارة التربية العراقية، المديرية العامة للتخطيط التربوي، قسم الإحصاء. (2023). التقرير الإحصائي السنوي للوزارة.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

حزب الإصلاح الفلسطيني تأسيسه وبدايات نشاطه السياسي حتى عام 1937

The Palestinian Reform Party: Its Establishment and Beginnings of Political Activity until 1937

حذيفة عباس خضير

Researcher: Hudhaifa Abbas Khudair

أ. د وسام حسين عبد الرزاق

Prof. Dr. Wissam Hussein Abdul Razzaq

الجامعة العراقية / كلية الآداب

Iraqi University / College of Arts

الاستلام(Received) : 2026 / 06/ 14 التعديل (Revision) : 2026 / 07/11
القبول(Accepted) : 2026 /07/27 النشر (Published) :2026/ 09/30

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المستخلص

كان حزب الإصلاح أحد أبرز الأحزاب الفلسطينية والتي برزت عام 1935، وكان له دور بارز في سير العملية السياسية داخل فلسطين. دخلت فلسطين في مرحلة مصيرية من تاريخها، حيث بدأت تنتشر فيها العديد من الأحزاب السياسي، لذلك وجد رئيس بلدية القدس حسين فخري الخالدي انه من الضروري انشاء حزب سياسي يقوده بنفسه، وكان احدى غايات الحزب ان تصبح فلسطين مستقلة. جاءت هذه الدراسة لأجل توضيح دور حزب الإصلاح السياسي في فلسطين.

Abstract

The Reform Party was one of the most prominent Palestinian parties, emerging in 1935, and played a significant role in the political process within Palestine.Palestine entered a pivotal stage in its history, witnessing the proliferation of numerous political parties. Therefore, Hussein Fakhri al-Khalidi, the mayor of Jerusalem, deemed it necessary to establish a political party under his personal leadership. One of the party's objectives was the achievement of Palestinian independence.This study aims to clarify the role of the Reform Party in Palestinian politics.

المقدمة:

خضعت فلسطين للاحتلال البريطاني عام 1917 م، فأصبحت تحت الحكم العسكري حتى عام 1920، ثم أصبحت تحت الحكم المدني (الانتداب) منذ عام 1920 حتى عام 1948.

عانت فلسطين من الانقسامات السياسية خلال فترة الانتداب البريطاني فأنقسم الفلسطينيون الى مجلسي ومعارض، فالمجلسيون يقودهم مفتي فلسطين الحاج امين الحسيني، بينما المعارضين فيقودهم رئيس بلدية القدس راغب النشاشيبي.

برزت خلال تلك المرحلة أحزاب فلسطينية عديدة كحزب الدفاع الوطني الذي اسسه راغب النشاشيبي عام 1934، والحزب العربي الفلسطيني الذي اسسه الحاج محمد امين الحسيني.

من اهم الأسباب التي دفعتني للبحث في هذا الموضوع هو إيضاح متى بدأ التفكير لأنشاء حزب الإصلاح، ومن أنشئه، وما الغاية من انشاءه، وما الدور الذي قام به في فلسطين.

بعد فوز حسين فخري الخالدي [1] في الانتخابات البلدية للقدس سنة 1934م، وتسنمه كرسي رئاسة بلدية القدس في كانون الثاني سنة 1935م، دعت المعارضة المتمثلة بزعيمها راغب النشاشيبي [2] منذ فوز حسين فخري الخالدي بالانتخابات البلدية لمدينة القدس، بضرورة تكوين الأحزاب السياسية [3].

وقد أراد حسين فخري الخالدي أن يثبت انه مستقل كلياً عن المجلسيين [4] والمعارضين[5]، بالرغم من أن فوزه برئاسة بلدية القدس جاء بدعم مفتي فلسطين ورئيس المجلس الإسلامي الاعلى الحاج محمد امين الحسيني [6]، فبدأ بتعزيز زعامته وكسب مؤيدين ومناصرين جدد له، حيث تحالف مع اسرة البديري من القدس، واسرة أبو خضرة من يافا، وعائلة حمودة من لفتا (عائلة كبيرة تسكن في احدى القرى التي تجاور القدس)، وكذلك تحالف مع بعض الشخصيات من الاسر المسلمة والمسيحية ذات النفوذ الكبير، مع الإبقاء على تحالفه مع ال الحسيني [7].

وقد ذكر جمال قدورة في مقالته التي بعنوان (تأسيس الحزب العربي وبقية الأحزاب الفلسطينية في الثلاثينات)، ان الهدف من تأسيس حزب الإصلاح كما يذكر البعض هو " لأجل إرضاء طموح حسين فخري الخالدي "، بالإضافة الى ان اغلب المؤيدين له ممن وقفوا في صفه في انتخابات بلدية القدس خصوصاً من الذين تركوا المعارضة، فقد احسوا بالأحراج أذا انظموا الى المجلسيين بسبب مواقفهم السابقة، والسبب الاخر انهم لم يستطيعوا البقاء مع المعارضة كون راغب النشاشيبي زعيم المعارضة خسر انتخابات بلدية القدس، وكان الحل تأسيس حزب يدعم نفوذهم خصوصاً بعد فشل المحاولات في تقريب وجهات النظر بين الطرفين المتخاصمين [8].

وجرى الاجتماع الأول في 31 أيار سنة 1935،في بيت الوجيه محمود أبو خضرة الذي دعى العديدين من الشخصيات الفلسطينية للتداول في عدة أمور، وقد حضر لذلك الاجتماع حسين فخري

الخالدي، ورئيس بلدية غزة فهمي الحسيني، ورئيس بلدية رام الله سعد الله القسيس، ورئيس بلدية بيت لحم عيسى البندك، واسحق البديري، والمحامي جورج صلاح، وعبد العظيم الغصين، وإبراهيم حقي التاجي، والحاج نمر حماد، ومحمد عبد الرحيم، وفوزي أبو خضرة، وفائق طلاماس، وحلمي أبو خضرة، وآخرين[9].

وقد القى محمد أبو خضرة كلمة ترحيبية، شرح فيها سبب دعوتهم لهذا الاجتماع، ثم انتخب المتواجدين في الاجتماع اسحق البديري رئيساً لهذه الكتلة، التي اصبح واجبها توحيد الصفوف، وجعل الفلسطينيين يداً واحدة، بالإضافة الى تقريب وجهات نظر الأحزاب السياسية، وأتفق الحاضرون على عقد اجتماع جديد في الأسبوع القادم، حيث بدأ الشارع السياسي في فلسطين بصورة عامة والقدس على وجه الخصوص بالحديث عن اجتماع عقد لأجل تأسيس حزب سياسي جديد [10].

وفي يوم الجمعة المصادف 7 حزيران سنة 1935، تم عقد اجتماع ثاني في دار إبراهيم حقي التاجي في وادي حنين، للتداول في تكوين حزب حيادي، وقد حضر الاجتماع كل من إبراهيم حقي التاجي، وحسين فخري الخالدي، واسحق البديري، ومحمود أبو خضرة، وشبلي الجمل، وعيسى البندك، وشكري التاجي، وقد تحدثوا في بعض الأمور التي تخص تأليف هذا الحزب [11].

تم عقد اجتماع ثالث في فندق رام الله الكبير يوم 23 حزيران 1935، لأجل تأسيس حزب سياسي جديد، وفي هذا الاجتماع حضر ما يقارب 100 شخصية، مثلت عدة مدن فلسطينية (القدس ويافا وغزة ونابلس والخليل وجنين وبئر السبع وبيت لحم وخانيونس وبيت ساحور)[12]، وقد القى كلمة في الاجتماع كل من شبلي الجمل، وعيسى البندك، وأسحق البديري [13]، وقد وضحت الكلمات التي ألقيت أن الغاية من تأسيس الحزب الجديد هي توحيد كلمة الشعب الفلسطيني [14]، وقد تقرر تسمية هذا الحزب "حزب الإصلاح العربي الفلسطيني" [15]، وقد تقرر كذلك انتخاب عضوين اثنين من كل قضاء لعضويته في مجلس الإدارة، بالإضافة الى ان هذا الاجتماع قرر فيه كذلك ان لا يكون هناك رئيساً معلوماً في مكتب لجنته التنفيذية [16].

وقد نتج عن هذا الاجتماع انتخاب ثلاثة سكرتارية لحزب الاصلاح وهم حسين فخري الخالدي، ومحمود بك أبو خضرة، وشبلي الجمل [17] ، أما أعضاء اللجنة التنفيذية فقد ضمت كل السكرتارية الثلاثة بالإضافة الى اسحق البديري، فهمي الحسيني، والدكتور سعد الدين القيس، وحسني خليفة، والحاج نمر حماد، والمحامي جورج صلاح، وعيسى البندك، وحامد عمرو، والدكتور يعقوب برتقش [18]، وإبراهيم حقي التاجي الفاروقي الذي أصبح أمين صندوق الحزب [19].

وقد أتخذ الحزب من مدينة القدس مقراً رئيسياً له [20]، أما فروعه فتقع في يافا وغزة ورام الله [21].

أما أهداف الحزب:

1. السعي لاستقلال فلسطين ضمن الوحدة العربية واعتبار القضية الفلسطينية جزءاً لا يتجزأ من القضية العربية الكبرى ومقاومة السياسة الإقليمية والطائفية والعمل على تنمية الصلات السياسية بين فلسطين والدول العربية.
2. السعي عند الحكومة لعقد معاهدة بين فلسطين وبريطانيا شبيهة بالمعاهدة التي عقدت بين العراق وبريطانيا.
3. مقاومة المشروع الصهيوني لأقامه وطن قومي لليهود في فلسطين بكل الوسائل والموجودة، والالحاح على حكومة الانتداب بأيقاف الهجرة اليهودية ومنع بيع الأراضي.
4. مطالبة حزب الإصلاح من حكومة الانتداب بأنشاء الحكم الذاتي في فلسطين.
5. العمل على رفع وتطوير المستوى المعاشي للفلاح الفلسطيني، والتعاون مع كل حزب وطني في كل ما يفعله من خدمات نافعة للمجتمع [22].

والقارئ لهذه الأهداف او المطلع عليها يلاحظ مدى التشابه بين هذه الأهداف وباقي اهداف الأحزاب الفلسطينية التي تأسست في هذه المرحلة، فالأهداف تكاد تكون واحدة لجميع الأحزاب الفلسطينية.

وقد أراد أعضاء حزب الاصلاح انشاء جريدة يومية للحزب تديرها لجنة الدعاية التي سيتم انتخابها لاحقاً، فتم جمع مبلغ 4000 جنيه فلسطيني من خلال التبرعات [23]، الا ان الحزب في نهاية المطاف لم تصدر له جريدة خاصة به، بل اعتمد الحزب على الجرائد الخاصة بالأحزاب الفلسطينية الأخرى، وخصوصاً الجريدة التابعة للحاج أمين الحسيني [24]، وتذكر جريدة فلسطين أن مدير دعاية حزب الإصلاح هو الأستاذ أحمد سامح الخالدي [25]، ويؤكد صحة كلام صحة هذا الكلام ما ذكره محمد عزة دروزة في مذكراته حيث أشار الى أن احمد سامح الخالدي ساعد أخاه حسين فخري الخالدي كثيراً في أنشاء هذا الحزب [26] ، ويؤكد الدكتور طريف الخالدي أن احمد سامح كان بالفعل يدير الدعاية الخاصة لحسين فخري الخالدي لكن بشكل سري، كون احمد سامح كان موظفاً لدى حكومة الانتداب، وذلك يمنعه من أن يعمل في مجال السياسة [27].

وأن برنامج الحزب لم يشير الى كيفية حصول الأشخاص على عضوية داخل الحزب، ولم يشير كذلك عن كيفية اتخاذ القرارات [28].

أما مالية الحزب فتستحصل من تبرعات المؤسسيين والمناصرين، واكتتابات الذين يندمجون فيه[29].

وبعد تأسيس حزب الإصلاح بأقل من أسبوع حاولت جريدة فلسطين استفزاز الدكتور حسين وأعضاء حزب الإصلاح بنشرها لمقالة في الصفحة الأولى من الجريدة بعنوان "الأحزاب وتعددها في فلسطين " وقد جاء فيها " أن الكثيرين منا يقبلون على تأليف الأحزاب لغير الغايات التي تقوم لها الأحزاب في العادة، فمنا من يؤلف حزباً لتثبيت منصبه في الحكومة، وآخر ليفوز بمنصب جديد فيها، وثالث ليناوىء خصماً له، وهلم جرا، ولولا الخصومة الحالية بين النشاشيبي والخالدي ما فكر حسين بتأليف حزبه الجديد ولولا اشتداد النفور بين الدكتور سعد الله القسيس والأستاذ مغنم ما انضم الأول الى حزب الدكتور حسين ليتفادى الاجتماع والثاني في حزب الدفاع، وتستطيع ان ترى أسباب انضمام الكثيرين في مختلف الأحزاب الى غايات شخصية او عائلية لا صلة لها بالوطن والوطنية، ولا يرجى للبلاد خير من الأحزاب الا اذا الفت على فكرة المصلحة العامة وفي سبيل الحرص عليها " [30]

الا أن حسين فخري رد على جميع الاتهامات بقوله " ولقد قيل في الأوساط الحكومية وغيرها أنني كنت الدافع المباشر لتأسيس حزب الإصلاح لتمتين مركزي في رئاسة بلدية العاصمة، وكان هذا الظن خاطئاً من أساسه، فقد أسس هذا الحزب قبل تعييني للبلدية، وحضرت كغيري اجتماعه الأول في مدينة رام الله، ولم ألق في الاجتماع المذكور كلمة واحدة، وكان من بين أعضائه فريق كبير من الحياديين وبعض الذين تربطهم بالمعارضة روابط الصداقة الشخصية، ولكن عميد الحزب الحقيقي هذا كان المغفور له السيد إسحاق البديري وهو من رجال القانون ومن الشخصيات الصريحة الفذة التي قلما انجبتها البلاد، ويدل اسم هذا الحزب على الغاية التي كان أعضاؤه يرمون اليها، فقد آلمنا كما آلم غيرنا وكل مخلص أن نرى ذلك الانقسام الخطير في الجبهة العربية وكأن الكثيرين منا يتنبؤون بما سيكون لهذا الانقسام من اثر سيء وعواقب وخيمة، فقد حاولنا اصلاح ذات البين بين الطرفين كما اشترك في هذه المحاولة فريق مؤتمر الشباب، وكان لبعض رجالات الحزب البارزين _ ونخص بالذكر منهم السيد إبراهيم حقي التاجي والمغفور لهما السادة محمود أبو خضرة وشبلي الجمل _ محاولات واجتماعات عدة مع الطرفين لا تزال محاضر جلساتها موجودة الى اليوم، وكان في تفكيرنا جميعاً أن نطالب بإلغاء الأحزاب اذا ما نجحنا في مسعانا ولكن العناد والتصلب في الرأي حالا دون ذلك، فقد وصل الاختلاف الى الصميم في وجهات النظر وما كان للجرح ان يندمل بالسهولة التي كنا نرجوها له"[31].

قبل نهاية سنة 1935 قام الشيخ عز الدين القسام (1882_1935م) [32] بحركة ثورية سميت حركة الشيخ عز الدين القسام [33]، والتي أثرت بصورة مباشرة على الحركة الوطنية الفلسطينية فيما بعد.

أستمر عمل الحزب بعد ذلك بصورة إيجابية، حيث شارك حسين فخري الخالدي رئيس حزب الإصلاح كعضو في اللجنة العربية العليا التي تشكلت في نيسان سنة 1936[34].

وبعد انضمامه للهيئة بأقل من شهرين، حضر اليهود لاجتماع المجلس البلدي في القدس في أيار سنة 1936، وكانوا قد احتجوا على حسين كونه أنضم الى تلك الهيئة في محاولة منهم للضغط عليه، الا ان موقفه كان صارماً ضد اليهود حيث هددهم بأنه سيقوم بإلغاء الجلسة اذا ما ادخلوا السياسة في جلسات المجلس البلدي، وبعد أن تناقشوا فيما بينهم قرروا الاكتفاء بكتابة احتجاجهم على انضمامه الى اللجنة العربية العليا، ثم عادوا الى الجلسة [35].

كان لحزب الإصلاح مواقف وطنية عديدة أهمها:

1. محاولة الحزب حل الخلاف القائم ما بين المجلسيين والمعارضين في فلسطين، وذلك من اجل المصلحة العامة.
2. رفض رئيس الحزب حسين فخري الخالدي طلب المندوب السامي البريطاني الحديث في الإذاعة الفلسطينية، لكي يجعل الشعب الفلسطيني الثائر عليهم عام 1936، يخلد الى الهدوء والسكينة، بل ويترك القتال، وقد ذكر حسين فخري الخالدي سبب رفضه بأنه مسؤول عن عمله في رئاسة بلدية القدس، وليس له أي علاقة بالأمن العام.
3. رفض رئيس الحزب حسين فخري الخالدي طلب قائد القوات المسلحة البريطانية الجنرال دل بالانسحاب من اللجنة العربية العليا، وقد أشار له الجنرال بأن السلطات البريطانية ستعتقل جميع أعضاء اللجنة العربية العليا بلا استثناء، الا ان الخالدي رفض طلبه، فقال " لقد دخلنا اللجنة في يوم واحد، فأن انسحب هو (المفتي الحاج محمد امين الحسيني) انسحبت، والا فليفعل الله ما يشاء " [36].

وبالفعل فقد تم اعتقال رئيس الحزب حسين فخري الخالدي من قبل السلطات البريطانية وتم نفيه الى جزيرة سيشل عام 1937 [37]، ويبدو ان حزب الإصلاح قد تقلص دوره بعد نفي رئيسه حسين فخري الخالدي الى تلك الجزيرة.

بقي حزب الإصلاح متواجداً على الساحة الفلسطينية حتى انشاء الهيئة العربية في شهر حزيران سنة 1946، حيث أصبح حسين فخري الخالدي امين سرها، وتوقفت كل الأحزاب الفلسطينية منذ تلك اللحظة التي انشات فيها الهيئة العربية العليا [38].

بعد هذا كله يمكن لنا ان نقول أن حسين كان بالفعل رئيساً لحزب الإصلاح، ولأجل تعزيز مكانه بعد تأسيس الأحزاب سنة 1934 أراد تأسيس حزباً لدعم منصبه كرئيس لبلدية القدس، الا انه لم يكن يريد أن يصبح في الواجهة لكي لا تستمر المعارضة بتوجيه الاتهامات ضده بل والعمل ضده، فعمل على ان يكون للحزب ثلاث سكرتارية، الا انه كان زعيمهم الفعلي.

الخاتمة

- تأسس الحزب عام 1935 وكان له دور كبير في سير العملية السياسية داخل فلسطين.
- كان رئيس الحزب الفعلي هو رئيس بلدية القدس حسين فخري الخالدي.
- اختارت اللجنة العربية العليا أعضاءها، جميع رؤساء الأحزاب الفلسطينية الستة الكبرى، وكان أحد تلك الأحزاب حزب الإصلاح، حيث اختير حسين فخري الخالدي كعضو ممثل عن الحزب في اللجنة.

الهوامش :

(1) حسين فخري الخالدي (1894_ 1962): شخصية وطنية فلسطينية، ولد في القدس عام 1894، وحصل على تعليمه الأولي والثانوي فيها، درس الطب في الجامعة الامريكية في بيروت الا انه لم يكمل دراسته فيها بسبب مشاركته في الحرب العالمية الأولى كمجند في الجيش العثماني، ثم درس الطب في استانبول، وعاد للعمل في القدس كموظف في دائرة الصحة العامة في أيام الانتداب البريطاني، اصبح في عام 1934 رئيساً لبلدية القدس، ثم أسس حزب الإصلاح عام 1935، وفي عام 1936 أصبح عضواً في اللجنة العربية العليا لفلسطين، اعتقل عام 1937 وتم نفيه الى جزيرة سيشل، تم اطلاق سراحه مؤقتاً عام 1939 للمشاركة في مؤتمر لندن، بعد انتهاء المؤتمر نفي الى لبنان حتى عام 1943، عاد الى القدس عام 1943، ثم أصبح امين سر الهيئة العربية العليا عام 1946، وقد كان هو واحمد حلمي الباقي العضوين الوحيدين اللذان بقيا في القدس عقب قرار التقسيم، اصبح رئيس وزراء الأردن لعدة أيام عام 1957، توفي عام 1962. للمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى: عبد الله عدوي وعوني فارس، سلسلة النخبة الفلسطينية، ج2، منشورات دار فيشن، تركيا، 2021، ص 89_ 90؛ محمد عقل، معجم الأطباء والصيادلة الفلسطينيين (1748_ 1948)، ج2، منشورات دار إي كتب، لندن، ط1، 2022، ص 156 _ 159.

(2) راغب النشاشيبي (1883_1951): شخصية سياسية فلسطينية، ولد في القدس عام 1883م، فدرس المراحل الأولية في مدارسها، ثم سافر الى استانبول ودرس الهندسة فيها، وعين بعد عودته الى فلسطين في قسم الاشغال العامة في بلدية القدس، وفي سنة 1908م تم انتخابه نائباً في مجلس المبعوثان، وغادر استانبول بعد الحرب العالمية الأولى باتجاه حلب وسكن فيها، استدعته السلطات البريطانية سنة 1920م وعينته رئيساً لبلدية القدس حتى هزم من أمام الدكتور حسين فخري الخالدي سنة 1934م، قام بتأسيس حزب الدفاع الوطني، وعند تأليف اللجنة العربية العليا أصبح أحد أعضائها، وعند ضم ما تبقى لفلسطين الى شرق الأردن سنة 1948م عين وزيراً في الحكومة الأردنية، ثم حاكماً للضفة الغربية، وتم تعيينه وزيراً للحرم الشريف وحارساً للأماكن المقدسة في (كانون الثاني) 1951، وتوفي راغب في السنة ذاتها. للمزيد من التفاصيل حول هذا يمكن الرجوع الى: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج2، منشورات المؤسسة العربية، لبنان، 1979، ص799.

(3) علي محافظة، الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني 1918_1948، منشورات مركز الكتب الأردني، الأردن، ط1، 1989م، ص 258.

(4) المجلسيين: وهي تسمية أطلقت على المناصرين للمجلس الإسلامي، الذين يقودهم مفتي فلسطين الأكبر الحاج محمد أمين الحسيني وقد سموا أيضاً بالحسينيون، فقد كان ال الحسيني مسيطرين على منصبي الإفتاء والمجلس الإسلامي الأعلى، وكانوا مسيطرين على إدارة الأوقاف الإسلامية في جميع المدن في فلسطين. للمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى: رشيد الخالدي، القفص الحديدي قصة الصراع الفلسطيني لأقامة دولة، ترجمة:هشام عبد الله، منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط1، 2008، ص 106.

(5) المعارضين: وهي تسمية أطلقت على المناصرين لراغب النشاشيبي رئيس بلدية القدس، وقد تم تسميتهم بهذا الاسم كونهم معارضين للحاج محمد أمين الحسيني. للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع يمكن الرجوع الى: رشيد الخالدي، القفص الحديدي...، ص 106.

(6) محمد أمين الحسيني (1897_ 1974): شخصية وطنية فلسطينية، ولد في عام 1894م في القدس، حفظ القرآن،وأكمل دراسته الابتدائية والثانوية فيها، بعدها درس العلوم الشرعية واللغة العربية على يد أساتذة متخصصين، وتعلم الفرنسية في مدرسة الفرير في القدس،التحق بالأزهر الشريف في مصر لكي يدرس العلوم الشرعية،ترك الدراسة فيها بعد قيام الحرب العالمية الأولى، والتحق بالمدرسة الحربية وتخرج منها برتبة نائب ضابط، وفي عام 1917م عاد الى فلسطين، وقاد الحركة الوطنية الفلسطينية،أصبح مفتياً لفلسطين عام 1922م،بعدها عين رئيساً للمجلس الأعلى، وقد أتهم بأثارة الاضطرابات اثناء ثورة البراق 1929م، وبعد اضراب عام 1936م تأسست اللجنة العربية العليا فأصبح رئيساً لها، وبعد اغتيال الحاكم البريطاني أندروز عام 1937 صدر أمر اعتقاله من قبل السلطات البريطانية، فهرب الى لبنان لاجئاً، تنقل بعدها بين عدة دول الى أن توفي سنة 1974 م، للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع يمكن الرجوع الى: عصام غريب،الحاج أمين الحسيني ودوره في الحركة الوطنية الفلسطينية (1897_1974م)،منشورات مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،لبنان،ط1، 2014.

(7) علي محافظة، المصدر السابق، ص 262 ؛ عايدة النجار، صحافة فلسطين والحركة الوطنية في نصف قرن 1900_1948، منشورات دار الفارس، الأردن، ط1، 2005، ص 154.

(8) جمال قدورة، تأسيس الحزب العربي وبقية الأحزاب الفلسطينية في الثلاثينات، مجلة شؤون فلسطينية، لبنان، العدد 144- 145، 1985، ص 46 _ 49 ؛ رنا هاني إدريس صالح الحمداني، الأحزاب والتنظيمات العربية الفلسطينية ومواقفها تجاه النشاط الصهيوني في فلسطين الهجرة واستملاك الأراضي إنموذجاً (1918- 1948)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة الموصل، 2019، ص 124.

(9) ذكرت جريدة فلسطين أن الاجتماع كان لأجل النظر في أوضاع فلسطين وما وصلت اليه من تدهور وازدياد تسريب الأراضي الفلسطينية الى اليهود وازدياد الهجرة اليهودية. للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع يمكن الرجوع الى: فلسطين، العدد 78_2962، 2 / حزيران/1935.

(10) فلسطين، العدد 78_2962، 2/حزيران / 1935.

(11) فلسطين، العدد 83_7692، 8/حزيران/ 1935.

(12) الدفاع، فلسطين، العدد 355، 24/ حزيران / 1935.

(13) فلسطين، العدد 95_2979، 23 / حزيران / 1935.

(14) حسن عبد الرزاق حسين حمادة، الحياة الحزبية في فلسطين من 1918_1939، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1990، ص 84.

(15) وقد تم تسميته حزب الاصلاح من قبل بعض الأشخاص بحزب الاعيان. للمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى: الياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي (منذ فجر التاريخ حتى سنة 1949)، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، ط1، 1996، ص 454 ؛ الدفاع، فلسطين، العدد 355، 24/حزيران / 1935.

(16) الدفاع، فلسطين، العدد 355، 24/حزيران / 1935.

(17) رفيق فهمي دواس، خلافات الأحزاب الفلسطينية في فترة الانتداب البريطاني (1920_1936)، مجلة جامعة الأقصى، فلسطين، مج 18، العدد 1، 2014، ص 12.

(18) عايدة النجار، المصدر السابق، ص 154_155 ؛الياس شوفاني، المصدر السابق، ص 454.

(19) الجامعة العربية، فلسطين، العدد 1613، 24/ حزيران / 1935.

(20) نعمان عبد الهادي فيصل، الانقسام الفلسطيني في عهد الانتداب البريطاني وفي ظل السلطة الوطنية الفلسطينية (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الازهر، فلسطين، 2012، ص 55.

(21) مذكرات محمد عزة دروزة سجل حافل بمسيرة الحركة العربية والقضية الفلسطينية خلال قرن من الزمن 1887 _ 1984، مج1، منشورات دار الغرب، لبنان، ط1، 1993، ص 860.

(22) كامل محمود خلة، فلسطين والانتداب البريطاني 1922 _ 1939، منشورات المنشأة العامة، ليبيا، ط2، 1982، ص 576 _ 577 ؛ المقطم، مصر، العدد 14161، 30/ حزيران / 1935 ؛ بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917 _ 1948، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، 1981، ص 747 ؛ عبد الجبار رجا محمود عودة، الحركة الوطنية الفلسطينية 1935_1936، منشورات شركة نسق، فلسطين، 2022، ص 28.

(23) الدفاع، فلسطين، العدد 355، 24/ حزيران / 1935.

(24) عايدة النجار، المصدر السابق، ص 155.

(25) احمد سامح الخالدي (1896–1951): ولد في القدس، ودرس في مدرسة المطران الإنكليزية في ذات المدينة التي ولد فيها، بعدها درس المرحلة الجامعية في الكلية السورية الانجيلية في بيروت (الجامعة الامريكية)، حيث تخرج منها سنة 1917م في تخصص الصيدلة، أصبح ضابط في الجيش العثماني حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، عمل بعدها مفتشا في إدارة المعارف في لواء يافا،

ثم نقل الى الإدارة العامة في القدس، وأصبح مديرا للكلية العربية، و مديراً بالوكالة في دار المعلمين العالية سنة 1925م، وقد كتب عدة كتب في قضايا التربية والتعليم وتاريخ فلسطين وبلاد الشام، وبعد ان اصابت فلسطين النكبة عام 1948 أنتقل أحمد سامح وعائلته الى بيروت، توفي عام 1951. للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع يمكن الرجوع الى: نيقولا زيادة، https://nicolasziadeh،21/تشرين الثاني / 2024، 53: 11 ؛ فلسطين، العدد 99 _ 2983، 28 / حزيران / 1935.

(26) مذكرات محمد عزة دروزة..، مج 1، ص 860.

(27) مقابلة شخصية مع الدكتور طريف الخالدي (اتصال هاتفي)، 1 / اذار / 2025.

(28) رنا هاني إدريس صالح الحمداني، المصدر السابق، ص 126

(29) الصراط المستقيم، فلسطين، العدد 848، 1/ تموز/1935.

(30) فلسطين، العدد 99 _2983، 28 / حزيران / 1935.

(31) حسين فخري الخالدي، ومضى عهد المجاملات مذكرات الدكتور حسين فخري الخالدي، مج1، منشورات دار الشروق، الأردن، 2014، ص 194_195.

(32) عز الدين القسام: مجاهد فلسطيني ومؤسس حركة عز الدين القسام، ولد في جنوب مدينة اللاذقية السورية بالتحديد في بلدة جبلة، من أسرة ذات دين، أكمل المرحلة الابتدائية في مكان ولادته، ونشأ منشأً دينياً، وعند بلوغه 14 سنة سافر الى القاهرة برفقة أخيه فخر الدين لكي يكمل تعليمه في الازهر الشريف، وفي 1903م رجع عز الدين الى بلدة جبلة، ثم سافر الى تركيا للأطلاع، ثم أصبح عز الدين معلماً في الكتاب بدلاً عن والده، وبين سنتي 1919_1920م، شارك في ثورة جبال صهيون في ساحل سوريا الشمالي،أصدر الفرنسيون بعدها عليه حكم الإعدام، وكانت تلك الثورة قد ساعدت الشيخ عز الدين القسام في تعلم الكثير من الدروس، وفي سنة 1921م عاد عز الدين الى حيفا في فلسطين مع 6 اشخاص من اعوانه، وفي سنة 1922م اصبح مدرساً في المدرسة الإسلامية وخطيب وامام في جامع الاستقلال في حيفا، ثم شارك في جمعية الشبان المسلمين سنة 1926، وبعد ذلك اصبح رئيسها، ثم تم تعيينه مأذون شرعي في المحكمة الشرعية سنة 1929، فألتحم بالسكان نتيجة عمله، وعندما بدأ نشاطه يكبر ضد البريطانيين بدأ البريطانيين بتشديد الخناق عليه في مدينة حيفا، وقرر ان يبدأ الثورة في 12/ تشرين الثاني / 1935 في الجبال، وبعد أن علمت السلطات البريطانية بموقعه في يوم 15 من الشهر ذاته، أرسلوا قوات كبيرة الى قرية البارد فأشتبكت القوات مع الثوار، وفي صباح يوم 19 /تشرين الثاني /1935 حاصرت القوات البريطانية قرية الشيخ زايد التي كان يختبأ فيها عز الدين القسام مع 11 شخصاً من اعوانه، وبعد معركة دامت 6 ساعات استشهد الشيخ عز الدين القسام مع احد اعوانه الابطال وجرح واسر اخرون، بينما قتل من البريطانيين 15 شخصاً. للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع يمكن الرجوع الى: احمد المرعشلي واخرون، الموسوعة الفلسطينية، مج 3،منشورات مطابع ميلانو ستامبا، إيطاليا، 1984، ص 229_230 ؛ علي حسين خلف، تجربة الشيخ عز الدين القسام، ج 1، منشورات دار الحوار، سوريا، ط2، 1986 ؛ محمد محمد حسن شراب، عز الدين القسام شيخ المجاهدين في فلسطين، منشورات دار القلم، سوريا، ط1، 2000 ؛ فايزة بو عسكر و هاجر لزعر، ثورة عز الدين القسام 1935م في فلسطين وصداها على النخبة الإصلاحية (الجزائر والمغرب) انموذجاً ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة، الجزائر، 2017 ؛ حسني ادهم الجرار، الشيخ عز الدين القسام قائد حركة وشهيد قضية 1882_1935، منشورات دار الضياء، الأردن، ط1، 1989 ؛ وسام حسين عبد الرزاق، حركة الشيخ عز الدين القسام وأثرها على الحركة الوطنية الفلسطينية حتى عام 1936، مجلة مداد الآداب، كلية الآداب، الجامعة العراقية، العدد 4، 2021، ص 478_ 509.

(33) ذكر حسين فخري الخالدي، أن اتباع الشيخ عز الدين القسام كانوا لا يدينون بالطاعة الا للشيخ عز الدين، وأنهم لم يطلبوا المعونة من أحد او مدهم بالمال، حتى انهم يبيعون امتعتهم وما يمتلكونه للحصول على ما يحتاجونه من سلاح وعتاد، فضربوا بذلك المثل الأعلى بالتضحية، وبعد استشهاد الشيخ عز الدين استمر القساميون في ثورتهم ضد البريطانيين، فشاركوا في ثورة 1936_1939 ولعبوا دوراً خطيراً فيها لا في مقاتلة البريطانيين واليهود فقط، بل في قتل الخونة من الذين عاونوا السلطات البريطانية والجواسيس الذين كانوا يعملون لديهم، حتى انهم قاموا سنة

1937 بقتل المستر اندروز الحاكم العسكري البريطاني لمنطقة الجليل. للمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى: حسين فخري الخالدي، المصدر السابق، ص 203_205.

(34) الياس شوفاني، المصدر السابق، ص 454.

(35) الكرمل الجديد، فلسطين،العدد 2021، 23/ أيار / 1936 ؛ رنا هاني ادريس صالح الحمداني، المصدر السابق، ص 135.

(36) جمال قدورة، المصدر السابق، ص 48.

(37) بعد نفي رئيس حزب الاصلاح حسين فخري الخالدي الى جزيرة سيشل عام 1937، اطلق صراحه مؤقتاً للمشاركة في مؤتمر لندن عام 1939، ثم نفي الى لبنان حتى عام 1943، فعاد الى بلاده فلسطين عام 1943، الا ان الحزب لم يعد له دور يذكر. للمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى: يعقوب العودات (البدوي الملثم)، من أعلام الفكر والادب في فلسطين، مجلة الاديب، لبنان، العدد 4، 1965،ص 21 _ 23.

(38) رفيق فهمي دواس، المصدر السابق، ص19.

المصادر

أولاً: الرسائل والاطاريح الجامعية:

1- حسن عبد الرزاق حسين حمادة، الحياة الحزبية في فلسطين من 1918_1939، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1990.

2- رنا هاني إدريس صالح الحمداني، الأحزاب والتنظيمات العربية الفلسطينية ومواقفها تجاه النشاط الصهيوني في فلسطين الهجرة واستملاك الأراضي إنموذجاً (1918- 1948)، رسالة ماجستير.

3- فايزة بو عسكر و هاجر لزعر، ثورة عز الدين القسام 1935م في فلسطين وصداها على النخبة الإصلاحية (الجزائر والمغرب) انموذجاً ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة، الجزائر، 2017.

4- نعمان عبد الهادي فيصل، الانقسام الفلسطيني في عهد الانتداب البريطاني وفي ظل السلطة الوطنية الفلسطينية (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الازهر، فلسطين، 2012.

ثانياً: الموسوعات والمعاجم:

1- احمد المرعشلي واخرون، الموسوعة الفلسطينية، مج 3،منشورات مطابع ميلانو ستامبا، إيطاليا، 1984.

2- عبد الوهاب الكيالي،موسوعة السياسة، ج2،منشورات المؤسسة العربية، لبنان، 1979.

3- محمد عقل، معجم الأطباء والصيادلة الفلسطينيين (1748_ 1948)، ج2، منشورات دار إي كتب، لندن، ط1، 2022.

ثالثاً: الكتب:

1- الياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي (منذ فجر التاريخ حتى سنة 1949)، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، ط،1، 1996.

2- بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917 _ 1948، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، 1981.

3- حسني ادهم الجرار، الشيخ عز الدين القسام قائد حركة وشهيد قضية 1882_1935، منشورات دار الضياء، الأردن، ط1، 1989.

4- حسين فخري الخالدي، ومضى عهد المجاملات مذكرات الدكتور حسين فخري الخالدي، مج1، منشورات دار الشروق، الأردن، 2014.

5- رشيد الخالدي، القفص الحديدي قصة الصراع الفلسطيني لأقامة دولة، ترجمة:هشام عبد الله، منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط1، 2008.
6- عبد الجبار رجا محمود عودة، الحركة الوطنية الفلسطينية 1935_1936، منشورات شركة نسق، فلسطين، 2022.
7- عبد الله عدوي و عوني فارس، سلسلة النخبة الفلسطينية، ج2، منشورات دار فيشن، تركيا، 2021.
8- عصام غريب،الحاج أمين الحسيني ودوره في الحركة الوطنية الفلسطينية (1897_1974م)،منشورات مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،لبنان،ط1، 2014.
9- علي حسين خلف، تجربة الشيخ عز الدين القسام، ج 1، منشورات دار الحوار، سوريا، ط2، 1986.
10- علي محافظة، الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني 1918_1948، منشورات مركز الكتب الأردني، الأردن، ط1، 1989م.
11- كامل محمود خلة، فلسطين والانتداب البريطاني 1922 _ 1939، منشورات المنشأة العامة، ليبيا، ط2، 1982.
12- محمد محمد حسن شراب، عز الدين القسام شيخ المجاهدين في فلسطين، منشورات دار القلم، سوريا، ط1، 2000.

رابعاً: المذكرات الشخصية:

1- مذكرات محمد عزة دروزة سجل حافل بمسيرة الحركة العربية والقضية الفلسطينية خلال قرن من الزمن 1887 _ 1984، مج1، منشورات دار الغرب، لبنان، ط1، 1993.

خامساً: المجلات:

1- يعقوب العودات (البدوي الملثم)، من أعلام الفكر والادب في فلسطين، مجلة الاديب، لبنان، العدد 4، 1965.
2- جمال قدورة، تأسيس الحزب العربي وبقية الأحزاب الفلسطينية في الثلاثينات، مجلة شؤون فلسطينية، لبنان، العدد 144- 145، 1985.
3- رفيق فهمي دواس، خلافات الأحزاب الفلسطينية في فترة الانتداب البريطاني (1920_1936)، مجلة جامعة الأقصى، فلسطين، مج 18، العدد 1، 2014.
4- وسام حسين عبد الرزاق، حركة الشيخ عز الدين القسام وأثرها على الحركة الوطنية الفلسطينية حتى عام 1936، مجلة مداد الآداب، كلية الآداب، الجامعة العراقية، العدد 4، 2021.

سادساً: الصحف العربية:

1- الجامعة العربية، العدد 1613، 24/ حزيران / 1935.

2- الدفاع، العدد 355، 24/ حزيران / 1935.

3- الصراط المستقيم، العدد 848، 1/ تموز/1935.

4- فلسطين،

العدد 78_2962، 2 / حزيران/1935.

العدد 83_7692، 8/حزيران/ 1935.

العدد 95_2979، 23 / حزيران / 1935.

العدد 99 _2983، 28 / حزيران / 1935.

5- الكرمل الجديد

العدد 2021، 23/ أيار / 1936

6- المقطم

العدد 14161، 30/ حزيران / 1935

سابعاً: المقابلات الشخصية:

1- مقابلة شخصية مع الدكتور طريف الخالدي (اتصال هاتفي)، 1 / اذار / 2025.

ثامناً: المواقع الالكترونية:

1- https://nicolasziadeh

Sources

First: University Theses and Dissertations:

1. Hassan Abdul-Razzaq Hussein Hamada, Party Life in Palestine from 1918-1939, Unpublished Master's Thesis, College of Graduate Studies, University of Jordan, 1990.
2. Rana Hani Idris Saleh Al-Hamdani, Palestinian Arab Parties and Organizations and Their Positions on Zionist Activity in Palestine: Immigration and Land Acquisition as a Model (1918-1948), Master's Thesis.
3. Faiza Bou Askar and Hajar Lazhar, The 1935 Revolution of Izz ad-Din al-Qassam in Palestine and its Impact on the Reformist Elite (Algeria and Morocco as a Model), Unpublished Master's Thesis, Faculty of Humanities and Social Sciences, University of Djillali Bounaama, Khemis Miliana, Algeria, 2017.
4. Naaman Abdel-Hadi Faisal, The Palestinian Division During the British Mandate and Under the Palestinian National Authority (A Comparative Study), Unpublished Master's Thesis, Al-Azhar University, Palestine, 2012.

Second: Encyclopedias and Dictionaries:

1. Ahmed al-Marashli et al., The Palestinian Encyclopedia, Vol. 3, Milano Stampa Press Publications, Italy, 1984.
2. Abdel-Wahhab al-Kayyali, Encyclopedia of Politics, Vol. 2, Arab Foundation Publications, Lebanon, 1979.
3. Muhammad Aql, Dictionary of Palestinian Physicians and Pharmacists (1748-1948), Vol. 2, Dar E-Kutub Publications. London, 1st ed., 2022.

Third: Books:

1. Elias Shoufani, A Concise History of Palestine (From the Dawn of History until 1949), Institute for Palestine Studies, Lebanon, 1st ed., 1996.
2. Bayan Nuwayhid al-Hout, Political Leaders and Institutions in Palestine 1917-1948, Institute for Palestine Studies, Lebanon, 1981.
3. Husni Adham al-Jarar, Sheikh Izz ad-Din al-Qassam: Leader of a Movement and Martyr of a Cause 1882-1935, Dar ad-Diya, Jordan, 1st ed., 1989.
4. Hussein Fakhri al-Khalidi, The Era of Courtesies is Over: Memoirs of Dr. Hussein Fakhri al-Khalidi, Vol. 1, Dar al-Shorouk, Jordan, 2014.
5. Rashid Khalidi, The Iron Cage: The Story of the Palestinian Struggle for Statehood, translated by Hisham Abdullah, Arab Institute for Studies and Publishing, Lebanon, 1st ed. 2008.
6. Abdul Jabbar Raja Mahmoud Odeh, The Palestinian National Movement 1935-1936, Nasq Publications, Palestine, 2022.
7. Abdullah Adawi and Awni Faris, The Palestinian Elite Series, Vol. 2, Feshen Publishing House, Turkey, 2021.
8. Issam Gharib, Hajj Amin al-Husseini and His Role in the Palestinian National Movement (1897-1974), Center for Civilizational Development of Islamic Thought Publications, Lebanon, 1st ed., 2014.
9. Ali Hussein Khalaf, The Experience of Sheikh Izz ad-Din al-Qassam, Vol. 1, Dar al-Hiwar Publications, Syria, 2nd ed., 1986.
10. Ali Muhafaza, Political Thought in Palestine from the End of Ottoman Rule to the End of the British Mandate 1918-1948, Jordanian Book Center Publications, Jordan, 1st ed., 1989. 11- Kamil Mahmoud Khalla, Palestine and the British Mandate 1922-1939, Publications of the General Establishment, Libya, 2nd ed., 1982.
11. Muhammad Muhammad Hassan Sharab, Izz ad-Din al-Qassam: Sheikh of the Mujahideen in Palestine, Dar al-Qalam Publications, Syria, 1st ed., 2000.

Fourth: Personal Memoirs:

1- Memoirs of Muhammad Izzat Darwaza: A Record Full of the Arab Movement and the Palestinian Cause During a Century (1887-1984), Vol. 1, Dar al-Gharb Publications, Lebanon, 1st ed., 1993.

Fifth: Journals:

1. Yaqub al-Awdat (The Masked Bedouin), One of the Leading Figures of Thought and Literature in Palestine, Al-Adib Magazine, Lebanon, Issue 4, 1965.
2. Jamal Qaddoura, The Founding of the Arab Party and the Rest of the Palestinian Parties in the Thirties, Shu'un Filastiniya Magazine, Lebanon, Issues 144-145, 1985.
3. Rafiq Fahmi Dawas, Palestinian Party Disputes During the British Mandate (1920-1936), Al-Aqsa University Journal, Palestine, Vol. 18, No. 1, 2014.
4. Wissam Hussein Abdul-Razzaq, The Movement of Sheikh Izz ad-Din al-Qassam and its Impact on the Palestinian National Movement until 1936, Madad al-Adab Journal, College of Arts, Iraqi University, No. 4, 2021.

Sixth: Arab Newspapers:

1. Al-Jami'a al-Arabiyya, No. 1613, June 24, 1935.
2. Al-Difaa', No. 355, June 24, 1935.
3. Al-Sirat al-Mustaqim, No. 848, July 1, 1935.
4. Falastin ,No. 78-2962, June 2, 1935. Issue 83_7692, June 8, 1935.
   Issue 95_2979, June 23, 1935.
   Issue 99_2983, June 28, 1935.
5. Al-Karmel Al-Jadeed
   Issue 2021, May 23, 1936
6. Al-Muqattam
   Issue 14161, June 30, 1935

Seventh: Personal Interviews:

1. Personal interview with Dr. Tarif Al-Khalidi (telephone call), March 1, 2025.

Eighth: Websites:

1. nicolasziadeh// https:

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

دور مؤسسة الأوقاف في الحفاظ على التعليم وتطويره في ظل الدولة العثمانية

م.د.عصام صلاح الدين علي البياتي
الجامعة التقنية الشمالية / كلية البولتيكنك كركوك / العراق
isam975@ntu.edu.iq

الاستلام(Received) : 2026 / 05/ 08 التعديل (Revision) : 2026 / 05/21
القبول(Accepted) : 2026 /06/ 30 النشر (Published) :2026/ 09/30

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المستخلص

تعد مؤسسة الأوقاف من أهم المؤسسات الحضارية التي أسهمت في دعم التعليم واستمراره عبر مختلف مراحل التاريخ الإسلامي، وقد بلغت هذه المؤسسة درجة عالية من التنظيم والتأثير في ظل الدولة العثمانية التي أولت اهتمامًا كبيرًا بالعملية التعليمية بوصفها ركيزة أساسية في بناء الدولة والمجتمع. وقد هدفت الأوقاف العثمانية إلى توفير الموارد المالية اللازمة للمؤسسات التعليمية المختلفة من مدارس وكتاتيب ومعاهد ومكتبات، الأمر الذي مكّنها من أداء وظائفها التعليمية بعيدًا عن التقلبات المالية والإدارية التي قد تواجهها الدولة، كما أسهمت الأوقاف في توسيع نطاق التعليم من خلال إنشاء المؤسسات العلمية في مختلف الولايات العثمانية، وتوفير الرواتب للمعلمين والباحثين والطلاب، فضلًا عن دعم حركة التأليف والنسخ وحفظ التراث العلمي.

يتناول هذا البحث دور مؤسسة الأوقاف في الحفاظ على التعليم وتطويره في ظل الدولة العثمانية، من خلال بيان الأسس التنظيمية والمالية التي قامت عليها الأوقاف التعليمية، والكشف عن إسهامها في ضمان استمرارية المؤسسات التعليمية، ثم دراسة دورها في تطوير الحياة العلمية والمعرفية والارتقاء بالمخرجات التعليمية، ويعتمد البحث المنهج التاريخي التحليلي من خلال تتبع نشأة الأوقاف التعليمية وتطورها وتحليل آثارها في المجال التعليمي والعلمي، وقد توصل البحث إلى أن الأوقاف مثلت أحد أهم العوامل التي أسهمت في استقرار النظام التعليمي العثماني واستمراره، كما لعبت دوراً محوريًا في توسيع دائرة التعليم وتعزيز مكانة العلم والعلماء في المجتمع العثماني.

الكلمات المفتاحية: الأوقاف، التعليم، الدولة العثمانية، المدارس العثمانية، الأوقاف التعليمية، التنمية العلمية.

Abstract:
The waqf institution was one of the most influential civil and charitable institutions in Islamic civilization, playing a crucial role in supporting public welfare and sustaining educational activities across different historical periods. During the Ottoman Empire, educational endowments reached an advanced level of organization and effectiveness, becoming a fundamental pillar in preserving and developing the educational system. Through dedicated financial resources, waqfs ensured the establishment, maintenance, and continuity of schools, madrasas, libraries, and other educational institutions throughout the vast territories of the empire. This financial independence enabled educational establishments to perform their functions with stability and continuity, regardless of political or economic fluctuations.
This study examines the role of the waqf institution in preserving and developing education during the Ottoman period by analyzing the organizational and financial foundations of educational endowments and their contribution to sustaining educational institutions. It also explores the impact of waqfs on the expansion of scientific and educational activities through the establishment of schools and libraries, the support of scholars and students, and the promotion of intellectual and cultural production. The study adopts a historical-analytical approach by tracing the evolution of educational waqfs and assessing their influence on the educational and scientific landscape of the Ottoman Empire. The research concludes that waqfs constituted one of the most significant factors behind the stability and continuity of the Ottoman educational system and played a vital role in enhancing scientific development and strengthening the status of learning and scholars within Ottoman society.
Keywords: Waqf, Education, Ottoman Empire, Educational Endowments, Ottoman Schools, Scientific Development.

المقدمة

احتلت مؤسسة الوقف مكانة بارزة في الحضارة الإسلامية بوصفها إحدى أهم الأدوات التي أسهمت في تحقيق التكافل الاجتماعي ودعم المصالح العامة، وقد شملت أدوارها مجالات متعددة كان من أبرزها مجال التعليم. وفي ظل الدولة العثمانية اكتسبت الأوقاف أهمية استثنائية نتيجة اتساع رقعة الدولة وتنامي حاجتها إلى مؤسسات تعليمية قادرة على إعداد الكوادر العلمية والإدارية والدينية. وقد أسهمت الأوقاف في توفير الموارد المالية اللازمة لإنشاء المدارس والمعاهد والمكتبات والمحافظة عليها، الأمر الذي جعلها عنصرًا أساسيًا في استمرارية التعليم وتطوره. ومن هنا تبرز أهمية دراسة الدور الذي أدته مؤسسة الأوقاف في الحفاظ على التعليم وتطويره خلال العهد العثماني، وبيان أثرها في ازدهار الحركة العلمية والثقافية.

أولاً: أهمية البحث

تنبع أهمية البحث من أهمية مؤسسة الوقف نفسها بوصفها إحدى الركائز الأساسية التي قامت عليها الحياة العلمية والتعليمية في الدولة العثمانية. كما يسهم البحث في إبراز دور المؤسسات الأهلية في دعم التعليم واستدامته، والكشف عن التجربة العثمانية في توظيف الأوقاف لخدمة المعرفة والعلم، الأمر الذي يثري الدراسات التاريخية المتعلقة بالتعليم والمؤسسات الوقفية.

ثانياً: أهداف البحث

يهدف البحث إلى التعريف بمؤسسة الأوقاف التعليمية في الدولة العثمانية وبيان أسسها التنظيمية والمالية، والكشف عن دورها في الحفاظ على استمرارية العملية التعليمية، وتحليل إسهاماتها في تطوير المؤسسات العلمية والمعرفية، فضلًا عن بيان أثرها في الارتقاء بالمستوى العلمي والتربوي في المجتمع العثماني.

ثالثاً: منهجية البحث

اعتمد البحث المنهج التاريخي التحليلي من خلال تتبع نشأة الأوقاف التعليمية وتطورها في الدولة العثمانية، وتحليل وظائفها وأدوارها المختلفة في دعم التعليم والمحافظة عليه وتطويره، مع الاستفادة من المصادر التاريخية والدراسات الحديثة ذات الصلة بموضوع البحث.

رابعاً: إشكالية البحث

ينطلق البحث من إشكالية رئيسة تتمثل في التساؤل الآتي: **ما الدور الذي أدته مؤسسة الأوقاف في الحفاظ على التعليم وتطويره في ظل الدولة العثمانية؟** ويتفرع عن هذا التساؤل عدد من الأسئلة الفرعية:

1- ما الأسس التي قامت عليها الأوقاف التعليمية؟

2- وكيف أسهمت في استمرارية المؤسسات التعليمية؟

3- وما مدى تأثيرها في تطوير الحياة العلمية والمعرفية في الدولة العثمانية؟

خامساً: خطة البحث

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مبحثين رئيسين، تناول **المبحث الأول** الأوقاف العثمانية ودورها في ترسيخ النظام التعليمي، من خلال مطلبين خصص الأول للأوقاف التعليمية وأسس دعم المؤسسات التعليمية في الدولة العثمانية، بينما تناول المطلب الثاني دور الأوقاف في ضمان استمرارية التعليم ونشره. أما **المبحث الثاني** فقد عالج إسهام الأوقاف في تطوير الحياة العلمية والتعليمية، وذلك من خلال مطلبين تناول الأول دور الأوقاف في التوسع بالمؤسسات العلمية وتنمية الموارد المعرفية، بينما تناول الثاني أثر الأوقاف في الارتقاء بالمخرجات العلمية والتربوية، ثم اختتم البحث بأهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

الأوقاف العثمانية ودورها في ترسيخ النظام التعليمي

شكلت مؤسسة الوقف في الدولة العثمانية أحد الأعمدة الرئيسة التي قام عليها النظام التعليمي، إذ لم يكن التعليم نشاطاً تابعاً مباشرة لميزانية الدولة فحسب، بل كان يعتمد بدرجة كبيرة على منظومة وقفية مستقلة وفرت له الاستمرارية والاستقرار، وقد أسهم هذا النظام في جعل التعليم العثماني أكثر مرونة وقدرة على التوسع في مختلف الأقاليم، حيث ارتبطت المدارس والكتاتيب والمدارس العالية بعقود وقفية تحدد مصادر التمويل وطرق الإنفاق بشكل دقيق.

وقد أدى هذا التنظيم الوقفي إلى ترسيخ بنية تعليمية متكاملة تقوم على التمويل الذاتي المستدام، حيث تكفلت الأوقاف برواتب المعلمين والطلاب وصيانة الأبنية التعليمية وتوفير الكتب والمستلزمات الدراسية، كما ساعدت على انتشار التعليم في المدن الكبرى والمناطق الريفية على حد سواء.

وبناءً عليه سوف نقسم هذا المبحث إلى مكلبين أساسيين، في المطلب الأول سنتحدث عن الأوقاف التعليمية وأسس دعم المؤسسات التعليمية في الدولة العثمانية، أما في المطلب الثاني سوف نتحدث عن دور الأوقاف في ضمان استمرارية التعليم ونشره.

المطلب الأول

الأوقاف التعليمية وأسس دعم المؤسسات التعليمية في الدولة العثمانية

مثلت الأوقاف التعليمية في الدولة العثمانية نظاماً مؤسسياً متكاملاً يقوم على تخصيص أموال وعقارات ومصادر دخل ثابتة لصالح المؤسسات التعليمية، بما يضمن استمرارها في أداء وظائفها دون انقطاع، وقد ارتبط هذا النظام بفكرة الوقف الإسلامي التي تقوم على حبس الأصل وتسبيل المنفعة، وهو ما أتاح تكوين موارد مالية مستقرة خُصصت للمدارس والمدارس الدينية والمكتبات ومختلف مرافق التعليم، وقد اتسم هذا النظام بالدقة التنظيمية، حيث كانت وثائق الوقف تحدد بدقة طبيعة الإنفاق، وأوجه الصرف والفئات المستفيدة مما جعل التعليم جزءاً من منظومة اقتصادية واجتماعية مستدامة داخل الدولة العثمانية[1].

وقد لعبت هذه الأوقاف دوراً حاسماً في تمويل البنية التحتية التعليمية، إذ تم إنشاء العديد من المدارس داخل المجمعات الوقفية التي شملت في كثير من الأحيان مسجداً ومدرسةً ومكتبةً وداراً للضيافة، وهو ما يعكس التكامل بين الوظائف الدينية والتعليمية والاجتماعية، كما أسهمت الأوقاف في توفير رواتب ثابتة للمعلمين والمدرسين الأمر الذي رفع من مستوى الاستقرار المهني لهم وشجع على التفرغ للعلم والتعليم، كذلك شملت الأوقاف توفير منح للطلاب وإعانات مالية تساعدهم على التفرغ للدراسة مما ساهم في توسيع قاعدة المتعلمين داخل المجتمع العثماني [2].

ومن الناحية الإدارية، خضعت الأوقاف التعليمية لإشراف دقيق من قبل نظار الوقف الذين كانوا يتولون إدارة الموارد المالية وضمان صرفها وفق شروط الواقف، وقد أدى هذا النظام إلى تقليل فرص الفساد أو سوء الإدارة كما ضمن استمرارية التمويل حتى في فترات الأزمات الاقتصادية ويظهر من خلال ذلك أن الوقف لم يكن مجرد عمل خيري فردي بل تحول إلى مؤسسة مالية وتعليمية متكاملة أسهمت في بناء نظام تعليمي مستقر وفعال.

كما أن الأوقاف التعليمية لم تقتصر على دعم المدارس التقليدية، بل شملت أيضاً دعم المكتبات التي لعبت دوراً محورياً في نشر المعرفة وحفظ المخطوطات العلمية، وقد ساعد هذا الدعم في ازدهار حركة التأليف والنسخ داخل الدولة العثمانية حيث أصبحت المكتبات الوقفية مراكز إشعاع علمي تستقطب العلماء والطلاب من مختلف المناطق وبهذا الشكل أسهمت الأوقاف في خلق بيئة علمية متكاملة تجمع بين التعليم النظري والتطبيق المعرفي[3].

إن هذا الدور المتكامل للأوقاف التعليمية يعكس بوضوح أن النظام التعليمي في الدولة العثمانية لم يكن قائماً على الدولة وحدها، بل كان يعتمد على شراكة بين المجتمع والمؤسسات الوقفية وهو ما منح التعليم قوة استمرارية ومرونة عالية كما أن هذا النموذج أسهم في نشر التعليم على نطاق واسع وجعله متاحاً لفئات اجتماعية متعددة مما ساعد على رفع المستوى الثقافي العام داخل المجتمع العثماني [4].

كما أسهم النظام الوقفي في تعزيز البعد المؤسسي للتعليم من خلال تحويل المدارس إلى مؤسسات مستقرة ذات موارد محددة وواضحة، حيث لم تكن المدرسة تعتمد على دعم مؤقت أو مساعدات متقطعة بل على ريع ثابت من أصول وقفية مخصصة مسبقاً، وقد منح هذا الأمر المؤسسات التعليمية قدرة على التخطيط طويل الأمد سواء فيما يتعلق بتطوير المناهج أو استقطاب العلماء أو توسيع الطاقة الاستيعابية للطلاب، كما أسهم في جعل التعليم جزءاً من البنية الاقتصادية والاجتماعية للدولة وليس نشاطاً ثانوياً [5].

كما أدى استقرار التمويل الوقفي إلى رفع جودة التعليم داخل المدارس العثمانية، إذ أصبح بإمكان القائمين على المؤسسات التعليمية اختيار أفضل المدرسين وتوفير بيئة تعليمية مناسبة تعتمد على الاستمرارية وليس الانقطاع، كما ساعد ذلك على تطوير المناهج العلمية بشكل تدريجي بما يتناسب مع تطور العلوم الشرعية والعقلية داخل الدولة، الأمر الذي انعكس على مستوى الطلاب وكفاءتهم العلمية في مختلف المجالات [6].

كما ساهمت الأوقاف في دعم حركة الترجمة والتأليف داخل الدولة العثمانية، حيث وفرت المكتبات الوقفية بيئة علمية غنية بالمصادر التي ساعدت العلماء على إنتاج مؤلفات جديدة في الفقه

والتفسير واللغة والعلوم العقلية، كما أن توفر الورق والنسخ داخل المؤسسات الوقفية ساعد على انتشار الكتب بشكل واسع بين الطلاب، مما أدى إلى ازدهار الحركة العلمية داخل الدولة [7] .

كما لعبت الأوقاف دوراً اجتماعياً مهماً في تحقيق العدالة التعليمية، إذ لم يكن التعليم مقتصراً على طبقة اجتماعية معينة بل أصبح متاحاً لفئات واسعة من المجتمع حيث استفاد الفقراء وذوو الدخل المحدود من المنح الوقفية التي وفرت لهم السكن والطعام والتعليم المجاني مما جعل التعليم وسيلة للترقي الاجتماعي داخل المجتمع العثماني [8].

كما أسهم هذا النظام في خلق شبكة من العلماء المتنقلين بين المدارس المختلفة داخل الدولة، حيث كان الطالب ينتقل من مدرسة إلى أخرى داخل النظام الوقفي مما أدى إلى توحيد نسبي في مستوى التعليم والمناهج، كما ساعد على انتشار المعرفة بشكل واسع بين مختلف الولايات وهو ما عزز من وحدة الدولة الثقافية والعلمية [9].

يتبين من هذا المطلب أن الأوقاف التعليمية في الدولة العثمانية شكلت الأساس المالي والإداري الذي ضمن استمرارية التعليم واستقراره عبر تمويل المدارس والمعاهد بصورة دائمة، كما أسهمت في دعم المعلمين والطلاب وتوفير بيئة تعليمية متكاملة من خلال المجمعات الوقفية والمكتبات وبذلك كان نظام الوقف عنصراً حاسماً في ترسيخ التعليم وتوسيع نطاقه داخل المجتمع العثماني.

المطلب الثاني

دور الأوقاف في ضمان استمرارية التعليم ونشره

مثل نظام الأوقاف في الدولة العثمانية أحد أهم الضمانات التي أسهمت في استمرارية التعليم عبر القرون، إذ وفّر هذا النظام مصادر تمويل ثابتة مكّنت المؤسسات التعليمية من العمل بشكل منتظم دون انقطاع، حيث كانت المدارس تعتمد على ريع الأوقاف المتمثل في الأراضي الزراعية والأسواق والعقارات التي خُصص دخلها بشكل دائم لصالح العملية التعليمية، وقد أسهم ذلك في جعل التعليم نشاطًا مستقرًا غير مرتبط بتقلبات الميزانية العامة للدولة، مما عزز من قدرة المؤسسات التعليمية على الاستمرار حتى في فترات الأزمات السياسية والاقتصادية [10].

وساعدت الأوقاف على ضمان استمرارية الكادر التعليمي من خلال توفير رواتب ثابتة للمدرسين والعاملين في المؤسسات التعليمية، الأمر الذي جعل التعليم مهنة مستقرة داخل المجتمع العثماني، إذ لم يكن المعلمون بحاجة إلى البحث عن مصادر دخل إضافية، بل كانوا يعتمدون على موارد الوقف المحددة مسبقًا في وثائق الوقف، وقد انعكس هذا الاستقرار بشكل مباشر على جودة التعليم واستمراريته، حيث تمكن العلماء من التفرغ الكامل للتدريس ونقل المعرفة للأجيال المتعاقبة [11].

كما أسهمت الأوقاف في نشر التعليم جغرافيًا داخل الدولة العثمانية، إذ لم يقتصر التعليم على المدن الكبرى مثل إسطنبول وأدرنة وبورصة، بل امتد إلى مختلف الأقاليم من خلال إنشاء مدارس وكتاتيب صغيرة ممولة وقفيًا، وقد ساعد هذا الانتشار على تقليص الفجوة التعليمية بين المركز والأطراف، كما أدى إلى رفع مستوى الوعي الثقافي والديني بين مختلف طبقات المجتمع، مما جعل التعليم أكثر شمولية وانتشاراً [12].

لعبت الأوقاف دوراً مهماً في توفير الدعم المباشر للطلاب من خلال منح مالية ومعاشات تشمل السكن والطعام والكتب، مما أتاح للطلاب الفقراء فرصة مواصلة التعليم دون عوائق اقتصادية، وقد ساهم هذا الدعم في توسيع قاعدة المتعلمين داخل الدولة العثمانية، كما شجع على انتقال الطلاب بين المراكز العلمية المختلفة، الأمر الذي عزز من الحركة العلمية والتبادل المعرفي بين الأقاليم[13].

كما أسهم النظام الوقفي في حماية التعليم من الأزمات المالية التي كانت تمر بها الدولة، إذ كانت المؤسسات التعليمية تعتمد على موارد مستقلة نسبيًا عن خزينة الدولة، مما جعلها أقل تأثرًا بالحروب أو الأزمات الاقتصادية، وبالتالي استمر التعليم في أداء وظيفته الأساسية دون توقف كبير، وهو ما منح النظام التعليمي العثماني قدرة عالية على الاستقرار مقارنة بغيره من النظم التعليمية في تلك الفترة [14].

وساعدت الأوقاف في تعزيز مكانة العلماء داخل المجتمع العثماني، حيث وفرت لهم رواتب مستقرة ومكانة اجتماعية مرموقة، مما جعلهم جزءًا من النخبة الفكرية المؤثرة في الدولة، وقد انعكس ذلك على ازدهار الحركة العلمية وازدياد الإنتاج الفكري في مجالات الفقه والتفسير والعلوم العقلية، مما ساهم في رفع مستوى الحياة العلمية بشكل عام[15] .

يمثل البعد المؤسسي في نظام الأوقاف العثمانية أحد العناصر الجوهرية التي أسهمت في ترسيخ استمرارية التعليم عبر الزمن، إذ اعتمدت العملية التعليمية على منظومة مالية مستقرة جعلت من المدرسة مؤسسة دائمة وليست نشاطاً مؤقتاً، وقد انعكس هذا التنظيم على قدرة المؤسسات التعليمية في الحفاظ على وجودها حتى في ظل تغيرات سياسية وإدارية متكررة داخل الدولة العثمانية، الأمر الذي منح التعليم طابعاً استقرارياً طويل الأمد [16].

وفي سياق متصل أدى اعتماد النظام التعليمي على الإدارة الوقفية عبر النظار إلى تعزيز الاستقلالية الإدارية للمؤسسات التعليمية، حيث تولى الناظر مسؤولية الإشراف على الموارد المالية وصرفها وفق شروط الواقف دون تدخل مباشر من السلطة السياسية، وهو ما ساعد على حماية العملية التعليمية من التقلبات الإدارية وضمان سيرها بشكل منتظم ومستقر.

ومن زاوية اجتماعية، ساعدت الأوقاف في تحقيق قدر من العدالة التعليمية داخل المجتمع العثماني من خلال إتاحة فرص التعلم لمختلف الفئات الاجتماعية دون استثناء، إذ استفاد الفقراء وذوو

الدخل المحدود من الدعم الوقفي الذي شمل الإعاشة والسكن والكتب، الأمر الذي أسهم في تقليص الفوارق الاجتماعية داخل البيئة التعليمية [17]

وعلى مستوى البنية التعليمية، نشأت مجمعات وقفية متكاملة ضمت المدارس والمكتبات ودور السكن، مما أوجد بيئة تعليمية مستقرة قائمة على التكامل بين عناصر المعرفة المختلفة، وقد ساعد هذا النموذج على رفع جودة التعليم وإعداد جيل من العلماء الذين امتلكوا أدوات معرفية واسعة ومتنوعة [18].

ومن ناحية حركية العلم، أتاح النظام الوقفي إمكانية التنقل بين المراكز العلمية المختلفة داخل الدولة العثمانية، حيث استفاد الطلاب من فرص الدراسة في أكثر من مؤسسة تعليمية، مما أسهم في تبادل الخبرات العلمية وتوحيد نسبي للمناهج التعليمية بين مختلف الولايات العثمانية.

يتضح أن الأوقاف في الدولة العثمانية كانت عنصراً أساسياً في ضمان استمرارية التعليم من خلال توفير تمويل ثابت ومستقل مكن المؤسسات التعليمية من العمل دون انقطاع، كما أسهمت في تطوير البيئة التعليمية عبر إنشاء مجمعات علمية متكاملة ودعم المعلمين والطلاب وتسهيل التنقل العلمي، وبذلك لعب نظام الوقف دوراً محورياً في استقرار التعليم وتوسيع نطاقه وتعزيز الإنتاج العلمي داخل الدولة العثمانية.

المبحث الثاني

إسهام الأوقاف في تطوير الحياة العلمية والتعليمية

يمثل نظام الأوقاف في الدولة العثمانية أحد أهم المرتكزات التي أسهمت في تشكيل البنية العلمية والتعليمية للدولة، إذ لم يكن دوره مقتصرًا على توفير التمويل المادي للمؤسسات التعليمية فحسب، بل تجاوز ذلك إلى بناء منظومة معرفية متكاملة أسهمت في صناعة بيئة علمية مستقرة وفاعلة، وقد انعكس هذا الدور في ازدهار المدارس والمكتبات والمراكز العلمية التي انتشرت في مختلف أنحاء الدولة، مما جعل التعليم العثماني يتمتع بدرجة عالية من الاستمرارية والتنظيم والتنوع المعرفي.

كما أدى هذا النظام إلى إرساء قاعدة علمية واسعة قامت على ربط التعليم بالوقف بوصفه مؤسسة اجتماعية واقتصادية مستقلة، الأمر الذي منح المؤسسات التعليمية قدرة كبيرة على الاستمرار دون ارتباط مباشر بالتقلبات السياسية أو المالية، حيث أصبحت الموارد الوقفية مصدرًا ثابتًا يضمن استقرار العملية التعليمية ويؤمن احتياجاتها الأساسية من رواتب المعلمين والطلاب وصيانة المباني وتوفير الكتب والمراجع، وهو ما أسهم في تعزيز جودة التعليم ورفع مستواه العلمي عبر الزمن.

وعليه سوف نقسم هذا المبحث على مطلبين، المطلب الأول سيكون عن دور الأوقاف في التوسع بالمؤسسات العلمية وتنمية الموارد المعرفية، أما المطلب الثاني سيكون عن أثر الأوقاف في الارتقاء بالمخرجات العلمية والتربوية.

المطلب الأول

دور الأوقاف في التوسع بالمؤسسات العلمية وتنمية الموارد المعرفية

أسهم نظام الأوقاف في الدولة العثمانية في توسيع شبكة المؤسسات التعليمية بشكل كبير من خلال دعم إنشاء المدارس في المدن الصغيرة والأقاليم البعيدة، إذ لم يعد التعليم محصورًا في إسطنبول أو المراكز الكبرى، بل أصبح منتشراً بشكل متوازن نسبياً، وقد أدى هذا الانتشار إلى رفع مستوى الوعي العلمي والديني بين مختلف طبقات المجتمع، وتعزيز حضور المعرفة في الحياة العامة.

ومن جهة أخرى، ساعدت الأوقاف على تطوير البنية المؤسسية للمدارس من خلال توفير موارد ثابتة مخصصة للصيانة والتجهيز والتشغيل، مما جعل المؤسسات التعليمية أكثر استقرارًا واستمرارية، وقد انعكس ذلك على جودة البيئة التعليمية داخل المدارس، حيث أصبحت أكثر تنظيمًا وقدرة على استيعاب أعداد أكبر من الطلاب.

كما ساهمت الأوقاف في دعم تنوع الإنتاج المعرفي داخل المؤسسات العلمية، إذ شجعت على دراسة مختلف العلوم الشرعية والعقلية في وقت واحد، مما أدى إلى خلق بيئة علمية متعددة التخصصات، وأسهم ذلك في تطوير المناهج التعليمية وجعلها أكثر شمولية ومرونة في التعامل مع احتياجات المجتمع والدولة [19].

وفي سياق آخر، أدت الأوقاف إلى ازدهار حركة المكتبات الوقفية التي لعبت دورًا أساسيًا في حفظ المعرفة وتوفيرها للطلاب والباحثين، حيث احتوت هذه المكتبات على آلاف المخطوطات في مختلف العلوم، مما ساعد على توسيع دائرة الاطلاع العلمي وتعزيز البحث والدراسة داخل المؤسسات التعليمية[20].

كما أسهم استقرار التمويل الوقفي في استقطاب العلماء البارزين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، حيث وفرت لهم المؤسسات الوقفية رواتب ثابتة ومكانة علمية مرموقة، مما أدى إلى رفع مستوى التعليم داخل المدارس العثمانية وتحسين جودة الإنتاج العلمي والتدريس .

كما ساعد النظام الوقفي على تعزيز التكامل بين المؤسسات التعليمية المختلفة داخل الدولة، حيث تشكلت شبكة مترابطة من المدارس والمكتبات والمراكز العلمية، مما ساهم في تبادل المعرفة وتوحيد نسبي للمناهج التعليمية، وهو ما عزز من وحدة النظام التعليمي العثماني [21].

كما كان للأوقاف دور بارز في تنمية الموارد المعرفية من خلال دعم حركة النسخ والتأليف وتوفير المواد اللازمة للكتابة والطباعة المبكرة، مما أدى إلى زيادة الإنتاج العلمي وانتشار الكتب بين الطلاب، وبالتالي توسعت قاعدة المعرفة داخل المجتمع العثماني بشكل ملحوظ .

ومن منظور إداري مؤسسي أسهمت الأوقاف في تطوير آليات إدارة المؤسسات العلمية داخل الدولة العثمانية، حيث لم يكن الوقف مجرد مصدر تمويل بل نظاماً إدارياً متكاملاً يحدد بدقة شروط الإنفاق وأوجه الصرف وآليات الإشراف، وقد أدى هذا التنظيم إلى تقليل الفوضى الإدارية داخل المؤسسات التعليمية وضمان استقرارها على المدى الطويل، مما جعلها تعمل وفق قواعد ثابتة لا تتغير بتغير الولاة أو السلاطين [22].

وفي إطار البنية الاجتماعية للعلم، ساهم الوقف في خلق طبقة علمية مستقرة اقتصاديًا، إذ أصبح العلماء جزءًا من منظومة معيشية مضمونة تعتمد على ريع الأوقاف، وهو ما منحهم استقلالية نسبية عن السلطة السياسية، وبالتالي ساعدهم ذلك على أداء دورهم العلمي دون ضغوط مباشرة، مما انعكس على جودة الإنتاج المعرفي وموضوعيته في كثير من الأحيان.

كما أدى توسع الوقف إلى تعزيز التكامل بين المعرفة النظرية والتطبيق العملي، حيث لم يعد التعليم منفصلًا عن الحياة الاجتماعية، بل أصبح مرتبطًا بحاجات المجتمع من القضاء والإدارة والفتوى، مما جعل المؤسسات العلمية تسهم بشكل مباشر في تنظيم الحياة العامة، وهو ما أعطى للمعرفة وظيفة اجتماعية واضحة داخل الدولة العثمانية .

ومن زاوية معرفية، ساعدت الأوقاف في تطوير حركة تصنيف العلوم داخل البيئة التعليمية، حيث تم تنظيم العلوم في مستويات ومجالات مختلفة داخل المؤسسات التعليمية، الأمر الذي ساعد على وضوح المناهج وتدرجها، مما أسهم في تحسين عملية التعليم وزيادة قدرة الطلاب على الفهم والتحليل التدريجي للمعرفة [23].

ومن زاوية معرفية، ساعدت الأوقاف في تطوير حركة تصنيف العلوم داخل البيئة التعليمية في الدولة العثمانية، إذ لم تعد المعرفة تُقدَّم بوصفها كتلة واحدة غير منظمة، بل جرى توزيعها ضمن مستويات ومجالات علمية متدرجة تراعي قدرات المتعلمين ومرحلة تحصيلهم العلمي، وقد انعكس هذا التنظيم في وضوح المناهج التعليمية وتحديد مسارات الدراسة بشكل أكثر دقة، الأمر الذي جعل العملية التعليمية تقوم على مبدأ التدرج المعرفي بدلًا من التلقين العشوائي [24].

كما أدى هذا التصنيف إلى تعزيز الفهم البنيوي للعلوم لدى الطلاب، حيث أصبح بإمكان المتعلم الانتقال من العلوم الأساسية إلى العلوم المتقدمة بشكل تدريجي ومنهجي، مما أسهم في ترسيخ المهارات التحليلية وتطوير القدرة على الربط بين المفاهيم المختلفة داخل الحقول العلمية، وهو ما رفع من جودة التكوين العلمي داخل المؤسسات التعليمية الوقفية.

وعلى المستوى المؤسسي، أسهم هذا التنظيم في خلق نوع من التوازن بين العلوم الشرعية والعلوم العقلية، إذ لم تعد هناك هيمنة لمجال معرفي واحد، بل جرى إدماج العلوم اللغوية والمنطقية والرياضية

والطبية ضمن منظومة تعليمية واحدة، مما عزز من شمولية التعليم ووسّع آفاق المتعلمين، وجعلهم أكثر قدرة على التعامل مع قضايا معرفية متنوعة [25].

يتضح من هذا المطلب أن نظام الأوقاف في الدولة العثمانية أسهم في توسيع نطاق المؤسسات العلمية عبر توفير تمويل مستقر مكن من إنشاء وتطوير البنى التعليمية على نحو مستدام، كما ساعد في تنمية الموارد المعرفية من خلال دعم الإنتاج العلمي وحركة التأليف وتوفير بيئة بحثية منظمة.

المطلب الثاني

أثر الأوقاف في الارتقاء بالمخرجات العلمية والتربوية

برز تأثير النظام الوقفي في الدولة العثمانية على جودة المخرجات العلمية والتربوية من خلال ما وفره من بيئة تعليمية مستقرة أسهمت في إعداد كوادر علمية مؤهلة امتلكت القدرة على ممارسة أدوارها في مجالات القضاء والإفتاء والإدارة، وقد جاء هذا التطور نتيجة تراكم معرفي قائم على استمرارية التعليم وتوفر الدعم المالي الدائم للمؤسسات التعليمية .

وعلى الصعيد التربوي، أدى انتظام العملية التعليمية داخل المؤسسات الوقفية إلى تحسين مستوى التحصيل العلمي لدى الطلاب، حيث أتاح استقرار الدروس واستمراريتها بناء مهارات معرفية أكثر عمقًا تعتمد على الفهم والتدرج في اكتساب المعرفة بدلًا من الحفظ المجرد، وهو ما انعكس إيجابًا على جودة المخرجات التعليمية [26].

وفي إطار الكفاءة التعليمية، ساعد الاستقرار المالي الذي وفرته الأوقاف للمعلمين على رفع مستوى الأداء التدريسي، إذ مكنهم ذلك من التفرغ الكامل للعمل الأكاديمي دون انشغال بالاحتياجات المعيشية، مما أدى إلى تحسين جودة التعليم ورفع مستوى الطلاب العلمي داخل المؤسسات التعليمية.

وانطلاقًا من البعد المعرفي، أتاح توفر المصادر العلمية داخل المؤسسات الوقفية للطلاب فرصًا واسعة للاطلاع والبحث، الأمر الذي أسهم في تنمية مهارات التفكير النقدي والتحليل العلمي لديهم، وبالتالي رفع كفاءة المخرجات التعليمية وجعلها أكثر قدرة على التفاعل مع متطلبات المجتمع [27].

ومن جهة تطبيقية، اتجه التعليم في ظل النظام الوقفي إلى ربط المعرفة النظرية بالحياة العملية، حيث أُعد الطلاب ليكونوا قادرين على ممارسة وظائف اجتماعية مهمة في مجالات القضاء والإدارة والتعليم، وهو ما جعل المخرجات التربوية أكثر ارتباطًا باحتياجات الدولة والمجتمع.

وعلى مستوى الاستمرارية التعليمية، ساعد الدعم الوقفي للطلاب من خلال الإعاشة والسكن على تقليل معدلات الانقطاع عن الدراسة، مما أتاح لهم إكمال مسارهم التعليمي بشكل منتظم، وبالتالي رفع نسبة المتعلمين وتحسين جودة المخرجات العلمية داخل الدولة العثمانية.

وفي جانب الإنتاج العلمي، أتاح الاستقرار المؤسسي الناتج عن نظام الوقف للعلماء والطلاب إمكانية التفرغ للبحث والتأليف، مما أدى إلى إنتاج مؤلفات علمية منظمة ودقيقة أسهمت في تطوير المعرفة وتراكمها عبر الزمن داخل المؤسسات التعليمية.

أما من منظور تكوين الشخصية العلمية، فقد ساعد النظام الوقفي في بناء جيل من المتعلمين يتمتع بقدر من التوازن بين المعرفة النظرية والسلوك العملي، الأمر الذي جعلهم أكثر قدرة على الاندماج في الحياة العامة وتولي المسؤوليات العلمية والإدارية بكفاءة.

انعكس النظام الوقفي في الدولة العثمانية بصورة مباشرة على نوعية الكفاءات العلمية التي تخرجت من المؤسسات التعليمية، حيث ساهم في إعداد فئة من العلماء والفقهاء الذين امتازوا بالقدرة على الجمع بين المعرفة النظرية والتطبيق العملي في ميادين القضاء والإفتاء والإدارة، وهو ما جعل المخرجات التعليمية ذات طابع وظيفي يخدم بنية الدولة ومؤسساتها المختلفة [28].

ومن منظور تطبيقي، أدى استقرار النظام التعليمي المدعوم بالأوقاف إلى تحسين مستوى التأهيل العلمي للطلاب، حيث أصبح الطالب يمر بمسار تعليمي أكثر تنظيمًا يركز على التدرج في اكتساب المعرفة وربطها بالواقع العملي، مما أسهم في رفع جودة المخرجات التربوية بشكل واضح داخل المجتمع العثماني [29].

وعلى مستوى الإنتاج العلمي، ساعدت البيئة الوقفية على تكوين جيل من المؤلفين والعلماء القادرين على إنتاج كتب ومصنفات علمية في مختلف التخصصات، حيث انعكس الاستقرار المعيشي الذي وفره الوقف على القدرة على التفرغ للبحث والتأليف، مما أدى إلى ارتفاع مستوى الإنتاج الفكري في الدولة العثمانية [30].

كما أسهم النظام الوقفي في تعزيز جودة التكوين العلمي للمعلمين أنفسهم، إذ أصبح اختيارهم قائمًا على الكفاءة العلمية والخبرة، مما أدى إلى تحسين جودة العملية التعليمية ورفع مستوى التحصيل لدى الطلاب، وبالتالي تحسين نوعية المخرجات النهائية للنظام التعليمي [31].

ومن زاوية اجتماعية، ساعد الوقف في خلق بيئة تعليمية أكثر عدالة، حيث أتاح الفرصة أمام أبناء الطبقات الفقيرة للوصول إلى مستويات علمية متقدمة، مما أدى إلى تنوع الخلفيات الاجتماعية للمتخرجين، وبالتالي تعزيز التكامل الاجتماعي داخل النخبة العلمية العثمانية.

وفي سياق آخر، أدى النظام الوقفي إلى تطوير المهارات التحليلية والنقدية لدى الطلاب، نتيجة اعتماد أساليب تعليمية تقوم على الحوار والمناقشة العلمية، وهو ما انعكس على نوعية الخريجين الذين أصبحوا أكثر قدرة على التعامل مع القضايا الفقهية والإدارية بشكل تحليلي ومنهجي [32].

كما ساعد الوقف في تعزيز استمرارية الأثر العلمي للخريجين، حيث لم يقتصر دورهم على التخرج فقط، بل امتد إلى المشاركة في نقل المعرفة للأجيال التالية من خلال التدريس والإفتاء، مما خلق دورة معرفية مستمرة داخل المجتمع العثماني.

نستنتج أن نظام الأوقاف في الدولة العثمانية أسهم في تحسين نوعية المخرجات العلمية والتربوية من خلال إعداد كوادر علمية مؤهلة تجمع بين المعرفة النظرية والتطبيق العملي في مجالات القضاء والإدارة والإفتاء.

الخاتمة :

يتبين من خلال هذا البحث أن مؤسسة الأوقاف في الدولة العثمانية لعبت دورًا محوريًا في الحفاظ على التعليم وتطويره، إذ شكلت ركيزة أساسية في دعم المؤسسات التعليمية وضمان استمراريتها عبر الزمن، كما أسهمت في بناء منظومة علمية متكاملة ربطت بين التمويل المستقر والإنتاج المعرفي، مما جعل التعليم جزءًا أصيلًا من البنية الحضارية للدولة وليس مجرد نشاط وظيفي مؤقت. وقد انعكس هذا الدور في اتساع نطاق التعليم، وتطور بنيته المؤسسية، وارتفاع مستوى مخرجاته العلمية والتربوية، الأمر الذي أسهم في تعزيز مكانة الدولة العثمانية كإحدى المراكز العلمية المهمة في العالم الإسلامي خلال تلك الحقبة التاريخية.

كما أظهر البحث أن الأوقاف لم تقتصر على الجانب المالي فقط، بل تجاوزته إلى الإسهام في تشكيل بيئة علمية مستقرة، ساعدت على إنتاج المعرفة ونقلها وتطويرها، وهو ما جعلها عنصرًا فاعلًا في استدامة الحركة العلمية والتربوية، وربط التعليم بحاجات المجتمع والدولة على حد سواء

1. أسهمت الأوقاف في ضمان استمرارية المؤسسات التعليمية من خلال توفير مصدر تمويل ثابت ومستقر.
2. أدت الأوقاف إلى توسع واضح في انتشار التعليم داخل الدولة العثمانية ليشمل مختلف الأقاليم.
3. ساعدت الأوقاف في تحسين جودة المخرجات العلمية من خلال رفع كفاءة التعليم والتدريس.
4. أسهمت في تعزيز الإنتاج العلمي عبر تمكين العلماء من التفرغ للبحث والتأليف.
5. لعبت الأوقاف دورًا في ربط التعليم بالحياة الاجتماعية والإدارية داخل الدولة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب العامة

1. أحمد شلبي، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1998.
2. إسماعيل ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط2، مكتبة العبيكان، الرياض، 1998.

3. محمد فريد بك، تاريخ الدولة العثمانية السياسي والحضاري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999.
4. خليل إينالجك، الدولة العثمانية: العصر الكلاسيكي، دار إرسيكا للنشر، تركيا، 2003.
5. محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، مكتبة مدبولي، مصر، 2003.
6. كولن إمبر، الدولة العثمانية 1300–1650، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2006.
7. عبد العزيز الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007.
8. علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار المعرفة، لبنان، 2011.

ثانياً: الكتب الخاصة :

1. أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، القاهرة، 1986
2. فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1991.
3. بهاء الدين يلدز، نظام الوقف في الدولة العثمانية وأثره في الحياة الاجتماعية والتعليمية، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا)، تركيا، 1993.
4. أكمل الدين إحسان أوغلي، تاريخ العلوم والتعليم في الدولة العثمانية، إرسيكا، إسطنبول، 2004.
5. عبد الكريم رافق، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية، دار الفكر، سوريا، 2005
6. صالح أحمد العلي، دراسات في التاريخ العثماني والمؤسسات الاجتماعية، دار المدى، بيروت، 2006.
7. منذر قحف، الوقف الإسلامي: تطوره، إدارته، تنميته، دار الفكر، دمشق، 2006
8. محمد أمين، المؤسسات الوقفية في الدولة العثمانية ودورها الحضاري، دار الفكر العربي، القاهرة، 2010.
9. محمد كوزي، الحياة العلمية في الدولة العثمانية، دار النهضة للدراسات التاريخية، مصر، 2010.
10. نادية مصطفى، التعليم في الدولة العثمانية: دراسة في البنية والمؤسسات، دار الشروق، القاهرة، 2010.
11. عبد الله زكري، النظم التعليمية في الدولة العثمانية بين المركز والأطراف، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012.
12. محمد البشاري، الوقف الإسلامي ودوره في التنمية الحضارية، دار السلام، القاهرة، 2014.

13. أحمد عبد الله نجم، التعليم في الدولة العثمانية دراسة لدور المدرسة من ظهور الدولة حتى وفاة السلطان سليمان القانوني، ط4، مركز أركان للدراسات والأبحاث والنشر، مصر، 2024.

الهوامش:

(1) بهاء الدين يلدز، نظام الوقف في الدولة العثمانية وأثره في الحياة الاجتماعية والتعليمية، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا)، تركيا، 1993، ص 78.

(2) صادق شيناسي، المؤسسات التعليمية في الدولة العثمانية، دار الفكر العثماني، تركيا، 2001، ص 102.

(3) محمد كوزي، الحياة العلمية في الدولة العثمانية، دار النهضة للدراسات التاريخية، مصر، 2010، ص 91.

(4) أكمل الدين إحسان أوغلو،تاريخ العلوم والتعليم في الدولة العثمانية، إرسيكا، إسطنبول، 2004، ص 120.

(5) علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار المعرفة، لبنان، 2011، ص 212.

(6) محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، مكتبة مدبولي، مصر، 2003، ص 175.

(7) أحمد شلبي، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1998، ص 301.

(8) عبد الكريم رافق، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية، دار الفكر، سوريا، 2005، ص 143.

(9) أكمل الدين إحسان أوغلو، تاريخ العلوم والتعليم في الدولة العثمانية، مصدر سابق، ص180.

(10) خليل إينالجك، الدولة العثمانية: العصر الكلاسيكي، دار إرسكا للنشر، تركيا، 2003، ص 97.

(11) بهاء الدين يلدز، نظام الوقف في الدولة العثمانية ودوره التعليمي والاجتماعي، مصدر سابق، ص 83.

(12) سورايا فاروقي، المجتمع العثماني والحياة اليومية، دار المدى، بيروت، 2002، ص 121.

(13) أكمل الدين إحسان أوغلو، تاريخ العلوم والتعليم في الدولة العثمانية، مصدر سابق، ص160.

(14) كولن إمبر، الدولة العثمانية 1300–1650، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2006، ص 153.

(15) سورايا فاروقي، المجتمع العثماني والحياة اليومية، مصدر سابق، ص88.

(16) محمد أمين، المؤسسات الوقفية في الدولة العثمانية ودورها الحضاري، دار الفكر العربي، القاهرة، 2010، ص 121.

(17) أحمد عبدالله نجم، التعليم في الدولة العثمانية دراسة لدور المدرسة من ظهور الدولة حتى وفاة السلطان سليمان القانوني، ط4، مركز اركان للدراسات والأبحاث والنشر، مصر، 2024، ص 145.

(18) إسماعيل ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط2، مكتبة العبيكان، الرياض، 1998 ، ص 172.

(19) عبد العزيز الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، ص 66.

(20) فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية، 1991، ص 210.

(21) محمد فريد بك، تاريخ الدولة العثمانية السياسي والحضاري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، ص 187.

(22) أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، القاهرة، 1986، ص 165.

(23) إسماعيل ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مصدر سابق، ص196.

(2) محمد كوزي، الحياة العلمية في الدولة العثمانية، مصدر سابق، ص37.

(3) فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي ، مصدر سابق، ص96.

(26) أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، مصدر سابق، ص 188.

(27) عبد العزيز الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي،مصدر سابق، ص 166.

(28) خليل إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار، ترجمة: محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002، ص 118.

(29) فاضل بيات، *المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني*، دار المدار الإسلامي، بيروت،2009، ص 102.

(30) منذر قحف، الوقف الإسلامي: تطوره ، ادارته، تنميته، دار الفكر، دمشق، 2006، ص 201.

(31) فاضل بيات، *المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني*، مصدر سابق، ص 130.

(32) *أحمد عبد العظيم الجمل، دور الوقف الإسلامي ودوره في التنمية الاقتصادية المعاصرة، دار السلام، القاهرة، 2007، ص 142.*

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

دور الطلبة في الإنتفاضة الشعبية السورية عام 1936
(دراسة في الوثائق الفرنسية)

أ.م.د غصون كريم مجذاب
الجامعة المستنصرية / كلية العلوم السياسية

الاستلام(Received) : 2026 /06/ 30 التعديل (Revision) : 2026 / 07/21
القبول(Accepted) : 2026 /07/ 27 النشر (Published) :2026/ 09/30

Ghssun-kareem@uomustansiriyah.edu.iq This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص

تعد الانتفاضة الشعبية السورية عام 1936 محطة مهمة في تأريخ النضال الوطني السوري ضد الانتداب الفرنسي ، حيث برزت فئات مجتمعية متعددة وكان للطلبة الدور المحوري والمؤثر في تحريك الشارع وتعزيز الوعي والنضال الوطني ضد الانتداب الفرنسي .

اسهم الطلبة وخصوصا في المدن السورية الكبرى (دمشق ، حلب ، حمص) في تنظيم المظاهرات والاضرابات وكانوا من الاوائل الذين استجابوا لدعوات العصيان المدني ونشر الفكر الوطني وتبادل الافكار المناهضة للاستعمار ، وقد ادى هذا الحراك الطلابي الى تعزيز وحدة الصف الوطني واسهم في الوصول الى مفاوضات جدية مع فرنسا والتي تمخضت لاحقا عن المعاهدة السورية – الفرنسية عام 1936.

الكلمات المفتاحية : الحراك الطلابي ، الثورة السورية ، الانتداب الفرنسي ، المعاهدة السورية – الفرنسية .

The Role of Students in the Syrian Popular Uprising of 1936
(A Study in French Documents)

Al-Mustansiriya University / College of Political Science
Ghssun-kareem@uomustansiriyah.edu.iq

Abstract

The 1936 Syrian popular uprising was a pivotal moment in the history of the Syrian national struggle against the French Mandate. Various social groups emerged, with students playing a central and influential role in mobilizing the public and strengthening national awareness and resistance against the French Mandate.

Students, particularly in major Syrian cities (Damascus, Aleppo, and Homs), contributed to organizing demonstrations and strikes. They were among the first to respond to calls for civil disobedience, disseminating nationalist thought and exchanging anti-colonial ideas. This student movement strengthened national unity and contributed to serious negotiations with France, which later resulted in the Franco-Syrian Treaty of 1936.
Keywords: Student movement, Syrian Revolution, French Mandate, Franco-Syrian Treaty

المقدمـــــة :

لعلنا لانعدو جانب الحقيقة اذا قلنا , ان تأريخ سورية في سنوات الانتداب الفرنسي يحتاج الكثير منه الى دراسات تفصيلية بالرجوع الى الوثائق الفرنسية غير المنشورة او المذكرات الفرنسية او العربية الصادرة من اشخاص اشتركوا مباشرة في صنع الاحداث او عاصروها وكان من بين تلك الموضوعات ما شهدته المدن السورية من انتفاضة شعبية واضراب شامل والدور الأساس والرئيسي الذي لعبه الطلاب السوريين فيها في مطلع عام 1936 واستمرت قرابة شهرين كاملين والتي كانت حدثا مهما في تاريخ سورية في خلال هذه المرحلة , اذ قام على اساسها حكم جمهوري وطني بعد ارغام فرنسا عقد معاهدة تحالفية بديلا عن الانتداب عام 1936 مع سورية .

ولما كان للطلاب السوريين على اختلاف مراحلهم الدراسية الدور الاساس في قيادة المظاهرات والاضراب في المدن السورية ، واصرارهم على مواقفهم الوطنية ورغم كل التدابير القاسية التي واجهوها من سلطات الانتداب من القتل والاعتقال والفصل من الدراسة هم واساتذتهم الا ان الانتفاضة اخذت بالتصاعد والاتساع حتى تحقيق اهداف البلاد المشروعة في الحرية والاستقلال التام ، لذا أرتأينا بحث هذه المواقف في ضوء ماورد في الوثائق الفرنسية المحفوظة في ارشيف جامعة دمشق على المايكرو فيلم ، اذ قدمت هذه الوثائق معلومات دقيقة يصعب الحصول عليها من المصادر الاخرى ، بل لعلها شكلت الاساس لمادة البحث, لتغطيتها الحقبة الزمنية الخاصة بالانتفاضة ودور الطلاب فيها كما كان للمذكرات الشخصية نصيبا ايضا من الدراسة, كونها صادرة من جهات مطلعة على الاحداث او فاعلة فيها ، وكان هدفنا من استخدام الوثائق الفرنسية هي بلوغ قدر من الحقيقة التي ينشدها كل باحث يختص بالدراسات التأريخية.

وبناءا على ذلك تم تقسيم البحث الى خمس مباحث وخاتمة وتسبقهما مقدمة وكالاتي :

المبحث الاول / دوافع انطلاق الانتفاضة الشعبية السورية عام 1936 .

المبحث الثاني / اسباب الانتفاضة الشعبية السورية من وجهة النظر الفرنسية.

المبحث الثالث / دور الطلاب في الانتفاضة الشعبية .

المبحث الرابع / موقف الطلبة من المساعي لوقف الانتفاضة والاضراب .

المبحث الخامس / انتهاء الانتفاضة الشعبية السورية .

أهمية البحث

تنبع اهمية البحث من كونه يسلط الضوء على دور فئة الطلبة في الحركة الوطنية السورية وكيف اسهم الطلاب في قيادة وتوجيه الاحتجاجات الشعبية المناهضة للوجود الفرنسي على الاراضي السورية وصولا الى قيادة مفاوضات ناجحة اسهمت في إتفاقية جديدة ضمنت الاستقلال السوري لاحقا .

فرضية البحث

تنطلق فرضية البحث من ان الطلبة شكلوا عنصرا حاسما في نجاح الانتفاضة الشعبية السورية عام 1936 وساهموا بفاعلية في قيادة الحراك الشعبي و توسيع نطاقه من خلال المظاهرات والاضرابات ونشر الوعي الوطني الامر الذي دفع سلطات الانتداب الفرنسي نحو التفاوض .

إشكالية البحث

تتمحور اشكالية البحث حول التساؤل عن اي مدى اسهم الطلبة في دعم الانتفاضة الشعبية في سورية وما طبيعة الدور الذي ادوه في تنظيم المظاهرات وكيف ساهم الوعي التعليمي والثقافي في تشكيل توجهات الطلبة و الى اي مدى كانت فاعلية المظاهرات التي قادها الطلبة في دفعها نحو تحقيق الاهداف السياسية ؟

المبحث الاول / دوافع انطلاق الانتفاضة الشعبية السورية عام 1936

شهدت سنوات الثورة السورية الكبرى (1925-1927) (عبيد ، 1970) تحولا مهما في تأريخ سورية ، اذ كانت منعطفا رئيسيا في النضال من اجل نيل الاستقلال من الانتداب الفرنسي كما انها شكلت حدثا بارزا في في المنطقة العربية لانها" كشفت وجود تحالفات جديدة ذات قاعدة عريضة تجمع تحت لوائها نخبا مختلفة ، كالدروز والدمشقيين وقوى مدنية وريفية على حد سواء ، وطبقات اجتماعية وطوائف دينية (مسلمون ومسيحيون) مختلفة" . (خوري ، 1990 ، 214) .

وعلى الرغم من استعمال سلطات الانتداب الفرنسية اقصى اساليب العنف القسوة في انهاء الثورة السورية ، الا انه لم يقض على ارادة الشعب السوري في المقاومة ضد السياسة الفرنسية الاستعمارية , من اجل تحقيق وحدة البلاد السورية ساحلا وداخلا والاعتراف بإستقلالها

استقلالا تاما ، وقيام حكومة وطنية تدعو المجلس التأسيسي لوضع دستور للبلاد يضمن لسوريا سيادتها مع الحرية والمساواة بين جميع ابناء الشعب السوري. (الحكيم ، 1983)

وامام تزايد مطالب الشعب السوري بالاستقلال ، نظمت سلطت الانتداب الفرنسي انتخابات الجمعية التأسيسية السورية في 9 ايار 1928 ففاز الوطنيون في معظم البلاد السورية ، وانتخبت الجمعية هاشم الاتاسي رئيسا لها ، وفي 11 اب من العام نفسه اقرت الجمعية التأسيسية مواد الدستور الـ (115) والتي اكدت على السيادة والحرية والاستقلال التام، اذ جاء في المادة الأولى: " ان سورية دولة مستقلة ذات سيادة " وفي المادة الثانية " ان البلاد السورية المنفصلة عن الدولة العثمانية هي وحدة سياسية لا تتجزء و لاعبرة بكل تجزئة طرأت عليها بعد نهاية الحرب العالمية "

اثارت المواد الدستورية حفيظة رجال الانتداب الفرنسي بحجة عدم انسجامها مع نظام الانتداب ، فأعلن المندوب السامي الفرنسي هنري بونسو (يونس، 2015 ، 30) (Henriponsot) اعتراضه على مواد الدستور واعتبر انها تتعارض مع التزامات فرنسا الانتدابية ، واقدم على ايقاف العمل بالدستور وحل الجمعية التأسيسة نهائيا في نيسان عام 1930 . (بك ، 1994 ، 50) الامر الذي ادى الى اندلاع تظاهرات واسعة في البلاد السورية , وبالذات مدنها الرئيسية دمشق وحلب وحمص وحماة ، وبعد مشاورات مع حكومته اعلن بونسو نشر الدستور السوري في 22 ايار عام 1930 بعد اضافة المادة (116) التي نصت على " احكام مؤقتة تحول دون المس بالتزامات فرنسا " وان تعاد صياغة المادة الثانية من الدستور التي تنص على ان البلاد السورية المنفصلة عن الدولة العثمانية هي وحدة سياسية مستقلة غير قابلة للتجزئة ، اذ عملت السلطات الفرنسية على نشر دساتير اخرى لمناطق جبل الدروز و اللاذقية ولواء الاسكندرونه ، مما تشكل هذه الدساتير بداية تكريس الانفصال والتجزئة للبلاد السياسية السورية . (المعلم ، 1988) .

تجددت حركة الاحتجاجات لدى الوطنيين في المدن السورية ضد التدخل الفرنسي في الدستور السوري ، الامر الذي دفع سلطات الانتداب الى انهاء حكومة الشيخ تاج الدين الحسيني . (الموسوعة الدمشقية) والتعهد بإجراء انتخابات جديدة في البلاد واجراء مفاوضات لعقد معاهدة بين الدولتين ، وفي 20 كانون الاول عام 1931 اجريت الانتخابات وكان التنافس عنيفا بين اعضاء الكتلة الوطنية ، والاطراف المناوئة لهم من انصار الانتداب وكتلة المستقلين برئاسة محمد على العابد . (الموسوعة الدمشقية)

لجاءت سلطات الانتداب الفرنسي الى استخدام التزوير لصالح انصار الانتداب ، وهذا ماحدث في دمشق وحماة ، مما ادى الى هجوم الناس على صناديق الاقتراع وتحطيمها وايقاف الانتخابات وتأجيلها وجرت على اثرها العديد من التظاهرات المنددة بتدخل فرنسا في الانتخابات . (سعيد ، 568) ولكن ابراهيم هنانو (البديري ، 2003) زعيم الكتلة الوطنية دعا الجماهير الى الهدوء وانهاء التظاهرات والخلود الى السكينة لمطالبهم بالاشتراك في الانتخابات في مرحلتها الثانية في 30 اذار عام 1932 . (سعيد ، 568) .

وعلى العكس مما جرى في دمشق وحماة من الغاء الانتخابات وتأجيلها فان الانتخابات في حلب استمرت واعلنت عن فوز قائمة انصار الانتداب بكاملها وعلى رأسهم صبحي بركات وجماعته اذ كان يساندهم في ذلك (لافاستير) مندوب المفوض السامي في حلب ، اما كتلة نواب الجنوب كتلة حقي العظم ، فكان يساندهم (سولومياك) مندوب المفوض السامي في دمشق . (كتاب القنصلية العراقية ، 1932) .

ولم تسفر نتائج الانتخابات عن احراز اي حزب الاكثرية المطلقة الا ان السلطات الفرنسية اصرت على التمسك بمرشحيها بان يتولى صبحي بركات رئاسة المجلس وحقي العظم رئاسة الحكومة الامر الذي دفع بأعضاء الكتلة الوطنية الى التهديد بالاضراب والانسحاب من المجلس خاصة وانهم قد حصلوا على (17) مقعد من اصل (69) مقعد للمجلس . (القنصلية العراقية ، 18) .

وامام اصرار سلطات الانتداب على مرشحيهم قرر اعضاء الكتلة الوطنية انتخاب محمد علي العابد في 11 حزيران 1932 رئيسا للجمهورية السورية, الذي اصدر امرا في 14 حزيران من العام نفسه بالموافقة على تأليف الوزارة الاولى في العهد الجمهوري برئاسة حقي العظم (الارمنازي ، 1973 ، 73) التي استقالت تحت تهديد الضغط الشعبي الرافض لقبولها معاهدة 1933 مع فرنسا التي لا تتضمن نصا صريحا باعطاء سورية كامل حريتها واستقلالها،فضلا عن تضمينها بنوداً تنص على استمرار فصل الدروز والعلويين عن سورية فاعلنت الوزارة استقالتها في 17 ايار 1934 وتم تكليف تاج الدين الحسيني بتشكيل الوزارة الجديدة . (الحكيم ، 241) وذلك في محاولة من سلطات الانتداب الفرنسي في تهدئة الاوضاع في سورية التي وصلت الى حد الانفجار . (برقية المفوض السامي الفرنسي ، 1935) بإعتراف المفوض السامي الجديد ديمارتيل (Demartel) . (المفوضية العراقية في بيروت ، 132-133)

احدث مشروع فشل المعاهدة السورية – الفرنسية عام 1933 ومارافقها من ضغوطات سياسية انتدابية , حالة انتفاضة شعبية في سورية, واوجدت روحا فياضة من المشاعر الوطنية تجسدت في المظاهرات الشعبية التي قادتها الكتلة الوطنية في حلب يوم وفاة زعيمها ابراهيم هنانو في 21 تشرين الثاني 1935 . (الكيالي ، 1960 ، 262) اذ شهدت حلب اكبر تجمع بشري حينما وفدت عليها الالالف من الناس للمشاركة في تشييع جنازة زعيم الكتلة الوطنية هنانو حتى وصلت الى عشرة الاف شخص, حتى تحول التشييع الى انتفاضة شعبية بعد ان رفع المشيعون شعارات تندد بسياسة الانتداب الاستعمارية مطالبة باستقلال سورية وتنحية رئيس الجمهورية محمد علي العابد ورئيس الحكومة تاج الدين الحسيني مما احدث ذلك هزة كبيرة في سورية . (الكيالي ، 261) .

وتطور الامر الى حدوث مصادمات مع قوى الامن, الامر الذي دفع بسلطات الانتداب في حلب الى اعتقال العشرات من المشيعين وفي مقدمتهم النائب سعد الله الجابري . (الموسوعة الدمشقية) الذي قاد موكب التشييع , كما تم اقتحام منزل ابراهيم هنانو في حلب ومصادرة ما عثر عليه من وثائق ومستندات. (الكيالي ، 261–262) .

وتحديا للسياسة التعسفية التي مارستها سلطات الانتداب الفرنسي بحق المشيعين السوريين, قرر اعضاء الكتلة الوطنية استثمار هذا الشعور الوطني بالإعلان عن اقامة حفل تأبيني جماهيري كبير للفقيد هنانو في 10 كانون الثاني 1936 على مدرج الجامعة السورية في دمشق , القى فيه عدد من رجال السياسة واعضاء الكتلة الوطنية الخطب الحماسية التي تتناول دور هنانو في الدفاع عن سيادة واستقلال البلاد السورية , ووصفوه من كبار المجاهدين الوطنيين السوريين ضد الفرنسيين , وادى ذلك الى تفاعل طلبة الجامعات السورية بالهتافات والتصفيق لهذه الخطب, مما ادى الى رفع الحماس لدى الطلبة. وشكل عندهم مبعث حركة مقاومة ونضال ضد الفرنسيين. (الحكيم ، 246–247) .

وفي ختام الحفل القى جميل مردم (الربيعي ، 2002) بيانا بإسم الشعب السوري تضمن المطالب التالية : (الكيالي ، 247) .

1– تحرير البلاد السورية كافة من كل سلطة اجنبية .
2– الاعتراف بوحدة الاراضي السورية كافة بما فيها جبل الدروز بدولة واحدة وتحت حكومة وطنية واحدة .
3– الاعلان عن رفض وعد بلفور ، ومقاومة فكرة الوطن القومي لليهود .
4– السعي للاتحاد مع الدول العربية .

5- تأمين الحرية والمساواة في الحقوق والواجبات بين افراد الشعب على اختلاف طوائفهم .

6- اتحاد جميع قوى الامة وتوجيه جهودها لبلوغ الاماني القومية .

وقد سلمت تلك المطالب بمذكرة رسمية بتوقيع هاشم الاتاسي رئيس الكتلة الوطنية الى المفوض السامي ديمارتيل ، كما رفعت الكتلة الوطنية تلك المطالب ببرقية الى عصبة الأمم, معلنة احتجاجها على نظام الانتداب ومطالبة بالاستقلال التام . (49 , a.a.e)وهكذا رسخ الاحتفال بتأبين الزعيم هنانو روح المقاومة وعمق النضج الثوري عند الشعب السوري في تحقيق مطالبهم في الوحدة والاستقلال .

وعلى الفور اصدر الفرنسيون امرا الى المفوضية برفض مطالب الكتلة لانها تتنافى وسياسة الانتداب ، كما اصدروا قرار بالاغلاق مكتبين للكتلة في دمشق وحلب لتحريضهما الناس ضد فرنسا . (a.a.e)

وفي المقابل اجتمعت الكتلة الوطنية وقررت اعلان الاضراب لمدة ثلاثة ايام وشعر الفرنسيون, ان الاضراب لن يستمر سلميا, ولن يتنهي بثلاث أيام, فبلغوا الكتلة انه اذا تجاوزوا المدة المحددة فسيعتقلون . (الحكيم ، 246) .

وكان النائب فخري البارودي (فارس ، 1949) قد ترأس لجنة مقاطعة شركة الكهرباء والترامواي الفرنسية ، بسبب زيادة التعرفة لنصف قرش, واخذ البارودي يدعو المواطنين الى المقاطعة فأعتقلته, السلطات الفرنسية و اودعته سجن القامشلي . (العش ، 13) .

شكل اعتقال نائب دمشق فخري البارودي بداية الانتفاضة الشعبية الواسعة التي عمت كل ارجاء المدن السورية والتي تطورت الى اعلان الاضراب العام في البلاد ، دعت اليه الكتلة الوطنية في(19 كانون الثاني 1936) وكان تجاوب الشعب للاضراب فاعلا و مؤثرا, اذ عمت التظاهرات الشعبية واغلقت جميع المرافق والجامعات والمدراس والقضاء والاسواق والخدمات العامة , اذ انطلقت المظاهرات من دمشق متجهة في ذلك اليوم (19 كانون الثاني) الى منزل فخري البارودي معلنة المساندة والتأييد له . (a.a.e,11)وبتعبير اخر يمكن القول ان اعتقال النائب فخري البارودي كان بمثابة الشرارة الاولى التي اشعلت فتيل انتفاضة شعبية كبرى في المدن السورية استمرت لقرابة الشهرين المتواصلين ، حتى صعدت من مطالبها من مقاطعة شركة الكهرباء والترامواي الفرنسية العاملة في دمشق الى نيل الاستقلال التام عن الانتداب الفرنسي .

المبحث الثاني / اسباب الانتفاضة الشعبية السورية من وجهة النظر الفرنسية

لقد اعترف الكتاب الفرنسيون ان سياسة الانتداب التعسفية كانت وراء زيادة النقمة الشعبية في سورية ضد الفرنسيين وانها كانت من ابرز اسباب انطلاق انتفاضتهم الشعبية ومطالبهم بالتحرر والاستقلال ، فقد اكد الكاتب الفرنسي (homet) قائلا : " ان ما يجري في سورية هو صورة الاسلام ، وهو يشكل روح الثورة لدى السوريين من الاحتلال الاوربي لبلاد المسلمين " . (homet,17)

بينما اعلن الكاتب الفرنسي (p.rchet) بأن للحراك الشعبي السوري الكثير من الاسباب الخفية ، الا انه ركز على التأثير العربي وعلى سوء معاملة لسلطات الانتداب بقوله, ان الانتفاضة الشعبية السورية هي" وليدة النضال العربي المستمر, وهي وليدة الشعور الوطني العميق ، ونتيجة للاخطاء الكبيرة التي يرتكبها الاوربيون في البلاد الاسلامية " . (الطنطاوي ، 1984، 49) .

وكان مجلس البرلمان الفرنسي قد عقد جلسة لمناقشة تطورات الاحداث في سورية عام 1936 ، وابدى النواب ارائهم في اسباب تصاعد الازمة في القضية السورية التي تطورت الى الاضطرابات الاخيرة فقد صرح النائب الفرنسي (tissan) قائلا " ان الاضطرابات السورية الاخيرة هي جزء من سلسلة طويلة من روح الاستياء التي عمت منطقة الشرق الادنى منذ اعلان الحرب العالمية الاولى حتى الان, دون ان تقف عند حد", وقد علل النائب الفرنسي (tissan) هذه النقمة الشعبية والاستياء الجماهيري الى نكث الحلفاء وخاصة فرنسا بوعودهم وعهودهم التي اطلقوها للعرب بالحرية والاستقلال من الدولة العثمانية بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى اذ قال " يعود السبب الاستياء الى الفرق الشاسع بين الحكم العثماني (الاوتوقراطي) السابق وبين الوعود المقطوعة للعرب وخاصة السوريين بعد الحرب العالمية " ، موجها التقصير الى فشل السياسة الفرنسية في فهم تطلعات وثقافة العرب وهدفهم في التحرر من نير وسيطرة الاحتلال الأجنبي, وذلك ما يتضح من قوله: " ان السلطات الفرنسية لم تجد حتى الان طريقة لإيجاد توازن بين الحكمين وتهدئة الافكار القلقة ، فالقضية السورية كالقضية المصرية ليست بعيدة عن التعاون الواسع الذي تم بين الشعوب الشرقية ،فمن واجب الدول المنتدبة ان تتعاون وتتضافر للقيام بمهمتها بذكاء ، اذا كانت تهتم بالمحافظة على مركزها في الشرق " . (الطنطاوي ، 50-51) .

وفي الوقت ذاته لم تكن الصحافة الفرنسية بعيدة عن رصد تطورات الاحداث في المنطقة عامة وسورية خاصة ، بوصفها من مناطق الانتداب الفرنسية ، فما ان اعلنت الانتفاضة

الشعبية في سورية في 19 كانون الثاني 1936 حتى اخذت الصحافة الفرنسية تحلل الأسباب, بأنها جزء من تطور النهضة في الشرق وتحرك الشعوب الشرقية ضد الدول الاستعمارية واشارت الصحف الى ان هذه الدول كونها اسلامية ، فأن شعوبها مرتبطة ببعض ارتباطا وثيقا, "فمتى قامت الاضطرابات في سورية وفلسطين او مصر ، كان لها صداها السريع في تونس ومراكش والجزائر" . واكدت الصحف الفرنسية الى ان "السبب الرئيسي للانتفاضة الشعبية في سورية هو مقاومة الوجود الفرنسي وسياسته في المنطقة . (الكيالي ، 168–189) .

وكتبت صحيفة (الاومانيتيه) الفرنسية مقالا عن الانتفاضة الشعبية في سورية ,مشيره الى ان من اهم العوامل التي دفعت بالسوريين الى اعلان انتفاضتهم هي مطالبهم بالتحرر والاستقلال, وذلك للتخلص من سياسة فرنسا القائمة على التجزئة والتفرقة بين السكان , وهذه السياسة كانت دافعا لزيادة النقمة الشعبية ضد الوجود الاجنبي الفرنسي، واشارت الصحيفة الى الاخطاء المرتكبة من ممارسة الانتداب الفرنسي في سورية, وما رافقها من "خطط غير طبيعية " وحملت المسؤولية الى عدم كفاءة سلطات الانتداب الفرنسية في ادارة مناطق انتدابهم في سورية بالقول " عدم كفاءة الرجال الفرنسيين واساليبهم التي تدار بها البلاد السورية " . (الكيالي ، 195–196) .

بينما اعطت بعض الصحف الفرنسية للعوامل الخارجية الدور المؤثر في قيام السوريين بإنتفاضتهم هدفا في حصولهم على السيادة والاستقلال بناءً على الوعود والعهود التي اطلقها الحلفاء (فرنسا وبريطانيا) لهم بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى ، و اوعزت السبب في عدم تحقيق ذلك الى عدم التنسيق والتفاهم بين الحلفاء في مسألة إعادة توزيع مناطق الانتداب بشكل نهائي ، اذ اشارت الصحف الى عقد البريطانيين معاهدة مع العراقيين عام 1930, والتي بموجبها يؤهل العراق الى نيل استقلاله التام وانهاء عهد الانتداب في حلول عام 1932 وذلك بمساعدة بريطانيا للعراق بدخوله دولة مستقلة ذات سيادة في عصبة الامم ، وبالتالي تتحول المصالح البريطانية من صيغة الانتداب الى صيغة تعاهدية تحكم بنود معاهدة تعقد بين البلدين وكذلك المعاهدة البريطانية–المصرية عام 1936, والتي اعلنت بموجبها بريطانيا الانسحاب من الاراضي المصرية , وبالتالي حصول مصر على استقلالها التام وسيادتها على اراضيها , واكدت الصحافة الفرنسية الى ان سياسة بريطانيا مع هذه الدول قد اسهمت بنسب متفاوتة في زيادة الوعي لدى السوريين للمطالبة بالتحرر والاستقلال من الانتداب الفرنسي . (الكيالي ، 196–198) .

ولعلنا لا نعدو جانب الحقيقية اذا قلنا, بأن اسباب اعلان الانتفاضة الشعبية السورية كانت موضع اهتمام وتحليل الباحثين والصحافة الفرنسية مجمعين على ان وجود الاستعمار الفرنسي , وسوء ادارة الانتداب في التعامل مع الناس, فضلا عن التأثير الخارجي المتمثل برغبة الشعوب بالحرية والاستقلال كان وراء تزايد النقمة الشعبية السورية ضد فرنسا.

المبحث الثالث / دور الطلبة في الانتفاضة الشعبية

للنخبة الطلابية دور اساسيا وفاعلا في الحركة الوطنية السورية ، وكان التجمع الطلابي الكبير على مدرج الجامعة السورية في دمشق بمناسبة حفل تأبين زعيم الكتلة الوطنية إبراهيم هنانو في 10 كانون الثاني 1936 , مؤشر واضح على الدور الاساسي للطلاب في تحقيق سورية استقلالها من الانتداب الفرنسي ولعل اول من استجاب لنداء الكتلة الوطنية بالتظاهر واعلان الانتفاضة الشعبية كانت النخبة الطلابية, اذ خرجت اول تظاهرة بقيادة طلابية في يوم الاحد 19 كانون الثاني 1936 انطلقت من الجامع الاموي في دمشق بعد صلاه الظهر , قابلها الفرنسيون بالقسوة والعنف, مما ادى الى وقوع عدد من الشهداء والجرحى والاعتقال . (a.a.e,11)

ونظرا لما يشكله الجامع الاموي من رمز ديني مقدس عند السوريين لذا تم اختياره مكان للتجمع وخروج التظاهرات الشعبية وبقيادة طلابية وذلك ما يؤكده علي الطنطاوي في مذكراته بوصفه شاهد عيان على الاحداث بقوله: " كان الجامع الاموي مركز القيادة الشعبية ومصدر روح الجهاد , يجتمع الناس وتلقى الخطب ومنه وتخرج التظاهرات ، فتصطدم بالشرطة والدرك ثم بالجنود والدبابات " . (الطنطاوي ، 52)

كانت التظاهرات الطلابية بعد خروجها من الجامع الاموي الى شورارع دمشق ترافقها مواجهات واعمال عنف, ويصف الطنطاوي في مذكراته مسيرة واهداف المتظاهرين بقوله: " وكان اول هدف لهم اذا خرجوا من الجامع الاموي هو مخفر سوق الحميدية ، وطالما احتلوه ودمروا مافيه ، والهدف الثاني عربة الترام الذي تملكه شركة بلجيكية وتحميه الحكومة المنتدبة الفرنسية ، وطالما رأيت عرباته يصب عليها المتظاهرين النفط ويشعلون فيها النار ، حتى لايبقى فيها الا الهيكل الحديدي ، وكان المتظاهرون يأوون الى الجامع الاموي اذا طاردهم المستعمرون ومن سطحه يلقون الحجارة عليهم... " . (الطنطاوي ، 52-53) .

كما يصف السياسي السوري اكرم الحوراني في مذكراته المظاهرات الطلابية المنطلقة من الجامع الاموي ومشاركاته فيها بوصفه احد الطلبة بالقول : " كنا بعد انتهاء مهمتنا في تأمين سير الاضطراب في الاوساط الطلابية ، نذهب الى الجامع الاموي حيث ملتقى المتظاهرين

من كافة ابناء الشعب ، وهنالك تتكرر المناوشات الدامية اليومية ، اما ساحة المناوشات فكانت تتراوح مابين شارع جمال باشا والباب الغربي للجامع الاموي _ باب سوق المسكية _ وكان سلاحنا الحجارة وقذائف الشتائم ، وكان خصمنا قوى الامن والجنود الفرنسيين ومصفحات الجيش ، وقد سجل الطلاب الشباب من البطولات في هذه المعارك غير المتكافئة مالم يجر له نظير ، وكانوا يهاجمون بالحجارة المصفات التي تمطرهم بوابل من الرصاص, وعندما تشتد وطأة المعركة ويسقط العديد من القتلى والجرحى كنا نرتدالى الجامع الاموي, فهو قلعتنا التي لاتقتحمها قوات الفرنسيين...". (الحوراني ، 2000 ، 54) .

ومما تقدم يبدو واضحا ان زمام قيادة الانتفاضة الشعبية في سورية منذ انطلاقها في يومها الأول في 19 كانون الثاني1936 كان بيد الطلاب على مختلف مراحلهم الدراسية وبمبادرة منهم , وبتأييد والتفاف القوى الوطنية وابناء الاحياء الشعبية في سورية ، متخذين من الجامع الاموي مقرا للقيادة ومنطلقا للمظاهرات ، وملجأ للاحتماء من نيران القوات الفرنسية عند اشتدادها.

لاشك ان غياب قادة الكتلة الوطنية عن المظاهرات في يومها الاول , ترك اثرا سيئا في نفوس الناس عامة, وغبناً واستياءً كبيراً لدى الطلاب المتظاهرين خاصة ، الامر الذي دفع بالطلاب في اليوم الثاني من الانتفاضة (20كانون الثاني 1936) بإرغام قادة الكتلة الوطنية على السير في مقدمة المظاهرات الطلابية ، على الرغم من ترددهم وخوفهم من العاقبة , ويخبرنا بتلك الحادثة السياسي السوري اكرم الحوراني في مذكراته بوصفه كان احد الطلبة المشتركين في المظاهرات بقوله: " قررنا ان نضطرهم لان يسيروا على رأس المظاهرات, وقد علمنا انهم يعقدون اجتماعا في بيت نسيب البكري (فارس ، 37) ,قرب المستشفى الوطني, فأقتحمنا البيت واخرجناهم بالقوة, ولم يثننا عن قرارانا تهربهم من الخروج على رأس المظاهرة ، فسار جميل مردم ولطفي الحفار معنا وبقي هاشم الاتاسي واخرون في المنزل " . (الحوراني ، 56)

احرج موقف الطلبة الاخير ، اعضاء الكتلة الوطنية مما دفعهم الى عقد اجتماع واصدار بيان في 22 كانون الثاني عام 1936 اعلنوا فيه احتجاجهم الكبير على السياسة الانتدابية الفرنسية وبخاصة اجراءاتهم بإغلاق مكتبي الكتلة في دمشق وحلب ، وقد جاء في البيان ما نصه: " لقد اخطأ الفرنسيون الظن اذ حسبوا انهم بإقفال بيت من بيوت الكتلة الوطنية يستطيعون استئصال الروح الوطنية المستفيضة في كل البلاد, او القضاء على الفكرة التي

تعمل بها الكتلة ، فأن كل بيت من بيوت السوريون هو مكتب للكتلة ودار لها " . (قرقوط ، 1975)

كما احرجت المظاهرات الطلابية المجلس النيابي السوري, الامر الذي دفع برئيسها صبحي بركات في اليوم نفسه (22 كانون الثاني) كتابا الى المفوض السامي ديمارتيل ، رافضا السياسة الفرنسية التعسفية في سورية , ومؤكدا تضامنه مع مطالب المتظاهرين بالاستقلال التام للبلاد, واصفا في كتابه مشروع المعاهدة السورية – الفرنسية لعام 1933 والتي مازال يتمسك بها الفرنسيون بأنها " طعنة في وحدة البلاد وسيادتها " , وقد صيغ الكتاب على شكل تهديد ، واختيرت عباراته بقوة وصراحة لاذعة تفضح اساليب السلطات الانتدابية الفرنسية في سورية . (فرزت ، 1955) .

وبدوره ابرق في اليوم نفسه ديمارتيل ببرقية الى وزارة الخارجية الفرنسية اشار فيها الى اضطراب الاوضاع في سورية ، ودور الطلاب الاساسي في قيادتها , مؤكدا اشتداد الحالة تأزما يوم الجمعة ، اذ يزداد تجمع المصلين, ويخطب خطباء المساجد فيزيد المسلمين حماسا, ثم تعقد المؤتمرات في الجوامع, ثم تخرج المظاهرات, وقد عبر ديمارتيل في برقية عن خشية من انفجار الاوضاع اكثر , واصفا ما يجري بأنها فتنة ، ووصف ان ما حدث في حفل تأبين هنانو اثار عند الحرفيين واصحاب المحلات التجارية الصغيرة كرها للاوربيين ، واثبت لهم انه عند رحيل الفرنسيين من البلاد ستتحسن احوالهم ، ولذلك فأن مدينة دمشق ارادت ان تظهر قوتها ، فبدات بقلب عدة عربات للترام واحراقها ، وفي الوقت نفسه اغلقت المتاجر " (a.a.e , 49)

ومن جانبه حاول وزير المعارف محسن البرازي في حكومة تاج الدين الحسيني تهديد واجبار الطلبة على الانتظام في المدراس والجامعات , بإصدار قرارات طرد بحق الطلبة المتغيبين المؤيدين للاضطراب عن الدوام , ثم الانذار بإصدار قرارات بتعليق الدراسة فيها اذا استمر اضراب الطلبةعن الدوام ، الامر الذي اثار غضب الطلاب واعلنوا استمرارهم بالتظاهر والاضراب حتى تحقيق المطالب الوطنية , واخذوا بالانتشار في الشوراع والاسواق يدعون الناس الى التظاهر والاضراب ، مرددين في ذلك الشعارات والايات القرانية . (a.a.e,10)

وفي المقابل اخذ الطلاب ينشرون يوميا قوائم سوداء بإسماء القلة من الطلبة الذين كانوا يدامون في المدراس والجامعات , و يؤكد اكرم الحوراني في مذكراته بأنه " كان يقف مع زملائه من الطلبة حسن قاسم وبدر علوش ومصطفى عبد الباقي على جسر فكتوريا المؤدي

الى كلية الحقوق, وذلك لمنع وصول الطلبة الى الكلية, وحثهم على الاضراب عن الدوام و الالتحاق بالانتفاضة الشعبية " . (a.a.e,40)

وسرعان ما امتدت حركة الانتفاضة الشعبية بقيادة الحركة الطلابية الى بقية المدن السورية , وقد واجهت القوات الفرنسية تلك المظاهرات بقوة النار ، الا ان حماسهم وصمودهم اثار الاعجاب ويصف الحوراني ذلك بقوله: " وقد كان صمود حماة خارقا فقد سقط في المظاهرات الطلابية في يوم واحد ثمانية قتلى وعدد كبير من الجرحى حيث هاجم المتظاهرون العزل من السلاح الثكنات العسكرية ، فقابلهم الجنود الفرنسيون بالقنابل والرشاشات " . (الحوراني ، 56)

ولعلنا لانعدو جانب الحقيقة اذا قلنا بأنه كلما ازدات شراسة قوى الامن والجيش في عمليات القمع والتصدي للمتظاهرين ، زاد من شجاعة الطلاب في التصدي والتظاهر و اتساعها في كافة الاحياء والمدن السورية .

وبعد ان اشتدت وطاءة الاضراب الطلابي ، اجتمع المفوض السامي ديمارتيل بأعضاء الكتلة الوطنية, وطلب منهم ان يتدخلوا لانهاء الاضراب و المظاهرات فأجابه جميل مردم ان القيادة السياسية في الكتلة لم تتوقع كل هذا التصعيد في الاضراب والاستمرار في الانتفاضة قائلا " ان الكتلة الوطنية لم تقرر الاضراب العام حتى تذيع بيانا بإنهائه " . (a.a.e,38)

ومن جانبه دعا مردم في اليوم السابع للانتفاضة(25 كانون الثاني 1936) الى داره مجموعة من العلماء والتجار والمشايخ في دمشق للتباحث في ما يجب عمله لانهاء الحالة الغير مستقرة في البلاد مشيرا الى ذلك بالقول " لقد اضطهرت سورية خلال هذا الاسبوع شعورها الوطني و احتياجاها وارى انها كافية " . (a.a.e)

وقرروا تشكيل وفد منهم لمقابلة ديمارتيل في اليوم التالي(26 كانون الثاني) بحضور مندوب المفوض السامي في دمشق البارون فان(Van) والمسيو كيفر (Kiffer) رئيس المكتب السياسي بالمفوضية في بيروت ، وركزت المحادثات على المظاهرات و الاضراب في سورية ، وقدم الوفد مطاليب المتظاهرين وهي ما يلي : (a.a.e,39)

1- اعادة الحياة الدستورية للبلاد كما, اقرتها الجمعية التأسيسية .

2- الغاء نظام الانتداب و إعلان استقلال سورية , وعقد معاهدة مع فرنسا اسوة بمعاهدة العراق مع بريطانيا .

3- اعلان وحدة البلاد السورية .

4- اعادة المبعدين السياسين الى البلاد, واطلاق سراح المعتقلين بسبب المظاهرات.

وبعد اطلاع المفوض السامي ديمارتيل على المطالب الوطنية من الوفد رد قائلا " ان المعاهدة التي عرضت عليكم,(اي مشروع المعاهدة الفرنسية – السورية عام 1933), افضل من معاهدة العراق فرضتموها , واما وحدة البلاد السورية, فليس بالامكان الوعد بتحقيقها و الغاء التدابير الاخيرة فيمكن العفو عن غير المسؤولين " ثم ختم حديثه مخاطبا الوفد قائلا " انتم لا تمثلون البلاد " ونصحهم بالتدخل في تهدئه الاوضاع في البلاد والعمل على "انهاء الاضراب وعودة الدراسة" . (العش ، 25–28)

ويبدو ان السلطات الفرنسية قلقة جدا من تصاعد الوعي الوطني لدى النخبة المثقفة وخاصة الطلبة في البلاد السورية ,اذ انهم يرون ان استمرار الطلاب بالمظاهرات وتعليق الدراسة في المدارس والجامعات يشكل مصدر تهديد لمستقبل وجودهم في سورية ، ولذلك جاء رد ديمارتيل للوفد السوري بالتدخل لاقناع الطلبة على انهاء الاضراب والعودة الى مقاعد الدراسة , وهذا الرد يحمل في طياته تهديدا و وعيدا للمتظاهرين من جهة واستمرارا للسياسة الفرنسية التعسفية في البلاد من جهة أخرى.

وفي اليوم التالي للقاء 27 كانون الثاني اعلن ديمارتيل بأنه "مفوض بتحقيق الاستقرار في سورية " واصدر تعليماته بقمع المظاهرات واعتقال المشاركين فيها ، واستخدام القوة لبسط الامن والاستقرار في المدن السورية ، واشارت الوثائق الفرنسية ان المظاهرات التي خرجت في دمشق وحماة وحلب وحمص حتى يوم 27 كانون الثاني قد اسفرت عن" 10 قتلى والمعتلقين وصل الى 750 شخص اغلبهم من الطلاب" . (a.a.e,46)

وفي الوقت نفسه لجأت السلطات الانتدابية الفرنسية الى اتخاذ جملة من الاجراءات ضد الاساتذة المحرضين الطلاب على الاضراب عن الدوام والتظاهر ، اذ قامت بإعفاء الدكتور فائز الخوري من منصب عمادة كلية الحقوق في الجامعة السورية وطرد اخيه الدكتور فارس الخوري من عضوية الهيئة التدريسية في الجامعة ذاتها. (الحوراني ، 59)

هذه الاجراءات الفرنسية التعسفية دفعت ببعض الوطنيين السوريين بالكتابة في 27 كانون الثاني 1936 الى رئيس الوزراء الفرنسي المسيو سارو(Sarault) و وزير خارجيته فلاندان(Flandin) مذكرات احتجاج, وكانت فرنسا قد شهدت تشكيل حكومة جديدة في 25 كانون الثاني في العام نفسه (a.a.e,45) , كما استمر خروج التظاهرات انطلاقا من الجامع الاموي والتي شهدت عمليات العنف والاصطدام مع قوى الامن و وقوع العديد من الضحايا والاعتقالات في صفوف المتظاهرين وبخاصة الطلاب منهم . (فرزات ، 30–31)

المبحث الرابع / موقف الطلبة من المساعي لوقف الانتفاضة والاضراب

شهدت البلاد السورية خلال الاسبوع الاول من انطلاق الانتفاضة الشعبية بقيادة الحركة الطلابية , تجاوبا كبيرا من الشعب وبخاصة اصحاب المحلات الذين اقدموا على اغلاق محلاتهم التجارية مما ادى الى شلل في المحال والاسواق التجارية ، معلنين الاضراب العام حتى تحقيق المطالب الوطنية بالحرية والاستقلال.

ويشير عبد الرحمن الكيالي, الى ان التجار السوريين ومعظم رجال الكتلة الوطنية وخاصة التجار منهم ، لم يكونا من دعاة الاضراب العام وتصاعد الانتفاضة الشعبية ، ويعزو الكيالي الى "اعتقادهم ان ماحدث من اضراب ومظاهرات كان اندفاعا شعبيا قاده الطلاب وفئات الشعب البسيطة التي لم تفكر في المصالح المادية..". (الكيالي ، 204) ولما كان التجار اكثر طبقات المجتمع تضررا لذلك كانوا من الداعين لوقف الانتفاضة والاضراب لذلك اجتمع وفد منهم برجال الكتلة الوطنية وقرروا في 29 كانون الثاني عام 1936 مقابلة المفوض السامي ديمارتيل للتفاوض من اجل الوصول الي صيغة لانهاء الاضراب وعودة الاستقرار الى البلاد ، وقد شكلوا وفدا مشتركا تألف من جميل مردم ونصوح البخاري وعارف الحلبوني وفائز الخوري وصبري العسلي وحبيب كحالة ، واشتكوا من سوء الاحوال الاقتصادية بسبب الاوضاع في سورية غير المستقرة ووجود الادارات الكثيرة في البلاد , وتحدث ديمارتيل عن سياسة بلاده الانتدابية وحرصها على مصالح سورية والعمل على ازدهارها, وعزى سوء الاوضاع الاقتصادية وضعف الموارد السورية الى الازمة الاقتصادية العالمية قائلا: " في العراق ثروة نفطية, وفي فلسطين اموال الصهيونيين, وان معاناة سورية هي بسبب الازمة العالمية... " (a.a.e,45)وطلب من التجار والاهالي انهاء الاضراب والمظاهرات وفتح محالهم التجارية, كما طلب من اعضاء الكتلة التدخل المباشر لانهاء الاضراب والمظاهرات, وهددهم بالسجن والاعتقال فأجابه عضو الكتلة فائز خوري قائلا: " ان بمقدور فرنسا ان تعدمنا ايضا " فرد عليه ديمارتيل بالقول "لا اريد ان اجعل منكم شهداء... لانكم لاتستحقون الشهادة " (الحوراني ، 61-62) .

والواقع ان اعضاء الكتلة الوطنية يسعون الى انهاء الانتفاضة وعودة الحياة الطبيعية للمدن بفتح الاسواق والمحال التجارية ، وذلك بناء على شرط سلطات الانتداب الفرنسي بإيقاف كافة الملاحقات القانونية بحق المتظاهرين لذلك وجه عضو الكتلة الوطنية (لطفي الحفار) في 3 شباط 1936 الى عقد اجتماع كبير في داره حضره ما يقارب من (200) من اعضاء الكتلة والتجار, للتباحث بشأن الاوضاع والاعلان عن انهاء الاضراب اعتبارا من اليوم التالي (4

شباط) ، وما ان سمع المتظاهرون وبخاصة الطلبة منهم بالقرار حتى ازدادات تظاهراتهم ورفضهم للسياسة الفرنسية مما ادى بإعضاء الكتلة الوطنية الى ارجاء القرار حتى يوم الجمعة 7 شباط . (الريس ، 1976) .

وهكذا اصبح الرأي العام في سورية بين فريقين ، فريق يرى ان استمرار الانتفاضة وتوسيع الاضراب الحل الامثل بإجبار سلطات الانتداب على تحقيق اهداف البلاد الوطنية ويمثلهم الطلاب وشرائح المجتمع البسيطة ، وفريق اخر يرى ان مرور قرابة اسبوعين على الاضراب العام كانت كافية لاظهار الشعور الوطني الرافض لسياسة الانتداب الفرنسية ، وعليه يجب ايقاف المظاهرات وانهاء الاضراب واللجوء الى صيغة المفاوضات مع الجانب الفرنسي .

وهكذا استمر الطلاب وباقي شرائح المجتمع بالمظاهرات والاضراب حتى يوم الجمعة 7 شباط الموعد المحدد لصلاة الجمعة والاجتماع في الجامع الاموي حيث شهد حضور عدد كبير من اعضاء الكتلة الوطنية وكبار التجار لاعلان بيان انهاء الاضراب ودعوة الناس الى ممارسة اعمالهم الطبيعية, اذ تقدم التاجر (هاني الجلاد) لالقاء كلمة بأسم التجار يدعوهم فيها الى انهاء الاضراب حتى واجهه المعارضون من الطلبة وباقي شرائح المجتمع بالهتافات المقاطعة ثم وقف جميل مردم لالقاء بيان الكتلة بهذا الشأن أيضا , فواجه نفس المعارضة واتهام الكتلة الوطنية انهاء مطالبهم الوطنية حتى" اسرع الى اخفاء بيان الكتلة في جيبه, داعيا الى الاستمرار بالاضراب مباركا للمتظاهرين وطنيتهم وتضحياتهم" . (الطنطاوي ، 94)

وهكذا هو ديدن السياسين يتعاملون ببراغماتية مع تقلبات الاوضاع وتطورات الاحداث, اذ سرعان ما تنصلوا من دعوات التجار بانهاء الاضراب , معلنين تجاوبهم مع اصرار قيادة الطلاب بإستمرار الانتفاضة و الاضراب في البلاد هذا من جهة وخشيتهم من تطور الانتفاضة الشعبية الى ثورة مسلحة تؤثر على زعامتها السياسية وقاعدتها الشعبية ، ولعل هذا التحول في مواقف الكتلة ناتج عن طبيعة قادتهم المنقسمون بين المعتدلون الرافضون لسياسة الانتداب ولكن يرون بالتفاوض هو الحل الامثل لتحقيق المطالب الوطنية, وبين المتشددون الذين يرون ان الحقوق الوطنية لاتحقق الا بالتظاهر والقوة, بوصفها اللغة الوحيدة التي يعرفها الفرنسيون والتي ترغمهم على انهاء الانتداب وعقد معاهدة معهم تضمن مطالب البلاد .

وامام هذه التعارض في مواقف بين شرائح المجتمع بين استمرا المظاهرات والاضراب وايقافها ، انبرى مجموعة من العلماء ورجال الدين السوريين بتشكيل وفد برئاسة الشيخ هاشم الخطيب في(7 شباط) بمقابلة ديمارتيل وتقديم مطالب المتظاهرين الوطنية , الا ان الاخير رفض مقابلتهم متهما العلماء ورجال الدين بأنهم المحرضون على التظاهرات والاضراب

ومقاومة الاجنبي بصورة مستمرة في خطبهم في كل مناسبة لذلك جاء ديمارتيل بالقول " ليس من المناسب التفاهم معهم " (الريس ، 195)

قوبل هذا الرفض, باعلان دمشق وباقي المدن السورية اضرابا شاملا وعاما في 9 شباط , وشهدت المدن السورية تظاهرات ومصادمات مع قوى الامن, حتى بلغ عدد القتلي (60) متظاهر والجرحى بالمئات , وقد شهدت بيروت وطرابلس وصيدا ايضا خروج التظاهرات واعلان الاضراب امتثالا وتأييدا لاخوانهم السوريين . (الريس)

ويبدو ان زمام الامور اخذت تفلت من ايدي سلطات الانتداب الفرنسي, بعد ان تطورت الاوضاع واصبحت اكثر تأزما وتعقيدا ,الامر الذي استدعى حضور المفوض السامي ديمارتيل الى دمشق في 11 شباط 1936ويبدو انه قد زود بتعليمات صارمة من حكومته بالقمع والاعتقالات .ضد المتظاهرين" ومن يعمل على تعكير الصفو العام للامن, ووضع الاشخاص المشتبه بهم تحت الاقامة الجبرية, وغلق الاماكن التي تعقد فيها الاجتماعات" . (a.a.e,99)

وبالفعل كلفت الحكومة الفرنسية الجنرال هنترزيجر (Huntziger) قائداً اعلى لجيش الشرق , واعطى اوامره بإستلام السلطة الفرنسية العسكرية ادارة الامن في دمشق في 12 شباط , ملعنا بيانا عسكريا موجه الى اهالي دمشق بإنهاء التظاهرات والاضراب والا سوف يظطر الى مواجهة القوة بالقوة المفرطة . (الكيالي ، 36–38) وهذا يؤشر الى فرض الاحكام العرفية في البلاد السورية .

وفي اليوم نفسه قامت سلطات الانتداب بمنع قادة الكتلة الوطنية في دمشق من المساركة في التظاهرات ، فوضعت شكري القوتلي ولطفي الحفار ونسيب البكري قيد الاقامة الجبرية في منازلهم, مع اعتقال جميل مردم ونفيه الى بلدة اعزاز في لواء الاسكندرونة عند الحدود السورية – التركية, كما قامت بإتخاذ المضايقات والاجراءات القاسية بحق الاساتذة المحرضين على التظاهرات والاضراب . (بك ، 25)

الا ان هذه الاجراءات التعسفية لم تحد من تصاعد التظاهرات اذ ازداد تحشدهم ، وقرروا الاعتصام عند منحدرات جبل قاسيون المشرف على مدينة دمشق في 13 شباط بحيث وصل عدد المعتصمين نحو الف شخص مطالبين باطلاق سراح المعتقلين ، وخرجت مظاهرات باتجاه سوق الحميدية منددين بالاجراءات التعسفية الصارمة لسلطات الانتداب بحق الطلبة و اساتذتهم واعضاء الكتلة الوطنية, فواجهتم سلطات الانتداب بالرصاص الحي, فتمكنوا من تفريقهم بعد استشهاد اربعة من الطلبة (الحوراني ، 63) , كما شهدت مدن حماة وحمص واللاذقية ودير الزور مظاهرات حاشدة ايضا .

المبحث الخامس / انتهاء الانتفاضة السورية الشعبية

الواقع ان سياسة القمع والعنف وفرض الاحكام العرفية من قبل سلطات الانتداب الفرنسية لم تتمكن من انهاء الاضرابات وايقاف الانتفاضة الشعبية في المدن السورية ، اذ كلما ازدادت شراسة السلطات بالقمع والعنف كلما ازدادت شجاعة الطلاب والشباب السوري في المواجهة والتصعيد ، الا اذا اعلنت سلطات الانتداب باصدار العفو العام واطلاق سراح المعتقلين , والعمل على تنظيم العلاقات مع سورية على اساس المعاهدة مقابل الانتداب.

ولعل هذا ما اعترف به الفنرسيون في مذكراتهم, بان قوة الحركة الاحتجاجية السورية ترغم السلطات الفرنسية على الغاء الانتداب والركون الى عقد المعاهدة لتنظيم العلاقات بين الدولتين ، اذ ان قبولهم بالتفاوض وعقد المعاهدة, سينهي المظاهرات والاضراب, ويقلل "من الحركة الاحتجاجية السورية ويقرب الشعب من صداقة فرنسا عن طريق اختيار حكومة سورية تتعهد بالالتزام ببنود المعاهدة بين البلدين ". (a.a.e,209)

ومن جانبه حدد زعيم الكتلة الوطنية هاشم الاتاسي المطالب الوطنية لوقف الاضراب العام وانهاء الانتفاضة في البلاد , بتحقيق ما يلي : (رضا ، 1979)

1- اصدار عفو عام عن المبعدين السياسيين .
2- اطلاق سراح المعتقلين .
3- الغاء قرارات فصل الاساتذة والطلاب عن الجامعات والمدارس بسبب مشاركتهم في المظاهرات .
4- إعادة فتح مكاتب الكتلة في دمشق وحلب .

اما ديمارتيل فقد ارسل برقية الى وزارة خارجيته في 18 شباط 1936 كشف فيها خطورة الاوضاع وتصاعدها في سورية من جراء استمرار الانتفاضة السورية مبينا قلقه الكبير على مستقبل الوجود الفرنسي في الشرق, مقترحا احتمالين للمواجهة "اما اعطاء تنازلات للكتلة الوطنية والتفاوض معها حول الشروط التي اعلنوها ، او المعاندة واللجوء الى القوة" (a.a.e,101)

وفي 20 شباط جاء جواب وزارة الخارجية الفرنسية للمفوض السامي ديمارتيل بالتفاهم مع اعضاء الكتلة الوطنية لتهيأة وفد منهم للسفر الى باريس للشروع بعقد معاهدة بين البلدين تضمن لسورية تحقيق مطالبهم . (الربيعي ، 84)

وقد التقى ديمارتيل بزعيم الكتلة هاشم الاتاسي, وابلغه انه تلقى تعليمات من رئيس وزرائه (البير سارو) بإستعداد الحكومة الفرنسية بالعودة الى المباحثات من اجل عقد معاهدة

بين البلدين, وبدوره ابدى الاتاسي رغبة الكتلة بعودة التفاوض مع الحكومة الفرنسية وعقد معاهدة تضمن سيادة واستقلال بلاده اسوه بمعاهدة العراق مع بريطانيا. (homt,99)

الا ان الجماهير السورية المنتفضة وفي مقدمتهم الطلبة لايثقون بالوعود الفرنسية ويرون ان ذلك جزء من الخداع والمكر الفرنسي لانهاء الانتفاضة الشعبية ، اذ انهم ابدوا خشيتهم من انهاء الانتفاضة وايقاف الاضراب وان فرنسا لاتفي بوعودها ، لذا اعلنوا اعتصامهم يومي 27 و 28 شباط 1936(الخميس والجمعة) في الجامع الاموي ، مما دعى الجنرال الفرنسي هنترزيجر القائد العسكري لدمشق, الى اصدار بيان عسكري في 28 شباط يهدد فيه الى استخدام القوة المفرطة في حالة استمرار الاعتصام في الجامع الاموي . (العش ، 114-115)

وخشية من تأزم الاوضاع اكثر اجتمع في اليوم نفسه (28شباط) اعضاء الكتلة الوطنية واصدروا بيانا اعلنوا فيه بالنيابة عن الشعب السوري, رغبتهم في التفاوض لعقد معاهدة تحالف مع فرنسا بناءا على العرض الفرنسي, وقد جاء في البيان " ان الشعب السوري شعب مسلم ذو تأريخ لامع ولايطلب الا الاستقرار لتصان به مصالحه وحقوقه الطبيعية في السياسة والاجتماع والاقتصاد ، ويرغب بعد الاعتراف باستقلاله ان يعقد معاهدة تحالف مع فرنسا لاتقل فيها حقوق السوريين عن حقوق العراقيين في معاهدتهم " (الكيالي ، 106-111) .

وفي المقابل ابدى الفرنسيون ارتياحا كبيرا لبيان الكتلة, وذلك يتضح من البرقية التي ارسلهافي اليوم نفسه(28شباط) ديمارتييل الى وزير خارجيته مبينا فيها موافقة اعضاء الكتلة الوطنية على العرض الفرنسي واعلان رغبتهم في التفاوض وانهاء الانتفاضة (a.a.e,154)

وفي اليوم التالي اجتمع وفد من الكتلة برئاسة الاتاسي مع ديمارتيل في بيروت سمي بإتفاق الاول من اذار عام 1936 و وقعه الاتاسي وديمارتيل نص على موافقة الحكومة الفرنسية على استقبال وفد سوري رسمي للتفاوض على عقد معاهدة بين البلدين . (a.a.e,156)

وفي اليوم التالي اصدر رئيس الكتلة هاشم الاتاسي بيانا موجها للشعب السوري شرح فيه ظروف الاتفاق مع الجانب الفرنسي الذي جاء بفضل الانتفاضة الشعبية ودماء الشهداء التي اريقت من الطلبة وغيرهم من فئات الشعب ، مما يؤشر ان البلاد دخلت مرحلة جديدة بفضل هذه الدماء ، وشكر الاتاسي الشعب على تضحياته و وطنيته داعيا ابناء الشعب كافة الى انهاء الاضراب وايقاف الانتفاضة من اجل تسهيل المهام لتحقيق الاماني في الوحدة والاستقلال التام . (العش ، 123)

واستنادا الى اتفاق الاول من اذار اقدمت السلطات الفرنسية على اطلاق سراح المعتقلين بدون قيد او شرط , ومنهم جميل مردم ونسيب البكري وفخري البارودي وسيف الدين مأمون وغيرهم و وصلوا الى دمشق في الرابع منه ، الذي صادف اول ايام عيد الأضحى المبارك, فإستقبلوا استقبالا شعبيا كبيرا . (الكيالي ، 134)

وبعد خروج المعتقلين والموقوفين شهدت المدن السورية مظاهرات شعبية اشترك فيها الطلاب تهتف للوطن و تؤيد جهود اعضاء الكتلة الوطنية الذين اخذوا على عاتقهم تحمل مسرولية التفاوض لعقد معاهدة مع فرنسا تحقق للشعب حقوقه المشروعة وعودة الحياة الى وضعها الطبيعي, وقد اجتمع اعضاء الكتلة و قرروا تحديد اليوم الذي يعقب انتهاء عيد الأضحى المبارك وهو يوم الثامن من اذار عام 1936 هو يوم فتح الاسواق والمحال التجارية في كافة المدن السورية . (الطنطاوي ، 93)

وبالفعل فقد شهد يوم الثامن من اذار1936 تجمعا كبيرا في الجامع الاموي حضره زعماء الكتلة و اعيان دمشق وتجارها وعلمائها ورجال الدين فضلا عن الطلاب وجمهور كبير من فئات الشعب بدعوة من زعيم الكتلة هاشم الاتاسي , وبعدها تلى عضو الكتلة شكري القوتلي بيان الكتلة الذي دعى فيه الناس بكافة فئاتهم الى الثقة بهم وانتهاء الانتفاضة والعودة للهدوء ، كما دعى اصحاب المحلات والمتاجر والحرف للعودة الى اعمالهم وانهاء الاضراب , وبعدها خطب فخري البارودي وطلب من المحتشدين وفي مقدمته الطلاب بالعودة الى مقاعد الدراسة, مطمئنا الجميع بان جميع الاجراءات القانونية قد الغيت بحقهم ، كما دعى التجار والحرفيين الى فتح محلاتهم وممارسة اعمالهم التجارية وبعد ان هتف المحتشدون بالتأييد ، قام زعيم الكتلة هاشم الاتاسي بقص الشريط الحريري الاخضر على باب سوق الحميدية , وذلك اعلانا بإنتهاء الانتفاضة الشعبية الذي كان الاضراب العام يشكل احد اهم مظاهرها . (الكيالي ، 134)

وفي اليوم التالي ابلغ ديمارتيل حكومته بنجاح زعماء الكتلة في اقناع المتظاهرين على انهاء اضرابهم , وعودة الحياة في المدن السورية الى وضعها الطبيعي, وقد جاءت برقيته المؤرخة في 9/3/ 1936تحت عنوان (مستعجل).

اما أعضاء الكتلة الوطنية فقد اعلنوا في 11 اذار 1936 عن اختيارهم للوفد الوطني المفاوض مع الفرنسيين في باريس والذي تألف من هاشم الاتاسي وفارس الخوري وجميل مردم وسعد الله الجابري والضابط المتقاعد احمد اللحام كخبير عسكري ونعيم الانطاكي سكرتيرا للوفد , كما اختاروا الامير مصطفى الشهابي وزير المعارف والدكتور ادمون حمصي وزير المالية

من الحكومة الحالية ليكونا من أعضاء الوفد , ومن اجل اخذ الوفد صفته الرسمية ، اقدم رئيس الجمهورية محمد علي العابد باصدار مرسوم جمهوري بتشكيل الوفد وتعيين هاشم الاتاسي رئيسا له .

وبعد جولات طويلة من المفاوضات استمرت من 26 اذار 1936 حتى 9 ايلول من العام نفسه, توصل الطرفان الى عقد المعاهدة السورية – الفرنسية التي ضمنت لسورية تاهلها الى دخول عصبة الامم كدولة مستقلة ذات سيادة ,وبالتالي نالت الاعتراف الدولي بالسيادة والاستقلال (الكيالي ، 161)

الخاتمـــــــــــة

كشفت سطور البحث ان الانتفاضة الشعبية التي شهدتها المدن السورية عام 1936 , والتي كانت زمام المبادرة والقيادة الشعبية لها بيد النخبة الطلابية في الجامعة السورية وبالذات من طلبة الحقوق في جامعة دمشق تعد اول انتفاضة شعبية شهدتها المنطقة العربية بعد الثورة الفلسطينية الكبرى التي انطلقت عام 1936 واستمرت حتى عام 1939 , وقد نالت الانتفاضة السورية تعاطف وتأييد فئات الشعب البسيطة , بإستثناء طبقة التجار الذين رأو في تصاعدها ضررا كبيرا لمصالحهم في البلاد.

ورغم سياسة العنف والقسوة التي واجهتها الانتفاضة الشعبية من قبل قوى الامن والسلطات العسكرية الفرنسية المنتدبة, والتي اسفرت عن سقوط العديد من الشهداء والجرحى واعتقال العديد من المتظاهرين الا انها حققت اهدافها بإقالة حكومة تاج الدين الحسيني الموالية لفرنسا, وارغام الاخيرة على الدخول في مفاوضات مع الوطنيين من اعضاء الكتلة الوطنية السورية لتحويل الانتداب الفرنسي في سوريا الى صيغة معاهدة بين البلدين تضمن لسوريا حقوقها الدستورية في الحرية والاستقلال , اسوة بما حققه الشعب العراقي نتيجة صلابة موقفة في ارغام بريطانيا على عقدها معاهدة عام 1930 التي اهلت العراق في الدخول الى عصبة الامم هدفا في نيل سيادتة واستقلاله ، اذ كان لهذه المعاهدة اثرها في تصاعد زخم الحركة الوطنية في سوريا لتحقيق اهداف الشعب المنشودة ، والذي كان لطلاب سوريا وصلابة موقفهم وثباتهم على موقفهم الوطني رغم سياسة القتل والطرد اثرها في نيل سورية حريتها واستقلالها التام بعد ارغام فرنسا على عقد معاهدة عام 1936 معهم.

قائمـــــــــة المصادر :

1- عبيـد ، سـلامة . (1978) . الثـورة السـورية الكبـرى 1925-1927 .بيـروت: دار الغـد ، بيـروت . و جـورج انطونيـوس . (1978) . يقظـة العـرب، تـاريخ حركـة العـرب القوميـة . ترجمة : ناصر الدين الاسد واحسان عباس .بيروت: دار العلم للملايين .
2- خـوري ، فيليـب . (1990) . سـورية والانتـداب الفرنسـي 1920-1945 .بيـروت: ترجمـة مؤسسة الابحاث العربية .
3- الحكيم ، يوسف . (1983) .سورية والانتداب الفرنسي . ج 4 .بيروت: دار النهار.
4- الاتاسـي ، هاشم . هـو محمـد هاشـم بـن خالـد بـن محمـد بـن عبـد السـتار الاتاسـي ولـد فـي مدينـة حمـص عـام 1873، درس العلـوم الدينيـة علـى يـد والـده ، ثـم اتـم دراسـته الابتدائيـة فـي حمـص ايضـاً ، بعـدها اوفـد للدراسـة فـي المدرسـة السـلطانية ببيـروت ،لاكمـال دراسـته الثانويـة ، وهنـاك التقـى بالشـيخ المفكـر محمـد عبـده الـذي كـان يقضـي مـدة منفـاه فـي بيـروت ، بعـدها عـاد الـى سـورية ليتقلـد المناصـب الاداريـة، منهـا متصـرف حمـاة عـام 1912 ، ومتصـرف بيـروت عـام 1913 بعـدها متصـرفا لحمـص عـام 1919 ، وكـان عضـوا بـارزا فـي المـؤتمر السـوري العـام 1919 ، وانتخـب رئيسـا للمـؤتمر عـام 1920 ، وشـكل اول وزارة لـه فـي عهـد حكومـة فيصـل بـن الحسـين عـام 1920 فـي دمشـق ، وسـاهم فـي تأسـيس الكتلـة الوطنيـة السـورية عـام 1928 ، وتـرأس الوفـد السـوري المفـاوض الـى بـاريس لعقـد المعاهـدة السـورية – الفرنسـية لعـام 1936 ، وانتخـب رئيسـا للجمهوريـة السـورية للمـدة (1936-1939) تـوفي فـي حمـص فـي 5 كـانون الأول 1960 ، للتفاصـيل ينظـر حسـن ، اسـامة رفعـت . (2006) . هاشـم الاتاسـي ودوره السياسـي فـي سـورية 1887-1960 ،رسـالة ماجسـتير غيـر منشـورة كليـة التربيـة (ابـن رشـد) ، جامعـة بغداد .
5- حول نصوص المواد الدستوريه ينظر : الحكيم ، يوسف.
6- هنـري بوسـو، حاصـل علـى شـهادة الـدكتواره فـي الحقـوق عـام 1903 ، شـارك فـي الحـرب العالميـة الاولـى، وعمـل فـي وزارة الخارجيـة الفرنسـية، وشـغل فيهـا عـدة مناصـب مهمـة ، منهـا معاونـا لـوزارة الخارجيـة بـين عـامي 1916-1917، ومنـدوبا لـدى رئـيس لجنـة الحلفـاء عـام 1920، نـال درجـة وزيـر مفـوض ، عـين رئيسـا لفـرع افريقيـا والشـرق فـي وزارة الخارجيـة ، عمـل مفوضـا سـاميا لسـورية ولبنـان 1926- 1932 ، ينظـر:

يـونس ، نـور عـلاء . (2015). الكتلـة الوطنيـة ودورهـا فـي لبنـان 1935–1949 . رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ذي قار.

7- بـك ، سـلمى مـردم . (1994) . اوراق جميـل مـردم بـك 1939–1945 .بيـروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

8- المعلـم ، وليـد . (1988) . سـورية 1916–1946 الطريـق الـى الحريـة .دمشـق: دار طلاس للنشر والتوزيع .

9- هـو محمـد تـاج الـدين بـن محمـد بـدر الـدين بـن يوسـف الحسـيني ولـد فـي دمشـق عـام 1885 ، درس اللغـة العربيـة وعلـوم الشـريعة علـى يـد والـده الشـيخ بـدر الـدين الحسـيني ، الـذي تعـود اصـوله الـى مـراكش وفـي عـام 1912 تـم تعيينـه مدرسـا فـي المدرسـة السـلطانية بدمشـق، ثـم اختـاره جمـال باشـا السـفاح حـاكم سـورية العسـكري ابـان الحـرب العالميـة الأولـى رئيسـا لجريـدة الشـرق ، وذلـك لتغطيـة اخبـار الجبهـة العثمانيـة ، وبعـدها عمـل مـع الأميـر فيصـل بـن الحسـين فـي دمشـق (1918–1920) ، شـغل منصـب رئـيس الحكومـة السـورية اربـع مـرات بـين 1928–1936 ، و رئيسـا للجمهوريـة السـورية فـي 16 أيلـول 1941 حتـى وفاتـه فـي دمشـق فـي 17 كـانون الثـاني 1943 ، ينظـر : الموسـوعة الدمشـقية ، تـاج الـدين الحسـيني المنشـور علـى الـرابط . daima https: //pedia.com .

10- محمـد علـي العابـد ، ولـد فـي دمشـق عـام 1867 مـن عائلـة غنيـة، مـن اصـول كرديـة، شـغل منصـب رئـيس الجمهوريـة السـورية الجديـدة للمـدة مـن 1932 – 1936 ، حاصـل علـى شـهادة القـانون مـن بـاريس ، وبعـدها غـادر الـى رومـا حتـى وفاتـه عـام 1939 ينظـر : الموسـوعة الدمشـقية ، محمـد علـي العابـد . منشـور علـى الـرابط . https: //daima pedia.com

11- سـعيد ، امـين . د.ت . الثـورة العربيـة الكبـرى (تـاريخ مفصـل جـامع للقضـية العربيـة في ربع قرن) ، القاهرة.

12- ولـد ابـراهيم هنـانو فـي بلـدة كفـر تخـاريم فـي حلـب عـام 1869 ،وتلقـى علومـه الأولـى فـي مسـقط رأسـه فـي حلـب، اكمـل دراسـته فـي المدرسـة الملكيـة لدراسـة الحقـوق ،واشـترك فـي الثـورة العربيـة عـام 1916، قـاد ثـورات الشـمال ضـد الاسـتعمار الفرنسـي ،تـوفي فـي 21 تشـرين الثـاني 1935، ينظـر : البـديري ، حـاتم محسـن جبـر . (2003) . ابـراهيم

هنانو ودوره السياسي في سوريا حتى عام 1935. رسالة ماجستير (غير منشورة) . بغداد: معهد التاريخ العربي والتراث العلمي.

13- دار الكتب والوثائق في بغداد وسنرمز لها (د.ك.و) ملفة 311/730 البلاط ملكي . كتاب القنصلية العراقية في بيروت الى وزارة الخارجية العراقية ،المرقم 7953 بتاريخ 5 كانون الاول 1932 ،و1 .

14- الارمنازي ، نجيب . (1973) . سوريا من الاحتلال حتى الجلاء.بيروت: دار الكتاب الجديد .

15- برقية المفوض السامي ديمارتيل الى وزارة الخارجية الفرنسية في 29-11-1935 حول الوضع في سورية واحتمال وقوع احداث عنف جديدة . ينظر Archiff de minster des Affairs Etrangeress, (serie-libnan)1924-1939 (Bibliot egue national de parise vol.571,p.78), والتي سنرمز لها اختصارا بالرمز (A.A.E , S- L)

16- ولد في جنوب فرنسا في 27 تشرين الثاني 1878 ،ودرس الحقوق في المدرسة السياسية ، تقلد عدة مناصب في وزارة الخارجية، عين مفوضا ساميا على سوريا ولبنان عام 1933، للتفاصيل ينظر : د.ك.و ، البلاط الملكي، 311/731 ، تقارير المفوضية العراقية في بيروت .

17- الكيالي ، عبد الرحمن . (1960) . المراحل في الانتداب الفرنسي وفي نضالنا الوطني . ج 3 . حلب : مطبعة الضاد .

18- ولد سعد الله بن عبد القادر لطفي الجابري في حلب عام 1893 لعائلة ثرية، درس الحقوق في كلية السلطانية في اسنطبول وشارك في كتابة دستور سورية لعام 1920 ، وكان احد الموقعين على المعاهدة السورية – الفرنسية لعام 1936 ، ترأس ثلاث حكومات في عهد الرئيس شكري القوتلي ،توفي 20 حزيران 1947 للتفاصيل ينظر : الموسوعة الدمشقية ، سعد الله الجابري، منشور على الرابط daima . https: //pedia.com

19- ولد جميل بن عبد القادر بن مردم بك في دمشق عام 1894، في اسرة ارستقراطية ذات توجهات سياسية ودرس العلوم السياسية في باريس كما درس القانون والاقتصاد في سويسرا وكان احد اعضاء الوفد العربي المشارك في مؤتمر الصلح عام 1919 واحد مؤسسي الكتلة الوطنية السورية وترأس ثلاث حكومات من عام 1936-1948 وتوفي في القاهرة عام 1960 للتفاصل ينظر : الربيعي ، عبد السلام متعب عيدان .

(2002) . جميل مردم ودوره السياسي والدبلوماسي حتى عام 1948 ، رسالة ماجستير (غير منشورة) .بغداد: معهد التاريخ العربي والتراث العلمي .

20- ولد في دمشق عام 1889 وتلقى علومه الاولية فيها ثم دخل مدرسة الضباط وتخرج منها برتبة ملازم ثاني واشترك في الحرب العالمية الاولى ضمن الجيش العثماني ، واشترك في الثورة العربية الكبرى 1916 وكان نائبا في البرلمان السوري وتوفي عام 1966 ، ينظر : فارس ، جورج .(1949) . من هو في سوريا . دمشق : المطبعة الاهلية .

21- العش ، انور . د.ت . في طريق الحرية . دمشق: مطبعة الاعتدال .

22- الطنطاوي ، علي . (1986) . ذكريات . جدة :دار المنارة للنشر.

23- الحوراني ، اكرم . (2000) . مذكرات اكرم الحوراني .القاهرة: منشورات مدبولي للطباعة والنشر .

24- هو نسيب بن عطا الله باشا البكربي ولد 1886 وتخرج من المدرسة السلطانية في بيروت ، وشارك في الثورة العربية الكبرى 1916 واشترك في الثورة السورية الكبرى وانتخب محافظا لجبل الدروز عام 1937 وبعدها تدرج في الوزارات .

25- حول بيان الكتلة الوطنية ينظر : قرقوط ، ذيان . تطور الحركة الوطنية في سورية (1920-1939) . بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر .

26- فرزت ، محمد حرب . (1955) . الحياة الحزبية في سوريا بين 1908-1955 . دمشق : منشورات دار الرواد .

27- الريس ، منير . (1976) . الكتاب الذهبي للثورات الوطنية في المشرق العربي . دمشق : مطابع الف باء .

28- رضا ، علي . (1979) . قصة الكفاح الوطني في سوريا عسكريا وسياسيا حتى الجلاء 1918-1946 . حلب : المطبعة الحديثة .

References

1- Ubayd, Salamah. (1978). The Great Syrian Revolt 1925-1927. Beirut: Dar al-Ghad, Beirut. And George Antonius. (1978). The Arab Awakening: A History of the Arab Nationalist Movement. Translated by Nasser al-Din al-Asad and Ihsan Abbas. Beirut: Dar al-Ilm lil-Malayin.

2- Khoury, Philip. (1990). Syria and the French Mandate 1920-1945. Beirut: Arab Research Foundation.

3- Al-Hakim, Yusuf. (1983). Syria and the French Mandate. Vol. 4. Beirut: Dar al-Nahar.

4- Al-Atassi, Hashim. He is Muhammad Hashim ibn Khalid ibn Muhammad ibn Abd al-Sattar al-Atassi, born in Homs in 1873. He studied religious sciences under his father, then completed his primary education in Homs as well. Afterward, he was sent to study at the Sultanic School in Beirut to complete his secondary education. There, he met the thinker Sheikh Muhammad Abduh, who was spending his exile in Beirut. He then returned to Syria to assume administrative positions, including governor of Hama in 1912, governor of Beirut in 1913, and governor of Homs in 1919. He was a prominent member of the Syrian General Congress in 1919 and was elected its president in 1920. He formed his first cabinet under the government of Faisal ibn Hussein in 1920 in Damascus. He contributed to the founding of the Syrian National Bloc in 1928 and headed the Syrian delegation negotiating in Paris for the Franco-Syrian Treaty of 1936. He was elected President of the Syrian Republic for the period 1936-1939. He died in Homs on December 5th. 1960. For details, see Hassan, Osama Rifaat. (2006). Hashim al-Atassi and His Political Role in Syria 1887-1960, Unpublished Master's Thesis, College of Education (Ibn Rushd), University of Baghdad

5- Regarding the texts of the constitutional articles, see: Al-Hakim, Youssef.

6- Henri Bossu, who obtained a doctorate in law in 1903, participated in World War I and worked in the French Ministry of Foreign Affairs, where he held several important positions, including Assistant Minister

of Foreign Affairs between 1916-1917, and delegate to the Chairman of the Allied Committee in 1920. He attained the rank of Minister Plenipotentiary and was appointed head of the Africa and East branch in the Ministry of Foreign Affairs. He served as High Commissioner for Syria and Lebanon from 1926-1932. See: Younes, Nour Alaa. (2015). The National Bloc and Its Role in Lebanon 1935-1949. Master's Thesis (Unpublished), College of Education for Humanities, University of Dhi Qar.

7- Bek, Salma Mardam. (1994). Papers of Jamil Mardam Bek 1939-1945. Beirut: Al-Matbou'at Publishing and Distribution Company.

8- Al-Mu'allem, Walid. (1988). Syria 1916-1946: The Road to Freedom. Damascus: Dar Talas Publishing and Distribution.

9- He is Muhammad Taj al-Din ibn Muhammad Badr al-Din ibn Yusuf al-Husseini. He was born in Damascus in 1885. He studied Arabic language and Islamic jurisprudence under his father, Sheikh Badr al-Din al-Husseini, whose origins trace back to Marrakesh. In 1912, he was appointed as a teacher at the Sultanic School in Damascus. Jamal Pasha, the military governor of Syria during World War I, then chose him as editor-in-chief of the newspaper Al-Sharq to cover news from the Ottoman front. After that, he worked with Prince Faisal ibn al-Hussein in Damascus (1918-1920). He served as Prime Minister of Syria four times between 1928 and 1936, and as President of the Syrian Republic from September 16, 1941, until his death in Damascus on January 17, 1943. See: The Damascus Encyclopedia, Taj al-Din al-Husseini, published at daimapedia.com // https: . 10- Muhammad Ali al-Abid, born in Damascus in 1867 to a wealthy family of Kurdish origin, served as President of the newly formed Syrian Republic from 1932 to 1936. He obtained a law degree

from Paris, after which he moved to Rome, where he remained until his death in 1939. See: The Damascus Encyclopedia, Muhammad Ali al-Abid. Published at: daimapedia.com// https:

10- Said, Amin. n.d. The Great Arab Revolt (A Comprehensive and Detailed History of the Arab Cause in a Quarter Century), Cairo.

11- Ibrahim Hananu was born in the town of Kafr Takharim in Aleppo in 1869. He received his early education in his hometown of Aleppo, completed his studies at the Royal School of Law, and participated in the Arab Revolt of 1916. He led the northern revolts against French colonialism. He died on November 21, 1935. See: Al-Budairi, Hatem Mohsen Jabr. (2003). Ibrahim Hananu and His Political Role in Syria until 1935. Unpublished Master's Thesis. Baghdad: Institute of Arab History and Scientific Heritage.

12- The National Library and Archives in Baghdad, which we will refer to as (D.K.W.), File 730/311, Royal Court. Letter from the Iraqi Consulate in Beirut to the Iraqi Ministry of Foreign Affairs, No. 7953, dated December 5, 1932, and 1.

13- Al-Armanazi, Najib. (1973). Syria from Occupation to Evacuation. Beirut: Dar Al-Kitab Al-Jadeed.

14- Telegram from High Commissioner Demartel to the French Ministry of Foreign Affairs, dated November 29, 1935, concerning the situation in Syria and the possibility of renewed violence. See Archiff de minster des Affairs Etrangeress, (serie-libnan) 1924-1939 (Bibliothèque nationale de Paris, vol. 571, p. 78), which we will abbreviate as (A.A.E, S-L).

15- Born in southern France on November 27, 1878, he studied law at the École Politique. He held several positions in the Ministry of Foreign Affairs and was appointed High Commissioner to Syria and Lebanon

in 1933. For details, see: D.K.W., The Royal Court, 731/311, Reports of the Iraqi Commission in Beirut.

16- Al-Kayyali, Abd al-Rahman. (1960). Stages in the French Mandate and in Our National Struggle. Vol. 3. Aleppo: Al-Dhad Press. 18- Saadallah bin Abdul Qader Lutfi al-Jabiri was born in Aleppo in 1893 to a wealthy family. He studied law at the Sultaniyya College in Istanbul and participated in drafting the 1920 Syrian Constitution. He was one of the signatories of the 1936 Syrian-French Treaty and headed three governments during the presidency of Shukri al-Quwatli. He died on June 20, 1947. For details, see: The Damascus Encyclopedia, Saadallah al-Jabiri, published at daimapedia.com// https: Jamil ibn Abd al-Qadir ibn Mardam Bey was born in Damascus in 1894 into an aristocratic family with political leanings. He studied political science in Paris and law and economics in Switzerland. He was a member of the Arab delegation to the 1919 Peace Conference and one of the founders of the Syrian National Bloc. He headed three governments from 1936 to 1948 and died in Cairo in 1960. For further details, see: Al-Ruba'i, Abd al-Salam Mut'ab Aidan. (2002). Jamil Mardam and His Political and Diplomatic Role until 1948, Master's Thesis (unpublished). Baghdad: Institute of Arab History and Scientific Heritage.

17- He was born in Damascus in 1889 and received his primary education there. He then entered the Officers' School and graduated as a second lieutenant. He participated in World War I with the Ottoman army and in the Great Arab Revolt of 1916. He was a member of the Syrian Parliament and died in 1966. See: Faris, George. (1949). Who He Is in Syria. Damascus: Al-Ahliya Press.

18- Al-Ash, Anwar. n.d. On the Road to Freedom. Damascus: Al-I'tidal Press.

19- Al-Tantawi, Ali. (1986). Memoirs. Jeddah: Dar Al-Manara Publishing.

20- Al-Hawrani, Akram. (2000). Memoirs of Akram Al-Hawrani. Cairo: Madbouli Printing and Publishing.

21- He is Nasib bin Attallah Pasha Al-Bakrbi, born in 1886. He graduated from the Sultanic School in Beirut, participated in the Great Arab Revolt of 1916, and also participated in the Great Syrian Revolt. He was elected governor of Jabal al-Druze in 1937 and subsequently held various ministerial positions.

22- Regarding the National Bloc's statement, see: Qarqout, Dhiyan. The Development of the National Movement in Syria (1920-1939). Beirut: Dar Al-Tali'a Printing and Publishing.

23- Farzat, Muhammad Harb. (1955). Party Life in Syria between 1908-1955. Damascus: Dar al-Rawad Publications.

24- Al-Rayyes, Munir. (1976). The Golden Book of National Revolutions in the Arab East. Damascus: Alif Baa Press.

25- Rida, Ali. (1979). The Story of the National Struggle in Syria: Military and Politically until Independence 1918-1946. Aleppo: Modern Press.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

سياسة الولايات المتحدة الامريكية تجاة ايطاليا 1973-1976 دراسة في الوثائق الامريكية

م.م دعاء احمد فياض جاسم
Duaa Ahmed Fayyad Jassim
جامعة الانبار-كلية التربية للبنات-قسم التاريخ
البريد الالكتروني: duaa.ahmed@uoanbar.edu.iq

الاستلام(Received) : 13 /07/ 2026 التعديل (Revision) : 11/08/ 2026
القبول(Accepted) : 20 /08/ 2026 النشر (Published) :30/ 09/ 2026

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص

شهدت العلاقات الأمريكية-الإيطالية خلال سبعينيات القرن العشرين اهتمامًا متزايدًا من جانب الولايات المتحدة، انطلاقًا من الأهمية الاستراتيجية لإيطاليا داخل حلف شمال الأطلسي وموقعها في منطقة البحر المتوسط، فضلًا عن التحديات الداخلية التي واجهتها البلاد في ظل تصاعد الأزمات السياسية والاقتصادية، اذ كشفت الوثائق الدبلوماسية الأمريكية أن واشنطن تعاملت مع التطورات الإيطالية بسياسة تجمع بين الحفاظ على الاستقرار الداخلي والحفاظ على المصالح الغربية في أوروبا.

على الصعيد السياسي، ركزت السياسة الأمريكية على متابعة التغيرات التي شهدها النظام الحزبي الإيطالي، ولا سيما تصاعد نفوذ الحزب الشيوعي الإيطالي واتجاهه نحو المشاركة في السلطة، أولت إدارة الرئيس جيرالد فورد، بقيادة وزير الخارجية هنري كيسنجر، اهتمامًا كبيرًا بمسار الحكومات الائتلافية، وعملت من خلال الاتصالات الدبلوماسية مع المسؤولين الإيطاليين والحلفاء الأوروبيين على دعم القوى السياسية المؤيدة للغرب، مع تقييم مستمر للتداعيات المحتملة لأي تغير في موازين القوى السياسية داخل إيطاليا.

أما على الصعيد الاقتصادي، فقد نظرت الولايات المتحدة إلى الأزمة الاقتصادية الإيطالية بوصفها عاملًا مؤثرًا في الاستقرار السياسي. لذلك دعمت الجهود الرامية إلى معالجة مشكلات التضخم والعجز المالي وتراجع قيمة العملة، وشجعت التعاون مع المؤسسات المالية الدولية والدول الصناعية الكبرى لتوفير التسهيلات الائتمانية والدعم المالي اللازم، وتبين الوثائق أن واشنطن ربطت بين نجاح الإصلاحات الاقتصادية واستمرار الاستقرار السياسي،

وعـدّت التعـافي الاقتصـادي عنصـرًا أساسـيًا للحفـاظ علـى مكانـة إيطاليـا ضـمن المنظومـة الغربيـة خلال سنوات الحرب الباردة.

الكلمات المفتاحية : ايطاليا ، الولايات المتحدة الامريكية ، سياسة ، وثائق ، شيوعية

Abstract

During the 1970s, American-Italian relations witnessed increasing interest on the part of the United States, based on the strategic importance of Italy within NATO and its position in the Mediterranean region, as well as the internal challenges that the country faced in light of the escalation of political and economic crises, as it revealed American diplomatic documents indicate that Washington dealt with the Italian developments with a policy that combined maintaining internal stability and preserving Western interests in Europe.

On the political level, American policy focused on following up on the changes witnessed by the Italian party system, especially the rising influence of the Italian Communist Party and its trend towards sharing power. The administration of President Gerald Ford, led by Secretary of State Henry Kissinger, paid great attention to the progress of coalition governments, and worked through. Diplomatic contacts with Italian officials and European allies to support pro-Western political forces, with a continuous assessment of the potential repercussions of any change in the balance of political power within Italy.

On the economic level, the United States viewed the Italian economic crisis as a factor influencing political stability. Therefore, it supported efforts aimed at addressing the problems of inflation, the fiscal deficit, and the decline in the value of the currency, and encouraged cooperation with international financial institutions and major industrial countries to provide facilities The necessary credit and financial support, and the documents show that Washington linked the success of economic reforms to the continuation of political stability, and considered economic recovery an essential element for preserving Italy’s position within the Arab system during the years of the Cold War.

Keywords : Italy ,United States of America, Politics, Documents , Communism

المقدمة

حظيت إيطاليا باهتمام كبير في السياسة الخارجية الأمريكية خلال سبعينيات القرن العشرين، نظرًا لموقعها الاستراتيجي في منطقة البحر المتوسط وعضويتها في حلف شمال الأطلسي، فضلًا عن مكانتها السياسية والاقتصادية في أوروبا الغربية، اذ تزامنت تلك المرحلة مع تحديات داخلية تمثلت في تصاعد نفوذ الحزب الشيوعي الإيطالي، وتكرار الأزمات الحكومية، إلى جانب الأزمة الاقتصادية الحادة التي

شهدتها البلاد عقب أزمة النفط العالمية وما رافقها من ارتفاع معدلات التضخم وتراجع قيمة العملة وازدياد العجز المالي، اذ أظهرت وثائق العلاقات الخارجية للولايات المتحدة (FRUS) أن واشنطن أولت اهتمامًا بالغًا بتلك التطورات، وعدّتها ذات تأثير مباشر في توازن القوى داخل أوروبا الغربية وفي أمن الحلف الأطلسي، لذلك تبنت سياسة جمعت بين التحرك السياسي والدعم الاقتصادي للحفاظ على استقرار إيطاليا ومنع تعرضها لتحولات قد تؤثر في المصالح الأمريكية.

تناول المبحث الأول السياسة الأمريكية تجاه إيطاليا في الجانب السياسي، من خلال دراسة موقف الولايات المتحدة من الانتخابات الإيطالية، والدعم الذي قدمته للقوى السياسية المعتدلة، ولا سيما الحزب الديمقراطي المسيحي، بهدف الحد من تنامي نفوذ الحزب الشيوعي الإيطالي ومنع مشاركته في السلطة، فضلًا عن متابعة الاتصالات الأمريكية مع المسؤولين الإيطاليين والحلفاء الأوروبيين لضمان استمرار الاستقرار السياسي.

أما المبحث الثاني فقد سلط الضوء على الجانب الاقتصادي للسياسة الأمريكية تجاه إيطاليا، مبينًا طبيعة الأزمة المالية التي واجهتها البلاد، والدور الذي ساهمت به الولايات المتحدة الامريكية في معالجتها من خلال دعم منح القروض والتسهيلات الائتمانية، والتنسيق مع المؤسسات المالية الدولية والدول الصناعية الكبرى، بما أسهم في تعزيز الاستقرار الاقتصادي ودعم الحكومة الإيطالية خلال تلك المرحلة.

المبحث الاول: موقف الولايات المتحدة الامريكية من الاوضاع الداخلية في ايطاليا 1973-1976

كشفت مذكرة مساعد الرئيس لشؤون الامن القومي عن المباحثات السرية التي عقدت بين الرئيس الامريكي ريتشارد نيكسون (Richard Nixon) (1969-1974) ورئيس الوزراء الايطالي جوليو اندريوتي[1] (Giulio Andreotti) في 17 نيسان 1973م نقطة تحول مهمة في فهم الازمات السياسية الداخلية في ايطاليا من جانب الادارة الامريكية لاسيما بعد الانتخابات المبكرة 1972م وتشكيل حكومة اندريوتي بأغلبية ضعيفة بعد ما رفض التحالف مع الشيوعيين مما خلق ازمة سياسية كبيرة في روما ، الا ان اندريوتي اوضح لنيكسون دوافع تشكيل حكومتة التي استندت الى احزاب الوسط واليمين ومخاطر اشراك الحزب الشيوعي في تشكيل الحكومة ومنحهم ورقة ضغط سياسية على الحكومة الايطالية ، اظهر الرئيس الامريكي نيكسون احتراماً لوجهة نظر اندريوتي وعدم تدخل الادارة الامريكية في الشؤون الداخلية لايطاليا الا انه ابدى دعمة لنهج اندريوتي الصارم في تشكيل الحكومة واكد على ضرورة الألتزام بتوازن الاستراتيجية الغربية ومنع تنامي النفوذ الشيوعي في ايطاليا .[2]

كشفت الوثائق الامريكية بمذكرة قدمها مساعد الرئيس لشؤون الامن القومي الى الرئيس الامريكي عن استقالة اندريوتي في 12 حزيران 1973م الى الرئيس الايطالي جيوفاني (Giovanni) مع استمرارة بحكومة تصريف الاعمال ، ان صمود اندريوتي لمدة عام في ادارة حكومته اثبتت مهارته

السياسية الا انها كشفت ايضاً ان الاغلبية الضعيفة لا يمكن ان تنجح في ادارة الحكومة الايطالية وان خيار التحالف مع الحزب الاشتراكي هو الافضل وان الدو مورو [3](Aldo Moro)هو الافضل في قيادة ذلك التحالف ، التزمت الادارة الامريكية الحذر في التعامل مع الازمة السياسة التي اعقبت استقالة اندريوتي اذ رفض نيكسون ارسال رسالة شكر لأندريوتي تجنباً لتفسيرها دعم لطرف دون احر وعدم ارباك العلاقات داخل الاحزاب الديمقراطية التي رأت في المهادنة والائتلاف الخيار الأمثل لضمان الاستقرار السياسي في ايطاليا .[4]

حسب ماورد في التقرير الاستخباراتي الوطني تشكلت حكومة ائتلافية جديدة اواخر عام 1973م بقيادة ماريانو رومور (Mariano Rumor) التي سرعان ما انهارت في اذار 1974م نتيجة الخلافات السياسية الحادة مما اضطر رومورالى تشكيل حكومة مؤقتة لتجاوز الأزمة المقبلة، في 12 ايار 1974م واجهت الحكومة ازمة سياسية واجتماعية بسبب استفتاء الطلاق اذ قاد الحزب الديمقراطي المسيحي مع الكنيسة حملة لإلغاء قانون الطلاق الصادر عام 1970م ، في حين رفضت احزاب اليسار واليمين الإلغاء لتسفر النتائج عن فوز كبير للتيار الداعم للقانون ، في نفس الوقت تقدم انريكو[5] (Enrico) زعيم الحزب الشيوعي بمبادرة التسوية التاريخية التي ترمي الى ضرورة التوصل الى توافق بين الحزب الشيوعي الايطالي والحزب الديمقراطي المسيحي الحاكم وتشكيل حكومة وحدة وطنية وتجنب الشرخ الوطني والانقلابات العسكرية كما حدث في تشيلي ، كان موقف الادارة الامريكية متمثلة بالرئيس نيكسون ومستشار الامن القومي كيسنجر (Kissinger) رافض تماماً لأي تقارب سياسي مع الشيوعيين لاسيما ان قضية استفتاء الطلاق والأزمة الاقتصادية يعززان فرصة تطبيق التسوية التاريخية ، بالرغم من حرص الإدارة الامريكية على عدم التدخل في الانتخابات الا انها حرصت على دعم استقرار الحزب الديمقراطي المسيحي والابقاء على خيار الردع العسكري والامني قائماً لمواجهة اي خطر قد يهدد التوازن الاستراتيجي لحلف شمال الاطلسي في اوربا .[6]

كانت المخاوف الامريكية تتزايد بسبب تصاعد النشاط الشيوعي في ايطاليا وتراجع مشاعر الكراهية الشعبية لهم فضلاً عن مساعيهم للإنظمام للحكومة الائتلافية مما يشكل خطراً حقيقياً على حلف شمال الاطلسي من خلال فرض قيود على استخدام القواعد الامريكية وتعقيد او منع مشاركة المعلومات السرية وبالتالي سحب ايطاليا تدريجياً من حلف شمال الاطلسي والمعسكر الغربي وذلك ما كانت تتجنبه الادارة الامريكية طيلة سنوات الحرب الباردة .[7]

كشفت مذكرة سرية من مساعد الرئيس لشؤون الامن القومي الى الرئيس الامريكي عن عقد اجتماع في واشنطن 25 ايلول 1974م ضم كل من الرئيس الامريكي جيرالد فورد (Gerald) Ford (1974-1977) ووزير خارجيته كيسنجر من جهة ، والرئيس الايطالي جيوفاني ووزير خارجيته الدو

مورو من جهة اخرى ، تناول الاجتماع بحث المخاوف الاستراتيجية المشتركة تجاة التوازنات السياسية الداخلية في ايطاليا وانعكاسها على جنوب اوروبا وفي الوقت الذي اكد فيه جيوفاني للرئيس الامريكي التزام ايطاليا بنهج حكومة الائتلاف والتزامها بحلف شمال الاطلسي نافياً اي توجه للانفتاح على اليسار ابدى الاخير مخاوف حكومته من نشاط الحزب الشيوعي وسعية للمشاركة في الحكومة وقد حسمت الادارة الامريكية موقفها السياسي من مشاركة الحزب الشيوعي في الحكم بالرفض التام وان حدوث ذلك يعني اعادة تشكيل طبيعة العلاقات الثنائية بين البلدين وتؤثر سلباً على الوحدة السياسية في المنطقة .[8]

تبرز الرسالة السرية الموجهة من السفير الامريكي الى نائب مساعد الرئيس لشؤون الامن القومي ان الادارة الامريكية قد بدأت باستخدام برامج دعم سرية لإيطاليا لدعم التوازنات السياسية الداخلية منها دعم كبار السياسيين الايطاليين واحزاب الوسط للحفاظ على تجمع سياسي غير معلن هدفة ابقاء الحزب الشيوعي بعيداً عن السلطة مع طرح برنامج دعم القيادات الشابة الصاعدة في تلك الاحزاب لضمان استمرارية تحقيق الاهداف الامريكية لاسيما ان نقاشات حادة تدور داخل الحزب الشيوعي حول تطبيق استراتيجية التسوية التاريخية قد اضعفت من انضباطه الداخلي بجهود امريكية عبر عمليات سرية لذلك الغرض ، ان تلك العمليات السرية هي استراتيجية امريكية شاملة للحفاظ على الاهداف المتمثلة في ابعاد الشيوعيين عن الحكومة والابقاء على نفوذ طويل الأمد مع القوى السياسية الشابة في ايطاليا .[9]

تسلط المذكرة السرية المرفوعة من نائب مساعد الرئيس لشؤون الامن القومي الى الرئيس فورد على انة بالرغم من كل الجهود الامريكية لتحقيق اهدافها الا ان الخلافات على طريقة تحقيق الاهداف قد ظهرت واضحة بين السفير الامريكي في روما مارتن (Martin) ومدير وكالة المخابرات المركزية كولبي (Colby) لاسيما في ادارة العمليات السرية وتوزيع الاموال لتوجيه السياسة الايطالية ومواجهة النفوذ الشيوعي اذ كان كولبي يفضل الاعتماد على تمويل مباشر وسريع لكبار السياسيين الايطاليين والقيادات الشابة واحزاب الوسط عبر قنوات الوكالة التقليدية ، بينما عارضة السفير مارتن لانه كان يرى نفسة المسؤول الاول عم ادارة السياسة الامريكية في ايطاليا وكان يرفض تدخل الوكالة بوضع الخطط او تقديم توجيهات سياسية للأحزاب في روما دون التنسيق معه بسبب عدم فهمهم لطبيعة التعقيدات الحزبية فضلاً عن خوفه من تسريبات عمليات التمويل السرية مما يخلق نزاعاً داخلياً في ايطاليا ويوفر فرصة للحزب الشيوعي ليظهر ضحية التدخلات الامريكية وبالتالي اضعاف موقف الاحزاب الموالية للإدارة الامريكية وذلك ما ايدته الأخيرة ليحسم الخلاف لصالح السفير مارتن ووجهة نظرة المقنعة .[10]

تشكلت الحكومة الايطالية السابعة والثلاثون في 23 تشرين الثاني 1974م بقيادة السياسي الدو مورو من الحزب الديمقراطي المسيحي ، كانت تلك الحكومة حكومة اقلية مؤلفة من الديمقراطيين والجمهوريين بعد ستة اسابيع من المفاوضات المعقدة اذ احتفظ الديمقراطيين بنصيب 20 وزارة من اصل

25 وزارة بما فيها وزارة الخارجية والدفاع والداخلية والخزانة التي تعتبر رئيسية في الحكومة ، حصل الجمهوريين الذين يملكون 15 مقعدا فقط على 5 وزارت في الحكومة الجديدة ، تحددت اهدافها في محوريين رئيسيين الاول حماية تحالف يسار الوسط كتشكيلة وحيدة قابلة للتطبيق في البرلمان ، اما الثاني اضاعة الوقت حتى الانتخابات المحلية المقبلة لتفادي عودة الشيوعيين وتعزيز نفوذهم ، كان الموقف الامريكي حذراً من الحكومة الجديدة بسبب المخاوف من نتائج الانتخابات القادمة وما قد تفرضه من تنازلات على الحزب الديمقراطي المسيحي.[11]

تقدم الدراسة البحثية الصادرة عن وكالة المخابرات المركزية الامريكية تحليلاً عن الانتخابات الايطالية التي جرت يومي 15-16 حزيران وكانت النتائج خطيرة اذ حقق الاشتراكيين نتائج جيدة مما اثار غضب الرئيس الامريكي فورد الذي وصف الانتخابات بالهزيمة الساحقة كونها وضعت ايطاليا امام وضع سياسي معقد ، وجه كيسنجر نقداً حاداً لإدارة كيندي السابقة كونها سمحت بالانفتاح نحو اليسار وفصل الاشتراكيين عن الشيوعيين وذلك السبب الرئيسي لمعظم الاخفاقات السياسية ، حذر كيسنجر من مطالبة الاشتراكيين والشيوعيين بتمثيل اكبر لإعادة تشكيل الحكومة وذلك ما يعارض علية الديمقراطيين مشدداً على عدم السماح بتلك النتائج في الانتخابات المقبلة والا فأن قبولهم في الحكم سيكون واقع لا مفر منه وذلك ما يهدد استقرار العلاقات السياسية الايطالية –الامريكية .[12]

قدمت وكالة المخابرات المركزية الامريكية في حزيران 1975م دراسة بحثية استراتيجية شملت تقييماً شاملاً لطبيعة الحزب الشيوعي الايطالي وافاق تحولاته السياسية بعد نجاحة في الانتخابات عام 1975م وبينت الدراسة ان الحزب يمثل نموذجاً فريداً يجمع بين التنظيم والمرونة السياسية مؤكدة على نجاح انريكو في تعزيز سلطته وازاحة التيار المحافظ لتمهيد الطريق امام مبادرة التسوية التاريخية واوضحت الدراسة ان الحزب الشيوعي الايطالي سيكون اكثر مرونة واعتدال في حال مشاركته في السلطة الا ان الادارة الامريكية رفضت تماماً السماح بتطبيق التسوية التاريخية او مشاركة الشيوعيين في الحكومة الايطالية بأي شكل من الاشكال . [13]

عقد اجتماع سري في 1 اب 1975م بين الرئيس الامريكي فورد ووزير خارجيته كيسنجر وبين رئيس الوزراء الايطالي الدو مورو ووزير خارجيته رومور ، تباحث الطرفين في نتائج الانتخابات الايطالية الاخيرة اذ اوضح مورو ان صعود الشيوعيين نتج عن حشد اصوات الناخبين المحتجين والطبقة الوسطى والعمالية ،واكد من جانبه صعوبة اشراكهم في الحكم بسبب معارضتهم الشديدة للنهج المتبع في تشكيل الحكومة الايطالية ، حسم كيسنجر موقف الادارة الامريكية بالرفض التام لمشاركة الشيوعيين في الحكم ورهن حدوث ذلك بخروج ايطاليا من عضوية حلف شمال الاطلسي ، اعرب مورو عن حرص حكومته وموقفها بتعزيز القوى الديمقراطية ومقاومة التوسع الشيوعي بالوسائل السياسية والدبلوماسية

وابدى قلقة من تهميش ايطاليا في المؤتمرات الاقتصادية الدولية داعياً الادارة الامريكية الى زيادة دعمها اقتصاديا وسياسيا لتعزيز دور القوى الديمقراطية في الحكومة الايطالية .[14]

اوضحت برقية من السفارة الامريكية في ايطاليا الى وزارة الخارجية عن اجتماع كيسنجر في واشنطن 11 تشرين الثاني 1975م مع السفير الامريكي جون (John) لدى ايطاليا وعدد من السياسيين في وزارة الخارجية الامريكية والسفارة في جلسة مغلقة لمناقشة تداعيات الوضع السياسي في ايطاليا بعد انتخابات 1975م ووضع خطط سياسية جديدة للتعامل مع الحكومة الايطالية تتجاوز الضغط السياسي الخارجي وتتحول الى التدخل المباشر في في تشكيلات الحزب الداخلية في ايطاليا ، تمثلت الخطة الجديدة في تقديم برامج دعم مالي وسياسي سري لمساندة الاحزاب المعادية للشيوعية فضلاً عن توجيه السفير جون بإعادة هيكلة موظفي السفارة الامريكية واقصاء كل العناصر الدبلوماسية التي تبدي مرونة وتعاطف تجاه مبادرة التسوية التاريخية ، استغلال النفوذ الديني ومواقف الكنيسة الكاثوليكية الى جانب اعادة تنظيم تيار يمين الوسط والضغط على الحزب الاشتراكي لمنع تشكيل اي ائتلاف حكومي يضم الشيوعيين لخطورة ذلك على الوضع السياسي الدولي .[15]

سادت الاوساط الدبلوماسية الامريكية والايطالية حالة من الذعر والارتباك في 9 كانون الثاني 1976م بسبب التسريبات الصحفية المتتالية التي نشرتها صحيفة نيويورك تايمز بقلم الصحفي سيمور هيرش (Seymour Hersh) بخصوص العمليات السرية لوكالة المخابرات المركزية الامريكية في ايطاليا اذ كشفت التسريبات تقديم 6 ملايين دولار لأحزاب مناهضة للشيوعيين لمنع فوزهم في انتخابات 1970–1972 ، تفاقمت الازمة اكثر عند ظهور تهديدات امنية واعلامية ابرزها المؤتمر الصحفي للملازم السابق في المخابرات الايطالية ايجي (Eiji) الذي هدد بشر قوائم تضم اسماء عملاء داخل ايطاليا وخارجها ، ادى كل ذلك الارباك الى منح الشيوعيين الافضلية في الوفاء الوطني واظهار الحزب الديمقراطي بمظهر العميل الخائن لبلادة ، اما موقف السفارة الامريكية فكان مطالبه الادارة التنفيذية في واشنطن بالتدخل السريع وفرض الرقابة الصارمة لحماية سرية الوثائق والعمليات الاستخباراتية القادمة تجنباً لألحاق مزيداً من الضرر بالسياسة الخارجية الامريكية وحلفائها في ايطاليا ، [16] اوضحت مذكرة سرية من مساعد الرئيس لشؤون الامن القومي الى الرئيس الامريكي تأثير تلك التسريبات على ايطاليا كان اشد وقعاً بسقوط حكومة مورو بسبب سحب الدعم من الحزب الاشتراكي للائتلاف الحكومي مما اصاب الحكومة شلل سياسي داخلي اجبر الادارة الامريكية الى اعادة تغيير برنامجها للعمليات السرية في ايطاليا .[17]

كشفت مذكرة اعدها موظفي مجلس الامن القومي عن اعلان الرئيس الامريكي فورد رسمياً تجميد التدخل السري في الازمة الايطالية بعد الدراسة التي قدمتها اللجنة الاستخباراتية المختصة في اجتماعها 3 شباط 1976م التي اوصت بتأجيل النشاط السري والاستمرار بالنشاط العلني لحين انقضاء الازمة .[18]

ابرزت مذكرة من مدير هيئة تخطيط السياسات الى وزير الخارجية كيسنجر اجتماع الرئيس الامريكي فورد مع حكومته في 6 نيسان 1976م طرح خلاله مخاوفة الشديدة من تسارع التطورات السياسية في ايطاليا وكيف تحولت روما الى السيطرة الشيوعية في بضعة اشهر وقرر مراجعة خيار تجميد العمليات السرية مما احدث ذلك نقاشاً جاد بين اعضاء الحكومة الامريكية بسبب قرار التجميد وما قد يرافقه من خسارة ايطاليا بعد تولي الشيوعيين الحكم فيها لاسيما بعد تصاعد شعبيتهم وقرب الانتخابات المحلية وذلك يعني خروج ايطاليا من عضوية حلف شمال الاطلسي وذلك ما وضع الادارة الامريكية في مأزق حقيقي للحفاظ على التوازن السياسي في اوروبا الغربية .[19]

اعدت هيئة تخطيط السياسات برقية سرية في 15 نيسان 1976 الى وزير الخارجية كيسنجر لتحديد خيارات البرامج السياسية للتعامل مع الازمة السياسية الايطالية اذ طرحت خياران كان الاول هو التشديد القائم على فرض عزل اقتصادي وسياسي شامل لأسقاط اي حكومية ائتلافية تضم الحزب الشيوعي مع الاشارة الى المخاطر العكسية التي قد تضر بمصداقية الادارة الامريكية وتضر القواعد العسكرية في ايطاليا، اما الخيار الثاني كان القبول المشروط لمشاركة الحزب الشيوعي في الحكومة الايطالية ويلتزم بأتباع السياسة الامريكية مع امكانية بقاء ايطاليا عضو في حلف شمال الاطلسي ، بالرغم من ان تلك المقترحات لم تتحول الى سياسة رسمية الا انها كشفت معرفة الادارة الامريكية بالمخاطر السياسية الداخلية ونتائج المواجهة المباشرة في اوروبا الغربية لاسيما ايطاليا .[20]

اصدر الرئيس الامريكي فورد مذكرة رئاسية في 4 ايار 1976 موجهة الى وزراء الخارجية والدفاع ومدير المخابرات المركزية بواسطة مستشار الامن القومي وكانت عبارة عن توجيه عاجل بتكليف لجنة مشتركة بين الادارات لأجراء مراجعة سياسية شاملة واعداد خطط رسمية لاحتمالية التعامل مع الحزب الشيوعي في الحكومة الايطالية وتأثير ذلك على مصالح واشنطن وحلف شمال الاطلسي ويكون موعد التسليم 7 حزيران قبل موعد الانتخابات المحلية الايطالية،[21]ولبحث التطورات السياسة لتلك الانتخابات اجتمع كيسنجر مع وزير خارجية ايطاليا رومور وشدد الاثنان على سرية التداول لأهمية تلك الانتخابات ووصفها كيسنجر بأنها الاهم في تاريخ ايطاليا ، اشار رومور الى تحسن الوضع السياسي في اخر 15 يوماً نتيجة توحد الاحزاب الديمقراطية وطلب من كيسنجر نبذ الخطابات العلنية المتشددة التي قد تستغلها المعارضة ، اكد كيسنجر من جانبه على استعداد الادارة الامريكية لتقديم تصريحات ايجابية

مشجعة فضلاً عن استمرار الدعم المالي والاقتصادي ومنع الشيوعيين من استغلال الازمة الداخلية في ايطاليا .[22]

قدم مساعد رئيس الامن القومي مذكرة سرية في 22 ايار 1976 الى الرئيس فورد ادرج فيها برنامج عمل سري مصغر هدف الى اضعاف الشيوعيين قبل الانتخابات الايطالية تضمن شراء اصوات ناخبين تصل الى 3بالمائة فضلاً عن توجيه الدعاية والاعلام بالتنسيق مع شخصيات صحفية ايطاليا لإظهار التزام الحزب الشيوعي الايطالي بالاتحاد السوفيتي ونشر شائعات تضر بشعبيتهم داخل ايطاليا، عارضت بعض الشخصيات السياسية تلك الاجراءات لشدة خطورتها ونتائجها العكسية في حال تسربت للصحافة الا ان مساعد الرئيس لشؤون الامن القومي رأى ان خطورة فوز الشيوعيين وما يتبع ذلك اشد خطورة من ذلك البرنامج وعلية كتب توصية الى الرئيس فورد بالموافقة على اعتماد البرنامج وتم ذلك بالفعل .[23]

كشفت مذكرة سرية من المستشار الامريكي الى وزير الخارجية كيسنجر عن الانتخابات الايطالية المحلية التي جرت في 20–21 حزيران 1976م ولم يحرز الشيوعيين او الديمقراطيين نصراً حاسماً اذ كانت الفوارق بينهم بالتصويت ضئيلة جداً والاشتراكيين متمسكين بفكرة اشراك الشيوعيين في الحكم لذلك رأت وكالة المخابرات المركزية ان الحل المؤقت تشكيل حكومة من الحزب الديمقراطي لإدارة شؤون البلاد مؤقتاً ، الا ان ذلك لم يحل الازمة لاستمرار تخبط الحزب الديمقراطي مما ترك ايطاليا غير مستعدة لمواجهة ازمتها الاقتصادية ويفرض على حلفائها تقديم مساعدات اقتصادية عاجلة .[24]

كشفت مذكرة سرية من المستشار الامريكي الى وزير الخارجية كيسنجر تسريبات بشأن تصريحات حرمان ايطاليا من المساعدات في حال اشراك الحزب الشيوعي في الحكم مما وضعت السفير الامريكي ووزير الخارجية الايطالي رومور في موقف حرج واظهر تدخل الادارة الامريكية بشكل مباشر في تشكيل الحكومة الايطالية مما زاد الوضع السياسي تأزماً ،دفع ذلك كيسنجر الى ارسال توجيهات فورية للسفير توضح ان المباحثات لم اكن تدخلاً مباشراً بل تأكيد لموقف الادارة الامريكية وحلفائها تجاه منع مشاركة الحزب الشيوعي في القرار السياسي الايطالي .[25]

اوضحت مذكرة سرية من مساعد وزير الخارجية المعين للشؤون الاقتصادية والتجارية الى وزير الخارجية كيسنجر مباحثات طويلة وعقبات سياسية معقدة اعقبت الانتخابات نجح اندريوتي في تشكيل حكومة رسمية في 29 تموز 1976 ،مما اتاح للإدارة الامريكية تأمين صيغة حكم تبعد الحزب الشيوعي عن الحقائب الوزارية المباشرة لتنتهي بذلك ازمة تشكيل الحكومة بتحقيق التوازن السياسي المطلوب .[26]

نستنتج مما تقدم ان الادارة الامريكية نجحت في استغلال الازمات السياسية المتتالية في ايطاليا لتشكيل حكومة موالية لها وعزل الحزب الشيوعي عن الحقائب الوزارية المهمة ، اظهر ذلك النجاح قوة

نفوذ الولايات المتحدة الامريكية في اوروبا الغربية ودورها في تحقيق التوازن السياسي الدولي بما يخدم مصالحها السياسية في حربها الباردة مع الاتحاد السوفيتي .

المبحث الثاني: سياسة الولايات المتحدة الامريكية الاقتصادية لمواجهة الازمة المالية في ايطاليا 1973-1976م

كشفت برقية من السفارة في ايطاليا الى وزارة الحارجية الامريكية عن الاوضاع الاقتصادية والمالية في ايطاليا خلال منتصف السبعينيات التي شهدت تدهوراً حاداً هدد الاستقرار الداخلي والخارجي للبلاد اذ بلغ عجز ميزان المدفوعات الايطالي 10 مليار دولار سنوياً فضلاً عن تداعيات ارتفاع اسعار الطاقة والزيادة غير المتوازنة في الاجور المحلية ، امام ذلك الواقع المالي الحرج تنامى الخوف الامريكي من حدوث انهيار مالي واقتصادي في ايطاليا يسفر عن تداعيات سياسية خطيرة لصالح الحزب الشيوعي ، كثفت وزارة الخارجية الامريكية جهودها لتقديم برامج استقرار مالي واقتصادي بالتعاون مع صندوق النقد الدولي والدول الاوربية الحليفة ، تضمن البرنامج تقديم قروض متوسطة الاجل فضلاً عن تقديم قروض بضمان احتياطي الذهب الايطالي بأسعر السوق لتوفير مساعدة فورية لتجنب الافلاس المالي .[27]

اوضحت مذكرة من مساعد الرئيس لشؤون الامن القومي الى الرئيس فورد التطورات السياسية في ايطاليا خلال تلك السنوات بتعاظم الازمة الاقتصادية والمالية اذ تشير التقارير الامريكية عام 1974 الى ان ضعف التوازنات السياسية بين احزاب الائتلاف الحاكم كانت تتغذى بشكل مباشر على الاوضاع الاقتصادية الغير مستقرة ،اذ واجهت ايطاليا تحديات كبيرة تمثلت في ارتفاع معدل الى اكثر من 20 بالمائة سنوياً فضلاً عن عجز كبير في ميزان المدفوعات ، بالرغم من ان الاقتصاد الايطالي حقق مستويات انتاجية ونمو قياسية في معظم القطاعات الصناعية في بداية عام 1974 فضلاً عن زيادة في معدلات التوظيف استطاعت تحقيق نسبة نمو 5 بالمائة الا ان تلك المؤشرات الايجابية كانت مهددة بعوامل خارجية منها ارتفاع اسعار النفط العالمي وعجز الطاقة الناتج عن ازمة عام 1973 كل تلك الاسباب انتجت حاجة ملحة لمساعدات مالية دولية عاجلة لتمويل الميزانية ، كانت الادارة الامريكية تشكك في مدى فاعلية برنامج الاستقرار الاقتصادي المتفق علية بين احزاب ائتلاف الحكومة الايطالية، في الوقت نفسة ظهرت مشكلة مالية حقيقة تمثلت في طرح تساؤل حول امكانية تخفيض قيمة الليرة الايطالية بنسبة 10 بالمائة دون احداث ردود فعل سياسية واجتماعية عنيفة من جانب الاحزاب الشيوعية ومناصريها اذ ابدت النقابات العمالية الايطالية الرئيسية حذراً بالغاً تجاه الاتفاقيات والاجراءات الحكومية الجديدة لمواجهة الازمة المالية خوفاً من ان تؤدي سياسات التقشف الى ارتفاع حاد في معدلات البطالة وتراجع الدخل الحقيقي للموظفين ،ان ذلك التوتر النقابي والسياسي اسهم في تقييد حرية حكومة الائتلاف الحاكمة وفرض قيوداً صارمة على الميزانية العامة مما زاد من التضخم والعجز المالي ورهن الاستقرار

السياسي في ايطاليا بمعالجة الازمة الاقتصادية وتغطية العجز المالي للتخلص من التوترات السياسية .
[28]

كشفت مذكرة من وكيل وزارة الخزانة للشؤون النقدية الى اللجنة التنفيذية لمجلس السياسة الاقتصادية عن سعي الادارة الامريكية لمعالجة الازمة الاقتصادية الايطالية عن طريق القروض العلنية الا ان المساعدات الامريكية لم تقتصر على ذلك اذ وظفت دعم مالي سري كأداة اقتصادية وسياسية لضمان استقرار الاحزاب الموالية لها ومنع سقوطها ، في 12تشرين الثاني 1975 اعتمد مجلس الامن القومي الامريكي خطة سرية لتمويل الحكومة الايطالية اذ رصدت ميزانية اجمالية قدرا ب 4.87 مليون دولار لتغطية المرحلة الاولى من الانتخابات المقبلة عام 1976 على ان يكون تمويل المبالغ شهرياً وبأشراف دقيق من مكتب ادارة الموازنة واللجنة المختصة بتنفيذ ذلك البرنامج السري ،كان هدف تلك التدفقات المالية السرية تحصين البيئة الاقتصادية والاجتماعية للأحزاب والقوى المناهضة للشيوعية استهدفت الميزانية تقديم دعم مالي مباشر لتغذية نشاط الاحزاب الديمقراطية لاسيما فئة الشباب فضلاً عن تمويل فئات ذات تأثير اجتماعي واقتصادي مباشر مثل وسائل الاعلام ، كان الهدف الرئيسي من ذلك التمويل الحد من مكاسب الشيوعيين الاقتصادية والسياسية التي حققها على حساب الحزب الديمقراطي فضلاً عن تشوية سمعة الاحزاب الشيوعية وعرقلة انشطتهم ومنعهم من المشاركة في تشكيل الحكومة الايطالية خوفاً من استخدام الازمة الاقتصادية ذريعة لتحويل ايطاليا الى المعسكر الشرقي .[29]

انعكست الازمة السياسة لتشكيل الحكومة الايطالية بداية عام 1976 بشكل مباشر على الاوضاع الاقتصادية والمالية للبلاد اذ كشفت التقارير ان الازمة السياسية الناتجة عن استقالة حكومة الدو مورو وتراجع الدعم الاشتراكي ادى الى زيادة الضغوط التضخمية وتدهور الاقتصاد رغم التحسن النسبي الذي شهده ميزان المدفوعات بفضل انخفاض الواردات الناتج عن الانكماش ، رافق ذلك ارتفاع حاد في معدلات البطالة والعمالة الناقصة وانخفاض نسب النمو الى 2 او 1 بالمائة فضلاً عن عجز متزايد في الميزانية العامة بلغ 12 بالمائة من اجمالي الناتج القومي ، واجة الاقتصاد الايطالي ايضاً ضغوطاً كبيرة من اجل زيادة الاجور بسبب ارتفاع تكاليف العمالة بمعدل سنوي بلغ 23 بالمائة على مدار 3 سنوات سابقة مما ادى الى انخفاض الاحتياطي المالي وضعف قدرة ايطاليا على الاقتراض الخارجي بسبب السياسة التوسعية الداخلية التي تتعارض مع سعر الصرف ، حاول البنك المركزي الايطالي الدفاع عن الليرة الايطالية دون جدوى اذ تصاعدت المضاربات المالية وشهد سوق الصرف انهياراً سريعاً انخفضت فيه قيمة الليرة الى12 بالمائة في يوم واحد مما اجبر البنك المركزي على الانسحاب المؤقت من سوق الصرف للحفاظ على الاحتياطي، في خضم تلك الازمة المالية الخطيرة التي عصفت بالاقتصاد الايطالي اشترطت واشنطن في ايطاليا وضع برنامج تقشف مقنع بالتنسيق مع

صندوق النقد الدولي مقابل موافقتها على تقديم دعم اقتصادي مالي اذ تضمنت المقترحات الامريكية تقديم ائتمان اضافي بقيمة 250 مليون دولار حسب اتفاقية مقايضة ، السماح بسحب 250 مليون دولار من الاحتياطي الفيدرالي كقرض قصير الاجل فضلاً عن استمرار التحرك لتوفير اتفاقية مقايضة طويلة الاجل وتفعيل صندوق الدعم المالي التابع لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية بتمويل يصل الى 25 مليار دولار لأسناد الديمقراطيين واستعادة الثقة في الاقتصاد الايطالي . [30]

ابرز الملخص التنفيذي للدراسة المعدة استجابة لمذكرة دراسة الامن القومي وضع الايام التي سبقت الانتخابات الايطالية المحلية لعام 1976م مزيداً من التعقيدات الاقتصادية والمالية نتيجة وقوع زلزال في اقليم فريولي (Friuli) شمال ايطاليا مما دفع الادارة الامريكية لتقديم الاغاثة الانسانية لارتباطها بالاستقرار السياسي في البلاد ،كشفت مباحثات الرئيس الامريكي فورد مع اعضاء حكومته عن وصول ايطاليا الى الوضع المالي الخرج لاستنزاف معظم احتياطها النقدي مع صعوبة الحصول على قرض بقيمة مليارين دولار بسبب القيود التشريعية وشروط الكونغرس الامريكي ، امام تلك الازمة والمخاوف من تداعيات الزلزال وقرب الانتخابات قررت الادارة الامريكية الاستعانة بتقديم القروض المؤقتة عبر الاحتياطي الفيدرالي بضمان احتياطي الذهب الايطالي بسعر السوق الرسمي فضلاً عن اعادة هيكلة برامج المساعدات لتكون محدودة الاجل ولأهداف مشروعة واضحة مع منع التحركات الفردية لجمع التبرعات لضمان توجيه الدعم الاقتصادي كأداة ضغط تمنع وصول الاحزاب الشيوعية الى السلطة .[31]

كشفت برقية مرسلة من السفارة في ايطاليا الى وزارة الخارجية الامريكية عن مخاوف الادارة الامريكية من تأزم الوضع الاقتصادي الايطالي اكثر فأكثر لاسيما اذا ما وصل الحزب الشيوعي للسلطة اذ ان رؤوس الاموال ستهرب الى خارج ايطاليا واستنزاف الاحتياطات النقدية واجبار الحكومة على اتخاذ اجراءات اقتصادية اكثر خطورة اذ كانت الخطة الامريكية ترك الشيوعيين يتحملون عبء الازمة الاقتصادية والمسؤولية السياسية لإفشال تجربتهم الانتخابية واظهار عدم قدرتهم على التعامل مع المتطلبات المالية والتنظيمية للمجموعة الاوربية .[32]

اوضحت مذكرة من موظفي مجلس الامن القومي الى مساعد الرئيس لشؤون الامن القومي ان بعد انتهاء الانتخابات الايطالية 1976م والدخول في مرحلة مفاوضات تشكيل الخكومة بلغت الضغوطات المالية الامريكية ذروتها ،اذ كشفت البرقيات الامريكية للسفارة في روما 8 تموز 1976م عن تحول واضح في الموقف الامريكي الاقتصادي اي ان حصول ايطاليا على اي مساعدات مالية او تسهيلات ائتمانية جديدة اصبح مشروطاً بعدم تقديم اي تنازلات سياسية للحزب الشيوعي لاسيما بعد اتمام الديمقراطيين صفقة برلمانية لتقاسم رئاسة مجلس النواب واللجان النيابية ، شددت الادارة الامريكية

بوضوح بأن الاستمرار في النهج التوافقي مع الشيوعيين سيؤدي الى حرمان ايطاليا من الدعم الاقتصادي الغربي واغلاق جميع منافذ التمويل الدولية .[33]

كشفت رسالة مساعد الرئيس لشؤون الامن القومي الى وزير الخارجية كيسنجر عن انتقال الاستراتيجية الاقتصادية الامريكية في نهايات عام 1976م نحو تفعيل ادوار غير رسمية واكثر استدامة لدعم الاقتصاد الايطالي اذ شجعت الادارة الامريكية الشركات متعددة الجنسيات والقطاع الخاص على الاستثمار المباشر وتوسيع قاعدة الصناعة الايطالية وعد الاعتماد الكلي على الهبات والمساعدات الحكومية ، كان تلك الخطط تستهدف تخفيف الصعوبات الاقتصادية عبر توجيه الاعمال التجارية الايطالية للأسواق الخارجية لاسيما في منطقة الشرق الاوسط كالمملكة العربية السعودية ومصر فضلاً عن دول امريكا اللاتينية لتعزيز الصادرات الايطالية وتوفير منافذ نمو اقتصادي جديدة كما تضمنت الخطط الامريكية اشراك قادة قطاع الاعمال والتكنوقراط وحشد رجال الاعمال الامريكيين من اصل ايطالي لتكوين شبكة دعم اقتصادي واعلامي موازية تساهم في تثبيت الاستقرار المالي والحد من التمدد الشيوعي داخل المؤسسات الاقتصادية والنقابية في ايطاليا . [34]

ابرزت مذكرة وزير الخزنة الى الرئيس الامريكي فورد تركيز الاستراتيجية الامريكية مع تشكيل حكومة اندريوتي في ايلول 1976م على ضمان استقرارها وتزويدها بالغطاء المالي الدولي لمنع انهيارها اذ كشفت تقارير امريكية عن تقديرات الخزانة وصندوق النقد الدولي عن حاجة ايطاليا الى تمويل عاجل يتراوح بين 1.0 الى 1.5 مليار دولار بسبب عدم قدرتها على الاقتراض من اسواق المال العالمية بجهود منفردة، اكد كيسنجر في مراسلاته مع وزارة المالية والخزانة الايطالية على ان نجاح اندريوتي في تطبيق برنامج اقتصادي واجتماعي صارم يعد النقطة الاهم لحرمان الشيوعيين من استغلال الأزمة المالية ، لتحقيق ذلك اتفقت الادارة الامريكية على دعم اتفاق ائتماني بين روما وصندوق النقد الدولي يصل الى مليار دولار مع توجيه رسالة دعم امريكية مباشرة لأندريوتي لمناقشة خطط الاصلاح وتوفير الدعم المالي مع الحرص على ابقاء ذلك الدعم ضمن اطار منظم لتجنب اظهار تدخل الادارة الامريكية تدخلاً مباشراً في الشؤون الداخلية الايطالية .[35]

كشفت مذكرة وزير الخزنة الى الرئيس الامريكي فورد عن تولي الادارة الامريكية دور الوسيط المباشر لأعداد برنامج اصلاح اقتصادي كان شرط الخزانة الامريكية فية وصندوق النقد الدولي اعادة هيكلة جريئة تضمنت السيطرة على ارتفاع الاجور وضبط نفقات الحكومة المركزية والادارات المحلية لوقف التدهور الحاد في سعر صرف الليرة الايطالية ، قدم اندريوتي استفسار الى الادارة الامريكية عن مدى امكانية الحصول على قرض ثنائي مباشر من الولايات المتحدة الامريكية الا ان الاخيرة ربطت تقديم اي تسهيلات مالية اضافية بمدى جدية برنامج التقشف الذي تتبناه حكومة اندريوتي وحذرت من ان

اي تهاون في تطبيق ذلك البرنامج يؤدي الى انهيار الليرة والحكومة كما واكدت الادارة الامريكية على الاسراع باقرار البرنامج التقشفي لضمان استمرار الدعم الدولي المالي .[36]

حاول اندريوتي عند زيارته للولايات المتحدة الامريكية الحصول على قرض متوسط الاجل بقيمة500 مليون دولار من صندوق النقد الدولي الذي رفض الطلب واشترط تعديل برنامج الاستقرار الايطالي ونظام الاجور واجراء تخفيضات اضافية في التمويل النقدي للخزانة لإقرار التمويل ومنح القروض الاضافية، كما واكدت الادارة الامريكية على رفضها تقديم قروض ثنائية قصيرة الاجل لإيطاليا قبل التوصل لاتفاق رسمي مع الصندوق واقترحت ايضاً بصورة غير رسمية تمديد برنامج الاصلاح لمدة عاميين بدل العام الواحد مع امكانية تقديم قروض او تمويل مؤقا لتغطية المدة بين الاتفاق مع الصندوق واستلام اموال القرض .[37]

اجتمع الرئيس الامريكي فورد مع رئيس الوزراء الايطالي اندريوتي في 6 كانون الاول 1976م اذ شهد الاجتماع استعراضاً مفصلاً من قبل اندريوتي للرؤية الاقتصادية والمالية التي تبعتها حكومته لمواجهة الازمة المالية اذ اتخذ حزمة من الاصلاحات الهيكلية الصارمة لإصلاح المالية العامة مثل رفع الايرادات الضريبية ومكافحة التهريب بنسبة 48 بالمائة خلال عام واحد مع السعي لوصولها الى 75 بالمائة خلال عامين فضلاً عن سن تشريع جنائي بفرض عقوبات رادعة على تهريب العملات الاجنبية الى الخارج وذلك ما اسهم في حماية ونقل مليار دولار الى داخل الاقتصاد الرسمي ،اتخذت الحكومة خطوات جديدة لزيادة الانتاجية الوطنية عبر الغاء سبع عطل رسمية وتحويلها الى ايام عمل فعلية لتعزيز الاداء الاقتصادي ، كشف اندريوتي لفورد عن استجابة حكومته لمتطلبات صندوق النقد لبدولي المتعلقة بزيادة الضرائب ورسوم الخدمات الاساسية مثل الكهرباء وسكك الحديد فضلاً عن تجميد اجور العاملين الذين تتجاوز رواتبهم ال 5000 دولار لمدة 18 شهر الا انه تحفظ على خفض تكاليف العمالة الشاملة وتقليص المزايا الاجتماعية تفادياً للصدامات مع النقابات العمالية ، اشار اندريوتي الى مدى هشاشة الاقتصاد الايطالي امام صدمات الطاقة الخارجية وان كل زيادة بنسبة 1 بالمائة في اسعار النفط تكلف الخزينة الايطالية 70 مليون دولار، دفعة ذلك الى خوض تحركات دبلوماسية تجاه دول منظمة اوبك والبلدان المنتجة للنفط للحد من اي زيادة في الاسعار قد تسهم في زعزعة الاستقرار المالي والاقتصادي في ايطاليا .[38]

نستنتج مما تقدم ان الموقف الأمريكي تجاه الأزمة المالية الإيطالية اعتمد استراتيجية الدعم المشروط اذ ربطت تقديم التسهيلات والائتمانات بتطبيق ايطاليا لإصلاحات مالية وضريبية شاقة وإجراءات تقشفية فرضتها القنوات الدولية،بالرغم من حزمة المساعدات والتدخلات التي هدفت بالأساس إلى حظر التمدد السياسي للشيوعيين وضمان استقرار الحليف الإيطالي ضمن المعسكر الغربي، إلا أن نتائج تلك

المساعدات كانت محدودة الأثر، اذ استمر الاقتصاد الإيطالي يواجة الأزمات وتأثير الصدمات الخارجية، مما يؤكد أن الدعم الأمريكي وفر لإيطاليا شبكة أمان مؤقتة لمنع الانهيار السياسي والاقتصادي دون أن ينجح في وضع اقتصادها على مسار التعافي والاستقرار الدائم .

الخاتمة

1. شمولية السياسة الأمريكية: اتسمت السياسة الأمريكية تجاه إيطاليا خلال المدة (1973–1976) بالشمولية، إذ لم تقتصر على الجانب السياسي فحسب، وإنما امتدت لتشمل الجانب الاقتصادي، انطلاقاً من إدراك الولايات المتحدة الأمريكية لأهمية إيطاليا بوصفها إحدى الدول الرئيسة في المنظومة الغربية، وقد أظهرت الوثائق الأمريكية أن واشنطن نظرت إلى التطورات الداخلية في إيطاليا بوصفها قضية ذات أبعاد دولية ترتبط بتوازن القوى في أوروبا الغربية خلال الحرب الباردة.
2. الاهتمام بالوضع السياسي والانتخابات: أولت الولايات المتحدة الأمريكية اهتماماً كبيراً بالوضع السياسي الإيطالي، إذ تابعت مجريات الانتخابات العامة، وحرصت على دعم القوى السياسية المعتدلة، ولا سيما الحزب الديمقراطي المسيحي، للحيلولة دون وصول الحزب الشيوعي الإيطالي إلى السلطة، لما كان يمثله ذلك من تهديد للمصالح الأمريكية ولتماسك حلف شمال الأطلسي، كما كشفت الوثائق أن الإدارة الأمريكية اعتمدت الوسائل الدبلوماسية والتنسيق مع حلفائها الأوروبيين للتأثير في مجريات الأحداث السياسية بما يضمن استمرار استقرار النظام السياسي الإيطالي.
3. الجانب الاقتصادي ولدعم الاستقرار: عدّت الولايات المتحدة الأزمة الاقتصادية الإيطالية عاملاً مؤثراً في الاستقرار السياسي، لذلك دعمَت الجهود الرامية إلى معالجة الأزمة المالية عبر تأييد منح القروض والتسهيلات الائتمانية، وتشجيع التعاون مع المؤسسات المالية الدولية والدول الصناعية الكبرى، بما أسهم في تخفيف حدة الأزمة وتعزيز قدرة الحكومة الإيطالية على مواجهة التحديات الاقتصادية.
4. الترابط الاستراتيجي بين البعدين السياسي والاقتصادي: أثبتت الوثائق أن السياسة الأمريكية تجاه إيطاليا قامت على الترابط بين البعدين السياسي والاقتصادي، إذ عُدَّ تحقيق الاستقرار الاقتصادي وسيلةً لتدعيم الاستقرار السياسي، في حين شكّل استقرار النظام السياسي ضمانةً لاستمرار إيطاليا ضمن دائرة التحالف الغربي، وهو ما عكس طبيعة الخطط الاستراتيجية الأمريكية خلال تلك المرحلة.

الهوامش:

[1] جوليو اندريوتي :سياسي ودبلوماسي إيطالي، ويُعد من أبرز قادة الحزب الديمقراطي المسيحي وأكثر الشخصيات تأثيراً في تاريخ إيطاليا بعد الحرب العالمية الثانية اذ شغل منصب رئيس وزراء إيطاليا لسبع حكومات متفرقة، وتولى مناصب وزارية سيادية متعددة أبرزها الخارجية والداخلية والدفاع وادى دوراً محورياً في صياغة السياسة الخارجية الإيطالية وتثبيت موقع روما ضمن حلف شمال الأطلسي (الناتو)، وكان طرفاً رئيسياً في إدارة الأزمات السياسية والاقتصادية الداخلية ومواجهة التمدد الشيوعي خلال فترة الحرب الباردة. للمزيد ينظر :-

Craveri, Piero, "ANDREOTTI, Giulio", Dizionario Biografico degli Italiani, Istituto della Enciclopedia Italiana, Vol. 100, 2020, https://www.treccani.it/enciclopedia/giulio-andreotti_(Dizionario-Biografico)/.

[2] Foreign Relations of the United States, 1969-1976, Western Europe, Volume E-15, Part 2, Document 344, Memorandum From the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger) for the President's Files, Washington, April 17, 1973,p 1057,1058

[3] الدو مورو :يعد أحد أهم المنظرين السياسيين للحزب الديمقراطي المسيحي في إيطاليا عقب الحرب العالمية الثانية. ترأس الحكومة الإيطالية في عدة تشكيلات وزارية، واضطلع بدور أساسي في إعادة هيكلة الائتلافات الحاكمة من خلال توسيع قاعدة المشاركة السياسية لتضم الاشتراكيين، ثم تطوير مفهوم "المساومة التاريخية" لإشراك الحزب الشيوعي في الشأن العام بغية تحقيق الاستقرار السياسي والتعاطي مع الأزمات الاقتصادية ،انتهت مسيرته السياسية باختطافه ومقتله على يد جماعة "الألوية الحمراء" عام 1978م. للمزيد ينظر :-

Formigoni, Guido, "MORO, Aldo", Dizionario Biografico degli Italiani, Istituto della Enciclopedia Italiana, Vol. 77, 2012, https://www.treccani.it/enciclopedia/aldo-moro_(Dizionario-Biografico)/.

[4] F. R. U. S. 1969-1976, Vol. E-15, Part 2, Doc345, Memorandum From the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger) to President Nixon, Washington, June 18, 1973,p 1060

[5] انريكو هو سياسي ومفكر إيطالي، شغل منصب الأمين العام للحزب الشيوعي الإيطالي من عام 1972 حتى وفاته عام 1984 ، يُعدّ من أبرز القادة الشيوعيين في أوروبا الغربية ومبتكر مفهوم "الشيوعية الأوروبية" التي سعت لإيجاد مسار مستقل عن الاتحاد السوفيتي يدمج بين الديمقراطية والتعددية السياسية ، ادى دوراً محورياً إلى جانب ألدو مورو في طرح مبادرة "المساومة التاريخية" بهدف تقريب وجهات النظر والتعاون مع الحزب الديمقراطي المسيحي لمواجهة الأزمات الاقتصادية والسياسية ومخاطر الإرهاب في إيطاليا خلال سبعينيات القرن الماضي. للمزيد ينظر :-

Vittoria, Albertina, "BERLINGUER, Enrico", Dizionario Biografico degli Italiani, Istituto della Enciclopedia Italiana, Vol. 34, 1988, https://www.treccani.it/enciclopedia/enrico-berlinguer_(Dizionario-Biografico)/.

[6] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc346, Memorandum From the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger) to President Nixon, Washington, May 6, 1974,p 1061

[7] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc349, National Intelligence Estimate 24–1–74, Washington, July 18, 1974,p 1069,1070

[8] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc350, Memorandum of Conversation, Washington, September 25, 1974,p 1071–1074

[9] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc351, Memorandum From Director of Central Intelligence Colby to the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger), Washington, October 22, 1974,p 1075

[10] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc 352, ackchannel Message WH 42950 / Tohak 49 From the President's Deputy Assistant for National Security Affairs (Scowcroft) to Secretary of State Kissinger, Washington, October 28, 1974,p 1077

[11] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc353, Memorandum From the President's Deputy Assistant for National Security Affairs (Scowcroft) to President Ford, Washington, November 29, 1974,p 1078

[12] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc356, Memorandum of Conversation, Washington, June 17, 1975,p 1086

[13] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc355, Research Study Prepared in the Central Intelligence Agency, Washington, June 1975,p 1081–1083

[14] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc357, Memorandum of Conversation, Helsinki, August 1, 1975,p 1087–1091

[15] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc359, Memorandum of Conversation, Washington, November 11, 1975,pn1097–1106

[16] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc361, elegram 373 From the Embassy in Italy to the Department of State, Rome, January 9, 1976,p 1110,1111

[17] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc362, Memorandum Prepared for the 40 Committee, Washington, February 2, 1976,p 1112

[18] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc364, Memorandum From the President's Assistant for National Security Affairs (Scowcroft) to President Ford, Washington, February 9, 1976,p 1117

[19] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc365, Note Prepared by Rob Roy Ratliff of the National Security Council Staff, Washington, April 7, 1976,p 1118

[20] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc366, Briefing Memorandum From the Director of the Policy Planning Staff (Lord) to Secretary of State Kissinger, Washington, April 15, 1976,p 1119-1121

[21] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc367, National Security Study Memorandum 242, Washington, May 4, 1976,p 1122

[22] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc369, Memorandum of Conversation, Oslo, May 20, 1976,p 1126

[23] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc370, Memorandum From the President's Assistant for National Security Affairs (Scowcroft) to President Ford, Washington, May 22, 1976,p 1128,1129

[24] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc372, Memorandum From the President's Assistant for National Security Affairs (Scowcroft) to President Ford, Washington, undated ,p 1134

[25] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc374, Memorandum From the Counselor (Sonnenfeldt) to Secretary of State Kissinger, Washington, July 19, 1976,p 1137

[26] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc376, Memorandum From the Counselor (Sonnenfeldt) to Secretary of State Kissinger, Washington, July 27, 1976, p 1140

[27] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc 347, Briefing Memorandum From the Assistant Secretary of State-Designate for Economic and Business Affairs (Enders) to Secretary of State Kissinger, Washington, June 8, 1974,p 1062

[28] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc348, Telegram 8866 From the Embassy in Italy to the Department of State, Rome, June 26, 1974,p 1065-1067

[29] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc360, Memorandum From the President's Assistant for National Security Affairs (Scowcroft) to President Ford, Washington, November 29, 1975,p 1108

[30] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc363, Memorandum From the Under Secretary of the Treasury for Monetary Affairs (Yeo) for the Economic Policy Board Executive Committee, Washington, undated,p 1114,1115

[31] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc368, Memorandum of Conversation, Washington, May 17, 1976,p 1124

[32] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc371, Executive Summary of the Study Prepared in Response to National Security Study Memorandum 242, Washington, undated ,p 1131-1133

[33] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc373, Telegram 10955 From the Embassy in Italy to the Department of State, Rome, July 8, 1976,p 1135

[34] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc377, Memorandum From A. Denis Clift of the National Security Council Staff to the President's Assistant for National Security Affairs (Scowcroft), Washington, September 11, 1976, p 1142

[35] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc378, Backchannel Message WH 61280 / Tohak 26 From the President's Assistant for National Security Affairs (Scowcroft) to Secretary of State Kissinger, Washington, September 17, 1976,p1144,1145

[36] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc379, Memorandum From Secretary of the Treasury Simon to President Ford, Washington undated,p1147

[37] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc381, Memorandum From Secretary of the Treasury Simon to President Ford, Washington, undated,p 1157

[38] F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc382, Memorandum of Conversation, Washington, December 6, 1976,p 1161,1162

قائمة المصادر:

1. Foreign Relations of the United States, 1969–1976, Western Europe, Volume E–15, Part 2, Document 344, Memorandum From the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger) for the President's Files, Washington, April 17, 1973,p 1057,1058
2. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc345, Memorandum From the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger) to President Nixon, Washington, June 18, 1973,p 1060
3. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc346, Memorandum From the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger) to President Nixon, Washington, May 6, 1974,p 1061
4. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc349, National Intelligence Estimate 24–1–74, Washington, July 18, 1974,p 1069,1070
5. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc350, Memorandum of Conversation, Washington, September 25, 1974,p 1071-1074
6. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc351, Memorandum From Director of Central Intelligence Colby to the President's Assistant for

National Security Affairs (Kissinger), Washington, October 22, 1974,p 1075
7. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc 352, ackchannel Message WH 42950 / Tohak 49 From the President's Deputy Assistant for National Security Affairs (Scowcroft) to Secretary of State Kissinger, Washington, October 28, 1974,p 1077
8. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc353, Memorandum From the President's Deputy Assistant for National Security Affairs (Scowcroft) to President Ford, Washington, November 29, 1974,p 1078
9. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc356, Memorandum of Conversation, Washington, June 17, 1975,p 1086
10. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc355, Research Study Prepared in the Central Intelligence Agency, Washington, June 1975,p 1081-1083
11. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc357, Memorandum of Conversation, Helsinki, August 1, 1975,p 1087-1091
12. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc359, Memorandum of Conversation, Washington, November 11, 1975,pn1097-1106
13. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc361, elegram 373 From the Embassy in Italy to the Department of State, Rome, January 9, 1976,p 1110,1111
14. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc362, Memorandum Prepared for the 40 Committee, Washington, February 2, 1976,p 1112
15. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc364, Memorandum From the President's Assistant for National Security Affairs (Scowcroft) to President Ford, Washington, February 9, 1976,p 1117
16. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc365, Note Prepared by Rob Roy Ratliff of the National Security Council Staff, Washington, April 7, 1976,p 1118
17. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc366, Briefing Memorandum From the Director of the Policy Planning Staff (Lord) to Secretary of State Kissinger, Washington, April 15, 1976,p 1119-1121
18. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc367, National Security Study Memorandum 242, Washington, May 4, 1976,p 1122
19. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc369, Memorandum of Conversation, Oslo, May 20, 1976,p 1126
20. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc370, Memorandum From the President's Assistant for National Security Affairs (Scowcroft) to President Ford, Washington, May 22, 1976,p 1128,1129

21. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc372, Memorandum From the President's Assistant for National Security Affairs (Scowcroft) to President Ford, Washington, undated ,p 1134
22. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc374, Memorandum From the Counselor (Sonnenfeldt) to Secretary of State Kissinger, Washington, July 19, 1976,p 1137
23. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc376, Memorandum From the Counselor (Sonnenfeldt) to Secretary of State Kissinger, Washington, July 27, 1976, p 1140
24. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc 347, Briefing Memorandum From the Assistant Secretary of State-Designate for Economic and Business Affairs (Enders) to Secretary of State Kissinger, Washington, June 8, 1974,p 1062
25. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc348, Telegram 8866 From the Embassy in Italy to the Department of State, Rome, June 26, 1974,p 1065-1067
26. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc360, Memorandum From the President's Assistant for National Security Affairs (Scowcroft) to President Ford, Washington, November 29, 1975,p 1108
27. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc363, Memorandum From the Under Secretary of the Treasury for Monetary Affairs (Yeo) for the Economic Policy Board Executive Committee, Washington, undated,p 1114,1115
28. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc368, Memorandum of Conversation, Washington, May 17, 1976,p 1124
29. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc371, Executive Summary of the Study Prepared in Response to National Security Study Memorandum 242, Washington, undated ,p 1131-1133
30. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc373, Telegram 10955 From the Embassy in Italy to the Department of State, Rome, July 8, 1976,p 1135
31. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc377, Memorandum From A. Denis Clift of the National Security Council Staff to the President's Assistant for National Security Affairs (Scowcroft), Washington, September 11, 1976, p 1142
32. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc378, Backchannel Message WH 61280 / Tohak 26 From the President's Assistant for National Security Affairs (Scowcroft) to Secretary of State Kissinger, Washington, September 17, 1976,p1144,1145

33. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc379, Memorandum From Secretary of the Treasury Simon to President Ford, Washington undated,p1147
34. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc381, Memorandum From Secretary of the Treasury Simon to President Ford, Washington, undated,p 1157
35. F. R. U. S. 1969–1976, Vol. E–15, Part 2, Doc382, Memorandum of Conversation, Washington, December 6, 1976,p 1161,1162

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

قوانين الانتخابات البرلمانية العراقية
دراسة سياسية

أ.د. ستار جبار الجابري
كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد
sattar.aljaberi@cis.uobaghdad.edu.iq

الاستلام(Received) : 08 /06/ 2026 التعديل (Revision) : 12/ 07/ 2026
القبول(Accepted) : 27 /07/ 2026 النشر (Published) :30/ 09/ 2026

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص :

إن اصلاح النظام السياسي يتطلب الاهتمام بإصلاح النظام الانتخابي، فالانتخابات تُقتَرَن بالديمقراطية اقتراناً وشيجاً، وللوقوف على طبيعة الانتخاب والأنظمة الانتخابية تناولنا التطور التاريخي للممارسة الديمقراطية في العراق، ومن ثم أنواع النظم الانتخابية المعتمدة، وصولاً للمقترح الذي تبنيناه في هذا البحث بضرورة تصغير الدوائر الانتخابية، وأن يتم حساب الفائز في كل دائرة انتخابية لمن يحصل على أعلى الأصوات في تلك الدائرة، وأخيراً انتخابات عام 2018.

الكلمات المفتاحية : العراق، الانتخابات، مجلس النواب، قوانين الانتخابات، الديمقراطية

Laws of the Iraqi Parliamentary Elections
Political Study

Prf. Dr. Sattar Jabbar Al-Jaberi
College of Education for Women/ University of Baghdad

Reforming the political system requires attention to reforming the electoral system, as elections are closely linked to democracy. To understand the nature of elections and electoral systems, we examined the historical development of democratic practice in Iraq, and then the types of electoral systems adopted, leading to the proposal we adopted in this research regarding the necessity of reducing the size of electoral districts, and that the winner in each electoral district be the one who obtains the highest number of votes in that district, and finally the 2018 elections.

Keywords: Iraq, Elections, Parliament, Election laws, Democracy

المقدمة :

تقترن فكرة الانتخابات بالديمقراطية اقتراناً وشيجاً، وللوقوف على طبيعة الانتخاب والأنظمة الانتخابية لابد أن نمر بعجالة على التطور التاريخي للممارسة الديمقراطية في العراق، ومن ثم أنواع النظم الانتخابية المعتمدة .

وبالنظر لدعوات الاصلاح العديدة التي صدرت عن مختلف الفعاليات الرسمية والشعبية في العراق، وترسيخاً للفكرة التي تقول بأن العملية الديمقراطية والانتخابية السليمة هي من تقود للإصلاح، فقد ارتأينا أن نكتب في هذا الموضوع، وقناعتنا أن اصلاح النظام السياسي يتطلب الاهتمام بإصلاح النظام الانتخابي، الذي سيقود بالضرورة لتعديل مسارات العملية السياسية .

إن قوانين الانتخابات البرلمانية في العراق أخذت مساراً متصاعداً في جودتها، وصياغاتها، وتعبيرها عن طموحات أبناء الشعب العراقي منذ تأسيس الدولة العراقية، وبعد تغيير النظام السياسي في العراق في العام 2003 عادت الحياة الديمقراطية للبلاد، وجرت العديد من الممارسات الانتخابية سواء المجالس النيابية، أو المجالس المحلية، إلا أن القوانين التي نظمت العمليات الانتخابية المتعاقبة منذ ذلك التاريخ كانت كابحاً أمام تحقيق التمثيل الحقيقي لإرادة الناخبين، وكانت أداة بيد الأحزاب المتنفذة لتحقيق مصالحها الحزبية الضيقة، لذلك جاءت هذه الدراسة للبحث في القوانين الانتخابية حتى الانتخابات النيابية التي جرت في العام 2018.

أولاً : تطور النظم الانتخابية في العراق

عرف العراق في بواكيره الأولى الانتخابات التشريعية وتشكيل البرلمان، فمنذ خضوعه إلى الاحتلال البريطاني، تم تشكيل الدولة العراقية الحديثة في عام 1921 على أساس نظام الحكم الملكي، وفي يوم 21 تشرين الأول 1922 أصدر الملك فيصل إرادة ملكية بالشروع في الانتخاب لغرض جمع المجلس التأسيسي الذي كانت أمامه ثلاث مهام أساسية هي [1]:

1- البت في المعاهدة العراقية – البريطانية لتثبيت حدود العراق الخارجية.

2- سن الدستور العراقي لتأمين حقوق الأفراد والجماعات وتثبيت سياسة العراق الداخلية.

3- سن قانون الانتخاب للمجلس النسابي الذي يجتمع لينوب عن الأمة ويراقب سياسة الحكومة وأعمالها.

وقد صدر أول دستور عراقي تحت مُسمى (القانون الأساسي العراقي) في 21 آذار 1925، ومن خلال الاطلاع على هذا الدستور بالإمكان القول أنه أوجد نوعاً من النظام البرلماني في العراق. فقد حددت المادة (2) من القانون أن العراق دولة ذات سيادة .. وحكومة ملكية وراثية وشكلها نيابي وأن "سيادة المملكة العراقية للأمة" [2].

وحدد القانون الأساسي في الفقرة (ثانياً) من المادة السادسة والعشرين بأن " الملك يصدر الأوامر بإجراء الانتخاب العام لمجلس النواب "، لذلك فالانتخاب لا يتم إلا بصدور الإرادة الملكية بإجرائه [3].

أما البرلمان، فهو مجلس الأمة الذي يتألف من مجلسي الأعيان والنواب (المادة 28)، إذ يتكون مجلس الأعيان من عدد من الأعضاء المعينين لا يتجاوز عددهم ربع أعضاء مجلس النواب، أما مجلس النواب فيتكون من عدد الأعضاء المنتخبين يكون عددهم نائباً واحداً لكل (20000) نسمة، من الذكور (المادة 36) . أما الاختصاصات فهي مشتركة بين الملك والبرلمان كما أوضحتها المادة (28) إذ ذكرت: يختص مجلس الأمة مع الملك بوضع القوانين وتعديلها وإلغائها [4].

إلا أن المتتبع للعملية التشريعية في العراق خلال العهد الملكي سيرى أن مجلس الأمة ليس له من القوة الشيء الذي يخوله توجيه الأسئلة والاستيضاح على الرغم من نص الدستور على ذلك (المادة 54) وحق حجب الثقة عن الوزارة (المادة 66)، ويمكن إرجاع ذلك إلى هيمنة الملك وحقه في إقالة الوزارة والتصديق على قرارات مجلس الوزراء، كما إن الملك يعين أعضاء مجلس الأعيان (ذي الصلاحيات الواسعة)، كما يملك حق حل البرلمان [5].

ومن المهم بمكان العمل على ذكر بعض تفاصيل الحياة السياسية العراقية في حقبة العهد الملكي، إذ امتد العمل بالقانون الأساسي العراقي لعام 1925 لغاية 14 تموز 1958، وخلالها تعاقب على عرش العراق الملك فيصل الأول (1921–1933)، والملك غازي (1933–1939) والوصي على العرش عبد الإله (1939–1953)، والملك فيصل الثاني (1953–1958)، وتعاقب على العراق خلال الحقبة المذكورة (53) وزارة.

قبل صدور القوانين الانتخابية، صدر أولاً النظام المؤقت لانتخاب أعضاء الملجس التأسيسي العراقي لسنة 1922، إذ تم تشكيل لجنة مؤقتة لإدارة عملية انتخابات المجلس التأسيسي، وتم الإفادة من مواد قانون انتخاب مجلس المبعوثان العثماني . واعتمد النظام الانتخابي على الاقتراع المقيد، إذ كان الانتخاب حكراً على الذكور، وجرى التصويت بطريقة الاقتراع غير المباشر، وهو أن يقوم الناخب بانتخاب المنتخب الأول، والمنتخب الثاني ينتخبه الناخبون الأوائل، وتم الانتخاب عبر المنطقة الانتخابية الواحدة [6].

وقد صدرت أربعة قوانين تنظم عملية انتخاب أعضاء مجلس النواب، أولها قانون انتخاب النواب لعام 1924، ثم صدر قانون انتخاب النواب رقم (11) لسنة 1946، وبعده مرسوم انتخاب النواب رقم (6) لسنة 1952، وأخيراً قانون انتخاب النواب رقم (53) لسنة 1956، وهذا القانون بقي نافذاً لغاية تغيير النظام الملكي إلى جمهوري [7].

وأهم ما جاء في قانون انتخاب النواب لسنة 1924 أن الانتخاب يتم على أساس الدرجتين، أي الانتخاب غير المباشر، فينتخب النائب ليمثل (29) ألفا من السكان، ويجب أن يكون قد بلغ الثلاثين من عمره، وأن يكون من دافعي الضرائب . أما المنتخب الأول فيجب أن يكون من الذكور ممن بلغ الحادية والعشرين من العمر ومن دافعي الضرائب، وينتخب كل مائتان وخمسون منتخباً اولياً منتخباً ثانوياً، ويجب أن يكون المنتخب الثاني قد بلغ الخامسة والعشرين ومن دافعي الضرائب .

فضلاً عن ذلك ينتخب نواب إضافيون يمثلون الطائفتين المسيحية واليهودية في ألوية بغداد والموصل والبصرة . وتم تقسيم العراق على ثلاث مناطق انتخابية، وكل لواء عدَّ دائرة انتخابية، والانتخاب تم بالتصويت السري . وكانت صياغة القانون قد تمت بعد الإفادة من قانون انتخاب مجلس المبعوثان العثماني، والنظام المؤقت لانتخاب أعضاء المجلس التأسيسي العراقي لسنة 1922 [8].

أما قانون انتخاب النواب رقم (11) لسنة 1946 فهو يعدّ من أهم المتغيرات التي طرأت على مسار العملية الانتخابية في العراق، وجاء بعد نضال مرير للحركة الوطنية العراقية طوال أكثر من عقدين من الزمن، ولم تتمكن مختلف الحكومات العراقية المتوالية حتى العام 1946 من تحقيق تلك الطموحات، حتى جاءت حكومة توفيق السويدي الثانية (23 شباط 1946) والتي ضمت العديد من زعماء الحركة الوطنية المعارضة ومن أبرزهم سعد صالح الذي أنيطت به مسؤولية وزارة الداخلية لتنفيذ المطالب التي كثيراً ما نادى بها عندما كان معارضاً وعضواً في المجلس النيابي من إطلاق للحريات وإلغاء للأحكام العرفية وتعديل قانون الانتخاب، ولكونه يحظى بثقة الحركة الوطنية [9].

شرعت الوزارة منذ أيامها الأولى بتنفيذ برنامجها الوزاري، فأصدر سعد صالح وزير الداخلية أمراً في (2 آذار 1946) بإلغاء الرقابة على الصحف والمراسلات، وفي اليوم نفسه أصدر أمراً بالإفراج عن المعتقلين على خلفيات سياسية، وأمر بإغلاق المعتقل نهائياً، فضلاً عن ذلك فقد صدرت في (3 حزيران 1946) الإرادة الملكية بإلغاء الأحكام العرفية، وأقر المجلس مقترحات وزير الداخلية الخاصة باتخاذ التدابير اللازمة لعودة الأكراد البارزانيين إلى العراق [10].

أما أهم أعمال الوزارة فهو قانون انتخاب النواب رقم (11) لسنة 1946 والذي كان يجري إعداده منذ مدة طويلة [11]، وأدخلت عليه تعديلات جوهرية، أهمها تقسيم الدوائر الانتخابية إلى وحدات أصغر على مستوى القضاء، وجعل الإعلان المسبق شرطاً للترشيح، إلا أنه لم يستجب للمطلب الأساسي وهو الأخذ بنظام الانتخاب المباشر [12].

وكان وزير الداخلية سعد صالح من أكثر دعاة تصغير الدوائر الانتخابية أثناء مناقشة المجلس النيابي للقانون، وعدَّ أن ذلك يحقق عدالة أكبر بالنسبة للمرشحين [13]. ودام النقاش في المجلس النيابي

لأربع جلسات، وكانت في أغلبها هجوم على وسائل وطرق تطبيق النظام القديم أكثر مما هو حول القانون الجديد [14]، ذلك أن القانون الجديد هو بالأصل من مطالب الحركة الوطنية العراقية .

وجاء بعد هذا القانون مرسوم انتخاب النواب[15] رقم (6) لسنة 1952، وصدر المرسوم بعد أن تقدم مجموعة من النواب بطلب إلى الحكومة في (26 شباط 1951) لوضع تشريع جديد يأخذ بمبدأ الانتخاب المباشر في دوائر انتخابية فردية، لكون هذه الطريقة هي الوحيدة الناجحة لتمثيل الشعب تمثيلاً حقيقياً . وباشرت حكومة نور الدين محمود بتأليف لجنة في (25 تشرين الثاني 1952) لإعداد لائحة قانون انتخاب النواب على أساس الانتخاب المباشر . وقد صدر بعد هذا المرسوم قانون الانتخاب رقم (53) لسنة 1953، وهو صورة مماثلة لمرسوم 1952 [16].

وأخيراً صدر خلال العهد الملكي قانون انتخابات النواب رقم (53) لسنة 1956، ويعد صورة مطابقة تقريباً لمرسوم انتخاب النواب رقم (6) لسنة 1952، بعد أن خضع إلى الإجراءات التشريعية التي نص عليها القانون الأساسي، واختلافات بسيطة جداً عن المرسوم أعلاه [17].

وبعد التحول الذي شهده العراق من النظام الملكي إلى الجمهوري مر العراق بخمسة عهود تحت النظام الجمهوري امتدت منذ عام 1958 ولغاية 2003 ، أما فيما يخص الحياة البرلمانية خلال هذه العهود الخمس فهي كما يأتي:

– العهد الأول (الجمهورية الأولى): تزعم العراق خلال تلك الحقبة عبد الكريم قاسم للمدة ما بين (1958–1963)، إذ لم تكن هنالك انتخابات يخرج منها سلطة تشريعية تمثل الشعب، بل نرى أن دستور عام 1958 أوكل مهمة السلطة التشريعية إلى مجلس الوزراء بموجب المادة (21) والتي نص على أن يتولى مجلس الوزراء السلطة التشريعية، بتصديق مجلس السيادة، ومجلس السيادة يتكون من رئاسة الجمهورية والذي يتألف من رئيس ونائبين المادة (2) .

– العهد الثاني (الجمهورية الثانية): تزعم العراق خلال تلك المرحلة الرئيس عبد السلام محمد عارف للمدة ما بين (1963–1966)، ونص دستور 1963 في المادة (61) منه على الآتي "مجلس الأمة هو الهيأة التي تمارس السلطة التشريعية" . أما كيفية تأليف مجلس الأمة وعدد أعضائه وطريقة انتخابه ودعوة الناخبين فقد رسمتها المادة (62) من الدستور، وتم اقتراح أن يمارس المجلس الوطني لقياد الثورة ومجلس الوزراء السلطة التشريعية، ولقد اصدر تعديل على المادة (62) لكي تتضمن تشكيل مجلس شورى تكون له صلاحية ممارسة السلطة التشريعية، على أن يتم تعيين أعضائه وتوضيح صلاحياتهم وشروط تعيينهم ومخصصاتهم وكيفية ممارستهم لها بقانون، إلا أن الملاحظ أن هذا التعديل لم يطبق، ولم تمارس الحياة النيابية في العهد الجمهوري الثاني.

وجاء من بعده الرئيس عبد الرحمن محمد عارف الذي حكم العراق للمدة مابين (1966–1968)، ولم يتغير الدستور ولم تمارس أية حياة برلمانية في العراق [18]. وعلى الرغم من صدور قانون انتخاب مجلس الأمة لسنة 1967، بيد أن هذا القانون بقي حبراً على ورق لعدم قدرة النظام السياسي على إجراء الانتخابات، وتغيير النظام في (17 تموز 1968) [19].

– العهد الثالث (الجمهورية الثالثة): وهي الحقبة الواقعة بين عامي 1968–2003، وفيها حقبتين زمنيتين الأولى ما بين (1968–1979)، اذ صدر الدستور المؤقت لعام 1968 وفي الباب الرابع/ الفصل الأول (نظام الحكم) حدد فيها واجبات مجلس قيادة الثورة بإقرار القوانين والأنظمة والمعاهدات والاتفاقات الدولية، فضلاً عن إصدار قرارات لها قوة الإلزام، كذلك خول إصدار القوانين التي لها قوة القانون، وقد وعدت الديباجة للدستور المؤقت بإعداد الدستور الدائم وتشكيل المجلس الوطني الذي يمثل القطاعات الوطنية كافة، ولم يصدر الدستور الدائم ولم تنظم أحكام المجلس الوطني.

والحقبة الثانية في هذا العهد تمتد في المدة الواقعة بين (1979–2003)، وتعدّ هذه الحقبة امتداد للحقبة التي سبقتها، لكون حزب البعث هو المسيطر على مقاليد الحكم في العراق، إذ عمل العراق في العهد الجديد على إلغاء قانون المجلس الوطني الذي صدر سنة 1970 ذي الرقم (228)، وصدر القانون رقم (55) لسنة 1980 الذي دمج فيه قانون الانتخاب وقانون المجلس الوطني، وقد بيّن القانون الصلاحيات المناطة بالمجلس منها تشريع القوانين، أما كيفية اختيار أعضاء المجلس فيتم عن طريق الانتخاب الحر المباشر، إلا أن الملاحظ على هذه الحقبة أن حزب البعث قد هيمن على المجلس الوطني، لكون معظم أعضائه يتم انتخابهم من أعضاء الحزب، فضلاً عن الأوضاع الاستثنائية التي تم على أساسها تمديد عمل الدورة إلى أجل تحدده الحكومة وفقاً لما ترتأيه، فضلاً عن أن أغلب المراقبين للعملية التشريعية في العراق خلال الحقبة آنفة الذكر قد أوضحوا أن هذه العملية صورية لكونها مهيمناً عليها من قبل الحزب الحاكم، فالنتيجة المستخلصة أن العراق لم يشهد خلال تلك الحقبة أي عملية ديمقراطية بالمعنى الصحيح لها.

بيد أن التغييرات الكبيرة التي طرأت على قانون المجلس الوطني رقم (55) لسنة 1980، أدت إلى العمل على إلغائه وإصدار قانون جديد عرف بقانون المجلس الوطني رقم (26) لسنة 1995، وجاء هذا القانون بمبدأ جديد، وهو إجراء الانتخابات التكميلية، إذ قررت المادة (50) منه إجراء الانتخابات لمرة واحدة في السنة في المناطق الانتخابية لإشغال المقاعد التي حصلت فيها شواغر، على أن لا تقل المدة المتبقية من عمل المجلس عن ستة أشهر [20].

– العهد الرابع (الجمهورية الرابعة) ما بعد العام 2003: شهدت الساحة العراقية تحولاً عنيفاً، إذ تم احتلال العراق من قبل قوات أجنبية، تزامن معها ولادة نظام سياسي جديد مبني في إطاره العام على

الديمقراطية واختيار ممثلين عن الشعب، تكون لهم سلطة تشريع القوانين ومراقبة ومحاسبة الحكومة في عملها، وقد مر العراق بعد 2003 بأربع تجارب انتخابية برلمانية حتى العام 2018، نتجت عن ثلاثة أربعة قوانين انتخابية، وهي :

1- قانون رقم (16) لسنة 2005 : ونص على انتخاب (275) عضواً، يوزع (230) منها على (18) محافظة وفقاً لعدد الناخبين المسجلين، ويتم تخصص (45) مقعداً كمقاعد وطنية تعويضية تخصص أولاً للكيانات السياسية التي لم تحصل على مقعد في واحدة من المحافظات الثماني عشرة، أما المقاعد المتبقية فتوزع على الكتل والأحزاب السياسية وفق حسابات المتبقي الأكبر، وتم اعتماد عدة نقاط في هذا القانون، أهمها: الانتخاب بالقائمة المغلقة، وأن العراق منطقة انتخابية واحدة، واعتماد نظام التمثيل النسبي، فضلاً عن توزيع المتبقي بطريق الباقي الأكبر [21].

2- قانون رقم (26) لسنة 2009 : وهو تعديل للقانون السابق (قانون رقم 16 لسنة 2005)، وصوت عليه مجلس النواب في (23 تشرين الثاني 2009)، وصدر في التاسع من كانون الأول، واختلف هذا القانون عن سابقه بعد التعديل بأن تم اعتماد نظام القائمة شبه المفتوحة (التمثيل النسبي)، من دون عتبة، إذ تم توزيع حصص المقاعد في الدوائر الانتخابية على الكيانات السياسية بما يتناسب مع حجم التمثيل، وسمح القانون للعراقيين المقيمين في الخارج بالتصويت لقوائم مرشحي محافظاتهم، وتم إضافة نسبة النمو السكاني بمعدل (2.8) لكل محافظة، وأصبح عدد أعضاء مجلس النواب (325) عضواً [22] .

3- قانون الانتخابات رقم (45) لسنة 2013 : صدر في (25 تشرين الثاني 2013) وأهم ماجاء في القانون أنه ألغى القاسم الانتخابي المعتمد في الانتخابات السابقة، واعتمد نظام سانت ليغو المعدل [23] .

4- قانون الانتخابات الذي أصدره مجلس النواب العراقي في 22 كانون الثاني 2018، والقانون هو بمثابة تعديل لقانون انتخابات مجلس النواب العراقي رقم (45) لسنة 2013.

ثانياً : أهمية النظام الانتخابي

يعد اختيار النظام الانتخابي من أهم القرارات في الحياة الديمقراطية لأي دولة من دول العالم، وعلى الرغم من الأهمية المشار إليها، فإنه في أغلب الأحوال لا يتم اختيار النظام الانتخابي وفقاً لمدى توافقه مع الواقع المجتمعي والسياسي للدولة، وإنما هناك عدة عوامل تؤدي إلى الاختيار، سواء كانت من أجل تأمين نجاح تيار سياسي بعينه، أو الضغوطات الدولية والإقليمية، أو غيرها من الأسباب [24].

إن لاختيار النظام الانتخابي تأثير عميق في الحياة السياسية ومستقبل البلاد، واستقرار النظام السياسي رهن بالنظام الانتخابي المطبق، لذلك يتأثر النظام الانتخابي بالآتي [25]:

1- جهل الممثلين السياسيين بالأنظمة الانتخابية والتمييز بينها، وتحديد الآليات التي تتناسب وواقع البلد السياسي والاجتماعي .

2- اختيار الممثلين السياسيين للأنظمة الانتخابية التي تعود بالفائدة عليهم وعلى أحزابهم السياسية .

وربما يؤدي سوء اختيار النظام الانتخابي إلى عواقب وخيمة على البلد، فضلاً عن أن النظام الانتخابي غير العادل من شأنه أن يحض الخاسرين على العمل خارج النظام السياسي، واللجوء إلى الوسائل غير الديمقراطية، والتي تصل أحياناً إلى العنف، فضلاً عن ذلك فقد تؤثر النظم الانتخابية في أسلوب الحملات السياسية ومسلك النخب الحاكمة [26].

إن نتائج النظام الانتخابي تعتمد على عدة عوامل، منها بنية المجتمع والانقسامات الإيديولوجية أو الدينية أو العرقية أو اللغوية أو الطبقية، وما إذا كان البلد من الديمقراطيات الراسخة، أو الانتقالية، أو الناشئة، فضلاً عن النظام الحزبي إن كان راسخاً أو جديداً أو غير موجود من الأصل، وعدد الأحزاب، والتوزيع الجغرافي لنشاطها [27].

ولكي يكون النظام الانتخابي عادلاً ينبغي أن تتوافر فيه الشروط الآتية [28]:

1- أن يتمتع جميع المواطنين بحق الاقتراع (الانتخاب والترشيح) .

2- أن تضمن إجراءات الاقتراع حرية الاختيار وسرية التصويت وصحة فرز البطاقات .

3- أن تراقب العملية الانتخابية هيئة انتخابية مستقلة عن بقية سلطات الدولة .

ولابد من مراعاة عدد من الأهداف عند اعتماد أي نظام انتخابي، ومنها [29]:

1- ضمان قيام برلمان ذي صفة تمثيلية سواء من الناحية الجغرافية، أو الآيديولوجية، أو السياسية والحزبية .

2- جعل الانتخابات سهلة وذات معنى، وتتمثل سهولة الاقتراع بدرجة تعقيد ورقة الاقتراع، وسهولة وصول المقترع إلى المركز الانتخابي، وتحديث سجل الناخبين، ومدى ثقة المقترع بسرية الاقتراع .

3- تسهيل وجود حكومة مستقرة وفعالة، وذلك لا يقرره النظام الانتخابي وحده، وإنما النتائج التي يفرزها النظام تسهم في الاستقرار .

4- مساءلة الحكومة، وهي إحدى القواعد الصلبة للحكومة التمثيلية، وغيابها يؤدي بالضرورة إلى عدم الاستقرار على المدى البعيد .

5- مساءلة النواب، إذ يفضل أن يشجع النظام الانتخابي مساءلة النائب من قبل المقترعين بعد فوزه على برنامجه ووعوده الانتخابية .

6- تشجيع المراقبة أو المعارضة التشريعية، إذ لا يعتمد النظام السياسي الناجح على السلطة فقط، وإنما على المعارضة التي تراقب عمل الحكومة .

7- استدامة العملية الانتخابية .

8- أخذ المقاييس الدولية في مجال الانتخابات بالحسبان .

ثالثاً: أنواع النظم الانتخابية

تشكل النظم الانتخابية خارطة الطريق التي تصل بالمرشح إلى سدة البرلمان بالاعتماد على ما تؤول إليه نتائج الانتخابات، وتكون على عدة أنواع وطرق، وهي:

1- نظام الاغلبية

وهو النوع التقليدي للنظم الانتخابية والذي يعني بأن من يحصل على أعلى الاصوات الانتخابية يفوق أصوات المرشحين الاخرين يعدّ فائزاً، والنظام يمكن تطبيقه في حالة التصويت الفردي أو التصويت عن طريق القائمة، والدوائر الانتخابية طبقا لنظام التصويت الفردي تكون صغيرة، بعكس التصويت على نظام القائمة التي تكون دوائرها الانتخابية كبيرة . ونظام الأغلبية على نوعين هما [30]:

أ) نظام الأغلبية ذو الدور الواحد: واستناداً لهذا النظام فإن الفائز في العملية الانتخابية هو من يحصد أكثر الأصوات في الدائرة الانتخابية على جميع منافسيه المرشحين، حتى وإن لم يحصل على أغلب الاصوات وهو مايسمى (بالأغلبية النسبية) . هذا وقد أخذت بهذا النظام الدول الانكلو سكسونية (بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية)، وقد اعتمده العراق بقانون الانتخاب لعام 1924، وقانون انتخابات مجلس النواب عام 1946.

ب) نظام الأغلبية ذو الدورين : والمقصود بهذا النظام أن يحصل المرشح على الأغلبية المطلقة من الأصوات، أي أكثر من نصف الأصوات، فإن لم يصل المرشح إلى الاغلبية المطلقة حتى وان حصل على إعلى الأصوات مقارنة بمنافسيه فلا يعدّ فائزاً، إلا بعد تحقيق الأغلبية المطلقة لأصوات الناخبين المشاركين في الانتخابات، عند ذلك تجرى انتخابات جديدة وهو مايسمى بالدور الثاني، وعند إجراء الانتخابات مجدداً فسيكون فائزاً من يحصل على العدد الأكثر من أصوات الناخبين، هذا وقد أخذت بنظام الأغلبية ذو الدورين الدول الاشتراكية وفرنسا منذ قيام الثورة وحتى انتخابات 1988 .

ومن ايجابيات نظام الأغلبية أنه نظام بسيط لا يحتوي على التعقيد، ويؤدي إلى استقرار الحكومات وتكون الدوائر الصغيرة مما يوفر للناخب المعرفة الحقيقية والفاحصة للمرشح . ومن أهم الانتقادات التي أفرزتها الأنظمة الانتخابية المعتمدة على الأغلبية النسبية والمطلقة، أنها لا تمثل تكوينا متعدداً متنوعاً في إدارة الدولة، وهو أمر يقود إلى أمور خطيرة، وتبقى الإدارة حكراً على الأغلبية [31].

2- نظام التمثيل النسبي :

إن هذا النظام يطبق على أساس القائمة، ويعني منح كل حزب أو كتلة سياسية عدد من المقاعد يتناسب وقوته العددية، ونظام القائمة ينقسم إلى القائمة المغلقة والتي يصوت عليها الناخب على مجمل القائمة كما هي، والقائمة المفتوحة والتي يتمتع فيها الناخب باختيار الأسماء من بين القوائم المتنافسة، ويكون قائمته التي يختارها، وفي النظام النسبي تكون الدوائر الانتخابية كبيرة بعكس نظام الأغلبية الذي يرتبط بدائرة انتخابية صغيرة وبتصويت فردي [32].

وفي توزيع المقاعد النيابية حسب نظام التمثيل النسبي التي يتكون منها البرلمان، يتم اعتماد آلية محددة في حساب المقعد النيابي وتتمثل باحتساب جميع أصوات الناخبين المشاركين في الانتخابات وتقسم على عدد مقاعد المجلس النيابي ومن مجموع هذه القسمة يقابل المقعد النيابي للمجلس، والقائمة الانتخابية التي تحصل على ناتج القسمة ستحصل على المقعد وكلما تم مضاعفة عدد المقعد تحصل على مقعد اخرضمن المنطقة الانتخابية، فاذا كان هناك اصوات لم تبلغ العدد المطلوب للحصول على المقعد تبقى لحين تقسيم المقاعد على عدد الأصوات المتحققة في المناطق الانتخابية، بعدها يتم حساب أصوات الناخبين المتفرقة للقوائم الانتخابية وفي المناطق الانتخابية المتعددة، فإذا حصلت القائمة على العدد المطلوب للمقعد النيابي ستمنح مقعداً إضافيا، مع الملاحظة أن التوزيع يركز على عدد الأصوات في المنطقة الواحدة، ويتسع الفائض ليضاف إلى الأصوات الأخرى في المناطق المحسوبة للقائمة .

لوحظ أثناء تطبيق نظام التمثيل النسبي أن هناك عيوب تتمثل بفوز أشخاص غير منتخبين بالاسم وحصلوا على مقاعد نيابية في القائمة الوطنية، عليه تم اعتماد توزيع المقاعد النيابية على الصعيد المحلي، فالآلية المعتمدة في الحساب هي عدد المصوتين داخل المنطقة الانتخابية مقسوماً على عدد المقاعد المخصصة حين ذاك سيكون ناتج هذه القسمة هو العدد المطلوب للمقعد النيابي، ويتم اعتماد ذلك بطرق متعددة، أهمها طريق الباقي الأقوى التي تعتمد قسمة عدد الأصوات المسجلة للقائمة على قسمة الناتج من قسمة عدد الأصوات الكلية مقسومة على عدد المقاعد المخصصة للمنطقة الانتخابية وحصيلة ذلك يكون عدد المقاعد الانتخابية، وعند وجود مقاعد لم تصل أعداد الأصوات المتبقية إليها يصار إلى الباقي الأقوى وبالتسلسل في حالة وجود مقعد آخر. أما طريقة حساب المعدل الأقوى فهي طريقة تنصب على المقاعد المتبقية بعد العملية بنظام التمثيل النسبي التقريبي أوالباقي الأقوى، ففي نظام المعدل الأقوى تتم إضافة مقعد واحد إلى عدد المقاعد التي حصل عليها بموجب التقسيم الأول (خارج القسمة الانتخابي) وتقوم بقسمة عدد الأصوات على عدد المقاعد مضافاً إليها مقعد واحد، ويظل خارج القسمة هو المعدل وتتم العملية حتى يتم توزيع المقاعد .

أما كيفية توزيع المقاعد على المرشحين فهو أمر يخضع إلى نوع القائمة، فاذا كان التصويت لعموم القائمة فتكون الاستحقاق لتسلسل القائمة، أما إذا كانت مفتوحة فيتم انتخاب القائمة والمرشح ضمن القائمة وهو أمر واضح [33].

3- الانظمة الانتخابية المختلطة

وهي أنظمة انتخابية اعتمدت عليها الدول للجمع بين مزايا النظامين، الأغلبية والتمثيل النسبي، فأخذت من كلا النظامين، إلا أن اتجاهات الدول كانت في الأنظمة الانتخابية ميالة إلى نظام الأغلبية، وبعضها يميل إلى نظام التمثيل النسبي .

4- الأنظمة الانتخابية المتوازنة

هي الأنظمة التي يتم فيها انتخاب المجلس النيابي عن طريق الأغلبية وبدور واحد في المناطق الصغيرة، وبنظام التمثيل النسبي على مستوى الولاية والمقاطعة . ويمتلك الناخب بطاقتين انتخابيتين يستخدم أحدها في المنطقة الانتخابية الصغيرة والأخرى في المنطقة الانتخابية الكبيرة.

أما في العراق فقد شهد انتخابات مجلس المبعوثان العثماني لسنة 1908 والذي اعتمد عضو لكل خمسين ألف نسمة وفقاً لنص المادة (65) من الدستور العثماني، ثم النظام المؤقت لانتخاب أعضاء المجلس التأسيسي العراقي . وقد اعتمد هذا القانون على نظام الانتخابات الاقتراع المقيد، إذ كان الانتخاب حكراً على الذكور، والاقتراع تم بطريقة الاقتراع غير المباشر، وهو أن يقوم الناخب بانتخاب المنتخب الأول، والمنتخب الثاني ينتخبه الناخبون الأوائل، والانتخاب يتم عبر انتخاب المنطقة الانتخابية الواحدة . بعدها قانون انتخاب النواب لسنة 1924 والذي اعتمد نظام الأغلبية ذو الدور الاول للمرشح الذي يحصل على الأغلبية سيكون عضواً في المجلس، وقانون الانتخاب رقم 11 لسنة 1946، ويحسب لهذا القانون انه شهد تمثيلاً للأقليات واعتمد ذات التوزيع في الانتخابات التي سبقته ومرسوم الانتخاب رقم 6 لسنة 1952 وقد اعتمد هذا القانون نظاماً مزدوجاً بين نظام الأغلبية والتمثيل النسبي، إذ نصت المادة (الثانية والخمسون) (1): "يكون نائباً المرشح الذي نال العدد الأكبر من آراء الناخبين الذين أبدو آراءهم، بشرط أن لا يقل هذا العدد عن أربعين بالمائة من الآراء الصحيحة، فإذا لم يحصل أحد المرشحين في المرة الأولى، يعاد الانتخاب في المنطقة خلال مدة سبعة أيام بين المرشحين الذين حصلو على ما لا يقل عن عشرة بالمائة من آراء الناخبين، وفي المرة الثانية يكون نائباً المرشح الذي يحصل على العدد الأكبر من الآراء الصحيحة" [34]، وجاء بالأحكام ذاتها للنظم الانتخابية قانون انتخاب رقم (53) لسنة 1956، وقانون انتخاب اعضاء مجلس الأمة رقم (7) لسنة 1967، وقانون المجلس الوطني

رقم (55) لسنة 1980، وقانون المجلس الوطني رقم (26) لسنة 1995، وبعد سقوط النظام صدر الامر رقم (96) الصادر عن سلطة الائتلاف المؤقتة قانون الانتخابات والذي جاء فيه في القسم (3) نظام التمثيل وفي الفقرة (3) عدّ العراق دائرة انتخابية واحدة، وتم توزيع مقاعد المجلس على الكيانات السياسية ووفق نظام التمثيل النسبي، وجاء في الفقرة (4) تعتمد الصيغة المستخدمة لتوزيع المقاعد في المجلس على أعضائه على حساب أولي يستخدم الحصص البسيطة، وعلى حسابات أخرى تالية تستخدم أكبر المتبقي . ويكون الحد الطبيعي، ويحسب بقسمة إجمالي عدد الأصوات السليمة والصالحة على 275، وقد تم اعتماد القائمة المغلقة في الانتخابات، وتم التوزيع حسب التسلسل في القائمة، والتي أوجبت فيها الفقرة (3) من القسم (4) أن يكون اسم إمراة على الأقل ضمن أول ثلاث أسماء، وفي انتخابات عام 2005 تم اصدار النظام رقم 8 لسنة 2004، والذي تم الإشارة فيه إلى تشكيل المفوضية العليا المستقلة للانتخابات بموجب الأمر رقم (92) في 31 أيار 2004 لتكون السلطة الوحيدة حصرياً بشؤون الانتخابات، وأشار النظام إلى عدّ انتخابات مجالس المحافظات والجمعية الوطنية في يوم واحد، كما اعتبر النظام في الفقرة (4) "تعتبر كل محافظة منطقة انتخابية واحدة لغرض انتخاب مجلس المحافظة فيها. وتوزَّع المقاعد في كل مجلس محافظة على الكيانات السياسية الفائزة وفق نظام التمثيل النسبي. وتوزع المقاعد بالطريقة نفسها التي اعتمدت لتوزيع المقاعد في انتخاب الجمعية الوطنية، وتخصص المقاعد على المرشحين الفائزين وليس على الكيانات السياسية التي ينتمون إليها"، وبعد أن أثبت النظام الانتخابي ولاسيما القائمة المغلقة التي دفعت لمجلس النواب مرشحين لا يعرفهم الناخب ، صار التعديل الانتخابي ليتم اعتماد القائمة المفتوحة، إذ تضمن الفصل الثالث المادة (9) يكون الترشيح وفق القائمة المفتوحة كما جاء في ثالثا من المادة (12) من قانون انتخاب مجالس المحافظات رقم 36 لسنة 2008 المعدل، إذ تضمنت "يسمح للناخب بالتصويت للقائمة المفتوحة أو لأحد المرشحين من القوائم المفتوحة المطروحة ضمن دائرته الانتخابية" [35].

وجاء في المادة (13) :

أولاً: تجمع الأصوات الصحيحة التي حصلت عليها القائمة المفتوحة في الدائرة الانتخابية وتقسم على القاسم الانتخابي لتحديد عدد المقاعد المخصصة لتلك القائمة.

ثانياً: توزع المقاعد على مرشحي القائمة المفتوحة ويعاد ترتيب تسلسل المرشحين استنادا إلى عدد الأصوات التي حصل عليها المرشح ويكون الفائز الأول هو من يحصل على أعلى عدد من الأصوات ضمن القائمة المفتوحة وهكذا بالنسبة لبقية المرشحين على أن تكون امرأة في نهاية كل ثلاثة فائزين بغض النظر عن الفائزين الرجال .

ثالثاً: توزع الأصوات التي حصلت عليها القائمة على مرشحي القائمة وفق الفقرة ثانياً أعلاه .
رابعاً: يجب أن يحصل مرشحوا القوائم المنفردة على ما يعادل القاسم الانتخابي في الأقل للحصول على المقعد و تهمل أصوات مرشحي القوائم المنفردة الزائدة على القاسم الانتخابي .
خامساً: تمنح المقاعد الشاغرة عند وجودها للقوائم المفتوحة الفائزة التي حصلت على أعلى عدد من الأصوات بحسب نسبة ما حصلت عليه من المقاعد لاستكمال جميع المقاعد المخصصة للدائرة الانتخابية .

أما المادة (14)، فجاء فيها :

أولاً: أذا حصل مرشحان أو أكثر من القوائم المختلفة على أصوات صحيحة متساوية وكان ترتيبهما الأخير ضمن الدائرة الانتخابية تقوم المفوضية بإجراء القرعة بينهم ويعتبر فائزا من تحدده القرعة .
ثانياً: إذا حصل مرشحان أو أكثر في ذات القائمة الانتخابية على أصوات صحيحة متساوية وكان ترتيبهما الأخير ضمن الدائرة الانتخابية فيتم اعتماد التسلسل المعتمد من قبل الكيان السياسي في القائمة الانتخابية لتحديد الفائز بالمقعد الانتخابي .

بينما تضمنت المادة (15):

أولاً: إذا فقد عضو المجلس مقعده لأي سبب كان يحل محله المرشح التالي له في عدد الأصوات الحاصل عليها في قائمته وإذا كان العضو ضمن قائمة منفردة يصار إلى انتخابات تكميلية ضمن الدائرة الانتخابية ذاتها .
ثانياً: إذا كان المقعد الشاغر يخص إمرأة فلا يشترط أن تحل محلها إمرأة أخرى إلا إذا كان ذلك مؤثراً على نسبة تمثيل النساء.

وبذلك منح القانون هيمنة القائمة التي تمثل الأحزاب على القائمة المنفردة ولاحظنا كيف أن بعض القوائم المنفردة وبعض الأحزاب حصل بعض المرشحين فيها على أصوات كبيرة إلا أنه لم يوفق ليكون نائباً لعدم حصول قائمته على القاسم الانتخابي، وبرزت كذلك مشكلة المقاعد التعويضية التي طبقا للنظام الانتخابي أضيفت إلى القوائم الفائزة الكبيرة، وفي كثير منها منحت لمرشحين لم يحصلو على أصوات كافية تؤهلهم ليكونو في البرلمان [36].

إن التجارب الانتخابية تؤكد تعديل النظام الانتخابي بما يحقق العدالة ويزيل الهيمنة الواضحة لقوائم الأحزاب، وان يعتمد نظام انتخابي يحقق العدالة .

ثالثاً: قانون الانتخابات لعام 2018

ازدادت دعوات ضرورة الإصلاح السياسي في العراق من قبل شرائح اجتماعية مختلفة، ونخب أكاديمية وسياسية، وحاولت بعض الأحزاب والحركات السياسية التوافق مع دعوات الإصلاح السياسي،

وبدأت بطرح بعض الحلول الترقيعية، بتغيير هذا الوزير أو ذاك، ووصل الأمر بالبعض للدعوة بتغيير الكابينة الوزارية لحكومة الدكتور حيدر العبادي، وكأن المشكلة بشخص الوزير، وليس في أصل العملية التي جاءت بالوزير، وجعلته أداة طيعة بيد رئيس الحزب أو الكيان السياسي الذي جاء به . وبعد أن أخذت الاحتجاجات مديات غير متوقعة للطبقة السياسية من خلال دعم السيد مقتدى الصدر لها أولاً، ومن ثم اعتصامه داخل المنطقة الخضراء، تلك الخطوة التي فاجأت القائمين على العملية السياسية، وفي رد فعل متوقع من الطبقة السياسية، وقع بعض من قادة الكتل برعاية الرئاسات الثلاث ما أسموه بـ (وثيقة الشرف)، في محاولة لتهدئة الشارع العراقي، ولكنها تمثل التفافاً واضحاً على إرادة الشعب عموماً، والمتظاهرين والمعتصمين خصوصاً [37].

ولكن يبقى السؤال الأهم هو : هل أن الاصلاح الحقيقي يتمثل بتغيير هذا الوزير أو ذاك ؟ أو تغيير الكابينة الوزارية بكاملها والمجيء بوزراء تكنوقراط حقيقيين ؟ أو حتى تغيير رئيس الوزراء بشخصية أخرى ؟

بالتأكيد إن كل تلك الخيارات هي حلول غير عملية، وغير منطقية، ولن تنتج تغييراً حقيقياً، أو إصلاحاً منشوداً من قبل الشعب العراقي الذي ذاق الأمرين منذ عقود عدة .

ازدادت القناعة بإن إصلاح العملية السياسية برمتها، لا يتم إلا من خلال تشريع قانون جديد للانتخابات يدرس بعناية فائقة، ولابد من التذكير بأن الحركة الوطنية في العراق ناضلت أكثر من عقدين من الزمن بعد تأسيس الدولة العراقية الحديثة في عام 1921 ، ومنذ عام 1925 ولغاية 1946 ، لكي تستحصل أهم مكسب لها وللشعب العراقي، والمتمثل بقانون الانتخابات الذي غيّر كثيراً من شكل العملية السياسية في العراق الملكي، وتمثل ذلك المكسب بتصغير الدوائر الانتخابية، وسن قانون أكثر تعبيراً عن إرادة الناخب .

لقد بدأت التجربة الانتخابية في العراق بعد التغيير في 2003 بأن جعلت العراق منطقة انتخابية واحدة، وعلى الرغم من التبريرات التي قدمت في حينها، إلا أن ما جرى كان خطأ لا يغتفر . وبعدها تم عدّ كل محافظة منطقة انتخابية، فضلاً عن أن القانون صمم بطريقة بارعة لخدمة مصالح الكتل الكبيرة لكي تبتلع الكتل الصغيرة، وذلك القانون، أي قانون الانتخابات، أنتج لنا عملية سياسية عرجاء لم ولن تنفع معها أي إجراءات لتعديل مساراتها، إلا بإعادة تصميم النظام الانتخابي لكي ينتج نتاجاً معبراً عن رغبات وطموحات الناخب العراقي [38].

لذلك كان لابد من السعي لتشريع قانون انتخابات جديد يصغر الدائرة الانتخابية إلى مستوى القضاء والناحية، وأن يعطى لكل قضاء أو ناحية عدد من النواب يوازي عدد سكان ذلك القضاء وفق القانون، وإن ذلك الإجراء سيسهل على الناخب اختيار الأصلح والأفضل، فبالتأكيد إن الناخب في مدينة

الصدر أو الأعظمية أو الشطرة أو غماس أو المقدادية أو هيت أو تكريت أو الموصل أو جمجمال أو دهوك أو الحمدانية أو الزبير أو غيرها من مدن العراق وقصباته، لن ينتخب إلا المرشح المعروف لديه، والذي يعتقد أنه سيمثله أحسن تمثيل، ولن ينتخب شخصاً لا يعرفه وليس من مدينته، لاسيما وأن بعض المرشحين في الدورات السابقة ترشحوا عن محافظات لم يزوروها بحياتهم . وأن يتم حساب الفائز في كل دائرة انتخابية لمن يحصل على أعلى الأصوات في تلك الدائرة، فإذا كانت تلك الدائرة تنتج نائبين، يتم أخذ أعلى مرشحين، وليس أعلى الكيانات السياسية، وبذلك سيكون المواطن هو المسؤول عن اختيار أعضاء مجلس النواب.

بيد أن تلك الدعوات تم الالتفاف عليها، وجرت الانتخابات البرلمانية العراقية في 12 مايس 2018، على وفق القانون الذي أصدره مجلس النواب العراقي في 22 كانون الثاني 2018، والقانون هو بمثابة تعديل لقانون انتخابات مجلس النواب العراقي رقم (45) لسنة 2013، وأضاف القانون الجديد مقعداً برلمانياً للكرد الفيليين في محافظة واسط، ليصبح عدد أعضاء مجلس النواب العراقي (329) نائباً، أما أهم تعديل فكان في المادة (4) التي عدلت البند (أولاً) من المادة (14) التي قررت اعتماد نظام سانت ليغو المعدل بنسبة (1,7) ، وهو التعديل الذي أثار كثر من اللغط والاعتراضات الشعبية، لأنه لن يحقق العدالة بين الأحزاب السياسية المتنافسة، ويخدم الأحزاب الكبيرة والمتهمة أصلاً بالفساد والاستحواذ على السلطة . فضلاً عن المادة (5) التي ألغت المادة (38) وأحلت محلها أن عملية الفرز والعد تجري باستخدام جهاز تسريع النتائج الالكتروني .

وبعد أن أجريت العملية الانتخابية وإعلان نتائجها حدثت إشكالات قانونية وسياسية كبيرة جداً نتيجة القصور الواضح في القانون، وتم الطعن بنزاهة المفوضية المستقلة للانتخابات، فضلاً عن الطعن بنزاهة العملية الانتخابية برمتها، لذلك لجأ مجلس النواب في أيامه الأخيرة، وقبل انتهاء مدة عمله إلى تعديل قانون الانتخابات من جديد وسحب يد المفوضية، وتكليف مجلس القضاء الأعلى بتشكيل مفوضية جديدة من القضاة تكون مؤلفة من تسعة قضاة، واعتماد الفرز والعد اليدوي، وقد أيدت المحكمة الاتحادية دستورية ذلك التعديل .

وبالفعل تم سحب يد أعضاء المفوضية المستقلة للانتخابات، وتم تشكيل مفوضية جديدة من القضاة، وتم إلغاء اعتماد النتائج المعلنة، واللجوء إلى العد والفرز اليدوي بدلاً عن الالكتروني المقرر وفق قانون الانتخابات .

الخاتمة :

إن صياغة قانون انتخابي عادل يعدّ من أهم متطلبات تحقيق نظام ديمقراطي مُعبّر، على الرغم من أنه ليس هناك نظام انتخابي مثالي لا يخلو من العيوب والهنات، وتطبيق أي نظام انتخابي لا يكون بوصفه النظام الأمثل، ولكن الأنسب والأكثر قابلية للتطبيق .

وعلى الرغم من كثرة المطالبات بإجراء إصلاح حقيقي على العملية السياسية في العراق، وكثرة دعوات الإصلاح، إلا إننا نجد أن الغالبية العظمى منهم متمسكون بمسارات العملية السياسية الحالية ومكتسباتها الشخصية والحزبية لهم وحسب، ولا يهمه إجراء إصلاح حقيقي على أرض الواقع، خشية أن يزيحهم ذلك الاصلاح والتغيير .

لذلك اعتقد أن الحل الأمثل، إذا ما شاءت الطبقة السياسية بإصلاح العملية السياسية يتمثل بتشريع قانون انتخاب معبّر عن الإرادة الشعبية، وأن يتم إقرار مبدأ الانتخاب الفردي، وتصغير الدائرة الانتخابية على مستوى الناحية والقضاء .

وما تقدم هو مقترح لقانون انتخابي استلهمناه من تجارب تاريخ العراق المعاصر، فالشعوب الحية تبني تجاربها الحضارية والسياسية من خلال تراكم البناء، واستلهام التجارب السابقة لبناء مستقبل أفضل .

وعلى الرغم من كثرة الآراء التي طرحها العديد من الأكاديميين وقادة الرأي في البلد، إلا أن مجلس النواب لم يأخذ بكل ذلك، وفي كل تجربة انتخابية يشرع قانون يتوافق مع مصالحه الحزبية الضيقة، مما أدخل البلد في العديد من المتاهات السياسية المعقدة بعد الانتخابات .

قائمة المصادر :

أولاً : الوثائق المنشورة

1- دار الكتب والوثائق، محاضر مجلس النواب، الدورة الانتخابية العاشرة، الاجتماع الاعتيادي لسنة 1945، الجلسة السادسة والثلاثون، 13 آذار 1946.

ثانياً: الكتب العربية

2- أياد البرغوثي وآخرون، النظم الانتخابية في العالم، تحرير نظام رفيق عباس، مركز عمان لحقوق الإنسان، عمان، 2007.

3- توفيق السويدي، مذكراتي : نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية، دار الكاتب العربي، بيروت، 1969.

4- جعفر عباس حميدي، التطورات والاتجاهات السياسية الداخلية في العراق 1953-1958، بغداد، 1980.

5- جعفر عباس حميدي، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري 1958-1968، بيت الحكمة، بغداد، 2004 .
6- رياض غازي البدران، النظام الانتخابي في العراق وأثره في عملية التحول الديمقراطي، مؤسسة ثائر العصامي، بغداد، 2016.
7- ـــــــ، سوسيولوجيا السلوك الانتخابي في العراق دراسة في الانتخابات النيابية 2014، مؤسسة ثائر العصامي، بغداد، 2016.
8- زكي صالح، مقدمة في دراسة العراق المعاصر، مطبعة الرابطة، بغداد، 1953.
9- ستار جبار الجابري، سعد صالح ودوره السياسي في العراق، مطبعة المشرق، بغداد، 1997.
10- ستيفن همسلي لونكريك، العراق الحديث من سنة 1900-1950، ترجمة سليم طه التكريتي، دار الفجر للنشر والتوزيع، بغداد، 1988.
11- عادل غفوري خليل، أحزاب المعارضة العلنية في العراق 1947-1954، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بغداد، 1984.
12- عبد الأمير هادي العكام، الحركة الوطنية في العراق 1921-1933، مطبعة الآداب، النجف، 1975.
13- عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج 3، ط 7، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989.
14- عصام سليمان، الأنظمة الانتخابية بين النظرية والتطبيق، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2010.
15- عصام نعمة إسماعيل، النظم الانتخابية، منشورات زين الحقوقية، لبنان، 2009.
16- وليد كاصد الزيدي، الأطر القانونية للانتخابات في العراق 1924-2014، دار السنهوري، بيروت، 2018.

ثالثاً: الكتب الأجنبية

17- Khadduri, Majid. Independent Iraq 1932-1958, Second Edition, Oxford University Press, 1960, p. 304 .

رابعاً: المقابلات الشخصية

18- مقابلة شخصية للباحث مع المؤرخ السيد عبد الرزاق الحسني في داره ببغداد في 11 أيار 1996.

خامساً : المقالات المنشورة

19- ستار جبار الجابري، صياغة قانون جديد للانتخابات ضرورة لتعديل مسارات العملية السياسية في العراق، نشرة قضايا سياسية، مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية، العددان الرابع والخامس، نيسان/ أيلول 2017.

الهوامش:

[1] عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج 3، ط 7، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989، ص 272-273 .

[2] المصدر نفسه، ص 273 .

[3] وليد كاصد الزيدي، الأطر القانونية للانتخابات في العراق 1924-2014، دار السنهوري، بيروت، 2018، ص 107 .

[4] عبد الأمير هادي العكام، الحركة الوطنية في العراق 1921-1933، مطبعة الآداب، النجف، 1975، ص 43.

[5] ستار جبار الجابري، سعد صالح ودوره السياسي في العراق، مطبعة المشرق، بغداد، 1997، ص 63 .

[6] وليد كاصد الزيدي، المصدر السابق، ص 108-109 .

[7] جعفر عباس حميدي، التطورات والاتجاهات السياسية الداخلية في العراق 1953-1958، بغداد، 1980، ص 78-79 .

[8] وليد كاصد الزيدي، المصدر السابق، ص 112 .

[9] مقابلة شخصية للباحث مع المؤرخ السيد عبد الرزاق الحسني في داره ببغداد في 11 أيار 1996 .

[10] ستار جبار الجابري، المصدر السابق، ص 127 .

[11] بعد تعديل الدستور عام 1943، أبدت وزارة نوري السعيد السابعة استعدادها لإصلاح قانون الانتخاب لسنة 1942، فشكلت لجنة برئاسة توفيق السويدي وعضوية كل من نصرت الفارسي ومحمد رضا الشبيبي وكامل الجادرجي ومصطفى العمري وصادق البصام ومعهم البريطانيين إدوارد وإدموندس، فعقدت اللجنة أربعة عشر اجتماعاً ما بين (20 تشرين الثاني1943 و 30 حزيران 1944)، فتباينت آراء الأعضاء، ولم يتم الاتفاق إلا على ثلاثة أمور، وهي تحديد موعد الانتخابات، وإعلان أسماء المرشحين سلفاً، وذلك لما يكتنف هاتين القضيتين من غموض وكتمان إلى يوم الانتخاب، مما يفسح المجال أمام التدخل الحكومي، أما المسألة الثالثة فهي تصغير الدوائر الانتخابية، وما أن أعدت وزارة السعيد اللائحة حتى تنحت عن الحكم، فأهملت اللائحة خلال عهد وزارتي حمدي الباجه جي الأولى والثانية، حتى جاءت وزارة توفيق السويدي الثانية التي أحيت اللائحة .

ينظر : زكي صالح، مقدمة في دراسة العراق المعاصر، مطبعة الرابطة، بغداد، 1953، ص 119-120 .

[12] لمزيد من التفاصيل ينظر: توفيق السويدي، مذكراتي : نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية، دار الكاتب العربي، بيروت، 1969، ص 441 ؛ عادل غفوري خليل، أحزاب المعارضة العلنية في العراق 1947-1954، المؤسسة العرلبية للدراسات والنشر، بغداد، 1984، ص 220 ؛ ستيفن همسلي لونكريك، العراق الحديث من سنة 1900-1950، ترجمة سليم طه التكريتي، دار الفجر للنشر والتوزيع، بغداد، 1988، ج 2، ص 545 .

[13] دار الكتب والوثائق، محاضر مجلس النواب، الدورة الانتخابية العاشرة، الاجتماع الاعتيادي لسنة 1945، الجلسة السادسة والثلاثون، 13 آذار 1946، ص 356 .

[14] Khadduri, Majid. Independent Iraq 1932–1958, Second Edition, Oxford University Press, 1960, p. 304 .

[15] صدر بصفة مرسوم وليس قانون لأنه صدر فقط بموافقة الملك بإرادة ملكية من دون تشريعه في مجلس الأمة (النواب والأعيان)، لكون الدورة الانتخابية لمجلس النواب كانت قد انتهت .

[16] وليد كاصد الزيدي، المصدر السابق، ص 133–134 .

[17] المصدر نفسه، ص 136 .

[18] ينظر: جعفر عباس حميدي، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري 1958–1968، بيت الحكمة، بغداد، 2004.

[19] وليد كاصد الزيدي، المصدر السابق، ص 165 .

[20] المصدر نفسه، ص 166 .

[21] المصدر نفسه، ص 232 .

[22] ينظر : المصدر نفسه ، ص 237–246 .

[23] اعتمدت آلية توزيع المقاعد على القوائم المتنافسة في الدائرة الانتخابية بالشكل الآتي :

(أ) تقسيم الأصوات الصحيحة للقوائم المتنافسة على الأعداد التسلسلية (1،3،5،7،9،11، 15،17، .... الخ) وبعدد المقاعد المخصصة للدائرة الانتخابية .

(ب) توزع المقاعد داخل القائمة بإعادة ترتيب تسلسل المرشحين استناداً إلى عدد الأصوات التي حصل عليها كل مرشح، ويكن الفائز من يحصل على أعلى الأصوات .

(ج) في حالة تساوي أصوات المرشحين لنيل المقعد الأخير يتم اللجوء إلى القرعة بحضور المرشحين أو ممثلي الكتل المعنية .

[24] عصام نعمة إسماعيل، النظم الانتخابية، منشورات زين الحقوقية، لبنان، 2009، ص 16.

[25] رياض غازي البدران، النظام الانتخابي في العراق وأثره في عملية التحول الديمقراطي، مؤسسة ثائر العصامي، بغداد، 2016، ص 30 .

[26] المصدر نفسه، ص 30–31 .

[27] عصام سليمان، الأنظمة الانتخابية بين النظرية والتطبيق، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2010، ص 79 .

[28] رياض غازي البدران، المصدر السابق، ص 32 .

[29] المصدر نفسه، ص 33–36 .

[30] أياد البرغوثي وآخرون، النظم الانتخابية في العالم، تحرير نظام رفيق عباس، مركز عمان لحقوق الإنسان، عمان، 2007، ص 169–174 .

[31] المصدر نفسه .

[32] رياض غازي البدران، المصدر السابق، ص 48 .

[33] لمزيد من التفاصيل ينظر : رياض غازي البدران، سوسيولوجيا السلوك الانتخابي في العراق دراسة في الانتخابات النيابية 2014، مؤسسة ثائر العصامي، بغداد، 2016، ص 310 .

[34] حول تلك التجارب الانتخابية، ينظر: جعفر عباس حميدي، التطورات السياسية، ص 77 .

[35] لمزيد من التفاصيل، ينظر: رياض غازي البدران، النظام الانتخابي في العراق، ص 49 .

[36] ينظر: رياض غازي البدران، سوسيولوجيا السلوك الانتخابي في العراق، ص 312 .

[37] ستار جبار الجابري، صياغة قانون جديد للانتخابات ضرورة لتعديل مسارات العملية السياسية في العراق، نشرة قضايا سياسية، مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية، العددان الرابع والخامس، نيسان/ أيلول 2017 ، ص 7 .

[38] المصدر نفسه، ص 8 .

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

م.م أميرة حسن جفات عويز
أ.د. أحمد ناطق إبراهيم العبيدي
جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم التاريخ
ايميل الباحثة: Ameeraalhusseny@gmail.com

The Diyala Fixed Dam Project (1928-1946)
"A Historical Study"

M.A. Ameera Hasan chfat Aweez
Dr. Ahmed Nateq Ibrahim Al-Obaidi
University of Baghdad - College of Arts - Department of History

الاستلام(Received) : 2026 / 04/ 26 التعديل (Revision) : 2026 / 05/21
القبول(Accepted) : 2026 /06/ 02 النشر (Published) :2026/ 09/30

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المستخلص

شهد العراق إبّانَ العهد الملكي اهتماماً متزايداً بمشاريع الريّ والسيطرة على الفيضانات، بوصفها ضرورة حيوية لاستقرار الزراعة وحياة السكان. وبرز نهر ديالى كأحد الروافد المهمة لنهر دجلة التي عانى حوضه من تقلبات منسوب المياه وتكرار الغمر الزراعي. وفي هذا السياق بادرت الحكومة العراقية إلى التفكير بمشاريع إروائية حديثة للحد من تلك المشكلات. وكان من أبرز هذه المشاريع مشروع "سد ديالى الثابت" الذي مثّل تجربة رائدة في تاريخ إدارة المياه في البلاد.

يتناول هذا البحث مشروع سد ديالى الثابت بين عامي (1928-1946) بوصفه أحد المشاريع الإروائية المهمة في العراق إبّانَ العهد الملكي. ويوضح البحث أسباب إنشاء السد لمعالجة مشكلات الريّ وتنظيم مياه نهر ديالى التي أثرت في الأراضي الزراعية وأوضاع الفلاحين. كما يناقش المشكلات الفنية التي واجهت المشروع منذُ افتتاحه، ولاسيّما رداءة التصميم والمواد المستخدمة التي أدت إلى تعرضه للتشققات والانهيار بفعل فيضان عام 1935. ويتناول أيضاً جهود الحكومة العراقية في إعادة تعمير السد، وتشكيل اللجان الفنية للتحقيق في أسباب فشل المشروع، ووضع تصاميم جديدة لمعالجته. ويخلص

البحث إلى أن مشروع سد ديالى مثل تجربة مهمة في تطور مشاريع الريّ الحديثة في العراق، رغم ما واجهه من تحديات هندسية وإدارية كبيرة.

الكلمات المفتاحية: (العهد الملكي- سد ديالى الثابت- الفيضانات- مشاريع الريّ- نهر ديالى)

Abstract

During the monarchy, Iraq witnessed a growing focus on irrigation and flood control projects, recognizing their vital importance for agricultural stability and the well-being of the population. The Diyala River emerged as a crucial tributary of the Tigris, its basin suffering from fluctuating water levels and frequent agricultural flooding. In response, the Iraqi government initiated modern irrigation projects to mitigate these problems. Among the most prominent of these was the Diyala Fixed Dam project, a pioneering initiative in the history of water management in the country.

This research examines the Diyala Fixed Dam project (1928-1946) as one of the most important irrigation projects in Iraq during the monarchy. It explains the reasons for constructing the dam to address irrigation problems and regulate the Diyala River's water flow, which had impacted agricultural lands and the livelihoods of farmers. The research also discusses the technical problems that plagued the project with its inception, particularly the poor design and materials used, which led to cracks and collapses during the 1935 flood. Furthermore, it addresses the Iraqi government's efforts to rebuild the dam, the formation of technical committees to investigate the project's failures, and the development of new designs to address the issues. The research concludes that the Diyala Dam project represented a significant experiment in the development of modern irrigation projects in Iraq, despite the considerable engineering and administrative challenges it faced.

Keywords: (Royal Era - Diyala Fixed Dam - Floods - Irrigation Projects - Diyala River)

المقدمة

شكّلت الموارد المائية أحد المرتكزات الأساسية في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في العراق، ولا سيّما إبّانَ العهد الملكي، لما ارتبطت به من أهمية مباشرة في تنمية النشاط الزراعي وتأمين استقرار السكان وحماية الأراضي الزراعية من أخطار الفيضانات. وقد أولت الحكومة العراقية منذُ تأسيس الدولة العراقية الحديثة اهتماماً متزايداً بمشروعات الريّ وتنظيم الأنهار، إدراكاً منها لأهمية السيطرة على المياه وتوزيعها بصورة أكثر انتظاماً على الأراضي الزراعية، ولا سيّما في المناطق التي كانت تعتمد بصورة أساسية على مياه الأنهار في نشاطها الزراعي.

ويأتي نهر ديالى في مقدمة الأنهار التي ارتبطت بها مشكلات الريّ في العراق، إذ كان من الروافد المهمة لنهر دجلة، واعتمدت عليه الأراضي الزراعية في لواء ديالى، الذي عُرف بكثرة بساتينه

ومزارعه، ولا سيّما بساتين الحمضيات. وكانت كمية مياه النهر تتأثر بالأمطار الشتوية وذوبان الثلوج، الأمر الذي أدى إلى تذبذب مناسيب المياه وعدم انتظامها، فضلاً عن تعرض الأراضي الزراعية للغمر والفيضانات في بعض المواسم. وقد انعكست هذه الظروف على أوضاع الفلاحين وحياتهم المعيشية، مما دفع الحكومة العراقية إلى البحث عن وسائل أكثر استقراراً لمعالجة مشكلات الريً وتنظيم مياه النهر.

وفي هذا السياق برز مشروع سد ديالى الثابت بوصفه إحدى المحاولات المهمة التي اتجهت إليها الحكومة العراقية لمعالجة مشكلات الريّ في لواء ديالى وتنظيم مياه نهر ديالى. وقد بدأت أولى محاولات إنشاء السد عام 1928، وافتتح في الرابع والعشرين من أيلول من العام نفسه، إلا أن المشروع واجه منذُ بدايته مشكلات فنية تمثلت بظهور التشققات في طبقة التكسية الخرسانية نتيجة تأثرها بدرجات الحرارة ورداءة المواد المستخدمة في الإنشاء. وعلى الرغم من معالجة تلك التشققات، فإن السد ظل عرضة للمشكلات، إلى أن جاء فيضان عام 1935 فأدى إلى انجرافه وتخريبه بصورة كبيرة، الأمر الذي أعاد مشكلة الريّ في لواء ديالى إلى الواجهة من جديد.

وقد أثار انهيار السد جملة من التساؤلات بشأن الأسباب التي أدت إلى فشل المشروع، ولا سيّما ما يتعلق بالتصميم والمواد المستخدمة ومدى ملاءمتها لطبيعة المشروع وظروف النهر والفيضانات. كما دفعت هذه المشكلة الحكومة العراقية إلى اتخاذ إجراءات لإعادة إعمار السد، ورصدت مبلغاً قدره (17,000) دينار لهذا الغرض عام 1936، إلا أن محاولة الإعمار لم تحقق النتائج المطلوبة بسبب تأخر تنفيذ الأعمال ودخول موسم الأمطار، مما أدى إلى تسرب المياه وانكسار أجزاء من الطبقة الكونكريتية وانخسافها. وقد ترتب على ذلك تشكيل لجنة فنية في وزارة الاقتصاد والمواصلات عام 1937 للتحقيق في أسباب فشل مشروع الإعمار ودراسة التصاميم المعتمدة واقتراح الحلول المناسبة.

ومن هنا تتحدد إشكالية البحث في محاولة الكشف عن طبيعة مشروع سد ديالى الثابت، والأسباب التي دفعت الحكومة العراقية إلى إنشائه، ومدى نجاحه في تحقيق الغاية التي أُنشئ من أجلها، فضلاً عن الوقوف على العوامل التي أسهمت في فشله وانهياره، والإجراءات التي اتخذتها الحكومة العراقية لمعالجة تلك الإخفاقات. كما تتصل الإشكالية بمدى تأثير الجوانب الفنية والإدارية والمالية في مسار المشروع، ولا سيّما أن اللجنة التي شُكّلت للتحقيق في فشل إعادة الإعمار أرجعت جانباً من أسباب الانهيار إلى ضعف التصميم وطبقة الإكساء الكونكريتية، في حين أشار المقاول إلى تأخر وصول المواد الإنشائية ودخول موسم الأمطار بوصفهما من أسباب تعثر العمل.

وعليه، يسعى البحث إلى الإجابة عن عدد من التساؤلات الرئيسة، من أبرزها: ما الأسباب التي دفعت الحكومة العراقية إلى إنشاء سد ديالى الثابت عام 1928؟ وما الدور الذي كان يؤديه السد في تنظيم مياه نهر ديالى وخدمة الأراضي الزراعية؟ وما أبرز المشكلات الفنية التي واجهت المشروع منذ

إنشائه؟ وما الأسباب التي أدت إلى انهياره بفعل فيضان عام 1935؟ وكيف تعاملت الحكومة العراقية مع مشكلة انهياره؟ وما دور اللجان الفنية والمقاولين والشركات الأجنبية في محاولات إعادة إنشائه؟ وإلى أي مدى أسهمت التعديلات في التصميم واختيار موقع السد والشركات المنفذة في الوصول إلى إنشاء جديد للسد؟

وتتضح أهمية هذه الإشكالية في أن مشروع سد ديالى الثابت لم يكن مجرد منشأة مائية، بل مثّل تجربة من تجارب الدولة العراقية في مجال إدارة الموارد المائية وتنفيذ مشاريع الريّ الحديثة. فقد شهدت عملية إعادة إنشائه تعديلات في التصميم والاستعانة بالخبرات الهندسية البريطانية، كما مرت عملية التنفيذ بمراحل متعددة ارتبطت بالمناقصات واختيار الشركات وتحديد الكلف ومدد الإنجاز. وقد اكتمل المشروع بصورة نهائية في أواخر عام 1940، واختير موقعه في منطقة منصورية الجبل بما يكفل تجهيز المزارع والجداول بالمياه، وأسهم في رفع مستوى مياه نهر ديالى وتوفير المياه للجداول المتفرعة منه.

ولا تنتهي إشكالية المشروع عند إعادة إنشائه، إذ تعرضت بعض أقسام سد ديالى الثابت للانهيار عقب فيضان عام 1946، نتيجة ارتفاع مناسيب المياه وقوة التصريف، مما استدعى قيام مديرية الريّ العامة بإعادة تعمير القسم المنهار وتثبيت كتل خرسانية كبيرة بدلاً من الكتل الصغيرة التي انهارت. ويكشف ذلك عن استمرار التحديات التي واجهت المشروع حتى بعد إعادة إنشائه، ويؤكد أهمية دراسة السد ضمن سياق تطور مشاريع الريّ في العراق خلال العهد الملكي، وما رافقها من محاولات للتوفيق بين الحاجة إلى تنظيم المياه وبين الإمكانات الفنية والإدارية والمالية المتاحة آنذاك.

وبذلك تنطلق الدراسة من إشكالية أساسية مفادها أن مشروع سد ديالى الثابت مثّل محاولة حكومية لمعالجة مشكلات الريّ وتنظيم مياه نهر ديالى، إلا أن مساره لم يكن خالياً من الإخفاقات والتحديات الفنية والإدارية، الأمر الذي يستدعي دراسة مراحل إنشائه وإخفاقاته وإعادة إعماره والنتائج التي أفضى إليها، للكشف عن طبيعة التجربة التي مثّلها في تاريخ مشاريع الريّ الحديثة في العراق إبّانَ العهد الملكي

مشروع سد ديالى الثابت (1928- 1946)

تعتمد أراضي لواء ديالى الزراعية على نهر ديالى[1] الذي تتأثر كمية مياهه بالدرجة الأولى بكمية سقوط الأمطار في فصل الشتاء أو ذوبان الثلوج على جبال زاكروس في فصل الربيع وأوائل فصل الصيف، لذا فقد تستخدم مياه النهر في ريّ البساتين والمزارع في ذلك اللواء الذي اشتهر بكثرة بساتينه ولاسيّما الحمضيات[2]. ولكن بسبب عدم تنظيم مياه النهر وتقسيمه على الأراضي الزراعية تضررت أراضي الفلاحين وتدهورت حالتهم المعيشية، لذلك سعت الحكومة العراقية منذُ أوائل قيام الدولة العراقية

إلى إيجاد حلول لتلك المشكلة، ولكن معالجتها للموضوع كان بشكل وقتي اذ سرعان ما تتكرر ذات المشكلة في كل موسم زراعي[3].

ويلاحظ ان أول محاولة قامت بها الحكومة العراقية لمعالجة المشكلة كانت في عام 1928، وذلك **بإنشاء سد ديالى الثابت**[4] الذي تم افتتاحه في الرابع والعشرين من أيلول من العام نفسه، ولكن سرعان ما ظهرت فيه مشكلة عند الأيام الأولى من إنجازه، نتيجة لرداءة المواد المستخدمة في بناءه، إذ ظهرت شقوق صغيرة على سطح خرسانة التكسية نظراً لتأثرها بدرجة حرارة الطقس، ولكن تم إصلاح تلك الشقوق وبقيت تراقب من قبل دائرة الريّ باعتناء[5]، وعلى أية حال فقد أثر فيضان عام 1935 على سد ديالى الثابت وأدى إلى إنجرافه وتخريبه بشكل تام، فتردت أحوال الريّ في لواء ديالى وظهرت مشاكل الفلاحين مرة أخرى[6]. وتعالت أصوات أعضاء مجلس النواب للمطالبة في إيجاد الحلول بالسرعة الممكنة، إذ وجه حميد الحسن[7] نائب ديالى في مجلس النواب سؤاله إلى محمد أمين زكي[8] وزير الاقتصاد والمواصلات (4 آذار 1935– 29 تشرين الأول 1936) في الجلسة المنعقدة في السادس عشر من كانون الثاني 1936، برغبته بالتعرف على التدابير التي ستتخذ من قبل الحكومة قبل حصول الأضرار بشكل أكبر وأخطر مما قد يجري آنذاك؛ وقد أجاب الوزير بأن الحكومة مهتمة بذلك الموضوع أشد الاهتمام وأنها سعت إلى تأمين تدفق المياه في الجداول[9] التي تغذي الاقضية والقرى في لواء ديالى، إلى حين إيجاد الوقت المناسب لتعمير السد أو بالأحرى إعادة بنائه من جديد[10].

وفعلاً رصدت الحكومة العراقية في الثالث والعشرين من أيار 1936، مبلغ قدره (17,000) دينار للتعمير **سد ديالى الثابت** وحددت البدء بالتعمير به في أوائل آب من العام نفسه. وفي الواقع، أن سبب اختيار شهر آب للبدء بإنشاء المشروع يعود إلى أن مياه النهر في ذلك الشهر تكون في أدنى مستوياتها ليسهل عملية البناء وإنجاز المشروع قبل بدء موسم الأمطار. وعلى اية حال، فقد احالت الحكومة المشروع إلى المقاول (المتعهد) موريس شوفان (Maurice Chauvin) على أن يتم إنجازه في مدة أقصاها ثلاثة أشهر، أي في الأول من تشرين الثاني من العام نفسه[11]، ولكن بسبب تأخر المقاول موريس وعدم إكماله العمل في الموعد المحدد، أفسح المجال للمياه في التسرب إلى ما تحت طبقة الكونكريت المسلحة بسبب دخول موسم الامطار وحصول الفيضان في الأول من كانون الأول الذى ادى بالتالي إلى الضغط على وجه الطبقة الكونكريتية التحتية الأمر الذي أدى إلى جرف بعض مواد الحشو وانكسار الطبقة الكونكريتية المذكورة ومن ثم انخسافها[12].

وعلى أثر فشل المشروع، تشكلت لجنة في ديوان وزارة الاقتصاد والمواصلات في السادس من شباط 1937، للنظر في الأسباب التي أدت إلى فشل مشروع تعمير **سد ديالى الثابت**، وقد حضرها كل من عبد الأمير الأزري[13] وكيل مدير الريّ العام، والمستر شارب (Mr. Sharp) رئيس مهندسي مديرية

الريّ العامة، وفاهي سفيان المهندس المسؤول عن مشاريع الريّ في لواء ديالى، وخليل كنا[14] مميز (المستشار) الامور الحقوقية في وزارة الاقتصاد والمواصلات، وفخري جميل الفخري[15] مميز (مستشار) الأمور الفنية في الوزارة نفسها، وبعد المناقشة وتدقيق التصاميم والمذاكرة بشأن الأسباب التي أدت إلى فشل التعمير اتخذت اللجنة قرارات عدة[16]:

أولاً: تبديل التصميم عند القيام بإعادة الإنشاء.

ثانياً: لقد أعزى السبب في انهيار السد وفشل المشروع إلى ضعف طبقة الاكساء الكونكريتية وهي الطبقة العليا من السدة الترابية وعدم تحملها للضغط الكبير مما أدى إلى تسريب المياه إلى السد الترابي، لذلك جاء التصميم الجديد بأن تكون سمك الطبقة الخارجية لسد بـ (15)سم بدلاً من (10)سم.

وعليه، فقد اعترفت مديرية الريّ العامة بأن سبب فشل المشروع يعود إلى رداءة التصميم الذي استخدم في انشاء المشروع والذي هو نفسه الذي عمل به في عام 1928، وتم انهياره في مدة زمنية قصيرة بسبب الفيضانات التي حصلت في عام 1935، والواقع أن رداءة التصميم جاء نتيجة لضعف التخصيصات المالية للمشروع التي لم تكن بالمستوى المطلوب من حيث تشييد مثل هذه المشاريع التي من المفترض ان يأخذ فيها جانب السلامة والأمان بنظر الاعتبار. وعليه فقد تقرر مبدئياً على أن كل الطرفين المتعاقدين يتحملون ذلك الضرر، ولذا فقد اوعز بتشكيل لجنة مؤلفة من الخمسة أشخاص الذين سبق ذكرهم لتقدير كلفت الضرر وبيان نسبة ما يجب أن يتحملها المتعهد من جميع الكلفة المقدرة[17].

ومن جانب اخر، فقد ادعى المقاول (المتعهد) موريس شوفان إن السبب في فشل المشروع وعدم إنجازه في وقته المحدد هو تأخير وصول المواد الإنشائية التي كان من المفترض انها تصل في الأول من آب 1936، الا انها وصلت في السادس من أيلول مع قرب موسم الامطار الخريفية، وأشار موريس بان السبب في التأخير هو إضراب العمال في بلجيكا[18]، وأن الشاحنات المخصصة لنقل مواد البناء قد استخدمها الجيش بالسخرة (عنوة) وفي الوقت الحرج من مما أضاع على المشروع "**الفرصة الذهبية**" وهي مدة انقطاع تدفق المياه في جدول النهر في فصل الصيف[19]. وعلى أية حال توصلت اللجنة بعد المناقشات والمذاكرة مع مهندس مشاريع الريّ الكبرى ريتشارد في العشرين من شباط 1937، بان كلفة الضرر التي اصابت مشروع سد ديالى هي (3,700) دينار كما وتقرر ايضاً وضع تصاميم جديدة للمشروع[20].

بدأت مديرية الريّ العامة في أواخر آذار 1938، بإحضار تصاميم جديدة لإعادة إنشاء سد ديالى الثابت، ورغبت في الاستعانة بالخبراء والمهندسين البريطانيين في لندن من أجل الحصول على تصاميم مدعومة من قبلهم، فقامت بمفاتحة المهندسين الاستشاريين البريطانيين بخصوص ذلك الموضوع، وقد أبدى المهندسون من جانبهم باستعدادهم على تقديم مخططات منقحة لمشروع سد ديالى

الثابت مع التعليمات اللازمة لتنفيذه لقاء مبلغ قدره (300) دينار، وقد اشترطوا أيضاً بأن يكون ذلك المبلغ صافي دون استقطاع ضريبة الدخل المفروضة في العراق. وعليه، فقد أرسلت مديرية الريّ العامة كتاباً إلى رئاسة مجلس الوزراء تطلب فيه الموافقة على دفع المبلغ المقترح من قبل المهندسين البريطانيين[21]، وبعد دراسة ذلك الموضوع في الجلسة المنعقدة في السادس من نيسان 1938، وافق المجلس على دفع المبلغ المشار إليه في حال أبدت وزارة المالية موافقتها على ذلك الامر، ومن جانب الأخيرة فقد اعربت عن عدم ممانعتها على منح ذلك المبلغ، واعفاء المهندسين البريطانيين من ضريبة الدخل المترتبة على المبلغ المشار إليه، بشرط أن تتحمل وزارة الاقتصاد والمواصلات دفعها وفقاً لأحكام قانون ضريبة الدخل [22].

واستناداً إلى ما سبق، فقد قامت مديرية الريّ العامة بدعوة إجراء المناقصات للقيام بمشروع سد ديالى الثابت على وفق المخططات المنقحة التي قدمها المهندسون البريطانيين فتقدمت ثلاثة شركات من أجل تنفيذ المشروع، وكانت شركة (برسو– ليبانو –سريان) الفرنسية (Berso Libano Syrian Company) هي الأقل سعراً من غيرها[23]. وعليه، رست لجنة المناقصات والمزايدات التابعة إلى وزارة الاقتصاد والمواصلات على تلك الشركة التي قدمت عطاءها البالغ (75,354) ديناراً وتعهدت بإنجاز المشروع في مدة أقصاها عشرون شهراً. فضلاً عن ذلك، فقد أوصت اللجنة بأن تقوم وزارة الاقتصاد والمواصلات بالتحقيق عن كفاءة الشركة من الوجهتين المالية والفنية قبل الموافقة على قرار الإحالة النهائية؛ وذلك بالنظر إلى أن الشركة المذكورة لم يسبق لها أن قامت بعمل في العراق ولم تكن معروفة فيه من قبل[24].

ومن الجدير بالذكر، أن تندر (Tender)[25] في الشركة الخاص بتنفيذ المشروع كانت قد عرضت تجهيز الإسمنت الخاص بالأعمال الإنشائية بأن يحفظ في أكياس ورقية، لكن مديرية الريّ العامة اعترضت على هذه الفقرة معللة ذلك بأن الإسمنت قد يتعرض للتلف والتكلس إذ ما تعرض للرطوبة او الأمطار، وبسبب عدم وجود مستودعات لحفظ أكياس الإسمنت، فقد أصرت على الشركة بأن يتم نقل الإسمنت من المعامل إلى موقع العمل في براميل حديدية أو خشبية، وعلى أثر هذه الجزئية أضافت الشركة مبلغ قدره (2,529) دينار كفروقات اضافية فأصبح مجموع مناقصتها(77.883) دينار[26].

ومن جانب آخر، ألزمت لجنة المناقصات والمزايدات في توصياتها إلى وزارة الاقتصاد والمواصلات بإجراء التحقيق فيما يتعلق عن سمعة الشركة الفنية والمالية، ومن جانبها قامت الوزارة بمفاتحة وزارة الخارجية، وعلى أثر ذلك قامت الأخيرة بالاستفسار من قنصليتها في كل من بيروت ودمشق، على اعتبار أن الشركة لديها مشاريع سابقة في كل من سوريا ولبنان[27]. ومهما يكن من الأمر،

فقد جاءت التقارير من كلا القنصليتين في سوريا ولبنان غير مشجعة إذ اتثبت إن لديها مشاريع تحيط حولها الشبهات[28].

وعلى الرغم من كثرة المناقشات حول ذلك الموضوع، إلا أن الحكومة العراقية رفضت الموافقة على المناقصة ووجه رستم حيدر[29] وزير المالية (25 كانون الأول 1938- 22 كانون الثاني 1940) كتاباً إلى سكرتارية مجلس الوزراء في الخامس من آذار1939، جاء به:

"ليس في القوانين النافذة المختصة ما يلزم الحكومة بإحالة تعهدات مشاريعها ولاسّيما الضخمة المهمة منها كالمشروع الموضوع البحث لمن يتقدم بأنسب الأسعار أو أوطئها بل يجب بالطبع ملاحظة اعتبارات أخرى وهي مقدرة المناقص المالية والفنية وسمعته واطمئنان الحكومة من تمكنه من إنجاز العمل بصورة مرضية ووافية بالغرض"[30].

وفي اوائل عام 1939، قررت وزارة الاقتصاد والمواصلات أن تغير الخطة لإنجاز مشروع سد ديالى الثابت، وذلك بإنشائه على وفق مرحلتين وعرضت المشروع في المناقصة فقدمت أربع شركات عطاءاتها[31]، واجتمعت لجنة المناقصات والمزايدات في الوزارة لترجيح إحدى هذه الشركات، إذ كانت شركة موريس شوفان وشريكه هي الأقل سعراً، فقد قدمت عطاءها بمبلغ يقدر بـ(17,685) ديناراً على أن تنجز المشروع في مدة أربعة أشهر ونصف. أما شركة بلفور وبيتي البريطانية فطلبت مبلغ قدره (18,771) ديناراً وبإنجازه في مدة أربعة أشهر فقط، ونظراً لأهمية إنجاز المشروع في أسرع وقت ممكن، لذا فقد استشارت لجنة المناقصات والمزايدات الهيئة الفنية في الدوائر المختصة في وزارة الاقتصاد والمواصلات وتوصلت إلى التوصية بإحالة مناقصة المشروع إلى عهدة شركة بلفور وبيتي المحدودة؛ وذلك كون إن المصلحة تقضي بوجوب الإسراع في المباشرة بالعمل وبالاستفادة من موسم الصيهود الحالي ابتغاء إكمال العمل قبل حلول موسم الفيضان المقبل، الذي يؤدي إلى ارتفاع مناسيب نهر ديالى ومن ثم تكون أعمال السد معرضة للأخطار وهو في مرحلة الانشاء، كما حصل في عام 1936، بعد أن داهمه الفيضان، الأمر الذي أدى إلى أضرار جمة إذ تعرض جزء منه إلى الانهيار[32].

ولكل ذلك، ابدت شركة موريس شوفان على تعديل مدة الإنجاز لتكون أربعة أشهر على غرار العرض الذي قدمته شركة بلفور وبيتي البريطانية مع بقاء نفس السعر البالغ (17.685) دينار،[33]. ولما كان العامل الأساسي الذي استندت عليه لجنة المناقصات والمزايدات في الوزارة في قرارها بترجيح شركة بلفور وبيتي كان قصر المدة المعينة من قبلها، ونظراً إلى أن عطاء الشركتين قد تعادل من حيث المدة الزمنية، وبما أن السعر المعروض من قبل شوفان وشريكه هو الأقل سعراً، لذلك فقد أوصت الوزارة بإحالة المناقصة إلى عهدة موريس شوفان على أن يتم العمل خلال أربعة أشهر من تاريخ تبليغ المقاول

الناجح بقبول عطائه[34]. وصدر قرار مجلس الوزراء في العشرين من حزيران 1939، بالموافقة على توصية وزارة الاقتصاد والمواصلات، وذلك حسب ما جاء من نصوص المقاولة المعقودة بين الوزارة وبين شركة موريس شوفان من حيث كلفة المشروع والمدة الزمنية[35].

ومن الجدير بالذكر، فقد بوشر في إنجاز المرحلة الأولى في سد ديالى الثابت من خلال تغيير مجرى النهر، من أجل تجفيف قاع النهر في المنطقة المراد إنجاز السد عليها، وذلك من خلال القيام بالأعمال الخرسانية وصب الركائز وتشكل هذه الأعمال أهمية كبيرة من أجل حماية الركائز من الفيضانات التي قد تتعرض لها في موسم الأمطار[36].

أما المرحلة الثانية لإنشاء سد ديالى الثابت، فقد طرحت وزارة الاقتصاد والمواصلات مناقصة المشروع في آذار عام 1940، فقدمت أربع شركات عطاءاتها وقد حصرت لجنة المناقصات والمزايدات في الوزارة النظر في إثنين منهما؛ عطاء شركة موريس شوفان وشريكه وعطاء حسن المخزومي وشريكة؛ وذلك لأن هذين العطائين جاءا أوطأ من العطائين الباقيين إذ أن عطاء شركة شوفان يبلغ (65,515) دينار، وعطاء شركة حسن المخزومي (52,359) دينار، وبالتالي فقد أحالت الوزارة المناقصة بعهدة شركة المخزومي وبلغت لجنة المناقصات والمزايدات في هذه الحالة وأوعزت إليها بتبليغ المقاول بموافقة هذه الوزارة على الإحالة والطلب إلى مديرية الريّ العامة المبادرة إلى عقد المقاولة اللازمة مع حسن المخزومي وفق الأصول المتبعة[37].

وعلى أية حال، فقد اكتمل مشروع سد ديالى الثابت بشكل نهائي في أواخر عام 1940، وقد اختير موقعه بعناية في منطقة منصورية الجبل[38] بحيث يكفل اعطاء التجهيزات المائية لجميع المزارع والجداول الكائنة على ضفتي النهر، إذ تقرر أن يكون موقع السد في موضع يقع عند صدور الجداول؛ الروز والهارونية وشهربان ومهروت وخريسان، كما تقرر أيضاً اتخاذ تدبير خاص يكفل إدخال جدول الخالص ضمن مجموعة الجداول المشمولة بهذا المشروع وعليه، فقد خضع جدول الخالص للمرة الأولى بنظام فني يقضي بتزويد الجدول بمقادير ثابتة من المياه. يعمل هذا السد على حجز مياه نهر ديالى ورفع مستواها لتسهيل مد تلك الجداول بالمياه الكافية طوال موسم السنة وبالأخص في موسم الصيهود، إذ إن هذا السد يرفع مستوى نهر ديالى إلى مترين ونصف المتر من مقدمته[39].

بلغ طول سد ديالى الثابت (410)م، وكله من خرسانة الإسمنت تخترقه ثلاثة خطوط من الركائز الحديدية ثبتت جميعها في القعر إلى أعماق المختلفة، أما الارضية فتتألف من الكتل الخرسانية، زنة الواحدة منها (600) كيلوغرام، ويرتفع هذا السد إلى منسوب (66)م فوق مستوى سطح البحر وهو أعلى من السد الذي كان قد أنشئ في عام 1928 بنصف متر، وتحجز المياه عادة خلال موسم الصيف بواسطة هذا السد فتحول كل مياه النهر إلى الجداول المتفرعة من أمامه، أما في موسم الفيضان فتصب

المياه من فوقه وتنساب إلى دجلة ، وتقدر الأراضي التي تعتمد على الجداول التي تزود بالمياه من سد ديالى الثابت بزهاء (700,000) مشارة[40] يزرع نصفها سنوياً بالمزروعات الشتوية[41].

ومن الجدير بالذكر، تعرض سد ديالى الثابت إلى انهيار بعض أقسامه عقب فيضان عام 1946، إذا ارتفع منسوب المياه في الرابع عشر من آذار من تلك السنة أمام السد إلى (69,10)م، وبلغ تصريف نهر ديالى إلى ما يقارب (3,600)م^{3}اثا، مما أدى إلى انهيار الكتل الخرسانية المثبتة في السد، لذا قامت مديرية الريّ العامة خلال صيف عام 1946، بتعمير القسم المنهار من السد بواسطة تثبيت كتل خرسانية كبيرة بدلاً من الكتل الصغيرة المنهارة وبلغ مجموع ما أنفق على ذلك التعمير (12,100) دينار[42].

تكشف تجربة سد ديالى الثابت عن انتقال إدارة المياه في العراق من معالجة المشكلات بصورة آنية إلى محاولة بناء مشاريع أكثر تنظيماً واستدامة. كما أظهرت أن نجاح المشروع ارتبط بتراكم الخبرة والاستفادة من الأخطاء التي كشفتها المراحل الأولى من إنشائه وإعادة إعمارِه. وكانت التحديات التي واجهها السد عاملاً مهماً في تطوير أساليب التنفيذ والتصميم والتعامل مع طبيعة نهر ديالى وتقلباته. ومن ثم لم تقتصر أهمية السد على وظيفته المائية، بل عكست تجربته تطور التفكير الحكومي في إدارة الموارد المائية وتوظيفها لخدمة التنمية الزراعية. وبذلك أسهمت تجربة سد ديالى في ترسيخ توجه أكثر تنظيماً نحو استثمار المياه بوصفها مورداً أساسياً في بناء الاقتصاد العراقي إبّانَ العهد الملكي.

الخاتمة

يتضح من خلال دراسة مشروع سد ديالى الثابت أن إنشاءه جاء استجابةً للحاجة المتزايدة إلى تنظيم مياه نهر ديالى ومعالجة المشكلات التي كانت تواجه الأراضي الزراعية في لواء ديالى، ولا سيّما عدم انتظام مناسيب المياه وتكرار الفيضانات وتأثيرها في الأراضي وأوضاع الفلاحين. ومن هذا المنطلق بادرت الحكومة العراقية عام 1928، إلى إنشاء السد، ليكون إحدى المحاولات المهمة في مجال تطوير مشاريع الريّ وتنظيم الموارد المائية في العراق إبّانَ العهد الملكي.

وقد أظهرت الدراسة أن المشروع، على الرغم من أهميته، واجه منذً بدايته عدداً من المشكلات الفنية، تمثلت بصورة أساسية في ضعف التصميم ورداءة بعض المواد المستخدمة في الإنشاء، إذ ظهرت التشققات في طبقة التكسية الخرسانية بعد إنجازه بفترة قصيرة. ثم جاء فيضان عام 1935، ليكشف بصورة أوضح عن أوجه الضعف في المشروع، فأدى إلى انجراف السد وتخريبه، الأمر الذي انعكس سلباً على أوضاع الريّ في لواء ديالى، وأعاد مشكلة توفير المياه وتنظيمها إلى الواجهة.

وأثبتت الدراسة أن الحكومة العراقية لم تقف مكتوفة الأيدي أمام فشل المشروع، بل سعت إلى إعادة إعماره، إلا أن محاولة التعمير التي بدأت عام 1936، لم تحقق النجاح المطلوب بسبب تأخر

وصول المواد الإنشائية وتأخر المقاول في إنجاز الأعمال، فضلًا عن دخول موسم الأمطار وارتفاع مناسيب المياه، مما أدى إلى تضرر أجزاء من المشروع مرة أخرى. وقد دفع ذلك الحكومة إلى تشكيل لجنة فنية عام 1937 للتحقيق في أسباب الفشل، وتوصلت اللجنة إلى ضرورة تغيير التصميم وزيادة سمك طبقة الإكساء الخرسانية، كما قدرت الأضرار التي لحقت بالمشروع ووضعت تصاميم جديدة لإعادة إنشائه.

كما كشفت الدراسة عن اهتمام الحكومة العراقية بالاستفادة من الخبرات الهندسية الأجنبية، إذ استعانت بالمهندسين الاستشاريين البريطانيين لإعداد مخططات منقحة للمشروع، ثم أعيد طرحه للمناقصة وفق التصاميم الجديدة. وقد اتخذت الحكومة في عام 1939 قراراً بتنفيذ المشروع على مرحلتين، وبدأت أعمال المرحلة الأولى بتغيير مجرى النهر وتجفيف قاعه وتنفيذ الأعمال الخرسانية، ثم أُحيلت المرحلة الثانية إلى شركة حسن المخزومي وشريكه. واكتمل المشروع بصورة نهائية في أواخر عام 1940.

وأثبت السد بعد إعادة إنشائه أهمية كبيرة في تنظيم مياه نهر ديالى، إذ أُقيم في موقع اختير بما يضمن إيصال المياه إلى المزارع والجداول الواقعة على ضفتي النهر، وأسهم في رفع مستوى المياه وتزويد الجداول بكميات أكثر انتظاماً، ولا سيّما خلال موسم الصيهود. وقد شملت منظومة الريّ المرتبطة به عدداً من الجداول المهمة، مما جعل السد عنصراً أساسياً في تنظيم عملية الريّ وخدمة مساحات زراعية واسعة.

ومع ذلك، فإن إعادة إنشاء السد لم تؤدِ إلى حل جميع مشكلاته بصورة نهائية، إذ تعرضت بعض أقسامه للانهيار عقب فيضان عام 1946، مما استدعى قيام مديرية الريّ العامة بإعادة تعمير القسم المنهار وتثبيت كتل خرسانية كبيرة بدلاً من الكتل التي تعرضت للانهيار. وهذا يؤكد أن المشروع ظل يواجه تحديات هندسية حتى بعد إعادة إنشائه، وأن نجاحه ارتبط باستمرار أعمال الصيانة والتعمير ومواجهة الظروف الطبيعية المتمثلة بالفيضانات.

وبذلك يمكن القول إن مشروع سد ديالى الثابت مثّل تجربة مهمة في تطور مشاريع الريّ الحديثة في العراق إبّانَ العهد الملكي؛ فقد كشفت تجربته عن أهمية التخطيط الهندسي الدقيق، وجودة المواد، وحسن اختيار أساليب التنفيذ، إلى جانب ضرورة المتابعة والصيانة المستمرة. وعلى الرغم من الإخفاقات التي رافقت مراحل إنشائه وإعادة تعميره، فقد أسهم المشروع في تنظيم مياه نهر ديالى وتحسين عملية إيصال المياه إلى الأراضي الزراعية، وأصبح شاهداً على محاولات الدولة العراقية تطوير إدارة مواردها المائية والاستفادة من الخبرات الهندسية المتاحة آنذاك. وبذلك جاءت تجربة السد لتجمع بين الطموح في

تطوير الريّ وبين التحديات الفنية والإدارية والبيئية التي واجهت مشاريع البنية التحتية في العراق إبّانَ تلك المرحلة.

الهوامش:

([1]) **نهر ديالى:** وهو أحد روافد نهر دجلة ينبع من الأراضي الإيرانية ومن أطراف جبال هورمان ويصب في أيسر نهر دجلة في منطقة التويثة جنوب بغداد مباشرة، وهو من أكبر الأنهار التي تقع داخل حدود لواء ديالى وأطولها، يبلغ طوله (386)كم منها (86)كم داخل إيران، و(300)كم داخل العراق، ويتكون النهر من التقاء نهر سيروان القادم من إيران مع نهر تانجرو الذي ينبع من داخل الأراضي العراقية. شوقي الحمداني، لمحات من تطور الريّ في العراق قديماً وحديثاً، مطبعة السعدون، بغداد، 1984، ص19؛ ماهر ثامر سعيد النداوي، الخصائص الكيميائية لأنهار محافظة ديالى، مجلة الجامعة العراقية، العدد59، ج3، بغداد، 2023. ص149.

([2]) جابر خليل إبراهيم وغسان صالح أحمد الحميضة، أنهر ديالى والعظيم والنهروان في ريّ سهول ديالى دراسة في الجغرافية التاريخية، مجلة الملوية للدراسات الآثارية والتاريخية، المجلد10، العدد34، جامعة سامراء، 2023، ص55.

([3]) صحيفة العراق، العدد 5607، 23 حزيران 1939.

([4]) سمي بالثابت وذلك لأنه كانت تبنى سدود وقتية في كل موسم فيضان.

([5]) صحيفة النهضة، العدد 257، 20 تشرين الثاني 1928.

([6]) احمد سوسة، تطور الريّ في العراق، مطبعة المعارف، بغداد، 1946، ص142.

([7]) **حميد الحسن (1876-1956):** شيخ عشيرة بنو تميم في لواء ديالى، ولد في بلدروز عام 1876، وحارب الإنجليز على رأس عشيرته إلى جانب الأتراك في الحرب العالمية الأولى، واشترك بثورة العشرين، وأصبح عضواً في مجلس النواب في الدورة آب عام 1935، ودورة شباط 1937. توفي في الرابع من نيسان 1956. مير بصري، أعلام الوطنية والقومية العربية، ط1، دار الحكمة، لندن، 1999، ص319؛ مؤيد الونداوي، شخصيات عراقية في وثائق بريطانية (1919-1920)، ط1، دار الوضاح للطباعة والنشر، عمان، 2018، ص230.

([8]) **محمد امين زكي (1880- 1948):** سياسي وعسكري عراقي، ولد في السليمانية في عام 1880، ودرس في المدرسة الرشدية العسكرية، وأكمل دراست في المدرسة الحربية في إسطنبول وتخرج منها في عام 1902، وانضم بعد ذلك إلى الجيش السادس المرابط في بغداد، وشارك في الحرب العالمية الأولى إلى جانب القوات العثمانية، وبعد قيام الحكم الوطني في العراق عام 1921، شغل محمد أمين زكي مناصب إدارية ووزارية عدة لعل من أهمها؛ آمر للمدرسة العسكرية الملكية العراقية في عام 1925، كما وشغل منصب وزيراً للمعارف عام (1927-1928)، وزيراً للدفاع في عام 1929، وتناوب على حقيبة وزارة الاقتصاد لمرات عدة إبّانَ السنوات (1929-1936)، كما وشغل منصب وزارة الأشغال والمواصلات عام (1940-1942). ولدى محمد أمين زكي العديد من المؤلفات منها يخص القضية الكردية ومنها ما يختص بتاريخ العراق في العهد العثماني. توفي في السليمانية في10 تموز 1948. جواد كاظم البيضاني، التاريخ والمؤرخون الكرد، دار البصائر للطباعة والنشر، بيروت، 2012، ص198-203؛ حسن لطيف الزبيدي، موسوعة السياسة العراقية، شركة العارف، ط2، بيروت، 2013، ص536. **وللمزيد من التفاصيل؛**

انظر: دارا جمال غفور، محمد أمين ذكي ودوره السياسي والإداري في العراق (1924–1948)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، جامعة الدول العربية، 2004.

([9]) علماً ان لنهر ديالى ستة جداول هي؛ الخالص، الروز، خريسان، كنعان (مهروت)، الهارونية، والمقدادية (شهربان).

([10]) م.م.ن، الاجتماع الاعتيادي لسنة 1935، الجلسة الحادية والعشرون، المنعقدة في تاريخ 16 كانون الثاني 1936، ص296.

([11]) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، تسلسل الملفة 311/2005، سد ديالى الثابت، كتاب وزارة الاقتصاد والمواصلات إلى مجلس الوزراء بتاريخ 25 نيسان1937، رقم الوثيقة2، ص3؛ صحيفة البلاد، العدد 611، 3 تموز 1936.

([12]) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، تسلسل الملفة 311/2005، سد ديالى الثابت، كتاب وزارة الاقتصاد والمواصلات إلى مجلس الوزراء بتاريخ 25 نيسان1937، رقم الوثيقة2، ص3.

([13]) **عبد الأمير الازري (1899– 1977)**: سياسي عراقي، عبد الأمير الأزري ابن الشاعر المعروف عبد الحسين الأزري، ولد في الكاظمية عام 1906، درس الابتدائية والثانوية في بغداد، وأكمل دراسته في الجامعة الأمريكية في بيروت ثم درس هندسة الريّ في جامعات تكساس وكاليفورنيا ونال الشهادة في عام 1928، عاد من الولايات المتحدة الأمريكية وعين نائب مهندس الريّ العام في عام 1929، فمهندساً عام 1932، فسكرتيراً فنياً في ديوان وزارة الاقتصاد والمواصلات في عام 1934، ثم أعيد مهندس الريّ في 1935، كما وعين معاون مدير الريّ (1936–1941). فضلاً عن ذلك، فقد تسلم حقيبة وزارة المواصلات والأشغال لمرتين الأولى في الرابع من حزيران 1944، والثانية (1944–1946)، كما وتسلم وزارة التموين في عام 1944. فضلاً عن ذلك، فقد شغل مناصب عدة أخرى لعل من أهمها؛ مدير الريّ العام في أيار 1946، وسفير العراق في طهران (1956–1958) وعاش بعد انقلاب الرابع عشر من تموز 1958، متنقلاً بين بيروت ولندن. توفي في لندن في الثاني عشر من أيار 1977. مؤيد الونداوي، شخصيات عراقية في وثائق بريطانية (1935–1958)، دار الوضاح للطباعة والنشر، عمان، 2017، ص133؛ مير البصري، أعلام السياسة في العراق الحديث، ج2، دار الحكمة، لندن، 2005، ص121.

([14]) **خليل كنا (1910–1995)**: سياسي عراقي، ولد خليل إسماعيل كنا البياتي في الفلوجة عام 1910، ودرس الابتدائية في مدرسة التفيض في بغداد وأكمل دراسته الثانوية في الجامعة الأمريكية في بيروت، ثم دخل كلية الحقوق في بغداد وتخرج فيها عام 1932، تسلم مناصب إدارية عدة. منها؛ مشاور قانوني في وزارة الاقتصاد والمواصلات (1936–1940)، ومدير عام لشركة كهرباء تنوير بغداد عام 1941، كما تولى منصب وزير المعارف في خمس حكومات (1951–1957). اتهم بالطائفية وحوكم أمام محكمة الشعب، وأصدرت المحكمة بحقه عشرة أحكام جمعت بين الأشغال الشاقة والأشغال المؤبدة والمؤقتة. فضلاً عن حرمانه من عضوية مجالس الأمانة والإدارة والتوظيف، ومن الانتماء إلى الأحزاب وممارسة الصحافة. توفي في بغداد في السابع عشر من تموز 1995. حسن لطيف الزبيدي، المصدر السابق، ص254. **وللمزيد من التفاصيل؛ انظر**: عارف شاكر محمود الأحبابي، خليل كنا ودور وسياسي في العراق حتى عام 1995، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، بغداد، 1999.

([15]) **فخري جميل الفخري (1908– 1995)**: سياسي عراقي، ولد في الموصل عام 1908، ودرس فيها وأكمل دراسته في جامعة برمنجهام البريطانية وحصل على البكالوريوس في الهندسة المدنية عام 1932، وبعد عودته إلى العراق

عين في مديرية الأشغال العامة، وفي الثالث عشر من كانون الأول 1947، عين مديراً عاماً لدائرة الأشغال العامة، واستوزر لأول مرة في وزارة أرشد العمري في التاسع والعشرين من نيسان 1954، وزيراً للمواصلات، وبعد استقالة الوزارة عين أميناً للعاصمة بغداد في التاسع عشر من حزيران 1954، واستمر في منصبه إلى الرابع عشر من تموز 1958، إذ أعتقل لمدة قصيرة واعتزل العمل السياسي وانخرط في العمل التجاري حتى وفاته عام 1995. حسن لطيف الزبيدي، المصدر السابق، ص454.

([16]) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، تسلسل الملفة 311/2005، سد ديالى الثابت، محضر اللجنة المشكلة في ديوان وزارة الاقتصاد والمواصلات في 6 شباط 1937، رقم الوثيقة3، ص8.

([17]) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، تسلسل الملفة 311/2005، سد ديالى الثابت، محضر اللجنة المشكلة في ديوان وزارة الاقتصاد والمواصلات في 6 شباط 1937، رقم الوثيقة3، ص8.

([18]) اضطرابات عمالية وقعت على أثر الأزمة الاقتصادية العالمية لعام 1929، وقد بدأت تلك الاضرابات منذُ عام 1932. عبد الفتاح أبو علية وإسماعيل أحمد ياغي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ط3، دار المريخ للطباعة والنشر، الرياض، 1993، ص393.

([19]) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، تسلسل الملفة 311/2005، سد ديالى الثابت، ترجمة تقرير المستر ريتشارد المعنون إلى وزارة الاقتصاد والمواصلات بتاريخ 11 شباط 1937، رقم الوثيقة3، ص4.

([20]) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، تسلسل الملفة 311/2005، سد ديالى الثابت، تقرير عن الخسارة التي الحقت بسد ديالى الثابت بتاريخ 20 شباط 1937، رقم الوثيقة3، ص7.

([21]) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، تسلسل الملفة 311/2005، سد ديالى الثابت، كتاب وزارة الاقتصاد والمواصلات إلى سكرتارية مجلس الوزراء بتاريخ 31 آذار 1938، رقم الوثيقة9، ص14.

([22]) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، تسلسل الملفة 311/2005، سد ديالى الثابت، كتاب وزارة المالية إلى سكرتارية مجلس الوزراء بتاريخ 6 نيسان في 1938، رقم الوثيقة10، ص15.

([23]) علماً إن الشركات الأخرى التي عرضت عطاءها لمشروع سد ديالى الثابت؛ هي شركة بلفور وبيتي البريطانية وشركة هولراي إخوان البريطانية.

([24]) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، تسلسل الملفة 311/2005، سد ديالى الثابت، كتاب وزارة الاقتصاد والمواصلات إلى سكرتارية مجلس الوزراء بتاريخ شباط 1939، رقم الوثيقة10، ص17.

([25]) هي العملية التنافسية التي تطرحها الجهات الحكومية أو الشركات الخاصة لتنفيذ المشروع، ومن خلالها يتم دعوة المقاولين لتقديم عروضهم الفنية والمالية ليتم اختيار الأنسب.

([26]) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، تسلسل الملفة 311/2005، سد ديالى الثابت، تقرير وزارة الاقتصاد والمواصلات إلى سكرتارية مجلس الوزراء بتاريخ شباط 1939، رقم الوثيقة12، ص18.

([27]) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، تسلسل الملفة 311/2005، سد ديالى الثابت، تقرير وزارة الاقتصاد والمواصلات إلى سكرتارية مجلس الوزراء بتاريخ شباط 1939، رقم الوثيقة10، ص17.

([28]) جاء في كتاب القنصلية العراقية في دمشق إنه يقال بأن الشركة صرفت من رأسمالها (50,000) باوند إنجليزي ولا تعرف الجهة التي أنفق عليها هذا المبلغ؛ لأن منذ تأسيسها لم تنشر ميزانية سنوية تبين رأسمالها والأرباح والخسائر

التي ربحتها أو فقدتها من أعمالها التجارية، اما القنصلية العراقية في بيروت فقد أفادت بأن سير أعمال الشركة في لبنان مرضي وسمعتها المالية جيدة ولكن القنصلية أشارت بأن رئيس الشركة المدعو خليل معتول والذي يملك قسماً مهماً من حصص الشركة هو من الأشخاص الممنوعين من الدخول إلى العراق منذُ شهر آذار 1935، لأسباب لم تصرح بها تلك الوثيقة. فضلاً عن ذلك، فقد أشارت القنصليتين بأن الشركة تأسست لغرض احتكار التتباك إلا أن نظامه الداخلي ينص على قيامها بكافة المعاملات التجارية والمالية والصناعية من منقولة وغير منقولة في لبنان وسوريا وإيران وجميع البلدان الأخرى. د.ك.و، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، تسلسل الملفة 311/2005، سد ديالى الثابت، تقرير وزارة الاقتصاد والمواصلات إلى سكرتارية مجلس الوزراء بتاريخ شباط 1939، رقم الوثيقة12، ص18.

([29]) **رستم حيدر (1898– 1940):** سياسي عراقي من أصول لبنانية، ولد في بعلبك في لبنان عام 1898، ودرس في دمشق ثم التحق بالمدرسة الشاهانية في إسطنبول وتخرج فيها عام 1909، وهو أحد مؤسسي جمعية الفتاة وبالتعاون مع زملائه عوني عبد الهادي وأحمد قدري، أكمل دراسته في جامعة السوربون، عين مدير المدرسة العربية السلطانية في دمشق عام 1913، والتحق بالجيش العثماني بوصفه ضابط احتياط أثناء الحرب العالمية الأولى، وبعد ذلك التحق بجيش فيصل بن الحسين، وبعد تأسيس الدولة العراقية جاء به الملك فيصل الأول بوصفه أحد العناصر السياسية الكفؤة وعينه رئيساً للديوان الملكي وبقي في ذلك المنصب لمدة تسعة سنوات، تسلم بعدها مناصب عدة. منها؛ عضواً في مجلس الأعيان، كما تسلم منصب وزارة المالية لمرتين، وأثناء انقلاب بكر صدقي عام 1936، هرب إلى لبنان، عاد بعد ذلك إلى بغداد مرة أخرى وتعرض لمحاولة اغتيال في الثامن عشر من كانون الثاني عام 1940، بعد أن أقدم الشرطي حسين فوزي توفيق على إطلاق النار عليه في مكتبه بوزارة المالية فأصابه بجروح خطيرة نقل على أثرها إلى المستشفى، إذ فارق الحياة بعد أربعة أيام. حسن لطيف الزبيدي، المصدر السابق، ص277. **وللمزيد من التفاصيل؛ انظر:** مذكرات رستم حيدر، الدار العربية للموسوعات، ط1، بيروت، 1988.

([30]) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، تسلسل الملفة 311/2005، سد ديالى الثابت، كتاب وزارة المالية إلى سكرتارية مجلس الوزراء بتاريخ 5 آذار 1939، رقم الوثيقة13، ص19.

([31]) شركة برسو– ليبانو– سريان، عطاءها (23،869) دينار، شركة بلفور وبيتي، عطاءها (18،771) دينار، وشركة حسن مخزومي، عطاءها (18،179) دينار، شركة شوفان وشريكه، عطاءها (17،685) دينار.

([32]) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، تسلسل الملفة 311/2005، سد ديالى الثابت، كتاب وزارة الاقتصاد والمواصلات إلى سكرتارية مجلس الوزراء بتاريخ 19 حزيران 1939، رقم الوثيقة15، ص21.

([33]) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، تسلسل الملفة 311/2005، سد ديالى الثابت، كتاب المسيو شوفان وشريكه إلى وزارة الاقتصاد والمواصلات بتاريخ 18 حزيران 1939، رقم الوثيقة17، ص24.

([34]) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، تسلسل الملفة 311/2005، سد ديالى الثابت، كتاب وزارة الاقتصاد والمواصلات إلى سكرتارية مجلس الوزراء بتاريخ 19 حزيران 1939، رقم الوثيقة15، ص21.

([35]) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، تسلسل الملفة 311/2005، سد ديالى الثابت، قرارات جلسة مجلس الوزراء المنعقدة في 20 حزيران 1939، رقم الوثيقة14، ص20؛ صحيفة العراق، العدد 5634، 25 تموز 1939.

([36]) صحيفة العراق، العدد 5607، 23 حزيران 1939.

([37]) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، تسلسل الملفة 311/2005، سد ديالى الثابت، كتاب وزارة الاقتصاد والمواصلات إلى سكرتارية مجلس الوزراء بتاريخ 10 نيسان 1940، رقم الوثيقة19، ص26.

([38]) **منصورية الجبل:** مدينة في لواء ديالى تقع على بعد (52)كم عن بعقوبة، وتبدأ عندها سلسلة جبال حمرين. بشير يوسف فرنسيس، موسوعة المدن والمواقع في العراق، ج2، ط1، إصدارات أي-كتب، لندن، 2017، ص1015.

([39]) سعيد عبود السامرائي، موارد العراق الاقتصادية مسح شامل للموارد الزراعية والمائية والحيوانية والمعدنية والبشرية وأساليب تنميتها وتطويرها، ط1، مطبعة القضاء، النجف، 1975، ص55؛ صحيفة العراق، العدد 5607، 23 حزيران 1939.

([40]) **المشارة:** او الدونم تساوي (2500)م^2. دليل المملكة الرسمي لعام 1936، المصدر السابق، ص38.

([41]) أحمد سوسة، تطور الريّ في العراق، ص142.

([42]) وزارة الريّ، تسلسل الملفة 33، تقرير عن أعمال مديرية الريّ العامة (1946-1949)، صيانة منشآت الريّ، تعمير سد ديالى الثابت، بغداد، 1949، ص1.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق غير المنشورة المحفوظة في دار الكتب والوثائق العراقية

أ: ملفات البلاط الملكي

د.ك.و، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، تسلسل الملفة 311/2005، سد ديالى الثابت (1937-1940).

ب: ملفات وزارة الريّ

وزارة الريّ، تسلسل الملفة 33، تقرير عن أعمال مديرية الريّ العامة (1946-1949).

ثانياً: الوثائق المنشورة

م.م.ن، الاجتماع الاعتيادي لسنة 1935، الجلسة الحادية والعشرون، المنعقدة في تاريخ 16 كانون الثاني 1936.

الرسائل والاطاريح

1- دارا جمال غفور، محمد أمين ذكي ودوره السياسي والإداري في العراق (1924-1948)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، جامعة الدول العربية، 2004.

2- عارف شاكر محمود الأحبابي، خليل كنا ودور وسياسي في العراق حتى عام 1995، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، بغداد، 1999.

الكتب

1- احمد سوسة، تطور الريّ في العراق، مطبعة المعارف، بغداد، 1946.

2- جواد كاظم البيضاني، التاريخ والمؤرخون الكرد، دار البصائر للطباعة والنشر، بيروت، 2012.

3- سعيد عبود السامرائي، موارد العراق الاقتصادية مسح شامل للموارد الزراعية والمائية والحيوانية والمعدنية والبشرية وأساليب تنميتها وتطويرها، ط1، مطبعة القضاء، النجف، 1975.

4- شوقي الحمداني، لمحات من تطور الريّ في العراق قديماً وحديثاً، مطبعة السعدون، بغداد، 1984.

5- عبد الفتاح أبو علية وإسماعيل أحمد ياغي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ط3، دار المريخ للطباعة والنشر، الرياض، 1993.

6- مؤيد الونداوي، شخصيات عراقية في وثائق بريطانية (1919-1920)، ط1، دار الوضاح للطباعة والنشر، عمان، 2018.

7- ــــــــــــ، شخصيات عراقية في وثائق بريطانية (1935-1958)، دار الوضاح للطباعة والنشر، عمان، 2017.

8- مير بصري، أعلام الوطنية والقومية العربية، ط1، دار الحكمة، لندن، 1999.

9- ــــــــــــ، أعلام السياسة في العراق الحديث، ج2، دار الحكمة، لندن، 2005.

البحوث والدراسات

1- جابر خليل إبراهيم وغسان صالح أحمد الحميضة، أنهر ديالى والعظيم والنهروان في ري سهول ديالى دراسة في الجغرافية التاريخية، مجلة الملوية للدراسات الآثارية والتاريخية، المجلد10، العدد34، جامعة سامراء، 2023.

2- ماهر ثامر سعيد النداوي، الخصائص الكيميائية لأنهار محافظة ديالى، مجلة الجامعة العراقية، العدد59، ج3، بغداد، 2023.

الصحف والدوريات

1- اعداد صحيفة البلاد: العدد (611).

2- اعداد صحيفة العراق: العدد (5607)- العدد (5634).

3- اعداد صحيفة النهضة: العدد (257)

الموسوعات والمعاجم

1- بشير يوسف فرنسيس، موسوعة المدن والمواقع في العراق، ج2، ط1، إصدارات أي-كتب، لندن، 2017.

2- حسن لطيف الزبيدي، موسوعة السياسة العراقية، شركة العارف، ط2، بيروت، 2013.

Journal of Studies in History and Archeology Vol.102, No 3 (September2026)
ISSN: (2075-3047)

دور المبشرين الامريكيين في بلغاريا (1819-1902)

أ.م.د. رجاء زامل كاظم شريف الموسوي
Rajaa.zamil@ircoedu.uobaghdad.edu.iq
كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية / جامعة بغداد

The Role of American Missionaries in Bulgaria (1819-1902)

Assist. Prof. Dr. Rajaa Zamel Kadhim Sharif Al-Mousawi
Rajaa.zamil@ircoedu.uobaghdad.edu.iq
Ibn Rushd College of Humanities / University of Baghdad

الاستلام(Received) : 2026 / 05/ 28 التعديل (Revision) : 2026 / 06/21
القبول(Accepted) : 2026 /07/ 27 النشر (Published) :2026/ 09/30

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المستخلص

بدأت الولايات المتحدة الامريكية الاتصال ببلغاريا بعد تأسيس مجلس المفوضين الامريكيين للبعثات الخارجية عام 1810، وكان نشاط المجلس في بلغاريا جزءاً من نشاطه العام في الدولة العثمانية ، أذ ارسل المجلس في عام 1819 اثنين من مبشريه وهما بليني فيسك وليفي بارسونز الى سميرنا ، وقد ركزا نشاطهما في الجانب التعليمي ، واهتم المجلس بجمع المعلومات عن بلغاريا من ممثليه الذين كانوا هناك، لذلك لم تبدأ خطواته العلمية الا في عام 1856 عندما اسس فرعاً لبعثته الاولى الى الدولة العثمانية في عام 1819، التي افتتحت فروعها في عام 1858 ، وتنوعت الجهود التبشيرية في بلغاريا اهمها ما كان في الجانب التعليمي إذ اسست العديد من المدارس بين عامي 1860-1863، فضلا عن الارساليات الطبية والقيام بالعمل الخيري ودراسة الكتاب المقدس، وتوجت جهود المجلس باعتراف السلطات العثمانية بالطائفة الارثوذكسية عام 1870، التي اصبحت القاعدة الرئيسية للنهضة الوطنية البلغارية ، كما تمكنوا من اصدار صحيفة زورنيتز التي انتقلت الى فيليبوليس عام 1902 وعدت اهم وسائل الاعلام في بلغاريا والبلقان.

الكلمات المفتاحية: الولايات المتحدة الامريكية، بلغاريا،مجلس المفوضين الامريكيين للبعثات الخارجية ،التبشير الامريكي.

دور المبشرين الامريكيين في بلغاريا (1819–1902)

أ.م.د. رجاء زامل كاظم شريف الموسوي

Abstract

Keywords: United States of America, Bulgaria, American Board of Commissioners for Foreign Missions, American missionary work.

المقدمة:

اعطت الولايات المتحدة الامريكية ، بعد ظهورها كدولة مستقلة عام 1783، اهمية للانشطة التجارية في البحر المتوسط ، لذلك اخذ الكثير من التجار والمسافرين الامريكيين يتوافدون على الموانئ العثمانية مثل سميرنا (ازمير) والاسكندرية وبيروت، وبهذا ارتبطت الولايات المتحدة الامريكية بعلاقات تجارية مع الدولة العثمانية خلال أواخر القرن الثامن عشر وحتى السنوات الاولى من القرن التاسع عشر.

بدأت الولايات المتحدة الامريكية خلال القرن التاسع عشر بالسيطرة على الاراضي التابعة للدولة العثمانية من خلال قيام المؤسسات المسيحية الامريكية بالتبشير في هذه الاراضي، والحصول على حقوق وامتيازات لهذه المؤسسات ، شأنها شأن القوى الغربية الأخرى، بهدف اختراق الادارة العثمانية، وتغيير المؤسسات القانونية التي تنظم التعايش بين الناس ، واقامة مؤسسات دينية خاصة بالمسيحيين الخاضعين للدولة العثمانية.

وطبقت الولايات المتحدة الامريكية سياستها هذه بعد تأسيس مجلس المفوضين الامريكيين للبعثات الخارجية عام 1810، اذ شرع المجلس بالتبشير في الاراضي التابعة للدولة العثمانية ، وكانت بلغاريا واحدة من هذه الاراضي ، إذ شهدت خلال المدة بين (1819–1902) جهوداً كبيرة للمبشرين الامريكيين في مختلف الجوانب . ومن هنا جاءت اهمية موضوع البحث للتعرف على دور المبشرين الامريكيين في بلغاريا في تحقيق أهداف السياسة الامريكية في الاراضي التابعة للدولة العثمانية.

اقتضت طبيعة الموضوع تقسيم البحث الى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة. إذ تضمن المبحث الأول نشأة بلغاريا واوضاعها حتى مطلع القرن التاسع عشر. وتناول المبحث الثاني دور المبشرين الامريكيين في بلغاريا بين عامي (1819–1856). اما المبحث الثالث فقد بين دور المبشرين الامريكيين في بلغاريا بين عامي (1856–1902).

المبحث الاول

نشأة بلغاريا واوضاعها حتى مطلع القرن التاسع عشر

تعد بلغاريا احدى دول البلقان ، تقع في جنوب شرق قارة أوروبا، على الساحل الغربي للبحر الاسود والجزء الشمالي من شبه جزيرة البلقان[1] ، يحدها من الشمال رومانيا ، ومن الجنوب اليونان وتركيا، ومن الشرق البحر الاسود. [2]

عاش البلغار خلال القرن الخامس الميلادي بين القبائل الاسيوية الاخرى في السهوب شمال البحر الاسود ، وارتبطوا في نهاية القرن الخامس الميلادي وطوال القرن السادس الميلادي مع قبائل الهون (Huns) والافار (Avars) والسلاف (Slavs) في غزوات مختلفة ضد الامبراطورية البيزنطية. [3]

تقدمت القوات البلغارية في القرن السابع الميلادي نحو شبه جزيرة البلقان بشكل واسع[4]، وفي عام 680 هزم جيش البلغار والسلاف القوات البيزنطية ، وفي العام التالي اعترفت القسطنطينية بسيطرة بلغاريا على مويسيا (Moesia) ، ووقع اتفاق بين بلغاريا ورؤساء السلاف على تكوين نظام ملكي وراثي وتشكيل مجلس للنبلاء ضم البويار (النبلاء البلغاريون) ورؤساء السلاف للمشاورة في الحكم[5] ، وبهذا استقر البلغار على الاراضي التي تمثل الان شمال شرق بلغاريا، وشكلوا الدولة البلغارية بتحالفهم مع السلاف ، واعترفت الامبراطورية البيزنطية لهم بدولتهم عام 681. [6]

وتمتعت بلغاريا بعد تأسيسها في عام 681 بما يقرب من قرن من النمو ، ونظمت علاقتها مع بيزنطة بمعاهدة عقدت عام 716، وبعد عقد هذه المعاهدة قدمت بلغاريا المساعدة لبيزنطة في صراعها ضد العرب المسلمين في اسيا الصغرى [7] ، إذ كانت حلفيتها ضد الجيوش العربية التي حاصرت مدينة القسطنطينية عام 718. [8]

تمت اضافة جزء من وادي مورافا (Morava) الى بلغاريا في منتصف القرن الثامن الميلادي[9] ، وفي نهاية هذا القرن توحد البلغار شمال وجنوب نهر الدانوب تحت سلطة واحدة[10] .

تبنت بلغاريا الديانة المسيحية كدين رسمي عام 865[11] ، وازال الفعل الاختلافات العرقية بين البلغار والسلاف واصبحوا متحدين لبناء دولة بلغارية موحدة[12]، وفي النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي وصل تلاميذ الراهبين سيريل (Cyril) وميثوديوس (Methedius) [13]الى بلغاريا ، ونشروا السيريلية (Cyrillic)[14] وطوروا نشاطاً تعليمياً وادبياً اسهم في نشر النص السيريلي الى الاراضي السلافية الاخرى.[15]

غزت الامبراطورية البيزنطية بلغاريا عام 1018 واستمرت هيمنتها على بلغاريا سنوات طويلة حدثت اثنائها العديد من الانتفاضات ، ختمت بانتفاضة عام 1185 التي ادت الى قيام دولة بلغاريا من جديد ، إذ تأسست المملكة البلغارية الثانية عام 1186، وبعد حروب دامت نصف قرن مع العثمانيين ، وقعت بلغاريا في عام 1396 تحت سيطرة السلاطين العثمانيين الذين حكموا بلغاريا والمناطق المحيطة بها لقرون عدة. [16]

تعرضت الدولة البلغارية لضربة كبيرة في هويتها الثقافية في منتصف القرن الخامس عشر ، إذ ادخلت الدولة العثمانية في عام 1454، اي بعد عام من سقوط القسطنطينية ، نظاماً ادارياً جديداً قسم الامبراطورية الى عدد من الطوائف الدينية ، تمتع كل مجتمع ضمن هذه الطوائف بسلطات كبيرة للتنظيم

الذاتي في مسائل التعليم والقوانين التي تخص الاسرة ، فضلاً عن الشؤون الدينية ، إذ جعل رئيس كل طائفة دينية مسؤولاً بشكل مباشر امام السلطات العثمانية التي الزمته بضمان ضمن سلوك اتباعه ، وضمن هذا النظام حرية العبادة للمجتمعات الدينية المختلفة في بلغاريا ، والعمل بسلاسة للنظام الاداري في الدولة العثمانية.[17]

عرفت الدولة العثمانية في القرنيين الخامس عشر والسادس عشر بنظامها الاقطاعي وتميزها بسلطة مركزية قوية[18]، وتردت الاوضاع الاقتصادية لغالبية سكان بلغاريا لاسيما المسيحيين منهم وذلك لضياع عقاراتهم بسبب عدم تسجيلها تهرباً من دفع الضرائب ، وانخفضت نسبة السكان المسيحيين الى (8%) من مجموع سكان بلغاريا بحلول القرن السادس عشر[19] . كما نجح العثمانيون في الربع الاول من القرن السادس عشر في فرض سيادتهم الكاملة على جزيرة البلقان ، واتبعوا سياسة اللامركزية الادارية في الاشراف على شؤون الولايات في شرق اوربا التي اصبحت خاضعة لهم ، لكن وبسبب الضعف الذي دب في الامبراطورية العثمانية وبسبب سوء سياسة الولاة وجباة الضرائب ، بدأت شعوب البلقان ترفض التدخل العثماني في شؤونهم الداخلية ، وبحلول القرن التاسع عشر بدأت ملامح الشعور القومي تتشكل في ولايات البلقان ومنها بلغاريا. [20]

المبحث الثاني

دور المبشرين الامريكيين في بلغاريا بين عامي (1819-1856)

بدأ الاتصال بين الولايات المتحدة الامريكية وبلغاريا منذ تأسيس مجلس المفوضين الامريكيين للبعثات الخارجية(American Board of Commissioners for Foreign Missions) (ABCFM)عام 1810[21] في بوسطن (Boston) بولاية ماساتشوستس(Massachusetts) ، وهو احياء ديني بروتستانتي ظهر في الولايات المتحدة الامريكية ، ازداد انتشاره في السنوات الاولى من القرن التاسع عشر ، ابتعد هذا المجلس منذ تشكيله عن التقليد البروتستانتي الامريكي اللإرساليات بين الامريكيين الاصليين وشرع بمشروع التبشير العالمي ، وصار تدريجياً اكثر اهمية خلال القرن التاسع عشر، فمنذ وقت مبكر رأى المجلس أن التبشير جزء لا يتجزأ من مشروع اوسع لإصلاح العالم وتحويله.[22]

ويقصد بالتحويل انهاء المؤسسات القديمة والحرية المدنية ودين العالم القديم ، فضلاً عن هدم كنيسة روما والمسجد النبوي الشريف والقضاء على الاوثان والوثنيون في دول شرق اسيا والهند. [23] كانت الاعمال التبشيرية في كثير من الاحيان في اطار استعماري اوسع ، وفي حالة مجلس المفوضين الامريكيين للبعثات الخارجية ازدادت العلاقة مع الامبريالية تعقيداً ، بسبب حقيقة ان المبشرين عملوا في الغالب في اماكن استعمارية غير امريكية او في مناطق مستقلة ، والبعثة الامريكية في بلغاريا مثال على ذلك. [24]

ارسل المجلس اولى بعثاته الى مالطة واسس فيها اول بعثة تبشيرية عام 1815، ثم اتجهت البعثة الى القدس وبيروت التي انشأت فيها مطبعة اخرى عام 1834 وقامت بطبع الكتاب المقدس ونشرته في البلاد الاسلامية ، وفي عام 1866 افتتحت هذه البعثة اخطر مراكز التبشير في البلاد العربية والتي تمثلت بالكلية السورية الانجيلية التي اطلق عليها لاحقاً اسم الجامعة الامريكية . [25]

على الرغم من افتقار الجمهورية المبكرة الولايات المتحدة الامريكية للهيمنة الامبريالية الرسمية الا ان المبشرين الامريكيون دارت افكارهم منذ بداية القرن التاسع عشر حول الامبراطورية وما يجب ان يكون عليه دور الولايات المتحدة الامريكية في العالم، كانت رغبة مجلس المفوضين ودوافعه " لتحسين العالم" بالتوازي مع المشاريع الامبريالية والدافع الحضاري في تلك المدة والذي اطلق عليه تسمية الامبريالية المسيحية . [26] اذ تعهد البروتستانت الامريكيين خلال القرن التاسع عشر بنشر دينهم في جميع انحاء العالم ، وركزوا بشكل كبير على محو الامية والالفة مع الكتاب المقدس، لذلك بدأت عمليات الطباعة التي اجراها المبشرون الامريكيين في الاراضي العثمانية. [27]

كان نشاط مجلس المفوضين الامريكيون للبعثات الخارجية في بلغاريا جزءاً من نشاطه العام في الدولة العثمانية ، وارسل المجلس بعد تسع سنوات من تأسيسه اثنين من مبشريه الى تلك المنطقة ، ففي عام 1819 وصل بليني فيسك (Pliny Fisk) [28] ، وليفي بارسونز (Levi Parsons) [29]، الى سميرنا ، وقاموا بتدريس اللغة اليونانية الحديثة . وفي الثامن عشر من كانون الثاني 1821 اثناء اجتماع مجلس المفوضين في بوسطن دعا الى انشاء مطبعة حديثة في سميرنا لاستخدامها في طباعة الكتب والمنشورات من اجل عملهما التبشيري ، وبعد خمس سنوات من ذلك اكتمل انشائها وكانت اول مطبعة في اسيا الوسطى والاراضي الخاضعة للدولة العثمانية . [30]

وقعت معاهدة للصداقة والتجارة بين الولايات المتحدة الأمريكية والدولة العثمانية في الثامن من شباط 1830، سمحت بإقامة علاقات دبلوماسية بين الطرفين أعطت فرصة مواتية للمبشرين الأمريكيين لمزاولة نشاطهم في الولايات والامارات التابعة للدولة العثمانية ومن ضمنها بلغاريا، ومارسوا عملهم مع خضوعهم للمراقبة الشديدة من قبل السلطات العثمانية [31]، ومن خلال الجهود المتواصلة التي قام بها مجلس المفوضين الأمريكيين للبعثات الخارجية لنشر البروتستانتية في الشرق الأدنى لاسيما اراضي الدولة العثمانية في البلقان، ابدى البلغاريون رغبتهم وحاجتهم إلى تلقي رسالة المبشرين المبدئية، وكان ذلك بسبب شعورهم بفقدان الاستقلال لصالح العثمانيين منذ عام 1396 ولقرون عدة.[32]

قرر مجلس المفوضين في عام 1833 ان يوسع عملياته بشكل اعمق في الاراضي العثمانية ، وتم نقل الصحافة الى سميرنا ، وبقية الصحافة غير العربية في سميرنا حتى عام 1853 عندما نقلت الى اسطنبول. [33]

واعطى المبشرون الامريكيين اهمية للتعليم في بلغاريا ، اذ كان انتشار التعليم في الواقع محور الاحياء الوطني البلغاري، لذلك اسسوا في عام 1835 مدرسة ابريلوف (Aprilov) الثانوية في غابروفو (Gabrovo)، وكانت اول مدرسة تدرس باللغة البلغارية، وتم تسهيل عملها من خلال ظهور عملية النشر البلغارية وصحافة روسية صغيرة ولكنها مؤثرة. [34]

واخذت الانشطة التبشيرية البروتستانتية الامريكية في الدولة العثمانية تتزايد عندما اعلن السلطان عبد المجيد الاول (1839–1869)، تنظيمات خط شريف كلخانة عام 1839، والتي اعلن فيها الحرية لجميع الرعايا العثمانيين بغض النظر عن الدين أو العرق. [35]

اقام المبشرون الامريكيين علاقات مع كتاب بلغاريين بارزين مثل كونستانتين فوتينوف (Konstantin Fotinov) ونيوفيت ريلسكي (Neofit Rilski) [36] . ففي عام 1840 تم دعوة فوتينوف من قبل مجتمع الكتاب المقدس الى تقديم ترجمة للانجيل.[37]

وبعد ان منحت الدولة العثمانية للمبشرين حرية العمل داخل اراضيها ، قام احد المبشرين والمدعو الياس ريجز (EliasRiggs)[38] باعداد اول دليل لقواعد اللغة البلغارية عام 1843[39] بعد ودعا فوتينوف لمراجعته معه . وكان الاخير قد ترجم كتاب جغرافية وودبري الى البلغارية وصدر في عام 1842 من مطبعة سميرنا ، وتمت طباعة كتابين اخرين في عامي (1843–1844) على التوالي وهما (شجرة التعجب) و(شجرة الاعتدال) ، كما طبع الجزء الاول من كتاب (روح الروح) وقد استخدمت هذه الكتب ككتب مدرسية لدراسة البلغارية ، وعن طريق ريجز تعرف فوتينوف على كتب المدارس الامريكية المختلفة التي كانت ترجمتها لليونانية اعلى بكثير من اي تيار اخر في ذلك الوقت. [40]

اثمرت جهود المبشرين بنشر اللغة البلغارية باصدار اول صحيفة باللغة البلغارية في عام 1846 بأسم النسر البلغاري (Bulgarian Eagle) من قبل ايفان بوغوروف (Ivan Bogor ov) ,وطبعت في لايبزيغ (Leipzig) وكانت اعلامية وتعليمية ، وقرر بوغوروف ان تكون الصحيفة نصف شهرية ، ولكن لم ينشر منها سوى ثلاثة اعداد في العشرين من نيسان والعشرين من أيلول 1846 والاول من كانون الثاني 1847، وبلغ عدد النسخ الموزعة منها (500) نسخة، وتكونت الصحيفة من(4) صفحات بحجم صغير، ففي الخامس والعشرين من شباط 1850 اجبر بورغوروف على ترك الصحيفة والمطبعة مقابل (1000) فرنك والذهاب الى بوخارست. [41] وبحلول نهاية عام 1850 طبع المبشرون الامريكيين نسخة من الكتاب المقدس باللغة العامية البلغارية ووزعوها، ونشر تشارلز مورس كتاباً كاملاً عن قواعد اللغة البلغارية وقام بتجميع اول قاموس بلغاري – انكليزي [42].اعتقد ريجز ان العمل التبشيري بين البلغار هو عمل مقبول بالنسبة لهم ، وذكر ذلك على وجه التحديد في مذكراته ؛ ان البلغار اعربوا بشكل رسمي عام 1844 اثناء

زيارة قام بها روفوس اندرسون (RufusAnderson) [43]، رئيس مجلس المفوضين الامريكيين للبعثات الخارجية عن اهتمامهم بتأسيس فرع للبعثة في بلغاريا. [44]

واتخذ قرار في عام 1852 بإرسال مبشر ميثودي الى بلغاريا في اجتماع مجلس التبشير بالكنيسة الاسقفية الميثودية (Methodists) [45] ، وكان لابد من ان تتزامن بداية التبشير بين البلغار مع التبشير بين اليونانيين في تزاريغراد (Tzarigrad) ، وقد منحت البعثة البلغارية (5000) دولار. وكان السبب الرئيسي ، الذي يشار اليه كدافع تبشيري ، هو ضرورة دعم نضال الكنيسة من اجل الهيمنة ، والذي دخل مرحلة حاسمة بعد حرب القرم (1853– 1856). [46]

المبحث الثالث

دور المبشرين الامريكيين في بلغاريا بين عامي (1856–1902)

اعلن السلطان العثماني عبد المجيد في عام 1856 مرسوماً امبراطورياً سمي خط شريف همايون، وتم الاعتراف رسمياً بان رعايا الدولة العثمانية هم مواطنين عثمانيين "التبعية العثمانية" ، إذ حافظ البروتستانت على حقوقهم كاملة كمواطنين في الدولة العثمانية، وسرعان ما استغل المبشرون البروتستانت هذا الفرمان وفرمان خط شريف كلخانة من اجل تنظيم وزيادة انشطتهم الدينية والتعليمية بين السكان غير المسلمين في الدولة العثمانية. [47]

بدأ مجلس المفوضين الامريكيين للبعثات الخارجية في خمسينيات القرن التاسع عشر بتنظيم فرع بعثته الاولى الى الدولة العثمانية بعثة عام 1819 واستهدف الفرع التبشيري الجديد الرعايا الناطقين باللغة البلغارية في البلقان [48]، واهتم المجلس ببلغاريا واخذ يجمع المعلومات من ممثليه الذين كانوا هناك ، الا ان الخطوات الحقيقية لعمل المجلس في بلغاريا لم تبدأ الا عام1856 [49] ، واختيرت مدينتي بلوفديف (Plovdiv) وستارا زاغورا (stara zagora) كمقرات لعمل البعثة ، وفي عام 1858 افتتحت البعثة فروعها وبدأت مزاولة عملها هناك. [50]

رأى الميثوديون ان عليهم مساعدة البلغاريين في إقامة شعائرهم الدينية الخاصة بهم وتوظيف كهنة. وكان في ذلك الوقت هناك توتر شديد بين البطريركية اليونانية والبلغار بشأن هذه القضية ، إذ اجبرت الكنيسة الارثوذكسية اليونانية البلغار على استخدام اللغة اليونانية فقط في خدمات العبادة وارسلت قساً يونانياً للخدمة بينهم . لذلك سعى الميثوديون الى مساعدة البلغار على ان يكون لهم عبادتهم الخاصة وكهنة بلغار ، وكانت وجهة نظرهم ان البطريركية لا يمكنها ولا يجب عليها اجبار الناس على حب كنيسة تبذل كل الجهود في تدمير الهوية الوطنية البلغارية. [51]

اتخذ قرار في عام 1852 بارسال مبشر ميثودي الى بلغاريا ، فاختير البرت لونغ[52] (Albert Long) لهذه المهمة ، وكان انذاك عضواً في مؤتمر بيتسبرغ الميثودي برئاسة الاسقف سيمبسون

(Simpson)، فبدء رحلته في السابع والعشرين من حزيران 1857الى تزاريغراد. وفي ايلول من العام نفسه وصل الى العاصمة التركية برفقة ويسلي بريتيمان (Wesley prettyman) المبشر الميثودي الاخر في شمال بلغاريا . استقر لونغ وبريتيمان اولاً في شومن (shouman) في شمال شرق بلغاريا ، وهناك قام بطباعة الادب الامريكي المترجم ودعم الصحف البلغارية . قام ايضاً بنشر بعض كتبه في هذه الصحف ، كما شارك في صراعات الكنيسة ضد البطريركية ، وانتقل بعد ذلك مع بريتيمان الى تارنوفو (Tarnovo) وبقي فيها كمبشر ، وكان واثقاً من الحصول على ثقة الرجال والكهنة والمعلمين فيها. وعقد في عام 1859 اول خدمة للعبادة البروتستانتية البلغارية في منزله ، وبصفته واعظاً اقام صداقة مع مجلس بلدية المدينة. [53] وصادق المثقفين المحليين ، واسس في العام نفسه كنيسة اسقفية ميثودية بلغارية . وفي عام 1863 انتقل الى القسطنطينية ليصبح مشرفاً على بعثة الكنيسة الاسقفية الميثودية للاراضي البلغارية. [54]

واسس البرت لونغ في عام 1868 منظمة التنوير الخيري، التي دعمت التعليم البلغاري، ودعمت العديد من الطلاب من الناحية المالية . وفي عام 1870 قام البرت مع عدد من الكتاب البلغاريين وريجز الذي كان لغوياً موهوباً بترجمة الكتاب المقدس الى لغة بلغارية معاصرة .[55]

ولعب في العام نفسه دوراً مهماً في نمو حركة النساء في شمال بلغاريا، وخاصة في انشاء مجتمعات النساء ووضع اساس تعليم الفتيات ، كما اسهم في العام نفسه في حركة التحرير الوطنية البلغارية ، وكان على صلة مع كيرياك تسنكوف (Kiryak Tsankov) نائب رئيس اللجنة الثورية المركزية في بوخارست .ودعم لونغ مع تسنكوف في العام (1871 و 1872) خطط اللجنة الثورية المركزية البلغارية للانتفاضة السلافية في الجنوب.[56]

شهدت بلغاريا في ثلاثينيات القرن التاسع عشر نشوء طبقة حضرية مزدهرة (برجوازية) اصبحت العمود الفقري لحركة استبدال اللغة اليونانية بالبلغارية كلغة للكنيسة والتعليم ، وعلى مدى جيل كامل عبرت القومية البلغارية عن نفسها بشكل رئيس في النضال من اجل تسلسل هرمي ارثوذكسي بلغاري ، أواكسرخسية متحررة من البطريركية اليونانية في اسطنبول. [57] واكتسبت حركة الاستقلال البلغارية زخماً في ستينيات القرن التاسع عشر، ومن اهم التوجهات نحو الاستقلال كان مشروع انشاء كنيسة مستقلة ، وضمن هذا السياق كانت النية الاصلية لمجلس المفوضين الامريكيين للبعثات الخارجية في تعاملاته مع الشعوب الناطقة باللغة البلغارية في البلقان ،هي اصلاح واحياء المعابد الارثوذكسية القائمة، وعندما تدهورت العلاقات بين البطريك اليوناني والاساقفة البلغار في اوائل ستينيات القرن التاسع عشر بسبب اعلانهم الاستقلال عن الكنيسة اليونانية ودعم السلطات العثمانية لهم ،تفاوض مجلس المفوضين الامريكيين للبعثات الخارجية على التمثيل المحتمل للكنيسة البلغارية ، ونتيجة لجهود المجلس اعترفت السلطات العثمانية بالطائفة البلغارية الارثوذكسية عام 1870. [58]

وذلك بفرمان صدر من السلطان العثماني في شباط 1870، لانشاء كنيسة بلغارية منفصلة. [59] وتم وضع الكنيسة البلغارية تحت سلطة البطريك البيزنطي في اسطنبول بعد قرون من النضال لتحرير البلغار من الكنيسة اليونانية ، واصبحت هذه الكنيسة القاعدة الرئيسة للنهضة الوطنية البلغارية[60] ، وعدت الكنيسة الارثوذكسية اليونانية هذا الامر انشقاقاً، وفي وقت لاحق تم تشكيل دولة قومية بلغارية بين عامي (1878و 1885). [61]

تنوعت الجهود التبشيرية في بلغاريا ومنها ما كان في جانب التعليم ، فقد عمل المبشرون على نشر اللغة البلغارية الجديدة بين البلغاريين ، واخذ البلغاريون الذين كانوا قادرين على القراءة بتعليم من لم يتمكنوا من تعلم اللغة الجديدة من خلال القراءة بصوت عالٍ ليتعرفوا على الاخبار اليومية وتعلم اللغة العامية الجديدة. وكانت القراءة بصوتٍ عالٍ نشاطاً واسع النطاق وشائع في نواد القراءة. وتم اغلاق معظم الاماكن العامة التي عملت على نقل اللغة الجديدة للاشخاص امام النساء، وبالتالي تم استبعاد النساء الى حدٍ كبير من الاتصال المفتوح مع ثقافة الصياغة الجديدة . وعالج المبشرون الامريكيين هذه القضية من خلال انشاء فيلق " نساء الكتاب المقدس"، ونساء شابات غير متزوجات يمكنهن زيارة نساء آخريات في منازلهن والقراءة لهن كل من الادب الديني لرسائل البعثة ، لكن من منشورات دورية وغيرها من المنشورات. (62)

وبدأت فترة جديدة من التأثير الامريكي في الجانب التعليمي مع انشاء البعثات التبشيرية في بلغاريا ، على الرغم من ان الدعاية الدينية اصبحت ابرز سمة في عمل المبشرين الامريكيين ، الا انهم واصلو تزويد البلغاريين بترجمات الكتب المدرسية الامريكية ، وبدأوا بفتح المدارس لهم [63]. اذ كانت المدرسة التي انشئت في بلدة ساموكوف (Samokov) المثال الابرز على ذلك ، كما تم ارسال الارساليات الطبية والقيام بالعمل الخيري ودراسة الكتاب المقدس ، وتجدر الاشارة الى ان مجلس المفوضين الامريكيين للبعثات الخارجية كان وسيلة مهمة لجلب المنظمات البروتستانتية الأخرى[64] ، وفي عام 1860 اسست اول مدرسة امريكية وهي التي يطلق عليها اليوم تسمية الكلية الامريكية في صوفيا (Sofya) في بلوفديف ، وكان المبشرون يدرسون فيها الى جانب تعليمات الكتاب المقدس؛ الرياضيات والكيمياء والفيزياء واللغة الانكليزية[65] ، وافتتحت مدرسة اخرى للبنات في ستارازاغورا في عام 1863 من قبل المبشر البروتستانتي الامريكي بينينغتون ثيودور (TheodorBennington) وزوجته مارغريت (Margaret) ، وقد اسست على نموذج كلية ماونت هوليوك (Mount Holyoke) الامريكية ، هدفت هذه المدرسة التبشيرية الى تثقيف الفتيات وتدريب النساء البلغاريات والهامهن لدعم خطة الاصلاحات الدينية والتعليمية . وعلى الرغم من ان هذه المدرسة التبشيرية حققت نجاحاً حقيقياً من الناحية التعليمية ، الا انه لم تتحول اي طالبة إلى البروتستانتية ، وبالتالي لم يحرز بينينغتون اي تقدم في تبشير المدينة[66] . وادمجت المدرستان وانتقلتا

الى ساموكوف في عام 1869 وقدمتا تعليماً على الطراز الامريكي وكان التعليم يتم فيها باللغة الانكليزية ، ثم اصبحت هذه الكلية فرعاً من جامعة ولاية نيويورك (New York) ومارست دوراً كبيراً في تعليم النخبة البلغارية.[67]

جاءت التغييرات الرئيسة في بلغاريا أوائل سبعينات القرن التاسع عشر، اذ وصل المبشرون إلى فكرة مهمة وهي فصل بلغاريا عن الدولة العثمانية، وان تكون علاقة بلغاريا مع الدولة العثمانية علاقة رسمية، وجاء هذا الاقتراح خلال مؤتمر عقده المبشرون مع مجموعة من السكان البلغاريين من مدينة فيليبوليس في آذار 1869، واتخذوا قرارهم بأن تقوم بعثتهم؛ بعثة غرب تركيا في اجتماعها السنوي المقبل بتشكيل بعثة منفصلة تسمى بعثة بلغاريا، وبعد عام من ذلك اصبح هذا القرار حقيقة، وأثناء عقد الاجتماع السنوي الثلاثين لبعثة غرب "تركيا" في السابع والعشرين من أيار 1870 تقرر إنشاء محطات تبشيرية في آسكي زاغار (EskiZagar) وفيليبوليس وساموكوف وادريانوبل (Adrianople) وإسطنبول، وكانت هذه المحطات تابعة لبعثة منفصلة سميت بعثة تركيا الأوربية، وبالرغم من تغيير اسم البعثة المتفق عليه، الا انه تم الإبقاء على السمات الأساسية لقرار عام 1869.[68]

شكلت جهود المبشرين احدى الركائز الاساسية للعمل في بلغاريا والبلقان ، ومن ابرز الامثلة في هذا الاتجاه اصدار مجلة زورينتز(Zornitsa) الشهرية، والتي بدأت كمجلة عام 1864 وتحولت الى صحيفة في سبعينات القرن التاسع عشر وكانت في بدايتها تصدر في اسطنبول ثم انتقلت الى فيليبوليس عام 1902 [69]، كان ينظر اليها كاحدى اهم وسائل الاعلام في بلغاريا والبلقان ، لاسيما تغطيتها لاحداث" انتفاضة ابريل"[70] عام 1876 في بلغاريا[71] ، إذ قادت مجموعة من القوميين البلغار ثورة ضد الحكم العثماني.[72]

الخاتمة:

مما تقدم توصل البحث الى النتائج الآتية:

1- عمل المبشرون الامريكيون على نشر الكتاب المقدس في مجتمع بلغاري مسيحي ارثوذكسي، لجذب اعداد جدد للبروتستانتية المسيحية بهدف التحويل الجماعي للبروتستانتية لتحقيق الهيمنة الامريكية.
2- تنوع الجهود التي بذلها المبشرون الامريكيون في بلغاريا فلم تقتصر على نشر البروتستانتية فقط ، بل اسسوا مؤسسات تعليمية وثقافية لنشر الثقافة والمعارف الامريكية مما اثر على تطور الفكر والمجتمع البلغاري.
3- تعد المدارس التي افتتحها المبشرون الامريكيون في بلغاريا من اهم المؤسسات التعليمية التي اسهمت في تحقيق الهيمنة الامريكية ، إذ قدمت تعليماً امريكياً هاماً ، وكان لها تأثير ثقافي واسع في المجتمع البلغاري.

4- لم يحقق المبشرون الامريكيون في بلغاريا اهدافهم بالتحويل الجماعي الى البروتستانتية ، الا انهم اسهموا في تطور الوعي الوطني البلغاري الحديث.

5- اسهم نشاط المبشرين الامريكيين في بلغاريا في تحقيق التأثير الامريكي ، من خلال نشر الثقافة الامريكية ، في بناء اسس اولى للعلاقات بين بلغاريا والولايات المتحدة الامريكية في آواخر القرن التاسع عشر، مما اثر على مسار العلاقات بينهما في مطلع القرن العشرين.

الهوامش

([1]) محمد بن ناصر العبودي، كنت في بلغاريا– رحلة وحديث عن احوال المسلمين، ط1، د.م، 1993، ص9.

([2]) غدير عبد الرسول شواتي حاتم صيهود السوداني ، الاهمية الاستراتيجية لمنطقة البلقان في السياسة الدولية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم السياسية ، الجامعة المستنصرية ، 2014، ص14.

([3])Nevil Forbes and others, The Balkans: A History of Bulgaria-Serbia-Greece-Rumania-Turkey, Oxford University Press, London, 1915, PP. 23-24.

([4])Ibid, p. 23.

([5])Frederick B. Chary, The History of Bulgaria, The Green wood History of the Modern Nations,ABC –Cilo ,LLC,Santa Barbara, California; Denver – Colorado , Oxford - England, 2011,p. 3.

([6])Adem Izgu, Bulgaria; History and Post-Communsition , Master Thesis Arts, (an published), The Department of International Relations - Bilkent University, Ankara, 2005,P.5.

([7])R. J. Crampton, Aconcise History of Bulgaria, Second Edition, Cambridge University Press, New York, 2005, PP.9-10 .

([8]) محمد بن ناصر العبودي ، المصدر السابق ، ص11.

([9]) R. J. Crampton,op.cit, P.10.

([10]) Nevil Forbes and others, op.cit, P.2.

([11]) فاسيل بايف، نظرة على بلغاريا ، صوفيا برس ، 1975، ص8.

([12]) Adem Izgu, op.cit, P.6 ; Frederick B. Chary, op.cit, P.5.

([13])هما الاخوين سيريل المتوفي عام 869 وميثوديوس المتوفي عام 885 وهما يوناني الاصل من سالونيك ، كان لديهم معرفة كبيرة باللغة السلافية وقاموا بتأليف الابجدية السلافية المستخدمة اليوم في بلغاريا وروسيا وصربيا والجبل الاسود وفي اجزاء كثيرة من النمسا والمجر وترجموا الاناجيل الى السلافية ، وقد مر الاخوين عبر بلغاريا عام 863 لكن دون توقف ، الا ان العديد من تلاميذهم الذين طردهم الالمان من مملكة مورافيا جاءوا الى الجنوب ولجئوا الى بلغاريا عام 886 وواصلوا في ظل الظروف الملائمة نشر تعاليم اسيادهم . ينظر: Nevil Forbes and others, op.cit,PP.29-30

([14]) لغة ظهرت في القرن الثامن بديلاً عن اللغة اليونانية المستخدمة في الادب البلغاري ، ارتبطت بدايتها بالتحول الى المسيحية في بلغاريا (863-864) ، وضعت من قبل الراهبين الاخوين سيريل ميثوديوس ، اللذين وصل تلاميذهما الى بلغاريا عام 885 وانشئوا مدارس لتعليم هذه اللغة في مدن بليسكا وبريسلاف بدعم من الامير بوريس الاول . ينظر:

Richard Frucht, Encyclopedia of Eastern Europe - From the Communism, New York and London: Garland Publishing, 2000, P. 95.

([15])Adem Izgu, op. cit., P.6; فاسيل بايف ، المصدر السابق ، ص 8

([16])Ibid, P.7 ;9 ، المصدر نفسه ، ص ٨
([17])R. J. Crampton,op.cit, PP.19-20 .
([18])Roumen Daskalov, The Making of a Nation in The Balkans, First Edition, Central European University Press, Budapest, New York,2004, P.73
([19])R. J. Crampton,op.cit, P.42 .
([20])علي هادي عباس المهداوي ، التطورات السياسية في البلقان 1800–1875، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية ، كلية التربية ، جامعة بابل ، العدد 12 ، كانون الاول ، 2007، ص 187–188.
([21]) في عام ١٨٠٦ قام خمسة طلاب من كلية ويليامز (Williams) في ولاية ماسا تشوستس (Massachusetts) الأمريكية وهم صموئيل ج. ميلز الابن (Samuel J. Mills Jr.) وهارفي لوميز (Harvey Lomis) وبيرام جرين (Byram Green) وفرانسيس ل .روبينز (FrancisL.Robbins) وجيمس ريتشارد (James Richards)، بالمشاركة في مراسم صلاة وتأمل في صالون ميدو (Meadow Salon's) وأثناء ذلك اقترح ميلز على زملائه نشر الانجيل البروتستانتي في الخارج، وكانت النتيجة ان شكلوا بعد عامين جمعية سرية تدعى الاخوة (Brethren) لتحقيق هدفهم، وبعد افتتاح مدرسة أندوفر اللاهوتية (Andover Theological Seminary) كجزء من أكاديمية فيليبس (Phillips)التحق سبعة شبان عام 1810 بالمؤسسة وهم صموئيل ج. ميلز الابن وجيمس ريتشارد و غوردون هول (Gordon Hall) ولوثر رايس(Luther Rice) وادونيرام جودسون (Adoniram Judson) وصموئيل نويل (Samuel Newell)وصموئيل نوت (Samuel Nott) وهم خريجو كليات تأسست اثناء الصحوة الكبرى الثانية، واسس أربعة منهم وهم جودسون ونوت وميلز ونويل منظمة سرية سميت بالأخوة تيمناً بالجمعية السابقة وتعهدوا بخدمة المسيحية ونشرها خارج بلدهم وايدهم كبار أساتذة اندوفر، وفي ايلول 1810 تم تشكيل= =مجلس المفوضين الأمريكيين للبعثات الخارجية، واجتمع المجلس لأول مرة في الخامس من تشرين الثاني 1810 في مقاطعة فارمنغتون (Farmington) واقر دستور المجلس الذي نص على نشر الانجيل في الأمم التي لا تعرف المسيحية. ينظر:
Joseph Tracy, American Board of Commissioners Foreign Missions, Second Edition, M. W. Dodd, New York, 1842, pp. 21-27;
احمد عماش عبد الله، المؤسسون الأوائل للبعثات التنصيرية الأمريكية الى الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مركز صلاح الدين الأيوبي للدراسات التاريخية والحضارية، جامعة تكريت، المجلد ١١ ، العدد ٤٠ ، ٢٠١٩، ص ٢١١–٢٠٩.
([22])Nikolay Kamenov, Global Temperance and the Balkans-American Missionaries, Swiss Scientists and Bulgarian Socialists, 1870-1940, Macmillan Publisher, Geneve-Switzerland, 2020, p. 75.
([23]) احمد عماش عبد الله، المصدر السابق ،ص210.
([24])Nikolay Kamenov,op.cit,pp75-76.
([25]) اقبال بنت محمد باصمد ، نشأة التنصير وجهود الفاتيكان التنصيرية، مجلة الدراسات العربية، كلية العلوم ، جامعة المنيا ، مصر ، الجزء 35، العدد 10، 2017، ص5780.
([26])Nikolay Kamenov,op.cit,p.76.
([27])Christopher L. Miller, American Missionaries and The Formation of Modern Bulgarian Nationl Consciousness, East European Quarterly, Central European University, Vol. 45, No. 3- 4, September - December 2017, p.169.
([28])راهب أمريكي ولد في مدينة شيلبورن (Shelburne) في ماساشوستيس في ٢٤ حزيران ١٧٩٢، اكمل دراسته الثانوية في سن السادسة عشرة وبدأ الاهتمام بالأمور التبشيرية واظهر استعداده للقيام بأي مهمة خارجية، تقدم عام ١٨١١

للدراسة في كلية ميدلبري(Middle Bury College) في فيرمونت (Vermont) وبعد تخرجه منها التحق في أكاديمية اندوفر اللاهوتية وتخرج منها عام ١٨١٨ ليعمل بعد ذلك مساعدا لليفي بارسونز في أول مهمة لمجلس المفوضين الأمريكيين للبعثات الخارجية، في الشرق الأدنى، واستقروا أول الأمر في سميرنا (ازمير) واقاما فيها لمدة خمس سنوات، انتقل بعدها إلى مالطا ثم الى مصر بعد وفاة بارسونز في الإسكندرية في ٢٢ شباط ١٨٢٢ ثم عبر سيناء إلى غزة ووصل القدس قبل نهاية العام ليقوم بالعمل التبشيري، توفي بشكل مفاجئ في ٢٣ تشرين الأول ١٨٢٥ في بيروت اثناء تواجده فيها لحضور جنازة تاجر اوربي وكان سبب وفاته اصابته بحمى كانت منتشرة هناك حينها، وقبل ذلك انتهى من اعداد قاموس عربي – إنكليزي كان يعده للنشر. ينظر :

Boston: Alvan Bond,Memoir of the REV. Pliny Fisk, A.M.Late Missionary to Palestine, p.p.13-14,20,415; 1828, Jonathan Leavitt, Published by Crocker and Brewster, New York: .,164 ,129 ,117 ,107 Cit.,pp.101-102 JosephTracy,Op.

([29]) راهب أمريكي ولد في ١٨ تموز ١٧٩٢ في مدينة جوشين (Goshen) في ماساشوستيس، وكان ابناً ثانياً للقس جاستين(Justin)، اختار له والده قبل ولادته أن يكرس حياته لخدمة الكنيسة وان يكون واعظاً، بعد أن أكمل تعليمه الديني الكلاسيكي عام ١٨٠٨ التحق بالدراسة في كلية ميدلبري في آب ١٨١٠، وقرر ان يمارس اعمال التبشير وهو طالب في كليته في ٢٢ شباط ١٨١١ ، في ٢٢ أيار ١٨١٢ قام بأداء صلاة مشتركة خارجية مع مجموعة من زملائه بينهم بليني فيسك ليتعاهدوا بعد ذلك في يوم ٢١ حزيران ١٨١٢ على الخدمة الإلهية، بعد تخرجه من كلية ميدلبري في آب ١٨١٤ التحق بأكاديمية اندوفر اللاهوتية وتخرج منها عام ١٨١٧ ليعين كمبشر في مجلس المفوضين الأمريكيين للبعثات الخارجية، تم ارساله كرئيس لأول بعثة خارجية للمجلس في الشرق الأدنى الى سميرنا مع زميله فيسك عام ١٨١٩ ليصلوها عام ١٨٢٠ ليقوموا وتجولوا في آسيا الصغرى (الاناضول)، ارتحل بعد ذلك الى القدس في مهمة هناك كأول مبشر بروتستانتي، توفي في مدينة الإسكندرية المصرية اثر ئمعاناته مع المرض في ٢٢ شباط ١٨٢٢ ينظر:

REV. Daniel O. Morton, A.M., Memoire of REV. Levi Parsons, First Missionary to Palestine, Second Edition, Hart Ford, Con: published by Cooke & Co. and Packard & Butler, 1830, pp. 7-9,15-16,32,35; Joseph Tracy, Op. Cit., pp. 107-117.

([30])Alvan Bond, Op. Cit., p. 20; Tatyana Khristova Nestorov -Matejic, American Missionaries in Bulgaria: (1858-1912), Dissertation for the Degree Doctor of Philosophy, Department of History, The University of Columbus- Ohio, 1985, p. 8.

([31])احمد عماش عبدالله، المصدر السابق، ص ٢١٣.

([32])Tatyana khristova Nestorov - Matejic, op. cit., p. 9.

([33])Christopher L. Miller, op. cit. , p.170.

([34])Encyclopaedia Britannica. www. britannica.com.

([35]) يوسف حسين يوسف عمر، نشاط المجلس الامريكي لمفوضي الارساليات الخارجية في الدولة العثمانية (1819–1909) ، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية ، جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية ، الجزائر ، العدد 10 ، 2017، ص223.

([36])Vladimir Zhelezov, D-r Albert long and Bulgarian Renaissance. https: //Protestantstvo.com.

([37])Leo Wiener, America's share in the regeneration of Bulgaria.(1840-1859), Modern Language Notes,Vol. Xiii, No. 2, February 1898, Baltimore, P.IV.

([38]) ولد في 19 تشرين الثاني 1810 في جزيرة نيو بروفيدنس (New Providence) من جزر الباهاما في البحر الكاريبي، تخرج من كلية أمهيرست (Amherst) عام 1829، ومن مدرسة أندوفر اللاهوتية عام 1832، ابتعث من قبل مجلس المفوضين الأمريكيين للبعثات الخارجية كمبشر إلى أثينا (Athens) وارغوس (Argos) في اليونان من

عام ١٨٣٢ حتى عام ١٨٣٨ ، والى سميرنا في الاناضول من عام ١٨٣٨ حتى عام ١٨٥٣، حصل على شهادة الدكتوراه من كلية هانوفر (Hanover College) عام ١٨٥٣ وبعدها ذهب للعمل كمبشر في إسطنبول، زار الولايات المتحدة الامريكية عام ١٨٥٦ وعمل في تدريس اللغة العبرية في المدرسة اللاهوتية الاتحادية اثناء الاعوام (١٨٥٧ – ١٨٥٨) وعرض عليه العمل كأستاذ فيها الا انه رفض ذلك وفضل العودة للعمل في التبشير الخارجي، وحصل على شهادة الدكتوراه الفخرية في القانون (.L.L.D) من كلية امهيرست عام ١٨٧١، من أعماله ترجمة الكتاب المقدس الى اللغة التركية واللغة الأرمنية الحديثة والبلغارية فضلاً عن مؤلفات في قواعد اللغة البلغارية والارمنية الحديثة، توفي في إسطنبول في ١٧ كانون الثاني ١٩٠١ . ينظر :

James Grant Wilson and John Fiske, Appletons' Cyclopaedia of American Bio Graphy, Vol. V, New York: D. Appleton and Company, 1900, p. 253.

([39]) محمد عبود مهاوش ، العلاقات الامريكية البلغارية 1909-1945، مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة ذي قار ، المجلد 9، العدد 1، 2019، ص572.

([40]) Leo Wiener, op. cit. P.IV.

([41]) Wikipedia,en.m. Wikipedia .org.

([42]) محمد عبود مهاوش ، المصدر السابق، ص572.

([43]) ولد في آب 1796 في شمال يارموث (North Yarmouth) إحدى مدن ولاية مين (Maine) الامريكية،تخرج من كلية بودوين (Bowdoin College) عام 1818 ، ومن مدرسة اندوفر اللاهوتية عام 1822، عين مساعداً لرئيس مجلس المفوضين الأمريكيين للبعثات الخارجية عام 1826 ، وفي 1832 أصبح رئيساً للمجلس حتى عام 1866 ، توفي في 30 آيار 1880. ينظر:

James Grant Wilson and Jon Fiske, Op. Cit., Vol. I, p. 71.

([44])Tatyana Khristova Nestorava-Matejic, Op. Cit., p. 11.

([45])كنيسة نصرانية بروتستانتية انجيلية ، تأسست على مبادئ جون(John) ، وتشارلز وسلي(Charles Wesley)، في انكلترا في القرن الثامن عشر ، بدأت كجمعية دينية داخل كنيسة انكلترا ، ثم حاولت إصلاح الكنيسة الانكليزية من الداخل ، وانفصلت عنها عام 1791 ، واصبحت ذات قوة مؤثرة في الولايات المتحدة الامريكية. للمزيد ينظر: إنعام محمد عقيل ، مفهوم الكنيسة الميثودية وعقيدتها (دراسة وصفية تحليلية)، مجلة الجامعة الاسلامية للدراسات الاسلامية ، غزة ، المجلد 27، العدد 2، 2019، ص237.

([46])Vladimir Zhelezov , op, cit .

([47]) يوسف حسين يوسف عمر، المصدر السابق، ص223- 224.

([48])Nikolay Kamenov,op.cit,p.77.

([49])Tatyana khristova Nestorov - Matejic, op. cit., p. 11.

([50])Nikolay Kamenov,op.cit,p.78.

([51])Vladimir Zhelezov , op, cit .

([52]) ولد البرت ليميرك لونغ في بنسلفانيا في 4 كانون الاول 1832، كان والده رجل دين حظي باحترام كبير ، تلقى تعليمه في بنسلفانيا إذ تخرج من جامعة ويسترن، كما درس في معهد كونكورد للكتاب المقدس. وفي سن الرابعة والعشرين اكمل تعليمه اللاهوتي وانتقل الى الكنيسة الاسقفية الميثودية، ودعي ليصبح مبشراً في البلقان فقبل الدعوة . توفي في ليفربول في انكلترا في 28 تموز 1901

Wikipedia,en.m. Wikipedia .org.

([53])Vladimir Zhelezov , op, cit .

([54])Wikipedia. op, cit .
([55])Vladimir Zhelezov , op, cit .
([56])Ibid .
([57])Robin Okey, Eastern Europe ov 1740-1785 Feudalism to Communism, Second Edition , London and New York, 1991, p.101.
([58])Nikolay Kamenov,op.cit,p.78.
([59])R.J. Crampton, Bulgaria, Oxford University Press, New York, 2007, pp. 77-78.
([60])Tatyana Khristova Nestorov - Matejic, op. cit., pp. 13-14.
([61])Nikolay Kamenov,op.cit,p.78.
([62])Christopher L. Miller, op. cit. , p.178.
([63]) Leo Wiener, op. cit. P.IV.
([64])Nikolay Kamenov,op.cit,p.78.
([65]) محمد عبود مهاوش ، المصدر السابق، ص572- 573.
([66])Krassimira Daskalova, Developments in Bulgarian Education: from the Ottoman Empire to the Nation-State and beyond, 1800-1940, Espacio, Tiempoy Education, Vol. 4, No.1, January-June 2017, p.5.
([67]) محمد عبود مهاوش ، المصدر السابق، ص572- 573.
([68])Tatyana Khristova Nestorov - Matejic, op. cit., pp. 20-21.
([69]) انتقلت المجلة في عشرينيات القرن العشرين الى ساموكوف وصوفيا.
([70]) انطلقت الانتفاضة في الثاني من ايار 1876 ، اما تسميتها انتفاضة ابريل فكانت وفقاً للتقويم اليوناني القديم الذي كان يستخدمه البلغار حينها وصادفت 20 ابريل . ينظر: Frederick B. Chary, op.cit, P.33.
([71])Nikolay Kamenov,op.cit,p.80.
([72]) محمد عبود مهاوش ، المصدر السابق، ص573.

المصادر:

اولاً: المصادر العربية:

1. احمد عماش عبد الله، المؤسسون الأوائل للبعثات التنصيرية الأمريكية الى الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مركز صلاح الدين الأيوبي للدراسات التاريخية والحضارية، جامعة تكريت، المجلد ١١ ، العدد ٤٠ ، ٢٠١٩.
2. اقبال بنت محمد باصمد ، نشأة التنصير وجهود الفاتيكان التنصيرية، مجلة الدراسات العربية، كلية العلوم ، جامعة المنيا ، مصر ، الجزء 35، العدد 10، 2017.
3. إنعام محمد عقيل ، مفهوم الكنيسة الميثودية وعقيدتها (دراسة وصفية تحليلية) ، مجلة الجامعة الاسلامية للدراسات الاسلامية ، غزة ، المجلد 27، العدد 2، 2019.
4. علي هادي عباس المهداوي،التطورات السياسية في البلقان 1800–1875، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية ، كلية التربية ، جامعة بابل ، العدد 12 ، كانون الاول ، 2007.
5. غدير عبد الرسول شواتي حاتم صيهود السوداني ، الاهمية الاستراتيجية لمنطقة البلقان في السياسة الدولية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم السياسية ، الجامعة المستنصرية ، 2014.

6. فاسيل بايف، نظرة على بلغاريا ، صوفيا برس ، 1975.
7. محمد عبود مهاوش ، العلاقات الامريكية البلغارية 1909–1945، مجلة كلية التربية للعلوم الانسـانية ، جامعة ذي قار ، المجلد 9، العدد 1، 2019، ص572.
8. محمد بن ناصر العبودي، كنت في بلغاريا– رحلة وحديث عن احوال المسلمين، ط1، د.م، 1993.
9. يوسف حسين يوسف عمر، نشاط المجلس الامريكي لمفوضي الارساليات الخارجية في الدولة العثمانية (1819–1909) ، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية ، جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية ، الجزائر ، العدد 10 ، 2017.

ثانياً: المصادر الاجنبية:

1. Adem Izgu, Bulgaria; History and Post-Communsition , Master Thesis Arts,(an published) ,The Department of International Relations - Bilkent University, Ankara, 2005.
2. Alvan Bond,Memoir of the REV. Pliny Fisk, A.M.Late Missionary to Palestine, Boston: Published by Crocker and Brewster, New York: Jonathan Leavitt, 1828.
3. Christopher L. Miller, American Missionaries and The Formation of Modern Bulgarian National Consciousness, East European Quarterly, Central European University, Vol. 45, No. 3- 4, September - December 2017.
4. Encyclopaedia Britannica. www. britannica.com.
5. Frederick B. Chary, The History of Bulgaria, The Green wood History of the Modern Nations,ABC –Cilo ,LLC,Santa Barbara, California; Denver – Colorado , Oxford - England, 2011.
6. James Grant Wilson and John Fiske, Appletons' Cyclopaedia of American Bio Graphy, Vol. V, New York: D. Appleton and Company, 1900.
7. Joseph Tracy, American Board of Commissioners Foreign Missions, Second Edition, M. W. Dodd, New York, 1842.
8. Krassimira Daskalova, Developments in Bulgarian Education: from the Ottoman Empire to the Nation-State and beyond, 1800-1940, Espacio, Tiempoy Education, Vol. 4, No.1, January-June 2017.
9. Leo Wiener, America's share in the regeneration of Bulgaria.(1840-1859), Modern Language Notes,Vol. Xiii, No. 2, February 1898, Baltimore.
10. Nevil Forbes and others, The Balkans: A History of Bulgaria-Serbia-Greece-Rumania-Turkey, Oxford University Press, London, 1915.
11. Nikolay Kamenov, Global Temperance and the Balkans-American Missionaries, Swiss Scientists and Bulgarian Socialists, 1870-1940, Macmillan Publisher, Geneve-Switzerland, 2020.
12. R. J. Crampton, Aconcise History of Bulgaria, Second Edition, Cambridge University Press, New York, 2005.

13. R.J. Crampton, Bulgaria, Oxford University Press, New York, 2007.
14. REV. Daniel O. Morton, A.M., Memoire of REV. Levi Parsons, First Missionary to Palestine, Second Edition, Hart Ford, Con: published by Cooke & Co. and Packard & Butler, 1830.
15. Richard Frucht, Encyclopedia of Eastern Europe - From the Communism, New York and London: Garland Publishing, 2000.
16. Robin Okey, Eastern Europe 1740-1785. Feudalism to Communism, Second Edition London and New York, 1991.
17. Roumen Daskalov, The Making of a Nation in The Balkans, First Edition, Central European University Press, Budapest, New York,2004.
18. Tatyana Khristova Nestorov-Matejic, American Missionaries in Bulgaria: (1858-1912), Dissertation for the Degree Doctor of Philosophy, Department of History, The University of Columbus- Ohio, 1985.
19. Vladimir Zhelezov, D-r Albert long and Bulgarian Renaissance
.https: //Protestantstvo.com.
20. Wikipedia,en.m. Wikipedia .org.